المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

بين أهل السنة ومخالفيهم

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد

إبراهيم بن خالد بن عيسى المخلف

المشرف

أ. د. علي بن محمد الدخيل الله

الأستاذ في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

العام الجامعي

١٤٢٧ - ١٤٢٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [سورة النساء : ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار[١].

فقد ورد الثناء في الكتاب والسنة على أهل بيت النبي ﷺ ذكوراً وإناثاً على سبيل العموم في غير ما آية وحديث ، ولا شك أن أزواجه ﷺ داخلات في أهل بيته دخولاً أولياً ، وقد جاء الثناء عليهنّ وبيان أنهنّ في منزلة عليّة كما في قوله تعالى ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) هذه الخطبة تسمى عند أهل العلم بخطبة الحاجة، وهي مأثورة عن النبي ﷺ وهي تشرع بين يديّ كل حاجة.
وقد أخرج بعضها الإمام مسلم في كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة (٥٩٢/٢-٥٩٣) رقم (٨٦٧-٨٦٨).
وأبو داود كتاب النكاح باب خطبة النكاح (٥٩١/٢-٥٩٢) حديث رقم (٢١١٨).
والترمذي كتاب النكاح باب ما جاء في خطبة النكاح (٤١٣/٣-٤١٤) حديث رقم (١١٠٥)، وصححه.
والنسائي كتاب الجمعة باب كيفية الخطبة (١١٦/٣) حديث رقم (١٤٠٣).
وابن ماجة كتاب النكاح باب خطبة النكاح (٦٠٩/١-٦١٠) حديث رقم (١٨٩٢).
والإمام أحمد في المسند (٣١٠/٣، ٣٧١).
وذكرها الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/١)، وقد أفردها رحمه الله برسالة خاصة بعنوان "خطبة الحاجة" جمع فيها الأحاديث الواردة فيها فلتراجع.

مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب ٦] وكما في قوله ﷺ (والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار)(١).

ومن جملة أزواجه ﷺ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي هي أحب الناس إليه كما جاء في حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه حيث قال للنبي ﷺ (أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة.قلت فمن الرجال.قال: أبوها..)(٢).

قال الحافظ الذهبي رحمه الله :" وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض "(٣).

ومناقب عائشة رضي الله عنها كثيرة متواترة حيث كانت عَلَمَاً بين زوجاته ﷺ بما امتازت به من عظيم الصحبة ، ورفيع المترلة عند رسول الله ﷺ ، إضافة إلى ما تمّ لها من المكانة الكبرى في العلم والقدوة ، حتى احتاج إلى علمها خاصة الأمة وعامتهم ، فرحلوا إليها من مختلف الأقطار والأمصار ، ولا تزال مكانتها عظيمة في قلوب المسلمين ، وستبقى إلى يوم القيامة ، إلا ما حصل من بعض أهل البدع المتقدمين منهم والمتأخرين ، إضافة إلى دسائس المستشرقين ، فإن لهم موقفاً من الصحابة عموماً حيث تناولوهم بالطعن والقدح المشين استجابة منهم بذلك إلى سلوك غير سبيل المؤمنين فيهم ، ولم تسلم أمهات المؤمنين -رضي الله عن الجميع- من طعنهم وتنقصهم وعيبهم ، فقد استحوذ عليهم الشيطان وتمكن منهم وحملهم على أن قالوا فيهنّ قولاً عظيماً ، وأكثر ما طعنوا على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مما يدل على خبث قلوبهم وعلى فساد عقولهم.

ومن هنا عزمت على بيان معتقد أهل السنة في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع توضيح معتقد من خالف أهل السنة كذلك مع الرد عليه في رسالتي لمرحلة الدكتوراه بعنوان :

(أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بين أهل السنة ومخالفيهم)

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢٤/١١ حديث(٤٧٠٠) وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي.

(٢) متفق عليه :

رواه البخاري — صحيح البخاري مع الفتح — كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ : (لو كنت متخذاً خليلاً ...) ٢٢/٧ ، حديث (٣٦٦٢)

ورواه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ١٨٥٦/٤ ، حديث (٢٣٨٤) .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٤٢/٢.

أسباب اختيار الموضوع

ومما دفعني لاختيار هذا الموضوع والكتابة في ما يلي:

١- تيسير الله ﷻ لي ذلك، وذلك بعد الاستخارة والاستشارة.

قال شيخ الإسلام: ((ما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين، وثبت في أمره، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[(١)][سورة آل عمران ١٥٩]

٢- أهمية بيان الاعتقاد الصحيح في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها للاستفادة منه والإفادة من العلم والعقيدة الصحيحة، خاصة أن عقيدة أهل السنة في الصحابة مع أهميته وغزارة المادة العلمية فيه حيث يبحث أصلا عظيما من أصول الدين وثوابته التي يجب اعتقادها والتحذير ممن خالفها ، وهو لم يخدم في المجال العقدي مع أهميته كما هو موجود من كتابات عديدة في مجال السنة والدعوة والفقه.

٣- أن الله حفظ بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الشرع والطعن فيها طعن في الشرع.

٤- كثرة الطاعنين في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ولكثرة الوقيعة فيها خاصة في هذه العقود المتأخرة.

---

(١) نقله عنه الإمام ابن القيم في الوابل الصيب (ص١٥٨)، وقد ورد هذا في أثر عن النبي ﷺ رواه الطبراني في المعجم الصغير (١٧٥/٢)، وفيه ((**ما خاب من استخار وما ندم من استشار**))، قال عنه ابن حجر في الفتح (١٨٨/١١): ((واه جداً)).

الدراسات السابقة

وهي على النحو التالي:

١- موقف الشيعة الاثنى عشرية من الصحابة ﷺ.

للباحث: عبدالقادر بن محمد عطا صوفي ، رسالة علمية في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية،كلية أصول الدين ، قسم العقيدة،مرحلة الماجستير عام ١٤١٠هـ .

الفروق بين الرسالتين:

أولا/ أن الرسالة قد ركزت على جانب الرد فقط ، وأما رسالتي فإنها اشتملت على الجانبين: التأصيل - في ضوء عقيدة السلف - والرد على المخالفين.

ثانيا/ أن تلك الرسالة تعلق موضوعها بالصحابة ﷺعموماً ، بينما تخصصت رسالتي في الحديث عن عائشة ﷺ فقط.

وتوضيح ذلك: أن تلك الرسالة قد تضمنت ثمانية أبواب وهي:

الباب الأول: موقف الشيعة من الصحابة ﷺ عموماً.

الباب الثاني: .... أبي بكر ﷺ.

الباب الثالث: .... عمر ﷺ.

الباب الرابع: .... عثمان ﷺ.

الباب الخامس: المطاعن المشتركة في الخلفاء الراشدين ﷺ.

الباب السادس: موقف الشيعة من بقية العشرة ﷺ.

الباب السابع: موقف الشيعة من أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - .

الباب الثامن: نماذج من مطاعن الشيعة في بعض الصحابة ﷺ.

فيلاحظ من خلال العرض السابق أن الاشتراك بين الرسالتين كان في الباب السابع فقط ، بل في فصلين من ثلاثة فصول اشتمل عليها هذا الباب: موقفهم من أمهات المؤمنين عموما ، وموقفهم من عائشة وحفصة ﷺ ، وموقفهم من عائشة ﷺ.

وبعبارة أخرى أقول: إن موضع الاشتراك بين الرسالتين كان في فصلين فقط من فصول تلك الرسالة والتي بلغت اثنين وثلاثين فصلا .

ثالثا: أن تلك الرسالة قد تخصصت في الرد على الشيعة فقط.

أما رسالتي فإنها بالإضافة إلى كونها تناولت جانب التأصيل لمعتقد أهل السنة في أم المؤمنين ﵂ قد توسعت في الرد على المخالفين في هذا الموضوع ، حيث تضمنت خطتي الرد على الشيعة والخوارج والمعتزلة إضافة إلى شبه المتأخرين وافتراءات المستشرقين.

٢- أم المؤمنين عائشة ﵂ ومروياتها في التفسير من الكتاب والسنة.

للباحث: محمود بن سليمان علي ، رسالة علمية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم الكتاب والسنة،مرحلة الماجستير عام ١٤١٠هـ.

٣- السيدة عائشة ﵂ والسنة النبوية.

للباحثة: سارة بنت ناصر الراشد ، رسالة علمية في الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية التربية بالرياض ، قسم الدراسات الإسلامية ، مرحلة الماجستير عام ١٣٩٩هـ.

٤- مسند أم المؤمنين عائشة ﵂ من مسند إسحاق بن راهوية .

للباحث: عبد الغفور بن عبدالحق البلوشي ، رسالة علمية في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، كلية الحديث،قسم السنة ، مرحلة الدكتوراة عام ١٤٠٥هـ.

٥- عمرة بنت عبدالرحمن ومروياتها عن أم المؤمنين عائشة ﵂ .

للباحثة: وفاء اليحيى ، رسالة علمية في الرئاسة العامة لتعليم البنات ، كلية التربية بالقصيم ، قسم الدراسات العليا،مرحلة الماجستير عام ١٤١٧هـ.

٦- مناقب أمهات المؤمنين في السنة النبوية.

للباحث: محمد بن سليمان الربيش ، رسالة علمية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، كلية أصول الدين،قسم السنة وعلومها ، مرحلة الماجستير عام ١٤٠٤هـ.

٧- أمهات المؤمنين في الكتاب والسنة.

للباحث: موسى بن شاهين لاشين ، رسالة علمية في جامعة الأزهر بمصر،قسم السنة ، مرحلة الدكتوراة عام ١٩٦٥م.

٨- ما روته أمهات المؤمنين في شؤون النساء.

للباحثة: صفية بنت عبدالرحيم الطيب محمد ، رسالة علمية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة،كلية الشريعة،قسم الدراسات العليا الشرعية،مرحلة الماجستير عام ١٤٠٦هـ.

٩- مسند عائشة أم المؤمنين من كتاب مسند الإمام أحمد القسم الأول.

للباحث:عبدالله الحسن محمد بخيت ، رسالة علمية في جامعة الأزهر،كلية أصول الدين ، مرحلة الدكتوراة عام ١٩٨٣م.

١٠- مسند عائشة أم المؤمنين من كتاب مسند الإمام أحمد القسم الثاني.

للباحث: إبراهيم عبدالفتاح حليبة،رسالة علمية في جامعة الأزهر،كلية أصول الدين،مرحلة الدكتوراة عام ١٩٨٢م.

ما تقدم ذكره كانت في قسم القرآن والسنة فهي خاصة بالجانب التفسيري والحديثي ولم تتطرق للجانب العقدي والتفصيل فيه مع الرد على من خالفه.

١١- أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة دراسة تطبيقية لقول عائشة رضي الله عنها (كان خلقه القرآن).

للباحث: أحمد بن عبدالعزيز الحداد ، رسالة علمية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، كلية الدعوة وأصول الدين،قسم الكتاب والسنة،مرحلة الدكتوراة عام ١٤١٣هـ.

١٢- سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وجهودها في الدعوة الاحتساب.

للباحثة: الجوهرة بنت صالح الطريفي ، رسالة علمية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض،كلية الدعوة والإعلام،قسم الدعوة والاحتساب،مرحلة الدكتوراة عام ١٤١٤هـ.

١٣- الدلالات التربوية للأحاديث التي روتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في كتاب العلم في الصحيحين.

للباحثة: منى بنت محمد الصانع،رسالة علمية في الرئاسة العامة لتعليم البنات،كلية التربية بجدة، قسم التربية وعلم النفس،مرحلة الماجستير عام ١٤١٧هـ.

وأما هذه المجموعة فكانت في قسم الدعوة والتربية فهي اهتمت بجانب السلوك والدعوة بجميع جوانبها لكن لم تتطرق للجانب العقدي في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبيان فضائلها.

١٤- أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حياتها وفقهها.

للباحث: سعيد بن فايز الدخيل،رسالة علمية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض،كلية الشريعة،قسم الفقه،مرحلة الماجستير عام ١٤٠٦هـ.

١٥- فقه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في بابي الطهارة والصلاة.

للباحثة: تهاني بنت إبراهيم أبو سعيد،رسالة علمية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة،كلية الشريعة،قسم الدراسات العليا الشرعية،مرحلة الماجستير عام ١٤١٧هـ.

وكذلك هذه المجموعة كما سبقها لأنها خاصة بمجال الفقه والاختيارات الفقهية.

١٦- عائشة أم المؤمنين ، دراسة وتحليل.

للباحثة: جواهر بنت محمد سرور باسلوم ، رسالة علمية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة،كلية الشريعة،قسم الدراسات العليا الشرعية،مرحلة الماجستير عام ١٤٠٢هـ.

تكلمت الباحثة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في المجالات التالية:

(عائشة المحدثة ، عائشة المفسرة ، عائشة الفقيهة ، عائشة الطبيبة ، عائشة الأديبة) وقد ركزت الباحثة على الصفات الخَلْقية والخُلُقية ، ولم تتطرق البتة للمجال العقدي من ناحية منهج أهل السنة والرد على المخالفين.

١٧- أصحاب رسول الله ﷺ ومذاهب الناس فيهم.

للباحث: عبدالعزيز بن عبدالرحمن العجلان،رسالة علمية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض،كلية أصول الدين،قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة،مرحلة الماجستير عام ١٤٠٩هـ.

ركز فيها الباحث على منهج أهل السنة في الصحابة على وجه العموم ، فلذلك لم يتكلم عن منهج أهل السنة في أمهات المؤمنين رضي الله عنهن إلا في ثلاث صفحات وعن عائشة رضي الله عنها إلا في صفحتين ، لأن هذه الرسالة لم تختص بأمهات المؤمنين فضلا عن عائشة رضي الله عنها .

١٨- أمهات المؤمنين وبنات النبي ﷺ بين أهل السنة والشيعة.

للباحثة: غريبة بنت عبدالله الغربي،رسالة تكميلية في الرئاسة العامة لتعليم البنات،كلية الآداب بالرياض، قسم الدراسات الإسلامية،مرحلة الماجستير عام ١٤٠٧هـ.

رسالة تكميلية جمعت فيها الباحثة الكلام في زوجات النبي ﷺ بشكل عام وأضافت إليه الكلام عن بناته ﷺ،فرسالتها ذات شقين مما جعلها مختصرة بل إن الباحثة لم تهتم بجوانب فضائل عائشة رضي الله عنها ومكانتها عند أهل السنة بل عدم استقصاء كلام الشيعة فيها فضلا عن كلام الخوارج والمعتزلة فهي لم تتطرق إليه البتة،وسبب ذلك كله أن الرسالة لم تختص بعائشة رضي الله عنها ، مما يجعل الفرق واضحا بين رسالتي وهذه الرسالة.

١٩- موسوعة آل النبي ﷺ .

كتاب من تأليف عائشة بنت عبدالرحمن (بنت الشاطئ) .

وتتكون هذه الموسوعة من خمسة كتب:

الكتاب الأول عن أم النبي ﷺ والثاني عن نساء النبي ﷺ والثالث عن بنات النبي ﷺ والرابع عن زينب بطلة كربلاء والخامس عن سكينة بنت الحسين.

ومع أن المؤلفة تطرقت لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لكن أفردت الكلام عن سيرتها الشخصية وزواجها من النبي ﷺ مع بعض المواقف الدعوية لها باختصار شديد وذلك لأن الكتاب لم يختص بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وكذلك هو خارج عن مجال العقيدة والرد على المخالفين فيها.

٢٠- زوجات النبي ﷺ الطاهرات وحكمة تعددهن.

كتاب من القطع الصغير من تأليف محمد بن محمود الصواف.

وقد ركز فيه المؤلف عن حكمة التعدد والشبهات المثارة حوله و لم يتطرق للمجال العقدي.

٢١- نساء حول الرسول ﷺ والرد على مفتريات المستشرقين.

كتاب من تأليف محمد مهدي الاستانبولي و مصطفى شلبي.

تحدث فيه مؤلفه عن المرأة قبل الإسلام عند اليونان والرومان واليهود... ثم تحدث عن زوجات النبي ﷺ واهتم بقضية الزواج بهن ثم شبه المستشرقين حولهن و لم يتطرق لتقرير عقيدة السلف فيهن فضلا عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

فينتج مما سبق: أهمية الكتابة في هذا الموضوع:

- لعدم وجود كتاب تناول فيه مؤلفه التفصيل في معتقد أهل السنة في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إضافة إلى الرد على المخالفين فيه من المتقدمين والمعاصرين.
- ولضرورة بيان وتوضيح جهود أئمة الإسلام كابن تيمية وأئمة الدعوة في تقرير عقيدة السلف في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والرد على المخالفين.

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة ، وتسعة أبواب ، وخاتمة.

الباب الأول: آل البيت بين أهل السنة ومخالفيهم.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: آل البيت عند أهل السنة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المراد بآل البيت عند أهل السنة.

المبحث الثاني: دخول الأزواج في آل البيت.

المبحث الثالث: منزلة آل البيت عند أهل السنة.

الفصل الثاني: آل البيت عند المخالفين.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: آل البيت عند الشيعة.

المبحث الثاني: آل البيت عند الخوارج.

المبحث الثالث: آل البيت عند المعتزلة.

الباب الثاني: سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعلمها.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: حياة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

الفصل الثاني: علم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

الباب الثالث: أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند أهل السنة.

وفيه تمهيد وثلاثة فصول:

التمهيد: مكانة أزواج النبي ﷺ عند أهل السنة.

الفصل الأول: مكانة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند أهل السنة.

الفصل الثاني: التفضيل بين عائشة وخديجة وفاطمة -رضي الله عنهن-.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التفضيل بين عائشة وخديجة رضي الله عنهما .

المبحث الثاني: التفضيل بين عائشة وفاطمة رضي الله عنهما .

الفصل الثالث: فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند أهل السنة.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الفضائل المشتركة مع أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن-.

المبحث الثاني: الفضائل الخاصة بعائشة رضي الله عنها.

الباب الرابع: موقف الفرق من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

(أصول انحرافهم إجمالا والرد عليها)

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: موقف الشيعة من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

الفصل الثاني: موقف الخوارج من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

الفصل الثالث: موقف المعتزلة من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

الباب الخامس: الشبه والطعون المشتركة بين أم المؤمنين عائشة وأمهات المؤمنين – رضي الله عنهن– والرد عليها تفصيلا.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الشبه والطعون المشتركة بين عائشة وحفصة رضي الله عنهما.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: التبرؤ من عائشة وحفصة ولعنهما رضي الله عنهما.

المبحث الثاني: دعواهم أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما أذاعتا سر النبي ﷺ.

المبحث الثالث: دعواهم أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما تآمرتا على قتل النبي ﷺ.

المبحث الرابع: دعواهم أن الله–سبحانه–ضرب امرأة نوح وامرأة لوط مثلاً لعائشة وحفصة رضي الله عنهما.

المبحث الخامس: دعواهم أن عائشة وحفصة من أعداء علي رضي الله عنه.

الفصل الثاني: الشبه والطعون المشتركة بين عائشة وباقي أمهات المؤمنين–رضي الله عنهن–

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: إطلاق ألقاب السوء عليهن – رضي الله عنهن– .

المبحث الثاني: زعمهم سوء أدبهن – رضي الله عنهن– مع النبي ﷺ.

المبحث الثالث: دعواهم أن أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن– لسن من أهل بيت النبي ﷺ.

المبحث الرابع: دعواهم أن الشرط المذكور في القرآن في حق أمهات المؤمنين– رضي الله عنهن– يدل على النقص .

المبحث الخامس: دعواهم أن عصمتهن بعد وفاة النبي ﷺ بيد علي رضي الله عنه.

الباب السادس: الشبه والطعون في أم المؤمنين عائشة ﵂ خاصة.

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: الطعن في أم المؤمنين عائشة ﵂ بالكفر والفاحشة.

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: دعواهم كفر عائشة ﵂، وأنها من أهل النار.

المبحث الثاني: نفي تسمية عائشة ﵂ " بأم المؤمنين ".

المبحث الثالث: رمي عائشة ﵂ بالفاحشة.

المبحث الرابع: دعواهم أن عائشة ﵂ مصدر الفتنة.

المبحث الخامس: الطعن في رواية عائشة ﵂ للحديث.

المبحث السادس: دعواهم إقامة الحد على عائشة ﵂ بعد الرجعة.

المبحث السابع: تحريف النصوص وتتريلها على عائشة ﵂.

الفصل الثاني: الدعاوى في موقف عائشة ﵂ من أزواج النبي ﷺ وأولاده.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: دعواهم حسد عائشة لخديجة ﵂.

المبحث الثاني: دعواهم قذف عائشة لمارية القبطية بالفاحشة ﵂.

المبحث الثالث: دعواهم عداوة عائشة لفاطمة ﵂.

المبحث الرابع: دعوى الرافضة رفض عائشة دفن الحسن عند جده ﷺ ﵂.

الفصل الثالث: الدعاوى في موقف عائشة من أصحاب النبي ﷺ و ﵃.

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: دعوى الرافضة تحريض عائشة الناس على قتل عثمان ﵁.

المبحث الثاني: دعوى الرافضة منع عائشة الناس من التحدث بفضائل علي ﵁.

المبحث الثالث: دعوى الرافضة خروج عائشة على علي بعد استخلافه رضي الله عنهما "حديث الحوأب".

المبحث الرابع: دعوى الرافضة رفض عائشة الدخول في طاعة علي وتحت رايته رضي الله عنهما.

المبحث الخامس: دعوى الرافضة أن النبي ﷺ أخبر عائشة بأنها ستقاتل عليا رضي الله عنهما.

المبحث السادس: دعوى الرافضة أن النبي ﷺ أمر عليا أن يطلق عائشة إن خرجت عليه رضي الله عنهما.

المبحث السابع: دعوى الرافضة عدم توبة عائشة من معاداتها لعلي وحربها له رضي الله عنهما.

الفصل الرابع: الشبه والطعون غير المدونة في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

الباب السابع: أثر عقائد المخالفين لأهل السنة في الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: تأثير الفرق الإسلامية بعضها في بعض.

الفصل الثاني: أثر عقائد المخالفين لأهل السنة في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في كتابات المستشرقين.

الباب الثامن: حكم الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: حكم الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بغير القذف.

الفصل الثاني: حكم الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالقذف.

الفصل الثالث: لوازم الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

الباب التاسع: منهج شيخ الإسلام ابن تيمية وأئمة الدعوة في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

الفصل الثاني: منهج أئمة الدعوة في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث والتوصيات.

منهج الكتابة في الموضوع

سلكت في بحثي هذا المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي.

١- قمت بعرض منهج أهل السنة مع التدليل عليه من الكتاب والسنة بما يفي بالغرض.

٢- عرضت أقوال المخالفين لأهل السنة مع الرد عليهم.

٣- عزوت الآيات إلى أرقامها وأسماء سورها.

٤- خرجت الأحاديث النبوية والآثار من مظانها فإن كان الحديث أو الأثر في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بالعزو لكل منهما أو أحدهما؛ لأن المقصود هو الاطمئنان على صحته، وذلك حاصل بعزوه للصحيحين أو لأحدهما ، وإن كان الحديث أو الأثر في غير الصحيحين اجتهدت في تخريجه من مظانه قدر الإمكان.

٥- عرفت بالفرق والبلدان والمواضع والأعلام التي تحتاج إلى تعريف.

٦- وضحت معنى الكلمات الغريبة.

٧- عند إيراد المصدر في أول موضع اذكر العنوان واسم المؤلف والجزء والصفحة والمحقق ومعلومات الطباعة إن وجدت ، وفي المواضع التالية فقط أذكر العنوان والجزء والصفحة.

٨- الفهارس: وضعت فهارس للكتاب وتشتمل على ما يلي:

أ. فهرس الآيات.

ب. فهرس الأحاديث والآثار.

ج. فهرس الأعلام.

د. فهرس الفرق.

ه. فهرس الأماكن والبلدان.

و. فهرس الكلمات الغريبة.

ز. فهرس المصطلحات.

ح. فهرس المصادر والمراجع.

ط. فهرس الموضوعات.

كلمة شكر وتقدير

أحمد الله سبحانه وتعالى على توفيقه، وأشكره على إعانته على إتمام هذا العمل، فله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ويرضى، وكما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وانطلاقاً من قول الرسول ﷺ ((**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**))[1] فإني أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الجميل إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والقائمين عليها من مديرين ومسؤولين وأساتذة ومشايخ ممثلين بمدير الجامعة الذين وافقوا على إكمال هذه المرحلة عندهم فجزاهم الله عني كل خير.

كما أتقدم بالشكر والثناء إلى القائمين على كلية أصول الدين بهذه الجامعة المباركة وأخص منهم رئيس قسم العقيدة على ما أبدوه من عناية بالعلم وطلابه، سائلاً الله العلي القدير أن يثيبهم أحسن الإثابة ويجزيهم خير الجزاء.

كما أنه من الواجب عليّ أن أتقدم بفائق التقدير والاحترام ووافر الثناء والشكر وعظيم المودة والامتنان إلى فضيلة شيخي وأستاذي فضيلة الأستاذ الدكتور علي بن محمد الدخيل الله الذي أحاطني برعايته وأولاني اهتمامه طيلة وقت إشرافه عليّ في هذه المرحلة، كان فيها نعم المعلم والموجه أحسن معاملتي واهتم بي وصبر عليّ وأتحفني بتوجيهاته وجاد عليّ بملاحظاته القيمة، فأسأل الله الحي القيوم أن يجزيه أفضل ما جزى معلماً عن تلاميذه، وأن يثيبه عني حسن الثواب في الدارين ويجعل ذلك في ميزان حسناته إنه جواد كريم.

وأخيراً فإني لا أدعي أني وفيت الموضوع حقه ، واستكملته من جميع جوانبه ، ولا أني أصبت في كل ما قلت وقصدت ، لأن الخطأ والصواب من طبيعة البشر ، ولكن حسبي أني بذلت وسعي وجهدي ووقتي ، فما كان من صواب فمن الله وحده ، وله الفضل والمنة ، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان وأستغفر الله .

---

(١) رواه أبو داود كتاب الأدب باب في شكر المعروف (٥/١٥٧-١٥٨) حديث رقم (٤٨١١).
والترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (٤/٢٩٨-٢٩٩) حديث رقم (١٩٥٤-١٩٥٥)، وقال هذا حديث حسن صحيح.
والإمام أحمد في المسند (٢/٢٩٥، ٣٠٢).
وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٧٠٢) حديث رقم (٤١٦).

وفي الختام أرجو من الله العلي القدير أن يعمّنا بدعوة شيخ الإسلام رحمه الله وهي قوله: ((فنسأل الله العظيم أن يجعلنا من المتبعين له ﷺ المؤمنين به، وأن يحيينا على سنته ويتوفانا عليها، لا يفرق بيننا وبينها إنه سميع الدعاء وأهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه الطيبين الطاهرين))[١].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠٥/١٩).

الباب الأول

آل البيت بين أهل السنة ومخالفيهم

وفيه فصلان :

الفصل الأول: آل البيت عند أهل السنة .

الفصل الثاني: آل البيت عند المخالفين.

الفصل الأول

آل البيت عند أهل السنة .

وفيه ثلاثة مباحث :

- **المبحث الأول : المراد بآل البيت عند أهل السنة .**

- **المبحث الثاني : دخول الأزواج في آل البيت .**

- **المبحث الثالث : منزلة آل البيت عند أهل السنة .**

الفصل الأول

آل البيت عند أهل السنة

المبحث الأول : المراد بآل البيت عند أهل السنة :

وقبل أن أبدأ بالمبحث الأول الذي فيه التعريف بمصطلح " آل البيت " أريد التعريف بمصطلح " أهل السنة ".

المراد بأهل السنة :

أهل الشيء أخص الناس به[1] .

فأهل السنة : هم أخص الناس بها وأكثرهم تمسكا واتباعاً لها قولا وعملا واعتقادا ظاهرا وباطنا.

مصطلح " أهل السنة " يطلق ويراد به أحد معنيين :

١. معنى عام يدخل فيه جميع المنتسبين إلى الإسلام عدا الرافضة ، فيقال : هذا رافضي وهذا سني ، وعليه فيدخل في هذا الإطلاق المعتزلي والقدري وغيرهم .

يقول شيخ الإسلام :" لأن الرافضة هم المشهورون عندهم بمخالفة السنة فجمهور العامة لا تعرف ضد السني إلا الرافضي فإذا قال أحدهم : أنا سني فإنما معناه لست رافضيا " [2].

٢. معنى خاص وهو أدق من المعنى الأول ، إذ يراد به أهل السنة المحضة الخالصة من البدع ويخرج به سائر أهل الأهواء والبدع من رافضة وخوارج ومعتزلة [3] وغيرهم من أهل البدع .

يقول شيخ الإسلام :" فلفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الثلاثة ، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة ، وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة ، فلا يدخل فيه إلا

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسن أحمد بن فارس تحقيق وضبط : عبد السلام هارون ، ١/ ١٥٠ ، دار الكتب العلمية ، ولسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ٢٩/١١ ، دار صادر ، بيروت ، والنهاية في غريب الحديث، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير ٨١/١-٨٢ ، تحقيق : طاهر أحمد الراوي ومحمود محمد الطناجي ، المكتبة العلمية ، بيروت .

(٢) مجموع الفتاوى ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد السلام ابن تيمية ، جمع : عبد الرحمن بن قاسم ٣/ ٣٥٦ ، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ .

(٣) سيأتي التعريف بهذه الفرق في مكانها إن شاء الله .

من يثبت الصفات لله تعالى ، ويقول : إن القرآن غير مخلوق ، وإن الله يرى في الآخرة ، ويثبت القدر وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة "[1].

فهذا هو مذهب السلف في المراد بأهل السنة ومن خالف ذلك عد من أصحاب البدع[2].

وإذا تأملنا في تعريف أهل السنة فسنلحظ أن المعرفين يؤكدون على مبدأ الاقتداء بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين.

يقول ابن حزم :" فإنهم – أهل السنة – الصحابة ﷺ وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة الله عليهم ، ثم أصحاب الحديث ، ومن اتبعه من الفقهاء ، جيلا فجيلا إلى يومنا هذا ، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها "[3].

ويقول ابن رجب :" التمسك بما كان عليه ﷺ هو وخلفاؤه الراشدون ﷺ من الاعتقادات والأعمال والأقوال"[4].

المراد بآل البيت :

" آل البيت " له معنى لغوي ومعنى شرعي .

أ / معناه اللغوي :

كلمة " آل" من الكلمات التي وقع فيها الاختلاف عند علماء اللغة من حيث الاشتقاق ومن حيث المعنى .

---

(١) منهاج السنة ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، ٢/ ٢٢١ ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

(٢) للاستزادة انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، لأبي القاسم هبة الله بن الحسين اللالكائي ، تحقيق : أحمد سعد حمدان ١/١٥٥ -١٥٦ ، دار طيبة للنشر والتوزيع . والعلو ، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ص١٢٠ ، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨هـ ، والسنة ، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ص٦٧، ضمن مجموع مع كتاب الرد على الجهمية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ، وشرح السنة ، لأبي محمد الحسن بن علي البربهاري ص٢١ ، تحقيق: محمد سعيد القحطاني ، دار ابن القيم ، الدمام ، وشرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي ، ص٤٣١ ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة الدعوة الإسلامية ، شباب الأزهر ، والاعتصام ، لإبراهيم بن موسى الشاطبي ٢/٢٦٠- ٢٦٥ ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم ، تحقيق : محمد إبراهيم نصر وعبدالرحمن عميرة ٢/١١٣ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

(٤) جامع العلوم والحكم ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس ، ص٢٤٩ ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٠هـ .

أما من حيث الاشتقاق :

فقيل أصلها " أول " .

وممن قال بهذا الخليل بن أحمد الفراهيدي حيث قال :(آل يؤول إليه ، إذا رجع إليه)[(١)].

ووافقه ابن فارس حيث قال :" آل يؤول أي رجع ... يقال : أوَّل الحكم إلى أهله ، أي أرجعه ورده إليهم " [(٢)].

وابن الجوزي حيث قال:" والأصل في ذلك قولنا : آل ، وهو بمعنى : رجع " [(٣)]. وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية [(٤)].

وقال آخرون أن أصل كلمة " آل " : أهل . وهو اختيار الأصفهاني حيث قال :" الآل مقلوب من الأهل "[(٥)]. وقال به ابن منظور حيث قال: " أصلها أهل ثم أبدلت الهاء همزة فصارت في التقدير " أأل " فلما توالت الهمزتان أبدل الثانية ألفا كما قالوا آدم وآخر"[(٦)]وكذلك قال به الفيروز أبادي[(٧)].

أما صاحب المصباح فذكر القولين و لم يرجح[(٨)].

وقد ضعف ابن القيم القول الثاني لأمور :

- الأول : عدم الدليل .
- الثاني : أنه يلزم منه القلب الشاذ من غير موجب ، مع مخالفة الأصل .

---

(١) كتاب العين للخليل بن أحمد ، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ٣٥٩/٨ ، مكتبة الهلال .

(٢) معجم مقاييس اللغة ١٥٩/١ .

(٣) نزهة الأعين النواظر لأبي الفرج بن الجوزي ، تحقيق : محمد عبد الكريم الراضي ، ص١٢١ ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ .

(٤) مجموع الفتاوى ٤٦٣/٢٢ ، وحاشية الروض المربع ، لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم ٤٠/١ ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٠هـ ، ولسان العرب ١/ ١٨٦ ، والقاموس المحيط ، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي ص١٢٤٥ ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ ، والمصباح المنير ، لأحمد بن محمد الفيومي ص١٢ ، مكتبة لبنان .

(٥) مفردات ألفاظ القرآن ، للحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، ص٩٨، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

(٦) لسان العرب ١/ ١٨٦.

(٧) القاموس المحيط ص١٢٤٥.

(٨) المصباح المنير للفيومي ص١٢.

- الثالث : أن الأهل يضاف إلى العاقل وغيره بخلاف الآل .
- الرابع : أن الأهل تضاف إلى العَلَم والنكرة ، والآل لا يضاف إلا إلى معظم من شأنه أن يؤول غيره إليه .
- الخامس : أن الأهل تضاف إلى الظاهر والمضمر ، أما الآل فإضافتها إلى المضمر قليلة شاذة[١].

أما من حيث المعنى فقد نص غير واحد على أن آل الرجل هم أهل بيته وقرابته ، وأضافت طائفة أخرى الأتباع ، واقتصر بعضهم على الأتباع [٢].

وقد وفق ابن الجوزي بين القولين فقال : " الآل : اسم لكل من رجع إلى معتمد فيما رجع فيه إليه ، فتارة يكون بالنسب ، وتارة يكون بالسبب " [٣].

فقوله " بالنسب " إشارة إلى الأهل والقرابة .

وقوله " بالسبب " إشارة إلى الأتباع .

وأما معنى " الأهل " فقد اتفق علماء اللغة على إطلاق أهل الرجل على زوجه .

قال الخليل : " أهل الرجل : زوجه " [٤].

ونقله ابن فارس مقرا له [٥].

وقال الراغب : " وعبر بأهل الرجل عن امرأته " [٦].

وفي لسان العرب : " أهل الرجل : زوجته " [٧].

---

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام ، للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق : شعيب وعبد القادر الأرناؤوط ، ص٢٠٣ -٢٠٤ ، دار العروبة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ .

(٢) انظر : كتاب العين ٣٩٥/٨ ، والصحاح ، لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد بن عبد الغفور عطار ، ١٦٢٧/٤ ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ ، و معجم مقاييس اللغة ١٦٠/١ و المصباح المنير ص١٢ والقاموس المحيط ص١٢٤٥ و الكليات ، لأيوب بن موسى الكفوي ص١٦٤ ، تحقيق : عدنان درويش ، ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .

(٣) نزهة الأعين ص١٢١-١٢٢.

(٤) كتاب العين ٨٩/٤ .

(٥) معجم مقاييس اللغة ١٥٠/١.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن ٩٦ .

(٧) لسان العرب ١٨٦/١.

وفي المصباح المنير : "ويطلق الأهل على الزوجة "[1].

ولهذا الاتفاق ذهب بعضهم إلى أن الأهل تطلق على الزوجة خاصة، لأنها المرادة في عرف اللسان [2].

ومما يدل على الاتفاق في هذا المعنى اتفاقهم على أن التأهيل (التزوج) [3].

وبناء على ما سبق يتبين أن لفظة الآل والأهل تشتركان في معان كثيرة بل تقتربان من الترادف.

وأما " البيت " لغة : فيلحظ الناظر أن المتقدمين من علماء اللغة كالجوهري ، وابن فارس كانوا يقصرون معنى البيت على عيال الرجل كزوجه ، وعلى المأوى والسكن .

يقول ابن فارس :" الباء والياء والتاء أصل واحد ، وهو المأوى ، والمآب ، ومجمع الشمل ، والبيت : عيال الرجل والذين يبيت عندهم "[4].

وأما المتأخرون كصاحب القاموس فأضافوا معان قد لا تخرج عن المعنيين السابقين كالشرف ، والتزويج ، والقبر ، وفرش البيت [5].

أما إطلاق " أهل البيت " مركبة تركيبا إضافيا فهي عند علماء اللغة بمعنى من يسكن فيه .

قال الخليل :" أهل البيت سكانه "[6].

وتبعه على ذلك من أتى بعده كابن فارس[7] ، وابن منظور[8] ، والفيروز أبادي[9] ، بدون نكير منهم . إلا أن هذا التركيب صار عرفا على آل النبي ﷺ .

قال الراغب :" وصار أهل البيت متعارفا في آل النبي ﷺ "[10].

---

(١) المصباح المنير ص١١.

(٢) الكليات ص٢١٠ .

(٣) انظر : كتاب العين ٨٩/٤ ، ومعجم مقاييس اللغة ١٥٠/١، ومفردات ألفاظ القرآن ، ص ٧٩ ، والنهاية في غريب الحديث ٨٤/١ ، ولسان العرب ١٨٦/١ .

(٤) معجم مقاييس اللغة ٣٢٤/١ ــ ٣٢٥ .

(٥) القاموس المحيط ص١٩٠ .

(٦) كتاب العين ٨٩/٤ .

(٧) معجم مقاييس اللغة ١٥٠/١.

(٨) لسان العرب ١٨٦/١.

(٩) القاموس المحيط ص١٢٤٥.

(١٠) مفردات ألفاظ القرآن ص١٥١.

ب / آل البيت شرعا :

اختلف أهل العلم في المراد بآل البيت شرعا على أقوال :

القول الأول : الذين حرمت عليهم الصدقة :

وعلى هذا القول يكون المراد بهم : أزواج النبي ﷺ وكل من آمن من بني هاشم .

وهو مذهب الحنفية(١) والشافعية(٢) والحنابلة(٣) والظاهرية(٤) وبعض المالكية(٥) وهو قول أكثر أهل العلم(٦).

واختار هذا القول ابن تيمية(٧)وابن القيم(٨) وابن حجر(٩) والسخاوي(١٠) إلا أنهم اختلفوا في تحديد من تحرم عليهم الصدقة(١١).

أدلة هذا القول :

١. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :(كان رسول الله ﷺ يؤتى بالتمر عند صرام النخل ، فيجيء هذا بتمره وهذا بتمره .... فجعل الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بذلك التمر فأخذ

---

(١) شرح فتح القدير ، لكمال الدين بن الهمام ٢٧٤/٢ ، دار الفكر ، الطبعة الثانية .

(٢) المجموع شرح المهذب ، للنووي والسبكي والمطيعي ٤٤٨/٣ ، مكتبة الإرشاد .

(٣) كتاب التمام ، لمحمد بن محمد بن الحسين بن أبي يعلى ، تحقيق : عبد الله الطيار وعبد العزيز المد الله ١٨٨/١ ، دار العاصمة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ ، والفروع ، لمحمد بن مفلح المقدسي ٤٤٤/١ ، مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الثانية .

(٤) المحلى ، لعلي ابن حزم ، تحقيق : عبد الغفار البنداري ٢٧١/٤ ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ .

(٥) المنتقى شرح الموطأ ، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي ١٥٣/٢ ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٤هـ .

(٦) النهاية في غريب الحديث ٨١/١ .

(٧) منهاج السنة ٧٥/٧ ، ومجموع الفتاوى ٤٦١/٢٢ .

(٨) جلاء الأفهام ص٢٢٣ .

(٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لأحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، ١٦٤/١١ ، المكتبة السلفية ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ .

(١٠) القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي ، ص١٢٢ ، تحقيق : بشير عيون ، مكتبة المؤيد .

(١١) جلاء الأفهام ص٢١١ ، وحاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار) ، لمحمد بن أمين بن عابدين ٣٥٠/٢ ، المكتبة التجارية ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٦هـ ، والإنصاف ، لعلي بن سليمان المرداوي ٢٥٥/٣ - ٢٦٥ ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، مكتبة السنة النبوية ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٥هـ ، والشرح الممتع ، لمحمد بن صالح بن عثيمين ٢٥٩/٦ ، تحقيق : خالد المشيقح ، مؤسسة آسان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ .

أحدهما تمرة فجعله في فيه ، فنظر إليه رسول الله ﷺ فأخرجها من فيه فقال : أما علمت أن آل محمد لا يأكلون الصدقة) [1].

وفي رواية عند مسلم : من حديث شعبة عن محمد بن زياد أنه سمع أبا هريرة يقول : أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله ﷺ : (كخ كخ ارم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة) [2].

٢. عن عائشة رضي الله عنها قالت :(إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال : لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، يعني مال الله) [3].

٣. عن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله ﷺ يوما خطيبا فينا بماء يُدعى خما[4] بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه وذكّر ووعظ ثم قال : أما بعد ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي عز وجل وإني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه.

وقال : وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي.

قال حصين[5] : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده ، قال : ومن هم ؟ قال : هم آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس قال : كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال : نعم[6].

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري – كتاب الزكاة – باب أخذ صدقة التمر ٣/٣٥٠ – ٣٥١ حديث (١٤٨٥) ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، مراجعة : محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .

(٢) متفق عليه:

صحيح البخاري مع الفتح – كتاب الزكاة – باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ ٣/٤١٤ حديث (١٤٩١)

صحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري– كتاب الزكاة – باب تحريم الزكاة على النبي ﷺ وعلى آله ٢/٧٥١ حديث (١٠٦٩) ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ.

(٣) رواه البخاري مع الفتح ــ كتاب الفرائض ــ باب قول النبي ﷺ (لا نورث ما تركنا صدقة) ١٢/٧ حديث (٦٧٢٧) .

(٤) خم : بضم أوله ، واد بين مكة والمدينة عند الجحفة.

انظر معجم البلدان ، لياقوت الحموي ٢/٣٨٩ ، دار صادر .

(٥) هو حصين بن سبرة كوفي ثقة روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر الجرح والتعديل ، لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ٣/ ١٩٢، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٢م .

(٦) رواه مسلم – كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل علي رضي الله عنه ٤/١٨٧٣ حديث (٢٤٠٨) .

٤. عن عائشة رضي الله عنها قالت :(إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة)[١].

٥. عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمر بكبش أقرن يطأ في سواد ... فأخذ النبي ﷺ الكبش فأضجعه ثم ذبحه ثم قال :(بسم الله ، اللهم تقبل من محمد ومن آل محمد ومن أمة محمد ثم ضحى به)[٢].

وجه الاستدلال :

أن الأمة عطفت على الآل وحقيقة العطف المغايرة وأمته ﷺ أعم من آله[٣].

وقال أصحاب هذا القول : إن تفسير الآل بكلام النبي ﷺ أولى من تفسيره بكلام غيره[٤].

القول الثاني : أنهم أزواج النبي ﷺ وذريته خاصة .

حكاه ابن عبد البر[٥]،[٦] وبه قال ابن العربي[٧]،[٨]وعند الإمام أحمد روايتان ، والصحيح دخول زوجاته في أهل بيته[٩].

---

(١) المصنف ، لعبد الله بن محمد ابن أبي شيبة ٤٢٩/٢ حديث (١٠٧٠٨) ، تحقيق عبد الخالق الأفغاني ، الدار السلفية ، توزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية بالمملكة العربية السعودية .

قال ابن حجر : إسناده حسن فتح الباري ٣/ ٤١٦ .

(٢) رواه مسلم – كتاب الأضاحي – باب استحباب الضحية وذبحها مباشرة ١٥٥٧/٣حديث (١٩٦٧) .

(٣) انظر جلاء الأفهام ص١١٢ .

(٤) المصدر السابق ، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، لمحمد بن علي الشوكاني ٢١٩/٢ ، مكتبة التراث .

(٥) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النميري أبو عمر المعروف بابن عبد البر ، أحد الأعلام ، وصاحب التصانيف ، ليس لأهل المغرب أحفظ منه مع الثقة والدين والنزاهة والتبحر في الفقه والعربية والأخبار . توفي سنة ٤٦٣ هـ . انظر العبر في خبر من عبر ، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ٣١٦/٢ ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤م .

(٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ليوسف بن عبد البر ٣٠٣/١٧- ٣٠٣ ، تحقيق: محمد أبو خبزة ، ١٤٠٦هـ.

(٧) أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن لعربي الأندلسي الحافظ المشهور توفي سنة ٥٤٣هـ.

انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء آخر الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ٢٩٦/٤ ــ ٢٩٧ ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، لبنان .

(٨) أحكام القرآن ، لمحمد بن عبد الله بن العربي ٦٢٣/٣ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ .

(٩) الإنصاف للمرداوي ٧٩/٢ .

أدلة هذا القول :

١. قول الله تعالى : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ۝٣٠ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ۝٣١ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ۝٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ۝٣٣ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٠-٣٤].

فهذه الآيات في الزوجات فأشعر ذلك بإرادتهن وأشعر تذكير المخاطبين بها بإرادة غيرهن[١] فدخلن في أهل البيت ، فلا يجوز إخراجهن من شيء منه[٢].

قال البيهقي: " وإنما قال عنكم بلفظ الذكور لأنه أراد دخول غيرهن معهن في ذلك ثم أضاف البيوت إليهن فقال :" واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة "[٣] .

وقال الزمخشري[٤]: " (أهل البيت) نصب على النداء أو على المدح وفي هذا دليل بيّن على أن نساء النبي ﷺ من أهل بيته "[٥].

وقال ابن كثير[٦]عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٣]" أنها نص في دخول أزواج النبي ﷺ في

---

(١) نيل الأوطار ٢٩٠/٢ ، الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ١١٩/١٤ ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

(٢) جلاء الأفهام ص١١٤ .

(٣) السنن الكبرى ، للحافظ أحمد بن الحسين البيهقي ١٥٠/٢ ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، توزيع : مكتبة المعارف بالرياض .

(٤) هو محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري ، أبو القاسم ، النحوي ، اللغوي ، المفسر ، المعتزلي ، صاحب الكشاف توفي سنة ٥٣٨ هـ. انظر العبر ٤٥٥/٢ .

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل ، لأبي القاسم جار الله الزمخشري ٥٤٦/٣ ، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .

(٦) هو عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، أبو الفداء ، الفقيه الشافعي من الحفاظ توفي سنة ٧٧٤ هـ .
انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ٢٣١/٦ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

أهل البيت هنا لأنهن سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح .... ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ ... ﴾ " فإن سياق الكلام معهن " (١).

٢. حديث أبي حميد الساعدي : أنهم قالوا لرسول الله ﷺ كيف نصلي عليك ؟ فقال :(قولوا: اللهم صلّ على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد) (٢).

فقالوا : إن هذا الحديث يفسر حديث (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) (٣) ويبين أن آل محمد هم أزواجه وذريته(٤).

٣. حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا) (٥).

" ومعلوم أن هذه الدعوة المستجابة لم تنل كل بني هاشم ولا بني المطلب ، لأنه كان فيهم الأغنياء وأصحاب الجدة وإلى الآن ، وأما أزواجه وذريته ﷺ فكان رزقهم قوتا ، وما كان يحصل لأزواجه بعد من الأموال كن يتصدقن به ويجعلن رزقهن قوتا " (٦).

٤. عن عائشة رضي الله عنها قالت : (ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تبعا حتى قبض) (١).

---

(١) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ٣/٤٨٣ ــ ٤٨٦ ، طبعة دار إحياء الكتاب العربي ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة .

(٢) متفق عليه:

صحيح البخاري مع الفتح- كتاب أحاديث الأنبياء – باب (١٠) ٦/٤٦٩ حديث (٣٣٦٩).

صحيح مسلم -كتاب الصلاة – باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ١/٣٠٦ حديث(٤٠٧) .

(٣) متفق عليه:

صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء – باب قول الله تعالى"واتخذ الله إبراهيم خليلا "٦/٤٠٨ حديث (٣٣٧٠) . صحيح مسلم -كتاب الصلاة- باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ١/٣٠٥ حديث(٤٠٥) .

(٤) التمهيد لابن عبد البر١٧/٣٠٣ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/٦٢٣ ، وفتح الباري لابن حجر ١١/١٦٠.

(٥) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح كتاب الرقاق - باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه ١١/٢٨٣ حديث (٦٤٥٩).

وصحيح مسلم -كتاب الزكاة – باب في الكفاف والقناعة ٢/٧٣٠ حديث(١٠٥٥) .

(٦) جلاء الأفهام ص ١١٢ .

ومعلوم أن العباس وأولاده وبني المطلب لم يدخلوا في لفظ عائشة ولا مرادها (٢).

وقد أجيب عن هذه الأدلة بأن غاية ما تدل عليه هو أن الأزواج والذرية من آل محمد ﷺ لكنها لا تدل على نفي ذلك عن غيرهم ، كما أنه لا مانع أن يطلق الشيء ويراد به بعض أفراده وذلك لأجل إثبات دخول هذه الأفراد في اللفظ وعدم خروجه منه .

ومن ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه في الصلاة الإبراهيمية : (اللهم صل على محمد، وأزواجه أمهات المؤمنين ، وذريته ، وأهل بيته) (٣).

القول الثالث : أن آل محمد ﷺ هم أتباعه على دينه إلى يوم القيامة .

روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه وسفيان الثوري(٤)،(٥)وبه قال بعض الشافعية(٦)، ورجحه النووي(٧)، وهو المعتمد عند الحنابلة(٨)، ورجحه ابن قدامة(٩) وابن عثيمين(١٠).

أدلة هذا القول :

١. استدلوا بقول الله تعالى : ﴿ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [سورة غافر: ٤٦].

---

(١) روا ه البخاري: صحيح البخاري مع الفتح– كتاب الرقاق– باب كيف كان يعيش النبي ﷺ ٢٨٧/١١ حديث (٦٤٥٤).

(٢) جلاء الأفهام ١١٤ .

(٣) رواه أبو داود كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ٢٥٨/١ رقم (٩٨٢) لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، إعداد: عزت الدعاس وعادل السيد ، دار الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.

والسنن الكبرى للبيهقي – كتاب الصلاة – باب الدليل على أن أزواجه ﷺ من أهل بيته ١٥١/٢حديث (٢٦٨٦) .

قال ابن القيم في جلاء الأفهام ، ص٤٣-٤٤ (الحديث له أصل من رواية أبي هريرة لغير هذا السند والمتن) .

وصححه الشوكاني في نيل الأوطار ٣٢٠/٢ .

(٤) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، إمام ، فقيه ، محدث ، عابد ، مكثر من الرواية توفي سنة ١٦١ هـ.

انظر: تقريب التهذيب لأحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمد عوامة ، ص ٢٤٥ طبع دار الرشيد ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ .

(٥) السنن الكبرى للبيهقي ٥١/٢ ، وقد ضعف السخاوي الرواية عن جابر . انظر القول البديع ص ١٢٤، وجلاء الأفهام ص ١١٠ .

(٦) المجموع شرح المهذب للنووي ٤٦٦/٧ .

(٧) شرح مسلم للنووي لمحي الدين النووي ، تحقيق : خليل الميس ، ٣٦٨/٤ ، دار القلم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .

(٨) الإنصاف للمرداوي ٧٩/٢ .

(٩) المغني لأحمد بن قدامة المقدسي ، تحقيق : عبد الله التركي ،٢٣٢/٢ ، دار عالم الكتب ، الطبعة الثانية ، ١٤١٧هـ .

(١٠) الشرح الممتع لابن عثيمين ٢٣٠/٣ .

والمراد : جميع أتباعه [1].

وبقول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴾[سورة القمر : ٣٤].

فالمراد به : أتباعه المؤمنون به من أقاربه وغيرهم . وذلك إن آل المعظم أتباعه على دينه وأمره قريبهم وبعيدهم [2].

وأن اشتقاق هذه اللفظة تدل عليه فإنه من آل يؤول إذا رجع ، ومرجع الأتباع إلى متبوعهم لأنه إمامهم وموئلهم ، كما نص على ذلك أهل اللغة [3].

وأجيب عن هذا الدليل : بأنه لا ريب أن الآل تطلق على الأتباع ولكن ليس هذا في كل موطن تأتي فيه هذه اللفظة بل حيث يدل السياق أو القرينة عليه فحسب [4].

٢. بما جاء عن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ دعا حسنا وحسينا، فأجلس كل واحد منهما على فخذه ، وأدنى فاطمة من حجره وزوجها ، ثم لف عليهم ثوبه ، ثم قال : (اللهم هؤلاء أهلي) قال واثلة : فقلت يا رسول الله ، وأنا من أهلك ؟ فقال : (وأنت من أهلي)[5].

ومعلوم أن واثلة من ليث بن بكر ، لا هاشمي ولا قرشي وإنما هو من أتباع النبي ﷺ [6].

وأجيب عن هذا الدليل : بأن واثلة رضي الله عنه جَعل في حكم الأهل تشبيها بمن يستحق هذا الاسم لا تحقيقا[7] .

---

(١) المجموع شرح المهذب للنووي ٤٦٦/٣ .

(٢) جلاء الأفهام ص ١١٤ .

(٣) انظر القاموس المحيط ص ١٢٤٤ ، والصحاح للجوهري ١٦٢٧/٤ ـــ ١٦٢٨.

(٤) جلاء الأفهام ص ٢٢٨ .

(٥) رواه البيهقي في سننه ١٥٢/٢ حديث (٢٦٩٠) وقال هذا إسناد صحيح .

ورواه الحاكم في المستدرك ، ٤٥١/٢ لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـــ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ،.

ورواه ابن حبان ، الإحسان ٤٣٢/١٥ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـــ ، وصححه المحقق.

(٦) انظر الإصابة لابن حجر ٥٨٩/٣ –٥٩٠ .

(٧) السنن الكبرى للبيهقي ١٥٢/٢

القول الرابع : أن آل محمد ﷺ هم الأتقياء من أمته .

حكاه القاضي حسين[1]، واختاره الراغب حيث قال : (أهل الدين ضربان : ضرب متخصص بالعلم المتقن والعمل المحكم فيقال لهم : آل النبي ﷺ وأمته)[2].

وحكي عن جعفر الصادق[3]حيث سئل أن الناس يقولون : إن الناس كلهم آل النبي ﷺ فقال : (صدقوا وكذبوا . فقيل كيف ذلك ؟ فقال : كذبوا في أن الأمة كافة هم آله ، وصدقوا إذا قاموا بشرائط شريعته ، هم آله)[4].

ويرى السخاوي أن القول الرابع هو مراد من أطلق في القول الثالث[5].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :(وهذا روي عن مالك إن صح وقاله طائفة من أصحاب أحمد وغيرهم)[6].

أدلة هذا القول :

١. استدلوا بقول الله تعالى لنوح عليه السلام : ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ [سورة هود : ٤٦].

وجه الاستدلال : أنه أخرج من الأهل للشرك فدل على أن الأهل هم الأتباع الموافقون[7].

٢. استدلوا بحديث أنس بن مالك رضي الله عنه حيث قال : سئل رسول الله ﷺ من آل محمد؟ فقال : (كل تقي وتلا النبي ﷺ :﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[سورة الأنفال: ٣٤][8].

---

(١) القاضي حسين بن محمد بن أحمد ، أبو علي ، المروزي الشافعي توفي سنة ٤٦٢ هـ .

انظر طبقات الشافعية لابن هداية الله ص ١٦٤ ، والعبر للذهبي ٣١٢/٢ - ٣١٣ .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ص ٩٨ .

(٣) هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، أبو عبد الله ، إمام جليل ، أحد أئمة أهل البيت ، ملقب بالصادق توفي سنة ١٤٨ هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد الذهبي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، ٢٥٥/٦ ، طبع مؤسسة الرسالة ، الطبعة التاسعة ، ١٤١٣هـ .

(٤) الكليات ص ١٧١ - ١٧٢ .

(٥) القول البديع ص ١٢٣ .

(٦) مجموع الفتاوى ٤٦١/٢٢ - ٤٦٢ . وانظر : المجموع شرح المهذب للنووي ٤٦٦/٧ وجلاء الأفهام لابن القيم ص ١١٠ وفتح الباري لابن حجر ١٦٠/١١

(٧) السنن الكبرى للبيهقي ١٥٢/٢ ، والمجموع شرح المهذب للنووي ٤٦٦/٣ - ٤٦٧ ، وجلاء الأفهام ص ١١٥

(٨) رواه الطبراني في المعجم الصغير لأبي القاسم الطبراني ، ضبط : كمال يوسف الحوت ، ١٩٩/١، حديث(٣١٨) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ . وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله .

هذه أقوال أهل العلم في تعريف وتحديد آل البيت ومن المراد بهم .

الترجيح :

الراجح والله أعلم أن آله ﷺ قرابته الذين حرمت عليهم الصدقة وزوجاته وذريته ﷺ أجمعين . وذلك أن النبي ﷺ قد رفع الشبهة بقوله : (إن الصدقة لا تحل لآل محمد) وقوله : (إنما يأكل محمد من هذا المال) وقوله : (اللهم أجعل رزق آل محمد قوتاً) وهذا لا يجوز أن يراد به عموم الأمة قطعاً ، فأول ما حمل عليه الآل في الصلاة الآل المذكورين في سائر ألفاظه ولا يجوز العدول عن ذلك .

أما تنصيصه على الأزواج والذرية فلا يدل على اختصاص الآل بهم بل هو حجة على عدم الاختصاص بهم ، وذلك لما روى أبو داود والبيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد)[1] .

فجمع بين الأزواج والذرية والأهل ، وإنما نص عليهم بتعيينهم ليبين أنهم حقيقيون بالدخول في الآل، وأنهم ليسوا بخارجين منه ، بل هم أحق من دخل فيه ، وهذا كنظائره من عطف الخاص على العام ، وعكسه تنبيهاً على شرفه وتخصيصاً له بالذكر من بين النوع لأنه من أحق أفراد النوع بالدخول فيه"[2].

قال البيهقي بعد إيراده للحديث " فكأنه ﷺ أفرد أزواجه وذريته بالذكر على وجه التأكيد ثم رجع إلى التعميم ليدخل فيها غير الأزواج والذرية من أهل بيته ﷺ وعليهم أجمعين"[3].

قال الحليمي : " وأما اسم أهل البيت فإنه للقرابة والأزواج معاً " [4] .

---

(١) رواه أبو داود والبيهقي وتقدم تخريجه ص ٣١ .

(٢) جلاء الأفهام ، ص ١١٦ .

(٣) السنن الكبرى ٢/١٥١ .

(٤) شعب الإيمان ٢/٢٥٠ لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : محمد سعيد زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

وقال ابن حجر في هذا الحديث (فيحمل على أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ غيره ، فالمراد بالآل في التشهد الأزواج ، ومن حرمت عليهم الصدقة ، ويدخل فيهم الذرية ، وبذلك يجمع بين الأحاديث) [١] .

وأما القول بأن الآل هم جميع الأمة فقد جاء ما يمنعه وذلك فيما رواه الترمذي من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال " تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي "[٢] . (فإنه لو كان الآل جميع الأمة لكان المأمور بالتمسك به والأمر المتمسك به شيئاً واحداً وهذا باطل) [٣] .

أما القول بأن آله الأتقياء من أمته فلا يصح أيضاً وما استدلوا به لا تقوم به الحجة فالحديث الذي رواه الطبراني رواه البيهقي كذلك من حديث نافع أبي هرمز عن أنس فذكره وقال عنه : "ضعيف لا يحل الاحتجاج به لأن أبا هرمز كذبه يحيى بن معين[٤] وضعفه أحمد وغيره من الحفاظ " [٥].

وقال ابن تيمية : " وهو حديث موضوع " [٦].

وقال ابن القيم : " ونوح هذا ونافع أبو هرمز لا يحتج بهما أحد من أهل العلم وقد رميا بالكذب) [٧].

---

(١) فتح الباري ١٠٦/١١ .

(٢) سنن الترمذي – كتاب المناقب – باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ ٦٦٢/٥ حديث رقم : (٣٧١٨) لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

ورواه الطبراني في المعجم الكبير ، ٦٦/٣ لسليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، مكتبة الزهراء ، الموصل ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ .

وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٦٦/٣ ، حديث : (٢٩٧٨) .

(٣) نيل الأوطار للشوكاني ٢٩٢/٢ .

(٤) هو يحيى بن معين بن عوف الغطفاني مولاهم أبو زكريا البغدادي ، ثقة حافظ مشهور ، إمام الجرح والتعديل ، توفى سنة ٢٣٠هـ .

انظر : تقريب التهذيب ، ص ٥٩٧ .

(٥) السنن الكبرى ١٥٢/٢ .

(٦) مجموع الفتاوى ٤٦٢/٢٢ .

(٧) جلاء الإفهام ، ص ١١٥ .

وقال السخاوي : " سنده واه جداً " [١].

وقال ابن حجر : " سنده واه جداً " [٢].

وقال ابن حجر الهيتمي :" ضعيف بالمرة " [٣].

وفي الدرر السنية : " حديث لا أصل له "[٤].

وقال الألباني :" ضعيف جداً "[٥].

ويضاف إلى ذلك أنه لو كان الأمر هكذا لحرمت الصدقة على الأتقياء من الفقراء والمساكين ، ولا قائل به فدل على بطلان هذا القول . وبه يعلم أن الصواب هو القول الأول لقوة أدلته ولسلامتها من المعارضة ، ولضعف أدلة الأقوال الأخرى .

---

(١) القول البديع ، ص ١٢٤ .

(٢) فتح الباري ١٦١/١١ .

(٣) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة لأحمد بن حجر الهيتمي ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، ص ٢٢٤ ، مكتبة القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٧هـ .

(٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، جمع عبد الرحمن بن قاسم ٢١٢/١ ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٣هـ.

(٥) سلسلة الأحاديث الضعيفة لمحمد بن ناصر الدين الألباني ، ٤٦٨/٣ ، مكتبة المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .

المبحث الثاني : دخول الأزواج في آل البيت :

مما لا يخفى - على القول الصحيح كما تقدم - دخول الأزواج – رضي الله عنهن – في الآل والأهل، وتحريم الصدقة عليهن وسأذكر هنا نصوصاً أخرى تدل على ذلك ، ومنها :

١- قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٣].

قال القرطبي :" والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم وإنما قال : (ويطهركم) لأن رسول الله ﷺ وعلياً وحسناً وحسيناً كانوا فيهم وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غُلّب المذكر "[١].

وقال ابن القيم :" فدخلن في أهل البيت لأن هذا الخطاب كله في سياق ذكرهن فلا يجوز إخراجهن من شيء منه والله أعلم "[٢].

٢- عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ؟ فو الله ما علمت على أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ... ما كان يدخل على أهلي إلا معي)[٣].

فهنا سمى النبي ﷺ زوجته ، وهي عائشة رضي الله عنها أهله بل أهل بيته في قصة حديث الإفك.

٣- عن أنس أن نساء النبي ﷺ قلن للنبي ﷺ بعد بنائه بزينب رضي الله عنها : (كيف وجدت أهلك)[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٨٣/١٤ .

(٢) جلاء الإفهام ، ص ١١٧ .

(٣) متفق عليه :

رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح - كتاب التفسير - باب (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون) ٣٠٦/٨ ، حديث (٤٧٥٠) .

ورواه مسلم – كتاب التوبة – باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ٢١٢٩/٤ حديث (٢٧٧٠) .

(٤) متفق عليه :

رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح - كتاب التفسير - باب (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) ٣٨٨/٨ ، حديث (٤٧٩٣) .

رواه مسلم – كتاب النكاح – باب زواج زينب بنت جحش ١٠٤٨/٢ حديث (١٤٢٨) .

٤- عن عائشة رضي الله عنها قالت : (ما شبع آل محمدٍ من خبز الشعير يومين متتاليين حتى قبض رسول الله ﷺ)[١].

٥- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء)[٢].

٦- سئلت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي ﷺ يصنع في البيت قالت : (كان يكون في مهنة أهله)[٣].

والمراد في السؤال عن بيته الذي فيه زوجته .

٧- عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أهديت له قلادة جزع[٤] فقال : (لأدفعنها إلى أحب أهلي إليّ ، فقالت النساء ذهبت بها ابنة أبي قحافة ... الحديث)[٥].

يعني : عائشة رضي الله عنها .

وهذا يدل دلالة واضحة على شيوع إطلاق أهل النبي ﷺ على زوجاته — رضي الله عنهن.

٨- عن عبد الله بن هشام[٦] رضي الله عنه قال : (وكان (أي النبي ﷺ يضحي بالشاة الواحدة عن جميع أهله)[٧].

ومعلوم أن النبي ﷺ إنما كان يضحي عن الزوجات فحسب .

---

(١) رواه مسلم — كتاب الزهد والرقائق ، باب ٢٢٨٢/٤ حديث (٢٩٧٠) .

(٢) رواه الترمذي — أبواب الزهد — باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ ٥٠١/٤ حديث (٢٣٦٠)

وابن ماجة في سننه — كتاب الأطعمة — باب خبز الشعير ١١١/٢ حديث (٣٣٤٧) لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الريان للتراث.

ورواه الإمام أحمد في مسنده للإمام أحمد بن حنبل ٢٥٥/١ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ .

قال الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح "

وصححه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية لمحمد بن ناصر الدين الألباني ، ص ٨٧ ، المكتبة الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

(٣) رواه البخاري — صحيح البخاري مع فتح الباري ، كتاب النفقات - باب خدمة الرجل في أهله ٤١٧/٩ حديث (٥٣٦٣).

(٤) الجزع : هو الخرز اليماني .

القاموس المحيط ص ٩١٥ .

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده ١٠١/٦ حديث رقم (٢٤٧٤٨)

وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ٤١١/٩ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣هـ .

(٦) هو عبد الله بن هشام التميمي القرشي ، صحابي صغير ، ولد سنة أربع وتوفي في خلافة معاوية .

الإصابة لابن حجر، ص ٨٤٣ .

(٧) رواه البخاري — صحيح البخاري مع فتح الباري - كتاب الأحكام - باب بيعة الصغير ٢١٣/١٣ حديث رقم (٧٢١٠).

٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (جئنا باب رسول الله ﷺ فاستأذناه فأذن لنا فوضعت بين أيدينا صفحة فيها قدر مد من الشعير ، فقال النبي ﷺ والذي نفسي بيديه ما أمسى في آل محمد غير شيء ترونه)[١].

١٠- حديث بلال بن رباح رضي الله عنه لما جاءت إبل الصدقة قال ﷺ : (لست بداخل على أحد من أهلي حتى تريحني منه) فلما أراحه بلال رضي الله عنه منها قال : (ثم اتبعته حتى جاء أزواجه فسلم على امرأة امرأة حتى أتى مبيته)[٢].

١١- لما دوّن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الدواوين قال : (أبدأ بآل رسول الله ﷺ فبدأ بالأزواج ثم بعلي رضي الله عنه)[٣] .

فهذه نصوص صريحة دالة في إطلاق " آل " و " آل بيت " و " أهل النبي ﷺ " على زوجاته الطاهرات مما يدل دلالة قطعية على دخول الأزواج في آل بيت النبي ﷺ .

وأختم هذا المبحث ببيان معنى أمومة أزواج النبي ﷺ للمؤمنين :

لقد بين أهل السنة أن الأمومة هنا تدل دلالة واضحة على عظم حقهن حيث قال قتادة في قوله تعالى : ﴿ وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ﴾ [سورة الأحزاب : ٦] " يعظم بذلك حقهن "[٤].

أما معنى الأمومة فهي : الإكرام والاحترام والإعظام والتوقير حيث قال ابن كثير : "أي من الحرمة والاحترام والإكرام والتوقير والإعظام "[٥].

---

(١) رواه حماد بن إسحاق في تركة النبي ﷺ لحماد بن إسحاق بن إسماعيل البغدادي ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، ص ٦٩ ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ، واللفظ له .

ورواه الطبراني في المعجم الأوسط ١٩٥/٣ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٠٨/٨ وقال : (رجاله ثقات).

(٢) رواه أبو داود في سننه ، كتاب الخراج والإمارة ، باب في الإمام يقبل هدايا المشركين ٤٣٩/٣ حديث (٣٠٥٥). وصححه الألباني في صحيح أبي داود ، حديث رقم (٢٦٢٨) .

(٣) رواه أبو عبيد في الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق : محمد خليل هراس ، ص ٢٣٦-٢٣٧ ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ .

(٤) تفسير الطبري ٧٧/٢١ .

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣٨١/٦ .

فهي تنحصر في وجوب تعظيمهن على المسلمين وبرهم لهن وإجلالهن وحرمة نكاحهن على الرجال، أما فيما عدا ذلك فلا يصح أن يُخلى بهن أو النظر إليهن أو إرثهن ، فهن يختلفن عن الأمهات بذلك، ولقد سُمين بأمهات المؤمنين لأن شفقتهن عليهم كشفقة أمهاتهم تماماً ، فأنزلن مترلتهن .

ولا تسمى بناتهن أخوات المؤمنين ، ويجوز تزوجهن من سائر المؤمنين كما تزوج عثمان ﷺ رقية وأم كلثوم رضي الله عنهما وكما تزوج علي ﷺ فاطمة ﷺ .

قال القرطبي : " شرَّف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين أي في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال وحجبهن - رضي الله عنهن - بخلاف الأمهات ، ثم هذه الأمومة لا توجب ميراثاً كأمومة التبني ، وجاز تزويج بناتهن ولا يُجعلن أخوات للناس " (١).

وقد اجتهد المفسرون في الحكمة من جعل أزواج النبي ﷺ أمهاتاً :

حيث قال الرازي : " والمعقول في جعل أزواجه أمهاتنا هو أن الله جعل زوجة الأب محرمة على الابن لأن الزوجة محل الغيرة والتنازع فيها ، فإن تزوج الابن بمن كانت تحت الأب يفضي ذلك إلى قطع الرحم والعقوق ، لكن النبي ﷺ أشرف وأعلى درجة من الأب وأولى بالإرضاء..."(٢).

أما ابن تيمية فرأى أن النبي ﷺ لما كان كالأب كن أزواجه كالأمهات حيث قال:" إنما كن أمهات المؤمنين تبعاً له ، فلولا أنه كالأب لم يكن نساؤه كالأمهات " (٣).

ويؤيد ما قاله الرازي وشيخ الإسلام القراءة الشاذة المروية عن بعض الصحابة (وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم) (٤).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/١٢٣ .

(٢) التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر القرشي المشهور بالفخر الرازي ٢٥/١٦٩ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٣) منهاج السنة ٥/٢٣٨ .

(٤) معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب ٧/٢٥١ ، دار سعد الدين ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ . معجم القراءات القرآنية لأحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم ، ٤/٧٨ ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٧م .

وكذلك يؤيده ما جاء عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾[سورة الأحزاب : ٦] ، قال: (هو أب لهم) (١).

ويستنتج مما تقدم أن هذه الأمومة تقتضي التقدير والاحترام وتحريم النكاح لما كان لهن من جهود عظيمة مكن نقل هدي النبي ﷺ وسنته إلى أمته (٢).

---

(١) معجم القراءات ٧٧/٢١ .

(٢) **وهنا مسألة :**

وهي : هل أمهات المؤمنين أمهات للرجال والنساء أم الرجال فقط ؟

والجواب : أُختلف في ذلك على قولين :

القول الأول : ذهب بعض العلماء إلى أنهن أمهات الرجال فقط .

واستدلوا :

١- بما جاء عن مسروق أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها : (يا أمه ... ، فقالت : لست بأُمك أنا أم رجالكم) رواه البيهقي في سننه - كتاب النكاح - باب ما خص من أزواجه أمهات المؤمنين ٧٠/٧ حديث (١٣٢٠٠) .

٢- وبما جاء عن يزيد بن مرة عن لميس أنها قالت لعائشة : (يا أمه ، فقالت عائشة : إني لست بأمكن ولكن أختكن) رواه الإمام أحمد في مسنده ١٤٦/٦ حديث (٢٥١٧٩) .

ولقد قالت رضي الله عنها لأبي موسى رضي الله عنه : (فإنما أنا أمك) رواه مسلم - كتاب الحيض - باب نسخ (الماء من الماء) ووجوب الغسل في التقاء الختانين ٢٧٢/١ ، حديث (٣٤٩) .

وقال لها ابن عباس رضي الله عنهما : (يا أم المؤمنين) رواه البخاري - كتاب فضل الصحابة - باب فضل عائشة رضي الله عنها ١٣٢/٧ حديث (٣٧٧١) .

القول الثاني : وذهب بعض العلماء إلى أنهن أمهات الرجال والنساء .

واستدلوا :

بما جاء عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت : (أنا أم الرجال منكم والنساء) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ١٧٨/٨ .

الراجح :

هو القول الثاني كما قال القرطبي بعد أن ذكر القولين :" قلت لا فائدة في اختصاص الحصر في الإباحة بالرجال دون النساء والذي يظهر لي أنهن أمهات الرجال والنساء تعظيماً لحقهن على الرجال والنساء ... " الجامع لأحكام القرآن ١٢٣/٤ ، وانظر : فتح الباري ١٨/١ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٤٩٧/٣ .

المبحث الثالث : منزلة آل البيت عند أهل السنة :

لا شك أن لأهل بيت النبي ﷺ منزلة رفيعة ودرجة عالية من الاحترام ، والتقدير ، والمحبة ، والموالاة عند أهل السنة ، حيث كتبهم مليئة وزاخرة بذكر مناقبهم وبيان عقيدتهم الحقة نحوهم والتي مبناها على الكتاب والسنة لا غلو ولا إجحاف طاعة لله ولرسوله ﷺ وذلك ما سيتضح في المطالب التالية :

المطلب الأول : فضائل آل البيت في الكتاب والسنة عموماً :

لقد وردت في القرآن الكريم آيات تدل على علو منزلة وفضائل آل البيت ، وكما وردت في السنة أحاديث كثيرة مشهورة .

وسأقتصر هنا على ذكر الآيات التي تدل على فضلهم والأحاديث الصحيحة التي وردت في مناقبهم ﷺ على وجه العموم .

أولاً : فضائل آل البيت في القرآن الكريم :

أما الآيات التي تشير إلى فضائل ومناقب آل البيت والتي تدل على رفعة منزلتهم وعلو درجتهم لما لهم من صلة بنسبه الشريف – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، هي :

١– قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٣].

هذه الآية فيها دلالة واضحة على منقبة عظيمة لجميع آل بيت النبي ﷺ حيث طهرهم الله من الرجس .

قال ابن حجر الهيتمي :" هذه الآية منبع فضائل أهل البيت النبوي لاشتمالها على غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدئت بـــ (إنما) المفيدة لحصر إرادته تعالى في أمرهم على إذهاب الرجس الذي هو الإثم أو الشك فيما يجب الإيمان به عنهم ، وتطهيرهم من سائر الأخلاق والأحوال المذمومة "[1].

---

(١) الصواعق المحرقة ، ص ٢٢٣ .

وأما معنى الرجس في الآية فقد اختلف فيه على أقوال :

- القول الأول : السوء والفحشاء وهو قول الطبري [1].
- القول الثاني : الشيطان وهو قول ابن زيد .
- القول الثالث : الشرك وهو قول الحسن البصري [2].
- القول الرابع : الأفعال الخبيثة والأخلاق الذميمة [3].
- القول الخامس : الشك.
- القول السادس : المعاصي [4].
- القول السابع : الفسق [5].
- القول الثامن : كل مستقذر ، وهو قول الزجاج[6]، والشنقيطي [7].

والظاهر أن كلمة (الرجس) تصدق ويصح إطلاقها على عشرة معان :

١. النتن والقذر .
٢. العمل الذي يقبح ذكره .
٣. ما لا خير فيه .
٤. الإثم .
٥. الكفر .
٦. طاعة الشيطان .
٧. الخبث .
٨. الشيطان .
٩. الشك .
١٠. العذاب والسخط واللعنة [8].

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٢/٥ .

(٢)انظر:أحكام القرآن لابن العربي ٥٧١/٣ .

(٣)انظر:المرجع السابق ٥٧١/٣ .

(٤)انظر: زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، ٣٨١/٦ ، طبعة المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٧هـ.

(٥)انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود الألوسي ، ٢٢/١٢ ، طبعة دار الفكر ، ١٤٠٨هـ .

(٦)انظر:زاد المسير ٣٨١/٦ .

(٧)انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي ، ٥٨٠/٦ ، طبعة مكتبة ابن تيمية ، ١٤٠٨هـ . وانظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية لمحمد بن علي الشوكاني ، ٢٧٨/٤ ، طبع دار المعرفة . والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق بن عطية الأندلسي ، تحقيق : جماعة من العلماء ، ٦١/١٢ ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ . والتحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ، ١٤/٢٢ ، طبعة الدار التونسية ، ١٩٨٤م .

(٨)انظر:تفسير الطبري ٢١/٧ ، ٢٤/٨ ، ١٥٧ ، ٥٣/١١ ، ٦٢٠ ، ١١٢/١٧ . زاد المسير ٤١٧/٢ ، ٢١/٣ ، ٤١ ، ٥١٩ ، ٦٨/٤ . فتح القدير ٧٣/٢ ، ١٧٢ ، ٢١٨ ، ٢٦١ ، ٤١٨ ، ٤٧٥ .

والرجس المذكور في الآية صادق على كل المعاني المذكورة آنفاً .

٢- قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة الأحزاب : ٥٦].

ففي الآية منقبة عظيمة ودرجة عالية شريفة حيث أمر الله بالصلاة عليهم تبعاً له ﷺ ويوضح ذلك ما جاء عن كعب بن عجرة قال : (لما نزلت هذه الآية قلنا يا رسول الله : قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك ؟ فقال: (قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد ...) [1].

وقد ألف ابن القيم كتاباً مستقلاً في فضل الصلاة والسلام على النبي ﷺ سماه "جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام " وقد بين فيه أن الصلاة على آل البيت حق لهم دون سائر الأمة ، بغير خلاف بين الأئمة[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " فهذه الصلاة لجميع آل محمد لا تختص بصالحيهم بل تتناول كل من دخل في آل محمد كما أن الدعاء للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات يتناول كل من دخل في الإيمان والإسلام ولا يلزم من الدعاء للمؤمنين عموماً ولأهل البيت عموماً أن يكون كل منهم براً تقياً بل الدعاء لهم طلباً لإحسان الله تعالى إليهم وتفضله عليهم ، وفضل الله تعالى وإحسانه يطلب لكل احد لكن يقال أن هذا حق لآل محمد أمر الله به وذلك سبب رحمة الله تعالى لهم بهذا النسب فهم مخصصون بأحكام لهم وعليهم وهذه الأحكام تثبت للواحد منهم وإن لم يكن رجلاً صالحاً بل كان عاصياً"[3].

---

(١) رواه البخاري – صحيح البخاري مع فتح الباري – كتاب التفسير – باب : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ ٣٩٢/٨ حديث (٤٧٩٧) .

(٢)انظر: جلاء الأفهام ، ص ٢٥٩ .

(٣) منهاج السنة ٥٩٨/٤-٥٩٩-٦٠٠ .

٣- قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ٦٠].

في هذه الآية فضيلة عالية ومنقبة جليلة لأصحاب الكساء وهم : فاطمة وعلي والحسن والحسين ﷺ أجمعين لحديث سعد ابن أبي وقاص قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : (اللهم هؤلاء أهلي) (١).

قال ابن حجر الهيتمي : " فعلم أنهم المراد من الآية وأن أولاد فاطمة وذريته يسمون أبناءه وينسبون إليه نسبة صحيحة نافعة في الدنيا والآخرة " (٢).

وقال النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما : (إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين) (٣) .

ثانياً : فضائل آل البيت في السنة النبوية :

لقد وردت أحاديث كثيرة تبين فضائل آل البيت عموماً ومنها :

١- ما جاء عن العباس بن عبد المطلب أنه قال : قلت يا رسول الله إن قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة(٤) من الأرض . فقال النبي ﷺ : (إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً) (٥).

---

(١) رواه مسلم – كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل علي – رضي الله عنه ١٨٧١/٤ حديث (٢٤٠٤) .

(٢) الصواعق المحرقة ، ص ٢٤٠ .

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري – كتاب – باب علامات النبوة في الإسلام ٧٢٧/٦ حديث (٣٦٢٩) .

(٤) الكبوة : أي الكناسة والتراب الذي يكنس من البيت .

انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٤٦/٤ .

(٥) رواه الترمذي في سننه – كتاب المناقب – باب فضل النبي ﷺ ٥٤٥/٥ ، حديث (٣٦٠٧) وقال : هذا حديث حسن، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي ، ص ٤٨١ .

فهذا الحديث يدل على فضل جنس العرب ثم جنس قريش ثم جنس بني هاشم فكان النبي ﷺ خير الناس نفساً ونسباً .

قال شيخ الإسلام : "والمعنى أن النخلة طيبة في نفسها ، وإن كان أصلها ليس بذاك، فأخبر النبي ﷺ أنه خير الناس نفساً ونسباً "[(١)].

٢- ما جاء عن أبي عمار شداد أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم)[(٢)].

فهذا الحديث نص في التفضيل ، قال شيخ الإسلام : " والذي عليه أهل السنة والجماعة اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم عبرانيهم وسريانيهم ورومیهم وفرسيهم وغيرهم وأن قريشاً أفضل العرب ، وأن بني هاشم أفضل قريش، وأن رسول الله ﷺ أفضل بني هاشم فهو أفضل الخلق وأفضلهم نسباً "[(٣)].

٣- ما جاء من حديث زيد بن أرقم أنه قال : قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً بماء يدعى خما ، بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال : أما بعد : ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به) فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : (وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي)[(٤)].

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، تحقيق : ناصر العقل ، ٣٧٤/١ ، طبعة مكتبة الرشد ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هـ .

(٢) رواه مسلم - كتاب الفضائل - باب فضل نسب النبي ﷺ ١٧٨٢/٤ حديث (٢٢٧٦) .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٢٧٠/١ .

(٤) رواه مسلم وتقدم تخريجه ، ص ٢٧ .

في هذا الحديث منقبة واضحة وفضيلة عالية لأهل بيته ﷺ حيث قرن الوصية بهم مع الوصية بالالتزام والتمسك بكتاب الله الذي فيه الهدى والنور فجعلهم ﷺ ثقلاً دليل واضح على عظم حقهم وارتفاع شأنهم وعلو منزلتهم [١].

"فالتمسك بالكتاب امتثال ما أمر الله به فيه واجتناب ما نهى عنه قولاً وعملاً . والتمسك بأهل بيته محبتهم والمحافظة على حرمتهم والعمل بروايتهم الصحيحة والاهتداء بهديهم وسيرتهم إذا لم يكن في ذلك مخالفة في الدين "[٢].

٤- ما جاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (يا بني عبد المطلب إني سألت الله لكم ثلاثاً : أن يثبت قائمكم وأن يهدي ضالكم وأن يعلم جاهلكم وسألت الله فيكم أن يجعلكم جوداء نجداء رحماء فلو أن رجلاً صفن[٣] بين الركن والمقام فصلى وصام ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار) [٤].

في هذا الحديث ثلاث مناقب لأهل بيت النبي ﷺ بينها رسول الله بنفسه إضافة إلى ما تضمنه من وجوب محبتهم والبعد عن بغضهم لأن من فعل ذلك فهو من أهل النار .

وقد وردت أحاديث أخرى تدل على فضلهم وعلو منزلتهم وذكر حقوقهم تأتي تبعاً في المباحث والمسائل القادمة إن شاء الله .

---

(١) انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأحمد بن عمر القرطبي ، تحقيق : محيي الدين مستو وجماعة ، ٣٠٣/٦-٣٠٤ ، طبعة دار ابن كثير ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ . ومنهاج السنة ٣١٨/٧ . وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١١٥/٤ .

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لعبد الرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري ،٢٨٨/١٠ ، طبعة دار الاتحاد العربي ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٥هـ . وانظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي ، ١٥/٣ .

(٣) صفن: أي : قائم.
انظر : النهاية لابن الأثير ٣٩/٣ .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ، كتاب معرفة الصحابة – باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ ١٦١/٣ حديث (٤٧١٢) وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

المطلب الثاني : حقوق أهل البيت :

وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : الحقوق المعنوية :

١- محبتهم وتوقيرهم :

لا شك أن آل محمد ﷺ يستحقون من المحبة والمولاة ما لا يستحقه غيرهم وقد تقدم ذكر الدليل على ذلك والذي فيه (أذكركم الله في أهل بيتي) (١).

فإن فيه الوصية بأهل البيت والتأكيد فيها على محبتهم وتوقيرهم .

قال القرطبي : " وهذه الوصية وهذا التأكيد العظيم يقتضي وجوب احترام أهله وإبرارهم وتوقيرهم ومحبتهم وجوب الفروض المؤكدة التي لا عذر لأحد في التخلف عنها " (٢).

وقال شيخ الإسلام :" فاتباع القرآن واجب على الأمة بل هو أصل الإيمان وهدى الله الذي بعث به رسوله وكذلك أهل بيت النبي ﷺ تجب محبتهم وموالاتهم ورعاية حقوقهم وهذان الثقلان اللذان وصى بهما رسول الله ﷺ "(٣).

وقال محمد تقي الدين الهلالي"... والمقصود هنا : أن النبي ﷺ ترك أمرين وديعة عند أمته:

- أحدهما : يتبع ويقتدى به ويحكم وهو القول الفصل وهو كتاب الله .
- الثاني : يكرم ويراقب فيه عهده بعد وفاته كما كان يراقب فيه في حياته وهم أهل بيته"(٤).

وقد بين النبي ﷺ أن بغض أهل بيته من أسباب دخول النار حيث قال: (والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار) (٥).

---

(١) رواه مسلم وتقدم تخريجه ، ص ٢٧ .

(٢) ذكره المناوي في فيض القدير ١٤/٣ لعبد الرؤوف المناوي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ . ولم أجده في كتب القرطبي بعد بحث .

(٣) مجموع الفتاوى ٤٩١/٢٨ .

(٤) الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق ، ص ١١٣ .

(٥) رواه الحاكم في المستدرك وتقدم تخريجه ص ٣ .

كما ورد عنه ﷺ الحث على حبهم بل جعل محبتهم من الأدلة على محبته ﷺ حيث قال: (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي)[١].

والمعنى : أي إنما تحبوهم لأنني أحببتهم بحب الله تعالى لهم تصديقاً لمحبتهم للنبي ﷺ "[٢].

ولقد عرف العلماء خصائص أهل البيت وحقوقهم ومكانتهم الرفيعة التي وضعهم الله فيها من عهد الصحابة ﷺ وإلى يومنا هذا وستستمر إلى يوم القيامة إن شاء الله ، فلذلك سأذكر بعض أقوال أهل العلم الدالة على تخصيص أهل بيت النبوة بالمحبة والإجلال سواء كانت هذه الأقوال على وجه العموم أم على وجه الخصوص من بعض أفراد أهل البيت :

أ. فقد روى البخاري بإسناده إلى أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال : (ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته)[٣].

ب. وجاء عنه ط أنه قال لعلي بن أبي طالب ﷺ : (والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي)[٤].

ج. روى البخاري بسنده إلى عقبة بن الحارث قال : رأيت أبا بكر ﷺ وحمل الحسن وهو يقول : (بأبي شبيه بالنبي ، ليس شبيه بعلي ، وعلي يضحك)[٥].

د. روى ابن عبد البر بإسناده إلى سعيد ابن المسيب قال : كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن)[٦].

---

(١) رواه الترمذي في سننه – كتاب المناقب ، باب مناقب أهل البيت ٦٦٤/٥ حديث رقم (٣٧٨٩).
ورواه الحاكم في المستدرك – كتاب معرفة الصحابة – باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ ١٦٢/٣ حديث (٤٧١٦) وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .
وضعفه الألباني في المشكاة ١٧٤٢/٣.

(٢) انظر : عمدة القارئ لبدر الدين محمد بن محمود العيني ، ٢٢٢/١٦-٢٢٣ ، نشر مصطفى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الأولى . وفتح الباري ٧٩/٧ .

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري – كتاب فضائل الصحابة – باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ٩٧/٧ حديث (٣٧١٣).

(٤) متفق عليه :
صحيح البخاري مع فتح الباري – كتاب فضائل الصحابة – باب مناقب قرابة النبي ﷺ ٩٧/٧ حديث (٣٧١٢)
وصحيح مسلم – كتاب الجهاد والسير – باب قول النبي : (لا نورث ما تركنا فهو صدقة) ١٣٨٠/٣حديث (١٧٥٩).

(٥) صحيح البخاري مع فتح الباري – كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين ١١٨/٧،حديث (٣٧٥٠).

(٦) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٩٣/٣ .

هـ. وروى الذهبي أن عمر لما دون الديوان ألحق الحسن والحسين بفريضة أبيهما لقرابتهما من رسول الله ﷺ فرض لكل منهما خمسة آلاف درهم (١).

و. جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً(٢) وهدياً برسول الله ﷺ في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله ﷺ .) (٣).

ز. قال يحيى بن سعيد عن علي بن الحسين الذي يُعد من كبار التابعين وسادهم علماً وديناً (٤) : (هو أفضل هاشمي رأيته في المدينة) (٥).

وقال عنه محمد بن سعد (كان ثقة مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً ورعاً) (٦).

وعن مالك قال : (لم يكن في أهل البيت مثله) (٧).

فيما تقدم أكبر دليل على مترلة أهل البيت لدى سلف هذه الأمة وهو تأصيل لمنهج أهل السنة والجماعة الذي هو امتداد لسيرة الصحابة والتابعين لهم بإحسان تجاه آل البيت إلى يومنا هذا والذي هو الاعتقاد أنه لا يتم إيمان الرجل إلا بحب آل البيت كما نص على ذلك الأئمة ، وأن ذلك من أصولهم .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٥٩/٣ .

(٢) الدل : الحسن الهيئة ، وقيل حسن الحديث .

انظر : النهاية لابن الأثير ١٣١/٢ .

(٣) رواه الترمذي في سننه – كتاب المناقب – باب فضل فاطمة بنت رسول الله ﷺ ٦٥٧/٥ ، حديث (٣٨٧٢) .

وأبو داود في سننه – كتاب الأدب – باب ما جاء في القيام ٣٩١/٥ ، حديث (٥٢١٧) .

ورواه الحاكم في المستدرك ٣٠٣/٤ وقال صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه .

وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٤١/٣-٢٤٢ .

(٤) انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، ١٤٢/٣ ، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت . ومنهاج السنة ٤٩/٤ . وتهذيب التهذيب لأحمد بن حجر العسقلاني ، ٣٠٥/٧ ، المطبعة المصورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف بالهند ١٣٢٥هـ .

(٥) الحلية لأبي نعيم ١٣٨/٣ .

(٦) الطبقات الكبرى ٢٢٢/٥ لمحمد بن سعد الزهري ، دار صادر ، بيروت .

(٧) السير للذهبي ٣٨٩/٤ .

وهذه بعض النقولات من ذلك المنهج :

ويقول البيهقي : " ودخل في جملة محبته ﷺ حب آله " [(١)].

ويقول القاضي عياض :" إن من علامات محبته ﷺ والتي يجب على المؤمن الأخذ بها ، محبته لمن أحب النبي ﷺ ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين فمن أحب شيئاً أحب من يحبه "[(٢)].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" وإن من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون أهل بيت النبي ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ "[(٣)].

ويقول البغدادي [(٤)]: " وقالوا – أي أهل السنة – موالاة جميع أزواج رسول الله ﷺ وأكفروا من أكفرهن أو كفّر بعضهن ، وقالوا بموالاة الحسن والحسين والمشهورين من أسباط رسول الله ﷺ كالحسن والحسين وعبد الله بن الحسن وعلي بن الحسين زين العابدين... " [(٥)].

يقول الباقلاني [(٦)]: " ويجب أن يعلم أن خير الأئمة أصحاب رسول الله ﷺ ... ونقر بفضل أهل بيت رسول الله ﷺ وكذلك نعترف بفضل أزواجه - رضي الله عنهن - وأنهن أمهات المؤمنين كما وصفهن الله تعالى ورسوله ، ونقول في الجميع خيراً ونبدع ونضلل ونفسق من طعن فيهن أو في واحدة منهن لنصوص الكتاب والسنة في فضلهن ومدحهن والثناء عليهن فمن ذكر خلاف ذلك كان فاسقاً مخالفاً للكتاب والسنة ونعوذ بالله من ذلك "[(٧)].

---

(١) شعب الإيمان ١/٣٦٠ .

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي ، تحقيق : علي بن محمد البجاوي ، ٥٧٣/٢، طبعة دار الكتاب العربي – بيروت .

(٣) مجموع الفتاوى ٤٠٧/٣ .

(٤) هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي ، فقيه شافعي أصولي أديب توفي باسفرائين سنة ٤٢٩هـ . انظر : وفيات الأعيان ٢٠٣/٣ . والأعلام ٤٨/٤ .

(٥) الفرق بين الفرق ، لعبد القاهر بن ظاهر البغدادي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ص ٣٦٠ ، طبعة دار المعرفة – بيروت .

(٦) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلاني توفي في بغداد سنة ٤٠٣هـ . انظر : تاريخ بغداد ٣٧٩/٥-٣٨٣ ، والأعلام لخير الدين بن محمد الزركلي ، ١٤٦/٧ ، طبعة دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة الخامس ، ١٩٨٠م .

(٧) الإنصاف للباقلاني ، ص ١١٢ .

فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة في آل بيت النبي ﷺ وسيرتهم تجاههم .

٢- الصلاة عليهم :

فهي من الحقوق لأهل البيت لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٥٦].

وهذا أمر قد بينه النبي ﷺ لأن الصلاة على آله تبعاً للصلاة عليه ﷺ فقد جاءت عن ابن مسعود الأنصاري ﷺ أنه قال له بشير بن سعد : أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك ؟ قال : فسكت رسول الله ﷺ ، حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله ﷺ: (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، والسلام كما قد علمتم)[١].

وجاء عن أبي حميد الساعدي ﷺ أنهم قالوا : يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ : (قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد) [٢].

قال أهل العلم : " أن هذا الحديث يفسر حديث : (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ..) ويبين أن آل محمد هم أزواجه وذريته " [٣].

فهذه النصوص تدل على مشروعية وكيفية الصلاة على النبي ﷺ وعلى آله وأنها حق لهم دون سائر الأمة بغير خلاف بين الأئمة ، والصلاة على آله ﷺ من تمام الصلاة عليه وتوابعها ، لأن ذلك مما تقر به عينه ويزيده الله بها شرفا وعلوا.

---

(١) رواه مسلم – كتاب الصلاة – باب الصلاة على النبي بعد التشهد ٣٠٥/١ حديث(٤٠٥).

(٢)متفق عليه وتقدم تخريجه ص ٣٠ .

(٣) انظر : التمهيد لابن عبد البر ٣٠٣/١٧ . وأحكام القرآن ٦٢٣/٣ . وفتح الباري ١٦٠/١١ .

المسألة الثانية : الحقوق المالية :

١- تحريم الزكاة والصدقة عليهم :

تقدم أن من آله ﷺ من حرمت عليهم الصدقة ، وقد اختلف العلماء في تحديدهم ومن المراد بهم في الزكاة إلى قولين :

القول الأول :

ذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد في رواية إلى أنهم بنو هاشم فقط وهم : آل علي ، وآل العباس، وآل جعفر ، وآل عقيل ، وآل الحارث بن عبد المطلب ، ولم يدخل فيهم أبو لهب فيجوز الدفع إلى بنيه ، لأن حرمة الصدقة لبني هاشم كرامة من الله تعالى لهم ولذريتهم حيث نصروا النبي ﷺ في جاهليتهم وإسلامهم .

أما أبو لهب فكان حريصاً على أذى رسول الله ﷺ فلم يستحقها بنوه [١].

وقال بعض علماء الحنابلة :" ويدخل فيهم آل أبي لهب لأنهم من سلالة بني هاشم " [٢].

وهو الصحيح – دخول آل أبي لهب – ومعلوم أنه قد اسلم أبناء أبي لهب عتبة ومعتب يوم الفتح وقد سر النبي ﷺ بذلك[٣] .

القول الثاني :

ويرى الشافعي ورواية للإمام أحمد أنهم بنو هاشم وبنو المطلب.

واستدل على ذلك بما يلي :

أ. أن النبي ﷺ أعطى سهم ذوي القربى من الخُمس لبني هاشم وبني المطلب ولم يعط أحداً من قبائل قريش غيرهم .

---

(١) انظر : شرح فتح القدير لابن همام ٢٧٢/٢٢-٢٧٤ . وعمدة القاري للعيني ٣٣٩/٧ . وبلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك لأحمد بن محمد الصاوي ، ٢٣٢/١ ، طبعة دار المعرفة - بيروت ، ١٣٩٨هـ . والمنتقى للباجي ١٥٣/٢ . وجلاء الأفهام لابن القيم ، ص ١٠٩ . ونيل الأوطار للشوكاني ١٧٢/٤ .

(٢) الإنصاف للمرداوي ٢٥٥/٣-٢٥٦ .

(٣) الإصابة ٤٣٣/٣ . وجمهرة أنساب العرب لأبي محمد بن حزم ، ص ٧٢ ، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤٠٣هـ . والتبيين في أنساب القرشيين لموفق الدين عبد الله بن قدامة ، تحقيق وتعليق : محمد نايف الديلمي ، ص ١٤٣ ، طبعة عالم الكتب ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ .

لحديث جبير بن مطعم قال : مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ فقلنا : يا رسول الله أعطيت بني المطلب وتركتنا ونحن وهم منك بمنزلة واحدة ، فقال النبي ﷺ : (إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد) (١) .

يتضح من هذا الحديث أن النبي ﷺ أشرك بني المطلب مع بني هاشم في سهم ذوي القربى ، وهم آله ، فدل على أن بني المطلب آله ﷺ أيضاً وعلى أن الزكاة تحرم عليهم وأن هذه العطية إنما هي عوض عما حرموه من الصدقة .

ب. أن هذا الحكم بمنع الزكاة يتعلق بذوي القربى كاستحقاق الخمس فوجب أن يستوي فيه الهاشمي والمطلبي (٢).

وبعد اتضاح أقوال أهل العلم في تحديد المراد بمن تحرم عليهم الصدقة أعود وأقول : قد اتفقت كلمة الفقهاء على أن الزكاة لا تحل لآل محمد ﷺ إذا أعطوا حقهم من خمس الخمس كما لا تحل له عليه الصلاة والسلام(٣).

فلذلك قال ابن قدامة : (ولا نعلم خلافاً في أن بني هاشم لا تحل لهم الصدقة المفروضة)(٤).

وقال النووي : " إن الزكاة حرام على بني هاشم وبني المطلب بلا خلاف " (٥).

أما الأدلة على هذا الأمر فكثيرة مشهورة ، ومنها :

ما جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الحسن بن علي رضي الله عنهما أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي ﷺ (كخ كخ، ليطرحها ثم قال: أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة؟)(٦).

---

(١) رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح - كتاب فرض الخمس – باب ومن الدليل على أن الخمس للإمام ٢٨١/٦ حديث (٣١٤٠) .

(٢) انظر : الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي ، ٦٩/٢ ، طبعة دار الغد العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ . وأحكام القرآن للشافعي ٧٤/١-٧٧ . ومعالم السنن لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي ، ٧١/٢ ، المكتبة العلمية – بيروت ، ١٤٠١هـ . والمجموع للنووي ٢٤٤/٦ . ونيل الأوطار للشوكاني ٢٧٣/٤.

(٣) التمهيد لابن عبد البر ٩١/٣ .

(٤) المغني ١٠٩/٤ .

(٥) المجموع شرح المهذب ٣٤٥/٦ . وقوله(بلا خلاف) أي في المذهب الشافعي .

(٦) متفق عليه وتقدم تخريجه ص ٢٧ واللفظ للبخاري .

وفي رواية : (أنا لا تحل لنا الصدقة) [1]. وفي رواية (أما علمت أن آل محمد لا يأكلون الصدقة)[2].

ومنها ما جاء عن المطلب بن ربيعة أن رسول الله ﷺ قال : (إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس ، وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد) [3].

قال النووي : " قوله ﷺ (لا تحل لنا الصدقة) ظاهره تحريم صدقة الفرض والتطوع "[4].

أما العلة التي من أجلها حُرمت عليهم الصدقة فقد نص عليها النبي ﷺ في الحديث المتقدم . قال النووي :" قوله ﷺ (إنما هي أوساخ الناس) تنبيه على العلة في تحريمها على بني المطلب وأنها لكرامتهم وتتريههم عن الأوساخ ، ومعنى أوساخ الناس : أنها تطهير لأموالهم ونفوسهم كما قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[سورة التوبة : ١٠٣]. فهي كغسالة الوساخ..."[5].

إذاً لا يجوز بل يحرم على آل محمد ﷺ الأخذ من الزكاة . ولكن استثنى أهل العلم حالة واحدة في جواز دفع الزكاة إليهم وهي إذا لم يعطوا حقهم من خمس الخمس[6] لخلو بيت المال من الفيء أو الغنيمة أو لاستيلاء الظلمة واستبدادهم بهما .

وهذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك :

روي عن الإمام أبي حنيفة أنه يجوز الدفع إلى بني هاشم في زمانه لأن عوضها من الخُمس لم يصل إليهم ، وإذا لم يصل إليهم العوض " الخمس " عادوا إلى المعوض " الزكاة "[7].

---

(١) رواه مسلم وتقدم تخريجه ص ٢٨ .

(٢) رواه البخاري وتقدم تخريجه ص ٢٦-٢٧ .

(٣) صحيح مسلم– كتاب الزكاة ، باب ترك استعمال آل النبي ﷺ على الصدقة ٧٥٤/٢ حديث (١٠٧٢) .

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ١٨٣/٧ .

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي ١٨٣/٧ .

(٦) وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾، [سورة الأنفال : ٤١].

(٧) حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار) لمحمد أمين بن عمر الدمشقي الشهير بابن عابدين ، ٩١/٢ ، طبعة البابي الحلبي ، الطبعة الثانية .

وقال بعض المالكية :" إذا حرموا حقهم من بيت المال وصاروا فقراء جاز أخذهم وإعطاؤهم من الزكاة "(١).

وقال أبو سعيد الاصطخري(٢) من الشافعية : " إن منعوا حقهم من الخمس جاز الدفع إليهم لأنهم إنما حرموا الزكاة لحقهم في خمس الخمس ، فإذا منعوا منه وجب أن يدفع إليهم "(٣).

وقال بعض الحنابلة: "يجوز الأخذ من الزكاة إذا منعوا من خمس الخمس لأنه محل حاجة وضرورة "(٤) ، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية (٥).

٢- استحقاقهم من الخمس :

ومن الحقوق الواجبة لآل البيت : استحقاقهم لخمس الخمس وهو المعروف بسهم ذوي القربى . وهو ثابت بالكتاب والسنة ، وهي :

من الكتاب : قوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم (٦)مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [سورة الأنفال : ٤١].

وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَفَآءَ(٧) ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة الحشر : ٤].

---

(١) بلغة السالك ٢٣٢/١ . حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لمحمد بن أحمد الدسوقي ٤٥٢/١-٤٥٣ ، نشر دار الفكر .

(٢) هو الحسن بن أحمد بن يزيد الاصطخري أبو سعيد فقيه شافعي كان موصوفاً بالزهد والقناعة وله وجه في المذهب ، توفي سنة ٣٢٨هـ .

انظر : شذرات الذهب ٣١٢/٢ .

(٣) المجموع للنووي ٢٤٤/٦-٢٤٦ .

(٤) الإنصاف للمرداوي ٢٥٥/٣ . وكشاف القناع عن متن الإقناع لمنصور بن يونس البهوتي ، ٢٩١/٢ ، نشر عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ .

(٥) انظر : الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية لعلاء الدين أبي الحسن علي بن محمد البعلي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ص ١٠٤ ،نشر دار المعرفة – بيروت . والفتاوى المصرية ، ص ٢٧٧ .

(٦) الغنيمة : ما أخذ بالقهر والقتال من الكفار .

انظر : المغني ٢٨١/٩ . والنهاية في غريب الحديث ٣٨٩/٣ .

(٧) الفيء : ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد .

ومن السنة : ما جاء عن جبير بن مطعم قال : مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ فقلنا : يا رسول الله أعطيت بني المطلب وتركتنا ونحن وهم منك بمنزلة واحدة ، ه فقال رسول الله ﷺ : (إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد) [1].

وما جاء عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : سمعت علياً يقول : (ولاّني رسول الله ﷺ خمس الخمس فوضعته مواضعه حياة رسول الله ﷺ وحياة أبي بكر وحياة عمر ، فأتى بمال فدعاني فقال: خذه فقلت : لا أريده . قال : خذه فأنتم أحق به . قلت: قد استغنينا عنه ، فجعله في بيت المال) [2].

قال الخطابي : " وفي الحديث دليل على ثبوت سهم ذوي القربى لأن عثمان وجبيراً إنما طلباه بالقرابة " [3].

وكون سهم ذوي القربى ثابت بعد موت النبي ﷺ هو قول جمهور العلماء[4]، ومن أنكره" فهو مخالف لظاهر الآية ، فإن الله تعالى سمى لرسوله وقرابته شيئاً وجعل لها في الخمس حقاً، كما سمي الثلاثة الأصناف الباقية ، فمن خالف ذلك فقد خالف نص الكتاب " [5].

وقال ابن حزم في من قال بعدم استحقاق ذوي القربى :" هذه أقوال في غاية الفساد لأنها خلاف القرآن نصاً وخلاف السنن الثابتة "[6].

انظر : المغني ٢٨١/٩ . والنهاية في غريب الحديث ٤٨٢/٣ .

(١) رواه البخاري و تقدم تخريجه ص ٥٤ .

(٢) رواه أبو داود في سننه – كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذي القربى ٣٨٤/٣ حديث (٢٩٨٣) .

ورواه الحاكم في المستدرك ١٤٠/٢ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود، ص ٢٩٤ .

(٣) معالم السنن ٢١/٣ .

(٤) انظر : المحلى لابن حزم ٣٢٩/٧-٣٣٠ . المغني ٢٨٨/٩ . ومعالم السنن ٢٢/٣ .

(٥) المغني لابن قدامة ٢٨٨/٩ .

(٦) المحلى ٣٣٠/٧ .

أما عن كيفية تقسيم سهم ذوي القربى :

فإنه يقسّم على بني هاشم وبني المطلب الذكر والأنثى في ذلك سواء على القول الصحيح خلافاً للشافعي حيث جعله للذكر مثل حظ الأنثيين وهو رواية عند الإمام أحمد ، فهو يقسّم بينهم بالتساوي ، غنيهم وفقيرهم وهذا لعموم قوله تعالى : ﴿ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ وهذا عام لا يجوز تخصيصه بغير دليل [1].

ولأن النبي ﷺ كان يعطي أقاربه كلهم وفيهم الغني كالعباس وغيره و لم ينقل تخصيص الفقراء منهم .

فهذه الحقوق لآل البيت يجب على كل مسلم مراعاتها ومعرفتها واتباع ما أمر به النبي ﷺ تجاهها فضلاً عن محبتهم وتوقيرهم [2].

---

(١) انظر : المغني لابن قدامة ٢٩٤/٩ . وفتح الباري ٢٤٦/٦ .

(٢) النظر مجموع الفتاوى ٤٠٧/٣ .

المسألة الثالثة : شروط استحقاق آل البيت هذه الحقوق :

الحقوق المعنوية والمالية المتقدمة الذكر لآل البيت لا بد لها من شروط تتوافر في مستحقها وهي تتمثل في شرطين أساسيين :

١- الإسلام :

لابد أن يكون مسلماً فالكافر لا يستحق تلك الحقوق ولو ثبت بالنسب أنه من آل البيت كأبي لهب فإنه لم يُعد من آل البيت و لم يكن مستحقاً لتلك الحقوق بسبب كفره .

قال ابن حزم عند ذكره لتقسيم الخمس :" وسهم ثان لبني هاشم والمطلب ابني عبد مناف غنيهم وفقيرهم وذكرهم وأنثاهم ، وصغيرهم وكبيرهم ، وصالحهم وطالحهم فيه سواء ، ولا حظ فيه لمواليهم ... ولا لأحد من خلق الله تعالى سواهم ولا لكافر منهم " (١).

فالكفر إذاً مانع من تلك الحقوق والمراد بالكفر هنا الكفر الأكبر المخرج من الملة أما إذا كان كفراً أصغر فما دونه من الفسق والعصيان فالحقوق المعنوية والمالية لا تسقط بذلك مع مراعاة أن المحبة والموالاة تكون بحسب ما معه من الحق ويعادى بحسب ما معه من الباطل ، على قاعدة الحب في الله والبغض في الله التي مبناها على العدل والإنصاف (٢).

قال شيخ الإسلام عند تفسير سورة تبت : " وليس في القرآن ذم من كفر به ﷺ باسمه إلا هذا وامرأته – يعني أبا لهب – ففيه أن الأنساب لا عبرة لها ، بل صاحب الشرف يكون ذمه على تخلفه عن الواجب أعظم ... " (٣).

وجاء عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال لرجل يغلو فيه : أحبونا لله فإن أطعنا الله فأحبونا وإن عصينا الله فأبغضونا ، فقال له رجل : إنكم ذوو قرابة رسول الله ﷺ وأهل بيته ، فقال : ويحكم لو كان الله نافعاً بقرابة رسول الله ﷺ من غير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا ، والله لأني أخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين (٤).

---

(١) المحلى لابن حزم ٧٢٣/٧ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٢٠٨/٢٨-٢٠٩ .

(٣) مجموع الفتاوى ٦٠٢/١٦ .

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣١٩/٥ . والصواعق المحرقة للهيتمي ، ص ٣٤٦ . وذكره ابن كثير في البداية والنهاية لعماد الدين بن كثير ، تحقيق : عبد الله التركي ، ١٧٨/٩ ، طبعة دار هجر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ .

٢- ثبوت النسب :

هذا هو الشرط الثاني لاستحقاق الحقوق المعنوية والمالية وهو ثبوت الانتساب إلى آل البيت مع الإسلام ، ولا يجوز الانتساب إليه ﷺ إلا بحق وقد جاء الوعيد لمن انتسب إلى غير أبيه أو أدعى قوماً ليس له فيهم نسب .

فقد جاء عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله ﷺ (إن من أعظم الفرى أن يدعى الرجل إلى غير أبيه ...)[١].

وجاء عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : (ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر بالله ومن ادعى قوماً ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار)[٢].

وجاء عن سعد بن أبي وقاص قال : سمعت النبي ﷺ يقول : (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام)[٣].

وقد ذكر القاضي عياض أنه روى عن مالك فيمن انتسب إلى بيت النبي ﷺ أنه يضرب ضرباً وجيعاً ، ويشهر ، ويحبس طويلاً حتى تظهر توبته لأنه استخفاف بحق الرسول ﷺ[٤].

فيما تقدم الوعيد الشديد لمن انتسب إلى غير أبيه أو قوم غير قومه كآل النبي ﷺ ومع هذا فقد كثر في العصور المتأخرة الانتساب إلى آل البيت إما لمطامع دنيوية أو لأجل الكيد للإسلام وأهله كما فعلت الرافضة فإن كتبهم مليئة بذلك حيث اتخذوا آل البيت ستاراً لنشر أفكارهم ومعتقداتهم مع العلم أن هؤلاء وأمثالهم لا حظ لهم في الحقوق المعنوية والمالية الخاصة بآل البيت ولو صح انتسابهم لآل البيت لعدم توافر الشروط اللازمة لذلك كما تقدم .

---

(١) رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب المناقب باب٥ – ٦٢٤/٦ حديث (٣٥٠٩) .

(٢) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح – كتاب المناقب – باب٥ – ٦/ ٦٢٣ حديث (٣٥٠٨) .

وصحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب بيان حال من يرغب عن أبيه وهو يعلم ٧٩/١ ، حديث (٦١) .

(٣) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح – كتاب الفرائض – باب من ادعى إلى غير أبيه ٥٤/١٢ ، حديث (٦٧٦٦)

وصحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب بيان حال من يرغب عن أبيه وهو يعلم ٧٩/١ ، حديث (٦٣) .

(٤) الشفا ١١١٣/٢ .

الفصل الثاني

آل البيت عند المخالفين

وفيه ثلاثة مباحث :

- **المبحث الأول : آل البيت عند الشيعة .**
- **المبحث الثاني : آل البيت عند الخوارج .**
- **المبحث الثالث : آل البيت عند المعتزلة .**

الفصل الثاني

آل البيت عند المخالفين

المبحث الأول : آل البيت عند الشيعة :

وقبل الكلام عن المراد بآل البيت عند الشيعة أبدأ بالتعريف بالشيعة فأقول :

الشيعة في اللغة : شيعة الرجل بالكسر أتباعه وأنصاره ، واسم (شيعة) فهو قديم ، شيعة نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، والأنبياء ، صلوات الله عليهم أجمعين (1).

وأما الشيعة في الاصطلاح : " هم الذين شايعوا علياً على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية إما جلياً وإما خفياً ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده وإن خرجت فبظلم من غيره أو تقية من عنده ، وقالوا ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة بل هي قضية أصولية ، وهي ركن الدين لا يجوز للرسل إغفاله ولا إهماله ولا تفويضه إلى العامة ، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص ، وثبوت العصمة للأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر ، والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حال التقية " (2).

وأما أصول الشيعة : فيقول عنها الأشعري : " مجمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه ، وأظهر ذلك وأعلنه ، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف ، وأنها قرابة ، وأنه جائز للإمام في حال التقية أن يقول إنه ليس بإمام ، وأبطلوا جميع الاجتهاد في الأحكام وزعموا أن الإمام لا يكون إلا أفضل الناس وزعموا أن علياً كان مصيباً في جميع أحواله وأنه لم يخطئ في شيء من أمور الدين "(3).

ومن خلال هذا النص يتضح لنا جملة من الأصول العامة للشيعة ، وهي :

١- الإمامة :

وهي حجر الأساس في المذهب الشيعي وهم يعتقدون أن الخلافة في علي رضي الله عنه نصاً ثم في أولاده.

---

(١) ترتيب القاموس المحيط ٧٨٦/٢ .

(٢) الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق : عبد العزيز الوكيل ، ١٤٦/١ ، طبعة دار الفكر – بيروت .

(٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ٨٩/١ ، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ، ١٣٨٩هـ .

فالإمامة عند الشيعة من أصول الدين ، و مثل النبوة في كل شيء على خلاف في أمر الوحي [1].

يقول الخميني : " الإمامة كانت منذ اليوم الأول وحتى آخر أنفاس رسول الإسلام صنواً للنبوة"[2].

٢- العصمة :

أي عصمة الأئمة من الذنوب صغيرها وكبيرها فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمداً ولا نسياناً ولا لخطأ في التأويل[3].

٣- صفات الله :

كان متقدمو الشيعة يقولون بالتشبيه والتجسيم مثل هشام بن الحكم[4]فقد جاء عنه : أن الخالق جسم طويل عريض عميق كالبلورة أو السبيكة. أما متأخريهم فسلكوا طريق نفي الصفات وتعطيلها.

والعجب أن الشيعة تدعي الاقتداء بأهل البيت مع أن المنقول عن أهل البيت في إثبات الصفات لا يحصى [5].

٤- الرجعة :

وهي عودة الأموات إلى الدنيا قبل القيامة .

يقول موسى الموسوي – وهو من الشيعة - : " الرجعة في المذهب الشيعي أن أئمة الشيعة... سيرجعون إلى هذه الدنيا ليحكموا المجتمع الذي أرسى قواعده بالعدل والقسط الإمام المهدي..."[6].

---

(١) انظر:الشيعة في عقائدهم وأحكامهم للكاظمي القزويني ص ٢٣ – دار الزهراء – بيروت.

والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصر ، ص ٢٩٩ ، طبعة الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الطبعة الثانية .

(٢) كشف الأسرار للخميني ، ترجمة : محمد البنداري ، تقديم : محمد أحمد الخطيب ، ص ١٧٣ ، طبع دار عمار – الأردن، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .

(٣) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار لمحمد باقر المجلسي ، ٢٥/١١ ، طبعة دار إحياء التراث العربي ومؤسسة الوفاء ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣هـ .

(٤) هشام بن الحكم أبو محمد مولى كنده ، تصفه الشيعة بحسن التحقيق والثقة في الرواية ، توفي سنة ١٩٩ هـ .

انظر: رجال النجاشي لأحمد بن علي النجاشي، ص ٤٣٣ ، تحقيق : موسى الزنجاني ، طبعة النشر الإسلامي ، الطبعة الخامسة .

(٥)انظر:الشيعة في عقائدهم وأحكامهم للكاظمي القزويني ص ٢٣ ، ومنهاج السنة لابن تيمية ٩/٣ .

(٦) الشيعة والتصحيح لموسى الموسوي ، ص ١٤١ ، طبعة ١٤٠٨هـ .

وهذه الرجعة تشمل الانتقام من أعداء الأئمة.

وقد حكى المجلسي إجماع الشيعة على هذه العقيدة وعقد لها باباً خاصاً في كتابه بحار الأنوار[1] .

٥- البداء على الله - سبحانه - :

عرفه الأشعري بقوله : "وكل الروافض إلا شرذمة قليلة يزعمون أنه يريد الشيء ثم يبدو له فيه " [2].

والشيعة ترى أن البداء من أعظم ما عُبد الله به ويروون عن أئمتهم عشرات الأحاديث في ذلك [3].

٦- التقية :

وتعني كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه وكتمان المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين والدنيا .

وتذكر الشيعة أن تارك التقية كتارك الصلاة وأنها تسعة أعشار الدين وأنه لا دين لمن لا تقية له والله لا يغفر ترك التقية [4].

٧- البراءة :

والمقصود به عندهم : التبرؤ من الخلفاء الثلاثة ﷺ ونعتهم بأقبح الصفات ، وتكفيرهم بل وتكفير عامة الصحابة ، وكتبهم مليئة بسب الأكابر من الصحابة وأمهات المؤمنين تصريحاً أو تلميحاً [5].

٨- مصحف فاطمة :

جاءت روايات في كتب الشيعة المعتمدة تشير إلى وجود مصحف مغاير للمصحف الذي بين أيدينا يسمونه مصحف فاطمة يعادل فيما يذكرون ثلاثة أضعاف المصحف الذي بين أيدينا [6].

وأما المراد بآل البيت عند الشيعة :

فالناظر في كتب الشيعة يجد اختلافاً عندهم في تحديد المراد بآل البيت وهي مبنية على التفريق من حيث المعنى بين الأهل والآل والعترة عند الإطلاق ، فجمهور الشيعة يقولون أن المراد بأهل البيت أصحاب الكساء الخمسة الذين نزلت فيهم آية التطهير : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٣].

(١) انظر: بحار الأنوار للمجلسي ٩٠/٥٣ .

(٢) مقالات الإسلاميين ١١١/١ .

(٣) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية لناصر بن عبد الله القفاري ، ٩٣٧/٢-٩٣٨ ، طبعة دار الحرمين ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ .

(٤) أصول مذهب الشيعة ٨٠٥/٢-٨٠٧ .

(٥) الموسوعة الميسرة ، ص ٣٠٢-٣٠٣ .

(٦) الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير ، ص ٨١ ، طبعة إدارة ترجمان السنة ، الطبعة الثالثة والعشرين ، ١٤٠٤هـ .

ومنهم من قال الآل : هم ذرية محمد ﷺ .

والأهل : هم الأئمة الاثنا عشر (1).

ومنهم من لم يفرق بين الأهل والآل فقالوا أنهما بمعنى واحد وهم أصحاب الكساء (2).

وأما العترة فقال المفيد (3) : " إن المراد بها جميع بني هاشم وحكى الإجماع على ذلك بين الشيعة(4) .

ولكن هذا الإجماع الذي حكاه المفيد غير صحيح وذلك أنا نجد من يحصر العترة في أصحاب الكساء كما نص على ذلك القمي (5) حيث قال : " ... وعترته أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً "(6).

ومنهم من قال غير ذلك (7).

فهذا ما ورد في كتب الشيعة في بيان تعريف آل البيت وأهل البيت والعترة .

وبعد النظر فيها أخلص إلى أن المراد بآل البيت عند الشيعة : أنهم أصحاب الكساء ويلحق بهم الأئمة التسعة لأنه لا فرق بين تلك التعاريف لأن من ذكر أن المراد بهم ذرية محمد ﷺ نجده أنه حصرها في فاطمة وبنيها دون غيرها ، وأما من قال : أن المراد بالأهل هم الأئمة الاثنا عشر

---

(1) المقالات والفرق لسعد بن عبد الله القمي ، ص ١٤١ ، نشر مؤسسة مطبوعاتي عطائي – طهران ، ١٩٦٣م .

(2) انظر : الصوارم المهرقة في نقد الصواعق المحرقة للتستري ، ص ١٤٥ ، طبعة كتاب جان خانة ، شركت سهامي – إيران ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٧هـ . والشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنية ، ص ٤٤٧ ، دار التعاون للمطبوعات – بيروت.

(3) هو محمد بن محمد النعمان المشهور بالمفيد ، توفي سنة ٤١٣هـ ، أجمع الرافضة على توثيقه .

انظر : فهرست أسماء مصنفي الشيعة لأبي العباس أحمد بن علي النجاشي ، تحقيق : محمد جواد النائيني ، ص ٢٨٣-٢٨٧، طبعة مكتبة الدواري – إيران . والفهرست لمحمد بن الحسن الطوسي ، ص ١٥٧-١٥٨ ، منشورات المكتبة المرتضوية – النجف – العراق ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣هـ .

(4) الثقلان الكتاب والعترة للمفيد ، ص ١٠، نشر مكتبة دار الكتب التجارية – النجف – العراق .

(5) هو محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه – أبو جعفر القمي المعروف بالصدوق ، توفي سنة ٣١٨هـ ، أجمع الرافضة على توثيقه .

انظر : الفهرست للطوسي ، ص ١٧٥-١٧٩ . وأعيان الشيعة لمحسن الأمين العاملي ١٠٤/١، مطبعة زيدون – سوريا – دمشق ١٣٥٣هـ .

(6) معاني الأخبار للقمي ، ص ٩٤ ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية – إيران ، ١٣٧٩هـ .

(7) بحار الأنوار للمجلسي ١٤٧/٢٣ . ومنار الهدى في النص على إمامة الأئمة الاثنى عشر لعلي بن عبد الله البحراني ، تحقيق وتعليق : عبد الزهراء الخطيب ، ص ٥٧١-٥٧٢ ، دار المنتظر - بيروت ، الطبعة الأولى .

فكما هو معلوم أنهم من ولد الحسين ﷺ فهم تبع له إذاً. وأما ما حكاه المفيد عن معنى العترة والإجماع في ذلك فقد تبين عدم صحة ذلك الإجماع لوجود ما ينقضه .

فتبين أن المراد بالآل والأهل والعترة عندهم هم أصحاب الكساء ويلحق بهم الأئمة من ولد الحسين رضي الله عن الجميع .

ونأخذ مما تقدم أن الشيعة لا يرون دخول أزواج النبي ﷺ ضمن آل البيت وفي ذلك يقول المجلسي : " فقد ظهر من تلك الأخبار المتواترة من الجانبين بطلان القول بأن أزواج النبي ﷺ داخلة في الآية ... "[(١)] .

وقد استدل الشيعة على حصر آل البيت فيما تقدم وعدم دخول الأزواج فيهم بما يلي :

أولاً : استدلوا بآية التطهير :﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٣].

وفسروها بحديث الكساء الذي نص على الرسول ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ [(٢)]. ثم قالوا في الآية :

ويؤيد ذلك : أن الخطاب في قوله تعالى (عنكم) (ويطهركم) بالجمع المذكر فهو يدل على أن الآية في حق غير زوجات النبي ﷺ وإلا فسياق الآيات يقتضي التعبير بخطاب الجمع المؤنث أي (عنكن) (ويطهركن) فالعدول عنها إلى الخطاب بالجمع المذكر يشهد بأن المراد من أهل البيت غير الزوجات [(٣)].

وأجيب عن ذلك بما يلي :

١- لا ينكر أنه ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ أدار الكساء على علي وفاطمة والحسن والحسين ثم قال : (اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) [(٤)].

---

(١) بحار الأنوار ٣٣٣/٣٥ .

(٢) رواه مسلم تقدم تخريجه ص ٤٥ .

(٣) انظر : تفسير القمي لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي ، ١٩٣/٢ ، مطبعة النجف ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٧هـ . ومجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ١٣٩/٢٢ ، طبع العرفان ، صيدا لبنان ، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي – النجف ، ١٤٠٣هـ ، وبحار الأنوار ٢٣٣/٣٥

(٤) رواه مسلم تقدم تخريجه ص ٤٥ .

لكن لا دليل فيه على تخصيص الآية أو أن الحديث مخصص لآل البيت في هؤلاء فحسب "بل يدخل في آله ﷺ جميع بني هاشم كالعباس وولده ، والحارث بن عبد المطلب وولده ، وسائر بني أبي طالب وغيرهم وكبنات النبي ﷺ زوجتي عثمان رقية وأم كلثوم وابنته زينب وعلي وفاطمة والحسن والحسين أصحاب الكساء من أهل البيت بلا ريب "(١).

كما يدخل في ذلك أزواجه ﷺ وهذا ما دل عليه سياق وسباق آية التطهير "فالخطاب كله لأزواج النبي ﷺ ومعهن الأمر والنهي والوعد والوعيد ، ولكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بهذا الخطاب وغيره ، وليس مختصاً بأزواجه ، بل هو متناول لأهل البيت كلهم ، وعلي وفاطمة والحسن والحسين أخص من غيرهم بذلك ، لذلك خصهم النبي ﷺ بالدعاء لهم" (٢).

قال ابن كثير في النص على دخول الأزواج في آية التطهير" ثم الذي لا يشك من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا ﴾[سورة الأحزاب : ٣٣].

فإن سياق الكلام معهن ولهذا قال بعد هذا كله :﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٤] "(٣).

٢- أما ما زعموه من أن التذكير في قوله تعالى : (عنكم) (ويطهركم) يمنع من دخول أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – في جملة أهل البيت فباطل مردود وذلك أنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث في جملة غُلّب المذكر ، والآية عامة في جميع آل البيت فناسب أن يعبر عنهم بصيغة المذكر .

(١) منهاج السنة لابن تيمية ٧/٢٣٩-٢٤٠ .
(٢) منهاج السنة لابن تيمية ٧/٧٤ .
(٣) تفسير القرآن العظيم ٣/٤٨٦ .

قال القرطبي في آية التطهير :" والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم ، وإنما قال (ويطهركم) لأن رسول الله ﷺ وعلياً وحسناً وحسيناً كان فيهم وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت لأن الآية فيهن والمخاطبة لهن ، يدل عليه سياق الآية "(١).

قال شيخ الإسلام بعد ذكره للآيات الواردة في أمهات المؤمنين : " وهذا السياق يدل على أن أزواج النبي ﷺ من أهل بيته ، فإن السياق إنما هو في مخاطبتهن ويدل على أن قوله تعالى : ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ عم غير أزواجه ، كعلي وفاطمة وحسن وحسين ﵃ لأنه ذكر بصيغة التذكير لما اجتمع المذكر والمؤنث ، وهؤلاء خصوا بكونهم من أهل البيت من أزواجه ، فلهذا خصهم بالدعاء لما أدخلهم في الكساء "(٢).

ثانياً : واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [سورة الشورى: ٢٣]، وأن المراد بالقربى علي وفاطمة وابناهما ﵃ (٣) ، واستدلوا على هذا التفسير بما رواه ابن أبي الحديد (٤) أن النبي ﷺ قال : (قدموا قريشاً ولا تقدموها) ثم قال : (أيها الناس أوصيكم بحب ذي قرباها أخي وابن عمي علي بن أبي طالب) (٥).

---

(١) تفسير القرطبي ١١٩/١٤ .

(٢) منهاج السنة ٢٣/٤-٢٤ .

(٣) انظر : الإسلام وأسس التشريع ، ص ٨٦-٨٧ . وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، ١٧٢/٩ ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٧هـ .

(٤) هو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المعتزلي ، توفي سنة ٦٥٥هـ ، كان عالماً بالأدب مائلاً إليه له كتاب شرح نهج البلاغة . انظر : الذريعة إلى تصانيف الشيعة لأغا برزك الطهراني ، ١٥٨/١٤-١٥٩ ، طبعة دار الأضواء – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣هـ . والأعلام ٢٨٩/٣ .

(٥) سيأتي الكلام عن الحديث .

وأجيب عن ذلك بما يلي :

١- هذه الآية في سورة الشورى وهي مكية باتفاق أهل السنة [1]، ومعلوم أن علياً إنما تزوج فاطمة في المدينة بعد غزوة بدر والحسن ولد في السنة الثانية من الهجرة والحسين في السنة الرابعة فتكون هذه الآية قد نزلت قبل وجود الحسن والحسين بعدة سنين فكيف يفسّر النبي ﷺ بوجوب مودة قرابة لم توجد و لم تخلق بعد [2].

٢- التفسير الذي ذكره الشيعة للآية يناقض ما جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ فقال سعيد بن جبير : قربى آل محمد ﷺ ، فقال ابن عباس : عجلت، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة[3].

قال شيخ الإسلام :" فهذا ابن عباس ترجمان القرآن ، وأعلم أهل البيت بعد علي ، يقول ليس معناها : مودة ذوي القربى ، لكن معناها : لا أسألكم يا معشر العرب ويا معشر قريش عليه أجراً ، ولكن أسألكم أن تصلوا القرابة التي بيني وبينكم ، فهو سأل الناس الذين أرسل إليهم أولاً أن يصلوا رحمه ، فلا يعتدوا عليه حتى يبلغ رسالة ربه"[4].

٣- أما الحديث الذي جعلوه مفسراً للآية : فهو مكذوب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث كما نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقال ابن حجر : إسناده ضعيف ، وهو ساقط لمخالفته الحديث الصحيح ، يعني حديث ابن عباس رضي الله عنهما المتقدم ذكره[5].

وبهذا يتبين بطلان الاستدلال بهذه الآية على حصر آل البيت بما ذكروه وإخراج زوجات النبي ﷺ من آله ﷺ.

---

(١) تفسير البغوي (معالم التنزيل) لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، ١١٩/٤ ، طبعة دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ .

(٢) منهاج السنة ٩٩/٧ .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح – كتاب التفسير – باب (إلا المودة في القربى) ٤٢٦/٨ حديث (٤٨١٨) .

(٤) منهاج السنة ٩٩/٧ .

(٥) فتح الباري ٥٦٤/٨ .

ثالثاً : وأخيراً استدلوا بآية المباهلة وهي قول الله تعالى ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٦١]، حيث نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ أجمعين هم آله[١].

وأجيب عنها بما يلي :

ليس فيها دليل على حصر آل البيت فيهم بل المراد منها الأقربون وذلك أن المباهلة إنما تحصل بالأقربين إليه فلو بأهلهم بالأبعدين في النسب وإن كانوا أفضل عند الله لم يحصل المقصود فإن المراد أنهم يدعون الأقربين كما يدعو هو الأقرب إليه .

والناظر في الآية يرى أن المراد منها التجانس في القرابة فقط لأنه قال : ﴿ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ﴾ فذكر الأولاد وذكر النساء والرجال فعلم أنه أراد الأقربين إلينا من الذكور والإناث ومن الأولاد والعصبة ولهذا دعا الحسن والحسين من الأبناء ودعا فاطمة من النساء ودعا علياً من رجاله ولم يكن عنده أحد أقرب إليه نسباً من هؤلاء وهم الذين دار عليهم الكساء [٢].

ومما يبين ذلك أيضاً كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية أن قوله ﴿نِسَاءَنَا﴾ لا تختص بفاطمة بل من دعاه من بناته كانت بمنزلتها في ذلك لكن لم يكن عنده إذ ذاك إلا فاطمة فإن رقية وأم كلثوم كانتا قد توفيتا قبل ذلك [٣].

فعلم من ذلك أن الحصر ليس مراداً وتبين بطلان هذا الاستدلال .

فعلم مما تقدم أن إنكار الشيعة دخول أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – ضمن آل البيت أنه قول منكر مردود لغة وشرعاً لأنه تقدم الكلام أن اللغة دلت على أن لفظة الأهل تطلق على الزوجة ، فيقال : أهل فلان : أي زوجه ، ويقال : أهلك الله في الجنة : أي أدخلك الجنة وزوجك فيها، والتأهل التزوج [٤].

(١) انظر : بحار الأنوار ٢٧/٣٥ . والإسلام وأسس التشريع ، ص ٨٧ .

(٢) انظر منهاج السنة لابن تيمية ١٢٥/٧ .

(٣) المرجع السابق ١٢٩/٧ .

(٤) لسان العرب ٢٨/١ . وقد تقدم الكلام عن هذا في المبحث الأول من الفصل الأول .

وأنه جاء في كتاب الله العزيز إطلاق الأهل على الزوجة كقوله تعالى في قصة الخليل عليه السلام لما جاءته رسل الله بالبشرى ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [سورة هود : ٧٣].

فالمخاطب سارة زوج الخليل عليه السلام . وقد نص على ذلك الشيعة في تفاسيرهم [١].

فبطل قولهم لغةً وشرعاً . والله أعلم .

---

(١) انظر : مجمع البيان للطبرسي ١٨٠/٣ ، ومنهج الصادقين في إلزام المخالفين لمحمد بن المرتضى الملقب بالفيض الكاشاني، ٤٩٣/٤ . وتفسير القمي ١٣٩/٢ .

المبحث الثاني : آل البيت عند الخوارج :

وأبدأ بالتعريف بالخوارج :

لقد عرف أصحاب كتب المقالات والفرق الخوارج بعدة تعاريف وهي متقاربة في مضمونها :

فقد ذكر الأشعري أن الخوارج : اسم يقع على طائفة معينة وهم الخارجون على علي بن أبي طالب ﷺ وأن هذا الخروج هو السبب في تسميتهم بهذا الاسم فقال : " والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب لما حكم "(١). كما نص على ذلك غير الأشعري كذلك (٢).

أما الشهرستاني فقد عرفهم بتعريف أعم إذ اعتبر الخروج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمن كان فقال : " الخوارج : كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان "(٣).

وأخيراً نجد ابن حزم قد بين أن اسم الخارجي يتعدى إلى كل من أشبه أولئك النفر الذين خرجوا على علي ﷺ أو شاركهم في الآراء والمعتقد فقال : " ومن وافق الخوارج من إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي ، وإن خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجياً "(٤).

والراجح من هذه الأقوال ما قاله الشهرستاني لأنه يعم ويجمع هذه الفرقة في كل عصر ومصر وكل زمان ومكان .

أما قول ابن حزم أن من قال :" أن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي" .

---

(١) مقالات الإسلاميين ٢٠٧/١ .

(٢) كالبغدادي في الفرق بين الفرق ، ص ٧٣-٧٤ . والسكسكي في البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان لأبي الفضل عباس بن منصور السكسكي ، تحقيق : بسام علي العموش ، ص ١٧ ، طبعة مكتبة المنار – الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .

(٣) الملل والنحل ١١٤/١ .

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١١٣/٢ .

فلا يصح لأن الأحاديث الدالة على أن الخلافة في قريش محمولة على ما إذا كانت الخلافة باختيار ، أما إذا كان هناك رجل قاتل الناس وتغلب عليهم بالقهر والقوة وخضعوا له فإنه تجب طاعته سواء كان قرشياً أو غير قرشي ، وسواء كان براً أو فاجراً ، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة ، حيث لا يجوز الخروج عليه بعد استتباب الأمر له .

قال الإمام أحمد :" ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسُمي أمير المؤمنين ، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً ، براً كان أو فاجراً" (١).

وقال ابن حجر :" قال ابن بطال : أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلّب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه"(٢).

وقال محمد بن عبد الوهاب :" الأئمة مجمعون من كل مذهب على أن من تغلّب على بلد أو بلدان ، له حكم الإمام من جميع الأشياء "(٣).

وقال محمد بن عثيمين :" فلو فُرض أن السلطان غلب الناس واستولى وسيطر ، وليس من العرب ، بل كان عبداً حبشياً ، فعلينا أن نسمع ونطيع "(٤).

مع العلم أن الأصل في تولي الحكم والخلافة عند أهل السنة إما أن يكون بالشورى ، وإما أن يكون بالاستخلاف . أما من أخذها بالغلبة والقوة فقد سبق بيان حكمه .

أما من ناحية نظرة الخوارج لآل البيت ومعتقدهم فيهم: فقد نص أصحاب كتب الفرق والمقالات على أن الخوارج من المبغضين لعلي بن أبي طالب وبنيه ﷺ أجمعين بل ومن المكفرين لهم وهم من أكابر آل البيت .

وانفرد فرقة الشبيبة من بين فرق الخوارج الذين هم أتباع شبيب بن يزيد الخارجي انفردوا في الطعن بأم المؤمنين عائشة ﵂ عندما أنكروا عليها خروجها إلى البصرة وزعموا أنها كفرت بمخالفتها قول الله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٣](٥).

---

(١) انظر : طبقات الحنابلة لأبي يعلى ١/٢٤١، ٢٤٦ .

(٢) انظر : فتح الباري ١٣/٩ .

(٣) انظر : الدرر السنية ٧/٢٣٩ .

(٤) انظر : شرح رياض الصالحين ٦/٣٨٥ .

وللاستزادة انظر : الأحكام السلطانية لأبي يعلى ، ص ٢٣ ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، والاعتصام للشاطبي ٢/٦٢٦ ، تحقيق : عيد الهلالي .

(٥) انظر : مقالات الإسلاميين ١/١٧٥-١٧٦ . والفرق بين الفرق ، ص ١٠٩-١١٣ . والملل والنحل ١/١٢٨-١٣١.

إذاً فالخوارج من أعداء أهل البيت لقدحهم في أكابرهم وقد وقع الإجماع منهم على هذا المعتقد وفي ذلك يقول الشهرستاني بعد تعداده لأكبر فرق الخوارج " ويجمعهم القول بالتبرؤ من عثمان وعلي رضي الله عنهما ويقدمون ذلك على كل طاعة " [١].

ويقول الأشعري : " أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب – رضوان الله عليه"[٢].

وقد نص أيضاً على أن الخوارج مجمعون على إكفار علي بن أبي طالب رضي الله عنه البغدادي[٣]، والرازي [٤]، وابن حجر [٥]، وغيرهم .

ومما يدل على هذا المعتقد ما جاء في الخطب والرسائل التي صدرت من رؤساء فرقهم بحث أنصارهم أو الرد على مخالفيهم ومنها :

ما كتبه عبد الله بن وهب الراسبي [٦]، وأصحابه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه رداً على دعوته لهم للإقبال إليه فقالوا : " أما بعد : فإنك لم تغضب لربك ولكن غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك أنك كفرت فيما كان من تحكيمك واستأنفت التوبة والإيمان نظرنا فيما سألتنا من الرجوع إليك ، وإن تكن الأخرى فإننا بذلك على سواء ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ [سورة يوسف : ٥٢]"[٧].

وجاء عن نافع بن الأزرق [٨]،وأصحابه عند ذهابهم إلى مكة ومقابلة عبد الله بن الزبير إذ تناظروا فيما بينهم ، فقالوا : ندخل إلى هذا الرجل فننظر ما عنده فإن قدم أبا بكر وعمر

---

(١) الملل والنحل ١/١١٥ .

(٢) مقالات الإسلاميين ١/١٧٦ .

(٣) انظر : الفرق بين الفرق ، ص ٧٣ .

(٤) انظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لمحمد بن عمر الرازي ، مراجعة : علي سامي النشار ، ص ٤٦ ، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤٠٢هـ .

(٥) انظر : هدى الساري مقدمة فتح الباري ، ص ٤٥٩ .

(٦) هو عبد الله بن وهب الراسبي من الأزد من أئمة الإباضية ، كان ممن قاتل علياً في النهروان ، وقتل فيها عام ٣٨هـ . انظر : الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ٢/١١٩ ، طبعة دار النهضة – القاهرة . والفرق بين الفرق ، ص ٧٥-٧٦ .

(٧) الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير ٣/٣٣٩ ، طبعة دار صادر – بيروت . وتاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ٣/١١٧، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ.

(٨) أبو رشاد نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الحروري من رؤساء الخوارج في البصرة ، قتل سنة ٦٥هـ ، وإليه تنسب فرقة الأزارقة .

انظر : الكامل للمبرد ٢/١٧١ . والفرق بين الفرق ، ص ٨٢-٨٣ . والملل والنحل ، ص ١١٨-١١٩.

وبرئ من عثمان وعلي وكفر أباه وطلحة بايعناه ، وإن تكن الأخرى ظهر لنا ما عنده فتشاغلنا بما يجدي علينا ... " [(1)].

ومما يؤكد هذا المعتقد ما ورد في الرسالة التي يقال إن ابن أباض [(2)] بعث بها إلى عبد الملك بن مروان وفيها يصف سلفه من الخوارج إذ قال : " بأنهم أصحاب عثمان الذين أنكروا عليه ما حدث من تغيير السنة وفارقوه حين أحدث ما أحدث وترك حكم الله وفارقوه حين عصى ربه، وهم أصحاب علي بن أبي طالب حتى حكم عمرو بن العاص وترك حكم الله وأنكروا عليه وفارقوه فيه وأبوا أن يقروا الحكم لبشر دون حكم الله ، فهم لمن بعدهم أشد عداوة وأشد مفارقة وكانوا يتولون في دينهم وسنتهم رسول ﷺ وأبا بكر وعمر بن الخطاب ويدعون إلى سبيلهم ويرضون بسنتهم ، على ذلك كانوا يخرجون وإليه يدعون وعليه يتفارقون، فهذا خبر الخوارج نشهد الله والملائكة إنا لمن عاداهم أعداء وإنا لمن والاهم أولياء بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا ... غير أنا نبرأ إلى الله من ابن الأزرق وأتباعه من الناس ... " [(3)].

وهذا هو معتقد الإباضية إلى يومنا هذا وفي ذلك يقول صاحب كتاب الكشف والبيان عن الحسن رضي الله عنه وولايته : " وباع الحسن الآخرة بالدنيا وقد قال تعالى :﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [سورة هود : ١١٣]"[(4)].

فهذه عقيد الخوارج في أئمة آل البيت وبها يتبين صدق ما ذكره أصحاب كتب الفرق والمقالات فيما نسبوه للخوارج كلهم أو بعض فرقهم من تكفير بعض آل بيت النبي ﷺ .

فأي عداء أشد و أعظم من هذا وأي تفريط وجفاء في حقهم رضي الله عنهم.

وسيأتي بيان بطلان ذلك عند مناقشة الشبه والإدعاءات التي جعلوها سبباً ومطية لهذا القول في باب مستقل إن شاء الله تعالى .

---

(١) الكامل للمبرد ٣/٢٧٧-٢٧٨ . وتاريخ الطبري ٣/٣٩٨ .

(٢) عبد الله بن أباض بن تميم اللات بن ثعلبة التميمي ، اختلف المؤرخون وأصحاب الفرق في هويته وسيرته وتاريخ وفاته وهو الذي تنسب إليه الإباضية كما ذكر أصحاب المقالات .

انظر : الملل والنحل ، ص ١٣٤ . وتاريخ الطبري ٣/٣٩٨-٣٩٩ . والأعلام ٤/٣٦ .

(٣) العقود الدرية في أصول الإباضية لسالم بن حمد الإباضي ، ص ٣٥ ، طبعة دار اليقظة العربية – سوريا. وانظر : دراسات إسلامية في الأصول الإباضية لبكير بن سعيد أعوشت ، ص ١٩، طبعة دار التضامن القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ .

(٤) الكشف والبيان للقلهاني ، ص ٨٩ .

المبحث الثالث : آل البيت عند المعتزلة :

وأبدأ بالتعريف بالمعتزلة :

المعتزلة في اللغة : الاعتزال في اللغة لفظ يدل على التنحية والانفراد والانقطاع[1] .

المعتزلة في الاصطلاح : فرقة من القدرية خالفوا قول الأمة في مسألة مرتكب الكبيرة بزعامة واصل بن عطاء[2] وعمرو بن عبيد[3] .

وسبب تسميتهم بهذا الاسم (على الصحيح) : اعتزال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد مجلس الحسن البصري .

يروى أنه دخل رجل على الحسن البصري فقال : يا إمام الدين لقد ظهر في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفرٌ يخرج به من الملة وهم وعيدية الخوارج ، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهم مرجئة الأمة[4] ، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً ؟

فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء : أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ، ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن .

---

(١) تاج العروس للسيد مرتضى الزبيدي ، ٨/١٤-١٥ ، المطبعة الخيرية ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٠٦هـ .

(٢) واصل بن عطاء الغزال ، أبو حذيفة ، رأس المعتزلة وداعيهم إلى بدعتهم ، وإليه تنسب الطائفة الواصلية من المعتزلة ، كان تلميذاً للحسن البصري .

انظر : وفيات الأعيان ٧/٦ ، والفرق بين الفرق ، ص ١١٧ ، والملل والنحل ٤٦/١ ، وسير أعلام النبلاء ٤٦٤/٥ .

(٣) أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب البصري المعتزلي القدري ، شيخ المعتزلة في وقته وإليه تنسب الطائفة العمروية من المعتزلة ، عاصر واصل بن عطاء وانضم إليه وآزره فأعجب واصل به وزوجته أخته ، وقد أصبح شيخ المعتزلة بعد واصل ، توفي سنة ١٤٤هـ .

انظر : ميزان الاعتدال ٢٧٣/٣ . ومروج الذهب ٣١٤/٣ . والفرق بين الفرق ، ص ١٢٠ . وطبقات المعتزلة لأحمد بن يحيى بن المرتضى ، تحقيق : سوسنة ديفلد فلزر ، ص ٣٥-٤١ ، بيروت ، ١٣٨٠هـ .

(٤) سيأتي التعريف بالمرجئة ص ٤٥٨.

فقال الحسن : اعتزل عنا واصل . وتابعه على ذلك عمرو بن عبيد فسميا هما وأصحابهما معتزلة[1] .

قال عمر بن عبيد :" وقد جرت بين واصل بن عطاء وبين عمرو بن عبيد مناظرة في هذا – أي في مسألة صاحب الكبيرة – فرجع عمرو بن عبيد إلى مذهبه وترك حلقة الحسن واعتزل جانباً فسموه معتزلياً ، وهذا أصل تلقيب أهل العدل بالمعتزلة "[2] .

وفرق المعتزلة تجتمع على أصول خمسة :

١- المترلة بين المترلتين : وهو قولهم بأن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر بل مترلة بينهما.

٢- التوحيد : ويقصدون به نفي صفات الله تعالى .

٣- العدل : ويقصدون به نفي القدر .

٤- الوعيد (أو إنفاذ الوعيد) : وهو زعمهم أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار إذا مات على كبيرته .

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ويقصدون به الخروج على ولاة الأمور .

أما عن موقفهم من آل البيت :

فإنه لم يتورع بعض أئمة المعتزلة وكبرائهم من الوقوع ونصب العداء لبعض الصحابة ﵃ والنيل منهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " والمعتزلة أيضاً تفسق من الصحابة والتابعين طوائف وتطعن في كثير منهم وفيما رووه من الأحاديث التي تخالف آراءهم وأهواءهم بل تكفر أيضاً من يخالف أصولهم التي انتحلوها من السلف والخلف "[3].

وعلى رأس من قدحت فيهم من الصحابة علي بن أبي طالب ﵁ ، ولذلك عدوا من أهل العداء لآل البيت ﵃ من هذا الوجه .

---

(١) انظر : الملل والنحل ٤٨/١ . ومروج الذهب ٢٣٥/٣ . ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٨٢/٣-١٨٣ وكذلك ٤٨٤/٧ وكذلك ٢٢٨/٨ .

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عياض عبد الجبار ، تحقيق : عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة – القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٤هـ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٥٤/٤ .

ومن ذلك قول كبيرهم ومؤسس مذهبهم واصل بن عطاء بفسق أحد الفريقين من أصحاب الجمل وصفين .

وكان يتوقف في عدالة أهل الجمل ويقول : " إحدى الطائفتين فسقت لا بعينها فلو شهدت عندي عائشة وعلي وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادهم "[1].

وقال الإسفرائيني بعد ذكره لافتراق المسلمين في علي وأصحابه وفي أصحاب الجمل إلى فريقين: " ثم أن واصل بن عطاء خالف الفريقين وزعم أن فريقي حرب الجمل كانوا فساقاً لا بعينه ، ورتب على هذا فقال : لو شهد عندي رجل من هذا العسكر ورجل من ذلك العسكر لم أقبل .

فقيل له : شهد من هذا العسكر علي والحسن والحسين وابن عباس وعمار بن ياسر ﷺ ومن ذلك العسكر عائشة وطلحة والزبير ، هل تقبل شهادهم ؟

فقال لو شهدوا جميعهم على باقة بقل لم أقبل.

هذا قول شيخ المعتزلة الذي به يفتخرون في أعلام الدين وأعيان الصحابة "[2].

ووافق واصلاً على هذا المعتقد تلميذه عمرو بن عبيد ، فقال : " لو أن علياً وطلحة والزبير شهدوا عندي على شراك نعل ما أجزته ".

وفي رواية : " والله لو شهد عندي علي وعثمان وطلحة والزبير على سواك ما أجزته "[3].

بل زاد عمرو بن عبيد على شيخه فقطع بتفسيق الفريقين جميعاً.

---

(١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال لمحمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : علي بن محمد البجاوي ، ٣٢٩/٤ ، طبعة دار المعرفة – بيروت.

(٢) التبصرة في الدين لأبي المظفر الإسفراييني ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، ص ٦٨-٦٩ ، طبعة عالم الكتب – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ .

(٣) تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، ١٧٨/١٢ ، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت . وانظر ميزان الاعتدال ٢٧٥/٣ .

فقد قال الشهرستاني فيما نقله عن عمرو بن عبيد أنه قال(لو شهد رجل من أحد الفريقين مثل علي ورجل من عسكره ، أو طلحة والزبير لم تقبل شهادتهما " .

ثم قال : " وفيه تفسيق الفريقين وكونهما من أهل النار " [١].

وعلى هذا المعتقد رؤوس المعتزلة متقدموهم ومتأخروهم كضرار [٢]، وأبي الهذيل [٣]، ومعمر[٤]، والنظام [٥]، والجاحظ[٦].

بهذا تبين أن كبار المعتزلة من أعداء أئمة آل البيت وسيأتي بيان بطلان هذا المعتقد عند الرد على الشبه وتقرير المعتقد الصحيح في باب مستقل إن شاء الله .

---

(١) الملل والنحل ، ص ٤٩ .

(٢) ضرار بن عمرو القاضي ، معتزلي جلد ، ظهر في أيام واصل وإليه تنسب فرق الضرارية .

انظر : ميزان الاعتدال ٣٢٨/٢ . والملل والنحل ٩٠/١ . والفرق بين الفرق ، ص ٢١٣ .

(٣) محمد بن الهذيل البصري ، العلاف ، من أئمة المعتزلة ، اختلف في وفاته فقيل سنة ٢٣٠هـ وقيل ٢٣٥هـ وقيل ٢٣٧هـ .

انظر تاريخ بغداد ٣٦٦/٣ وطبقات المعتزلة ، ص ٤٤-٤٨ . والفرق بين الفرق ، ص ١٢١-١٢٢ .

(٤) معمر بن عباد السلمي ، من غلاة المعتزلة ، شيخ بشر بن المعتمر توفي سنة ٢١٥هـ .

انظر طبقات المعتزلة ، ص ٥٤-٥٦ . والفرق بين الفرق ، ص ١٥١ . والملل والنحل ، ص ٦٥ .

(٥) أبو إسحاق إبراهيم بن يسار المعروف بالنظام ، من أذكياء المعتزلة له أقوال قبيحة وشنيعة توفي ما بين سنة ٢٢١ هـ وسنة ٢٢٣هـ .

انظر : تاريخ بغداد ٩٧/٦ . والفرق بين الفرق ، ص ١٣١ . والملل والنحل ، ص ٥٣-٥٤ .

(٦) أبو عثمان عمر بن بحر الكناني الشهير بالجاحظ ، كان بحراً من بحور العلم من رؤوس المعتزلة ، روج لأفكار الفلاسفة بحسن عباراته ، توفي سنة ٢٥٠هـ وقيل ٢٥٥هـ .

انظر : تاريخ بغداد ٢١٢/١٢ ، وطبقات المعتزلة ، ص ٦٧ ، والملل والنحل ، ص ٧٥ . والفرق بين الفرق ، ص ١٧٥.

الباب الثاني

سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعلمها.

وفيه فصلان :

الفصل الأول

حياة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

الفصل الثاني

علم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

الفصل الأول

حياة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

وفيه عشرة مباحث :

- **المبحث الأول : مولدها .**
- **المبحث الثاني : اسمها .**
- **المبحث الثالث : كنيتها .**
- **المبحث الرابع : ألقابها .**
- **المبحث الخامس : نسبها .**
- **المبحث السادس : نشأتها .**
- **المبحث السابع : صفاتها الشخصية .**
- **المبحث الثامن : والداها .**
- **المبحث التاسع : زواجها من النبي ﷺ.**
- **المبحث العاشر : وفاتها .**

الفصل الأول

حياة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

المبحث الأول : مولدها :

ولدت عائشة رضي الله عنها في مكة في بيت الصدق والإيمان فهي ممن ولدن في الإسلام في السنة الرابعة بعد البعثة وقيل الخامسة فهي أصغر من فاطمة بنت النبي ﷺ بثمان سنوات وقيل خمس . وكانت تقول : (لم أعقل أبويّ إلا وهما يدينان الدين) ، ولقد ذكرت عن نفسها أنها لحقت بمكة سائس[١] الفيل شيخاً أعمى يستعطي [٢].

ومعلوم أن قصة أصحاب الفيل كانت سنة ٥٧١م تقريباً وهو العام الذي ولد فيه المصطفى ﷺ فيكون مولد عائشة رضي الله عنها بعد ذلك بأربعة وأربعين سنة تقريباً وهو ما يقارب عام ٦١٥م .

---

(١) سائس : قائد . لسان العرب ، مادة (سوس)

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء ١٣٩/٢ ، والإصابة ٣٥٩/٤ ، والبداية والنهاية ٩٤/٨ .

المبحث الثاني : اسمها :

هي عائشة بنت الصديق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ (أبي بكر) عبد الله بن (أبي قحافة) عثمان بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك القرشية التميمية المكية أم المؤمنين زوجة النبي ﷺ فاجتمعت مع الرسول ﷺ في جد أبيها السادس مرة بن كعب[1].

---

(١) انظر : سير إعلام النبلاء ٢/١٣٥ ، والإصابة ٢/٣٤١ ، البداية والنهاية ٨/٩١.

المبحث الثالث : كنيتها :

الكنية نوع من التكريم للمكنى ، والرفع من مكانته وقد طلبت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من النبي ﷺ أن تكون لها كنية كغيرها من أمهات المؤمنين فقال لها : تكني بابنك عبد الله ، يريد عبد الله بن الزبير(١) ابن أختها أسماء رضي الله عنهم فقد روى عروة عنها أنها قالت : (كل صواحبي لهن كنى ، قال : فاكتني بابنك عبد الله – يعني ابن أختها – قال فكانت تكنى بأم عبد الله) (٢).

أما ما قيل أن سبب تكنيتها (بأم عبد الله) أنها أسقطت ولداً من النبي ﷺ فمات وقد سماه عبد الله فكانت تكنى به ، فقد قال ابن حجر : "ولم تلد للنبي ﷺ شيئاً على الصواب ، وسألته أن تكنى فقال : اكتني بابن أختك ، فاكتنت أم عبد الله "(٣).

وقال النووي : " أما ما رويناه عن عائشة رضي الله عنها قالت : أسقطت من النبي ﷺ سقطاً فسماه عبد الله ، وكناني أم عبد الله ، حديث ضعيف " (٤).

فيستنتج أنها لم تلد من النبي ﷺ وإنما كناها بابن أختها عبد الله بن الزبير تطييباً لخاطرها حينما سألته أن تكنى كما تقدم .

---

(١) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، ولد عام الهجرة فكان أول مولود للمسلمين بعد الهجرة قاتل عن عثمان وشهد الجمل مع عائشة ثم اعتزل الفتنة ولما قتل يزيد بن معاوية بايعه الناس بالخلافة إلا بعض أهل الشام ، ثم قاتله الحجاج حتى قتله بمكة سنة ٧٣هـ .

انظر : الإصابة ٣٠٩/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٦٣/٣.

(٢) رواه أبو داود في سننه – كتاب الأدب – باب في المرأة تكنى ، ٢٥٣/٥ ، حديث (٤٩٧٠) .

وابن ماجة – كتاب الأدب – باب الرجل يكنى قبل أن يولد له ١٢٣١/٢ ، حديث (٣٧٣٩) .

والبيهقي في السنن الكبرى ٣١٠/٩ ، حديث (١٩١١٧) .

وذكره ابن حجر في تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير ١٤٨/٤ ، تحقيق : عبد الله هاشم اليماني ١٣٨٤هـ ، وقال : " وهذا الحديث فيه اختلاف في إسناده ".

وصححه العراقي في المغني عن حمل الأسفار ٦٣٣/١ لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، تحقيق : أشرف عبد المقصود ، دار طبرية ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الدين االألباني ٢٠٥/١ ، حديث (١٣٢) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥هـ .

(٣) انظر : فتح الباري ١٠٧/٧ ، والإصابة ٣٥٩/٤ .

(٤) الأذكار للنووي ، ص ٢٥١ .

المبحث الرابع : ألقابها :

أطلق الرسول ﷺ على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عدة ألقاب تميزت بها دون غيرها من أمهات المؤمنين فقد ناداها (يا عائش) على الترخيم ، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام، فقلت : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ...)"[(١)].

كما أطلق النبي ﷺ لقب (حميراء) تصغير الحمراء ، ويريد بها البيضاء لغلبة السمرة على لون العرب [(٢)] فعن أبي سلمة قال : قالت عائشة رضي الله عنها : دخل الحبشة المسجد يلعبون فقال لي : (يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم ...) [(٣)].

وكذلك ما روته أم سلمة رضي الله عنها قالت : ذكر النبي ﷺ خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة فقال : (انظري يا حميراء ألا تكوني أنت ثم التفت إلى علي فقال : إن وليت من أمرها شيئاً فارفق بها) [(٤)].

وكان النبي ﷺ يناديها بـ (يا بنت الصديق) و (يا بنت أبي بكر)[(٥)] وكذلك ناداها بقوله : (يا موفقة) [(٦)] .

وكل هذه الألقاب تدلنا على أنها كانت تحتل مكانة عليّة في قلب النبي ﷺ عبّر عنها في هذه الألقاب .

---

(١) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح – كتاب فضائل الصحابة – باب فضل عائشة رضي الله عنها ١٣٣/٧، حديث (٣٧٨٦) واللفظ له.

وصحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة – باب فضل عائشة رضي الله عنها ١٨٩٦/٤ ، حديث (٢٤٤٧) .

(٢) انظر : لسان العرب ، مادة (حمر) .

(٣) رواه النسائي في السنن الكبرى لأحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : عبد الغفار البنداري وسيد حسن ٣٠٧/٥ ، حديث (٨٩٥١) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ .

وصححه ابن حجر في الفتح ٤٤٤/٢ ثم قال :" ولم أر في حديث صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا ".

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ١٢٩/٣ ، حديث (٤٦١٠) .

وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وصححه السيوطي ، انظر : الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة لنور الدين علي بن محمد المشهور بالملا علي القاري ٤٣٤/١ ، تحقيق : محمد الصباغ ، دار الأمانة – بيروت – لبنان ١٣٩١هـ .

وكلام ابن حجر على الحديث الذي قبله يقتضي تضعيفه لهذا الحديث .

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ، ٦٤/٨-٦٦ .

(٦) رواه الترمذي في سننه – كتاب تفسير القرآن – باب ومن سورة المؤمنون ٣٠٦/٥-٣٠٧ ، حديث (٣١٧٥) .

وابن ماجة – كتاب الزهد – باب التوقي على العمل ١٤٠٤/٢ ، حديث (٤١٩٨) .

وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة ٣٧٠/٣ .

المبحث الخامس : نسبها :

تنتسب أم المؤمنين عائشة ﵏ إلى أسرة أصيلة عريقة هي أسرة أبي بكر الصديق ﵁ وتنحدر هذه الأسرة الكريمة من قبيلة (تيم) العربية ، والذي عُرف عنها الكرم والشجاعة والنجدة ونصرة المظلوم وإعانة الضعيف وقد عهد إلى أبي بكر الصديق باعتباره أحد سادات هذه القبيلة بأمر تسوية الدم وأداء المغارم والديات [1].

وكانت لأسرة أبي بكر الصديق مكانة كبيرة عالية قبل الإسلام ، فهي من أكرم الأسر العربية وأعرقها وبعد الإسلام تعد من السابقين إليه .

---

(١) أسد الغابة ٣/٣١٠ .

المبحث السادس : نشأتها :

نشأة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في بيت عامر بالإيمان لأبوين مسلمين فوالدها أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول من أسلم من الرجال الأحرار وبإسلامه أسلمت زوجته أم رومان .

وقد عهد بها إلى من يقوم بتربيتها من عرب بني مخزوم فنشأت على الفصاحة والبلاغة والصفات العربية الأصيلة .

وكانت للأسرة التي نشأت فيها عائشة رضي الله عنها مكانة كبيرة وذلك لمكانة أبي بكر رضي الله عنه قبل الإسلام وبعده فهي نشأت في بيت عامر بالإسلام و لم تعرف من أباطيل الشرك شيئاً مما أكسبها فكراً نقياً وقلباً طاهراً ، ونشأت في بيت ذي مكانة اجتماعية كبيرة فنالت رضي الله عنها مكانة كبيرة عند الرسول ﷺ وصارت أحب زوجاته إليه لأنها ابنة أحب الرجال إليه ﷺ ولقد تأثرت رضي الله عنها بأبيها كثيراً في أفعاله وتصرفاته وطبعه وأخلاقه فأخذت عن أبيها علم الأنساب والتاريخ والشعر [1].

(١) انظر سير أعلام النبلاء ١٣٩/٢ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢٣٢/١ .

المبحث السابع : صفاتها الشخصية :

كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على قدر كبير من الجمال والوضاءة ويتضح ذلك من كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما نصح ابنته حفصة رضي الله عنها محذراً لها من إغضاب النبي ﷺ فقد قال : (ولا يغرنك إن كان جارتك أوضأ منك) (١) يريد عائشة رضي الله عنها ، وقال في موضع آخر (يا بنية لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها)(٢).

وكانت رضي الله عنها طويلة لأنها تعيب القصر ، ولقد عابت صفية في ذلك قائلة للنبي ﷺ (حسبك من صفية كذا وكذا) وقد فسّرها بعض الرواة بالقصر ، ونهاها النبي ﷺ عن كلامها ذلك مبيناً لها خطورة كلمتها تلك بقوله: (لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته) (٣).

وعلاوة على ذلك فلقد كانت رضي الله عنها تتمتع بذكاء متوقد وسرعة في الفهم ويتضح ذلك جلياً من حادثة التخيير حيث أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بتخيير نسائه وكان الرسول ﷺ أول من خيّر عائشة رضي الله عنها ، وأمرها باستئمارها لأبويها ولكنها قالت على الفور فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة (٤) .

---

(١) رواه البخاري صحيح البخاري مع الفتح – كتاب النكاح – باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها ١٨٧/٩-١٨٨ ، حديث (٥١٩١) .

(٢) رواه البخاري صحيح البخاري مع الفتح – كتاب النكاح – باب حب الرجل نساءه أفضل من بعض ٢٢٨/٩ ، حديث (٥٢١٨) .

(٣) رواه الترمذي في سننه – كتاب صفة القيامة – باب (٥١) ، ٥٧٠/٤ حديث (٢٥٠٢) ، وقال عنه :" هذا حديث حسن صحيح " .

وأبو داود في سننه – كتاب الأدب – باب في الغيبة ١٩٢/٥ ، حديث (٤٨٧٥) ، واللفظ له .

وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٩٢٣/٣ .

(٤) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح – كتاب التفسير – باب : ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾، ٣٨٠/٨ ، حديث (٤٧٨٦) .

ومسلم – كتاب الطلاق – باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلى بالنية ١١٠٣/٢ ، حديث (١٤٧٥) .

فهي هنا قد بلغت أعلى مراتب الذكاء في اختيارها الله ورسوله والدار الآخرة دون أن تلجأ إلى أحد يساعدها في التفكير على الاختيار مع أن خيارها على التراخي وليس على الفور ولكن إجابتها هذه تدل على ذكائها وفطنتها وعمق تفكيرها .

ولقد كانت تفهم قصد الرسول ﷺ في كثير من المسائل التي يستحي أن يفصح عنها ، فمن ذلك عندما سألته امرأة عن كيفية الاغتسال من الحيض فأخبرها بأنها تأخذ قطعة من مسك فتتطهر بها فأخذت تسأل عن كيفية الوضوء ، وفهمت عائشة رضي الله عنها فجذبت المرأة وأخبرتها بقصد الرسول ﷺ [1].

إلى غير ذلك من الأدلة التي تدل على دقة فهمها وتوقد ذكاءها .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه – كتاب الحيض – باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم ١/٢٦٠-٢٦١ ، حديث (٣٣٢) .

المبحث الثامن : والداها :

أولاً : والدها :

اختلف في اسمه فقيل كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة وسماه الرسول ﷺ عبد الله ، وقيل بل اسمه في الأصل عبد الله .

ونسبه يجتمع مع نسب النبي ﷺ في مرة بن كعب وهو الجد السادس ، وعليه فأبو بكر وابنته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما ينتسبان إلى نسب شريف لأنه يتصل بنسب خير البرية ، وقد بين النبي ﷺ فضل هذا النسب وشرفه في قوله ﷺ : (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) (١).

ولقبه رضي الله عنه : عتيق ، وقيل اسم وليس بلقب ، فعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت لم سمي أبو بكر عتيقاً؟ فقالت : نظر إليه رسول الله ﷺ فقال : (أنت عتيق الله من النار) (٢).

وقيل أيضاً في سبب تسميته عتيقاً :

١- لبشارة الرسول ﷺ له بعتقه من النار كما تقدم .

٢- أن أبا قحافة كان له ثلاثة من الولد معتق ومعيتق وعتيق .

٣- أن أمه كانت لا يعيش لها ولد فلما ولدته استقبلت البيت به فقالت اللهم إن هذا عتيقك.

٤- لأنه لم يكن في نسبه ما يعاب .

٥- لحسن وجهه (٣).

ولقب بالصديق في الجاهلية والإسلام ، أما في الجاهلية فلقب بالصديق لأنه كان وجيهاً ورئيساً من رؤساء قريش وإليه كانت الديات .

وأما في الإسلام ؛ فلأنه كان يصدق الرسول ﷺ في كل ما يقول ويفعل كما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لما أُسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث بذلك الناس ،

---

(١) رواه مسلم وتقدم تخريجه ص ٤٦ .

(٢) رواه الترمذي في سننه – كتاب المناقب – باب (١٧) ، ٥/٥٧٥-٥٧٦ ، حديث (٣٦٧٩) . وقال : هذا حديث غريب .
ورواه الحاكم في المستدرك ٢/٤١٥ ، وصححه وقال الذهبي : في سنده إسحاق وهو متروك .
ورواه ابن حبان ، انظر : الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لعلاء الدين علي بن حبان ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ١٥/٢٨٠ ، حديث (٦٨٦٤) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ . وصححه المحقق .

(٣) انظر : صفة الصفوة لابن الجوزي ١/٢٣٥ . وهامش السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٤٩ . والإصابة لابن حجر ٢/٣٤٢ .

فارتدت ناس ممن كان آمن وصدق به وفتنوا ، فقال أبو بكر : (إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء غدوة أو روحة) فلذلك سمي أبو بكر الصديق [1].

وجاء عن النبي ﷺ أنه صعد أُحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال : (أثبت أُحد فإن عليك نبي وصديق وشهيدان)[2].

فهذه الأحاديث تبين سبب تلقيبه بالصديق وهو أنه بادر إلى تصديق النبي ﷺ ولازم الصدق في جميع أحواله .

وقيل أن الذي لقبه بهذا اللقب هو الرسول ﷺ لما تقدم من حديث جبل أُحد ، ولا مانع من اجتماع الأمرين والسببين في تلقيبه بالصديق رضي الله عنه .

وأما عن كنيته فهي : أبو بكر . والبكر الفتى من الإبل . وكان النبي ﷺ يناديه بكنيته كما جاء في بعض الأحاديث (ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما) [3] ، (إن من أمنِّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر) [4] ، (لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا)[5].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٦٢-٦٣ . وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وعبد الرزاق الصنعاني في مصنفه ٥/٣٢٨ ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .

(٢) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح – كتاب فضائل الصحابة – باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ ٧/٢٦ ، حديث (٣٦٧٥) ، واللفظ له .

وصحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل طلحة والزبير ٤/١٨٨٠، حديث (٢٤١٧) .

(٣) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح – كتاب فضائل الصحابة – باب مناقب المهاجرين وفضلهم ، ٧/١٠ ، حديث (٣٦٥٢) .

وصحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – ٤/١٨٥٤ ، حديث (٢٣٨١) .

(٤) رواه البخاري صحيح البخاري مع الفتح – كتاب الصلاة – باب الخوخة والممر في المسجد ١/٦٦٥ ، حديث (٤٦٦) .

(٥) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح – كتاب فضائل الصحابة – باب قول النبي ﷺ (لو كنت متخذاً خليلاً...) ٧/٢١ ، حديث (٣٦٥٦) .

وصحيح مسلم – كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب النهي عن بناء المسجد على القبور ١/٣٧٧-٣٧٨ ، حديث (٥٣٢) ، واللفظ له .

بويع بالخلافة في سقيفة بني ساعدة يوم وفاة النبي ﷺ في يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من الهجرة .

ومكث في خلافته سنتين وثلاثة أشهر إلا خمس ليال وقيل سنتين وثلاثة أشهر وسبع ليال وقيل عشرة وقيل عشرين ليلة .

ولادته ووفاته :

ولادته :

فقيل بين السنة الثانية والثالثة بعد الفيل ، وقيل غير ذلك . وقد استوفى بمدة خلافته عمره عمر النبي ﷺ أي ثلاث وستون سنة .

وفاته :

أما عن وفاته فقد اتفقت معظم الروايات على أنه توفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جماد الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة . ودفن رضي الله عنه في حجرة عائشة رضي الله عنها بجانب النبي ﷺ (١).

ثانياً : أمها :

هي أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة . وهذا قول أكثر أهل العلم في الأنساب .

وقد اختلف في اسمها فمنهم من قال زينب ومنهم من قال دعد .

فهي أم عبد الرحمن كما أنها أم عائشة رضي الله عنها وقد تزوجها أبو بكر في الجاهلية بعد أن توفي عنها زوجها عبد الله بن الحارث الأزدي (٢)، وكان حليفاً لأبي بكر رضي الله عنه .

وقد أسلمت أم رومان في مكة وكانت من أوائل المسلمات ، وبايعت النبي ﷺ ، وهاجرت مع أهل النبي ﷺ وآل أبي بكر إلى المدينة .

---

(١) انظر : صفة الصفوة لابن الجوزي ٢٦٣/١ ، والإصابة لابن حجر ٣٤٢/٢، وأسد الغابة لابن الأثير ١٥٠/٥-١٥١، والاستيعاب لابن عبد البر ٢٥٢/٢ ، والسيرة النبوية مع الهامش لابن هشام ٢٤٩/١ .

(٢) عبد الله بن الحارث بن سخبرة بن حرثومة الأزدي ، قدم من السراة إلى مكة فحالف أبا بكر .
انظر : الإصابة ٤٥٠/٤ .

وقد قال النبي ﷺ في حقها : (من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان)[1].

أما عن وفاها :

فقيل أنها توفيت سنة ست من الهجرة ونزل النبي ﷺ في قبرها . وقيل أنها بعد ذلك فقد قال ابن حجر في فتح الباري عند قوله ﷺ : (حتى تستأمري أبويك) [2]،"يستفاد منـــه أن أم رومان كانت يومئذ موجودة فيرد به على من زعم أنها ماتت سنة ستة من الهجرة فإن التخيير كان في سنة تسع " [3][4].

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد الزهري ٢٧٦/٨ ، دار صادر ، بيروت .
والحاكم في المستدرك ٥٣٨/٣ ، حديث (٦٠٠٠) ، بلفظ (من أحب ...) .

(٢) متفق عليه وتقدم تخريجه ص ٩٣ .

(٣) انظر : فتح الباري لابن حجر ٣٨٢/٨ .

(٤) انظر : سير أعلام النبلاء ١٣٥/٢ ، والإصابة ٣٤١/٢ ، والروض الأنف للسهيلي ٢١/٤ .

المبحث التاسع : زواجها من النبي ﷺ :

أولاً : خطبتها :

لقد مرت خطبة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بمرحلتين مختلفة بذلك عن غيرها من النساء .

فأول هذه المراحل :

أنها كانت وحياً من الله تبارك وتعالى ، وذلك بأن أراه الله إياها في منامه في سرقة من حرير وقيل هذه زوجتك ، وتكرر هذا المشهد أكثر من مرة ، وما كان رد رسول الله ﷺ على ذلك إلا بقوله : (إن يك هذا من عند الله يمضه) .

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (أريتك في المنام مرتين إذا رجل يحملك في سرقة من حرير فيقول هذه امرأتك فأكشفها فإذا هي أنت ... فأقول : إن يكن هذا من عند الله يمضه) [(١)].

قال العلماء في الرؤية التي في هذا الحديث :

قال القاضي : " إن كانت هذه الرؤيا قبل النبوة وقبل تخليص أحلامه ﷺ من الأضغاث فمعناها إنها كانت رؤيا حق .

وإن كانت بعد النبوة فلها ثلاثة معان :

إحداها : أن المراد أن تكن الرؤيا على وجهها وظاهرها لا تحتاج إلى تعبير وتفسير فسيمضه الله وينجزه ، فالشك عائد إلى أنها رؤيا على ظاهرها أم تحتاج إلى تعبير وصرف عن ظاهرها .

الثاني : أن المراد إن كانت هذه الزوجة في الدنيا يمضها الله ، فالشك أنها زوجته في الدنيا أم في الجنة.

الثالث : أنه لم يشك ولكن أخبر على التحقيق وأتى بصورة الشك ، كما قال أأنت سالم ، وهو نوع من البديع عند أهل البلاغة يسمونه تجاهل العارف وسماه بعضهم مزج الشك باليقين"[(٢)] .

---

(١) متفق عليه :

رواه البخاري – صحيحه مع الفتح – كتاب النكاح – باب نكاح الأبكار ٢٢/٩ ، حديث (٥٠٧٨) .

ومسلم – صحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل عائشة ١٨٨٩/٤ ، حديث (٢٤٣٨) .

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ٢٠٢/١٥ -٢٠٣ .

ورجح ابن حجر الأول وقال : " هو المعتمد وبه جزم السهيلي عن ابن العربي ثم قال : وتفسيره باحتمال غيرها لا أرضاه ... " [١].

المرحلة الثانية :

بعد أن فقد النبي ﷺ زوجته خديجة ﵍ والتي كانت نعم المعين له ﷺ في تحمل أعباء الدعوة في بدايتها وهي ما تزال ضعيفة محاربة من كل المجتمع ، تخفف عنه ما يلاقي في سبيل الدعوة إلى الله ﷻ ، وبقي الرسول ﷺ بعدها وحيداً بلا زوجة ترعى شؤونه مدة من الزمن وشق ذلك على أصحابه كثيراً ونشطوا في البحث له عن الزوجة المناسبة التي تسد الفراغ الذي خلفته خديجة ﵍ في حياة الرسول ﷺ.

وكانت أسرع الصحابة في العثور على الزوجة المناسبة للرسول ﷺ خولة بنت حكيم ﵍[٢] إذ جاءت يوماً عارضة على الرسول ﷺ الزواج فبادرها بالسؤال في الحال ليعرف من هي ؟ فأجابته بالتخيير إن أراد بكراً أو ثيباً .

فقال : فمن البكر ؟ هل هي عائشة بعينها واسمها أو غيرها فتكون الرؤيا على كنيتها فتحتاج إلى تعبير فتكون الرؤيا ليست على ظاهرها فإما أختها أو شبيهتها أو غير ذلك ، فهذا تأكد منه ﷺ لما رآه في منامه وتحقيقاً لرؤيته ﷺ ، وكانت البكر عائشة ، وأمر النبي ﷺ خولة أن تخطبها له من أبي بكر .

وانطلقت خولة فرحة إلى بيت أبي بكر فلقيت أم رومان فقالت لها : ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟ فاستفهمت منها وأخبرتها بما أمرها به النبي ﷺ ولما علم بذلك أبو بكر فرح فرحاً عظيماً ، إلا أنه ظن في بادئ الأمر أنها لا تجوز له لكونها ابنة أخيه ، فلما عرف الحكم ازدادت فرحته ، إلا أن هناك شيء يشوب هذه الفرحة لكونه وعد مطعم بن عدي[٣] بأن تكون زوجة لابنه غير أنه سارع إليه واستطاع أن يخلص من وعده عندما أخلفه مطعم ورجع عن رأيه ، وزوجها النبي ﷺ .

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١٨٢/٩ .

(٢) خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية كانت صالحة فاضلة .
انظر: الإصابة ٢٩١/٤ .

(٣) مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف من قريش رئيس بني نوفل في الجاهلية وقائدهم في حرب الفجار .
انظر: السيرة النبوية لابن هشام ١٥/٢، ١٩ ، ٢٠ . والأعلام للزركلي ٢٥٢/٧ .

فقد روى الإمام أحمد في مسنده والبيهقي في سننه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (لمّا ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون [1] قالت : يا رسول الله ألا تتزوج . قال : من ؟ قالت : إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً . قال : فمن البكر ؟ قالت : ابنة أحب خلق الله عز وجل إليك عائشة بنت أبي بكر . قال : ومن الثيب ؟ قالت : سودة بنت زمعة ، قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول . قال : فاذهبي فاذكريهما عليّ .

فدخلت بيت أبي بكر فقالت : يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟ قالت : وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة . قالت : انظري أبا بكر حتى يأتي .

فجاء أبو بكر ، فقالت : يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة . قال : وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة . قال : وهل تصلح له إنما هي ابنة أخيه ؟ فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت له بذلك .

قال : ارجعي إليه فقولي له : أنا أخوك وأنت أخي في الإسلام وابنتك تصلح لي . فرجعت فذكرت ذلك له . قال : انتظري وخرج . قالت أم رومان : إن مطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه فوالله ما وعد وعداً قط فأخلفه لأبي بكر .

فدخل أبو بكر رضي الله عنه على مطعم بن عدي وعنده امرأته أم الفتى ، فقالت : يا ابن أبي قحافة لعلك مُصْبٍ صاحبنا مدخله في دينك الذي أنت عليه إن تزوج إليك . قال أبو بكر لمطعم بن عدي أقول هذه تقول ؟ قال : إنها تقول ذلك . فخرج من عنده وقد أذهب الله عز وجل ما كان في نفسه من عدته التي وعده فخرج فقال لخولة : ادعي لي رسول الله ﷺ ، فدعته فزوجها إياه وعائشة يومئذ بنت ست سنين ... الحديث) [2] .

---

(١) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن خذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب الجمحي أبو السائب ، من سادات المهاجرين .

انظر: سير أعلام النبلاء ١/١٥٣ .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٦/٢١٠ ، حديث (٢٥٨١٠) ،والبيهقي في سننه ٧/١٢٩ ، حديث (١٣٥٢٦) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٢٢٥-٢٢٧ .

وقال الذهبي في التاريخ الكبير بعد أن ذكره ٢/١٨٤ إسناده حسن .

وقال ابن حجر في الفتح ٧/٢٢٥ إسناده حسن .

وعن عروة أن النبي ﷺ خطب عائشة إلى أبي بكر فقال له أبو بكر : (إنما أنا أخوك ، فقال له : أنت أخي في دين الله وكتابه وهي لي حلال)[1] .

وعن حبيب مولى عروة قال : لما ماتت خديجة حزن النبي ﷺ فأتاه جبرائيل عليه السلام بعائشة في مهد فقال : يا رسول الله هذه تذهب ببعض حزنك ، وإن هذه لخلفاً من عائشة ، ثم ردها فكان رسول الله ﷺ يختلف إلى بيت أبي بكر ويقول : يا أم رومان استوصي بعائشة خيراً واحفظيني فيها ، فكان لعائشة بذلك مترلة عند أهلها ، ولا يشعرون بأمر الله فيها ...[2].

ثانياً : عقده ﷺ عليها :

وبعد أن تمت الخطبة عقد النبي ﷺ على عائشة رضي الله عنها واختلف في تاريخ عقده عليها :

١- ذهب بعض العلماء إلى أنه عقد عليها قبل الهجرة بسنة ونصف .

٢- وذهب بعض العلماء إلى أنه عقد عليها قبل الهجرة بسنتين .

٣- وذهب بعض العلماء إلى أنه عقد عليها قبل الهجرة بثلاث سنوات .

الراجح – والله أعلم – أن النبي ﷺ عقد عليها قبل الهجرة بثلاث سنين . لما جاء عن هشام عن أبيه قال : توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين ، فلبث سنتين أو قريباً من ذلك ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين[3] .

قال ابن عبد البر : " وهذا أولى ما قيل في ذلك وأصحه إن شاء الله تعالى "[4]

وكان عمرها رضي الله عنها عند عقده عليها ست سنين وقيل سبع .

قال ابن حجر :" ويجمع بينهما بأنها كانت أكملت السادسة ودخلت في السابعة "[5].

أما الدليل على هذا فهو الحديث السابق الذكر .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب النكاح – باب تزويج الصغار من الكبار ٢٦/٩ ، حديث (٥٠٨١) .

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات ٧٨/٨ ، ٧٩ ، والحاكم في المستدرك ٥/٤ ، ٦ .

(٣) متفق عليه :

رواه البخاري في صحيحه – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب مناقب الأنصار – باب تزويج النبي ﷺ عائشة ، ٢٦٤/٧ ، حديث (٣٨٩٦) .

ومسلم في صحيحه – صحيح مسلم – كتاب النكاح – باب تزويج الأب البكر الصغيرة ١٠٣٩/٢ ، حديث (١٤٢٢).

(٤) الاستيعاب ٣٥٦/٣ .

(٥) الإصابة ٣٥٩/٤ .

وأصدقها النبي ﷺ اثنتي عشرة أوقية ونصف وتساوي خمسمائة درهم ، كما كان يصدق بقية نسائه ، وفي رواية أخرى أنه أصدقها متاع بيت قيمته خمسون درهماً .

فعن أبي سلمة عبد الرحمن أنه قال : سألت عائشة زوج النبي ﷺ كم كان صداق رسول الله ﷺ ؟ قالت : كان صداقه لأزواجه ثنتي عشرة أوقية ونشا ، قالت : أتدري مالنش ؟ قال ، قلت : لا . قالت : نصف أوقية ، فتلك خمسمائة درهم . فهذا صداق رسول الله ﷺ لأزواجه (١) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ تزوج عائشة على متاع بيت قيمته خمسون درهماً (٢) .

ثالثاً : هجرتها :

لم تنتقل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى بيت النبوة ، ولم يبن بها النبي ﷺ فور خطبتها ، ولعل حداثة سنها وكثرة المصاعب التي واجهت النبي ﷺ قبل الهجرة ، ثم الهجرة وما ترتب عليها من جليل الأعمال وخطيرها ، كل ذلك شغل النبي ﷺ عن البناء بعروسه .

وهاجر النبي ﷺ وأبو بكر إلى المدينة مخلفين أهلهم بمكة ، ولما استقر النبي ﷺ بالمدينة أرسل زيد بن حارثة وبعث معه مولاه أبا رافع وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم وأمرهما أن يشتريا بها ما يحتاجا إليه من الظهر ، وبعث معهما أبو بكر عبد الله بن أريقط ولما وصلوا إلى مكة أخذوا أهلهم بما فيهم عائشة رضي الله عنها وانكفؤا راجعين إلى المدينة ، وبينما هم في طريقهم إليها نفر الجمل التي كان عليه عائشة رضي الله عنها نفوراً شديداً مما أخاف أمها — أم رومان — التي جعلت تقول : وا عروساه وا بنتاه .

وفي أثناء ذلك سمعت عائشة رجلاً يقول ألقي خطامه ، فألقت فوقف ، وهذا من لطف الله بها. ولما وصلت المدينة نزلت في عيال أبي بكر (٣) .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه — كتاب النكاح — باب الصداق ... ١٠٤٢/٢ ، حديث (١٤٢٦).

(٢) رواه ابن ماجة في سننه — كتاب النكاح — باب صداق النساء ٦٠٨/١ ، حديث (١٨٩٠) .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٨٢/٤ وضعفه .

وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجة ، ص ١٤٦.

(٣) روى ذلك ابن سعد في الطبقات ٦٣/٨-٦٣ والحاكم في مستدركه ٤/٤ - ٥ .

وذكر ذلك الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٧/٩-٢٢٨ ، وقال : في سنده محمد بن الحسن بن زبالة وهو ضعيف .

رابعاً : بناؤه بها ﷺ:

مكثت عائشة رضي الله عنها بعد قدومها إلى المدينة مدة من الزمن في بيت أبيها رضي الله عنه إلى أن جهز النبي ﷺ مسكنها ثم بنى بها .

واختلف في تاريخ بنائه بها :

١- فقيل بعد الهجرة بسبعة أشهر .

٢- وقيل في شهر شوال من السنة الأولى من الهجرة .

٣- وقيل في شهر شوال من السنة الثانية من الهجرة .

الترجيح : الراجح – والله أعلم – أنه بنى بها بعد الهجرة بسبعة أشهر في شهر شوال من السنة الأولى من الهجرة وعمرها تسع سنين .

ويدل على هذا السنة والإجماع :

فمن السنة : ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ تزوجها وهي بنت سبع سنين وزفت إليه وهي بنت تسع سنين ولعبتها معها ، ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة (١) .

وعن هشام عن أبيه قال : توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين فلبث سنتين أو قريباً من ذلك ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين (٢) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : تزوجني رسول الله ﷺ في شوال وبنى بي في شوال ، فأي نساء رسول الله ﷺ كان أحظى عنده مني ؟ (٣).

أما عن الإجماع : فقد قال ابن عبد البر : " وابتنى بها بالمدينة وهي ابنة تسع لا أعلمهم اختلفوا في ذلك " (٤) .

---

(١) متفق عليه :

رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب النكاح – باب إنكاح الرجل ولده الصغار ، ٩٦/٩، حديث (٥١٣٣)

ومسلم في صحيحه – كتاب النكاح – باب تزوج الأب البكر الصغيرة ١٠٣٨/٢ ، حديث (١٤٢٢) واللفظ له .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) رواه مسلم في صحيحه – كتاب النكاح – باب استحباب التزويج في شوال ١٠٣٩/٢ ، حديث (١٤٢٣) .

(٤) الاستيعاب ٣٥٦/٤ .

ومن قال بأن دخوله كان في السنة الثانية يخالف ما ثبت أنه دخل بها بعد خديجة بثلاث سنين [١] ، وقد ذهب ابن القيم وابن حجر إلى هذا القول [٢] .

فقال ابن حجر : " وإن ثبت أنه بنى بها في شوال من السنة الأولى من الهجرة قوي ، قول من قال أنه دخل بها بعد الهجرة بسبعة أشهر ، وقد وهاه النووي في تهذيبه [٣] ، وليس بواه، إذا عددناه من ربيع الأول وجزمه بأن دخوله بها كان في السنة الثانية يخالف ما ثبت كما تقدم أنه دخل بها بعد خديجة بثلاث سنين " [٤].

وزفت عائشة رضي الله عنها إلى الرسول ﷺ في أبسط زينتها فلم ينحر في زفافها جزور ولم تذبح شاة وإنما قدم له ﷺ لبن فشرب وشربت .

فعن شهر بن حوشب أن أسماء بنت يزيد بن السكن إحدى نساء بني الأشهل دخل عليها يوماً فقربت إليه طعاماً فقال : لا أشتهيه . فقالت : إني قنيت [٥] عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ ثم جئته فدعوته لجلوتها[٦] فجاء فجلس إلى جنبها فأتى بعس لبن [٧] فشرب ثم ناولها النبي ﷺ فخفضت رأسها واستحيت .

قالت : أسماء : فانتهرتها ، وقلت لها : خذي من يد النبي ﷺ . قالت فأخذت فشربت شيئاً . ثم قال لها النبي ﷺ أعطي تربك[٨] .

قالت أسماء : فقلت : يا رسول الله بل خذه فاشرب منه ثم ناولنيه من يدك ، فأخذه فشرب منه ثم ناولنيه .

---

(١) شرح المواهب ٣/٢٧٥ .

(٢) انظر : زاد المعاد ١/١٠٦ . وفتح الباري ٧/٢٢٤ .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/٣٥١ .

(٤) فتح الباري ٧/٢٢٥ .

(٥) قنيت : أي زينتها لزفافها والتقنين التزيين .

انظر: لسان العرب ٣/١٧٧ .

(٦)جلوتها : أي للنظر إليها متزينة مكشوفة ظاهرة .

انظر: القاموس المحيط ١/٢٥٣ .

(٧) بعس لبن : العس القدح الكبير .

انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/٢٣٦ .

(٨) تربك : أي قرينتك وصاحبتك يريد أسماء .

انظر: القاموس المحيط ١/٣٦٣ .

قالت : فجلست ثم وضعته على ركبتي ثم طفقت أديره واتبعه بشفتي لأصيب منه مشرب النبي ﷺ ثم قال لنسوة عندي : ناوليهن . فقلن لا نشتهيه ، فقال النبي ﷺ : لا تجمعن جوعاً وكذباً ، فهل أنت منتهية أن تقولي لا أشتهيه ؟
قلت : أي أمه لا أعود أبداً (١) .

وعن عائشة رضي الله عنها (من حديث طويل) قالت فيه : (وبنى بي رسول الله ﷺ في بيتنا ما نحرت عليّ جزور ولا ذبحت عليّ شاة ...) (٢).

بتلك البساطة وعدم الكلفة تم زواج النبي ﷺ من عائشة رضي الله عنها بخلاف ما يفعله اليوم كثير من الناس من الإسراف في المطاعم والمشارب والولائم .

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٦/٤٥٨.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/٥٠-٥١ .
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٦/٢١٠ .

المبحث العاشر : وفاتها :

مرضت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها واشتد عليها مرضها فلما علم عبد الله بن عباس بذلك جاء إليها زائراً وطمأنها مخففاً عنها ما تجد قائلاً لها : (يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر) [1]، ثم ما لبث بعده أن توفيت .

وفي رواية عن ذكوان مولى عائشة : أنه استأذن لابن عباس على عائشة وهي تموت وعندها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن فقال : هذا ابن عباس يستأذن عليك وهو من خير بنيك . قالت: دعني من ابن عباس ومن تزكيته . فقال لها عبد الله بن عبد الرحمن : إنه قارئ لكتاب الله فقيه في دين الله فأذني له فليسلم عليك وليودعك . قالت : فأذن له إن شئت . قال فأذن له فدخل ابن عباس ثم سلم وجلس وقال : (أبشري يا أم المؤمنين فو الله ما بينك وبين أن يذهب عنك كل أذى ونصب ، أو قال وصب ، وتلقى الأحبة محمداً وحزبه ، أو قال أصحابه ، إلا أن تفارق روحك جسدك . فقالت : وأيضاً ، فقال ابن عباس : كنت أحب أزواج النبي ﷺ إليه ولم يكن يحب إلا طيباً وأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات فليس في الأرض مسجداً إلا ويتلى فيه آناء الليل وآناء النهار ، وسقطت قلادتك بالأبواء فاحتبس النبي ﷺ في المنزل والناس معه في ابتغائها حتى أصبح القوم على غير ماء فأنزل الله عز وجل ﴿ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [سورة النساء : ٤٣ ، المائدة : ٦] ، فكان ذلك رخصة للناس عامة في سبيلك فو الله إنك لمباركة . فقالت : دعني يا ابن عباس من هذا فو الله لودت لو كنت نسياً منسياً)[2] .

---

(١) رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب فضائل الصحابة – باب فضل عائشة – رضي الله عنها– ١٣٣/٧ ، حديث (٣٧٧١) .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٣٤٩/١ .

ورواه الطبراني في المعجم الكبير ٣٢١/١٠ .

والحاكم في المستدرك ٩/٤ ، وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي .

ولقد اختلف العلماء في تحديد سنة وفاتها :

١- ذهب ابن حجر وابن قتيبة والقسطلاني والزرقاني وابن سعد وابن القيم والسيوطي وابن عساكر إلى أنها توفيت ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ثمان وخمسين[١].

٢- وذهب ابن عبد البر وابن الأثير والذهبي وابن العماد والحسيني وخليفة بن خياط وغيرهم إلى أنها توفيت سنة سبع وخمسين[٢].

الترجيح :

الراجح – والله أعلم – أنها توفيت ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان سنة ثمان وخمسين لكثرة الآثار الواردة في ذلك ولأن أكثر أهل العلم يميل إليه كما ذكر ذلك ابن حجر[٣].

فعن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ تزوج عائشة بنت أبي بكر في شوال وأعرس بها في شوال بالمدينة وتوفيت لسبع عشرة خلت من رمضان بعد الوتر سنة ثمان وخمسين ودفنت من ليلتها [٤].

وتوفيت ﵂ بالمدينة وصلى عليها أبو هريرة وكان يومئذ خليفة مروان بن الحكم أمير المدينة حينئذ من جهة معاوية لأنه حج واستخلف أبا هريرة .

---

(١) انظر : فتح الباري ١٠٧/٧ . والإصابة ٣٦١/٤ . وشرح المواهب اللدنية ٢٨١/٣ . وطبقات ابن سعد ٨٠/٨ . وجلاء الأفهام ص ١٣٤ .

(٢) انظر : الاستيعاب ٣٦٠/٤ . وأسد الغابة ٥٠٤/٥ . وتاريخ الإسلام ٢٩٦/٢ . وشذرات الذهب ٦١/١ . والعقد الثمين ٢٦٥/٨ . وتاريخ خليفة ، ص ٢٢٥ .

(٣) الإصابة ٣٦١/٤ .

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢٨/٢٣ .
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٨/٩ وضعفه.

فعن نافع وغيره من أهل العلم قالوا : صلينا على عائشة وأم سلمة زوجي النبي ﷺ وسط البقيع والإمام يوم صلينا على عائشة أبو هريرة ... ، وماتت سنة ثمان وخمسين في رمضان لسبع عشرة خلت ... [1].

وأوصت ابن أختها عبد الله بن الزبير أن يدفنها مع أمهات المؤمنين بالبقيع ونهت أن يدفنها بالحجرة النبوية مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر معللة نهيها له بقولها : (لا أزكي به أبداً) فعن عائشة ﵂ أنها أوصت عبد الله بن الزبير ﵄ (لا تدفني معهم وادفني مع صواحبي في البقيع لا أزكي به أبداً) [2] .

وفي رواية أنها قالت : (فإني أكره أن أزكى) [3]، قال ابن حجر في قولها: (لا أزكى به أبداً) :" أي لا يثنى عليّ بسببه ويجعل لي بذلك مزية وفضل وأنا في نفسي الأمر يحتمل ألا أكون كذلك ، وهذا منها على سبيل التواضع وهضم النفس " [4] . وقال في قولها : (فإني أكره أن أزكى) : " أي أن يثني عليّ أحد بما ليس فيّ بل بمجرد كوني مدفونة عنده دون سائر نسائه ، فيظن أني خصصت بذلك من دونهن لمعنى فيّ ليس فيهن ، وهذا منها في غاية التواضع"[5].

فشيع جنازتها في غسق الليل إلى البقيع واجتمع ناس كثير ونزل أهل العوالي في تشييع جنازتها وحمل معها جريد ألقوا عليها الخرق وغمسوها في زيت وأشعلوا ناراً حتى تنير لهم الظلام و لم ير ليلة أكثر ناساً من تلك الليلة التي توفيت فيه ﵂ ، ونزل في قبرها خمسة : القاسم بن محمد ، وابن عمه عبد الله بن عبد الرحمن وعبد الله بن أبي عتيق وعروة وعبد الله ابنا الزبير ، ودفنت مع أمهات المؤمنين .

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢٣/٢٩ .

وعبد الرزاق في المصنف ٣/٥٢٥ .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٢٢٨ وضعفه .

(٢) رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب الجنائز – باب ما جاء في قبر النبي ﷺ ، حديث (١٣٩١) .

(٣) رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة – باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم ... ١٣/٣١٦ ، حديث (٧٣٢٧) .

(٤) فتح الباري ٣/٣٠٣ .

(٥) فتح الباري ١٣/٣٢٠ .

فعن نافع وغيره من أهل العلم قالوا : (صلينا على عائشة ... وحضر ذلك عبد الله بن عمر ودخل في قبر عائشة عبد الله وعروة ابنا محمد بن أبي بكر ...) (١).

وعن سالم سبلان قال : " قالت : عائشة ... فأمرت أن تدفن في ليلتها واجتمع الناس وحضروا فلم تر ليلة أكثر ناساً منها نزل أهل العوالي فدفنت بالبقيع (٢).

وعن عثمان بن أبي عتيق عن أبيه ، قال : رأيت ليلة ماتت عائشة حمل معها جريد في الخرق فيه النار ليلاً (٣).

توفيت عن عمر يناهز السادسة والستين وقيل عن ثمانية وستين سنة لأن النبي ﷺ تزوجها وهي في التاسعة وتوفي عنها ولها نحو ثمانية عشر عاماً وعاشت بعد النبي ﷺ قريباً من خمسين سنة رضي الله عنها وأرضاها (٤).

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢٩/٢٣ .

وعبد الرزاق الصنعاني في المصنف ٥٢٥/٣ .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٨/٩ وضعفه .

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات ٧٦/٨-٧٧ .

والحاكم في المستدرك ٦/٤ . وسكت عنه الذهبي .

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٧٧/٨ .

(٤) الاستيعاب ٣٦٠/٤ . وشرح المواهب اللدنية ٢٨١/٣ .

الفصل الثاني

علم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

الفصل الثاني

علم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

تمهيد :

تبوأت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مكانة علمية رفيعة جعلتها عالمة من علماء عصرها والمرجع العلمي الأصيل الذي يرجعون إليه فيما يصعب عليهم أو يشكل أمامهم من المسائل العلمية في جميع الفنون ، فيجدون الجواب الشافي لجميع تساؤلاتهم واستفساراتهم .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال : (ما أشكل علينا نحن أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً) [1] .

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن[2] (ما رأيت أحداً أعلم بسنن رسول الله ﷺ ولا أفقه في رأي إن احتج إلى رأيه ولا أعلم بآية فيما نزلت ولا فريضة من عائشة)[3].

وقد حازت إلى جانب علمها بأمور الدين علماً بأيام العرب وحوادثها وبالأنساب عامة وبنسب قريش خاصة ، والحفظ لكثير من الشعر ، فعن عروة قال : لقد صحبت عائشة فما رأيت أحداً قط كان أعلم بآية أنزلت ... ولا بشعر ... ولا بيوم من أيام العرب ولا بنسب ... منها)[4].

---

(١) رواه الترمذي في سننه – كتاب المناقب – باب فضل عائشة – رضي الله عنها – ٥/٦٦٢-٦٦٣ ، حديث (٣٨٨٣) ، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب .

وصححه الذهبي في السير ١٧٩/٢.

وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢٤٣/٣ .

(٢) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني ، سمع من أبي هريرة وابن عباس وابن عمر وسمع منه الزهري ويحيى والشعبي ، كان ثقة فقيهاً كثير الحديث ، توفي سنة ٩٤هـ .

انظر التاريخ الكبير ١٣٠/٥ . وتهذيب التهذيب ١١٥/١٢.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٧٦/١ .

وابن سعد في الطبقات الكبرى ٣٧٥/٢ .

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤٩/٢ .

ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٨٣/٢ ، وقال محقق السير " رجاله ثقات " .

وعن عمر بن الخطاب قال: (ما رأيت أحداً أعلم بفريضة ولا أعلم بفقه ولا بشعر من عائشة)[1].

وقد ساعدها على بلوغ هذه المكانة العلمية الرفيعة عدة أسباب ، فقد نشأت في بيت علم فأبو بكر الصديق رضي الله عنه من أعلم الناس في أنساب قريش وأيامها وأخبارها وأشعارها، وقد حازت عائشة رضي الله عنها هذا العلم من أبيها ثم انتقلت إلى بيت النبوة بيت زوجها محمد بن عبد الله ﷺ وكانت لا تزال صغيرة فتلقت منه ﷺ العلم الغزير غضاً طرياً .

وبعد أن تخرجت من هاتين المدرستين أصبحت رضي الله عنها المرجع الشرعي لخلفاء رسول الله ﷺ فقد قال محمد بن أبي بكر : (كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وهلم جراً إلى أن ماتت رحمها الله)[2] .

ولم تكتف عائشة رضي الله عنها بمجرد الإجابة على تساؤلات الصحابة واستفساراتهم بل إنها استدركت على عدد منهم ما قد توهموا في فهمه أو أخذوه على غير وجهه من مسائل الدين فتردهم إلى الصواب كما تراه .

ومن الصحابة الذين استدركت عليهم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :

عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبو هريرة ومروان بن عبد الحكم وأبو سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود وأبو موسى الأشعري وزيد بن ثابت وزيد بن الأرقم والبراء بن عازب وعبد الله بن الزبير وعروة بن الزبير وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو الدرداء وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من كبار الصحابة رضي الله عنهم أجمعين [3] .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٣٤/١١ .

(٢)رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣٧٥/٢ .وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٦٥/٤٩.

وذكره المزي في تهذيب الكمال ٤٣١/٢٣ ، تحقيق : بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ .

(٣) راجع كتاب الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة لبدر الدين الزركشي ، تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب – مكتبة الخانجي – القاهرة .

ومع هذا العلم الغزير والشامل للدنيا والدين فقد كانت ﵂ غير متكبرة في علمها ولا متكلفة ولا تتكلم في شيء لا تعرفه بل تحيل السائل إلى من هو أعلم منها بذلك ، فعندما سألها شريح الخزاعي [1] عن المسح على الخفين قالت له : (ائت علياً فإنه أعلم بذلك مني) [2].

وهنا مسألة مهمة ، وهي : ما الطريقة التي اكتسبت بها ﵂ هذا العلم ؟

فالطريقة التي أكسبتها هذا العلم تختلف عن طريقة الآخرين لأنها تنبني على عدة أساليب فمرةً بالسؤال ومرة بحضور مجلس العلم ومرة بتوجيه الرسول ﷺ لها ومرة بترقبها لتعليم الرسول ﷺ لغيرها .

ففي سؤالها ﵂ :

فقد جاء عنها ﵂ أنها قالت : (قلت يا رسول الله : ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعة ؟ قال : لا ينفعه إنه لم يقل يوماً ربي اغفر لي خطيئتي يوم الدين) [3] .

وأما تعلمها ﵂ بحضورها مجالس العلم :

فقد جاء عنها ﵂ أنها قالت : أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل . هل عليهما الغسل ؟ وعائشة جالسة فقال رسول الله ﷺ: (إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل) [4] .

وفي تعلمها ﵂ بتوجيه الرسول ﷺ:

فقد جاء عنها أنها قالت : (دُعي النبي ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار. فقلت يا رسول الله : طوبى لهذا . عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء و لم يدركه) .

---

(١) شريح بن هاني بن يزيد بن الحارث الكوفي أدرك النبي ﷺ ولم يره ولم يهاجر إلا بعده ، شهد المشاهد مع عليّ ، قتل غازياً بسجستان سنة ٧٨هـ .

انظر: الإصابة ١١٦/٢ . وتهذيب التهذيب ٣٣٠/٤ .

(٢) رواه مسلم – كتاب الطهارة – باب التوقيت في المسح على الخفين ٢٣٢/١ ، حديث (٢٧٦) .

(٣) رواه مسلم – كتاب الإيمان – باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمله ١٩٦/١ ، حديث (٢١٤) .

(٤) رواه مسلم – كتاب الحيض – باب نسخ (الماء من الماء) ووجوب الغسل بالتقاء الختانين ٢٧٢/١ ، حديث (٣٤٨) .

قال : (أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم) (1) .

أما بالنسبة لترقبها تعليم الرسول ﷺ غيرها وهي تسمع من وراء حجاب :

فقد جاء عنها ﵂ أن رجلاً جاء إلى الرسول ﷺ يستفتيه وهي تسمع من وراء الباب ، فقال : يا رسول الله تدركني الصلاة وأنا جنب أفأصوم؟ فقال رسول الله ﷺ: (وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم) ، فقال: لست مثلنا يا رسول قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . فقال : (والله إني لأرجوا أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما اتقي) (2) .

وهكذا صارت ﵂ أول امرأة يتتلمذ عليها مشيخة المهاجرين والأنصار ويرجع إليها أكابر الصحابة .

يتضح لنا مما سبق أن أم المؤمنين عائشة ﵂ قد أحاطت بشتى العلوم من شريعة وشعر وغير ذلك ، ويزيد هذا وضوحاً عند التمثيل على هذه الجوانب ، وإليك ذلك أخي القارئ:

فمن أمثلة الجانب العقدي:

فلقد حفلت كتب الحديث بالروايات المتعددة عن أم المؤمنين عائشة ﵂ في مجال العقيدة مما يدل على سعة علمها وقوة حفظها فهذه ﵂ تروي عن رسول الله ﷺ حديثاً يعتبر من أصول الإسلام وقواعده العظام ، وبناء عبادة المسلم بناءً صحيحاً راسخاً إذا هو التزم بما فيه وعمل به في حياته فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت : قال رسول الله ﷺ (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) (3) ، وفي رواية لمسلم عنها أن رسول الله ﷺ قال : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)(4) .

---

(1) رواه مسلم – كتاب القدر – باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المشركين ٢٠٥٠/٤ ، حديث (٢٦٦٢) .

(2) رواه مسلم – كتاب الصيام – باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ٧٨١/٢ ، حديث (١١١٠) .

(3) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح – كتاب الصلح – باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ٣٥٥/٥ ، حديث (٢٦٩٧) .

وصحيح مسلم – كتاب الأقضية – باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ١٣٤٣/٣ ، حديث (١٧١٨) ، واللفظ له .

(4) صحيح مسلم – كتاب الأقضية – باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ١٣٤٣/٣-١٣٤٤ ، حديث (١٧١٨) .

قال النووي عند شرحه لهذا الحديث :" قال أهل العربية : قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات ، وفي الرواية الثانية وهو أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها ، فإذا احتج عليه بالرواية الأولى يقول : أنا ما أحدثت شيئاً فيحتج عليه بالثانية التي فيها التصريح برد كل المحدثات سواء أحدثها الفاعل أو سبق بإحداثها ... وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به" (١) .

فرواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لهذا الحديث تعليماً للأمة في أصل مهم من أصول الدين ، فهذا الحديث يقف سداً منيعاً في وجه كل من تحدثه نفسه بإفساد عقيدة المسلمين أو شريعتهم، كما أنه يغلق باب البدع والإحداث في دين الله ، ودين الإسلام كامل مكمل لا يحتاج من أحد إضافة أو زيادة ، قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [سورة المائدة : ٣] .

ومما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في موضوع العقيدة أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ (﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص: ١].

فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : سلوه لأي شيء يصنع ذلك ، فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال النبي ﷺ : أخبروه أن الله يحبه(٢)

فالحديث واضح الدلالة على توضيح العقيدة الصحيحة حيث اشتمل على تقرير أن لله عز وجل صفات تليق بجلاله وعظمته أثبتها القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ ومنها صفة المحبة لله سبحانه كما يليق بجلاله وأنه سبحانه يُحِبُ ويُحَبُ سبحانه .

كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ١٦٥] ، وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٢] .

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ١٢/١٦ .

(٢) رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب التوحيد – باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى التوحيد لله تبارك وتعالى ٣٦٠/١٣ ، حديث (٧٣٧٥)

وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له [١] ، ومما جاء عن عائشة رضي الله عنها في مجال العقيدة ما رواه البخاري ومسلم عنها رضي الله عنها أنها قالت: سحر النبي ﷺ يهودي من يهود بني زريق ، يقال له لبيد بن الأعصم . قالت : حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله ، حتى كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله ﷺ ثم دعا ثم قال : يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه ؟ جاءني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي ما وجع الرجل ؟ قال مطبوب .

قال: من طبة ؟ قال : لبيد بن الأعصم . قال في أي شيء ؟ قال في مشط ومشاطة[٢] .

قال : وجف طلعة[٣] ذكر ، قال فأين هو ؟ قال في بئر ذي أروان[٤].

قالت : فأتاها رسول الله ﷺ في أناس من أصحابه ثم قال: يا عائشة والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤوس الشياطين . قالت : فقلت يا رسول الله أفلا أحرقته قال: لا ، أما أنا فقد عافاني الله ، وكرهت أن أثير على الناس شراً ، فأمرت فدفنت [٥]

هذا الحديث تناقلته كتب العقائد وأثبتته في باب السحر وأعطوه مزيد عناية وتأمل لأن القرينة واضحة في أن السحر باب من أبواب الشرك لأن الساحر يصرف فيه شيئا من عبادة الله وحده إلى من يستعين بهم من الشياطين و مردة الجن والذبح لهم وغير ذلك مما هو صريح الشرك .

---

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/٣٥٤ .

(٢) المشاطة : هي الشعر الذي سقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط .

انظر: النهاية في غريب الحديث ٤/٣٣٤

(٣) الجف : وعاء الطلع ، وهو الغشاء الذي يكون فوقه .

انظر: النهاية في غريب الحديث ١/٢٧٨

(٤) بئر ذي أروان : هي بئر في منازل بني زريق بالمدينة ، موضع على ساعة من المدينة وفيه بني مسجد الضرار .

أنظر معجم البلدان ١/٢٩٩

(٥) متفق عليه :

رواه البخاري مع الفتح – كتاب الأدب – باب قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ ، ١٠/٤٩٤ ، حديث (٦٠٦٣) .

وصحيح مسلم – كتاب السلام – باب السحر ٤/١٧١٩ ، حديث (٢١٨٩) .

هذا مع ما يلحق المسحور من الضرر في نفسه وجسده مما يؤدي به أحيانا إلى الموت . وقد اختلف العلماء في حقيقة السحر وهل هو ثابت وأن له تأثيرا أم لا .

قال ابن أبي العز الحنفي في شرحه للطحاوية (... وقد تنازع العلماء في حقيقة السحر وأنواعه، والأكثرون يقولون أنه قد يؤثر في موت المسحور و مرضه من غير شيء ظاهر إليه ، وزعم بعضهم أنه مجرد تخيل ، واتفقوا على أن ما كان من جنس دعوة الكواكب السبعة ... أو السجود لها ... ونحو ذلك ، فإنه كفر وهو من أعظم أبواب الشرك فوجب غلقه) (١)

وقال ابن حجر :" والصحيح أن له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة " (٢).

وقال القرطبي :" ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة وذهب عامة المعتزلة إلى أن السحر لا حقيقة له وإنما هو تمويه وتخييل ، ولو لم يكن له حقيقة لم يمكن تعلمه ولا أخبر الله تعالى أنهم يعلمون الناس – يعني هاروت و ماروت – فدل على أن له حقيقة ... على هذا أهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة ومخالفتهم أهل الحق ، ولقد شاع السحر وذاع في سابق الزمان وتكلم الناس فيه ، لم يبد أحد من الصحابة ولا من التابعين إنكار أصله " (٣)

أما ما قاله بعض المخالفين لأهل السنة بأن الفترة التي سحر فيها النبي ﷺ يدخلها الشك فيما أخبر عليه الصلاة والسلام نظراً لتأثره بالسحر الذي أخبر به وإلا فالحديث باطل .

فقد رد عليهم القاضي عياض هذه المقالة بقوله : " فاعلم وفقنا الله وإياك أن هذا الحديث صحيح متفق عليه ، وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها إلى التشكيك في الشرع ، وقد نزه الله الشرع والنبي عما يدخل في أمره لبساً ، وإنما السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع من الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته ، وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أن فعل الشيء ولا يفعله ، فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه أو شريعته أو يقدح في صدقه لقيام الدليل والإجماع على عصمته من

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٥٦٩

(٢) فتح الباري ٢٢٢/١٠

(٣) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٤٦/٢

هذا ، وإنما هذا فيما يجوز طروؤه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر ، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها مالا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان " (١) .

وفي صحيح مسلم من حديث مسروق قال : قلت لعائشة (يا أمتاه هل رأي محمد ربه. فقالت : من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية . فقلت : يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ، ألم يقل الله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [سورة التكوير : ٢٣] وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم : ١٣]

فقالت : أنا أول هذه الأمة سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال " إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض "(٢)

وغير ذلك مما يدل على سعة علمها وكثرة روايتها في هذا المجال .

ومن أمثلة الجانب التفسيري:

فتعد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من كبار مفسري عصرها ساعدها على ذلك سماعها للقرآن الكريم منذ صغرها ويدل على ذلك قولها : (لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [سورة القمر : ٤٦] وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده) (٣).

وبعد زواجها وعيشها في بيت النبوة تسع سنين الذي هو مهبط الوحي حيث أنه لم يترل الوحي على رسول الله ﷺ وهو في لحاف امرأة من نسائه غيرها (٤).

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ١٦٠/٢ - ١٦١

(٢) رواه مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – باب معنى قول الله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ ، ١٥٩/١ حديث (١٧٧) .

(٣) رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب فضائل القرآن – باب تأليف القرآن ٦٥٥/٨، حديث (٤٩٩٣) .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح - كتاب فضائل الصحابة - باب فضل عائشة - رضي الله عنها – ١٣٤/٧، حديث (٣٧٧٥) .

وقد نزلت آيات الإفك[1] والتيمم[2] بسببها .

و لم تكن رضي الله عنها تكتفي بمجرد الحفظ وإنما كان إذا أشكل عليها شيء لا تتردد في طرحه على الرسول ﷺ لتتعرف على معاني الآيات القرآنية ومراد الله عز وجل منها ، فقد قالت رضي الله عنها (سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ ﴾ [سورة المؤمنون:٦٠] أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات)[3].

وهذا ما جعلها رضي الله عنها على معرفة تامة بالقرآن الكريم وأسباب نزوله مما جعلها تقيم تفسيرها للقرآن الكريم على منهج تفسيري له أصوله من تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة مما يبرز قوة علمها في هذا المجال وأختم هذا المبحث بذكر مثال واحد لكل نوع:

أ- تفسيرها القرآن بالقرآن :

ومن الأمثلة على ذلك أنها رضي الله عنها ترى وجوب مهر المثل لليتيمة إذا تزوجها من هي تحت ولايته واستدلت على هذا الحكم بالآيات الكريمة التالية مجتمعة في قوله تعالى : ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [سورة النساء : ٣] وقول الله تعالى : ﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ [سورة النساء : ١٢٧] [4] .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح – كتاب التفسير - باب قوله تعالى ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ... ﴾ ٨/٣٠٦-٣٠٩ ، حديث (٤٧٥٠) .

(٢)صحيح البخاري مع الفتح – كتاب التيمم- باب (١) ، حديث نزول آية التيمم ٥١٤/١ ، حديث (٣٣٤) .

(٣) رواه الترمذي في سننه – كتاب التفسير – باب (ومن سورة المؤمنون) ٣٠٦/٥ – ٣٠٧ حديث (٣١٧٥) .
وابن ماجة في سننه – كتاب الزهد – باب التوقي على العمل ١٤٠٤/٢ ، حديث (٤١٩٨) .
والحاكم في مستدركه ٣٩٣/٢-٣٩٤ ، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .
وحسن إسناده الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٣٧٠/٣ .

(٤) متفق عليه :-
صحيح البخاري مع الفتح – كتاب التفسير – باب قوله تعالى : ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ ﴾ ، ٨٧/٨ ، حديث (٤٥٧٤) .
وصحيح مسلم – كتاب التفسير – باب (٥٤) ، ٢٣١٣/٤ ، حديث (٣٠١٨) .

ب- تفسيرها القرآن بالسنة :

ومن الأمثلة على ذلك إنكارها رضي الله عنها على ابن عباس سؤاله لها : هل رأي النبي ﷺ ربه؟ ففي صحيح مسلم من حديث مسروق قال : قلت لعائشة (يا أمتاه هل رأي محمد ربه . فقالت : من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية . فقلت : يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ، ألم يقل الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة التكوير : ٢٣] وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [النجم : ١٣]

فقالت : أنا أول هذه الأمة سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال " إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض "(١)

ومن أمثلة الجانب الحديثي:

فإن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت كثيرة الرواية عن النبي ﷺ فهي تعتبر من كبار حفاظ السنة من الصحابة وتأتي في المرتبة الرابعة في حفظ الحديث وروايته ولم يسبقها في ذلك من الصحابة سوى أبو هريرة وابن عمر وأنس بن مالك - رضي الله عنهم- ، وكثرة روايتها عائد لطول ملازمتها للنبي ﷺ ولحدة ذكائها وقوة ذاكرتها وحفظها وحسبك لهذا الأمر دليلا كثرة ما روت عن النبي ﷺ إلى جانب هذا العدد الكبير من الأشعار والأمثال فما كان يترل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً أو استشهدت فيه بمعنى . (٢)

ولقد كانت إذا سمعت شيئاً تستشكله أو ترى أمراً لا تعرفه إلا وتسأل مستفسرة عنه واشتهرت بذلك علاوة على ذلك كثرة نزول الوحي في حجرتها ، ولقد انفردت بأحاديث عن النبي ﷺ لم يروها عنه غيرها وهي سنته الفعلية في بيته خاصة ويضم مسندها كثيراً من هذه السنة، بينما اشترك رواة الصحابة في رواية أحاديث كثيرة عنه ﷺ.

---

(١) رواه مسلم وتقدم تخريجه ص ١١٤ .

(٢) أنظر : الاستيعاب ٣٥٨/٤ ، وشرح المواهب اللدنية ٢٧٩/٣

لهذه الأسباب وغيرها يرجع كثرة روايتها عن النبي ﷺ ، ولقد بلغ مسندها ألفين ومائتين وعشرة أحاديث اتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثاً وانفرد البخاري بأربعة وخمسين وأنفرد مسلم بتسعة وستين (١) .

ولقد روى عنها من الرجال :

إبراهيم بن زيد التميمي ، وإبراهيم بن يزيد النخعي ، وإسحاق بن طلحة بن عبدالله، وإسحاق بن عمر ، والأسود بن يزيد النخعي ، وأيمن المكي ، وثمامة بن حزن القشيري ، وجبير بن نفير الحضري ، وجميع بن عمير التميمي ، والحارث بن عبد الله المخزومي ، والحارث بن نوفل بن عبد المطلب ، والحسن البصري ، وحمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وخالد بن دريك العسقلاني (ولم يدركها) ، وخالد بن سعد ، وخالد ابن معدان الكلاعي ، وخباب صاحب المقصورة ، وخبيب بن عبد الله بن الزبير بن العوام، وخلاس بن عمر الهجري ، وخيار بن سلمة الشامي ، وخيثمة بن عبد الرحمن الجعفي ، وذكوان أبو صالح السمان ، وذكوان أبو عمر مولى عائشة ، وربيعة بن عمر الجرشي ، وزادان أبو عمر الكندي ، ووزارة بن أوفى ، ووزارة غير منسوب ، ووزرّ بن حبيش الأسدي ، وزيد بن أسلم ، وزيد بن خالد الجهني ، وسالم بن أبي الجعد الغطفاني ، وسالم ابن عبد الله بن عمر ، وسالم سبلان أبو عبد الله مولى شداد ، والسائب بن يزيد ابن أخت نمر ، ووسعد بن هشام بن سعد الأنصاري ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن أبي سعيد المقبري، وسعيد بن العاص الأموي ، وسعيد بن المسيب ، وسليمان بن بريدة ، وسليمان ابن يسار ، ووسوا الخزاعي ، ووشريح بن ارطاة النخعي ، وشريح بن هاني الحارثي ، وشريح الهوزني ، وأبو وايل شقيق بن سلمة الأسدي ، وشهر بن خوشب ، وصالح بن الربيعة بن الهدير التميمي ، وصعصعة بن معاوية التميمي عم الأحنف بن قيس ، وطاووس ابن كيسان اليماني ، وطلحة بن عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن معمر التميمي ، وعابس ابن ربيعة النخعي ، وعاصم بن حميد السكوني ، وعامر بن سعد بن أبي وقاص ، وعامر بن شراحبيل الشعبي ، وعباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وعباد بن عبد الله بن الزبير ، وعبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، وعبد الله بن بريدة ، وأبو الوليد بعد الله بن

(١) أنظر سير أعلام النبلاء ١٣٩/٢ . وشرح المواهب اللدنية ٢٧٩/٢

الحارث البصري ، وعبد الله بن الزبير بن العوام (ابن أختها) ، وعبد الله بن أبي سلمة الماجشون ، وعبد الله بن شداد الليثي ، وعبد الله بن شقيق العقيلي ، وعبد الله بن شهاب الخولاني ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن أبي مليكة ، وعبد الله بن عبيد بن عمير الليثي ، وعبد الله بن حكيم الجهني ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن فروج مولى عائشة ، وعبد الله بن أبي قيس الشامي ، وعبد الله بن محمد بن ابي بكر الصديق (ابن أخيها) ، وعبد الله بن أبي عتيق محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، وعبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله يزيد (رضيع عائشة) ، وعبد الله البهى مولى مصعب بن الزبير ، وعبد الرحمن بن الأسود بن يزيد النخعي ، وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي ، وعبد الرحمن بن الرماح ، وعبد الرحمن بن وهب الهمداني ، وعبد الرحمن بن شماسه المهدي ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن سابط الجمحي ، وعبد العزيز بن جريج المكي ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وعبيد الله بن عياض ، وعبيد بن أبي الجعد ، وعبيد بن عمير الليثي ، وعراك بن مالك العقاري ، وعروة بن الزبير (ابن أختها) ، وعروة بن المزني ، وعذره بن عبد الرحمن، وعطاء بن أبي رباح ، وعطاء بن يسار ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعلقمة بن قيس النخعي ، وعلقمة بن وقاص الليثي ، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، و عمرو بن سعيد بن العاص الأموي ، وأبو ميسرة عمرو بن شرحبيل الهمذاني ، وعمرو بن العاص ، وعمرو بن غالب الهمذاني ، وعمرو بن ميمون الأودي ، وعمران بن حطان السدوسي ، وعوف بن الحارث بن الطفيل (رضيع عائشة) ، وعياض بن عروة ، وعيسى ابن طلحة بن عبيد الله ، وعفيف بن الحارث ، ووفروة بن نوفل الأشجعي ، والقاسم بن أبي بكر الصديق ، والقعقاع بن حكيم ، وقيس بن أبي حازم ، وكثير بن شهاب المدجحي، وأبو سعيد كثير بن عبيد الكوفي (رضيع عائشة) ، وكريب مولى ابن عباس ، ومالك بن أبي عامر الأصبحي ، ومجاهد بن جبر المكي ، ومحمد بن إبراهيم بن الحرث التميمي ، ومحمد بن الأشعث بن قيس الكندي ، ومحمد بن زياد الجمحي ، ومحمد بن سيرين ، ومحمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ، ومحمد بن قيس ابن مخرمة بن المطلب ، ومحمد بن المنتشر الهمذاني ، ومحمد بن المنكدر التميمي ، ومروان أبو لبابه العقيلي البصري ، ومسروق بن الأجدع ، ومصدع أبو يحيى

المعرقب ، ومطرف بن عبد الله بن الشخير ، والمطلب بن عبد الله بن خطب المخزومي ، ومقسم مولى بن عباس ، ومكحول الشامي ، وموسى بن طلحة بن عبيد الله ، وميمون بن أبي شبيب ، وميمون بن مهران ، ونافع بن جبير بن مطعم ، ونافع بن عطاء ، ونافع مولى ابن عمر ، والنعمان بن بشير الأنصاري ، وهمام بن الحارث النخعي ، وهلال بن يساف ، ويحيى بن الجذار ، ويحيى بن سعد بن العاص الأموي ، ويحيى بن يعمر ، ويزيد بن بابونس ، ويزيد بن عبد الله بن الشخير ، ويعلى بن عقبة ، ويوسف بن ماهك ، وأبو أمامة بن سهل ابن حنيف، وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأبو الجوزاء الربعي ، وأبو حذيفة الأرجي ، وأبو حفصة مولى عائشة ، وأبو الحويرت ، وأبو الزبير المكي ، وأبو سلمي بن عبد الرحمن بن عوف ، وأبو الشعثاء المحاربي، وأبو الصديق الناجي ، وأبو ظبيان الجشي ، وأبو العالية رفيع الرياحي ، وأبو عبد الله الجدلي ، وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، وأبو عثمان النهدي ، وأبو عطية الوداعي ، وأبو قلابة الحرمي ، وأبو المليح المهذلي ، وأبو موسى الأشعري ، وأبو نوفل بن أبي عقرب، وأبو هريرة الدوسي ، وأبو يونس مولى عائشة .

وروي عنها من النساء :

أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (بنت أخيها) ، وأمية بنت عبد الله ، وبنانه بنت يزيد العبشمية ، وبنانه مولاة عبد الرحمن بن حماد الأنصاري ، وبهية مولاة أبي بكر الصديق ، وجسرة بنت دجاجة ، وحفصة بنت عباد ، وحفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (بنت أخيها) ، وخيرة أم الحسن البصري ، وذفرة بنت غالب (أم عبد الرحمن بن أذينه قاضي البصرة) ، ودميثة جدة عاصم بن عمر بن قتادة (ولها صحبة) ، وزينب بنت أبي سلمة (ربيبة النبي ﷺ) ، وزينب بنت نصر ، وزينب السهمية ، وساية مولاة الفاكه بن المغيرة ، وسمية البصرية ، وشميسة العنكية ، وصفية بنت الحارث بن طلحة الطلحات ، وصفية بنت شيبة ، وصفية بنت أبي عبيد امرأة عبد الله بن عمر ، وصفية بنت عصمة ، وصفية بنت عطية ، والصماء بنت بسر ، وعائشة بنت طلحة بن عبد الله ، وعمرة بنت عبد الرحمن ، وعمرة عمة مقاتل بن حيان ، وقرصافة ، وقميرا امرأة مسروق ابن الأجدع ، وكريمة بنت همام ، وكلثم — وقيل أم كلثوم — بنت عمرو القرشية ،

ومرجانة أم علقمة بن أبي علقمة ، ومسيكة المكية أم يوسف بن ماهل ، ومعاذة العدوية ، وهند بنت شريك بن زبان البصرية ، وأم بكر – ويقال أم أبي بكر – ، وأم جحدر العامرية ، وأم حميد ويقال أم حميدة بنت عبد الرحمن ، وأم دره المدنية مولاة عائشة، وأم سالم بنت مالك الراسبية ، وأم علقمة ، وأم كلثوم بنت أبي بكر الصديق (أخت عائشة) ، وأم كلثوم بنت ثمامة ، وأم كلثوم الليثية أو المكية ، وأم كلثوم ، وأم محمد امرأة زيد بن عبد الله بن جدعان ، ووقد روى لها الجماعة [(١)].

ومن أمثلة الجانب الفقهي:

فقد كانت أم المؤمنين عائشة ﵂ عالمة بالفقه مجتهدة في كثير من مسائله ، وعدت من كبار الصحابة المجتهدين حتى أصبحت المرجع الشرعي لكبار الصحابة فيما خفي عليهم . فقد قال محمد بن أبي بكر (كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وهلم جرا ، إلى أن ماتت يرحمها الله) [(٢)].

وقال عطاء بن أبي رباح :" كانت عائشة أفقه الناس وأحسن الناس رأياً في العامة " [(٣)]

وقد كانت ﵂ مجتهدة في المسائل الفقهية إذا لم تجد لها حكما في الكتاب والسنة فقد قال أبو سلمة بن عبد الرحمن (ما رأيت أحداً أعلم بسنن رسول الله ﷺ ، ولا أفقه في رأي إن احتيج إليه ، ولا أعلم بآية فيما نزلت ، ولا فريضة من عائشة) [(٤)] .

---

(١) انظر : فيما تقدم كتاب تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي ١٦٨٩/٣ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٤٣٣/١٢ –٤٣٥ ، وسير أعلام النبلاء ١٣٥/٢–١٣٩ ، وتحفة الأشراف لمعرفة الأطراف ٣١/١١–٣٥ من المقدمة ، وتحفة الأشراف لمعرفة الأطراف ١٧/١٢–٢٨ من المقدمة .

راجع للاستفادة في عدد ما روى كل راوي عن عائشة . عائشة أم المؤمنين – رسالة ماجستير لجواهر با سلوم ، ص ٥٩–٦٥ ، بعنوان " تلاميذها وتلميذاتها " .

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى وتقدم تخريجه ص ١٠٨ .

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ١٥/٤ .

وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ٤٦٣/١٢ .

وابن عبد البر في الاستيعاب ١٨٨٣/٤ .

وذكر ه الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٨٥/٢

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه وابن سعد في الطبقات وتقدم تخريجه ص ١٠٧ .

وقال الزهري :" لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل "[1] وقد تنفرد عنهم برأيها ، ومن ذلك أنها حددت سن اليأس عند المرأة ببلوغها سن الخمسين سنة، حيث لا نص في ذلك وإنما راجع إلى الاستقراء والبيئة التي تعيش فيها المرأة ، فقد قالت في ذلك (قل امرأة تجاوز الخمسين فتحيض إلا أن تكون قرشية)[2].

وكانت أغلب المسائل الفقهية التي تعرضت لها تختص بالمرأة وما يتصل بها من قضايا وأمور حساسة ودقيقة مستعينة بخبرتها الزوجية مع رسول الله ﷺ فقد كانت أقرب الناس إليه ﷺ ومكنها ذلك من أن تحفظ الكثير من الأحكام الشرعية التي تتعلق بالعلاقة بين الرجل وزوجته والتي لا يمكن أن يعرفها إلا الزوجة من زوجها .

ومن ذلك ما جاء عن سليمان بن يسار قال سألت عائشة عن المني يصيب الثوب فقالت : (كنت أغسله من ثوب رسول الله ﷺ فيخرج إلى الصلاة وأثر الغسل في ثوبه بقع الماء)[3].

وكذلك ما جاء عن عبيد بن عمير قال : (بلغ عائشة أن عبد الله بن عمرو يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن ، فقالت : يا عجباً لابن عمرو هذا يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن ، أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن ، لقد كنت اغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ولا أزيد على أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات)[4].

فكانت رضي الله عنها لها آراؤها الفقهية الخاصة التي اجتهدت فيها وتفردت بها مما يبرز قوة فكرها وخصوبة علمها وقدرتها على استنباط الأحكام .

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٤/١١ .
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٢٤٣ .
والذهبي في سير أعلام النبلاء ٢/١٨٥.
(٢) الذخيرة لشهاب الدين القرافي ١/٣٨٤ دار الغرب بيروت ، ١٩٩٤ م ، تحقيق محمد حجي
(٣) متفق عليه :
رواه البخاري ، صحيح البخاري مع الفتح – كتاب الوضوء – باب إذا غسل الجنابة أو غيرها فلم يذهب أثره ١/٣٩٩ ، حديث (٢٣١) .
ومسلم – كتاب الطهارة – باب حكم المني ١/٢٣٩ ، حديث (٢٨٩) .
(٤) رواه مسلم – كتاب الحيض – باب حكم ضفائر المغتسلة ١/٢٦٠ ، حديث (٣٣١) .

وأخيراً من أمثلة جانب الشعر:

فإنها رضي الله عنها تقول الشعر وتتمثل به في حديثها أو عند حصول بعض المواقف لهـا ومـن ذلك:

فقد ورد أنها لما رأت أباها اشتد عليه مرضه الذي مات فيه تمثلت قول عم الرسول ﷺ أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل(١)

ولما رأته يعالج ما يعالج الميت ونفسه في صدره تمثلت هذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر(٢)

وذكر طيفور (٣) أن عائشة ذكرت أباها يوما ثم أنشأت تقول :

إن ماء الجفون يترحه الهـــــــم وتبقى الهموم والأحزان

ليس يأسو جوى المرازي ماء سفحته الشؤون والأجفان(٤)

فرحم الله أمنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وجمعنا بها في عليين والله أعلم .

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١/٧ .

و ابن أبي شيبة في المصنف ٥/٢٧٩

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢٧٢وقال: رجاله ثقات.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣/١٩٦.

وذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠/٣٢٥.

وابن الأثير في الكامل في التاريخ ٢/٢٧٠.

(٣) طيفور: هو أبو الفضل أحمد ابن أبي طاهر المعروف بطيفور ، من أبناء خراسان ، ولد ببغداد عام ٢٠٤هـ وتوفي عام ٢٨٠هـ .

انظر مقدمة كتابه : بلاغات النساء – طبعة دار الحداثة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٩٨٧م .

(٤) بلاغات النساء لطيفور ص ١٢-١٣.

الباب الثالث

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند أهل السنة.

وفيه تمهيد وثلاثة فصول :

التمهيد : مكانة أزواج النبي ﷺ عند أهل السنة.

الفصل الأول

مكانة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند أهل السنة.

الفصل الثاني

التفضيل بين عائشة وخديجة وفاطمة - رضي الله عنهن -.

الفصل الثالث

فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند أهل السنة .

التمهيد

مكانة أزواج النبي ﷺ عند أهل السنة.

التمهيد

مكانة أزواج النبي ﷺ عند أهل السنة.

إن التحدث بمكانة الفضلاء من شريعة الإسلام ومن إقامة السنة وإعلان الرضا عمن رفع الله مكانته واصطفاه .

وقد أثنى الله في كتابه على أقوام بإيمانهم وتقواهم وأخبر عن اصطفائهم واجتبائهم فقد كان منهم الأنبياء والرسل وكان منهم الصالحون والمتقون وقد امتلأت كتب الصحاح والسنن بالتبويب للمكانة والفضيلة فضلاً عن الكتب المفردة في ذلك سواء للصحب الكرام أو الآل الأطهار وقام أهل العلم بالشرح والبيان لهذه المكانة حتى أصبح ذلك أمراً معلوماً ومعتقداً موسوماً عند أهل السنة والجماعة فحريّ بكل من وقف على هذه المكانة لأزواج النبي ﷺ أن يخرجها ويبينها ؛ لأن ذلك من دين الإسلام ومن الوفاء والإكرام لأمهاتنا رضي الله عنهن أجمعين ، وسأذكر إن شاء الله بعضاً من أقوال أهل العلم في بيان هذه المكانة في الأسطر التالية على هيئة نقاط متتابعة ، وهي :

١- وصفهن رضي الله عنهن بوصف الزوجية في قوله تعالى من آيات التخيير : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية : ٢٨]. فذكرهن بلفظ الزوجية هنا لم يكن عبثاً من القول – وحاشا القرآن أن يكون كذلك – بل للدلالة على علو المكانة ، ووجه ذلك : أن لفظ الأزواج مشعر بالمشاكلة والمجانسة والاقتران كما هو المفهوم من لفظه ، فإن الزوجان هما الشيئان المتشابهان المتشاكلان والمتساويان ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾[سورة الصافات: ٢٢]. قال أهل التفسير : أشباههم وأمثالهم [١].

ففي الآية دليل ظاهر على التزكية العلية والمكانة الرفيعة لأزواج النبي ﷺ حيث جعلهن في مقام المشابهة المناسب له ﷺ مما يدل على علو المكانة وعلى صفات الصلاح والتقوى والطهر .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩٠٨/٧ .

وتأمل كيف كان القرآن يتحدث عن الزوجات الكافرات للأنبياء بلفظ المرأة قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ﴾[سورة التحريم:١٠]. وقوله تعالى : ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾[سورة المسد: ٤].

أما أزواج النبي ﷺ فكان الخطاب لهن بلفظ الزوجة غالباً حتى في مقام العتاب كما في سورة التحريم ، ولم يخاطبهن بلفظ المرأة .

قال قتادة :" لما ذكر الله أزواج النبي ﷺ دخل نساء من المسلمات عليهن فقلن : ذكرتنّ ولم نذكر ، ولو كان فينا خير ذكرنا ، فانزل الله : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾[سورة الأحزاب: ٣٥]"(١).

٢- ومما يدل على علو منزلتهن ما ذكره أهل العلم من أنهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة بعد نزول آيات سورة التحريم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :" وقد ثبت بالنقل الصحيح أن هذه الآيات لمّا نزلت قرأ النبي ﷺ على أزواجه وخيّرهن كما أمره الله فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، ولذلك أقرّهنّ ولم يطلقهن حتى مات عنهن"(٢).

وقال ابن كثير :" فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، فجمع الله لهنّ بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة "(٣).

وهذا الاختيار دال على المرتبة العالية والمنزلة العظيمة من التقوى وصدق الإيمان لأمهات المؤمنين عموماً .

وكان من تبعات اختيار أمهات المؤمنين رضي الله عنهن الله ورسوله والدار الآخرة إنزال بقية الآيات تكريماً لهن وهذا يدل على علو مكانتهن .

---

(١) تفسير القرآن لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ١١٦/٣ ، طبعة مكتبة الرشد ، تحقيق : مصطفى مسلم ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

(٢) رسالة في فضل أهل البيت ، ص ٢٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤٠١/٦ .

قال الشوكاني :" لما اختار نساء رسول الله ﷺ أنزل فيهنّ هـذه الآيـات تكرمة لهن وتعظيماً لحقهنّ"(١).

٣- ومما يدل على علو مكانتهن عند أهل السنة ما قالوه في استحقاقهن الأجر العظيم في الدنيا والآخرة ، ففي الدنيا جُعلْن أمهات المؤمنين تعظيماً لحقهن وتأكيداً لحرمتهن وتشريفاً لمترلتهن.

وفي الآخرة فكوهن مع النبي ﷺ في الجنة وهذا أمر لا غاية فوقه ولا مزيـة بعده ، وفي ذلك من زيادة النعيم والثواب على غيرهن ما هو معلوم فـإن الثواب والنعيم على قدر المترلة والمكانة .

قال بعض المفسرين :" الفائدة من ذكر الإحسان – أي في آيات التخـيير في سورة التحريم – ليُعلم أن هذا الأجر حاصل لهن على مقدار إحساهن ؛ لأن الإحسان متفاوت ، فعلى مقدار إحسان كل واحد يكـون أجرهـا العظيم "(٢).

٤- ومما ذكره أهل العلم في بيان مكانة أزواج النبي ﷺ عندهم ما قالوه في قوله تعالى : ﴿ نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾[سورة الأحزاب: ٣١].

قال الطبري : " يعطي الله الواحدة منهن مثليّ ما يعطى غيرهن من سـائر النساء "(٣).

وقال الألوسي :" ويستدعي هذا أنه إذا أُثيبت نساء المسلمين على الحسنة بعشر أمثالها ، أُثبن على الحسنة بعشرين مثلاً لها ، وإذا زيد للنساء علـى العشر شيء ، زيد لهن ضعفه "(٤).

وقال بعضهم :" مضاعفة الأجر لعظم قدرهن "(٥).

---

(١) فتح القدير ٤/٢٧٦ .

(٢) التحرير والتنوير ٢١/٣١٦ .

(٣) تفسير الطبري ٢٢/٢ .

(٤) روح المعاني ٢٢/٢ .

(٥) التحرير والتنوير ٢٢/٥-٦ .

وقال آخر :" أجر على الطاعة والتقوى وأجر على طلبهن رضا رسول الله ﷺ"(١).

وقال ابن تيمية :" وهنّ ولله الحمد قنتن لله ورسوله وعملن صالحاً فاستحققن الأجر مرتين ، فصرن أفضل لطاعة الأمر ، لا لمجرد الأمر "(٢).

٥- ومن فرائد ما قاله أهل العلم في إبراز مترلتهن مما يدل على سمو مكانتهن عندهم ما قالوه في تفسير قوله تعالى : ﴿ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٠]. فقد ذكر أهل التفسير حِكماً من وراء ذلك تدل على علو هذه المكانة ومن هذه الحكم قولهم : " إن مضاعفة العذاب لشرف المترلة وفضل الدرجة وتقدمهن على سائر النساء ، فهن وإن كنّ كالنساء جبلة فإنهن لسن كغيرهن شرفاً ، وشرف المترلة لا يحتمل العثرات(٣)، وزيادة قباحة المعصية تتبع زيادة الفضل"(٤). وهذا التعليل لأكثر المفسرين(٥).

٦- ومما ذكره أهل العلم عن أمهات المؤمنين لعلو مكانتهن عندهم أن الله ﷻ بشرهن بالجنة وذكروا أن هذا فضل لهن من وجهين :

الأولى : اختصاصهن عن بقية النساء بل والرجال بهذا الوعد .

الثانية : أنهن من أهل الجنة لكونهن بالاتفاق قنتن لله ورسوله وعملن صالحاً كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية :" وقد ثبت بالنقل الصحيح أن هذه الآيات لمّا نزلت قرأ النبي ﷺ على أزواجه وخيّرهن كما أمره الله فاخترن

(١) محاسن التأويل ٤٨٤٨/١٣ .

(٢) منهاج السنة ٦٤/٤ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٥٦٧/٣-٥٦٨ .

(٤) حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة ، لصديق حسن خان ، ص ٨٥ ، مؤسسة الرسالة ، تحقيق : مصطفى الخن ومحيي الدين مستو ، الطبعة الثامنة ، ١٤١٦هـ .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١٣/١٤ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٠٨/٦ ، وأضواء البيان للشنقيطي ٥٦٤/٣ .

الله ورسوله والدار الآخرة ، ولذلك أقرّهنّ و لم يطلقهـــن حـــتى مـــات عنهن"[1].

وقد أخذ العلماء هذا من قوله تعالى : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٣١]. فقد ذهب جمهور أهل العلم أن المراد بالرزق الكريم: الجنة[2]".

قال ابن كثير :" فإنهن في منازل رسول الله ﷺ في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش "[3].

واستشف بعض المفسرين تحقيق الوقوع من التعبير بالماضي في ﴿ وَأَعْتَدْنَا ﴾ دون المضارع ، يقول ابن عاشور :" والعدول عن المضارع إلى فعل الماضي في قوله تعالى : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ لإفادة تحقيق وقوعه[4].

٧- واختم هذه المقدمة بما قاله أهل السنة في أمومة أزواج النبي ﷺ للمؤمنين عند قوله تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ﴾ [سورة الأحزاب : ٦].

قال قتادة :" ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ﴾ ليعظم بذلك حقهن"[5].

وقال أبو عثمان الصابوني :" وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه رضي الله عنهن ، والدعاء لهن ومعرفة فضلهن والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين "[6].

---

(١) رسالة في فضل أهل البيت ، ص ٢٢ .

(٢) تفسير الطبري ٢/٢٢ . والمحرر الوجيز ٥٦/١٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١٥/١٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤٠٨/٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، ٤٠٨/٦ ، ولكن الظاهر أن الوسيلة للنبي ﷺ فقط دون غيره .

(٤) التحرير والتنوير ٦/٢٢ .

(٥) تفسير الطبري ٧٧/٢١ .

(٦) عقيدة السلف أصحاب الحديث ، لأبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني ، ص ٢٩٤ ، تحقيق : ناصر الجديع ، دار العاصمة ، الرياض — الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

وقال ابن كثير :" أي في الحرمة والاحترام والإكرام والتوقير والإعظام "[1]، وبه قال عامة المفسرين[2].

وقال ابن قدامة : " ومن السنة الترضي عن أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء "[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٨١/٦ .

(٢) انظر : المحرر الوجيز ١٤/١٢ .

(٣) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة ، ص ٢٥٥ ، شرح فضيلة الشيخ العلامة صالح الفوزان ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ .

الفصل الأول

مكانة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عند أهل السنة.

الفصل الأول

مكانة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عند أهل السنة.

إن لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مكانة عظيمة عند أهل السنة من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى يومنا هذا بل وإلى قيام الساعة ، وهذه المكانة معلومة مشهورة في كتاباتهم ومن جوانب هذه المكانة ما يلي :

١- علم الصحابة رضي الله عنهم مكانة أم المؤمنين عند رسول الله ﷺ فأعظموها حباً لها ولمن أحبها أكثر من باقي الأزواج ﷺ فلذلك كانوا يتحرون هداياهم للرسول ﷺ يوم يكون عند محبوبته رضي الله عنها فقد جاء في حديث عائشة قولها : (كان الناس يتحرون بهداياهم يومي ...)[١].

ومما يدل على معرفة الصحابة لمكانة عائشة رضي الله عنها عند رسول الله ﷺ وما ترتب عليه من محبتهم لها وتقديرهم لها ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : (كنت أحب نساء رسول الله ﷺ إليه و لم يكن يحب رسول الله ﷺ إلا طيباً)[٢].

وعن عمرو بن غالب أن رجلاً نال من عائشة رضي الله عنها عند عمار بن ياسر فقال : (أغرب مقبوحاً منبوحاً أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ)[٣].

---

(١) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح – كتاب الهبة – باب من أهدى إلى صاحبه وتحرّى بعض نسائه دون بعض ٢٤٣/٥ ، حديث (٢٥٨٠) .

ومسلم – كتاب فضائل الصحابة – باب فضل عائشة ١٨٩١/٤ ، حديث (٢٤٤١).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند.والطبراني في المعجم الكبير .والحاكم في المستدرك. وتقدم تخريجه ص ١٠٢

(٣) رواه الترمذي في سننه – كتاب المناقب – باب فضل عائشة ٦٦٤/٥ ، حديث (٣٨٨٨) وقال هذا حديث حسن .

والحاكم في المستدرك ٤٤٤/٣ وقال صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي .

والطبراني في المعجم الكبير ٤٠/٢٣ .

وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي ص ٥٢٠-٥٢١

٢- لقد تبوأت أم المؤمنين عائشة ﵂ مكانة علمية رفيعة عند صحابة رسول الله ﷺ ومن جاء بعدهم فقد كانت المرجع الذي يرجعون إليه فيما يصعب عليهم معرفته أو فهمه من مسائل الكتاب والسنة ومما جاء في ذلك :

- يقول مسروق : (والذي نفسي بيده لقد رأيت مشيخة أصحاب محمد ﷺ يسألونها عن الفرائض ...)(١).
- ويقول أبو سلمة بن عبد الرحمن : (ما رأيت أحداً أعلم بسنن رسول الله ﷺ ولا أفقه في رأي إن احتيج إلى رأيه ، ولا أعلم بآية فيما نزلت ولا فريضة من عائشة)(٢).
- ويقول أبو موسى الأشعري : (ما أشكل علينا – نحن أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً)(٣).
- بل كانت ﵂ المرجع الشرعي لخلفاء رسول الله ﷺ فقد قال محمد بن أبي بكر : (كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وهلمّ جراً إلى أن ماتت رحمها الله)(٤).

٣- دفاع أهل السنة عن أم المؤمنين ﵂ حول ما اتهمه بها أهل النفاق في قصة الإفك عند قوله تعالى : ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾[سورة النور :١٢] .

قال ابن عطية :" كان ينبغي أن يقيس فضلاء المؤمنين والمؤمنات الأمر على أنفسهم فإذا كان ذلك يبعد فيهم ، فكانوا يقضون بأنه كان في عائشة أبعد ، وقد روي أن هذا النظر السديد وقع من أبي أيوب وامرأته

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٢٣٩/٦ .
والطبراني في المعجم الكبير ١٨١/٢٣
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٢/٩ وقال رواه الطبراني وإسناده حسن .
(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى وابن أبي شيبة في مصنفه وتقدم تخريجه ص ١٠٧ .
(٣) رواه الترمذي – كتاب المناقب – باب فضل عائشة ٥/ ٦٦٢-٦٦٣ ، حديث (٣٨٨٣). وقال هذا حديث حسن صحيح . وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٤٣/٣ .
(٤) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى. وذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق. وتقدم تخريجه ص ١٠٨

وذلك أنه دخل عليها فقالت : (يا أبا أيوب : أسمعت ما قيل ؟ قــال : نعم وذلك الكذب ، أكنت يا أم أيوب تفعلينه ؟ فقالت : لا والله ، قال : فعائشة والله خير منك ، قالت أم أيوب : نعم)(١).

وهذا القياس يدل على أنه استقر في نفوس الأكابر كــأبي أيــوب ﷺ المكانة العالية الرفيعة لعائشة ﷺ .

وقال الطبري :" هذا عتاب من الله لأهل الإيمان فيما وقع في أنفسهم من إرجاف من أرجف في أمر عائشة"(٢).

وتتجلى مكانة عائشة ﷺ عند أهل السنة عندما تطرقــوا إلى مــسألة الطعن فيها سواء بالقذف أم بغير القذف(٣) ، وسأشير إلى إشارات مــن أقوال أهل العلم في ذلك :

فقد جاء عن سعيد بن جبير أنه قال : (نزلت ثماني عشرة آية متوالية كذبت من قذف عائشة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ...﴾ إلى قوله ﴿ ... وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [سورة النور :١١-٢٦](٤).

وقال الإمام مالك :" من سب أبا بكر جلد ، ومن سب عائشة قتل ، قيل له : لم ؟ قال : من رماها فقد خالف القرآن لأن الله يقول :﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[سورة النور :١٧](٥).

---

(١) المحرر الوجيز ٤٥٨/١٠-٤٥٩ .

والأثر رواه الطبري في تفسيره ٧٨/١٨ .

والسيوطي في الدر المنثور ١٦٠/٦ .

وابن أبي حاتم في تفسيره ، تفسير القرآن لعبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم ، تحقيق : أسعد محمد الطيب ، المكتبة العصرية ، صيدا

(٢) تفسير الطبري ٧٧/١٨ .

(٣) انظر الباب السابع من هذا البحث .

(٤) رواه ابن أبي حاتم والحاكم في الإكليل وعزاه ابن حجر في الفتح إليهم ٤٧٧/٨ .

وكذا عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥٥/٦ ، طبعة دار الفكر . .

(٥) انظر الشفا للقاضي عياض ٣٠٩/٢ .

وسئل الإمام أحمد عن من شتم أبا بكر وعمر وعائشة فقال : (ما أراه على الإسلام)(١).

وقال القاضي أبو يعلى:" من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلا خلاف"(٢).

وقال أبو بكر ابن العربي :" إن أهل الإفك رموا عائشة المطهرة بالفاحشة فبرأها الله ، فكل من سبها بما برأها الله منه فهو مكذب لله ، ومن كذب الله فهو كافر "(٣).

وقال ابن تيمية :" والأصح أن من قذف واحدة من أمهات المؤمنين فهو كقذف عائشة ﵂ لأن هذا منه عار وغضاضة على رسول الله ﷺ "(٤).

وقال ابن القيم :" واتفقت الأمة على كفر قاذفها – أي عائشة "(٥).

وقال ابن كثير:" أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد الذي ذكر في هذه الآية فإنه كافر لأنه معاند للقرآن"(٦).

وقال الزركشي :" من قذفها ﵂ فقد كفر لتصريح القرآن ببراءتها "(٧).

وقال محمد بن عبد الوهاب : "فإذا عرفت أن آيات القرآن تكاثرت في فضلهم والأحاديث المتواترة بمجموعها ناصة على كمالهم فمن اعتقد أحقية سبهم وإباحته ... فقد كفر لتكذيبه ما ثبت قطعاً عن رسول الله ﷺ ومكذبه كافر "(٨).

---

(١) السنة للخلال ، ص ٤٩٣ .

(٢) نقله ابن تيمية في الصارم المسلول ١٠٥٠/٣ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ١٣٥٦/٣ .

(٤) الصارم المسلول ١٠٥٤/٣ .

(٥) زاد المعاد ١٠٦/١ .

(٦) تفسير القرآن العظيم ٧٦/٥ .

(٧) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ، ص ٤٥ .

(٨) الرد على الرافضة ، ص ١٨-١٩ ، رسالة في الرد على الرافضة لمحمد بن عبد الوهاب ، تحقيق : ناصر الرشيد ، ضمن مجموع مصنفات الإمام محمد بن عبد الوهاب ، ملحق المصنفات ، طبعة جامعة الإمام .

٤- وأختتم هذا الفصل بما سطره شعراء أهل السنة في قصائدهم من ذكر مكانة أم المؤمنين عائشة ﵂ ومناقبها والدفاع عنها ومن ذلك :

أ. أبدأ بما قاله شاعر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت في أم المؤمنين ﵂ بعد حادثة الإفك :

حصان رزان ما تزن بريبة
وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

عقيلة حيّ من لؤي بن غالب
كرام المداعي مجدهم غير زائل

مهذبة قد طيب الله خيمها
وطهرها من كل بغي وباطل

فإن كان ما قد قيل عني قلته
فلا رفعت سوطي إلي أناملي

وإن الذي قد قيل ليس بلائط
بها الدهر بل قول امرئٍ بي ماحل

وكيف وودي ما حييت ونصرتي
لآل رسول الله زين المحافل

رأيتك وليغفر لك الله حرة
من المحصنات الغرّ ذات عوائل[1]

---

(١) وللقصيدة عدة روايات ، انظر : السيرة النبوية لابن هشام ٣٠٦/٣، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ ،مطبعة مصطفى البابي ، وانظر : سير أعلام النبلاء ١٦٣/٢ .

ب.ومن الذين ذكروا مكانة أم المؤمنين عائشة ﵂ ودافع عنها موسى بن محمد بن عبد الله الأندلسي – أبو عمران –

ما شأن أم المؤمنين وشاني ... هدي المحب لها وضل الشاني
إني أقول مبيناً عن فضلها ... ومترجماً عن قولها بلساني
يا مبغضي لا تأت قبر محمد ... فالبيت بيتي والمكان مكاني
إني خصصت على نساء محمد ... بصفات بر تحتهن معاني
وسبقتهن إلى الفضائل كلها ... فالسبق سبقي والعنان عناني
مرض النبي ومات بين ترائبي ... فاليوم يومي والزمان زماني
زوجي رسول الله لم أر غيره ... الله زوجني به وحباني
وأتاه جبريل الأمين بصورتي ... فأحبني المختار حين رآني
أنا بكره العذراء عندي سره ... وضجيعه في منزلي قمران
وتكلم الله العظيم بحجتي ... وبراءتي في محكم القرآن
والله خفرني وعظم حرمتي ... وعلى لسان نبيه براني
والله في القرآن قد لعن الذي ... بعد البراءة بالقبيح رماني
والله وبخ من أراد تنقصي ... إفكاً وسبح نفسه في شاني
إني لمحصنة الإزار بريئة ... ودليل حسن طهارتي إحصاني
والله أحصنني بخاتم رسله ... وأذل أهل الإفك والبهتان
وسمعت وحي الله عند محمد ... من جبرئيل ونوره يغشاني
أوحى إليه وكنت تحت ثيابه ... فحنى علي بثوبه وخباني
من ذا يفاخرني وينكر صحبتي ... ومحمد في حجره رباني؟
وأخذت عن أبوي دين محمد ... وهما على الإسلام مصطحباني
وأبي أقام الدين بعد محمد ... فالنصل نصلي والسنان سناني

والفخر فخري والخلافة في أبي	حسبي بهذا مفخراً وكفاني
وأنا ابنة الصديق صاحب أحمد	وحبيبه في السر والإعلان
نصر النبي بماله وفعاله	وخروجه معه من الأوطان
ثانيه في الغار الذي سد الكوى	بردائه أكرم به من ثان
وجفا الغني حتى تخلل بالعبا	زهداً وأذعن أيما إذعان
وتخللت معه ملائكة السما	وأتته بشرى الله بالرضوان
وهو الذي لم يخش لومة لائم	في قتل أهل الكفر والطغيان
قتل الأُلى منعوا الزكاة بكفرهم	وأذل أهل الكفر والطغيان
سبق الصحابة والقرابة للهدى	هو شيخهم في الفضل والإحسان
والله ما استبقوا لنيل فضيلة	مثل استباق الخيل يوم رهان
إلا وطار أبي إلى عليائه	فمكانه منها أجل مكان
ويل لعبد خان آل محمد	بعداوة الأزواج والأختان
طوبى لمن والى جماعة صحبه	ويكون من أحبابه الحسنان
بين الصحابة والقرابة ألفة	لا تستحيل بنزغة الشيطان
هم كالأصابع في اليدين تواصلاً	هل يستوي كف بغير بنان؟
حصرت صدور الكافرين بوالدي	وقلوبهم ملئت من الأضغان
حب البتول وبعلها لم يختلف	من ملة الإسلام فيه اثنان
أكرم بأربعة أئمة شرعنا	فهم لبيت الدين كالأركان
نسجت مودتهم سدى في لُحمة	فبناؤها من أثبت البنيان
الله ألف بين ود قلوبهم	ليغيظ كل منافق طعان
رحماء بينهم صفت أخلاقهم	وخلت قلوبهم من الشنآن

فـــدخولهم بـــين الأحبـــة كلفـــة ... وســـباهم ســـبب إلى الحرمـــان

جمـــع الإلـــه المـــسلمين علـــى أبي ... واســـتبدلوا مـــن خـــوفهم بأمـــان

وإذا أراد الله نـــــــصرة عبـــــــده ... مـــن ذا يطيـــق لـــه علـــى خـــذلان

مـــن حـــبني فليجتنـــب مـــن ســـبني ... إن كـــان صـــان محـــبتي ورعـــاني

وإذا محـــبي قـــد ألـــظ بمبغـــضي ... فكلاهمـــا في الـــبغض مـــستويان

إني لطيبـــــة خلقـــــت لطيـــــب ... ونـــساء أحمـــد أطيـــب النـــسوان

إني لأم المـــــؤمنين فمـــــن أبى ... حـــبي فـــسوف يبـــوء بالخـــسران

الله حبـــــبني لقلـــــب نبيـــــه ... وإلى الـــصراط المـــستقيم هـــداني

والله يكـــرم مـــن أراد كـــرامتي ... ويهـــين ربي مـــن أراد هـــواني

والله اســـــأله زيـــــادة فـــــضله ... وحمدتـــــه شـــــكراً لمـــــا أولاني

يا مـــن يلـــوذ بأهـــل بيـــت محمـــد ... يرجـــو بـــذلك رحمـــة الرحمـــان

صـــل أمهـــات المـــؤمنين ولا تحـــد ... عنـــا فتـــسلب حلـــة الإيمـــان

إني لـــصادقة المقـــال كريمـــة ... أي والـــذي ذلـــت لـــه الـــثقلان

خـــذها إليـــك فإنمـــا هـــي روضـــة ... محفوفـــة بـــالروح والريحـــان

صـــلى الإلـــه علـــى الـــنبي وآلـــه ... فبـــهم تـــشم أزاهـــر البـــستان[1].

ج. وأخيراً سأسوق ما قاله القحطاني في نونيته حول بيان مكانة وفضائل أم المؤمنين عائشة ﵂ والرد على الروافض في هذا الخصوص :

إن الروافض شر مـــن وطـــئ الحـــصا ... مـــن كـــل إنـــس نـــاطق أو جـــان

مـــدحوا الـــنبي وخونـــوا أصـــحابه ... ورمـــوهم بـــالظلم والعـــدوان

حبـــوا قرابتـــه وســـبوا صـــحبه ... جـــدلان عنـــد الله منتقـــضان

فكأنمـــا آل الـــنبي وصـــحبه ... روح يـــضم جميعهـــا جـــسدان

(١) القصيدة الوضاحية في مدح السيدة عائشة أم المؤمنين للشيخ الإمام أبي عمران موسى بن محمد بن عبد الله الأندلسي المعروف بابن بهيج ، اعتنى بها نظام محمد صالح يعقوبي ، دار البشائر الإسلامية ، ص ٤٢ -٤٥ .

فئتـــان عقـــدهما شـــريعة أحمـــد ... بـــأبي وأمـــي ذانـــك الفئتـــان
فئتـــان ســـالكتان في ســـبل الهـــدى ... وهمـــا بـــدين الله قائمتـــان
قـــل إن خـــير الأنبيـــاء محمـــد ... وأجل مـــن يمـــشي علـــى الكثبـــان
وأجل صحب الرسل صـــحب محمـــد ... وكـــذاك أفـــضل صـــحبه العمـــران
رجـــلان قـــد خلقـــا لنـــصر محمـــد ... بـــدمي ونفـــسي ذانـــك الـــرجلان
فهمـــا اللـــذان تظـــاهرا لنبينـــا ... في نـــصره وهمـــا لـــه صـــهران
بنتاهمـــا أســـنى نـــساء نبينـــا ... وهمـــا لـــه بـــالوحي صـــاحبتان
أبواهمـــا أســـنى صـــحابة أحمـــد ... يـــا حبـــذا الأبـــوان والبنتـــان
وهمـــا وزيـــراه اللـــذان همـــا همـــا ... لفـــضائل الأعمـــال مـــستبقان
وهمـــا لأحمـــد نـــاظراه وسمعـــه ... وبقربـــه في القـــبر مـــضطجعان
كانا علـــى الإســـلام أشـــفق أهلـــه ... وهمـــا لـــدين محمـــد جـــبلان
أصـــفاهما أقواهمـــا أخـــشاهما ... أتقاهمـــا في الـــسر والإعـــلان
أســـناهما أزكاهمـــا أعلاهمـــا ... أوفاهمـــا في الـــوزن والرجحـــان
صديق أحمد صـــاحب الغـــار الـــذي ... هـــو في المغـــارة والـــنبي اثنـــان
أعـــني أبـــا بكـــر الـــذي لم يختلـــف ... مـــن شـــرعنا في فـــضله رجـــلان
هو شيخ اصـــحاب الـــنبي وخيرهـــم ... وإمـــامهم حقـــاً بـــلا بطـــلان
أكرم بعائـــشة الرضـــى مـــن حـــرة ... بكـــر مطهـــرة الإزار حـــصان
هـــي زوج خـــير الأنبيـــاء وبكـــره ... وعروســـه مـــن جملـــة النـــسوان
هي عرسه هـــي أنـــسه هـــي إلفـــة ... هـــي حبـــه صـــدقاً بـــلا ادهـــان
أولـــيس والـــدها يـــصافي بعلـــها ... وهمـــا بـــروح الله مؤتلفـــان(١)

وبهذا يتضح لنا عظم مكانة أم المؤمنين عائشة عند أهل السنة فـ ﷺ وعن من ذكرها بخـير ودافع عنها ، وجمعهم بها في جنات النعيم ونحن معهم برحمتك يا أرحم الراحمين .

---

(١) انظر : نونية القحطاني لعبد الله بن محمد الأندلسي ٢١/١ ، ، تحقيق : محمد أحمد سيد أحمد ، مكتبة الـسوادي – المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ .

الفصل الثاني

التفضيل بين عائشة وخديجة وفاطمة - رضي الله عنهن -.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التفضيل بين عائشة وخديجة رضي الله عنهما.

المبحث الثاني: التفضيل بين عائشة وفاطمة رضي الله عنهما.

الفصل الثاني

التفضيل بين عائشة وخديجة وفاطمة - رضي الله عنهن -.

اتفق العلماء على أن أفضل نساء هذه الأمة خديجة وعائشة وفاطمة ثم اختلفوا بعد ذلك في المفاضلة بينهن – رضي الله عنهن – .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " وأفضل نساء هذه الأمة خديجة وعائشة وفاطمة وفي تفضيل بعضهن على بعض نزاع "(1).

والآن سأدخل فيما تنازع فيه أهل العلم من التفضيل بين عائشة وخديجة وفاطمة – رضي الله عن الجميع .

المبحث الأول : التفضيل بين عائشة وخديجة رضي الله عنهما .

اختلف أهل العلم في ذلك على أربعة أقوال :

القول الأول : ذهب بعض العلماء أن خديجة أفضل من عائشة .

قال السهيلي : " يذكر عن أبي بكر بن داود أنه سئل : عائشة أفضل أم خديجة ؟ فقال: عائشة أقرأها رسول الله ﷺ السلام من جبريل ، وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربها على لسان محمد ﷺ فهي أفضل "(2).

وقال ابن كثير : وهذه مسألة وقع التراع فيها بين العلماء قديماً وحديثاً وبجانبها طرق يقتصر عليها أهل التشييع وغيرهم ، لا يعدلون بخديجة أحداً من النساء لسلام الرب عليها ، وكون ولد النبي ﷺ جميعهم إلا إبراهيم منها ، وكونه لم يتزوج عليها حتى ماتت إكراماً لها ، وتقدير إسلامها ، وكونها من الصديقات ، ولها مقام صدق في أول البعثة ، وبذلت نفسها ومالها لرسول الله ﷺ "(3).

---

(1) مجموع الفتاوى ٣٩٤/٤ .

(2)الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية ٤٢٩/٢-٤٣٠ ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ، تحقيق : عبد العزيز رباح وأحمد يوسف ، راجعه : شعيب الأرناؤوط ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ .

(3) البداية والنهاية ١٤٢/٣.

قال الزرقاني : " قال الشيخ ولي الدين العراقي : خديجة أفضل أمهات المؤمنين على الصحيح المختار ، وقيل عائشة ، وصحح ابن العماد السبكي تفضيل خديجة "(١).

وقال موفق الدين بن قدامة : " أفضل النساء خديجة "(٢).

وقال ابن حجر : " قال السبكي الكبير كما تقدم : لعائشة من الفضائل ما لا تحصى ولكن الذي نختاره وندين الله به أن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة "(٣).

وقد استدلوا لذلك :

بما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط ، وقال : (أتدرون ما هذا ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال : رسول الله ﷺ : (أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ...) الحديث(٤).

وبما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى جبريل للنبي ﷺ فقال : يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب)(٥).

قال ابن حجر بعد هذا الحديث :" قال السهيلي : استدل بهذه القصة أبو بكر بن داود على أن خديجة أفضل من عائشة لأن عائشة سلم عليها جبريل من قبل نفسه ، وخديجة أبلغها السلام من ربها ، وزعم ابن العربي أنه لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة ، ورُد بأن الخلاف ثابت قديماً ، وإن كان الراجح أفضلية خديجة بهذا وبما تقدم "(٦).

---

(١) شرح المواهب ٢٦٧/٣.

(٢) لمعة الاعتقاد ، ص ١٩٨.

(٣) فتح الباري ١٧٣/٧.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده

ورواه الحاكم في المستدرك ١٨٥/٣ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٣/٩ ، وقال رجاله رجال الصحيح .

(٥) متفق عليه :

رواه البخاري — صحيح البخاري مع الفتح — كتاب مناقب الأنصار ، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ١٦٦/٧ ، حديث (٣٨٢٠) .

ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين ، ١٨٨٦/٤ ، حديث (٢٤٣٢) .

(٦) فتح الباري ١٧٣/٧ .

القول الثاني : وذهب بعض العلماء إلى أن عائشة أفضل من خديجة .

واستدلوا لذلك بعدة أحاديث منها قوله ﷺ : (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)[1].

قال ابن حجر : " ليس فيه تصريح بأفضلية عائشة رضي الله عنها على غيرها لأن فضل الثريد على غيره من الطعام إنما هو لما فيه من تيسير المؤنة وسهولة الإساغة وكان أجلّ أطعمتهم يومئذ، وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل جهة فقد يكون مفضولاً بالنسبة لغيره من جهات أخرى"[2].

وبما جاء عن هشام عن أبيه أن رسول الله ﷺ لما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول : أين أنا غداً ؟ حرصاً على بيت عائشة . قالت عائشة : فلما كان يومي سكن[3].

وبما جاء كذلك عن هشام عن أبيه قال : (كان الناس يتحرّون بهداياهم يوم عائشة يبتغون مرضاة رسول الله ﷺ)[4].

وبما جاء عن زياد أنه بعث إلى أزواج النبي ﷺ بمال وفضّل عائشة فجعل مبعوثه يعتذر إلى أم سلمة فقالت : (يعتذر إلينا زياد فقد كان يفضلها من كان أعظم علينا تفضيلاً من زياد رسول الله ﷺ)[5].

وبما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت : استأذنت هالة بنت خويلد – أخت خديجة – على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال: (اللهم هالة بنت خويلد) فغرت ،

---

(١) متفق عليه :

رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل عائشة رضي الله عنها ١٣٣/٧ ، حديث (٣٧٧٠) .

ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل عائشة رضي الله عنها ١٨٩٥/٤ ، حديث (٢٤٤٦) .

(٢) فتح الباري ٥١٥/٦ .

(٣) رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل عائشة رضي الله عنها ١٣٤/٧ ، حديث (٣٧٧٤) .

(٤) متفق عليه وتقدم تخريجه ص ١٣٢.

(٥) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ١١٤/٣ .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٢/٩ ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

فقلت : وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين ، هلكت في الدهر فأبدلك الله خيراً منها[1].

قال ابن كثير في استئذان هالة بنت خويلد : " وهذا ظاهر في التقرير على أن عائشة خير من خديجة إما فضلاً وإما عشرة إذ لم ينكر عليها ولا رد عليها ذلك كما هو ظاهر سياق البخاري رحمه الله ثم ذكر هذا الحديث برواية أحمد وفي آخره (ما أبدلني الله خيراً منها ، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء)[2]، ثم قال : " وقد استدل بهذا الحديث جماعة من أهل العلم على تفضيل خديجة على عائشة رضي الله عنهما وأرضاها وتكلم آخرون في إسناده ، وتأوله آخرون على أنها كانت خير عشرة ، وهو محتمل أو ظاهر ... إلى أن قال : وأما أهل السنة فمنهم من يغلو أيضاً ، ويثبت لكل واحدة منهما من الفضائل ما هو معروف ، ولكن تحملهم قوة التسنن على تفضيل عائشة لكونها ابنة الصديق وكونها أعلم من خديجة فإنه لم يكن في الأمم مثل عائشة في حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها ، ولم يكن الرسول ﷺ يحب أحداً من نسائه كمحبته إياها ، ونزلت براءتها من فوق سبع سماوات وروت بعده عنه عليه الصلاة والسلام علماً جماً كثيراً طيباً مباركاً فيه "[3].

---

(١) متفق عليه :

رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب مناقب الأنصار ، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها ١٦٦/٧ ، حديث (٣٨٢١) .

ومسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين ١٨٨٩/٤ ، حديث (٢٤٣٧) .

(٢) رواه أحمد في مسنده ١١٧/٦ .

والطبراني في المعجم الكبير ١٣/٢٣ .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٤/٩ ، وقال :"رواه أحمد وإسناده حسن ".

وقال ابن كثير : " إسناده لا بأس به" البداية والنهاية ١٤١/٣ .

(٣) البداية والنهاية ١٤١/٣-١٤٢ .

القول الثالث : ذهب بعض العلماء إلى التوقف :

قال ابن كثير : " والحق أن لكل منهما من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لبهره وحيره ، والأحسن التوقف في ذلك إلى الله عز وجل ومن ظهر له دليل فيقطع به ، أو يغلب على ظنه في هذا الباب فذلك الذي يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم ، ومن حصل له توقف في هذه المسألة أو في غيرها فالطريق الأقوم والمسلك الأسلم أن يقول : الله أعلم"(١).

القول الرابع : ذهب بعض العلماء إلى أن كلاً منهما أفضل بوجه من الوجوه :

قال الزرقاني : " وقال أبو أمامة بن النقاش : إن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ومؤازرتها ونصرها وقيامها في الدين بنفسها ومالها لم يشركها فيه أحد لا عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين ، وتأثير عائشة رضي الله عنها في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة وإدراكها من الأحاديث ما لم تشركها فيها خديجة ولا غيرها ، مما تميزت به عن غيرها . قال الزرقاني أيضاً : " وكأنه أشار إلى أن جهات الفضل بينهما متفاوتة كما قال ابن تيمية "(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : " أهل السنة لم يجمعوا على أن عائشة أفضلهن ، وحجة من فضلها قوله عليه السلام : (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد – يعني اللحم والخبز – على سائر الطعام)(٣). وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه : (قلت يا رسول الله : أي الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة . فقلت من الرجال ؟ قال : أبوها . قلت : ثم من ؟ قال : عمر ، فعد رجالاً)(٤). وهؤلاء يقولون : قوله لخديجة : (ما أبدلني الله خيراً منها ...)(٥). إن صح فمعناه : ما أبدلني الله خيراً منها ، فإن خديجة نفعته في أول الإسلام نفعاً لم يقم غيرها فيه مقامها ، فكانت خيراً له من هذا الوجه لكونها نفعته وقت الحاجة ، وعائشة صحبته في آخر النبوة وكمال الدين

---

(١) البداية والنهاية ١٤٢/٣ .

(٢) المواهب اللدنية في المنح المحمدية لأبي بكر القسطلاني ٢٦٩/٣ ، دار الكتب العلمية ، بيوت .

(٣) متفق عليه وتقدم تخريجه ص ١٤٤ .

(٤) متفق عليه وتقدم تخريجه ص ٣.

(٥) رواه أحمد ، والطبراني ، والهيثمي ، وتقدم تخريجه ص١٤٥ .

فحصل لها من العلم والإيمان ما لم يحصل لمن لم يدرك إلا أول النبوة فكانت أفضل لهذه الزيادة فإن الأمة انتفعت بها أكثر مما انتفعت بغيرها وبلغت من العلم والسن ما لم يبلغه غيرها ، فخديجة كان خيرها مقصور على نفس النبي ﷺ لم تبلغ عنه شيئاً ولم تنتفع بها الأمة كما انتفعت بعائشة ولأن الدين لم يكن قد كمل حتى تعلمه ويحصل لها كمالاته ما حصل لمن علم وآمن به بعد كماله . ومعلوم أنه من أجتمع همه على شيء واحد أبلغ ممن تفرق همه في أعمال متنوعة . فخديجة رضي الله عنها خير له من هذا الوجه لكن أنواع البر لم تنحصر في ذلك ... والمقصود هنا أن أهل السنة مجمعون على تعظيم عائشة ومحبتها وأن نساؤه أمهات المؤمنين اللواتي مات عنهن كانت عائشة أحبهن إليه وأعظمهن حرمة عند المسلمين "(١).

قال ابن حجر : " قلت : وقال بعض من أدركناه : الذي يظهر أن الجمع بين الحديثين أولى ، وأن لا نفضل إحداهما على الأخرى "(٢).

وقال السفاريني :" والحكم الناتج مما نحن فيه أن خديجة أفضل بحسب السبق والمؤازرة وإنفاقها على رسول الله ﷺ وتسليته وحمل المشاق بسببه ونحو ذلك ، وعائشة أفضل بحسب تحملها للعلوم وأحاديث النبي ﷺ فإنها أحد المكثرين ونشرها لسنته ﷺ ونفعها للأمة فإنها كانت عالمة فقيهة فصيحة فاضلة كثيرة الحديث عن النبي ﷺ عارفة بأمر العرب وأشعارها وفضائلها ، ومناقبها كثيرة لا تحصى ، ومحبة النبي ﷺ إياها وتفضيلها على سائر زوجاته ﷺ مما لا يخفى "(٣).

الترجيح :

يظهر لي – والله أعلم بالصواب – أن القول الرابع وهو أن كلاً منهما أفضل من وجه هو القول الراجح وبه يتحقق الجمع والقول بما جاء في النصوص الصحيحة الصريحة ببيان فضل كل منهما رضي الله عنهما وعن أمهات المؤمنين.

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال ، ص٢١٦-٢١٨ .

(٢) فتح الباري ١٧٣/٧ .

(٣) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، لمحمد بن أحمد السفاريني ٣٧٥/٢ ، طبعة المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية .

أما بقية نسائه ﷺ سوى خديجة وعائشة فالمشهور أنهن متساويات في الفضل و لم أقف في ذلك على خلاف يعتد به .

قال ابن حجر : " قال السبكي : ونساء النبي ﷺ بعد خديجة وعائشة متساويات في الفضل "[١]، وهو أنه :" لا يلزم من ثبوت خصوصية شيء من الفضائل ثبوت الفضل المطلق"[٢]، والله أعلم .

---

(١) فتح الباري ١٧٣/٧.

(٢) فتح الباري ١٣٦/٧ .

المبحث الثاني : التفضيل بين عائشة وفاطمة رضي الله عنهما .

وهو مبني على التفضيل بين نساء النبي ﷺ عامة وفاطمة خاصة رضي الله عن الجميع .

فقد اختلف أهل العلم على قولين :

القول الأول : ذهب بعض أهل العلم إلى أن عائشة أفضل من فاطمة رضي الله عنهما .

قال ابن حزم :" فأما فضلهن – أي نساء النبي ﷺ على بنات رسول الله ﷺ فبيّن بنص القرآن لا إشكال فيه قال تعالى : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٢] . فهذا بيان قاطع لا يسع أحد جهله ، فإن عارضنا معارض بقول النبي ﷺ: (خير نسائها فاطمة بنت محمد ﷺ) قلنا له وبالله التوفيق : في هذا الحديث بيان جليّ لما قلنا وهو أنه عليه السلام لم يقل خير النساء فاطمة وإنما قال : (خير نسائها) فخص و لم يعم ، وتفضيل الله تعالى نساء النبي ﷺ على النساء عموم لا خصوص ، لا يجوز أن يستثنى منه أحد إلا من استثناه نص آخر ، فصح أنه عليه السلام إنما فضل فاطمة على نساء المؤمنين بعد نسائه ﷺ فاتفقت الآية مع الحديث"(١).

قال الزمخشري عند آيات التحريم التي تتحدث عن أزواج النبي ﷺ ومنها قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴾ [سورة التحريم : ٥]. قال :" كيف تكون المبدلات خيراً منهن و لم تكن على وجه الأرض نساء خير من أمهات المؤمنين ؟

قلت : إذا طلقهن رسول الله ﷺ لعصيانهن له ... لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الأوصاف مع الطاعة لرسول الله ﷺ والترول على هواه ورضاه خيراً منهن "(٢).

فهذا الكلام للزمخشري يؤكد أن عدم استبدالهن دليل على أهن أفضل نساء على وجه الأرض سواء بنات النبي ﷺ أو غيرهن .

---

(١) المفاضلة بين الصحابة لابن حزم ، ص ١٩٤.

(٢) الكشاف للزمخشري ١٢٨/٤.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وأفضل نساء هذه الأمة خديجة وعائشة وفاطمة ، وفي تفضيل بعضهن على بعض نزاع ، وتفصيل ، ليس هذا موضعه ، وخديجة وعائشة من أزواجه . فإذا قيل بهذا الاعتبار أن جملة أزواجه أفضل من جملة بناته كان صحيحاً لأن أزواجه أكثر عدداً والفاضلة فيهن أكثر من الفاضلة في بناته "(١).

أما أدلة هذا القول وهو تفضيل عائشة على فاطمة رضي الله عنهما قد تقدم ذكرها في المبحث السابق عند الكلام عن تفضيل عائشة على خديجة رضي الله عنهما .

القول الثاني : ذهب بعض العلماء إلى أن فاطمة أفضل من عائشة رضي الله عنهما :

قال ابن حجر : " قال السبكي الكبير كما تقدم : لعائشة من الفضائل لا يحصى ولكن الذي نختاره وندين الله به أن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة "(٢).

وقد استدلوا لتفضيل فاطمة رضي الله عنها بعدة أدلة منها :

قوله ﷺ: (يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة) وفي لفظ للبخاري : (أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة)(٣).

وبما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط قال : (تدرون ما هذا ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم فقال : رسول الله ﷺ: أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران)(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩٤/٤ .

(٢) فتح الباري ١٧٣/٧ .

(٣) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ٧٢٦/٦ ، حديث (٣٦٢٤).

ومسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ ١٩٠٤/٤-١٩٠٥ ، حديث (٢٤٤٩) .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ٢٩٣/١ .

والحاكم في المستدرك ٥٩٤/٢ وصححه ووافقه الذهبي .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٣/٩ وصححه .

وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٧١/١ .

الترجيح :

القول فيه كالقول في التفضيل بين عائشة وخديجة رضي الله عنهما وهو أن كلاً منهما أفضل من وجه وبه يتحقق الجمع بين النصوص الصحيحة الصريحة ، فالأحاديث الواردة في تفضيل فاطمة رضي الله عنها فإنها صريحة لا لبس فيها ولا تحتمل التأويل فقد نصت أنها أفضل نساء الأمة وأنها سيدة نساء أهل الجنة ، وقد شاركت أمها في هذا التفضيل فهي وأمها أفضل نساء أهل الجنة وهي وأمها أفضل نساء الأمة ، بهذا وردت النصوص .

قال ابن حجر :" لا يلزم من ثبوت خصوصية شيء من الفضائل ثبوت الفضل المطلق"[1].

وأختتم هذا الفصل فأقول أن النص لم يرد بتفضيل خديجة أو فاطمة على عائشة أو العكس لفظاً كما ورد بتفضيل أبي بكر على عمر مثلاً ولولا ما حدث من الكلام في هذا الأمر واشتهار الخلاف فيه لكان الواجب الأخذ بالأصل وهو أن يسعنا ما ورد في الشرع من إقرار ما جاء من الفضل لهن – رضي الله عنهن – على نحو ما ورد في النصوص من غير تعرّض للمفاضلة بينهن ، فإن دعت حاجة شرعية لذكر المفاضلة بينهن ذكرت والله أعلم .

---

(١) فتح الباري ١٠٨/٧ .

الفصل الثالث

فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند أهل السنة.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الفضائل المشتركة بين أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن-.

المبحث الثاني : الفضائل الخاصة بها رضي الله عنها دون أزواج النبي ﷺ .

الفصل الثالث

فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند أهل السنة.

المبحث الأول : الفضائل المشتركة مع أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن- .

ورد في أمهات المؤمنين آيات قرآنية وأحاديث نبوية تدل دلالة واضحة على مدحهن والثناء عليهن وعلو مرتبتهن وارتفاع مترلتهن والتي ستتضح في النقاط التالية :

أولاً : تسميتهن بأمهات المؤمنين -رضي الله عنهن- :

حظي أزواج النبي ﷺ بالنص القرآني القطعي بشرف وصفهن بأمهات المؤمنين قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ﴾ [سورة الأحزاب: ٦]، وعقل واعتقد هذا المعنى عامة المسلمين من أهل القبلة وخصوصاً أهل السنة منهم ففهموا دلالته على عظم حقهن ونص عليه أئمتهم وخاصة أهل التفسير بأجلى عبارة .

يقول قتادة : ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ﴾" يعظم حقهن"(١).

وقال الزمخشري :" تشبيه لهن بالأمهات في بعض الأحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن "(٢).

وقال ابن كثير:" أي في الحرمة والاحترام والإكرام والتوقير والإعظام "(٣).

وهذا المعنى ونحوه صريح عند عامة أهل العلم من أهل السنة . كما نبهوا رحمهم الله إلى أن هذه الأمومة لا تجيز الخلوة بهن ، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن ويؤيد هذا قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٣]؛ لأن الإنسان لا يسأل أمه التي ولدته من وراء حجاب وكذلك يؤيده قوله تعالى : ﴿ إِنَّ

---

(١) تفسير الطبري ٢١/٧٧ .

(٢) الكشاف ٣/٢٥١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٦/٣٨١ .

أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡ ﴾ [سورة المجادلة : ٢] . ومعلوم أهن – رضي الله عنهن – لم يلدن جميع المؤمنين الذين هن أمهاتهم[1].

وقد تكلم أهل العلم بعد النظر في النصوص الشرعية في جهات الأمومة وفي أيها يكون وضع أمهات المؤمنين ، فقالوا :

- منهم من جعل جهات الأمومة ثلاث :

الأولى : جهة الولادة ، فالوالدة أم لمن ولدته ، ودليلها قول الله تعالى : ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ ﴾ [سورة النساء : ٢٣].

الثانية : جهة الرضاعة ، فالمرضعة أم لمن أرضعته ، ودليلها قول الله تعال : ﴿ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ ﴾ [سورة النساء : ٢٣].

الثالثة : جهة التربية والإصلاح ، فالمربية والمصلحة أم لمن أصلحته ، ودليلها قول الله تعالى : ﴿ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾ [سورة الأحزاب : ٦] [2].

- وبعض العلماء جعل الأمومة على نوعين :

النوع الأول : أمومة دينية وهي التي سببها الدين .

النوع الثاني : أمومة النسب ، وتسمى أمومة طينية سببها الولادة أو الرضاعة [3].

وموقع أمهات المؤمنين من التقسيم الأول هو الثالث ، ومن التقسيم الثاني هو الأول .

وبهذا يعلم منّة أزواج النبي ﷺ على المؤمنين فهن المربيات المصلحات بدليل ما قمن به من جهود عظيمة من نقل هدي النبي ﷺ وسنته إلى أمته .

وقد تقدم الكلام عن هذه الأمومة من ناحية معناها وعمومها وخصوصها في الباب الأول في الفصل الأول منه في المبحث الثاني .

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ٦/٣٨١ ، وأضواء البيان ٦/٥٧٠ .

(٢) انظر : تأملات في قوله تعالى : ﴿ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾ ، لعبد الرزاق عبد المحسن البدر ، ص ١٠-١١ ، طبعة دار ابن عفان ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .

(٣) انظر : تفسير السعدي – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٦٠٧ ، لعبد الرحمن بن سعدي ، طبع مؤسسة الرسالة ، الطبعة التاسعة ١٤١٨هـ .

ثانياً : عدم جواز الزواج بهن – رضي الله عنهن – بعد النبي ﷺ :

فقد أجمع أهل العلم على تحريم التزوج بأمهات المؤمنين بعد وفاته ﷺ[1] ؛ لأن هذا هو المفهوم من وصف الأمومة في قوله تعالى : ﴿ وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ﴾ [سورة الأحزاب : ٦].

بل جاء التنصيص عليها في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٥٣].

قال ابن عاشور :" وإنما شرعت الآية أن حكم أمومة أزواج النبي ﷺ للمؤمنين حكم دائم في حياة النبي ﷺ أو من بعده ولذلك اقتصر هنا على التصريح بأنه حكم ثابت من بعده"[2].

فحذر الله ﷻ من أن ذلك العمل وهو نكاح أزواجه من بعده جرم شنيع وذنب عظيم، ولذلك أكد نفيه بتأبيد تحريمه ؛ لأنه إيذاء للرسول ﷺ ومن يؤذيه فقد تصدى لغضب الله الشديد وعقابه الأثيم[3].

وجاء عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال لامرأته : (إن شئتِ أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تتزوجي بعدي فإن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا ، فلذلك حرم الله على أزواج النبي ﷺ أن ينكحن بعده لأنهن أزواجه في الجنة)[4].

وقال ابن كثير : " ثم اختلف العلماء فيمن دخل بها ثم طلقها في حياته ﷺ هل يحل لغيره أن يتزوجها ؟ على قولين مأخذهما : هل دخلت في عموم قوله تعالى:﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ... ﴾ أم لا ؟

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٥٠٦/٣ .

(٢) التحرير والتنوير ٩٣/٢٢ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٦٠٥/٣ .

(٤) رواه البيهقي في سننه ٦٩/٧-٧٠ .

وذكره الطحاوي في مشكل الآثار ١٢١/٢.

وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة أم المؤمنين أم سلمة عن حذيفة ٢٠٨/٢ ، وقال المحقق : شعيب الأرناؤوط: رجاله ثقات .

أما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها فما نعلم في حلها لغيره والحالة هذه نزاعاً والله أعلم"[١] .

ثالثاً : أنهن – رضي الله عنهن – زوجات النبي ﷺ في الدنيا والآخرة .

كون أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – زوجات النبي ﷺ في الدنيا هذا أمر معلوم لا إشكال فيه ولا يحتاج إلى إيضاح وتدليل ولكن المراد بيانه أنهن – رضي الله عنهن – زوجاته ﷺ في الآخرة حيث أن الله – ﷻ – شرفهن بهذا الأمر بأن اختارهن زوجات له في الآخرة فسمت بذلك منزلتهن وعلت مكانتهن بين سائر العالمين .

وأي شرف أعظم من مرافقة النبي ﷺ في الجنة ؟ ويكفي أن أذكر لبيان هذه المنزلة العالية أن أصحاب الرسول ﷺ كان يشغلهم أمر مرافقته في الجنة ، فقد جاء عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال : كنت أبيت مع رسول الله ﷺ وأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي : (سل ، فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة . قال : أو غير ذلك ؟ قلت : هو ذاك . قال : فأعني على نفسك بكثرة السجود)[٢].

وجاء عن عائشة رضي الله عنها قالت : (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: إنك لأحب إليّ من نفسي وإنك لأحب إليّ من ولدي وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين وإني إذا دخلت الجنة خشيت ألا أراك ، فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئاً حتى نزل جبريل عليه السلام هذه الآية : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [سورة النساء : ٦٩][٣].

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٥٠٦/٣ .

(٢) رواه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب فضل السجود والحث عليه ٣٥٣/١ ، حديث (٤٨٩) .

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ١٥٣/١ .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٧ وقال : ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة.

ورواه أبو نعيم في الحلية ٢٣٩/٤-٢٤٠ ، وقال هذا حديث غريب .

وحسّنه السيوطي في الدر المنثور ١٨٢/٢ لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان.

وقال القرطبي في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ... ﴾: "أي هم معهم في درجة واحدة ونعيم واحد يستمتعون برؤيتهم والحضور معهم لا أنهم يساووهم في الدرجة فإنهم يتفاوتون لكنهم يتزاورون للأتباع في الدنيا والاقتداء ، وكل من فيها قد رزق الرضا بحالته "(١).

إذا علمنا هذا تبين لنا مدى التكريم والفضل العظيم الذي حظيت به أمهات المؤمنين وهو كونهن مرافقات للرسول ﷺ في الجنة لكونهن زوجاته .

وقال ابن حزم : " فهن أزواجه في الآخرة بيقين ، فإذا هن كذلك فهن معه ﷺ بلا شك في درجة واحدة في الجنة في قصوره وعلى سرره إذ لا يمكن البتة أن يحال بينه وبينهن في الجنة ولا أن ينحط عليه الصلاة والسلام إلى درجة يسفل فيها عن أحد من الصحابة ، هذا ما لا يظنه مسلم "(٢).

ولقد وردت النصوص في هذا مبينة لهن الفضل العظيم بكونهن زوجاته في الجنة ولقد تعددت تلك النصوص فمنهن من ورد فيها نص خاص يبين له تلك الفضيلة كعائشة وحفصة ، ومنهن من ذكر بهذه الخصوصية على وجه العموم كسائر أمهات المؤمنين سواهن .

أما ما جاء على وجه الخصوص في عائشة رضي الله عنها :

قول رسول الله ﷺ قال : (عائشة زوجتي في الجنة)(٣).

وجاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قلت يا رسول الله من أزواجك في الجنة ؟ قال: (أما إنك منهن)(٤).

---

(١) تفسير القرطبي ٥/٢٧٢ .

(٢) رسالة في المفاضلة بين الصحابة لابن حزم ، ص ١٨٦-١٨٧ .

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات ٨/٦٦ .

وذكره ابن حجر في الإصابة ٨/١٩ .

وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣/١٣٣.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢٣/٣٩ .

والحاكم في المستدرك ٤/١٣ ، وصححه ووافقه الذهبي .

وابن سعد في الطبقات ٨/٦٥ .

وابن حبان انظر الإحسان ١٦/٨ ، وقال المحقق : " إسناده صحيح على شرط مسلم".

وجاء عن عائشة رضي الله عنها أن جبريل جاء بصورتها في خرقة من حرير خضراء إلى النبي ﷺ فقال : إن هذه زوجتك في الدنيا والآخرة)[1].

وجاء عنها رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها : (أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة ؟ قلت بلى . قال : فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة)[2].

وأن علياً رضي الله عنه بعث عماراً والحسن إلى الكوفة ليستنفر أهلها وخطب فيهم فلما ذكر عائشة قال :(إني لأعلم أنها لزوجته في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها)[3].

وأما ما جاء على وجه الخصوص في حفصة رضي الله عنها :

هو ما جاء عن قيس بن يزيد أن رسول الله ﷺ طلق حفصة تطليقة واحدة فأتاها خالاها عثمان وقدامة ابنا مظعون فقالت : والله ما طلقني عن شبع ، فجاء النبي ﷺ فتجلبت ، فقال النبي ﷺ : (أتاني جبريل عليه السلام فقال: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة)[4].

أما النصوص العامة فيهن – رضي الله عنهن – :

فمنها ما جاء عن ابن أبي أوفى قال : قال رسول الله ﷺ:(سألت ربي عز وجل أن لا أزوج أحداً من أمتي ولا أتزوج إلا كان معي في الجنة فأعطاني)[5].

---

(١) رواه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، باب فضل عائشة – رضي الله عنها – ٦٦١/٥ ، حديث (٣٨٨٠) وقال : هذا حديث حسن غريب .

وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٤٢/٣ .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ١٠/٤ وقال :" الحديث صحيح و لم يخرجاه " ووافقه الذهبي .

ورواه ابن حبان انظر الإحسان ٧/١٦ ، وقال المحقق : " إسناده صحيح ".

(٣) رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل عائشة – رضي الله عنها – ١٣٣/٧ ، حديث (٣٧٧٢) .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ١٦/٤ .

والطبراني في المعجم الأوسط ٥٥/١ .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٥/٩، وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٥) رواه الحاكم في المستدرك ١٤٨/٣ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

وبعد أن عرفنا أن أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – زوجات النبي ﷺ في الجنة فيذهب بعض العلماء إلى أنهن لا ينفردن بهذه الفضيلة وحدهن بل يشاركنهن فيها غيرهن وهنّ: مريم بنت عمران ، وآسية زوجة فرعون ، وكلثم أخت موسى فإنهن زوجات النبي ﷺ أيضاً في الآخرة[1].

رابعاً : اختيارهن – رضي الله عنهن – الله ﷻ ورسوله ﷺ والدار الآخرة .

والمراد من هذا ما جاء في آيات التخيير من قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾

---

(١) واستدلوا إلى ما ذهبوا إليه بالآتي : بما جاء عن أبي أمامة قال : سمعت النبي ﷺ يقول لعائشة : (أشعرت أن الله قد زوجني في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وامرأة فرعون ...) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٨/٩ ، وأشار إلى ضعفه، وضعفه ابن كثير في تفسيره ٣٩٠/٣ ، وبما جاء عن سعد بن جنادة قال : قال رسول الله ﷺ إن الله ﷻ قد زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٥٢/٦ ، وذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ١١٩/٧٠ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٨/٩ ، وقال : رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم، وبما جاء عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ دخل على خديجة وهي في الموت فقال : (يا خديجة إذا لقيت ضرائرك فأقرئيهن مني السلام ، فقالت : يا رسول الله وهل تزوجت قبلي ؟ قال : لا ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وكلثم أخت موسى) ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ١١٨/٧٠ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٣٩٠/٣ ، وقال : ضعيف جداً .

والبداية والنهاية ٦٢/٢.

وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ [سورة الأحزاب : ٢٨-٣٤].

وقد جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه لما نزلت هذه الآيات أن النبي ﷺ بدأ بعائشة فقال : (يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك . قالت : وما هو يا رسول الله ؟ فتلا عليها الآيات . فقالت : أفيك يا رسول الله استشير أبويّ ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة)(١).

وجاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما : (دخل على عائشة فبدأ بها ، قالت عائشة : ثم أنزل الله آية التخيير فبدأ بي أول امرأة من نسائه فاخترته ثم خيّر نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة)(٢).

قال ابن كثير :" فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة "(٣).

وإذا كان هذا الاختيار دالاً على المرتبة العالية في التقوى وصدق الإيمان لأمهات المؤمنين عموماً فإن فيه فضائل خاصة لعائشة رضي الله عنها من عدة جهات :

الأولى : البدء بها في التخيير المشعر بتقدمها على باقي أمهات المؤمنين رضي الله عنهن .

الثانية : بيان كمال عقلها وصحة رأيها مع صغر سنها حيث أسرعت بالاستجابة و لم تشاور أبويها ورأت أن هذا لا استشارة فيه البتة .

الثالثة : أنها بإخبارها النبي ﷺ قد سنت سنة حسنة فيكون لها أجرها وأجر باقي الأمهات لاسيما والنبي ﷺ يخبرهن جميعاً بما قالت عائشة رضي الله عنها ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: (من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء)(٤).

---

(١) رواه مسلم – كتاب الطلاق – باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية ، ٢/١١٠٤-١١٠٥ ، حديث (١٤٧٨).

(٢) رواه البخاري– صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب النكاح ، باب موعظة الرجل لابنته ١٨٧/٩، حديث (٥١٩١).

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤٠٦/٦ .

(٤) رواه مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الحث على لصدقة ولو بشق تمرة ٧٠٥/٢ ، حديث (١٠١٧) .

الرابعة : استبشار النبي ﷺ باستجابتها حتى رُئي الفرح في وجهه ﷺ[1].

خامساً : مضاعفة الثواب ، ولقد وعد الله وأعد للمحسنات من أمهات المؤمنين الأجر العظيم كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٢٩]. بل وزادهن الله من فضله فضاعف لهن الأجر كما في قوله تعالى : ﴿ نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣١]. فالآية الأولى تدل على أنهن سينلن أجراً عظيماً وهذا الأجر في الدنيا والآخرة ففي الآخرة فكونهن مع النبي ﷺ في الجنة ، وهذا أمر لا غاية فوقه ولا مزية بعده وفي ذلك من زيادة النعيم والثواب على غيرهن ما هو معلوم ، فإن الثواب والنعيم على قدر المترلة .

أما في الدنيا فمن ثلاثة أوجه :

- الوجه الأول : أنهن جُعلْن أمهات المؤمنين تعظيماً لحقوقهن وتأكيداً لحرمتهن وتشريفاً لمترلتهن .
- الوجه الثاني : حظر طلاقهن وتحريم التزوج عليهن على أحد قولي أهل العلم كما في قوله تعالى : ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ ﴾ [سورة الأحزاب : ٥٢] ؛ لأنهن لم يخترن غير النبي ﷺ فأمر بإمساكهن[2].
- الوجه الثالث : قتل قاذفهن ، أما غيرهن فالجلد فقط[3] .

فهذا الأصل وأقل إكرام الله لهن ، لكن الله – سبحانه – زادهن فضلاً حيث ضاعف لهن الأجر كما في الآية الثانية المتقدمة .

قال الطبري :" يعطي الله الواحدة منهن مثلي ما يعطى غيرهن من سائر النساء"[4].

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٠٠/٢١ .

(٢) انظر : أحكام القرآن لمحمد بن عبد الله بن العربي ٥٦٥/٣-٥٦٦ ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

(٣) سيأتي الكلام عن حكم الطعن فيهن رضي الله عنهن في الباب الثامن من هذا البحث .

(٤) تفسير الطبري ٢/٢٢ .

قال الألوسي :" ويستدعي هذا أنه إذا أثيبت نساء المسلمين على الحسنة بعشر أمثالها أُثبن على الحسنة بعشرين مثلاً لها ، وإذا زيد على للنساء على العشر شيء زيد لهن ضعفه "(١).

قال بعض أهل العلم : مضاعفة الأجر لعظم قدرهن ، وقيل : أجر على الطاعة والتقوى وأجر على طلبهن رضا رسول الله ﷺ(٢).

وليس الفضل هنا بمجرد الوعد بمضاعفة الأجر – وهو فضل ولا شك – ولكن بتنفيذ الأمر .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وهن ولله الحمد قنتن لله ورسوله وعملن صالحاً ، فاستحققن الأجر مرتين فصرن أفضل لطاعة الأمر لا لمجرد الأمر "(٣).

---

(١) روح المعاني ٢٢/٢ .

(٢) انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٢/٥-٦ .

ومحاسن التأويل لجمال الدين القاسمي ١٣/٤٨ ، طبع المكتبة الفيصلية ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

(٣) منهاج السنة ٤/٦٤ .

المبحث الثاني : الفضائل الخاصة بعائشة رضي الله عنها .

تميزت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن سائر أمهات المؤمنين بمناقب كثيرة وفضائل جمة مما يدل على علو مكانتها ورفعة درجتها عند الله وعند رسوله ﷺ ومن هذه الفضائل ما يلي :

أولاً : شدة حب النبي ﷺ لها .

لقد تواترت النصوص الدالة على حبه ﷺ حتى أصبح شيئاً مشهوراً ومعلوماً عند أصحابه فقد جاء في الحديث عن عمرو بن العاص أنه سأل النبي ﷺ: (أي الناس أحب إليك يا رسول الله ؟ قال : عائشة . قال : فمن الرجال؟ قال : أبوها)(١).

ولمعرفة الصحابة تلك المحبة لعائشة رضي الله عنها قدروها حق قدرها فكانوا يتحرون بهداياهم للرسول ﷺ يومها يبتغون بذلك مرضاة الرسول ﷺ وإن كان هذا الأمر أغضب بقية أمهات المؤمنين – رضوان الله عليهن – فقد جاء عن هشام عن أبيه قال : كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة . قالت : فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة فقلن يا أم سلمة والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وإنا نريد الخير كما تريده عائشة فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان أو حيث ما دار ، قالت : فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ قالت : فأعرض عني فلما عاد ذكرت له ذلك فأعرض عني فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال : يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها)(٢).

قال الذهبي :" وهذا الجواب منه دال على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها ، وأن ذلك من أسباب حبه لها "(٣).

فلما عرف باقي أمهات المؤمنين مكانتها عند رسول الله ﷺ عرفْنَ لها تلك المنزلة واعترفن بها رغم مشاعر الغيرة اللاتي تنتابهن فها هي سودة رضي الله عنها لما كبرت تنازلت عن يومها وليلتها لعائشة رضي الله عنها لمعرفتها بحب النبي ﷺ لها .

---

(١) متفق عليه تقدم تخريجه ص ٣ .

(٢) رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل عائشة رضي الله عنها ١٣٤/٧ ، حديث (٣٧٧٥) .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٤٣/٢ .

ومما يدل على معرفة الصحابة لهذا الأمر وتقديرهم لها ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه قال : (كنت أحب نساء رسول الله ﷺ إليه و لم يكن يحب رسول الله ﷺ إلا طيباً) (١).

قال الحافظ الذهبي بعد إيراد الحديث المتقدم : "وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كان عليه الصلاة والسلام ليحب إلا طيباً وقد قال : (لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام أفضل) فأحب أفضل رجل من أمته وأفضل امرأة من أمته فمن أبغض حبيبي رسول الله ﷺ فهو حري أن يكون بغيضاً إلى الله ورسوله، وحبه عليه الصلاة والسلام لعائشة كان مستفيضاً "(٢).

وعن عمرو بن غالب أن رجلا نال من عائشة رضي الله عنها عند عمار بن ياسر فقال : أغرب مقبوحا منبوحا أتؤذي حبيبة رسول ا لله ﷺ (٣).

ثانياً : أن النبي ﷺ فضلها على سائر النساء .

وقد جاء حديث أنس بن مالك صريحاً في هذا الأمر وهو قوله ﷺ " فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) (٤).

فهذا الحديث بين فيه النبي ﷺ أن فضل عائشة زائد على النساء كزيادة فضل الثريد على غيره من الأطعمة .

قال النووي : " قال العلماء : معناه أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد وثريد مالا لحم فيه أفضل من مرقه والمراد بالفضيلة نفعه والتشبع منه وسهولة مساغه والالتذاذ به وتيسر تناوله وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة وغير ذلك فهو أفضل من المرق كله ومن سائر الأطعمة ، وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل

(١) رواه أحمد والطبراني والحاكم وتقدم تخريجه ص ١٣٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٤٢/٢ .

(٣) مقبوحا : القبح ضد الحسن ويكون في الصورة وفي الفعل ، وقالوا : المقبوح هو الذي يُرد ويُخسأ ، وقيل : أي منحني عن الخير يقال (قبحه الله : نحاه عن الخير فهو مقبوح) .

انظر : مجمل اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس ٧٤٠/٣ ، تحقيق : زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ، ولسان العرب ٥٥٢/٢ ، والقاموس المحيط باب الحاء فصل القاف ص ٣٠٠ .

والأثر رواه الترمذي في سننه والحاكم في المستدرك والطبراني في المعجم الكبير وتقدم تخريجه ص ١٣٢ .

(٤) متفق عليه وتقدم تخريجه ص ١٤٤.

الثريد على غيره من الأطعمة ، وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة" (١).

وبهذا يتبين فضلها ومترلتها رضي الله عنها وأرضاها .

ثالثا: رؤيتها جبريل عليه السلام وسلامه عليها .

فقد روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله ﷺ يوماً : يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام . فقلت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، ترى مالا أرى ، أريد رسول الله ﷺ"(٢).

وقال النووي : " وفيه فضيلة ظاهرة لعائشة رضي الله عنها " (٣).

وجاء عنها رضي الله عنها أنها قالت : رأيت رسول الله ﷺ واضعاً يديه على معرفة فرس وهو يكلم رجلا ، قلت : رأيتك واضعاً يديك على معرفة فرس دحية الكلبي وأنت تكلمه قال : ورأيت ؟ قالت : نعم قال : ذاك جبريل عليه السلام وهو يقرئك السلام . قالت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، جزاه الله خيراً من صاحب ودخيل ،فنعم الصاحب ونعم الدخيل(٤).

رابعاً : أن الوحي كان يترل على النبي ﷺ وهو في لحافها .

فقد جاء عن هشام بن عروة عن أبيه قال : كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة قال عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة .... فقال رسول الله ﷺ : يا أم سلمة: لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها(٥).

فهذا يدل عظمة شأنها وجليل قدرها إذ الوحي كان يترل عل النبي ﷺ وهو في لحافها دون غيرها من نسائه عليه الصلاة والسلام .

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٥/٢٨٥-٢٨٦ .

(٢) رواه البخاري صحيح البخاري مع الفتح كتاب فضائل الصحابة باب فضل عائشة رضي الله عنها ١٣٣/٧ حديث ٣٧٦٨ .

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٢١/١٥ .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ٧٤/٦-٧٥ .

وابن أبي شيبة في المصنف ١٣٠/١٢ .

والطبراني في المعجم الكبير ٣٦/٢٣ .

(٥) رواه البخاري وتقدم تخريجه ص ١٦٣.

قال ابن القيم :" ومن خصائصها : أنه كان يترل عليه الوحي وهو في لحافها دون غيرها"[1].

وقال ابن حجر في شرحه للحديث المتقدم :" وفي هذا - أي الحديث — منقبة عظيمة لعائشة"[2].

وقال ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٤] :"يترل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسنة ، قال قتادة وغير واحد: واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين الناس ، أن الوحي يترل في بيوتكن دون سائر الناس ، وعائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما أولاهن بهذه النعمة وأحظاهن بهذه الغنيمة. وأخصهن من هذه الرحمة الصحيحة فإنه لم يترل على رسول الله ﷺ الوحي في فراش امرأة سواها كما نص على ذلك صلوات الله وسلامه عليه قال بعض العلماء رحمهم الله : لأنه لم يتزوج بكراً سواها و لم ينم معها رجل في فراشها سواه ﷺ ورضي الله عنها فناسب أن تخصص بهذه المزية وأن تنفرد بهذه المرتبة وحدها"[3].

خامساً : شهادة الباري سبحانه لها رضي الله عنها بالبراءة مما رميت به من الإفك .

تعتبر حادثة الإفك من الحوادث الجسام التي وقعت في عهد النبوة وفي غزوة بني المصطلق وذلك لتعلقها بعائشة رضي الله عنها ويرجع السبب الحقيقي لهذه الحادثة إلى الحقد الشديد الذي استقر في نفوس الكفار والمنافقين واليهود بسبب علو شأن الإسلام ودخول الناس فيه أفواجاً . والذي تولى كبر هذه الحادثة عبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين ومضمون حادثة الإفك كما حكتها عائشة رضي الله عنها كما يلي :

فعن عائشة رضي الله عنها قالت (كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين أزواجه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، فأقرع بيننا في غزوةٍ غزاها فخرج سهمي ، فخرجت معه بعد ما نزل الحجاب، فأنا أُحَمل في هودجي وأنزل فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقَفَلَ ، ودنونا من المدينة ، آذن ليلةً بالرحيل ، فقمت حين آذنوا بالرحيل ،

---

(١) جلاء الأفهام ص ١٣٤ .

(٢) فتح الباري ١٠٨/٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤٨٦/٣ .

فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري ، فإذا عِقْدٌ لي من جَزْعِ أظَفَارِ قد انقطع ، فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه ، وأقبل الذين يرحَلُون لي فاحتملوا هَوْدَجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسِبُون أنِّي فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن ولم يغشهن اللحم ، وإنما تأكل العُلْقَةَ من الطعام ، فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج فاحتملوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل وساروا ، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس فيه أحد ، فأَمَمْتُ منزلي الذي كنت به ، وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إليَّ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت ، وكان صفوانُ بنُ المعَطَّلِ السُّلَمِي ثُمَّ الذَّكْوَانيُّ من وراء الجيش ، فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسانٍ نائمٍ ، فأتاني ، وكان يراني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه ، حتى أناخ راحلته فوطئَ على يديها فركبتُها ، فانطلق يقود بي الراحلة ، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا معرسين في نَحْرِ الظَّهيرَةِ ، فهلك من هلك ، وكان الذي تولى الإفك عبدَ الله بنَ أُبيٍّ ابن سَلُول، فقدمنا المدينة ، فاشتكيت بها شهراً ، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ، لا أشعر بشيءٍ من ذلك ، وهو يَرِيبُني في وجعي أني لا أرى من النبي ﷺ اللُّطَفَ الذي كنت أرى منه حين أمرض ، إنما يدخل فيسلم ثم يقول : (كيف تِيكُم ؟) لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقهت فخرجت معي أُمُ مِسْطَح قِبَلَ المَناصِعِ ، وهو مُتَبَرَّزُنَا ، لا نخرج إلا ليلاً إلى ليلٍ ، وذلك قبل أن نتخذ الكُنُف قريباً من بيوتنا ، وأَمُرنا أمرُ العرب الأول في البرية أو في التتره ، فأقبلت أنا وأُمُ مِسْطَح بنت أبي رُهْمٍ ، نمشي فعثرت في مِرْطِها ، فقالت : تَعِسَ مِسْطَح ، فقلت لها : بئس ما قلت ، أتسبين رجلاً شهد بدراً ، قالت : أيْ هَنْتَاهْ ، أو لم تسمعي ما قالوا ؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازددت مرضاً على مرضي ، فلما رجعت إلى بيتي دخل عليَّ رسول الله ﷺ – تَعْني – سَلَّمَ ثم قال : (كيف تِيكُمْ ؟) . فقلت : ائذن لي إلى أبوي – قالت : وأنا حينئذٍ أُريد أن أَستيقن الخبر من قِبلهما – فأذن لي رسول الله ﷺ فأتيت أبوي فقلت لأمي : ما يتحدث الناس ؟ قالت : يا بُنيَّةُ هوني على نفسك الشأن ، فوالله لقلَّما كانت امرأةٌ قطُ وضيئةً، عند رجلٍ يحبها ، ولها ضرائر إلا أَكثَّرنَ عليها . قالت : فقلت : سبحان الله ، ولقد تحدث الناس بهذا ؟ قالت : فبتُ تلك الليلة حتى أصبحتُ لا يَرْقأُ لي دمع ، ولا أَكتحل بنومٍ حتى أصبحت ، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبثَ الوحي ، يستأمرهما في فِراقِ أهله ، فأما أسامة بن زيدٍ فأشار عليه بالذي يعلم في نفسه من الود لهم ،

فقال أسامة : أهلك يا رسول الله ، ولا نعلم والله إلا خيراً. وأما عليٌّ بن أبي طالبٍ فقال : يا رسول الله لم يُضيِّقِ الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وسل الجارية تَصْدُقْك ، فدعا رسول الله ﷺ بَرِيرَةَ فقال : (يا بريرة ، هل رأيت فيها شيئاً يَرِيبُك ؟) . قالت بريرة : لا والذي بعثك بالحق ، إن رأيت عليها أمراً أغْمِصُهُ عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن ، تنام على العَجِينَ ، فتأتي الدَّاجِنُ فتأكُلُهُ. فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستَعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول ، فقال رسول الله ﷺ : (من يَعْذِرُني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي ، فو الله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي) . فقام سعد بن معاذٍ ، فقال : يا رسول الله ، والله أنا أعذرك منه ، إن كان من الأوسِ ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج ، أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت : فقام سعد بن عبادة ، وهو سيد الخزرج ، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ، ولكن احتملته الحمية، فقال لسعدٍ : كذبت لعمرُ الله ، لا تقتله ولا تقدر على قتله ، فقام أُسيدُ بنُ حُضيرٍ ، فقال : كذبتَ لعمرُ الله ، والله لنقتُلنَّهُ ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتثاور الحيانِ الأوسُ والخزرجُ حتى همُّو أن يقتتلوا ، ورسول الله ﷺ على المنبر، فترل فخفضهم حتى سكتوا وسَكَتَ . فبكيت يومي لا يرقأُ لي دمع ولا أكتحل بنومٍ ، فأصبح عندي أبواي وقد بكيتُ ليلتي ويوماً ، حتى أظن أنَّ البكاء فالقٌ كبدي ، قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي ، فاستأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي ، فبينا نحن على ذلك إذ دخل رسول الله ﷺ فجلس ولم يجلس عندي منذ قيل فيَّ ما قيل قبلها ، وقد لبث شهراً لا يوحي إليه في شأني . قالت : فتشهد ثم قال : (يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئَةً فسيبرِّئُكِ الله، وإن كنت ألممت بذنبٍ فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه) . فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قَلَصَ دمعي ، حتى ما أُحِسُ منه قطرةً ، فقلت لأبي : أجب رسول الله ﷺ قال: والله لا أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، قالت : فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال ، قالت : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، قالت : وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن : فقلت : إني والله لقد علِمْتُ أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس ووقر في أنفسكم وصدقتم به ، وإن قلت لكم إني بريئَةٌ – والله يعلم أنِّي بريئة – لا تصدقونني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمرٍ – والله يعلم أني

بريئة – لتصدقني ، والله ما أجد لي ولكم مَثَلاً إلا أبا يوسف إذ قال. ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [سورة يوسف : ١٨]. ثم تحولت على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله ، ولكن والله ما ظننت أن يتزل في شأني وحياً ولأنا أحقرَ في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري ، ولكني كنت أرجو أن يرى رسولُ الله ﷺ في النوم رؤيا تُبرئني ، فو الله ما رام مجلسه ، ولا خرج أحد من أهل البيت ، حتى أُنزل عليه الوحي ، فأخذه ما كان يأخُذُهُ من البُرَحاءِ ، حتى إنه ليتحدَّرُ منه مِثلُ الجُمَانِ من العَرَقِ ، وهو في يوم شاتٍ ، فلما سُرِّي عن رسول الله ﷺ سُرِّيَ عنه وهو يضحك ، فكانت أولُ كلمةٍ تكلم بها أن قال : (يا عائشة ، أحمدي اللهُ فقد برَّأكِ الله) فقالت أمي : قومي إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : والله لا أقوم إليه ولا أحْمَدُ إلا اللهَ ، وأنزل الله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا ﴾ الآيات . فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح ابن أثاثة لقرابته منه– والله لا أنفق على مسطح بشيء أبداً بعد أن قال لعائشة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة النور : ٢٢] فقال أبو بكر : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه . وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري ، فقال : (يا زينب ما علمت؟ ما رأيت ؟ فقالت : يا رسول الله ، أحمي سمعي وبصري ، والله ما علمت عليها إلا خيراً . قالت : وهي التي كانت تساميني فعصمها الله بالورع)[١] .

ثم أنزل الله براءتها في كتابه بآيات تتلى إلى يوم القيامة وهي تبتدئ من الآية (١١) من سورة النور إلى الآية (٢٦) من السورة نفسها على الصحيح من أقوال أهل العلم وهي : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِىٍٕ مِّنْهُم

(١) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح كتاب الشهادات باب تعديل النساء بعضهن بعضا ٣١٩/٥ –٣٢٢ حديث ٢٦٦١ .

ومسلم كتاب التوبة – باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ٢١٢٩/٤–٢١٢٣٦ حديث ٢٧٧٠ .

مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ
ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ
بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ
ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذۡ
تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ
ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا
بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ
ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ
ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ
عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ
﴿٢١﴾ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ
وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ
غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا
وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾
ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ
أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة النور: ١١-٢٦] .

وهنا سوف أتطرق إلى مسألتين :

المسألة الأول : في توضيح بعض ا لمواقف الواردة في حديث الإفك .

المسألة الثانية : في ذكر أهم الفضائل المستنبطة من آيات الإفك من سورة النور .

المسألة الأولى : توضيح بعض المواقف الواردة في حديث الإفك .

من لوازم الإيمان أن يعتقد المسلم أن عائشة ﵂ بريئة مما نسب إليها ، وذلك قبل نزول القرآن ببراءتها ، أما بعد نزول الوحي فإن براءتها تصبح أمراً واضحا جليا لا يحتاج إلى إقامة برهان أو ذكر دليل ، وبالرغم من ذلك فسأتعرض لبعض مواقف حادثة الإفك بالبيان والتفسير مسترشدا في ذلك بأقوال أهل العلم مستهدفاً من ذلك رد افتراءات المبطلين ودفع وسوسة الشياطين عن نفوس بعض المسلمين وذلك على النحو التالي :

١- في تخلف عائشة ﵂ عن الجيش .

كان تخلف عائشة عن الجيش بغير قصد منها ولا من الذين تركوها ، ويرجع ذلك لأسباب عديدة شاء الله لها أن تحدث مجتمعة ، ويمكن أن نلتمسها من حديث الإفك وهي :

أ. ذكرت عائشة ﵂ أن تلك الغزوة كانت بعد ما نزل الحجاب .

قال ابن حجر (والمراد حجاب النساء عن رؤية الرجال لهن وكن قبل ذلك لا يمنعن ، وهذا قالته كالتوطئة للسبب في كونها كانت مستترة في الهودج حتى أفضى ذلك إلى تحميله وهي ليست فيه وهم يظنون أنها فيه بخلاف ما كان قبل الحجاب فلعل النساء حينئذ كن يركبن الرواحل بغير هودج أو يركبن الهوادج غير مستترات ، فما كان يقع لها الذي يقع بل كان يعرف الذي يخدم بعيرها إن كانت ركبت أم لا) (١).

ب. قول عائشة ﵂ (فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع) .

ذكرت صفة العقد لتبين أن قيمته يسيرة وقد نهى الشارع عليه الصلاة والسلام عن إضاعة المال عاما في اليسير والكثير فرجعت في طلبه لأمر الشارع عليه الصلاة والسلام لا للعقد نفسه . (٢)

---

(١) فتح الباري ٣١٢/٨ .

(٢) أنظر بهجة النفوس ٤٦/٣ .

ج. قول عائشة رضي الله عنها (وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي) جاءت فيه بفاء التعقيب ومفادها أنهم كانوا يسارعون في تأدية ما عليهم من حمل الهودج دون تفتيش عمن فيه ، وهذا من غاية أدبهم وليس براجعة إلى غفلة أو تفريط .

د. قول عائشة رضي الله عنها (وكان النساء إذ ذاك خفافا) قال ابن حجر (قالت هذا كالتفسير لقولها (وهم يحسبون أني فيه) [1].

وفي ذلك عذر من يحملون الهودج .

ه. وقول عائشة رضي الله عنها (فلم يستنكر القوم خفة الهودج)قال ابن حجر (مرادها إقامة عذرهم في تحميل هودجها وهي ليست فيه فكأنها تقول : كأنها لخفة جسمها بحيث إن الذين يحملون هودجها لا فرق عندهم بين وجودها فيه وعدمه ، ولهذا أردفت ذلك بقولها : (وكنت جارية حديثة السن) أي أنها مع نحافتها صغيرة السن فذلك أبلغ في خفتها) [2].

و. قول عائشة رضي الله عنها (وكنت جارية حديثة السن) .

قال ابن حجر (ويحتمل أن تكون أشارت بذلك إلى بيان عذرها فيما فعلته من الحرص على العقد الذي انقطع ،ومن استقلالها التفتيش عليه في تلك الحال وترك إعلام أهلها بذلك لصغر سنها وعدم تجاربها للأمور وقد وقع لها بعد ذلك ضياع العقد ايضاً أنها أعلمت النبي ﷺ بأمره فأقام بالناس على غير ماء حتى وجدته ونزلت آية التيمم بسبب ذلك) [3].

وقد سبق إلى هذا التعليل صاحب بهجة النفوس . [4].

ز. قول عائشة رضي الله عنها (فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منزلهم وليس فيه أحد) .

قال ابن أبي جمرة :" فإنما أتت بذلك لتبين عذرها ولتزيل ما يتوقع في حقها من الغفلة لأنه قد ينسب إليها أنها أبطأت في الرجوع بعد وجود العقد حتى كان ذلك سبباً لرحيل القوم عنها فأتت بالفاء التي هي للتعقيب لتبين أن رجوعها كان في إثر وجود العقد من غير مهلة ولا تراجع وقع منها ولتبين أنها رجعت على الطريق و لم تحد عنه

---

(١) فتح الباري ٣١٤/٨ .

(٢) فتح الباري ٣١٤/٨-٣١٥ .

(٣) فتح الباري ٣١٥/٨ .

(٤) أنظر بهجة النفوس ٤٨/٣ .

حتى كان ذلك سبباً لرحيل القوم عنها ؛ لأنها لوحادت عن الطريق لنسبت بذلك على تفريط لأنه قد يقال إنها لما كانت جاهلة بالطريق لكان الأولى بها أن تتخذ من يخرج معها ولا تخرج وحدها لأن ذلك سيفضي إلى تخلفها عن القوم فأزالت ما يتخيل هناك من هذه الأمور لكونها أتت بالفاء فقالت (فجئت منزلهم) وذلك يفيد بأنها بعد وجود العقد لم يقع لها تربص في الطريق ولا في الموضع الذي كانت فيه وإنما قصدت عند وجود عقدها موضع هودجها لا غير " [1].

ح. وأخيراً : ذكر ابن حجر أنه كان من شأنه ﷺ أن يساير بعيرها ويتحدث معها فكان ذلك لم يتفق في تلك الليلة [2].

وإنما قال ذلك لما ترجح عنده من أن عائشة رضي الله عنها قصدت في قولها (وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون لي) أن رسول الله ﷺ سيفتقدها إذا ساير بعيرها وأراد أن يتحدث معها ، و لم يقع ذلك ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

وبهذا يكون قد اتضح عذر عائشة رضي الله عنها في تخلفها عن الجيش بقدر وافر من الأدلة مما يرد شبه المبطلين .

٢- في تخلف صفوان بن المعطل رضي الله عنه.

وأما تخلف صفوان رضي الله عنه عن اللحوق بالجيش فيرجع إلى أسباب ذكرها أهل العلم ومنها :

أ. أنه يتأخر ليتفقد ما سقط من الجيش فيأتي به إليهم .

قال ابن حجر (ووقع في حديث ابن عمر بيان سبب تأخر صفوان ، ولفظه :- (سأل النبي ﷺ أن يجعله على الساقة فكان إذا رحل الناس قام يصلي ثم اتبعهم فمن سقط له شيء أتاه به ...

وفي حديث أبي هريرة : (وكان صفوان يتخلف عن الناس فيصيب القدح والجراب والأدوات) [3].

ب. أن صفوان رضي الله عنه كان كثير النوم وهذا سبب تأخره عن الجيش .

---

(١) بهجة النفوس ٤٨/٣ .

(٢) أنظر فتح الباري ٣١٥/٨ .

(٣) فتح الباري ٣١٦/٨ .

قال ابن حجر :" ويحتمل أن يكون سبب تأخيره ما جرت به عادته من غلبة النوم عليه ففي سنن أبي داود .... عن أبي سعيد قال : جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ونحن عنده ، فقالت : يا رسول الله إن زوجي صفوان بن المعطل يضربني إذا صليت ويفطرني إذا صمت ولا يصلي صلاة الفجر حتى تطلع الشمس ، قال وصفوان عنده ، قال : فسأله عما قالت ، فقال : يا رسول الله أما قولها يضربني إذا صليت فإنها تقرأ بسورتين وقد نهيتها ، قال فقال : لو كانت سورة واحدة لكفت الناس ، وأما قولها يفطرني فإنها تنطلق فتصوم وأنا رجل شاب فلا أصبر ، فقال رسول الله يومئذ : (لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها) ، وأما قولها إني لا أصلي حتى تطلع الشمس : فإن أهل بيت قد عُرف لنا ذاك لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس ، قال : (فإذا استيقظت فصل ..) [(1)].

وفيما ذكر دليل على أن تخلف صفوان رضي الله عنه عن الجيش إنما كان لعذر شرعي بل هو رحمة من الله بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأن قيض لها من ينقذها من الهلاك .

٣- أن ما فعله صفوان رضي الله عنه أمر مباح عند الضرورة.

فقد شهد النبي ﷺ لصفوان رضي الله عنه بالخير والصلاح ولأجل ما يعلم فيه من الأمانة والخير جعله ﷺ في آخر الجيش حتى إذا وجد شيئاً أخذه ليدفعه لصاحبه ،إن وجد ضعيفاً أو تائهاً حمله كما فعل رضي الله عنه مع أم المؤمنين .

٤-الحكمة من تأخر الوحي :

أ. لقد حبس الوحي عن الرسول ﷺ شهراً لا يوحي إليه في ذلك شيء لتتم حكمة الله البالغة التي قدرها أو قضاها ليزداد المؤمنون الصادقون إيمانا وثباتاً على العدل والصدق وحسن الظن بالله ورسوله ﷺ وأهل بيته والصديقين من عباد الله .

---

(١) فتح الباري ٣١٦/٨ – ٣١٧ .

والحديث رواه أبو داود – كتاب الصوم – باب المرأة تصوم بغير إذن زوجها ٢/ ٨٢٧-٨٢٨ حديث ٢٤٥٩ .

ورواه الحاكم في المستدرك ٦٠٢/١ ، وقال هذه حديث صحيح على شرط الشيخين يخرجاه وسكت عنه الذهبي.

والإمام أحمد في المسند ٨٠/٣ .

والبيهقي في سننه ٣٠٣/٤ .

وقال ابن حجر في الفتح ٣١٦/٨ – ٣١٧ رجاله رجال الصحيح .

ويزاد المنافقون إفكاً ونفاقاً ويظهر الله لرسوله وللمؤمنين سرائرهم وللتتم العبودية من الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها .

ولهذا وفت هذا المقام حقه لما قالت بعد نزول آيات براءتها (والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي) .

ب. ومن الحكم في تأخر الوحي أيضاً : أن القضية محصت واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف إلى ما يوحيه الله إلى رسوله فيها وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع فوافى الوحي أحوج ما كان إليه رسول الله ﷺ وأهل بيته والصديق وأهله وأصحابه والمؤمنون ، فورد عليهم ورود الغيث على الأرض أحوج ما كانت إليه فوقع منهم أعظم موقع وألطفه وسروا به أتم السرور وحصل لهم به غاية الهناء .

ج. ومن الحكم : أن الله تعالى أحب أن يظهر مترلة رسوله وأهل بيته عنده وكرامتهم عليه وأن يتولى هو بنفسه سبحانه الدفاع والمنافحة عن رسوله والرد على أعدائه وذمهم وعيبهم بأمر لا يكون لرسوله فيه عمل ولا ينسب إليه [1].

٥- سكوت النبي ﷺ وعدم إبطاله للتهمة .

سائل أن يسأل : لماذا سكت النبي ﷺ ولم يبرئ زوجته وينكل بالمنافقين والوشاة ؟

والجواب : أن رسول الله ﷺ كان على يقين من براءة زوجته بدليل قوله حينما خطب (وأيم الله ما علمت على أهلي من سوء) ولكن رسول الله ﷺ في هذه الحادثة كان زوجاً ، وزوجته هي المجني عليها ، ولو فعل ذلك وبرأها قبل الوحي لقال المنافقون : رجل يبرئ زوجته ليدفع العار عن نفسه .

يقول ابن القيم :" إن رسول الله ﷺكان هو المقصود بالأذى والتي رميت زوجته فلم يكن يليق به أن يشهد ببراءتها مع علمه ، ولم يظن بها سوءا قط وحاشاه وحاشاه ... ولكن لكمال صبره وثباته ورفقه وحسن ظنه بربه وثقته به وفّى مقام الصبر والثبات وحسن الظن حتى جاءه الوحي بما أقر عينه وسر قلبه وعظم قدره وظهر لأمته احتفال ربه به واعتناؤه بشأنه)[2].

---

(١) أنظر : زاد المعاد ٢٦٢/٣ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ٢٦٣/٣ لابن قيم الجوزية ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة والعشرين ،١٤٠٩هـ .

المسألة الثانيةً : في ذكر أهم الفضائل المستنبطة من آيات الإفك من سورة النور .

ليعلم أنه قد حكى الإجماع غير واحد من أهل العلم على نزول هذه الآيات في شأن عائشة رضي الله عنها منهم : ابن الجوزي[1] والشوكاني[2] وابن عاشور[3].

ويلاحظ أنه لا يوجد في القرآن الكريم إطلاق الإفك على شيئ بأل التعريف المقتضية للعموم إلا على اتهام عائشة رضي الله عنها وكان هذا الاتهام يعادل الكذب كله ، وإنما سمي إفكاً لما فيه من معنى القلب ، فإن عائشة رضي الله عنها تستحق الثناء والذين اتهموها بالسوء ، قلبوا الأمر على وجهه[4].

إن دلالة الآيات على الفضائل الجمة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أمر معلوم عند أهل العلم وعلى رأسهم الصحابة الكرام كابن عباس رضي الله عنهما حيث قال لها وهي على فراش الموت عند ما قالت (أعوذ بالله من النار ، فقال : مالك وللنار يا أم المؤمنين ، أعاذك الله منها، وأنزل براءتك تقرأ في المساجد وطيبك فقال الطيبات للطيبين ، وكنت أحب نساء رسول الله ﷺ ولم يحب إلا طيباً ، وأنزل بسببك التيمم فقال تيمموا صعيدا طيبا)[5] .

ذكر بعض أهل العلم أن الله تعالى برأ يوسف بالشاهد وموسى بالحجر ومريم بإنطاق ولدها وأن عائشة لما رميت برأها الله تعالى بالقرآن ، فما رضي لها ببراءة بشر ولا حجر حتى برأها الله تعالى بكلامه في ست عشرة آية وموسى إنما بُرئ بآية واحدة[6] ، ولأجل هذا قال الرازي :" إن قاذفها مكذب ظاهراً وباطناً أما غيرها فظاهراً فقط ، وقد نص على وجوب تكذيب قاذفها"[7] بل والشك في براءتها حرام[8].

---

(١) انظر: زاد المسير ١٧/٦ .

(٢)انظر: فتح القدير ١٢/٤ .

(٣)انظر: التحرير والتنوير ١٨٣/١٨ .

(٤) أنظر: فتح القدير للشوكاني ١٢/٤ .

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند ٢٧٦/١ .

وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء وقال محقق السير شعيب الأرناؤوط ١٨٠/٢ إسناده صحيح .

(٦) أنظر : الكشاف للزمخشري ٥٧/٣ . والجامع لأحكام القرآن لابن العربي ١٤١/١٢ .

(٧) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) لفخر الدين الرازي ٢٣ / ١٥٥ ، طبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

(٨) فتح الباري ٣٣٩/٨ .

ولما كانت الآيات تحتوي على فضائل جمة[1] فسوف أذكر ما استطعت منها :

١- إرادة الله تعالى الخير بها .

وهذا التعبير مستفاد من قوله تعالى :﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [سورة النور : ١١] ، وذلك باكتساب الثواب العظيم والأجر الجزيل .

وحصول الأجر هو غاية منى الصالحين والذي هو من علم الغيب ، لا يقطع به ، ولأجل هذا كان من دعاء النبي ﷺ " وثبت الأجر إن شاء الله "[2] . فعلق الأجر على المشيئة لأنه أمر غيبي .

وهذا الأمر الغيبي صار بالنسبة لعائشة رضي الله عنها في أمر الإفك أصبح من علم الشهادة المقطوع به قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٢٧]"[3].

٢- الشهادة الإلهية لها بالدرجة العالية من الإيمان والعفاف .

قال تعالى : ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة النور : ١٢] .

يقول ابن عطية :" كان ينبغي أن يقيس فضلاء المؤمنين والمؤمنات الأمر على أنفسهم فإذا كان ذلك يبعد فيهم ، فكانوا يقضون بأنه كان في عائشة أبعد ، وقد روي أن هذا النظر السديد وقع من أبي أيوب وامرأته وذلك أنه دخل عليها فقالت : (يا أبا أيوب : أسمعت ما قيل ، قال: نعم وذلك الكذب ، أكنت يا أم أيوب تفعلينه ؟ فقالت لا والله : قال : فعائشة والله أفضل منك ، قالت أم أيوب : نعم)"[4] .

---

(١) فتح الباري ٣٣٩/٨ .

(٢) رواه أبو داود كتاب الصوم ، باب ما يقول عند الإفطار ٧٦٥/٢ حديث ٢٣٥٧ .
والدار قطني ١٨٥/٢ وقال إسناده صحيح.
وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٤٤٩/٢ .

(٣) أنظر : الكشاف ٥٣/٣- ٥٤ والمحرر الوجيز ١٠/ ٤٥٣ وزاد المسير ١٨/٦ .

(٤) المحرر الوجيز ٤٥٨/١٠-٤٥٩.
والأثر رواه الطبري في تفسيره والسيوطي في الدر المنثور وتقدم تخريجه ص ١٣٤.

وهذا القياس يدل على أنه استقر في نفوس الأكابر كأبي أيوب ﷺ المكانة العالية الرفيعة لعائشة ﷺ .

ففي الآية دليل على صدق إيمانها ودرجة عفافها وإلا لم يكن الخطاب في هذه الآية بهذه القوة .

٣- عتاب أهل الإيمان لأجلها .

إن مما يلحظ في آيات الإفك أن الله تعالى عاتب أهل الإيمان عتابا شديدا وبعبارات متنوعة لأجل التقصير في حق عائشة ﷺ الأمر الذي نص عليه عدد من أهل العلم .

قال تعالى : ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ ﴾ [سورة النور : ١٢].

قال الطبري :" هذا عتاب من الله أهل الإيمان فيما وقع في أنفسهم من إرجاف من أرجف في أمر عائشة " (١) .

والآية تشير على أن من كان مؤمناً فشأنه الثناء على عائشة ﷺ والدفاع عنها ، وأن القدح فيها دلالة على خلل في الإيمان .

وقال تعالى :﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [سورة النور: ١٣].

قال الزمخشري: "وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الإفك فلم يجدّوا في دفعه وإنكاره، واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة إذا قذف امرأة من عرض نساء المسلمين فكيف بالصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله" (٢).

فإذا كان كل هذا التوبيخ لمن قصر في دفعه فكيف بمن أشاعه ؟ فكيف بمن اعتقده بعد نزول هذه الآيات ؟

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا ﴾ [سورة النور: ١٦]. وهذه الآية أيضا من جمل آيات العتاب .

قال ابن عطية والقرطبي والشوكاني :" هذا عتاب لجميع المؤمنين" (٣).

---

(١) تفسير الطبري ٧٧/١٨ .

(٢) الكشاف ٥٤/٣ .

(٣) انظر : المحرر الوجيز ٤٦٣/١٠ الجامع لأحكام القرآن ١٣٦/١٢ فتح القدير ١٤/٤ .

قال ابن عطية :" أي كان ينبغي أن تنكروه ولا يتعاطاه بعضكم من بعض على جهة الحكاية والنقل ، وأن تنزهوا الله أن يقع هذا من زوجة نبيه وأن تحكموا عليه بالبهتان" (١).

ومن لطائف ما ذكره أهل العلم هنا أنهم قالوا :

إننا لا نجد لوماً للمؤمنين لأجل أحد إلا لأبي بكر الصديق وبنته عائشة رضي الله عنهما .

أما أبو بكر ففي قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ [سورة التوبة : ٤٠].

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : (إن الله تعالى ذم الناس كلهم و مدح أبو بكر)(٢).

وهكذا يعاتب الله المؤمنين في مواضع متعددة على التقصير في جنب عائشة رضي الله عنها وليس الأمر عتابا فقط بل تحذير أيضا من معاودة مثل هذا قال تعالى : ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة النور : ١٧].

قال ابن عاشور :" بعد أن بين الله بادئ ذي بدء أنه ليس شراً ، وأن الذين جاءوا به ما اكتسبوا إلا الإثم ، ونعى على المؤمنين تهاونهم وغفلتهم وأنهم اقتحموا بذلك ما يكون سببا للحاق العذاب بهم .. أعقب ذلك كله بتحذير المؤمنين من العود إلى مثله " (٣).

وبين القرطبي أن مثل هذا العود كفرٌ حيث قال : " لما في ذلك من إذاية رسول الله ﷺ في عرضه وأهله وذلك كفر من فاعله " (٤).

٤- التهديد بالعقوبة لأجل عائشة رضي الله عنها .

لعظم الأمر وشناعته لم يقتصر الرب عز وجل على لوم المؤمنين وعتابهم في شأن عائشة رضي الله عنها بل نجد أمراً وراء ذلك وهو التهديد بالعقوبة .

قال الله تعالى :﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة النور : ٢٠] .

---

(١) المحرر الوجيز ١٠/٤٦٣ .

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠/٢٩١ تحقيق على عاشور الجنوبي دار إحياء التراث العربي الطبعة الأولى١٤٢١هـ .

(٣) التحرير والتنوير ١٨/١٨٢ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ١٣٧ .

٥-الشهادة لها بالإحصان والإيمان .

قال الطبري :" لو لا أن الله تفضل عليكم ... لهلكتم فيما أفضتم وعاجلتكم من الله العقوبة"[١].

وقال ابن الجوزي : " جوابه محذوف تقديره لعاقبكم فيما قلتم لعائشة "[٢].

٦- أن القدح في عائشة ﵂ قدح في الله تعالى .

وذلك أن الله تعالى أمر المؤمنين بأن يتزهوه عند سماع خبر القدح في زوجة نبيه[٣] ، فالله يتزه أن يحصل لقرابة نبيه تدنيس [٤].

وعند التأمل في هذا الأمر نجد أن القدح في عائشة ﵂ قدح في الله تعالى إذ جعل تحت نبيه من ليست أهلاً له وأيضاً فإن الله تعالى يتزه أن لا يعاقب هؤلاء المفترين لما فيه من القدح في الحكمة ، وأيضاً فإن الله تعالى منـــزه أن يرضى بظلم هؤلاء المفترين[٥].

ومن بديع ما ذكره العلماء هنا ما ذكره القاسمي بقوله :" ولأجل هذا قال العلماء : قذف عائشة كفر لأن الله تعالى سبح نفسه عند ذكره كما سبح نفسه عند ذكر ما وصفه به المشركون من الزوجة والولد "[٦].

فالقدح في عائشة ﵂ تكاد تبلغ شناعة نسبة الولد أو الزوج لله تعالى بل إن ظاهر قوله تعالى : ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [سورة النور : ٢٥]. يدل على أن القدح في عائشة مناف لكونه تعالى حقاً[٧].

---

(١) تفسير الطبري ١٨/٨٠ .

(٢) زاد المسير ٦/٢٣ .

(٣) انظر : المحرر الوجيز ١٠/٤٦٣ والجامع لأحكام القرآن ١٢/ ١٣٦ .

(٤) انظر : فتح الباري ٨/٢٣٨ .

(٥) انظر : مفاتيح الغيب ٢٣/١٥٧ .

(٦) محاسن التأويل ١٢/٤٤٧٣ .

(٧) انظر روح المعاني للألوسي ١٨/١٣٠ .

ولئن عذر من رماها قبل التنزيل لغفلة أو جهل فلا مجال لإعذار من قدح فيها رضي الله عنها بعد التنزيل إذ أن الحجة القرآنية قد قامت عليه من كل وجه .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [سورة النور : ٢٣].

يرى بعض أهل العلم أن هذه الآية خاصة في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ويرى البعض أنها تعمها وأمهات المؤمنين ويرى البعض أنها في عموم المؤمنات .

وعلى كل حال فدخول عائشة رضي الله عنها فيها قطعي إذ أنها سبب نزول الآية(١). ففي حديث الإفك بشر النبي ﷺ عائشة وتلا عليها قوله تعالى : ﴿ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴾[سورة النور: ٢٥](٢).

وهذا نص في كون هذه الآية من آيات الإفك وسبب النزول قطعي الدخول في الآية ولا يخرج بالتخصيص بحال كما نص على ذلك أهل العلم(٣).

وعليه فيكون من فضائل عائشة رضي الله عنها أنها مؤمنة محصنة بنص القرآن الكريم .

٧- الشهادة لها بالطيب .

كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [سورة النور : ٢٦].

وقد اختلف أهل العلم في معنى الآية على قولين :

الأول: أن المراد بالخبيثات أي النساء الخبيثات والخبيثون الرجال الخبيثون والطيبات أي النساء الطيبات والطيبون أي الرجال منهم .

---

(١) أنظر تفسير الطبري ١٨/٨٢-٨٣ .

(٢) الحديث متفق عليه وتقدم تخريجه ص ١٦٦-١٦٩.

(٣) أنظر حاشية مقدمة التفسير لعبد الرحمن بن قاسم ، ص٥٦ ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ .

الثاني : أن المراد بالطيب والخبيث الكلمات ، فالكلمات الخبيثات أولى بأهل الخبث والقبح والكلام الطيب أولى بأهل الطيب [1].

وعلى كلا القولين فالفضيلة ثابتة لعائشة ﵂ وذلك أن رسول الله ﷺ أطيب الطيبين فتكون عائشة أطيب الطيبات وهذا على القول الأول وكذلك هي ﵂ طيبة فلا يصلح لها إلا الكلام الطيب ومن تكلم فيها كان أحق بالكلام الخبيث وهذا على القول الثاني .

قال الرازي :" ولا أحدٌ أطيب ولا أطهر من رسول الله ﷺ فأزواجه إذن لا يكن إلا طيبات " [2].

وقال ابن كثير :" فما نسبه أهل النفاق إلى عائشة هم أولى به وهي أولى بالبراءة والنزاهة منهم"[3].

٨- الشهادة لها بالجنة .

فمن فضائلها هنا أن الله بشرها بالجنة كما في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [سورة النور : ٢٦].

فقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أن المراد بالرزق الكريم في الآية (الجنة) [4].

قال ابن كثير ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (أي عند الله من جنات النعيم وفيه وعد بأن تكون زوجة النبي ﷺ في الجنة) [5].

هذه بعض الفضائل المستفادة من آيات الإفك والله تعالى أعلم .

سادسا : أنها كانت سبباً في بيان وتشريع حكم التيمم .

من الأمور التي تدل على عظيم قدرها بل وعلى بركتها على المسلمين نزول آية التيمم بسبب ضياع عقدها مرة أخرى ولأنها قد استفادت من التجربة الأولى لم تذهب هذه المرة لالتماسه بل أخبرت رسول الله ﷺ .

---

(١) أنظر : تفسير الطبري ٨٤/١٨ -٨٥ وتفسير القرآن العظيم ٣٤/٦-٣٥ .

(٢) مفاتيح الغيب ١٧٠/٢٣ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٤/٦ .

(٤) أنظر تفسير الطبري ٨٦/١٨ ومفاتيح الغيب ١٧٠/٢٣ وروح المعاني ١٣١/١٨-١٣٢ .

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣٥/٦ .

فقد جاء عنها أنها قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات جيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله ﷺ على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء ، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا : ألا ترى ما صنعت عائشة ؟ أقامت برسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء . فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام ، فقال حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فقالت عائشة : فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي ، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح عل غير ماء فأنزل الله آية التيمم ، فتيمموا . فقال أسيد ابن الحضير : (ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر . قالت : فبعثنا البعير الذي كنت عليه فأصبنا العقد تحته)(١).

وفي رواية عند مسلم : فقال أسيد بن حضير : (جزاك الله خيراً ، فو الله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجاً وجعل للمسلمين فيه بركة)(٢).

في هذا الحديث فضيلة ظاهرة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . قال ابن حجر (إنما قال ما قال– يعني أسيد بن حضير – لأنه كان رأس من بعث في طلب العقد الذي ضاع ، قوله (ما هي بأول بركتكم) أي بل هي مسبوقة بغيرها من البركات ، والمراد بآل أبي بكر :نفسه وأهله وأتباعه وفيه دليل على فضل عائشة وأبيها وتكرار البركة منها)(٣).

وفي مسند الإمام أحمد عنها رضي الله عنها أنها قالت : (أقبلنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره... إلى أن قالت فلقيت من أبي ما الله به عليم من التعنيف والتأفيف، وقال : في كل سفر للمسلمين منك عناء وبلاء . قالت : فأنزل الله الرخصة بالتيمم قال : فتيمم القوم وصلوا، قالت : يقول أبي حين جاء من الله الرخصة للمسلمين : والله ما علمت يا بنية أنك لمباركة ، ماذا جعل الله للمسلمين في حبسك أياهم من البركة واليسر)(٤).

---

(١) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح كتاب التيمم باب (١) ٥١٤/١ حديث ٣٣٤ .

وصحيح مسلم كتاب الإيمان باب التيمم ٢٧٩/١ حديث ٣٦٧ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب التيمم ٢٧٩/١ وحديث ٣٦٧ .

(٣) فتح الباري ٥١٨/١ .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢٧٢/٦ – ٢٧٣ .

وهنا مسألة :

هل حادثة الإفك ورخصة التيمم وضياع العقد في غزوة واحدة وسفر واحد أم أن العقد فقد مرتين وفي سفرين منفصلين ؟

اختلف أهل العلم في ذلك : فمنهم من قال إنها في غزوة واحدة وهي غزوة بني المصطلق (المريسيع) كابن حجر ومنهم من قال أن الحادثة تكررت ثم اختلفوا في قصة التيمم في أي غزوة كانت فمنهم من قال في غزوة ذات الرقاع ومنهم من قال في غزوة الفتح ومنهم من قال في غزوة الخندق[1].

والذي يظهر لي أن القصة تكررت وأن العقد سقط مرتين لعدة أمور :-

١- لقول أبي بكر رضي الله عنه في الحديث المتقدم عند الإمام أحمد (في كل سفر للمسلمين منك عناء وبلاء) .

فهذا ظاهر بأن قصة العقد متكررة .

٢- ما جاء عن عائشة - رضي الله عنها - قالت (لما كان من أمر عقدي ما كان وقال أهل الإفك ما قالوا وخرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة أخرى فسقط أيضاً عقدي حتى حبس الناس على التماسه ...) [2].

٣- أن في حادثة التيمم أتى التصريح في الأحاديث في أن المكان ليس فيه ماء ، أما في حادثة الإفك فلم تصرح فيه عن هذا الأمر فتعين أن تكون حادثة التيمم في غزوة غير غزوة بني المصطلق (المريسيع).

سابعاً : أن النبي ﷺ لما قبض كان في بيتها وكان بين سحرها ونحرها .

لمكانة عائشة رضي الله عنها استأذن الرسول ﷺ نساءه أن يمرض في مرضه الذي مات فيه ﷺ في بيتها فقد جاء عن هشام عن أبيه أن رسول الله ﷺ لما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول أين أنا غداً ؟ حرصاً على بيت عائشة ، قالت عائشة : فلما كان يومي سكن[3].

---

(١) أنظر فتح الباري ٥١٥/١ -٥٢٠ .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٢١/٢٣ .

(٣) رواه البخاري صحيح البخاري مع الفتح كتاب فضائل الصحابة باب فضل عائشة - رضي الله عنها - ١٣٤/٧ حديث ٣٧٧٤ .

ولقد قامت ﵂ على رسول الله ﷺ في مرضه وتفانت في خدمته فقد جاء عنها ﵂ أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها[١].

وجاء عنها (.. دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك يستن به فنظر إليه رسول الله ﷺ فقلت له أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن فأعطانيه فقضمته ثم مضغته فأعطيته رسول الله ﷺ فاستن وهو مستند إلى صدري[٢].

إن طلب الرسول ﷺ بأن يمرض في بيت عائشة ﵂ لهو دليل على محبته لها وعلى رضاه عنها .

بل الأمر لم يقف على هذا وإنما من شدة سكنه لها وحبه لها ورضاه عنها أن ﷺ توفي في بيتها وهو بين سحرها ونحرها وأن جمع الله بين ريقه وريقها ، فقد جاء عنها ﵂ أنها قالت (إن من نعم الله علي أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وأن الله جمع بين ريقي وريقه ...) [٣].

وهكذا وصفت لنا أم المؤمنين عائشة ﵂ كيف كانت عنايتها بالنبي ﷺ واختياره بيتها وأنه قبض ﷺ وهو بين سحرها ونحرها وكل هذا تكريماً لها في بيت النبوة ومن سيد الأنبياء والمرسلين ليتضح بذلك علو مكانتها عند الله سبحانه وعند الرسول ﷺ وعند المؤمنين .

ثامناً : أن كبار الصحابة كانوا يستفتونها .

وقد تقدم الكلام عن هذا الأمر عند ترجمتها في الباب الثاني فلذلك أختصر الكلام فأقول :

مما لا خلاف فيه عند أهل العلم والسير والتراجم أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا إذا أشكل عليهم الأمر في الدين ثم لم يهتدوا فيه إلى مخرج رجعوا فيه إلى عائشة ﵂ ليجدوا ما قد فاتهم من العلم به .

---

(١) رواه البخاري صحيح البخاري مع الفتح كتاب الطب باب الرقي بالقرآن والمعوذات ٢٠٥/١٠ حديث ٥٧٣٥ .

(٢) رواه البخاري صحيح البخاري مع الفتح كتاب الجمعة باب من تسوك بسواك غيره ٤٣٨/٢ حديث ٨٩٠ .

(٣) رواه البخاري صحيح البخاري مع الفتح كتاب فرض الخمس باب ماجاء في بيعت أزواج النبي ﷺ ٢٤٢/٦ حديث ٣١٠٠ .

فقد روى الترمذي عن أبي موسى الاشعري ﷺ قال : (ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة عنه إلا وجدنا عندها منه علماً)[(١)].

وجاء عن الزهري أنه قال :" لو جمع علم الناس كلهم ثم علم أزواج النبي ﷺ لكانت عائشة أوسعهم علماً ، وفي لفظ لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل "[(٢)].

وربما اختلف الصحابة فيما بينهم في فهم معنى حديث أو في رواية فجاءوا يحتكمون في ذلك إلى عائشة ﷺ و لم يكونوا يصدرون عن رأيها في الأمر إلا راضين متفقين .

فقد جاء عن أبي هريرة ﷺ أنه قال : من تبع جنازة فله قيراط فقال ابن عمر أكثر أبو هريرة علينا فبعث إلى عائشة فسألها فصدقت أبا هريرة وقالت : سمعت ، فقال ابن عمر : لقد فرطنا في قراريط كثيرة [(٣)].

وكل هذا يدل على سعة علمها ورجوع كبار الصحابة إليها ﷺ وعن أبيها .

---

(١) رواه الترمذي وتقدم تخريجه ص ١٠٧ .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ١١/٤.

والطبراني في المعجم الكبير ٢٣/ ١٨٤ .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٣/٩ وقال : رواه الطبراني مرسلا ورجاله ثقات .

(٣) متفق عليه :

رواه البخاري صحيح البخاري مع الفتح كتاب الجنائز باب فضل ابتاع الجنائز ٢٢٩/٣ حديث ١٣٢٣ .

ومسلم كتاب الجنائز باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها ٦٥٣/٢ حديث ٩٤٥ .

الباب الرابع

موقف الفرق من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

(أصول انحرافهم إجمالاً والرد عليها)

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول

موقف الشيعة من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

الفصل الثاني

موقف الخوارج من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

الفصل الثالث

موقف المعتزلة من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

الفصل الأول

موقف الشيعة من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

لقد سبق الكلام عن الشيعة من ناحية التعريف والأصول في الباب الأول ، ولكن قبل الدخول في صميم الموضوع أود أن أتكلم عن فرق الشيعة فأقول :

لقد اختلفت كتابات كتّاب الفرق والمقالات في تعداد فرق الشيعة الكبار إلى أقوال :

١- ذهب أبو الحسن الأشعري إلى أن الشيعة ثلاث فرق (الغالية ، والرافضة " الإمامية الاثنى عشرية " ، والزيدية) (١) .

وكذلك السفاريني جعل أصولهم ثلاثاً (غلاة ، وإمامية ، وزيدية) (٢).

٢- وذهب البغدادي والاسفرائيني والرازي إلى أنها أربع فرق (الزيدية ، والإمامية ، والكيسانية ، والغلاة أو الغالية)(٣).

٣- وذهب الشهرستاني إلى أنها خمس فرق (الكيسانية ، والزيدية ، والإمامية ، والغلاة، والإسماعيلية) (٤).

٤- ومن أهل العلم من قام بتعداد فرق الشيعة دون تقسيم كالملطي والسكسكي (٥).

ولعل تقسيمها إلى ثلاث فرق (غلاة ، وزيدية ، وإمامية) أدق وأشمل فالزيدية والإمامية هم أشهر فرق الشيعة وهم الذين لهم ذكر وشهرة في واقع الأمة وكذلك هم يختلفون في الإمام الذين ينتسبون إليه وعن هاتين الفرقتين تفرقت الشيعة ولأن الكيسانية تدخل في

---

(١) انظر : مقالات الإسلاميين ٦٥/١ ، ٨٨ ، ١٣٦ .

(٢) لوامع الأنوار ٨٠/١ .

(٣) انظر : الفرق بين الفرق ، ص ١٦ ، ٢٢ .

والتبصير في الدين ، ص ٢٣ دون تصريح بالعدد .

واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ٦٠ .

والمحصل ، ص ٢٤١ .

(٤) انظر : الملل والنحل ١٧٠/١ .

(٥) انظر : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسن محمد بن أحمد الملطي، ص ١٨ ، ١٦٥ ، تعليق : محمد زاهد الكوثري ، إعداد : فتحي جابر العقيلي .

والبرهان ، ص ٦٦ .

الإمامية كما ذكر الأشعري في مقالاته أما الغلاة فهم ينفردون بأقوال واعتقادات كفرهم بها السلف .

وسوف أذكر نبذة مختصرة عن كل فرقة من هذه الفرق الثلاث ثم أتكلم عن موقفهم من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

أولاً : نبذة عن فرق الشيعة :

١- **الغلاة** : وهم الذين جاوزا الحد في حق أئمتهم حيث أدعوا أنهم أنبياء أو أخرجوهم عن مرتبة المخلوقين إلى مرتبة الألوهية .

فقسم أوجب النبوة لأئمتهم وقسم آخر أوجب لهم الألوهية ثم اختلف هؤلاء في سبب ألوهية أئمتهم فمنهم من قال أن الأئمة بشر اتصفوا بصفات الألوهية ، ومنهم من قال إن الإله حل في ذات الإمام البشرية وهو القول بالحلول المأخوذ من عقيدة النصارى في عيسى بن مريم عليه السلام ، وقسم ثالث قال بالتناسخ حيث أن الإمام إذا مات انتقلت روحه إلى إمام آخر ليكون فيه كمال الإمام الأول [(١)].

ويجمع الغلاة ما قاله الشهرستاني :" وبدع الغلاة محصورة في أربع : التشبيه ، والبداء ، والرجعة ، والتناسخ ... "[(٢)].

والفرق الغالية كثيرة من أشهرها :

أ. السبئية : نسبة إلى عبد الله بن سبأ ويطلق عليه ابن السوداء وهو يهودي من أهل اليمن من أهل صنعاء حيث تظاهر بالإسلام زمن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – وأظهر فيما بعد حب أهل البيت والتشيع لهم ، وهذا شأن الغلاة يستترون بشعار حب آل البيت ويندسون وسط المسلمين

قال الطبري :" إن ابن سبأ كان يهودياً من أهل صنعاء " [(٣)].

---

(١) انظر : الفصل لابن حزم ٤٢/٥ ، ٤٨ .

ومنهاج السنة ٨٠/١ .

والملل والنحل للشهرستاني ٢٠٤/١-٢٠٥ .

(٢) والملل والنحل للشهرستاني ٢٠٤/١-٢٠٥ .

(٣) تاريخ الطبري ٣٤٠/٤ .

وقال ابن عساكر :" أصله من أهل اليمن كان يهودياً وأظهر الإسلام "[1].
قال ابن الأثير :" عبد الله بن سبأ كان يهودياً من أهل صنعاء وكانت أمه سوداء "[2].
وقال ابن كثير :" ومنهم ابن السوداء وكان أصله ذميّاً فأظهر الإسلام وأحدث بدعاً قولية وفعلية قبحه الله "[3].
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :" إن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ "[4].
وقال الذهبي :" عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ضال مضل "[5].
كل هذا يدل على ضلال هذه الفرقة بسبب ضلال مؤسسها فإنه أول من غلا في علي بن أبي طالب ﷺ حتى ادعى أنه الوصي ثم ادعى فيه الألوهية .
قال المقدسي :" إن عبد الله بن سبأ قال للذي جاء ينعى إليه موت علي بن أبي طالب : لو جئتنا بدماغه في صُرَّة لعلمنا أنه لا يموت حتى يسوق العرب العصاة"[6].

ب. ومن الفرق الغالية : الإسماعيلية الباطنية وتنتسب إلى إسماعيل الابن الأكبر لجعفر الصادق . قالت : بأن للشريعة ظاهراً وباطناً ، والباطن لا يعرفه إلا الإمام وبهذا فتحوا باب التأويل لنصوص الكتاب والسنة على وفق ما يحقق أهدافهم[7].
والفرق الغالية هذه وغيرها يكفرهم ولا يعترف بهم الشيعة وعلماء أهل السنة على السواء وبذلك يقول ابن خلدون : " وقد كفانا مؤنة هؤلاء الغلاة أئمة الشيعة فإنهم لا يقولون بها ويبطلون احتجاجاتهم عليها "[8].

---

(١) تاريخ دمشق ١٠/٢٩ .

(٢) الكامل في التاريخ٣/٧٧ .

(٣) البداية والنهاية ١٨١/٧ .

(٤) مجموع الفتاوى ٤٨٣/٢٨ .

(٥) ميزان الاعتدال ٤٢٦/٢ .

(٦) البدء والتاريخ لابن المطهر المقدسي ١٢٩/٥ ، مؤسسة الخانجي ، مصر ، وانظر : الملل والنحل للشهرستاني ١١٦/٢، ومقالات الإسلاميين للأشعري ٢٠/١ .

(٧) الملل والنحل ٢٢٩/١ ، والشيعة والتشيع لإحسان إلهي ظهير ص ٢٣٥ .

(٨) تاريخ ابن خلدون ١٦٦/١ لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩١هـ .

بل أن علماء أهل السنة كفروهم و لم يعدوهم من الثنتين والسبعين فرقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :" والغالية يُقتلون باتفاق المسلمين ، وهم الذين يعتقدون الإلهية والنبوة في عليّ وغيره ، مثل النصيرية والإسماعيلية فإن جميع هؤلاء الكفار أكفر من اليهود والنصارى ... "[١].

٢- **الإمامية (الاثني عشرية – الرافضة)** : يقولون بإمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف بل إشارة له بالعين[٢].

ويقولون إن الأئمة الاثنى عشر قد نص عليهم النبي ﷺ وأن لهم العصمة في العلم والعمل وهم حجة الله على خلقه ثم أن كل إمام نص على الذي بعده وأولهم كما قلنا علي بن أبي طالب وآخرهم قد اختفى وهو صغير وغاب في سرداب تحت الأرض وسيظهر آخر الزمان ليملأ الدنيا عدلاً بعد أن ملأت ظلماً وجوراً وهم :

أ. علي بن أبي طالب رضي الله عنه والملقب بالمرتضى.

ب. الحسن بن علي رضي الله عنهما والملقب بالزكي .

ج. الحسين بن علي رضي الله عنهما والملقب بسيد الشهداء .

د. علي بن الحسن ، والملقب بزين العابدين .

ه. محمد بن علي والملقب بالباقر .

و. جعفر بن محمد ، والملقب بالصادق وإليه ينسب مذهب الإمامية الفقهي (المذهب الجعفري) .

ز. موسى بن جعفر ، والملقب بالكاظم .

ح. محمد بن علي ، والملقب بالجواد .

ط. علي بن محمد ، والملقب بالهادي .

ي. الحسن بن علي ، والملقب بالعسكري وكان بسامراء .

ك. محمد بن الحسن ، والملقب بالمهدي أو القاسم وقد زعموا أنه اختفى في سرداب بسامراء بعد وفاة والده وعمره يقارب خمس سنوات وهو حي في السرداب

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٧٤/٢٨ .

(٢) انظر : الملل والنحل ١٨٩/١ .

وموجود إلى الآن ويخرج آخر الزمان ليملأ الأرض عدلاً بعد أن ملأت ظلماً وجوراً .

ومن معتقداهم :

- أجمعوا على ضلال أكثر الصحابة بتركهم البيعة لعلي رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ فأدى بهم هذا إلى الوقيعة والطعن في كبار الصحابة من تكفير وتضليل .
- أن أهل بيت النبي ﷺ هم أهل الكساء (النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم) .
- الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف وأنه يجوز للإمام أن يقول بالتقية .
- أبطلوا الاجتهاد في الأحكام .
- أن الأئمة الاثنى عشر دعوا إلى مذهب الإمامية سراً وأنهم عملوا بالتقية حيث أنهم أظهروا الموافقة لعموم المسلمين ولم يصرحوا بحقيقة المذهب إلا لخواص أتباعهم .
- كانوا في الأصل على اعتقاد أئمتهم في الأصول ثم اختلفوا ودخل فيهم الغلاة فقالوا بالتشبيه بزعامة هشام بن الحكم ثم قالوا بالتعطيل والسير على منهج المعتزلة .

قال الشهرستاني :" وكانوا في الأول على مذهب أئمتهم في الأصول ، ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم وتمادى الزمان اختارت كل فرقة طريقة فصارت الإمامية بعضها معتزلة ..." (١).

٣- **الزيدية** : اتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسموا زيدية لتمسكهم بقول زيد وإمامته(٢).

ومن معتقداهم :

- تعيين علي بن أبي طالب للإمامة كان بالوصف لا بالشخص .

---

(١) الملل والنحل ١٩٣/١ ، وانظر : لما تقدم مقالات الإسلاميين ٨٩/١ ، وتاريخ ابن خلدون ١٦٥/١، والفصل ١٥٦/٤ ، ومجموع الفتاوى ٣٥/١٣-٣٦ .

(٢) انظر : مقالات الإسلاميين ١٣٦/١ .

- جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل لذلك لا يتبرؤون من الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويصححون إمامتهما مع القول بأن علياً أفضل منهما وأولى بالإمامة .
- جواز الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها فقط إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة أن يكون إماماً واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو أولاد الحسين .
- جواز وجود أكثر من إمام واحد في وقت واحد في قطرين مختلفين .
- وجوب الخروج على أئمة الجور .
- واعتقادهم في الأسماء والصفات اعتقاد المعتزلة .
- ويقولون أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين إلا أنه لا يخلد في النار إذ يعذب فيها حتى يطهر من ذنبه ثم ينتقل إلى الجنة .
- لا يرون زواج المتعة ويستنكرونه[1] .

ثانياً : موقف الشيعة من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :

١- موقف الغالية :

قد اتفق الغلاة كالسبئية والإسماعيلية وكذلك الإمامية المتأثرين بالسبئية على الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بل وتكفيرها بناءً على قولهم أن معظم الصحابة ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ فعبد الله بن سبأ هو أول من أظهر الكلام في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وكذلك الإسماعيلية كانوا يكفرون الخليفتين لأنهم يرونهما اغتصبا حق علي رضي الله عنه من الخلافة ، ويرون أن قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ... ﴾ [سورة الفرقان : ٢٧]. أنها نزلت في أبي بكر ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولاً ﴾ [سورة الفرقان : ٢٩]. أنها نزلت في أبي بكر وعمر[2].

(١) انظر : الملل والنحل للشهرستاني ١/١٥٥ – ١٧٩ ، والفرق بين الفرق للبغدادي ، ص ٢٢ ، والفصل لابن حزم ٤/١٥٧-١٦٠ ، وتاريخ ابن خلدون ١/١٦٥ ، ومقالات الإسلاميين للأشعري ١/٩١ .

(٢) سرائر النطقاء لجعفر بن منصور ، ص ٣٠ . وتاج العقائد لعلي بن محمد الوليد ، ص ٧٩ .

وقال النوبختي : " السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ ، وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم ... "[1].

وهذا الكره والطعن في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما انتقل إلى الطعن في ابنتيهما عائشة وحفصة .

فمن مزاعمهم في حق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها كفرت ، وهذا الكفر كان سببه :

- أنها أذاعت سر النبي ﷺ .
- أنها تآمرت على قتل النبي ﷺ .
- أنها حرضت على قتل عثمان رضي الله عنه.
- أنها خالفت أمر ربها بخروجها لقتال علي رضي الله عنه : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٣] .

٢- موقف الإمامية :

قال محمد بن الحسن الطوسي الملقب عند الشيعة بشيخ الطائفة الإمامية الاثنى عشرية :" عندنا من حارب أمير المؤمنين عليه السلام وضرب وجهه ووجه أصحابه بالسيف كافر ، والدليل : إجماع الفرق المحقة من الإمامية على ذلك فإنهم لا يختلفون في هذه المسألة على حال من الأحوال "[2].

وممن قال بكفر طلحة والزبير وعائشة ممن حارب علياً رضي الله عن الجميع :

- الفضل بن شاذان [3].
- علي بن إبراهيم القمي[4].
- نصير الدين الطوسي[5].

---

(١) انظر : فرق الشيعة للنوبختي ، ص ٢٢ ، وأساس التأويل للقاضي النعمان ، ص ٢٨ ، والكشف لجعفر بن منصور ، ص ٧٨ ، والمجالس المؤيدة للمؤيد ١٣٦/٢ .

(٢) تلخيص الشافي لمحمد بن الحسن الطوسي ، ص ٤٦٠ ، الطبعة الحجرية ، طهران – إيران ، والاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد لمحمد بن الحسن الطوسي كذلك ، ص ٣٥٩-٣٦٠ ، مطبعة الآداب ، النجف – العراق ١٣٦٩هـ .

(٣) الإيضاح للفضل بن شاذان الأزدي ، ص ٩٥ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ .

(٤) تفسير القمي ٣٠١/١ و ٣٧٧/٢ .

(٥) تجريد الاعتقاد لنصير الدين الطوسي ، ص ٤٢٣ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ .

- ابن المطهر الحلي[1].
- الكاشاني[2].
- هاشم البحراني[3].
- التستري[4].
- الشيرازي[5].

فهؤلاء كلهم نصوا على كفر طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم بل هذا القول هو قول عامة الغلاة والإمامية الاثنى عشرية .

ولم يقف الأمر على ذلك بل بعد تكفيرها صرحوا أنها من أهل النار والعياذ بالله[6].

فقد ذكر محمد بن مسعود العياشي – وهو من كبار مفسري الشيعة – مسنداً إلى أبي عبد الله جعفر الصادق – كذباً وبهتاناً – أنه قال في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا ﴾ [سورة النحل : ٩٢] التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً : عائشة هي نكثت إيمانها[7].

وهذه نظرة باطنية في هذا التفسير جلية ، فهم نحوه منحى التأويل الباطني بتحريفهم معنى الغزل إلى نقض الإيمان ثم زعمهم أنها عائشة رضي الله عنها .

بينما نص المفسرون على عكس ذلك فإنهم ذكروا أن المرأة التي نقضت غزلها امرأة خرقاء من أهل الجاهلية كانت تغزل هي وجوار لها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن ، فضرب الله بها مثلاً لهم ألا يتشبهوا بها فينقضوا العهود من بعد توكيدها .

---

(١) كشف المراد في شرع تجريد الاعتقاد لابن المطهر الحلي ، ص ٤٢٣-٤٢٤ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ، ومنهاج الكرامة في إثبات الإمامة لابن المطهر الحلي ، ص ١١٥-١١٦ مطبوع مع منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، طبعة الأوفست ، باكستان ، ١٣٩٦هـ .

(٢) تفسير الصافي لمحسن الفيض الكاشاني ٧٢٠/٢ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ .

(٣) البرهان في تفسير القرآن لهاشم بن سليمان البحراني ٢٣٩/١-٢٤٠ و ٣٥٧/٤ ، المطبعة العلمية ، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ .

(٤) الصوارم المهرقة للشتري ، ص ٨٩ .

(٥) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة لصدر الدين علي خان الشيرازي ، ص ٣٣ ، مكتبة بصيرتي ، قم – إيران ١٣٩٧هـ .

(٦) انظر : البرهان للبحراني ٣٨٣/٢ ، وبحار الأنوار للمجلسي ٤٥٤/٧ .

(٧) تفسير العياشي لمحمد بن مسعود بن عياش ٢٦٩/٢ المكتبة العلمية الإسلامية ، طهران – إيران .

وانظر: الصاعقة في نسف أباطيل وافتراءات الشيعة على أم المؤمنين عائشة ، لعبدالقادر محمد عطا صوفي ، ص ٦١ ، مكتبة أضواء السلف ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

فشبه نقض العهود بنقض الغزل ، و لم يقل أحد منهم أن المرأة المعنية بهذه الآية هي الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها و لم يؤول واحد منهم نقض الغزل بنقض الإيمان و لم يشبهه به(١).

بل زاد الأمر إلى أنهم قالوا أن لها رضي الله عنها باباً خاصاً بها في النار تدخل منه(٢).

ومن هذا يتضح لنا موقف الغالية والإمامية من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

٤- موقف الزيدية :

أما بالنسبة للزيدية وموقفهم من أم المؤمنين رضي الله عنها فأقول :

فقد أجمع أئمة الزيدية وعلى رأسهم زيد بن علي على تحريم سب الصحابة أو النيل منهم أو انتقاصهم سواء أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أو غيرها من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين (٣).

ولكن رغم إجماعهم على هذا إلا أنهم اختلفوا في الترضي والترحم عليهم بين متوقف ومترضٍ فمذهب المتقدمين الترضي والترحم على الصحابة وتبعهم على هذا بعض المتأخرين .

وبالعموم فهم الآن على عقيدة المعتزلة كما قال المقبلي وهو من علماء اليمن : " كالزيدية في هذا الجبل من اليمن هم معتزلة في كل الموارد إلا في شيء من مسائل الإمامة"(٤).

وموقفهم بعد تحولهم إلى مذهب الاعتزال من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها متفاوت ، فالسليمانية منهم – وهم أتباع سليمان بن جرير الزيدي – هو موقف الإمامية حيث كان سليمان يكفر عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم لإقدامهم على قتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٥).

أما بالنسبة للجارودية وهم أتباع أبي الجارود زياد بن المنذر الهمداني :

قال عنه الإمام أحمد : " متروك الحديث " وضعفه جداً" .

وقال عنه يحيى بن معين : " كذاب عدو لله ليس يسوى فلساً ".

وقال البخاري : " يتكلمون فيه" .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٢/٥٨٣-٥٨٤ ، وفتح القدير للشوكاني ٣/١٩٠ ، وروح المعاني للألوسي ١٤/٢٢١-٢٢٢.

(٢) تفسير العياشي ٢/٢٤٣ ، والبرهان للبحراني ٢/٣٤٥ ، وبحار الأنوار ٤/٣٧٨ و ٨/٢٢٠ .

(٣) انظر : مقالات الإسلاميين ١/١٢٦-١٣٢ .

(٤) العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ مع كتاب الأرواح النوافخ لصالح بن المهدي المقبلي اليمني ، ص ١١ ، مكتبة دار البيان ، دمشق .

(٥) انظر : الفرق بين الفرق للبغدادي ، ص ٣٢-٣٣ ، ومقالات الإسلاميين للأشعري ١/١٤٣ ، والملل والنحل للشهرستاني ١/١٥٩-١٦٠ ، واعتقاد فرق المسلمين للرازي ، ص ٦٢ .

وقال النسائي : " متروك " .

وقال ابن حبان :" كان رافضياً يضع الحديث في مثالب أصحاب رسول الله ﷺ ".

وقال أبو داود :" كذاب "(١).

أما بالنسبة لقولهم في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فهم يرونها أنها كافرة كذلك تبعاً لمن قبلهم من السليمانية لأنهم يرون أن الصحابة تركوا مبايعة علي رضي الله عنه لأن النبي ﷺ نص عليه بأنه الإمام بعده وهذا موجب لكفرهم جميعاً ومن ضمنهم أصحاب الجمل (٢).

أما الصالحية وهم أتباع الحسن بن صالح الهمداني فكانوا يتوقفون في الحكم على أصحاب الجمل (عائشة وطلحة والزبير) وهذا التوقف هو أصل عندهم فهم كذلك يتوقفون في عثمان رضي الله عنه حيث قالوا : " إذا سمعنا الأخبار الواردة في حقه وكونه من العشرة المبشرين بالجنة قلنا : يجب أن يحكم له بالإسلام والإيمان وكونه من أهل الجنة ، وإذا رأينا استهتاره بتربية بني أمية وبني مروان وأنه أتى أموراً لم يكن عليها نهج الصحابة قلنا : يجب أن يحكم بكفره فتحيرنا في أمره وتوقفنا في حاله ووكلناه إلى أحكم الحاكمين"(٣).

وليعلم أن أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة هم الزيدية فلذلك متأخريهم اختلفوا عن أولئك الواقفة يقول المقبلي :" وليعلم أن الزيدية أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة فلا يعدون من الرافضة ولا من غلاة الشيعة إذ مستقر مذهبهم الآن الترضي على عثمان وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم فضلاً عن الشيخين وقليل منهم يتوقف "(٤).

وبهذا يتضح لنا موقف الشيعة من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهو أن الغلاة السبئية والإسماعيلية وكذلك الإمامية يرون كفر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(١) انظر : ميزان الاعتدال ٩٣/٢ ، وتهذيب التهذيب ٣٨٦/٣-٣٨٧ ، وعلل الرجال للإمام أحمد ٣٨٢/٣ ، وتهذيب الكمال في اسماء الرجال لجمال الدين الحجاج بن يوسف المزي ٥١٧/٩ تحقيق : بشار عواد ، خرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت — لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ .

ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني ٢٢٢/٧ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، والمجروحين لابن حبان ٣٠٦/١ تحقيق: محمد إبراهيم زايد ، دار الوعي ، حلب – سوريا.

(٢) انظر : مقالات الإسلاميين ١٤٠/١-١٤٢ ، والفرق بين الفرق ، ص ٣٠-٣٢ ، والملل والنحل ١٥٧/١-١٥٩ ، واعتقادات فرق المسلمين ، ص ٦١ .

(٣) انظر : مقالات الإسلاميين ١٤٤/١-١٤٥ ، والفرق بين الفرق ٣٤-٣٥ ، والملل والنحل ١٦١/١-١٦٢ ، واعتقادات فرق المسلمين ، ص ٦٢ .

(٤) انظر : العلم الشامخ ، ص ٣٩٩ .

أما بالنسبة للزيدية فهم ليسوا على قول واحد فالسليمانية والجارودية منهم يـــرون كفرها رضي الله عنها .

وأما بالنسبة للصالحية فمتقدميهم يرون التوقف والمتأخرين يرون الترضي عنها .

بيان أصل انحرافهم والرد عليه :

الأصل الذي بنى عليه الشيعة كفر الصحابة أو تفسيقهم ومن جملتهم عائشة رضي الله عنها هو : ردهم بعد النبي ﷺ وسبب هذه الردة ترك مبايعة علي رضي الله عنه بالخلافة ؛ لأنه هو الإمـــام بالنص الجلي أو الخفي على خلاف بينهم .

يقول الكليني في هذا الأمر :" مسنداً إلى أبي جعفر أنه قال : " كان الناس من أهل الردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة .

فقلت : ومن الثلاثة ؟

فقال : المقداد بن الأسود ، وأبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي – رحمة الله وبركاته عليهم – ثم عرف أناس بعد يسير وقال :

" هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين مكرهـــاً فبايع "[1].

وقد استدل الشيعة على هذا الأمر بعدة أدلة من الكتاب والسنة وذلك بلـــيّ معانيهـــا وإخراجها عن مضمونها الصحيح إلى معتقدهم الفاسد والتأويل الباطني ومن هذه الأدلة :

١- استدلوا بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [سورة التوبة : ٣٨-٣٩].

فقالوا : أن هذه الآية صريحة في أن الصحابة تثاقلوا عن الجهاد واختاروا

---

(١) انظر : الكافي ٨/٢٤٥-٢٤٦ .

والانتصار للصحب والآل لإبراهيم بن عامر الرحيلي ، ص ٧٦ ، مكتبة الغرباء الأثرية ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

الركون إلى الدنيا رغم علمهم بأنها متاع قليل حتى استوجبوا توبيخ الله سبحانه وتهديده إياهم بالعذاب الأليم واستبدال غيرهم من المؤمنين الصادقين .

ومن البديهي المعلوم أن الصحابة تفرقوا بعد النبي ﷺ واختلفوا وأوقدوا نار الفتنة حتى وصل بهم الأمر إلى القتال والحرب الدامية التي سببت انتكاس المسلمين وتخلفهم وأطمعت فيهم أعداءهم[1].

والرد على هذا الاستدلال :

ليس في هذه الآية مطعن على أصحاب النبي ﷺ وإنما فيها حث الله تعالى الصحابة على الجهاد وذلك عندما أمر النبي ﷺ أصحابه في غزوة تبوك بغزو الروم وكان ذلك في زمن العسرة وفاقة من أصحابه ﷺ مع شدة الحر وبعد السفر فشق ذلك على بعضهم فنزلت الآيات في الترغيب في الجهاد في سبيل الله والتحذير من التثاقل عنه فاستجاب الصحابة لأمر ربهم .

قال الطبري :" وهذه الآية حث من الله جل ثناؤه للمؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم وذلك في غزوة رسول الله ﷺ تبوك "[2].

ولا شك أن هذه الآية تضمنت نوع عتاب من الله – ﷻ – لبعض من ثقل عليهم الخروج في الجهاد ، وهذا قطعاً لا يرد على عامة الصحابة الذين استجابوا لله ورسوله بالمسارعة في الخروج في سبيل الله وهم غالب الصحابة وأكثرهم[3].

وقال ابن كثير :" هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك "[4].

ومعلوم أنه لم يتخلف عن النبي ﷺ في غزوة تبوك أحد من الصحابة من غير أهل الأعذار إلا ثلاثة نفر كما دل ذلك حديث كعب بن مالك

---

(١) انظر : ثم اهتديت لمحمد التيجاني السماوي ص ١١٣ ، مؤسسة الفجر – لندن .

(٢) تفسير الطبري ٣٧٢/٦ .

(٣) الانتصار للصحب والآل لإبراهيم الرحيلي ، ص ٣٢٧ .

(٤) تفسير ابن كثير ٣٧٢/٢ .

المشهور في الصحيحين[1]. وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة ابن الربيع ، ومع هذا فقد ثبت بنص كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أن الله تاب على الجميع وأنزل في توبته على سائر الصحابة وحياً يتلى في كتابه في قوله : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [سورة التوبة : ١١٧-١١٨].

فقد تضمنت هذه الآيات إخبار الله تعالى عن توبته على المهاجرين والأنصار الذين اتبعوا الرسول ﷺ في غزوة تبوك والتي تسمى غزوة العسرة فلم يتخلفوا عنه مع ما أصابهم فيها من الجهد والشدة ، كما تضمنت توبة الله على الثلاثة المخلفين الذين تأخروا عن رسول الله ﷺ في تلك الغزوة بعد هجر النبي ﷺ لهم وندمهم ندماً عظيماً حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت[2].

فلم يبق بعد ذلك عذر لأحد في النيل من أصحاب النبي ﷺ أو غمزهم بشيء مما قد يقع منهم بعد مغفرة الله لهم وتوبته عليهم، وثنائه عليهم الثناء العظيم في كتابه وتزكية الرسول ﷺ لهم في سنته[3].

---

(١) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب حديث كعب بن مالك ٧١٧/٧ ، حديث (٤٤١٨) .

ومسلم ، كتاب التوبة ، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ، ٢١٢/٤ ، حديث (٢٧٦٩) .

(٢) انظر : الانتصار للصحب والآل ، ص ٣٢٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٢٨ .

٢- استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٤٣-١٤٤].

حيث قالوا : هذه الآية صريحة في الدلالة على انقلاب الصحابة بعد رسول الله ﷺ ، وعد الصحابة المنقلبين على أعقابهم هم الكثرة الغالبة والثابتين هم القلة القليلة(١).

وقد حوّل وحوّر الشيعة هذه الآية على ما حدث في سقيفة بني ساعدة عندما انتخب الصحابة أبا بكر الصديق - رضي الله عنه- .

الرد على هذا الاستدلال :

روى الطبري في تفسيره بسنده عن الضحاك قال في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [سورة آل عمران:١٤٤]: " ناس من أهل الارتياب ومرضى النفوس ، قالوا يوم فر الناس عن النبي ﷺ وشج فوق حاجبه وكسرت رباعيته : قُتل محمد فالحقوا بدينكم الأول ، فذلك قوله : ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ [سورة آل عمران : ١٤٤] (٢).

وروي أيضاً عن ابن جريج قال : قال أهل المرض والارتياب والنفاق حين فرّ الناس عن النبي ﷺ : قد قُتل محمد فالحقوا بدينكم الأول ، فنزلت هذه الآية(٣).

---

(١) انظر : ثم اهتديت للتيجاني ، ص ١١٤-١١٥ .

(٢) تفسير الطبري ٣/٤٥٨ .

(٣) المصدر السابق ٣/٤٥٨ .

فالمقصود بالانقلاب على الأعقاب في الآية هو : ما قاله المنافقون لما أُشيع في الناس أن رسول الله ﷺ قتل وهو قولهم : ارجعوا إلى دينكم الأول .

ولم تكن هذه الآية فيمن ارتد بعد موت النبي ﷺ وإن كانت هي حجة عليهم ، مع أنها لو كانت فيمن ارتد بعد موت النبي ﷺ لكانت أظهر في الدلالة على براءة أصحاب النبي ﷺ من المرتدين فإنهم هم الذين قاتلوهم وأظهر الله دينه على أيديهم وخذل المرتدين بحربهم لهم وظهر فضل الصديق والصحابة بمقاتلتهم لهم[1].

ولهذا ثبت عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول في قوله تعالى : ﴿ وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٤٤] : الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه ، وكان يقول : كان أبو بكر أمين الشاكرين وأمين أحباء الله وكان أشكرهم وأحبهم إلى الله[2].

واستخدام الآية الكريمة للاستدلال على وقائع أخرى كحادثة السقيفة أو موقعة الجمل لا يخلو من غرابة وتأويل فاسد وتفسير باطني لا يمت بصلة للمنهجية العلمية وتُعد هذه الآية من أكبر الدلائل على عظم إيمان أبي بكر الصديق وحكمته وتفانيه في الدفاع عن دين الله . فموقفه الثابت يوم وفاة النبي ﷺ خير شاهد على ذلك يوم وقف وقفته الثابتة مخاطباً الناس بقوله : (إن الله عز وجل يقول : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] ، ويقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [سورة آل عمران : ١٤٤] فمن كان يعبد الله عز وجل فإن الله عز وجل حيٌّ لا يموت ، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات)[3].

---

(١) انظر : الانتصار للصحب والآل ، ص ٣٢٢ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣/٤٥٥ .

(٣) رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً ٧/٢٤ ، حديث (٣٦٦٨) .

وموقفه الصارم من الذين ارتدوا على أعقابهم واستبدلوا الإيمان بالكفر فاتبعوا مسيلمة وغيره ومن الذين قالوا نصلي ولا نزكي ، فأسقطوا شعائر الإسلام بالهوى لأعلى مثال على عظمة أبي بكر والصحابة وعلى حرصهم على دين الله[1].

وقد وقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه بجانب الخليفة الراشد الصديق في جهاده ضد المرتدين ومانعي الزكاة .

لذلك لا نعجب من مدى إكبار الإمام أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لأبي بكر الصديق وإجلاله له ، فقد ذكر الأربلي في كتاب كشف الغمة في معرفة الأئمة عن عروة بن عبد الله أنه قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف ، فقال : لا بأس بها قد حلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه ، قلت : فتقول الصديق ؟

قال : فوثب وثبة واستقبل القبلة وقال : نعم الصديق ، نعم الصديق ، فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا ولا في الآخرة[2].

فرحم الله الإمام أبا جعفر ورحم الله كلماته التي طوتها صحف الأمس و لم تنطق بها ضمائر اليوم[3].

٣- وبمثل ما قلنا في هذه الآية من استدلال الشيعة بها ورد أهل السنة عليهم نقول في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ ﴾ [سورة المائدة : ٥٤].

بل أن الصفات المذكورة في هذه الآية أول من تنطبق عليه أبو بكر الصديق وجيوشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدين ، فقد مدحهم الله بأكمل الصفات من محبتهم لله ومحبة الله لهم وأنهم أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، وأنهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم .

---

(١) انظر : ثم أبصرت الحقيقة لمحمد سالم الخضر ، ص ٣٠٢ ، دار الإيمان ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ .

(٢) انظر : كشف الغمة في معرفة الأئمة لأبي الحسين علي بن عيسى الأربلي ١٤٧/٢ ، الناشر : مكتبة بني هاشمي ، المطبعة العالمية ، قم ١٣٨١هـ .

(٣) انظر : ثم أبصرت الحقيقة ، ص ٣٠٤ .

٤- استدلالهم بقوله ﷺ : (بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال : هلم ، فقلت : إلى أين؟ فقال : إلى النار والله ، قلت : ما شأنهم ؟ قال : ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ، فلا أرى يخلص منهم إلا همل النعم)(١).

فقال النبي ﷺ إني فرطكم على الحوض من مرّ عليّ شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً ، ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فأقول : أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول سحقاً سحقا لمن بدل بعدي)(٢).

يقول بعض الشيعة :

فالمتمعن في هذه الأحاديث التي أخرجها علماء أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم لا يتطرق إليه الشك في أن أكثر الصحابة قد بدلوا وغيروا بل ارتدوا على أدبارهم بعده ﷺ إلا القليل الذين عبر عنهم بهمل النعم ولا يمكن بأي حال من الأحوال حمل هذه الأحاديث على القسم الثالث وهم المنافقون لأن النص يقول : فأقول : أصحابي ، ولأن المنافقين لم يبدلوا بعد النبي ﷺ وإلا لأصبح المنافق بعد وفاة النبي ﷺ مؤمناً(٣).

والرد على هذه الشبهة بما يلي :

أن أصحاب النبي ﷺ مما لا يقبل النزاع في عدالتهم أو التشكيك في إيمانهم بعد تعديل العليم الخبير لهم في كتابه وتزكية رسوله لهم في سنته ، وثناء الله ورسوله عليهم أجمل الثناء ووصفهم بأحسن الصفات مما هو معلوم ومتواتر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ولهذا أتفق شُرّاح الحديث من أهل السنة على أن الصحابة غير معنيين بهذه الأحاديث وأنها لا توجب قدحاً فيهم .

---

(١) رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب الرقاق ، باب في الحوض ٤٧٣/١١ ، حديث (٦٥٨٧) .

(٢) متفق عليه :

رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب الرقاق ، باب في الحوض ٤٧٢/١١ ، حديث (٦٥٨٤) .

ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ ١٧٩٣/٤ ، حديث (٢٢٩٠) .

(٣) انظر : ثم اهتديت ، ص ١١٩ .

قال ابن قتيبة في معرض رده على الشيعة في استدلالهم بهذا الحديث على ردة الصحابة: " وكيف يجوز أن يرضى الله ﷻ عن أقوام ويحمدهم ويضرب لهم مثلاً في التوراة والإنجيل وهو يعلم أنهم يرتدون على أعقابهم بعد رسول الله ﷺ إلا أن يقولوا إنه لم يعلم وهذا هو شر الكافرين "(١).

وقال الخطابي :" لم يرتد من الصحابة أحد وإنما ارتد من جفاة العرب ممن لا نصرة له في الدين وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين ويدل القول : (أصيحابي) على قلة عددهم "(٢).

قال النووي في شرح بعض روايات الحديث عند قوله (هل تدري ما أحدثوا بعدك ؟) **هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال :**

أ. بأن المراد به المنافقون والمرتدون ، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل فيناديهم النبي ﷺ للسيما التي عليهم ، فيقال : ليس هؤلاء مما وعدت بهم إن هؤلاء بدلوا بعدك : أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم .

ب. إن المراد من كان في زمن النبي ﷺ ثم ارتد بعده فيناديهم النبي ﷺ لما كان يعرفه النبي ﷺ في حياته من إسلامهم فيقال : ارتدوا بعدك .

ج. إن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد ، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام .

وعلى هذا لا يقطع بهؤلاء الذين يذادون بالنار ، يجوز أن يذادوا عقوبة لهم ثم يرحمهم الله ﷻ فيدخلهم الجنة بغير عذاب . وكذلك قال مثل هذا القول ابن حجر رحمه الله تعالى (٣).

(١) تأويل مختلف الحديث لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق : محمد محيي الدين ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

(٢) انظر : فتح الباري ٢٨٥/١١ .

(٣) انظر : شرح صحيح مسلم للنووي ١٣٦/٣-١٣٧ .

فتح الباري ٣٨٥/١١ .

ولا يمتنع أن يكون أولئك المذادون عن الحوض من مجموع تلك الأصناف المذكورة فإن الروايات محتملة لكل هذا ، ففي بعضها يقول النبي ﷺ : (فأقول أصحابي أو أصيحابي) بالتصغير ، وفي بعضها يقول : (سيؤخذ أناس من دوني فأقول يا ربي مني ومن أمتي) ، وفي بعضها يقول : (ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني) كل هذه الروايات في صحيح البخاري[1].

ظاهر ذلك أن المذادين ليسوا طائفة واحدة ، وهذا الذي تقتضيه الحكمة ، فإن العقوبات في الشرع تكون بحسب الذنوب ، فيجتمع في العقوبة الواحدة كل من استوجبها من أصحاب ذلك الذنب [2].

وإذا كان النبي ﷺ قد بين أن سبب الذود عن الحوض هو الارتداد كما في قوله : (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) فمقتضى ذلك هو أن يذاد عن الحوض كل مرتد عن الدين سواء أكان ممن ارتد بعد موت النبي ﷺ من الأعراب أم من كان بعد ذلك يشاركهم في هذا أهل الإحداث وهم المبتدعة ، وهذا ما ذهب إليه بعض أهل العلم .

قال ابن عبد البر : " كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض كالخوارج، والروافض ، وسائر أصحاب الأهواء " ، وقال : " وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق ، والمعلنون بالكبائر ، قال :" وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر والله أعلم"[3].

وإذا ما تقرر هذا ظهرت براءة الصحابة من كل ما يرميهم به الشيعة ، فالذود عن الحوض إنما هو بسبب الردة أو الإحداث في الدين ،والصحابة من أبعد الناس عن ذلك بل الصحابة هم من تصدى لهؤلاء المرتدين وقاتلوهم قتالاً عظيماً حتى أظهرهم الله عليهم ،

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الرقاق ، باب في الحوض ٤٧١/١١-٤٧٤ من حديث (٦٥٧٦) إلى (٦٥٩٣) .

(٢) انظر : الانتصار للصحب والآل ، ص ٣٥٤ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٣٧/٣ .

وكذلك أهل البدع كان الصحابة - رضوان الله عليهم — أشد الناس إنكاراً عليهم ؛ ولهذا لم تنتشر البدع وتقوى إلا بعد انقضاء عصرهم ، ولما ظهرت بعض بوادر البدع في عصرهم أنكروها وتبرؤوا منها ومن أهلها فعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنه قال لمن أخبره عن مقالة القدرية : إذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أن ابن عمر منهم بريئ وهم منه براء ثلاث مرات[1].

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة ٤٢٠/٢ ، تحقيق : هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول — دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان .

والبيهقي في شعب الإيمان ٥٢/١ لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني ، دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

واللالكائي في اعتقاد أهل السنة والجماعة ٦٧٢/٤ لهبة الله الحسن بن منصور اللالكائي ، تحقيق : أحمد سعد حمدان ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ .

وابن مندة في الإيمان ١٣٨/١ لمحمد بن إسحاق بن مندة ، تحقيق : علي محمد ناصر فقيهي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت — لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .

الفصل الثاني

موقف الخوارج من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

الفصل الثاني

موقف الخوارج من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

امتاز الخوارج عن الشيعة بإثباتهم إمامة الصديق والفاروق رضي الله عنهما فهم يعتقدون أن إمامة أبي بكر الصديق وعمر الفاروق إمامة شرعية لا شك في صحتها ولا ريب عندهم في شرعيتها وأن إمامتهما كان برضا المؤمنين ورغبتهم ، وأنهما سارا على الطريق المستقيم الذي أمر الله به لم يغيرا و لم يبدلا حتى توافهما الله سبحانه – وهذا لا شك في صحته – لكنهم هلكوا فيمن بعدهما في اعتقادهم في عثمان وعلي رضي الله عنهما فلقد أنكروا إمامتهما بل وصل بهم الأمر إلى تكفيرهما وتكفير أصحاب الجمل وصفين .

قال الشهرستاني بعد تعداده لكبائر فرق الخوارج : " ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما ويقدمون ذلك على كل طاعة ... وطعنوا في أصحاب الجمل وأصحاب صفين "(١).

وقال في الأزراقة بعد أن ذكر أنهم يعتقدون كفر علي رضي الله عنه قال :" وعلى هذه البدعة مضت الأزراقة وزادوا عليه تكفير عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وسائر المسلمين معهم وتخليدهم في النار "(٢).

وقال الإسفرائيني :" اعلم أن الخوارج عشرون فرقة كما ترى بيانهم في هذا الكتاب وكلهم متفقون على أمرين لا مزيد عليهما في الكفر والبدعة :

أحدهما : أنهم يزعمون أن علياً وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين وكل من رضا بالحكمين كفروا كلهم .

الثاني : أنهم يزعمون أن كل من أذنب ذنباً من أمة محمد ﷺ فهو كافر ... "(٣).

وقال الرازي : " سائر فرقهم متفقون على أن العبد يصير كافراً بالذنب وهم يكفرون عثمان وعلياً رضي الله عنهما وطلحة والزبير وعائشة ويعظمون أبا بكر وعمر "(٤).

---

(١) الملل والنحل ١/١١٧ .

(٢) المصدر السابق ١/١٢١ .

(٣) التبصرة في الدين ، ص ٣٨ .

(٤) اعتقادات فرق المشركين ، ص ٤٦ .

وقال البغدادي : " فكانت الخوارج تقول إن عائشة وطلحة والزبير كفروا بمقاتلتهم علياً ..."(١) .

ونص أيضاً على إجماع الخوارج على هذا المعتقد : السكسكي ، والملطي ، وابن حجر وغيرهم (٢).

وقد أنكرت الشبيبية من الخوراج - وهم أتباع شبيب بن يزيد الشيباني الخارجي — على عائشة رضي الله عنها خروجها إلى البصرة لمقاتلة علي رضي الله عنه وأن ذلك كله مخالف لصريح القرآن التي هي خالفته وسبب كذلك كفرها وهو الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٣].

كما أن الخوارج قالوا بهذه الشبهة واستدلوا عليها بآية الأحزاب السابقة فكذلك سبق أن الشيعة قالوا به .

لكن سوف أجمل الرد على الجميع بعد بيان موقف المعتزلة من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

---

(١) الفرق بين الفرق ، ص ١١٩ .

(٢) انظر : البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان لأبي الفضل عباس بن منصور السكسكي ، ص ١٩ ، تحقيق : بسام العموش ، مكتبة المنار ، الطبعة الأولى ، الأردن ١٤٠٨هـ ، والتنبيه والرد للملطي ، ص ٥٠ ، وهدي الساري مقدمة فتح الباري ، ص ٤٥٩ .

الفصل الثالث

موقف المعتزلة من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

الفصل الثالث

موقف المعتزلة من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

كذلك للمعتزلة موقف مخالف لمنهج أهل السنة في أم المؤمنين رضي الله عنها .

حيث أن أئمة المعتزلة قالوا بفسق أهل الجمل علي ومن كان معه وعائشة ومن كان معها – رضي الله عن الجميع – وعدم عدالتهم ، لكن دون تحديد لإحدى هاتين الطائفتين بهذا الفسق .

فهذا واصل بن عطاء مؤسس مذهب المعتزلة يقول :" إحدى الطائفتين فسقت لا بعينها فلو شهدت عندي عائشة وعلي وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم "(١).

قال الاسفرائيني بعد ذكره لافتراق المسلمين في علي وأصحابه وفي أصحاب الجمل إلى فريقين :" ثم إن واصل بن عطاء خالف الفريقين وزعم أن فريقي حرب الجمل كانوا فساقاً لا بعينه ، ثم رتب على هذا فقال : لو شهد عندي رجلان من ذلك العسكر لم أقبل ، فقيل له : شهد من هذا العسكر : علي والحسين والحسن وابن عباس وعمار بن ياسر رضي الله عنهم، ومن ذلك العسكر : عائشة وطلحة والزبير ، هل تقبل شهادهم ؟ فقال : لو شهدوا جميعهم على باقة بقل لم أقبل ، هذا قول شيخ المعتزلة الذي به يفتخرون ، في أعلام الدين وأعيان الصحابة "(٢).

وقال الشهرستاني بعد ذكره لقول واصل بن عطاء في الفريقين :" وأقل درجات الفريقين أنه لا تقبل شهادتهما كما لا تقبل شهادة المتلاعنين ، فلا يجوز قبول شهادة علي وطلحة والزبير على باقة بقل وجوز أن يكون عثمان وعلي على الخطأ ، هذا قوله ، وهو رئيس المعتزلة ومبدأ الطريقة في أعلام الصحابة وأئمة العترة "(٣).

وقال بقول واصل تلميذه عمرو بن عبيد حيث قال : " لو أن علياً وطلحة والزبير شهدوا عندي على شراك نعل ما أجزته " ، وقال :" والله لو شهد عندي علي وعثمان وطلحة والزبير على سواك ما أجزته "(٤).

---

(١) ميزان الاعتدال ٣٢٩/٤ .

(٢) التبصرة في الدين ، ص ٦٨-٦٩ ، وانظر : الفرق بين الفرق ، ص ١٢٠ ، واعتقادات فرق المسلمين ، ص ٣٠-٣١، ومعارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ حكمي ٩٤٣/٣ ، طبعة الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء ، السعودية .

(٣) الملل والنحل ٤٩/١ .

(٤) انظر : تاريخ بغداد أو (مدينة السلام) لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ١٧٨/١٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، وميزان الاعتدال ٢٧٥/٣ .

بل وزاد عمرو بن عبيد على شيخه فقطع بفسق الفريقين جميعاً حيث قال :" لا أقبل بشهادة الجماعة منهم سواء كانوا من أحد الفريقين أو كان بعضهم من حزب علي وبعضهم من حزب الجمل "(١).

وذكر الشهرستاني أن عمرو بن عبيد قال : " لو شهد رجلان من أحد الفريقين مثل علي ورجل من عسكره أو طلحة والزبير لم تقبل شهادتهما " ثم قال الشهرستاني معلقاً على قول عمرو :" وفيه تفسيق الفريقين وكونهما من أهل النار "(٢).

وهذا القول وهو تفسيق إحدى الطائفتين لا بعينها لم ينفرد به واصل بن عطاء بل قال به كذلك رؤوس الاعتزال ومؤسسي هذه النحلة كضرار بن عمرو القاضي المعتزلي الجلد وأبي الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله العلاف ومعمر بن عبادة السلمي وهو من غلاة المعتزلة .

بهذا يتضح لنا قول المعتزلة في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (٣) .

الرد على ما سبق من أقوال في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :

وسوف أجمل الرد على الخوارج والمعتزلة لأن الرد التفصيلي سوف يأتي إن شاء الله في الباب الخامس وهو في النقاط التالية :

١- إن عائشة رضي الله عنها عندما خرجت للبصرة لم تخرج لمصلحة فحسب بل لأعظم المصالح وهي جمع شمل المؤمنين وإصلاح ذاتِ البين وأخذ القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه المقتول ظلماً وعدواناً وما خرجت تطلب ملكاً ولا تقاتل علياً بل تعلق الناس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة ، وتهارج الناس ، ورجوا بركتها وطمعوا في الإصلاح وطمعوا في استحياء الناس منها كونها أمهم . وهي رضي الله عنها إنما امتثلت ما أمر الله به من الإصلاح : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ [سورة الحجرات : ٩].

فهي لم تُخاطب إلا بالإصلاح وتحقيق المقصود من الله تعالى (٤).

---

(١) الفرق بين الفرق ، ص ٢١٢ ، ٣٢٠ .

(٢) الملل والنحل ٤٩/١ .

(٣) انظر : التبصرة في الدين ، ص ٦٩ ، ونشأة الفكر الفلسفي الإسلامي ، علي سامي النشار ٣٩١/١ ، دار المعرفة ، الطبعة الثامنة.

(٤) انظر أحكام القرآن لابن العربي ٥٧٠/٣ ، ومختصر التحفة الاثني عشرية لمحمود شكري الألوسي ، ص ٢٦٩ ، تحقيق : حسين حلمي .

٢- أن تأوّل عائشة رضي الله عنها واجتهادها في الخروج للإصلاح شبيه للغاية بتأوّلات علي رضي الله عنه في هذه الحروب فإنه رضي الله عنه قاتل موحدين متأولاً في آية : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [سورة النساء : ٢٩] ، ونحوها من آي النهي عن قتال المسلم ، وتأول قول النبي ﷺ : (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار)[1] .

وخرج من المدينة متأولاً : (المدينة كالكير تنفي خبثها)[2] . ولا شك أنه رضي الله عنه المبشر بالجنة الخليفة الراشد لا يلحقه شيء من نصوص الوعيد هذه لأنه تأول واجتهد تأويلاً سائغاً وكذلك عائشة رضي الله عنها ولو كانت يلحقها إثم بتأول آية لكان علي أولى بذلك لأنه تأول نصوص عديدة للغاية أخطأ في بعضها كما أخطأت رضي الله عنهما [3].

ومعلوم أنهم رضي الله عنهم في اجتهادهم هذا بين الأجر والأجرين لقوله ﷺ: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)[4] .

---

(١) متفق عليه :

رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب الإيمان – باب ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ ١٠٦/١ ، حديث (٣١) .

ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ٢٢١٤/٤ ، حديث (٢٨٨٨) .

(٢) متفق عليه :

رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب فضائل المدينة – باب المدينة تنفي الخبث ١١٥/٤ ، حديث (١٨٨٣) .

ومسلم كتاب الحج ، باب المدينة تنفي شرارها ١٠٠٦/٢ ، حديث (٤٨٩) .

(٣) انظر : منهاج السنة ٣٨١/٤-٣٢٢ بتصرف .

(٤) متفق عليه :

رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة – باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ٣٣٠/١٣ ، حديث (٧٣٥٢) .

ومسلم كتاب الأقضية ، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ١٣٤٢/٣ ، حديث (١٧١٦) .

٣- لو سلم جدلاً بأن عائشة رضي الله عنها خرجت للقتال فهذا هو القتال المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [سورة الأحزاب : ٩-١٠]، فسماهم تعالى مؤمنين وسماهم أخوة حتى مع القتال وأحق من دخل بهذه الآية تلاميذ محمد [١] ﷺ.

٤- أن خروج عائشة رضي الله عنها مع طلحة والزبير رضي الله عنهما ليس فيه عليها غضاضة بأي وجه من الوجوه فمعها محارمها بعدد ليس بالقليل ، وهي في خروجها مراعاً مكانتها كالملكة لا يجرؤ أحد على المساس بها ولما مد محمد بن أبي بكر يده إليها قالت : يد من هذه حرقها الله بالنار ؟ فقال : يا أخيه في الدنيا قبل الآخرة ، فقالت : نعم في الدنيا قبل الآخرة ، فكان الأمر كذلك.

فإذا جاز للمخالف من الشيعة أو الخوارج أو المعتزلة أن يقولوا : بأي وجه يلقون رسول الله ﷺ وقد احتملوا زوجته وسافروا بها ؟

جاز لمخالفه أن يقول : بأي وجه يلقى رسول الله ﷺ من قاتل امرأته وسلط عليها أعوانه حتى عقروا بعيرها وكادوا أن يهلكوها وأعداؤها يطوفون حولها كالمسبية التي أحاط بها من يريد سباءها؟

ومعلوم أن هذه في مظنة الإهانة لأهل الرجل وهتك حرمتها أعظم من إخراجها من مترلها كالملكة معها نفر من محارمها ولا يأتيها أحد إلا بإذنها ولا يهتك أحد حرمتها ولا ينظر في خدرها [٢]، وكل من معها أبناء لها .

---

(١) انظر : منهاج السنة ٣٢٢/٤ .

(٢) منهاج السنة ٣٥٥/٤ .

٥- تحميل عائشة ﵂ وزر قتلى هذه المعركة وادعاء أنه لا يمكن توجيهها فيه من ضيق الطعن ما فيه فعائشة ﵂ ما رمت بسهم ولا طعنت برمح ولا ضربت بسيف ولم تقد جيشاً وتوجه جنوداً فكيف تحمل هذا الوزر ؟

وما حصل من هذه المعارك يمكن توجيهها لمن وفقه الله لحسن الظن وسلامة الصدر لا سيما وأن الصلح تم بين الطرفين ولولا تحريش أعداء الدين وإثارة القتال لما حدثت معركة أصلاً كما نص على ذلك عدد كبير من أهل المعرفة والتاريخ (١).

وأخيراً فإن المعتزلة بنوا قولهم على أصلهم الفاسد وهو " المترلة بين المترلتين " وحقيقة هذا الأصل عندهم أن مرتكب الكبيرة لا يستحق أن يطلق عليه اسم الإيمان والإسلام ؛ لأن في إطلاق ذلك عليه تشريفاً له وهو ليس أهلاً لهذا التشريف بسبب إعراضه وعصيانه ، ولا يستحق أيضاً أن يطلق عليه اسم الكفر والنفاق ؛ لأن أحكام الكفار والمنافقين لا يجري عليه .

وإذا انتفى عنه اسم الإيمان والإسلام والكفر والنفاق استحق أن يسمى فاسقاً .

وفي ذلك يقول القاضي عبد الجبار :" صاحب الكبيرة لا يسمى مؤمناً ، ولا كافراً ، ولا منافقاً ، بل يسمى فاسقاً ، وكما لا يسمى باسم هؤلاء فإنه لا يجري عليه أحكام هؤلاء بل له اسم بين الاسمين ، وحكم بين الحكمين"(٢).

ويقول أبو القاسم البلخي :" وأجمعوا أن الفاسق المرتكب الكبائر لا يستحق أن يسمى بالاسم الشريف الذي هو الإيمان والإسلام ، ولا بالكفر ، بل يسمى بالفسق كما سماه الله ، وأجمع عليه أهل الملة ، وهذا هو القول بالمترلة بين المترلتين "(٣).

وقد بنى المعتزلة على إخراج مرتكب الكبيرة من الإيمان والإسلام ، الخلود له في النار(٤).

---

(١) انظر : العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي المالكي ، ص ١٥٩ ، تحقيق : محيي الدين الخطيب ، دار الكتب السلفية ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

(٢) انظر : شرح الأصول الخمسة ص ١٣٩-١٤٠.

(٣) انظر : فضل الاعتزال ص ٦٤ .

(٤) انظر : شرح الأصول الخمسة ص ٦٦٦ ، ومجموع الفتاوى ٦٧٩/٧ ، وكتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٨٤ ، ٣٠٥-٣٠٦ المكتب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ ، والتبصير في الدين للإسفرائيني ص ٢٩ ، وشرح الطحاوية ص ٢٦٩ .

وهذا الأصل الذي أجمع عليه المعتزلة مرفوض عند أهل السنة والجماعة من جهة نفي الإيمان والإسلام عن مرتكب الكبيرة ، ومن جهة الحكم عليه بالخلود في النار ؛لأنهم يرون أن مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان فلا يخرج بمعصيته عن مسمى الإيمان والإسلام ، ولا يحكم عليه بالنار يوم القيامة ، وإنما يكون واقعاً تحت مشيئة الله تبارك وتعالى إن شاء غفر له وأدخله الجنة ، وإن شاء عذبه وأدخله النار ، لكنه لا يخلد فيها .

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " ومذهب أهل السنة والجماعة أن فساق أهل الملة ليسوا مخلدين في النار كما قالت الخوارج والمعتزلة وليسوا كاملين في الدين والإيمان والطاعة بل لهم حسنات وسيئات يستحقون بهذا العقاب وبهذا الثواب "[(١)].

وقال الطحاوي رحمه الله تعالى :" وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون ، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين ، وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله ، كما ذكر عز وجل في كتابه : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨]. وإنشاء عذبهم في النار بعدله ، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته "[(٢)].

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى :" إن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة ... لا يخرج من الإيمان والإسلام ، ولا يدخل في الكفر ، ولا يستحق الخلود مع الكافرين كما قالت المعتزلة "[(٣)].

ومما يدل على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج بكبيرته عن الإيمان ، ما يلي :

١- إن الله تبارك وتعالى جعل مرتكب الكبيرة من المؤمنين ، فقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٨] ، فلم

(١) انظر : مجموع الفتاوى ٦٧٩/٧ .

(٢) انظر : شرح الطحاوية ص ٣٢٣ .

(٣) انظر : شرح الطحاوية ص ٢٧٣ .

يخرج القاتل من ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وجعله أخاً لولي القصاص والمراد أخوة الدين بلا ريب .

وقال تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [سورة الحجرات : ٩-١٠] ، فلم يخرج المتقاتلين من المسلمين عن الإيمان بل نص على أنهم من المؤمنين ، مع أن الاقتتال كبيرة من كبائر الذنوب .

٢- إن مرتكب الكبيرة له حسنات ، وله سيئات ، وليس إبطال الحسنة بالسيئة بأولى من العكس ، وكيف وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [سورة هود : ١١٤].

٣- إن السنة المطهرة دلت على أن مرتكب الكبيرة لا تحبط حسناته حتى يخرج من مسمى الإيمان .

ومما ورد في ذلك قوله ﷺ : (من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها ، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم ، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته ، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطُرحت عليه)(١) .

فثبت أن الظالم تكون له حسنات يستوفي المظلوم حقه منها ، ومع أن ظلم الناس كبيرة من كبائر الذنوب إلا أن هذه الكبيرة لم تحبط العمل و لم تخرج الظالم من أن يكون أخاً للمظلوم.

وبذلك يُعلم أن مرتكب الكبيرة هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، فلا يعطى الاسم المطلق ، ولا يسلب مطلق الاسم (٢).

---

(١) رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب الرقاق ، باب القصاص يوم القيامة ٤٠٢/١١ ، حديث (٦٥٣٤) .

(٢) انظر : شرح الطحاوية ص ٢٦٤-٢٧٣ ، ومقاصد الكلام في عقائد الإسلام للتفتازاني ص ١٦٠-١٦١ ، واللباب في أصول الدين للأرموي ص ٦٦ .

الباب الخامس

الشبه والطعون المشتركة بين أم المؤمنين عائشة وأمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - والرد عليها تفصيلاً .

وفيه فصلان :

الفصل الأول

الشبه والطعون المشتركة بين عائشة وحفصة رضي الله عنهما .

الفصل الثاني

الشبه والطعون المشتركة بين عائشة وأمهات المؤمنين - رضي الله عنهن-

الفصل الأول

الشبه والطعون المشتركة بين عائشة وحفصة رضي الله عنهما.

وفيه خمسة مباحث :

- **المبحث الأول : التبرؤ من عائشة وحفصة ولعنهما رضي الله عنهما.**
- **المبحث الثاني : دعواهم أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما أذاعتا سر النبي ﷺ.**
- **المبحث الثالث : دعواهم أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما تآمرتا على قتل النبي ﷺ.**
- **المبحث الرابع : دعواهم أن الله ﷻ ضرب امرأة نوح وامرأة لوط مثلاً لعائشة وحفصة رضي الله عنهما.**
- **المبحث الخامس : دعواهم أن عائشة وحفصة من أعداء علي رضي الله عنه.**

الفصل الأول

الشبه والطعون المشتركة بين عائشة وحفصة رضي الله عنهما .

المبحث الأول : التبرؤ من عائشة وحفصة ولعنهما رضي الله عنهما :

وقد قال بهذه الشبهة الشيعة الاثنى عشرية و لم يقل أحد بقولهم وإن كان بعض المعتزلة قال برد شهادة أصحاب الجمل كعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء لكن لم ينص واحد منهم على لعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقد سبق الكلام عن هذا .

أما الشيعة فهذا التبرؤ واللعن كثير في كتبهم وعلى ألسن مشايخهم لأنهم اعتبروهما من أعداء آل البيت على حد زعمهم .

فقد ذكر المجلسي أن جعفر الصادق رحمه الله ، وحاشاه ذلك – كان يلعن دبر كل مكتوبة أربعة من الرجال وأربعة من النساء : التيمي – أبو بكر – والعدوي – عمر – وعثمان ، ومعاوية ، يسميهم وعائشة ، وحفصة ، وهنداً ، وأم الحكم أخت معاوية(١).

وكذلك نقل المجلسي إجماع الشيعة على وجوب التبرؤ من عائشة وحفصة ، قال المجلسي :" وعقيدتنا في التبرئ أننا نتبرأ من الأصنام الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية ، ومن النساء الأربعة : عائشة وحفصة وهند وأم الحكم ، ومن جميع أتباعهم وأشياعهم ، وأنهم شر خلق الله على وجه الأرض ، وأنه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة الأربعة إلا بعد التبرئ من أعدائهم "(٢).

فالشيعة ليسوا فقط يلعنون أبا بكر وعمر بل ويتبرءون من ابنتيهما ويلعنونهما بل وجميع أتباع هؤلاء وهم : أهل السنة ، فهم يرون أن هؤلاء وأتباعهم – أي أهل السنة – شر خلق الله على وجه الأرض .

وهذا النقل عن جعفر الصادق وإجماعهم عليه يخالف ما نقله الشيعة في كتبهم عنه من قوله : " إنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذّاب يكذب علينا ويسقط صدقنا علينا عند الناس "(٣).

---

(١) انظر:عين الحياة لمحمد باقر المجلسي،ص ٥٩٩،انتشارات قائم طهران – إيران ، والصاعقة لعبدالقادر صوفي ص ٤٤.

(٢) حق اليقين للمجلسي ، ص ٥١٩ .

(٣) معرفة أخبار الرجال لمحمد بن عمر الكشي ص ١٠٨ ، المطبعة الصفوية في بلدة بمباي دهوني .

بل ويخالف ما جاء عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه جاء رجل إلى أبيه زين العابدين علي بن الحسين فقال :" أخبرني عن أبي بكر ، فقال : عن الصديق ، فقال : وتسمية الصديق فقال : ثكلتك أمك قد سماه رسول الله ﷺ والمهاجرين والأنصار ، ومن لم يسمه صديقاً فلا صدق الله ﷻ قوله في الدنيا والآخرة ، اذهب فأحب أبا بكر وعمر وتولهما فما كان من أمر ففي عنقي "(١).

وجاء عن عروة بن عبد الله قال : " سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عن حلية السيف ، قال : لا بأس به قد حلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه ، قال : قلت : وتقول الصديق ، قال : فوثب وثبة واستقبل القبلة ثم قال :نعم الصديق،نعم الصديق فمن لم يقل الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا والآخرة "(٢).

وإظهار محبة الصديق والثناء عليه يقتضي محبة ابنته والثناء عليها الصديقة بنت الصديق رضي الله عن الجميع .

وينتج عن هذا أن نسبة ذلك القول لجعفر الصادق نسبة زور وبهتان ثم إن أسانيد ما يروون مجروحة برواية الكذاب عن الكذاب ، وهل هناك أكذب ممن يسب أمه ولكنها أم المؤمنين وليست أمهم ، وسيأتي زيادة رد وبيان عند الكلام على الشبه الآتية لأن ما يأتي من الشبه هي سبب لعنهم لها ولحفصة رضي الله عنهما مع العلم أن عائشة وحفصة هما ابنتا خير خلق الله بعد الأنبياء وزوجتا خير خلق الله وسيد ولد آدم وأن الطعن فيهما هو طعن بوزيري رسول الله ﷺ بل وبه ﷺ وهذا كله يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة والعياذ بالله .

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٨٩/٤١ .
وذكره المزي في تهذيب الكمال ٣٩٤/٢٠ .
والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣٩٥/٤ .
(٢) رواه أبو نعيم في الحلية ١٨٥/٣ .
وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨٣/٥٤ .
وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٣١١/٩ .
والذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٠٨/٤ .

المبحث الثاني : دعواهم أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما أذاعتا سر النبي ﷺ.

وهو المراد في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [سورة التحريم : ٣-٤].

قالوا أن عائشة وحفصة أفشتا سر النبي ﷺ وأن إفشاء السر يعتبر معصية تقتضي الكفر وسوف يعاقبان عليها لذلك ضرب الله لهما مثلاً بامرأة نوح ولوط عليهما السلام في آخر السورة .

و لم يقل بهذه الدعوى إلا الشيعة ، أما أهل السنة والخوارج والمعتزلة فقد قالوا بما جاءت به النصوص الصحيحة الصريحة في تفسير هذه الآيات و لم يحرفوا الكلام عن مواضعه .

فقد اتفقت أكثر كتب الشيعة على أن سبب نزول هذه الآيات " كان سبب نزولها أن رسول الله ﷺ وآله كان في بعض بيوت نسائه ، وكانت مارية القبطية تكون معه تخدمه ، وكان ذات يوم في بيت حفصة فذهبت حفصة في حاجة لها ، فتناول رسول الله ﷺ مارية فعلمت حفصة بذلك فغضبت ، وأقبلت على رسول الله ﷺ وآله وقالت : يا رسول الله هذا في يومي وفي داري وعلى فراشي ، فستحيا رسول الله منها، فقال : كفى فقد حرّمت مارية على نفسي ولا أطأها بعد هذا أبداً ، وأنا أفضي إليك سراً فإن أنت أخبرت به فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فقالت : ما هو ؟ فقال : إن أبا بكر يلي الخلافة بعدي ثم من بعده أبوك ، فقالت : من أخبرك بهذا ؟ قال : الله أخبرني .

فأخبرت حفصة عائشة من يومها ذلك ، وأخبرت عائشة أبا بكر فجاء أبو بكر إلى عمر فقال له : إن عائشة أخبرتني عن حفصة بشيء ولا أثق بقولها فأسأل أنت حفصة فجاء عمر إلى حفصة فقال لها : ما هذا الذي أَخْبَرَتْ عنك عائشة ؟ فأنكرت ذلك ، قالت : ما قلت لها من ذلك شيئاً . فقال لها عمر : إن كان هذا حقاً فأخبرينا حتى نتقدّم فيه فقالت : نعم

قد قال رسول الله ذلك . فاجتمعوا أربعة على أن يسموا رسول الله فنزل جبريل على رسول الله ﷺ بهذه السورة "[1].

ثم وقع الخلاف بين الشيعة في ماهيّة الحديث المُسر وفيمن أفشى ذلك السر على قولين :

الأول : أن الحديث المسر هو أن أبا بكر ثم من بعده عمر يليان الأمر بعد رسول الله ﷺ ، وأن الذي أفشى هذا السر هي حفصة رضي الله عنها وقد تقدم ما يدل على هذا .

الثاني : أن الحديث المسرّ هو أن الرسول ﷺ قال لعائشة : إن علياً هو الوصي رضي الله عنه وأن الذي أفشى السر هي عائشة رضي الله عنها وقال بهذا القول جمع من علماء الشيعة كالتستري والكاشاني والشيرازي حيث ذكروا قصة طويلة لإثبات هذا الزعم ومنها " أن الله أخبر رسوله وهو منصرف من مكة بعد أداء الحج بأنه اختار علياً وصياً فخلى رسول الله بعليّ يومه ذاك وليلته وكانت ليلة عائشة فاستودعه العلم والحكمة التي أعطاه الله إياها وعرفه أنه الوصي من بعده . فعلمت عائشة بذلك من رسول الله ﷺ بعد إلحاح منها كي يطلعها على الأمر ، ثم أخبرت به حفصة التي أخبرت أباها ومنه علم أبو بكر.

فدعا أبو بكر وعمر جماعة من قريش فأطلعوهم على الأمر فأجمعوا أمرهم على أن ينفروا ناقة رسول الله عند عقبة يقال لها : هرشا[2] ، واتفقوا على أمور يكيدوا بها رسول الله ﷺ إن لم تنجح الخطة من قتله أو سقيه السم وتعاقدوا على ذلك بالأيمان المؤكدة وكانوا أربعة عشر رجلاً فنزل جبريل على رسول الله ﷺ بهذه الآيات"[3].

---

(١) تفسير القمي ص ٣٤٠ في الحجرية و ٢/٣٧٥-٣٧٦ في الحديثة ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/٤٥٧ . وتفسير الصافي للكاشاني ٢/٧١٦-٧١٧ ، والبرهان للبحراني ٣٢٠/١ .

(٢) هرشا: هذه العقبة لها وجود جغرافي حيث تقع في طريق مكة بين بدر وودّان ، يُرى منها البحر وعلى ملتقى طريق إبله — العقبة — المدينة.

انظر : المغانم المستطابة في معالم طابة للفيروز آبادي ص ٤٣٤ ، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ تحقيق حمد الجاسر ولها ذكر أيضاً في نصوص الأحاديث ومنها قوله ﷺ: (كأني انظر إلى موسى عليه السلام وهو هابط من الثنية ... فقال : أي ثنية هذه ، قال ثنية هرشاء ..) رواه أحمد في المسند ٢١٥/١ .

وانظر غير ذلك عند الطبراني في المعجم الكبير ٢٤/٢٣ ، ٢٢٣/١ .

وانظر معجم البلدان ٤٦/٢ ، ٣٣٣/٣ .

(٣) إحقاق الحق لنور الله التستري ص ٣٠٧ ، الطبعة المرتضوية ، العراق ، الطبعة الحجرية ١٢٧٣هـ ، وعلم اليقين في أصول الدين للفيض الكاشاني ٢/٦٣٧-٦٣٩ بدون ذكر لمعلومات الطباعة ، والدرجات الرفيعة للشيرازي ص ٢٩٦-٢٩٨ .

والرد على هذه الشبهة من وجوه :

أولاً : أن الشيعة قد عمدوا إلى آيات نزلت في بيان ذنوب ومعاصي صدرت من بعض الصحابة وتابوا منها وأقلعوا عنها فأولوها ولووا أعناقها إلى تأويلات ومعان لا يؤيدها برهان وحشدوا لها القصص المكذوبة أو المستنكرة الأسانيد .

نحن أهل السنة نقول نعم أن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ هما عائشة وحفصة رضي الله عنهما فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أردت أن أسأل عمر رضي الله عنه فقلت : يا أمير المؤمنين من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ ؟ فما أتممت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة)[1].

ثانياً : وأما الأمر المسر فهو سبب نزول الآيات وبعد النظر في أقوال أهل العلم من المفسرين وغيرهم نجد أنهم ذكروا لتزولها عدة أسباب :

الأول : تحريم الرسول ﷺ جاريته مارية القبطية على نفسه ، فقد جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه ، فأنزل الله ﷻ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التحريم،١][2].

الثاني : أنها قصة المغافير[3]، وهي ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها ، فواطأت أنا وحفصة عن أيّتنا دخل

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب التفسير ، باب ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ﴾ ٥٢٦/٨ ، حديث (٤٩١٤) .

(٢) رواه النسائي في السنن – كتاب النساء – باب الغيرة ٨٣/٧ ، حديث (٣٩٦٩) .

والبيهقي في السنن الكبرى ٣٥٣/٧ .

والحاكم في المستدرك ٥٣٥/٢ وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

وقال الحافظ في الفتح ٣٧٦/٩ بسند صحيح .

وصححه الخطابي كما في عون المعبود ١٢٥/١٠ .

وصححه الألباني في صحيح النسائي ٨٣١/٣ .

(٣) المغافير : صمغ شبيه بالناطف ، ينضحه العرفط فيوضع في ثوب ثم ينضح بالماء فيشرب فهي لها ريح وكان الرسول ﷺ يكره أن يوجد منه الريح الخبيث .

انظر : الصحاح للجوهري ٧٧٢/٢ .

عليها فلتقل له أكلت مغافير ؟ إني أجد منك ريح مغافير ، قال : (لا ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب ابنة جحش فلن أعود له ، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحداً)[١] .

الثالث : ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : (أن حفصة اطلعت على النبي ﷺ مع أم إبراهيم فقال لا تخبري عائشة ، وقال لها : إن أباك وأباها سيملكان أو سيليان من بعدي فلا تخبري عائشة فانطلقت حفصة وأخبرت عائشة فأظهره الله عليه)[٢].

هذا ما ورد في سبب نزول الآيات ، وبعد النظر اتضح أن السبب الأول والثاني جاءت بأسانيد صحيحة وأما الثالث فلم يصح .

ثم أهل العلم من المفسرين وغيرهم بعد تضعيفهم للسبب الثالث اختلفوا فيما بينهم في السبب الأول والثاني أيهما الراجح في أن يكون سبباً في نزول الآيات .

١- فمنهم من رجح السبب الأول وهو تحريم جاريته مارية على نفسه ﷺ .
وقال بها جمال الدين القاسمي في تفسيره[٣].

٢- ومنهم من رجح السبب الثاني وهو قصة المغافير .
وقال بها القرطبي حيث قال :" وإنما الصحيح أنه كان في العسل "[٤].

٣- ومنهم من قال : "أن كلا الأمرين نزلت الآيات بسببه على معنى تعدد الأسباب والنازل واحد وقال بهذا ابن حجر قال : " فيحتمل أن الآية نزلت في السببين معاً "[٥].

---

(١) رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب التفسير ، باب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ ، ٥٢٤/٨ ، حديث (٤٩١١) .

(٢) رواه الدار قطني ١٥٤/٤ .

وقال العظيم آبادي في التعليق المغني : الحديث في إسناده الكلبي وهو معروف بالضعف ، وضعف إسناده ابن حجر في الفتح ٢٠٠/٩ ، فالحديث ضعيف وقريب منه عن أبي هريرة أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ١٣/٣-١٤ وضعفه .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وضعفه ١٧٨/٥ وكذلك ضعفه السيوطي في الدر المنثور ٢١٦/٨ .

وكذلك ضعفه ابن حجر في الفتح ٢٠٠/٩ .

(٣) انظر : محاسن التفسير للقاسمي ٥٨٥٥/١٦ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة الفيصلية .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١٨/١٨.

(٥) فتح الباري ٥٢٥/٨ .

وكذلك الشوكاني حيث قال : " والجمع ممكن بوقوع القصتين : قصة العسل ، ومارية ، وأن القرآن نزل فيهما جميعاً "[1].

واختار هذا الألوسي[2].

الترجيح :

الذي يظهر أن القول الثالث وهو الجمع بين السببين هو الراجح لأمور :

- أنه جاء في رواية عائشة رضي الله عنها وفيه الجمع بين القصتين في سياق واحد[3].
- ولأنه لا محظور في كون السبب يتعدد والنازل واحد على ما ذكره علماء التفسير[4].
- ولأن فيه إعمال كافة أسباب النزول دون استثناء .

ثالثاً : أنوه هنا على فضائل يجب إظهارها وبيانها متعلقة بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وهي :

١- كمال صدقها رضي الله عنها وإخلاصها ويدل على هذا روايتها بنفسها لسبب النزول مما يدل على كمال صدقها وإخلاصها ونصحها للأمة في تبليغ دين ربها فلم يمنعها رضي الله عنها ما في القصة من الغضاضة عليها أن تحدث بها رغبة في نشر العلم .

٢- علو مرتبتها رضي الله عنها عند النبي ﷺ وهذا الأمر مأخوذ من رواية لسبب النزول عن عائشة رضي الله عنها أنها أمرت صفية وسودة أن تقولا للنبي ﷺ إذا دنا من واحدة منهن : ما هذا الريح التي منك ... قالت : سودة : (فما هو إلا أن قام على الباب فأردت أن أبادئه فرقاً منكِ) .

وفي آخر الحديث قالت سودة (والله لقد حرمناه فقالت عائشة : اسكتي)[5].

قال ابن حجر :" وفيه ما يشهد بعلو مرتبة عائشة عند النبي ﷺ حتى كانت ضرتها تهابها وتطيعها في كل شيء تأمرها به حتى في مثل هذا الأمر مع الزوج الذي هو أرفع الناس قدراً ".

---

(١) فتح القدير ٢٥٢/٥ .

(٢) انظر : روح المعاني ١٥١/٢٨ .

(٣) انظر : فتح الباري ٢٠٠/٩ .

(٤) انظر : الإتقان للسيوطي ٣٣/١ .

(٥) رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب التفسير ، باب أتحرم ما أحل الله لك ٢٨٧/٩ ، حديث (٥٢٦٨) .

وزاد الأمر توضيحاً فقال : " فَخَشِيتْ – يعني سودة – إذا خالفتها أن تغضبها وإذا أغضبتها لا تأمن أن تغيّر عليها النبي ﷺ ولا تحتمل ذلك ، فهذا معنى خوفها منها "(١).

رابعاً : وبعد هذا كله أرجع إلى رواية الشيعة والتي فيها أن الأمر من بعده لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

فأقول :

هذه الرواية تذكر أن الخلافة ستؤول إلى أبي بكر وعمر الأمر الذي يتناقض مع أصول العقيدة الشيعية من أن الخلافة واجبة نصاً لعلي بن أبي طالب .

يقول الألوسي :" وإذا سلم للشيعة صحة هذا لزمهم أن يقولوا بصحة خلافة الشيخين لظهوره فيها كما لا يخفى"(٢).

ولو كان الأمر على خلاف المراد شرعاً لما صح للنبي ﷺ أن يبشر به ضرورة كونه غير شرعي . على أن هذا الخبر لو صح أصلاً لاحتج به أبو بكر على أصحاب السقيفة .

وإن من منكرات هذا الخبر اتفاق الأربعة وهم أبو بكر وعمر وعائشة وحفصة على سم رسول الله ﷺ ومع ذلك لم يتخلص الرسول ﷺولو بالطلاق من عائشة وحفصة .

وكيف يستمر النبي ﷺ في إدناء وتقديم أبي بكر وعمر وهما يريدان قتله وهو ﷺ قد نهى عن طاعة المنافقين والمجادلة عنهم .

فهل يقبل غافل أنهم حاولوا قتل النبي ﷺ ثم الرسول ﷺ لا يقيم وزناً لهذا الأمر ولا يعاملهم بما أوجب الله عليه تجاههم ولو بالإيعاد والتهديد .

أما تركيز الشيعة على مسألة إفشاء سر النبي ﷺ وأن هذه خيانة توجب الكفر – فإنه يلاحظ أن الشيعة يتعاملون مع إفشاء هذا السر بطريقة عجيبة وكأنه إفشاء سر حربي أو سر من أسرار الدولة أو كأنهن عيون للكافرين ، والمطلوب هنا إعطاء الأمر حجمه الطبيعي وعدم تحميل القضية ما لا تحتمل .

---

(١) فتح الباري ٢٩٣/٩.

(٢) روح المعاني ١٥١/٢٨.

خامساً : أنهم يستدلون على كفرهما بسبب إفشاء السر بقوله تعالى : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحريم : ٤]. ويقولون صغت بمعنى زاغت والزيغ هو الكفر[١].

فالرد :

هذه دعوى باطلة لأنه لا إشكال عند أهل العلم في أن الصغو : الميل .

وإنما الخلاف في متعلق هذا الصغو ، فذهب بعضهم إلى أن الميل عن طريق ما يجب أن يكون للنبي ﷺ من الحق[٢].

وقال بعضهم : إنه ميل القلب إلى التوبة وعلى هذا القول تكون الآية دليلاً على الفضيلة وقد اختار هذا القول الشوكاني[٣]، والقاسمي[٤] ، وابن عاشور[٥].

وحيث إن هذين القولين تحتملهم الآية ولا مرجح لأحدهما فيمكن أن يصوبا جميعاً على وجه لا يحصل به التعارض فيقال : مالت قلوبهما إلى المخالفة الناتجة عن الغيرة ثم مالت إلى التوبة .

والقاعدة الترجيحية عند أهل التفسير أن الآية إذا احتملت معنيين بلا تعارض تحمل الآية عليها جميعاً[٦].

وإذا ثبت هذا فتكون الآية دليلاً على حصول التوبة منهما بدليل قوله تعالى : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية :" فلا يظن بهما أنهما لم يتوبا مع ما ثبت من علو درجتهما وأنهما زوجتا نبينا ﷺ في الجنة"[٧].

---

(١) انظر : الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم لأبي محمد علي بن يونس العاملي البياضي ١٦٨/٣، صححه وعلق عليه: محمد الباقر البهبوتي ، مطبعة الحيدري ، الطبعة الولى ١٣٨٤هـ ، وفصل الخطاب في إثبات تحريف كلام رب الأرباب لحسين محمد تقي النوري الطبرسي ، ص ٣١٣ ، الطبعة الحجرية ، إيران ١٢٩٨هـ .

(٢) انظر : أضواء البيان للشنقيطي ٣٧٥/٨ .

(٣) فتح القدير ٢٥٠/٥ .

(٤) محاسن التأويل ٥٨٦٣/١٦ .

(٥) التحرير والتنوير ٣٥٦/٢٨ .

(٦) انظر : أضواء البيان ١٢٤/٣ . وقواعد التفسير ، خالد عثمان السبت ٢٠٤/١، دار ابن عفان ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

(٧) انظر : منهاج السنة ٣١٤/٤ .

سادساً : وإن قلتم معاشر الشيعة : ويحتمل عدم توبتهما .

فيقال لكم :

قولوا في توبة علي رضي الله عنه من خطبة ابنة أبي جهل والتي كانت سبباً في غضب رسول الله ﷺ حتى أنه رقى المنبر وأعلن أنه لا يرضى عن ذلك بقوله : (إن بني المغيرة استأذنوني أن ينكحوا علياً ابنتهم ، وإني لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن ، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي ويتزوج ابنتهم . إنما فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها)[1].

فهل تقولون في هذه التوبة مثل ما قلتم في توبة عائشة وحفصة رضي الله عنهما .

لأن علي رضي الله عنه قد ترك الخطبة فلا يُظن به أنه تركها في الظاهر فقط بل نعتقد أنه تركها بقلبه وتاب بقلبه عما كان طلبه وسعى إليه فهذا ظننا فيه رضي الله عنه وكذلك الظن بأمهات المؤمنين فالذنب يُغفر ويُعفى عنه بالتوبة والندم ولأن الغيرة من جبلة النساء ولا مؤاخذة على الأمور الجبلية ، وما وقع منهن – رضي الله عنهن – لا يقدح بهن مع العلم أن عائشة وحفصة من أحب أزواج النبي ﷺ إليه وأبوهما من أحب الناس إليه ﷺ وأقربهما إلى قلبه .

---

(١) متفق عليه :

رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب النكاح ، باب ذبّ الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف ، ٢٣٨/٩، حديث (٥٢٣٠) .

ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ ١٩٠٢/٤ ، حديث (٢٤٤٩) .

المبحث الثالث : دعواهم أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما تآمرتا على قتل النبي ﷺ :

لم يقل بهذه الدعوى أحد من المخالفين لأهل السنة إلا الشيعة الرافضة الاثني عشرية ، وهذه من الدعاوي الغريبة والعجيبة التي تولدت من الحقد والبغض لوزيري رسول الله ﷺ وابنتيهما زوجتي رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة .

وهذه الدعوى هي تتمة ومبنية على الدعوى التي قبلها في المبحث الثاني وكل واحدة منهما متممة للأخرى .

فبعد أن أذاعت عائشة وحفصة سر النبي ﷺ تآمرتا مع أبويهما(على حد زعمهم) تآمروا جميعاً على قتله حيث سقوه السم فكان سبب موته عليه الصلاة والسلام .

وقد قالوا هذا تفسيراً لآيات سورة التحريم وهي قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [سورة التحريم : ١-٤] .

وأوردوا ما تقدم ذكره من أن الأمر المسر هو :

١. إما أن أبا بكر وعمر يليان الخلافة بعد الرسول ﷺ.

٢. وإما أن علي بن أبي طالب هو الوصي .

وعلى كلا الأمرين قد قام هؤلاء الأربعة (أبو بكر وعمر وعائشة وحفصة) بقتله وذلك بوضع السم له إما استعجالاً للخلافة لأبي بكر وعمر وإما لأن علياً هو الوصي من بعده ﷺ.

فمع اختلاف الشيعة في سبب نزول الآيات من أن الخلافة تكون لأبي بكر وعمر من بعد الرسول ﷺ أو أن الوصي من بعده هو علي بن أبي طالب إلا أنهم اتفقوا على نتيجة واحدة وهي أن الأربعة رضي الله عنهم وضعوا السم لرسول الله ﷺ لقتله[(١)].

وقد تقدم الكلام عن استدلالهم كما في الشبهة الثانية من المبحث الثاني فليراجع .

---

(١) انظر : تفسير القمي ص ٣٤٠ ، وتفسير الصافي للكاشاني ٧١٦/٢ – ٧١٧ ، وإحقاق الحق للتستري ص ٣٠٧-٣٠٨ ، والبرهان للبحراني ، والدرجات الرفيعة للشيرازي ص ٢٩٦ – ٢٩٨ .

وقد وصل الأمر بالشيعة أن يلووا أعناق آيات أخرى للجزم بهذا المعتقد وهو وضع السم لرسول الله ﷺ وقتله من هؤلاء الأربعة فقد قال البياضي في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [سورة التحريم : ٧]، قال :" قد نزل فيهم نتيجة فعلهم "[1].

وكذلك قالوا في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ ﴾ [سورة آل عمران : ١٤٤]، فقد أسند العياشي إلى أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال :" تدرون مات النبي ﷺ وآله - أو قتل ؟ إن الله يقول: ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ ﴾ فسمّ قبل الموت ، إنهما سقتاه السم قبل الموت، فقلنا : إنهما وأبويهما شر خلق الله "[2].

وكذلك نقل المجلسي هذه الرواية ووصف سندها بأنه معتبر وعلق عليه بقوله :" إن العياشي روى بسند معتبر عن الصادق (ع) أن عائشة وحفصة لعنة الله عليهما وعلى أبويهما قتلتا رسول الله بالسم "[3].

وعلى أي حال فقصة وضع السم لرسول الله ﷺ وقتله معتبرة عند الشيعة وفسروا الآيات للاستدلال لها بتفسير باطني لا يعقل بل لا يعقله عندهم — باعترافهم — إلا الملك المقرب أو النبي المرسل أو العبد الذي امتحن الله قلبه للإيمان على حد زعمهم[4].

وهذه الشبهة كما مرّ أنها تنبني وترتكز على الروايتين في تفسير آيات التحريم وهما :

١- أن الأمر لأبي بكر وعمر بعد النبي ﷺ .

٢- أن علي بن أبي طالب هو الوصي بعد النبي ﷺ .

وسوف أقوم بمناقشة هاتين الروايتين ليتضح لنا صحة الاستدلال بهما من عدمه .

---

(١) انظر : الصراط المستقيم للبياضي ١٦٩/٣.

(٢) تفسير العياشي ٢٠٠/١ ، وانظر : تفسير الصافي للكاشاني ٣٠٥/١ ، والبرهان للبحراني ٣٢٠/١ ، وبحار الأنوار للمجلسي ٥٠٤/٦ .

(٣) حياة القلوب لمحمد باقر المجلسي ٧٠٠/٢ ، الطبعة الحجرية ، الهند ١٣٠١هـ .

(٤) انظر : الأمالي لابن بابويه القمي ، المعروف بالصدوق ، ص ٤ ، انتشار كتاب خانة ، إسلامية ، إيران ١٣٦٢هـ ، ومعاني الأخبار للصدوق ، ص ١٨٨-١٨٩ .

أولاً : الرواية التي فيها أن الأمر بعد النبي ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما[1] :

تخريج الرواية والحكم عليها من الناحية الحديثية :

إن أهل السنة والجماعة وسط بين الفرق كما أن ملة الإسلام وسط بين الملل والأمم . فأهل السنة ليسوا مغالين في أهل البيت كالشيعة وليسوا معادين لأهل البيت كالناصبة ، بل هم يحبون آل البيت ويقدرونهم قدرهم أكثر من الشيعة وفي الوقت نفسه يحبون أزواج النبي ﷺ وصحابته ويترضون عنهم جميعاً رضي الله عنهم وأرضاهم .

فهذه الرواية حجة لأهل السنة ولكنهم مع هذا قالوا بضعفها لأنهم يقفون على ما صح نقله عن النبي ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم وليس على ما وافق هواهم كأهل البدع من الشيعة وغيرهم ، فهذه الرواية أخرجها الواحدي في تفسيره [2].

وأخرجها الإمام أحمد في فضائل الصحابة[3] عن طريق أبي جعفر محمد بن هشام بن أبي الدُمَيْك قال حدثنا الحسن بن سعيد البزار قال حدثنا خالد بن العوام بن ميمون بن مهران به....

فظاهر هذه الرواية الحسن حتى قال محقق الكتاب : رجال إسناده ثقات غير خالد بن العوام فقد سكت عنه ابن أبي حاتم .

والصحيح خلاف ذلك :

فإن ابن أبي حاتم قال في خالد بن العوام : روى عن فرات عن ميمون ، روى عن الحسن بن سعيد .

وعلى هذا فسند الإمام أحمد فيه انقطاع بين خالد بن العوام وبين ميمون بن مهران .

ويدل على هذا أمور :

أ. السند التالي لهذا الحديث عند الإمام أحمد في فضائل الصحابة[4].

---

(١) انظر : نص الرواية مع اختلاف ألفاظها ونقدها في المبحث الثاني من هذا الفصل .

(٢) تفسير الواحدي " الوجيز في تفسير الكتاب العزيز " ١١١١/٢ لعلي بن أحمد الواحدي ، تحقيق : صفوان داوودي ، دار القلم — دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

وأورده البغوي في تفسيره ٣٦٤/٤ .

والسيوطي في الدر المنثور ٢١٨/٨ .

(٣) فضائل الصحابة للإمام أحمد ٤٨٧/١-٤٨٨ ، تحقيق : وصي الله بن محمد عباس ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

(٤) المرجع السابق ٤٨٨/١ .

ب.	طريق ابن الأعرابي لهذا الحديث نفسه في معجمه فإنه أورده من طريق خالد بن العوام البزار أخبرنا فرات بن السايب عن ميمون[1].

كذلك أخرجه ابن عساكر في تاريخه من طريق ابن الأعرابي[2]. ففيه يظهر الانقطاع في سند الإمام أحمد .

وبعد أن عُلم الانقطاع في سند الإمام أحمد فليُعلم أن سند ابن الأعرابي أيضاً ضعيف جداً فإن فيه فرات بن السايب يروي عن المناكير ومتهم بالكذب . قال عنه البخاري : تركوه ، وقال ابن معين ليس بشيء ، وتركه الدار قطني والحاكم ، وقال أحمد كذبوه[3]. وعلى هذا فالرواية منكرة ، وهي من قول ميمون بن مهران .

وكذلك روي عن أبي هريرة رضي الله عنه كما عند ابن عساكر[4]، والطبراني[5] بسند ضعيف وعلته موسى بن جعفر الأنصاري .

وكذلك روي عن عائشة رضي الله عنها كما عند ابن عساكر[6] وابن عدي في الكامل[7] في ضعفاء الرجال فقد رواه من طريق خالد المخزومي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة .

ففيه خالد بن إسماعيل بن الوليد المخزومي قال عنه ابن عدي : يضع الحديث على ثقات المسلمين[8].

---

(١) انظر : المعجم لابن الأعرابي ٧٣١/٢ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٤٧/٣٢ .

(٣) انظر : التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل البخاري ١٣٠/٤ ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ، والجرح والتعديل ٨٠/٣ ، والمجروحين ٢٠٧/٢ ، والميزان ٣٤١/٣ ، واللسان ٣٤٠/٤ .

(٤) تاريخ دمشق ١٨٩/٤٧ .

(٥) المعجم الأوسط ١٣/٣ .

(٦) تاريخ دمشق ١٤٧/٣٢.

(٧) الكامل في ضعفاء الرجال لعبد الله بن عدي الجرجاني ٤٢/٣ ، تحقيق : عبد المعطي قلعجي ، بيروت – لبنان ١٩٨٤م .

(٨) المرجع السابق .

وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما كما عند الدار قطني[1] من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . والكلبي ضعيف .

وكذلك أخرجه ابن عدي في الكامل[2] ومن طريقه أخرجه ابن عساكر في تاريخه[3] وفيه سيف بن عمر وهو مشهور بالضعف .

وعلى هذا فكل طرق الحديث ضعيفة :

- فطريق ميمون بن مهران علته : فرات بن السايب المخزومي .
- وطريق أبي هريرة رضي الله عنه علته : موسى بن جعفر الأنصاري .
- وطريق عائشة رضي الله عنها علته : أبو الوليد خالد المخزومي .
- وطريق ابن عباس رضي الله عنهما علته : سيف بن عمر الضبي .

وقد وردت أدلة كثيرة بنفس المعنى أوردها السيوطي في كتابه الآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة[4].

ثانياً : الرواية التي فيها أن علي بن أبي طالب هو الوصي بعد النبي ﷺ [5] :

هذه الرواية من وضع الشيعة بل من وضع عبد الله بن سبأ اليهودي المنافق الذي حاول الإفساد في الإسلام كما أفسد بولس في النصرانية ولكن الله حافظ دينه .

ثم بعد وضع الشيعة لهذه الرواية اختلفوا فيما بينهم : فقال بعضهم : هذه الرواية نصت على الإخبار بأن علي هو الوصي كان على نهاية أو في إثر حجة الوداع .

بينما الروايات الكثيرة الأخرى نصت على أن الإخبار بهذا كان ليلة الإسراء والمعراج[6].

---

(١) سنن الدار قطني لعلي بن عمر أبو الحسن الدار قطني ١٥٣/٤ ، تحقيق : عبد الله هاشم يماني ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٨٦هـ.

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال ٤٣٦/٣ .

(٣) تاريخ دمشق ١٤٧/٣٢ .

(٤) ما بين الصفحتين ٢٨٦-٣٠٥ .

(٥) تقدم نص الرواية مع نقدها في المبحث الثاني من هذا الفصل .

(٦) انظر : إكمال الدين وإتمام النعمة في إثبات الرجعة لمحمد بن علي بن بابويه القمي الملقب بالصدوق ، ص ٢٤١-٢٤٢ المطبعة الحيدرية ، العراق ، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ ، والأمالي للصدوق ، ص ٢٢٢ ، والصراط المستقيم للبياضي ١٤١/٢ ، وتفسير الصافي للكاشاني ٢٥٦/٢ ، والبرهان للبحراني ٦٣/٤-٦٤ .

على ما تقدم فتفسير آيات التحريم بأن أبا بكر وعمر هما يليان الأمر بعد النبي ﷺ أو أن الوصي هو علي بن أبي طالب كل هذا لا يصح .

وهاتان الروايتان هما اللتان ذكر فيهما التآمر على قتل رسول الله ﷺ بوضع السم له ، وبهذا يتضح بطلان هذا الزعم وتهافته وسقوطه من ناحية السند .

ويضاف إلى ذلك أن متن هذه الروايات فيه الطعن في عدالة الصحابة الـــتي ثبتـــت في الكثير من أدلة الكتاب والسنة والتي هي معلومة من الدين بالضرورة .

ومن المعلوم أنهم ﷺ كانوا يقدمون الرسول ﷺ على أنفسهم وأموالهم وأهليهم ، فكيف يعقل أن يُقْدموا على قتله بوضع السم له ﷺ ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

وعليه فيبطل التآمر على قتل الرسول ﷺ وذلك بوضع السم له سنداً ومتناً .

المبحث الرابع : دعواهم أن الله ﷻ ضرب امرأة نوح وامرأة لوط مثلاً لعائشة وحفصة رضي الله عنهما :

كذلك لم يقل أحد من عقلاء المسلمين بهذه الكذبة أبداً وإنما قال بها الشيعة الاثني عشرية وليست هذه أولى مساوي فهمهم وضحالة عقولهم فهم فاقوا اليهود في الكذب والتلفيق والنصارى في الخرافات .

وهم يستدلون على هذه المقابلة بآيات سورة التحريم في قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [سورة التحريم: ١٠].

بل ونسبوا ذلك إلى أمير البررة وقتيل الفجرة الطاهر ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد حكوا في كتبهم أن عائشة وحفصة ذهبتا تطلبان ميراثهما من عثمان - فقالوا في ذلك - : (قالت له عائشة : أعطني ما كان يعطيني أبي وعمر فقال : لا أجد له موضعاً في الكتاب ولا في السنة ، ولكن كان أبوك وعمر يعطيانك عن طيبة أنفسهما وأنا لا أفعل . قالت : فأعطني ميراثي من رسول الله . قال : أليس جئت فشهد أنت ومالك بن أوس النضري أن رسول الله ﷺ لا يورث ، فأبطلت حق فاطمة (ع) وجئت تطلبينه ، لا أفعله . فكان إذا خرج إلى الصلاة نادت وترفع القميص وتقول أنه قد خالف صاحب هذا القميص . فلما آذته صعد المنبر فقال : إن هذه الزعراء عدوة الله ضرب الله مثلها ومثل صاحبتها حفصة في الكتاب ﴿ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ ... إلى آخر هذه القصة المكذوبة التي أوردها الشيعة في كتبهم[1].

---

(١) انظر : الصراط المستقيم للبياضي ٢٨٣/٢ .
والمراجعات للموسوي : مراجعة رقم ٧٨ مطبعة حسام ، تحقيق : حسين علي راضي ، وكشف الغمة للإربلي ٤٧٩/١ .
وانظر : الصاعقة لعبد القادر محمد عطا صوفي ، ص ٧١-٧٢.

وعلّق حيدر الآملي على هذه القصة بقوله :" يمكن أن يكون أزواج الأنبياء والأوصياء والصالحين حمقات جاهلات خائنات "(١). ويريد الشيعة بالخيانة هنا الفاحشة والعياذ بالله .

قال القمي بعد أن أشار أن المراد بالآيات في سورة التحريم عائشة وحفصة بل وأقسم على ذلك فقال : " والله ما عنى بقوله ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ إلا الفاحشة "(٢).

يقسم الفاجر الحانث وكأنه يعلم مراد الله ، وغداً الله سائله ومقتص منه لرسوله ﷺ .

قال البياضي :" قد أخبر الله عن امرأتي نوح ولوط أنهما لم يغنيا عنهما من الله شيئاً ، وكان ذلك تعريضاً من الله لعائشة وحفصة في فعلهما وتنبيهاً على أنهما لا يتكلان على رسوله فإنه لم يغن شيئاً عنهما"(٣).

قال المجلسي :" لا يخفى على الناقد البصير والفطن الخبير ما في تلك الآيات من التعريض بل التصريح بنفاق عائشة وحفصة وكفرهما "(٤).

أي فعل هذا أيه المخذول وأي تعريض أو تصريح بل أن الله صرّح أن عائشة وحفصة زوجات النبي ﷺ في الدنيا والآخرة وها هي سورة النور تتلى إلى يوم القيامة فبأس ما قلتم وما أحلم الله تعالى عليكم .

والرد على هذه الشبهة بما يلي :

أولاً : إن زوجة نوح وزوجة لوط وهما المضروب فيهما المثل والخيانة التي قامتا بها تختلف عن ما قال به الشيعة ظلماً وبهتاناً ، فالمراد بخيانتهما قد اختلف فيها أهل العلم على أقوال ، ولم يقل أحد بقول الشيعة ، وهي إما أن المراد بها الكفر وقيل النفاق وقيل إن خيانة امرأة نوح أنها تخبر الناس بأنه مجنون ، وخيانة امرأة لوط أنها كانت تخبر قومها وتدلهم على ضيوفه .

---

(١) الكشكول فيما جرى على آل الرسول لحيدر بن علي العبيدي الحسيني الآملي ، ص ١٣٣ ، مطبعة أمير قم – إيران ، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ .

(٢) تفسير القمي ٢/٣٧٧ .

(٣) الصراط المستقيم للبياضي ٣/١٦٥-١٦٦ .

(٤) بحار الأنوار للمجلسي ٢٢/٣٣ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ ما زنتا ، أما خيانة امرأة نوح : فكانت تخبر أنه مجنون ، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل أقوامها على أضيافه)[١] .

بل قال بعض أهل العلم : حتى لو كان فيه تعريض لأمهات المؤمنين فإنه من باب التخويف لهن .

يقول الألوسي في ذلك – رداً على الشيعة - :" وذكر غير واحد أن المقصود الإشارة إلى أن الكفرة يعاقبون بكفرهم ولا يُراعون بما بينهم وبين النبي ﷺ من الوصلة ، وفيه تعريض لأمهات المؤمنين وتخويف لهن بأنه لا يفيدهن إن أتين بما حظر عليهن كونهن تحت نكاح النبي ﷺ ، وليس في ذلك ما يدل على أن فيهن كافرة أو منافقة ... سبحانك هذا بهتان عظيم"[٢] .

أما ما نقله القرطبي بقوله : " قال يحيى بن سلام : قوله ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ مثل ضربه الله يحذر به عائشة وحفصة في المخالفة حين تظاهرتا على رسول الله ﷺ ثم ضرب لهما مثلاً بامرأة فرعون ومريم ابنة عمران ترغيباً في التمسك بالطاعة والثبات على الدين"[٣] .

فقد قال الشوكاني بعد أن ذكره معلقاً عليه : " وما أحسن من قال فإن ذكر امرأتي النبيين بعد ذكر قصتهما ومظاهرتهما على رسول الله ﷺ يرشد أتم إرشاد ويلوح أبلغ تلويح إلى أن المراد تخويفهما مع سائر أمهات المؤمنين وبيان أنهما وإن كانتا تحت عصمة خير خلق الله وخاتم رسله فإن ذلك لا يغني عنهما من الله شيئاً ، وقد عصمهما الله عن ذنب تلك المظاهرة بما وقع منهما من التوبة الصحيحة الخالصة "[٤] .

وقال ابن القيم عن المثلين : (مثلاً للذين كفروا ومثلاً للذين آمنوا) قال : " في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة فإنها سيقت في ذكر أزواج النبي ﷺ

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٨/١٦٩-١٧١ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦٦٨١/٨ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٩٣/٤ ، وروح المعاني للألوسي ١٦٢/١٠ ، وفتح القدير للشوكاني ٢٥٦/٢ .

وانظر : نساء الأنبياء في ضوء الكتاب والسنة لأحمد خليل جمعة ، ص ٧٧ ، طبعة دار ابن كثير ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ .

(٢) روح المعاني ١٦٣/١٠ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٦٦٨/٨ .

(٤) فتح القدير ٢٥٦/٥ .

والتحذير من تظاهرهن عليه وأنهن إن لم يطعن الله ورسوله ﷺ ويردن الدار الآخرة لم ينفعهن اتصالهن برسول الله ﷺ كما ينفع امرأة نوح وامرأة لوط اتصالهما بهما " .

ثم قال بعد ذلك :" وفي ضرب المثل للمؤمنين بمريم أيضاً اعتبار آخر وهو أنها لم يضرها عند الله شيئاً قذف أعداء الله تعالى اليهود لها ونسبتهم إياها وابنها إلى ما برأها الله عنه مع كونها الصديقة الكبرى المصطفاة على نساء العالمين فلا يضر الرجل الصالح قذف الفجار والفساق فيه ، وفي هذا تسلية لعائشة أم المؤمنين إن كانت السورة نزلت بعد قصة الإفك وتوطين نفسها على ما قال فيها الكاذبون إن كان قبلها كما في التمثيل بامرأة نوح ولوط تحذير لها ولحفصة مما اعتمدتاه في حق النبي ﷺ فتضمنت هذه الأمثال التحذير لهن والتخويف والتحريض لهن على الطاعة والتوحيد والتسلية وتوطين النفس لمن أوذي منهن وكذب عليه ، وأسرار التنزيل فوق هذا وأجل ولاسيما أسرار الأمثال التي لا يعقلها إلا العالمون "(١).

ثانياً : إن هؤلاء القائلين بهذا لو قيل لهم (إن زوجك خائنة أو حمقاء وجاهلة) لاستنكر ذلك أو طلقها خشية أن تكون عاراً ينسب إليه .

أفينسبون للأنبياء ما لا يرضونه لأنفسهم ، إن أنبياء الله على وجه العموم وسيدهم وإمامهم وخاتمهم على وجه الخصوص مع كونه بشراً إلا أنه ﷺ نبي ورسول وزوجاته أمهات المؤمنين وهذا شرف للعالمين ، وأصحابه وقد اختارهم الله لصحبة نبيه فهم السادة والقادة بل شهد الله لبعضهم بالجنة وهم أحياء يمشون على الأرض ، فلا يضر السحاب نبح الكلاب .

ثالثاً : أما القصة التي استدلوا بها فكعادتهم كما مرّ معناه فإما أن يضعوها من قبل أنفسهم وإما أن يأتوا بقصص واقعة ويغيرون ويبدلون فيها .

هذه القصة التي ذكروها كالإربلي في كشف الغمة أخذوها من قصة أوردها اليعقوبي في تاريخه وهي ضعيفة ومع نكارتها وضعفها زادوا فيها كذباً وزوراً .

ومن الأهمية أن أبين أصل هذه القصة ولكن قبل هذا أريد أن أوضح حقيقة العلاقة بين أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه فأقول : كيف يصدق أن تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هذا الكلام وهي أعرف الناس به وبحب رسول الله ﷺ له . بل وكيف

---

(١) الأمثال في القرآن الكريم لشمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية ، ص ٥٧-٥٨ ، مكتبة الصحابة- مصر ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

تقول هذا الكلام وهي التي روت مناقبه وفضائله ومكانته الرفيعة فهي التي قالت : (كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو كذلك فتحدث ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوّى ثيابه فدخل فتحدث ، فلما خرج ، قالت عائشة : دخل أبو بكر فلم تهتش[1] له و لم تباله[2] ثم دخل عمر فلم تهتش له و لم تباله ، ثم دخل عثمان فجلست وسوّيت ثيابك ، فقال : ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة)[3] .

وجاء عنها رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : (إن الله أوحى إليّ أن أزوج كريمتي من عثمان)[4] .

وقال ابن أبي عاصم في السنة ثنا محمد بن يحيى ابن أخي حزم حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثتني فاطمة بنت عبد الرحمن حدثتني أمي قالت : دخلت على عائشة فقلت : يا أم المؤمنين إن بعض بنيك أرسلني إليك يسألك عن عثمان فإن الناس قد أكثروا فيه وشتموه . قالت : لعن الله من لعنه وشتمه لقد رأيتني وإن رسول الله ﷺ واضع رأسه في حجري يوحى إليه كل القرآن ويقول : (اكتب يا عثيم) فما كان الله يترله هذه المترلة من رسول الله إلا وهو كريم عليه)[5] .

---

(١) فلم تهتش : الهشاشة والبشاشة بمعنى طلاقة الوجه وحسن اللقاء.
انظر: حاشية صحيح مسلم ١٨٦٦/٤ .

(٢) لم تباله : لم تكترث به وتحتفل لدخوله ، المرجع السابق .

(٣) رواه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عثمان رضي الله عنه ١٨٦٦/٤ ، حديث (٢٤٠١) . وانظر كذلك حديث (٢٤٠٢) .

(٤) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤١/٣٩ .
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٣/٩ ، وضعفه .
وذكره صاحب كتر العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ٢٦٨/١١ رقم (٣٢٧٩٠) ، تحقيق : محمود الدمياطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

(٥) السنة لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني ٥٩٢/٢ ، حديث (١٣٠٠) ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ .
ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٩٩/٣٩ .
وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٢٠٩/٧ .

بل إن عائشة رضي الله عنها هي التي رُوي عنها بأكثر من خمس طرق عَهْدُ الرسول ﷺ لعثمان رضي الله عنه بأن لا يتنازل عن الخلافة إن وليها مهما طلبوا منه فقد جاء عنها أن رسول الله ﷺ قال : (يا عثمان إنه لعل الله يقمصك قميصاً فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم)[1] .

وجاء عن قيس بن أبي حازم عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه : (ودِدْت أن عندي بعض أصحابي) قلنا يا رسول الله ألا ندعو لك أبا بكر ؟ فسكت . قلنا : ألا ندعو لك عمر ؟ فسكت . قلنا : ألا ندعو لك عثمان ؟ قال : (نعم) فجاء فخلا به ، فجعل النبي ﷺ يكلمه ووجه عثمان يتغيّر . قال قيس : فحدثني أبو سهلة مولى عثمان أن عثمان بن عفان قال يوم الدار : إن رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً فأنا صائر إليه . وقال علي في حديثه : وأنا صابر عليه . قال قيس: فكانوا يرونه ذلك اليوم[2].

أفيعقل أن تسمع أم المؤمنين هذا بنفسها ويكون موقفها منه ما ذكره أعداء أمهات المؤمنين والصحابة أجمعين من الشيعة والمنافقين .

أما الأخبار الواردة في الخلاف بين عائشة وعثمان رضي الله عنهما فأقول إن أغلب ما جاء في هذا المعنى لم يؤخذ من المصادر المعتمدة والموثوقة وإنما نقل عن بعض المصادر العامة التي جمعت الحابل والنابل كالمصادر الأدبية بل والشيعية مثل كتاب الأغاني للأصبهاني وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد والعقد الفريد لابن عبد ربه وكالمصادر التاريخية غير المسندة مثل الإمامة والسياسة المنسوب كذباً لابن قتيبة الدينوري ومروج الذهب للمسعودي وكالمصادر الغير قوية

---

(١) رواه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، باب في مناقب عثمان رضي الله عنه ٥/٥٨٧ ، حديث (٣٧٠٥) ، وقال هذا حسن غريب .

وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٣/٢١٠ .

وبنحوه عند ابن ماجة في سننه ، المقدمة ، باب فضل عثمان رضي الله عنه ١/٤١ ، حديث (١١٢)

(٢) رواه ابن ماجة في سننه ، المقدمة ، باب فضل عثمان رضي الله عنه ١/٤٢ ، حديث (١١٣) .

ورواه أحمد في المسند ٦/٢١٤ .

وابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/٤٥ .

وأبو نعيم في الحلية ١/٥٨ .

وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة ١/٥٥ .

وصححه مقبل الوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين لأبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي ٢/٤٩١-٤٩٢ ، مكتبة دار القدس – صنعاء ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

الإسناد مثل أنساب الأشراف للبلاذري والذي زاد الطين بلة أن بعض الباحثين من المعاصرين وغيرهم يأخذ من هذه دون تفريق بين الصحيح والضعيف والمنكر والغريب فيأخذون ما فيها من روايات على علاّتها فينظرون من خلالها لهذا الجيل الفريد الذي عقمت أرحام النساء أن تلد مثلهم .

فهذه الروايات جمعت ما بين أمرين :

أ. فساد كثير منها فإن المصادر التي أوردتها غير مسندة أو مسندة ولكن من طريق كذابين ودجالين وشيعة محترقين أو أدباء متماجنين أو ذات منهج معين في الدين.

ب. وينبني عليه فساد النظر من بعض الباحثين والدارسين في المسائل التاريخية حين يتعاملون مع المصادر دون تمييز بين أنواعها أو بحث في مصداقيتها ومناهج مصنفيها .

وهذه الأمور تتحقق إذا ما نظرنا في الخلاف الذي أوردوه بين أم المؤمنين عائشة أو حفصة وأمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ جميعاً ودعوى تأليب عائشة ﷺ وورودها في هذا النوع من المصادر .

النظر في الروايات :

الرواية الأولى :

وهي في تاريخ اليعقوبي وفيها أنه مما أثار عائشة ﷺ على عثمان ﷺ أن عثمان قد أنقص من عطائها وجعله مساوياً لعطاء بقية أمهات المؤمنين رضي الله عن الجميع(1).

كان عمر ﷺ قد فضل عائشة على أخواتها من أمهات المؤمنين في العطاء لمكانتها من رسول الله ﷺ (2). ففرض لأمهات المؤمنين ستة آلاف وفرض لعائشة اثني عشر ألفاً ، فلما ولي عثمان نقصها مما كان يعطيها عمر ، فإن عثمان ليخطب إذ دَلَّت عائشة قميص رسول الله ونادت :

---

(1) تاريخ اليعقوبي ١٧٥/٢ وتابعته بعض الدراسات الحديثة مثل زاهية قدورة في كتاب عائشة أم المؤمنين ، وسعيد الأفغاني في كتابه عائشة والسياسة .

(2) وزاد سعيد الأفغاني (ولما تؤدي من خير في نشر سنته أكثر منهن) عائشة والسياسة ، ص ٢٧ ، وهي زيادة لم تذكرها الروايات .

(يا معشر المسلمين هذا جلباب رسول الله ﷺ لم يُبل وقد أبلى عثمان سنته ، فقال عثمان : (رب اصرف عني كيدهن إن كيدهن عظيم)[1] .

نقد هذه الرواية :

- هذا الخبر عند اليعقوبي بلا إسناد[2] .
- مسألة العطاء الصحيح فيها هو ما ذكره أبو يوسف[3] في كتاب الخراج حيث قال: " إن عمر رضي الله عنه فرض لأزواج النبي ﷺ اثني عشر ألفاً إلا صفية وجويرية فإنه فرض لهن ستة آلاف ، فأبيا أن يقبلا فقال لهما : إنما فرضت لهن للهجرة . فقالتا : لا ، إنما فرضت لهن لمكانتهن من رسول الله ﷺ وكان لنا مثلهن، فعرف ذلك عمر ففرض لهن اثني عشر ألفاً[4] ، وقد ذكر الطبري ذلك مقرراً له[5].

وأبو يوسف قد ذكر في هذه المسألة ثلاث روايات ثنتين منها فيها أن العطاء لأمهات المؤمنين كان اثني عشر ألفاً أما الرواية الثالثة ففيها أن العطاء لأمهات المؤمنين عشرة آلاف إلا عائشة اثني عشر ألفاً ولكن هذه الرواية ضعيفة فإن في

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١٧٥/٢ .

وقد مهدت زاهية قدورة لهذه الدعوى بقولها : " إنه لما ساءت الأمور وتحيز عثمان للأمويين فقربهم وقدمهم وأهمل غيرهم من المسلمين حتى بلغ به الأمر أن خالف ما سنه عمر فأنقص من عطاء عائشة فأثار هذا استياءها ورأت فيه امتهان لكرامتها ". عائشة أم المؤمنين لزاهية قدروة ، ص ١٧٣.

وهكذا العقاد قال مثل هذا القول في كتابه الصديقة بنت الصديق ، (ص ١١٦-١١٧) .

وأما الأفغاني فقال : " لعل أول ما غيّر قلب السيدة من حيث لا تشعر نقص عثمان من عطائها " . عائشة والسياسة لسعيد الأفغاني ، ص ٢٦ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ١٧٥/٢ .

(٣) القاضي أبو يوسف : هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الإمام المجتهد العلامة المحدث صاحب أبو حنيفة ولد سنة ١١٣هـ وعاش ٩٦ سنة قال عنه أبو حنيفة هو أعلم من عليها ، وقال أحمد : كان منصفاً في الحديث . وقال الذهبي : بلغ أبو يوسف من رئاسة العلم ما لا مزيد عليه .

سير أعلام النبلاء ٥٣٥/٨ .

(٤) الخراج لأبي يوسف يحيى بن آدم القرشي ٥٥/٥ ، المكتبة العلمية ، باكستان ، الطبعة الأولى ١٩٧٤م .

(٥) تاريخ الطبري ٦١٤/٣ .

سندها مجالد بن سعيد الكوفي فقد ضعفه النسائي وأنكر الإمام أحمد أحاديثه وقال : يرفع حديثاً منكراً لا يرفعه الناس(١).

فعلى ما تقدم فعائشة رضي الله عنها إذاً لم تتميز على أخواتها أمهات المؤمنين في العطاء في عهد عمر – رضي الله عن الجميع – على الرأي الصحيح الذي اختاره أبو يوسف وقرره الطبري ودل عليه النظر في الصحيح من الروايات والمقارنة بينها كما تقدم .

وعلى هذا ينتج لنا أن المتن الذي عند اليعقوبي فيه نكارة واضطراب ومخالفة للصحيح الوارد في الكتب المسندة كتاريخ الطبري ، وكتاب الخراج لأبي يوسف .

هذا بالنسبة لعطاء أم المؤمنين عائشة وسائر أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – فأمير المؤمنين لم يميزها على أحد من أخواتها .

وأما كون عثمان رضي الله عنه أنقص عطاءها ، فهذه دعوى لا تتفق مع طبيعة السخاء التي تُعد أشهر من أن يتحدث عنها في عثمان رضي الله عنه كما أنها لا تتفق مع ما اشتهر من رغد العيش في عهده رضي الله عنه.

فقد جاء عن الحسن البصري أنه قال :" أدركت عثمان على ما نقموا عليه ، قلَّ ما يأتي على الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيراً ، يقال لهم : يا معشر المسلمين اغدوا على أعطياتكم ، فيأخذونها وافرة ، ثم يقال لهم : اغدوا على أرزاقكم فيأخذونها وافرة ، ثم يقال لهم : اغدوا على السمن والعسل ، والأعطيات جارية والأرزاق وافرة دارَّة "(٢).

فالظن والحال هذا أن يزيد عثمان رضي الله عنه أعطيات أمهات المؤمنين اللاتي يقل عطاء عائشة – إذا افترضنا صحة الخبر بالتمييز بين عطائهن وعطاء عائشة – رضي الله عنهن – ولا يصح – ولا ينقص من عطائها رضي الله عنها .

---

(١) انظر : تهذيب الكمال ١٣٠٤/٣، وتهذيب التهذيب ٣٩/١٠ ، والتاريخ الكبير ٩/٨ ، والجرح والتعديل ١٦٥٣/٨ ، ولسان الميزان ٣٤٩/٧ ، وطبقات ابن سعد ٦٣/٦ ، دار صادر ، بيروت – لبنان ١٣٧٦هـ .

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٢٧/٣٩ .

وانظر لهذا وغيره من دلائل رغد العيش في وقت عثمان – رضي الله عنه – في البداية والنهاية لابن كثير ٢١٤/٧ .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كانت الدنيا عند أم المؤمنين وأخواتها من الهوان بحيث لا يمكن أن يتصور أن قلبها قد يحمل سوءً على عثمان رضي الله عنه إلى حد التأليب عليه بمجرد أن ينقص من عطائها ، فلا هو أنقص من عطائها ولا هي اختلفت معه.

الرواية الثانية :

وهي عند البلازري في أنساب الأشراف واليعقوبي في تاريخه وفيها أن عائشة رضي الله عنها اختلفت مرة أخرى مع عثمان حين عزل عثمان عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما عن بيت المال بالكوفة وعيّن عليه الوليد بن عقبة[1]، فلما دخل عبد الله المسجد في المدينة ورآه عثمان ، قال: قدمت عليكم دويبة سوء — يعني عبد الله — فقال عبد الله : لست كذلك ولكني صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم بيعة الرضوان . ونادت عائشة — أي — عثمان - : أتقول هذا لصاحب رسول الله[2].

نقد هذه الرواية :

١- هذه الرواية من أكاذيبهم فهي لا تكاد تتسق مع حياء عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي ثبت بقوله ﷺ [3].

٢- وكذلك هذه الرواية تبدوا شديدة الغرابة إذا ما علمنا ما بين عثمان وابن مسعود من المحبة والإجلال والاحترام فكلاهما من كبار الصحابة والذين أثنى عليهم رسول الله ﷺ وأحبهم .

فابن مسعود رضي الله عنه يثني خيراً على أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه لما ولي الخلافة حيث قال: (لما توفي عمر بايعنا خيرنا و لم نأل)[4] .

---

(١) هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي أخو عثمان لأمه كان شجاعاً شاعراً جواداً ، ومن رجال قريش وسراتهم ، ولما قتل عثمان اعتزل الوليد الفتنة و لم يشهد مع علي ولا مع غيره ، مات في خلافة معاوية .

وترجمته وللأسف مليئة بالروايات الضعيفة وأغلبها مرتبط بشرب الخمر .

انظر : الإصابة ٤٨١/٦ ، وجمهرة أنساب العرب ، ص ١١٥ . وانظر للأهمية : التحقيق في سيرته من تحقيق محي الدين الخطيب لكتاب العواصم من القواصم لابن العربي ، ص ٩٨ .

(٢) وانظر : أنساب الأشراف للبلاذري ٣٦/٥ وتاريخ اليعقوبي ١٧٠/٢ .

(٣) رواه مسلم وتقدم تخريجه ص ٢٤١ .

(٤) ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ١٢٨/٧،و ابن عبد البر في الاستيعاب ١٠٣٩/٣ ،وابن كثير في البداية والنهاية ٢١٤/٧.

بل حتى لما أرسل له أمير المؤمنين وأخذ منه مصحفه فحُرق ثم كتب إليه يدعوه إلى إتباع الصحابة فيما أجمعوا عليه من المصلحة العامة في ذلك وجمع الكلمة وعدم الاختلاف ، أناب وأجاب إلى المتابعة وترك المخالفة رضي الله عنهما[1].

بل أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان قد عاب على عثمان لما صلى الظهر بمنى أربعاً ثم صلى بأصحابه العصر في رحله أربعاً ، فقيل له عتبت على عثمان وصليت أربعاً. فقال : إني أكره الاختلاف . وفي رواية الخلاف شر .

وقد علق ابن كثير على هذا فقال : " إذا كان هذا متابعة من ابن مسعود إلى عثمان في هذا الفرع فكيف بمتابعته إياه في أصل القرآن والاقتداء به في التلاوة التي عزم على الناس أن يقرؤوا بها لا بغيرها "[2].

فإذا كان هذا الذي بين أمير المؤمنين عثمان بن عفان وبين عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما فكيف يأمر بعزله بل ولو أمر بعزله فكيف تكون حالهما إذا عزله عن ولاية مهما يكن شأن هذه الولاية فإن بينهما المودة والمحبة بل الصحيح أن هذه الرواية كسابقتها في انفرادها عن بقية الروايات في هذا الأمر وإقحام أم المؤمنين فيها ، وهذا شأن الموضوع والمختلق والضعيف .

الرواية الثالثة :

وهي عند الأصبهاني في كتابه الأغاني وفيها سوء العلاقة بين أمير المؤمنين عثمان وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وفيها أنه لما شكا أهل الكوفة الوليد بن عقبة إلى عثمان هددهم الوليد فاستجاروا بعائشة وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتها وفيه كلام فيه بعض الغلظة فقال : أما يجد مُرَّاق أهل العراق وفساقهم ملجأ إلا بيت عائشة ، فسمعت فرفعت نعل النبي ﷺ وقالت : تركت سنة رسول الله ﷺ صاحب هذا النعل ، وعرف الناس فتقاطروا إلى المسجد واختلفوا بينهم[3].

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٢١٧/٧-٢١٨ .

(٢) المرجع السابق ٢١٨/٧ .

(٣) انظر : كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ١٤٣/٥ ، تحقيق : علي مهنا وسمير جابر ، دار الفكر ، لبنان . وعائشة والسياسة لسعيد الأفغاني ، ص ٢٩ ، وعائشة أم المؤمنين لزاهية قدورة ، ص ١٧٤ .

نقد الرواية :

وكذلك هذه الرواية المكذوبة كسابقتها تحاول أن تجرد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه من أخص خصائصه وأعظم صفاته وهي الحياء فتجعله يتحدث عن بيت أمه وزوجة نبيه ﷺ والصفة الثابتة لعثمان رضي الله عنه جاءت عن الصادق المصدوق ﷺ حيث أخبر بها فصارت (خبراً) والنسخ لا يكون في الأخبار إنما يكون في الأحكام ، وهذه الرواية لا تجد لنفسها مكاناً عند من يعرف منزلة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه علاوة على أنها لا توجد في أي مرجع من المراجع والمصادر الموثوقة المسندة بل هي في كتاب مليء بالأخبار الضعيفة بل والموضوعة .

وأخيراً أختم هذا المبحث بأنه يلاحظ على هذه الروايات – على اختلاف مصادرها – أنه يلفت الانتباه أن اليد التي تناولت علاقة أم المؤمنين عائشة بأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنهما بالتحريف والتشويه على هذا النحو كانت يداً واحدة فعلت فعلها في كل هذه المصادر، فعائشة رضي الله عنها يعلو صوتها على عثمان رضي الله عنه رافعة نعلاً أو ثوباً أو شعراً ... وهو خليفة المسلمين مما يسقط هيبته أمام الناس ، وهذا لا يمكن أن يصدر عن أم المؤمنين مع وافر فقهها وسعة علمها بضرورة لزوم جماعة المسلمين وكراهية الفرقة وأهمية توقير الأئمة وموعظتهم باللين إن كان منهم شيء فتحليلات هذا المبحث ونتائجه توضح صفاء الموقف السياسي لأم المؤمنين عائشة في إبان حياة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عن الجميع[1] .

(١) للاستزادة انظر : أمهات المؤمنين وبنات النبي ﷺ بين أهل السنة والشيعة لغربية بنت عبد الله الغربي ، ص ١٠٧–١١٠ ، رسالة ماجستير في كلية التربية للبنات بالرياض . .

المبحث الخامس : دعواهم أن عائشة وحفصة من أعداء علي ﷺ :

على رأس من قال بهذه الدعوى هم الشيعة الاثنى عشرية بل قالوا أن عائشة وحفصة من أعداء آل البيت قاطبة .

أما المعتزلة فلم يذكروا شيئاً عن العلاقة بين عائشة وحفصة وبين علي بن أبي طالب لأنهم انشغلوا وأكثروا الكلام في حكم أصحاب الجمل هل يُفسقوا أم يُكفرَّوا أم يُفسقوا لا بأعيانهم و لم يتكلموا في أمهات المؤمنين خلا أنهم قالوا : ما كان لأم المؤمنين عائشة أن تخرج من بيتها كان يجب عليها أن تقر في بيتها .

أما الشيعة فكما سبق فهم الذين أكثروا الكلام في هذا الموضوع ومع كثرة كلامهم فيه فهم لمّا لم يجدوا أدلة تسند دعواهم المكذوبة هذه ، شرعوا في اختراع القصص التي تبرر – في زعمهم – إلصاق هذه التهمة في زوجتي النبي ﷺ وابنتي صاحبيه ووزيريه رضي الله عن الجميع.

لذلك نراهم يزعمون أن خروج عائشة ﵄ إلى البصرة لم يكن بقصد الإصلاح وإنما حملها على ذلك بغضها الشديد لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ ، ورغبتها في المشاركة في أية حركة مناوئة له .

ويزعمون أيضاً أن حفصة بنت عمر ﵄ أرادت الخروج مع عائشة ﵄ لحرب علي بن أبي طالب ﵁ لولا منع أخيها عبد الله ﵁ لها من ذلك ، ومع كونها لم تخرج كانت تتابع أخبار الحرب وتتمنى هزيمة علي أو موته[1].

فقد ذكر المفيد أن عائشة لما بلغها نزول أمير المؤمنين علي (ع) بذي قار[2] كتبت إلى حفصة بنت عمر : أما بعد ، فلما نزلنا البصرة ونزل علي بذي قار والله داق عنقه كدق البيضة على الصفا ، إنه بمنزلة الأشتر إن تقدم نُحر وإن تأخر عُقر .

فلما وصل الكتاب إلى حفصة استبشرت بذلك ودعت صبيان بني تميم وعدي وأعطت جواريها دفوفاً وأمرتهن أن يضربن بالدفوف ويقلن : ما الخبر ! علي كالأشتر بذي قار ، إن تقدم نُحر وإن تأخر عُقر .

---

(١) انظر : سيرة الأئمة الاثنا عشرية لهاشم معروف الحسيني ١/٤٤٣ ، دار القلم ، لبنان ، الطبعة الثالثة ١٩٨١م . والصاعقة لعبدالقادر محمد صوفي ص ٤٧.

(٢) بذي قار : ماء لبكر بن وائل ، قريب من الكوفة ، بينه وبين واسط .

انظر: مراصد الاطلاع لصفي الدين البغدادي ٣/١٠٥٥ ، طبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٧٣هـ .

وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة ويجتمعن لسماع ذلك الغناء ، فبلغ أم كلثوم بنت علي (ع) فلبست جلابيبها ودخلت عليهن في نسوة متنكرات ثم أسفرت عن وجهها ، فلما عرفتها حفصة خجلت واسترجعت ، فقالت أم كلثوم : إن تظاهرت أنت وأختك على أمير المؤمنين (ع) فقد تظاهرتما على أخيه رسول الله من قبل فأنزل الله ﷻ فيكما ما أنزل والله من وراء حربكما[1].

هكذا صاغ الشيعة هذه القصة المكذوبة وأدخلوا فيها شخصيات عديدة كصبيان بني تميم وبني عدي وكبنات الطلقاء وأخيراً أدخلوا أم كلثوم رضي الله عنها في عناصر الرواية ومقصدهم من ذلك إلصاق تهمة العداء لآل البيت بعائشة وحفصة رضي الله عنهما ليجدوا بذلك المبرر لتكفيرهما والقول بأنهما بانتا من رسول الله ﷺ نتيجة عداوتهما لآل بيته وفي مقدمتهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

هذا ما ذكروه ولكن الله سبحانه لا يستر كذاباً ومؤتزراً بالوزر لا تستر الأوزار أوزاراً، فهذه القصة عمدتها أحد رواة أسانيدهم وهو أبو مخنف لوط بن يحيى وهو شيعي محترق وإخباري تالف وقد أجمع العلماء على تجريحه وكذبه[2].

وهؤلاء الرافضة وإن كانوا يقولون بعداوة حفصة وعائشة لعلي رضي الله عنه إلا أن التي نالت كثيراً من المزاعم والقصص الموضوعة عليها في شدة بغضها وعداوتها لعلي هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، بل جزموا وقالوا : أن هذا الأمر ثابت لا جدال فيه .

وقالوا : إن لهذه العداوة أسباباً عديدة — سأقوم بذكرها مع الرد عليها — بل وقديمة في نفس عائشة رضي الله عنها وهي :

- الحسد : ويذكرون في ذلك أسباباً عجيبة لهذا الحسد وهو تقديم الرسول ﷺ لعلي على أبي بكر في مواطن عديدة ومنها مؤاخاة الرسول ﷺ لعلي وسد الأبواب المطلة على المسجد إلا باب علي وإعطائه الراية يوم خيبر وإنفاذه بسورة براءة .
- ويدّعون بغض عائشة لأم المؤمنين خديجة انتقل وتعدّى إلى ابنتها فاطمة ثم إلى زوج ابنتها علي رضي الله عنه .

(١) انظر : الجمل للمفيد ، ص ١٤٩-١٥٠، مكتبة الداوري ، إيران ، الطبعة الثالثة ، والصراط المستقيم للبياضي ١٦٩/٣ ، والدرجات الرفيعة للشيرازي ٣٨٩-٣٩٠ .

(٢) سيأتي نقل كلام أهل العلم فيه في المبحث الأول من الفصل الثاني من هذا الباب .

- ويدّعون أن حادثة الإفك كانت سبباً لعداوة علي حين قال علي للنبي ﷺ ما قال .
- ومن هذه الأسباب المزعومة :

قصة حدثت بين علي وعائشة أوغرت صدر عائشة عليه (كما يزعمون) فيزعمون أن علياً قال : (لقد دخلت على رسول الله ﷺ ذات يوم قبل أن يُضرب الحجاب على أزواجه وكانت عائشة بقرب رسول الله ﷺ فلما رآني رحّب وقال : إدن يا علي ، ولم يزل يدنيني حتى أجلسني بينه وبينها ، فغلظ ذلك عليها ، فأقبلت إليّ وقالت بسوء رأي النساء وتسرعهن إلى الخطاب : ما وجدت لأستك يا علي موضعاً غير فخذي ؟ فزجرها النبي ﷺ وقال لها : ألعلي تقولين هذا ؟ إنه والله أول من آمن بي وصدقني وأول الخلق وروداً على الحوض وهو أحق الناس عهداً إلي ، لا يبغضه أحد إلا أكبه الله على منخره في النار)[1].

الرد على هذه الأسباب المزعومة :

هذه الأسباب لا قيمة لها لأنها إما خلاف الواقع وإما أنهم يطالبون فيه بدليل أو بإثبات النقل فضلاً عن إثبات الصحة ولن يستطيعوا لكونه مكذوباً .

فأين الدليل على تقديم الرسول ﷺ لعلي ، بل كان النبي ﷺ يعطي لكل واحد من الصحابة حقه من الحب والتقدير وتقديمه لما يصلح له .

وعندما سئل الرسول ﷺ من أحب الناس إليك قال أبو بكر ، وقال كل أبواب المسجد تغلق إلا باب أبو بكر فلأبي بكر من الفضائل التي لو جمعت لخرجت في سفر كبير فكيف يدّعي حسد أم المؤمنين عائشة لعلي على تقديم الرسول ﷺ لعلي في بعض المواطن على أبيها رضي الله عن الجميع .

وأي بغض بين عائشة وخديجة رضي الله عنهما وهل الغيرة دليل على البغض فأين الدليل على البغض فهذا كله كذب ومحض افتراء .

---

(١) انظر : الجمل المفيدة ، ص ٢٢٠، وكشف الغمة للأربلي ١/٣٤٢ .

والصاعقة في نسف أباطيل وافتراءات الشيعة على أم المؤمنين عائشة ، لعبد القادر عطا صوفي ، ص ١٦٥-١٦٦.

أما حادثة الإفك وما حصل من علي رضي الله عنه للرسول ﷺ فهي كما سيأتي وليست كما يزعم بعض المعاصرين(١).

فقد روى البخاري أن رسول الله – لما كان ما هو معروف من حادث الإفك(٢)– دعا عليَّ بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبث الوحي(٣) يستأمرهما في فراق أهله . قالت عائشة : فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله ، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود فقال : يا رسول الله ، أهلك ، وما نعلم إلا خيراً . وأما عليٌّ فقال : يا رسول الله ، لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك .

قالت : فدعا رسول الله ﷺ بريرة(٤)، فقال: أي بريرة ، هل رأيت من شيءٍ يريبك ، قالت : لا والذي بعثك بالحق ، إن رأيت عليها أمراً أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله . فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذٍ من عبد الله بن أبي بن سلول ...(٥).

قال ابن حجر : " هذا الكلام الذي قاله عليّ إنما حمله عليه ترجيح جانب النبي ﷺ لما رأى عنده من القلق بسبب القول الذي قيل ، وكان شديد الغيرة فرأى عليّ في بادي الأمر أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها فيمكن رجعتها ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما"(٦).

---

(١) مثل زاهية قدورة في عائشة أم المؤمنين ، ص ١٧٣ حيث قالت : (كانت عائشة تحمل لعلي ضغناً وكرهاً منذ حادثة الإفك) .

(٢) فتح الباري ٥٧٨/٨.

(٣) استلبث الوحي : أي طال لبث نزوله . انظر : شرح صحيح مسلم للنووي ٦٣٤/٥.

(٤) بريرة : كانت بريرة مولاة لقوم من الأنصار ، فاشترتها عائشة فأعتقتها وكانت تخدم عائشة قبل أن تشتريها وقصتها في الصحيحين .

انظر : الإصابة ٥٠/٨ .

(٥) رواه البخاري ومسلم وسبق تخريجه ص ١٦٦-١٦٩ .

(٦) فتح الباري ٣٢٤/٨ .

وقال النووي :" هذا الذي قاله عليّ ﷺ هو الصواب في حقه لأنه رآه مصلحة ونصيحة للنبي ﷺ في اعتقاده و لم يكن ذلك في نفس الأمر لأنه رأى انزعاج النبي ﷺ بهذا الأمر وتقلّقه فأراد راحة خاطره وكان ذلك أهم من غيره "[١].

فهو موقف طبيعي جداً من قريب للزوج إذ أن مشاعره تكون متعلقة براحة رسول الله ورغبته في ألا يرى ما به من قلق وضيق على أن علياً ﷺ لم ينل عائشة ﷺ بأدنى كلمة يفهم منها أنه قد عرَّض بأخلاقها أو تناولها بسوء ، فإنه على الرغم من قوله لرسول الله ﷺ (لم يضيق الله عليك ...) إلا أنه عاد فقال لرسول الله ﷺ ناصحاً : (وسل الجارية تصدقك) فهو قد عاد إلى التحري أولاً قبل أن يفارقها . أي أنه قد رجع عن نصيحته الأولى بالمفارقة إلى نصيحة أخرى بسؤال الجارية وتحري الحقيقة .

وهذا المعنى منصوصاً عليه في قول الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة[٢]، قال :" لم يجزم عليّ بالإشارة بفراقها ؛ لأنه عقب ذلك بقوله : (وسئل الجارية تصدقك) ففوض الأمر في ذلك إلى نظر النبي ﷺ ، فكأنه قال : إن أردت تعجيل الراحة ففارقها ، وإن أردت خلاف ذلك فابحث عن حقيقة الأمر إلى أن تطّلع على براءتها ؛ لأنه كان يتحقق أن الجارية لا تخبر إلا بما علمته ، وهي لم تعلم من عائشة إلا البراءة المحضة "[٣].

أضف إلى ذلك أن أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق كانت تنكر أي عداوة بينها وبين أمير المؤمنين علي ﷺ في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها حيث قالت : (وإنه عندي على معتبتي من الأخيار) فأجابها - رضي الله عنه- أمام الناس — وهو الصادق فيما يقول — : (يا أيها الناس صدقت والله وبرتْ ، ما كان بيني وبينها إلا ذلك ،إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة)[٤] .

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ١٧/١٦٢-١٦٣.

(٢) أبو محمد بن أبي جمرة : الشيخ الإمام المعمر ، مُسند المغرب ، أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الملك بن موسى بن عبد الملك بن وليد الأموي مولاهم الأندلسي المرسي ، قال ابن الأبار في التكملة : عني بالرأي وحفظه وولي خطة الشوري ، وهو ابن نيف وعشرين سنة وذلك سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وتقلد قضاء مرسية وشاطبة مرات ، وكان بصيراً بمذهب مالك ...حسن البيان عدلاً جزلاً عريقاً في النباهة والوجاهة . مات بمرسية سنة ٥٩٩هـ عن نيف وثمانين سنة .

انظر الترجمة الحافلة له عند ابن الأبار في التكملة ٢/٥٦١، ٥٦٦ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي :٢١/٣٩٨ .

(٣) انظر : فتح الباري ٨/٣٢٤ .

(٤) تاريخ الطبري ٥/٢٢٥ .

هذا على لسان أمير المؤمنين بنفسه فأي كلام بعد هذا ولم لا يقفون عند قول أمير المؤمنين ﷺ بل افتروا قصصاً وخرافات فيها سفاهات وإساءات إلى خير البريات ﷺ.

أما السبب الأخير هذا فلا يشك عاقل في كونه مكذوباً بمجرد قراءته وفيه طعن في أخلاق النبي ﷺ وغيرته وحيائه ، وكتبهم مليئة بأمثاله : فقد روى سليم بن قيس عن عليّ ﷺ أنه أخبر الناس بأفضل منقبة له .

تأملوا : أفضل منقبة له ، فقال : "... وسافرت مع رسول الله ليس له خادم غيري ، وكان له لحاف ليس له لحاف غيره ، ومعه عائشة ، وكان رسول الله ينام بيني وبين عائشة ليس علينا ثلاثتنا لحاف غيره ، فإذا قام إلى صلاة الليل يحط بيده اللحاف من وسطه بيني وبين عائشة حتى يمس اللحاف الفراش الذي تحتنا ..."(١).

وهذا يحصل مع أحدهم أما مع رسول الله ﷺ فلا ثم لا ثم لا ثم لا والجهلة الحمقى يظنون أن هذا مدحاً لعلي ﷺ ، والله لو أنطق الله الحيوان البهيم ، لقال لهم كذبتم وفجرتم وجرتم على أمير المؤمنين قبل أن تسيئوا إلى رسول الله ﷺ وأم المؤمنين ولا نطيل في هذه النقطة ليتسع المقام لإيراد صور ذكرها الشيعة نتيجة على هذه العداوة على حد زعمهم.

فذكروا صوراً عجيبة لهذه العداوة نورد منها أربعة مظاهر :

١- أنها ﷺ كرهت ذكر اسمه وكَنَّتْ عنه بقولها رجل.

٢- منعها من دخول عليّ على رسول الله ﷺ حين دعا ربه بأن يأتيه بأحب الخلق إليه .

٣- أنها كانت تمهد بالخلافة لأبي بكر ﷺ .

٤- أنها كانت تنكر القول بالوصية .

إلى غير ذلك من الصور التي أفرزتها الأيام والسنون وذلك للعداوة والبغضاء الكامن في النفس سابقاً وبدأت صوره تترا خصوصاً أيام الفتنة على حد زعمهم .

وسيأتي مناقشة بقية هذه الصور في ثنايا البحث والرد عليها ، ولكن في هذا المبحث نورد الأربعة صور السابقة الذكر ونتعقبها بالرد أولاً بأول .

---

(١) السقيفة لسليم بن قيس الكوفي الهلالي العامري ، ص ٢٤ ، دار الفنون ، لبنان ١٤٠٠هـ ، والاحتجاج لأحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي ، ص ١٥٩ ، مطبعة سعيد ، إيران ، تعليق : محمد باقر الموسوي ١٤٠٣هـ .

١- أنها رضي الله عنها كرهت تسميته وكنَّت عنه بقولها رجل[1] ، وورود عبارة (عائشة لا تطيب نفساً لعليّ بخير) وهذه العبارة أوردها الحافظ ابن حجر في أثناء شرحه للحديث المخرج في البخاري وقصتها هي أن عائشة رضي الله عنها قالت : (لما ثقل النبي ﷺ واشتد وجعه استأذن أزواجه أن يمرّض في بيتي فأذن له . فخرج بين رجلين تخط رجلاه الأرض وكان بين العباس ورجل آخر) . قال عبيد الله : فذكرت لابن عباس ما قالت عائشة ، فقال لي : (وهل تدري من الرجل الذي لم تسمِّ عائشة ، قلت لا ، قال : هو علي بن أبي طالب)[2].

حتى هاهنا فإن الرواية تبدو عادية غير أن ابن حجر في شرحه لها قال : زاد الإسماعيلي[3] من رواية عبد الرزاق[4] عن معمر[5] (ولكن عائشة لا تطيب نفساً لعليّ بخير)، ولابن إسحاق في المغازي عن الزهري (ولكنها لا تقدر على أن تذكره بخير) [6].

والواقع أنني كدت اتجه بالريبة إلى معمر بن راشد لما وجدت يحيى القطان قد قال فيه :" إذ إنه قد نُهي عن الكتابة عن معمر ، إذ روى – كما قال القطان – عمن لا يعرف لأنه كان لا يبالي عمن روى "[7]، غير أنني قد راجعت الجامع الصحيح للإمام مسلم فوجدت رواية عبد الرزاق عن معمر عنده ، وهي : عن معمر عن

---

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس ، ص ٢٢٦ ، مطبعة الخيام ، إيران ١٤٠٠هـ ، والجمل للمفيد ، ص ٨٢-٨٤ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الأذان – باب حد المريض أن يشهد الجماعة ١٧٨/٢ ، حديث (٦٦٥) .

(٣) الإسماعيلي هو : الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن إسماعيل بن مهران النيسابوري المعروف بالإسماعيلي . قال الحاكم : هو أركان العلم في نيسابور . وقال الذهبي : جمع حديث الزهري وجوّده .
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ١١٧/١٤ .

(٤) عبد الرزاق : هو عبد الرزاق بن همام الصنعاني عالم اليمن ، قال ابن المديني : كان عبد الرزاق أعلمنا وأحفظنا . انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٦٣/٩ . والتاريخ الكبير للبخاري ١٣٠/٦ . وميزان الاعتدال للذهبي ٦٠٩/٢ . وتهذيب التهذيب لابن حجر ٣١٠/٦ .

(٥) هو معمر بن راشد الأزدي نزيل اليمن الإمام الحافظ شيخ الإسلام كان من أوعية العلم مع الصدق والورع .
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ٥/٧ . التاريخ الكبير للبخاري ٣٧٨/٧ . وميزان الاعتدال للذهبي ١٥٤/٤ . وتهذيب التهذيب لابن حجر ٢٤٣/١٠ .

(٦) فتح الباري ١٨٣/٢ .

(٧) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي ، ص ٤١٨ ، تحقيق : محمد عجاج الخطيب، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ .

الزهري ، ووجدته لم يذكر هذه الجملة التي ذكرها ابن حجر (ولكن عائشة لا تطيب نفساً لعليّ بخير)[1]، بل هناك طريق آخر لتلك الرواية عن الزهري أيضاً لم تعرض لهذا المعنى [2]، ولعلهما الروايتان اللتان ذكر ابن حجر مجيء هاتين العبارتين فيهما ، غير أنه ذكرهما من طريقي الإسماعيلي وابن إسحاق.

فلو صح قول ابن حجر – وأظنه صحيحاً – فإنه يبدو أن مسلماً أنكر هاتين العبارتين و لم يصحا عنده فلم يذكرهما عند تخريجه للروايتين وهو ما يعني أن هذا المعنى قد جاء إما من عند الإسماعيلي أو من عند ابن إسحاق ، والاعتقاد الأقوى أنه من عند ابن إسحاق حيث إنه هو المتقدم وفاةً على الإسماعيلي[3]، وهو اعتقاد يتأكد إذا ما عرفنا أن الذهبي قال عن الإسماعيلي :" إنه جمع حديث الزهري "[4]، ويتأكد كذلك بكون الرواية " عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري"[5].

وهذا القول الذي يروى عن ابن إسحاق رواه عن الزهري أيضاً . ولعل التغيير في صيغة العبارة لدى كل منهما يقوي الظن بأنها عبارة زادها من زادها فهماً وتفسيراً من عنده هو ، ودخلت في الحديث المنسوب إلى أم المؤمنين عائشة ، بينما هي ليست من متن الحديث المروي عن ابن عباس .

فإذا كان الأمر كذلك ، فإن هذه الجملة – حسب ما تيسر لي من بحث – إنما تعود إلى ابن إسحاق ، وربما انفرد بها ، والواقع أن ابن إسحاق فيما انفرد به لا يتابع ، على رأي المحققين الذين تعرضوا له جرحاً وتعديلاً ، وبالتالي تصبح هاتان العبارتان ، أو قل : العبارة الواحدة بصيغتها ، بلا معنى بالنسبة لنا .

لقد قيلت العبارتان تعليقاً على عدم تعيين عائشة لاسم الرجل الثاني الذي خرج رسول الله متكئاً عليه مع العباس ، وهو ما جعل الغلاة يستدلون بها على كراهية

---

(١) صحيح مسلم – كتاب الصلاة – باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر ٣١٢/١ ، حديث (٤١٨).

(٢) المصدر السابق .

(٣) توفي ابن إسحاق سنة ٢١٥هـ والإسماعيلي سنة ٢٩٥هـ .

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ١١٧/١٤ .

(٥) صحيح مسلم ٣١٢/١ .

عائشة رضي الله عنها الشديدة لعليّ رضي الله عنه ، الأمر الذي يجعلنا نشير بإصبع الاتهام إلى وضع الغلاة لهذه العبارة .

والواقع أنني راجعت هذه الرواية المفصلة عند مسلم فوجدتها أكثر وضوحاً ، ووجدت فيها : (قال عبيد الله : فدخلت على عبد الله بن عباس فقلت له : ألا أعرض عليك ما حدثتني عائشة عن مرض رسول الله ، قال : هات . فعرضت حديثها عليه فما أنكر منه شيئاً . غير أنه قال : أسمّت لك الرجل الذي كان مع العباس ، قلت : لا . قال : هو علي[1].

فالرواية كما يتضح لنا قد عبرت عن موقف عبد الله بن عباس رضي الله عنه بالاستثناء المنقطع : (فما أنكر منه شيئاً ، غير أنه قال ...) وهذا النوع من الاستثناء يفيد أن الجملة بعد أداة الاستثناء جملة جديدة ، لها الصدارة ، فهي جملة مستدركة ، تضيف معنى لم يكن في الجملة قبلها[2]. فعدم إنكار ابن عباس لما سمع أمرٌ لا صلة له بالجملة الجديدة .

ولا تتبين لنا حقيقة عدم تعيينها رضي الله عنها للرجل الثاني إلا بأن نستمع إلى قول النووي في ذلك ، قال :" فسّرَ ابن عباس الرجل الثاني بعليّ بن أبي طالب ، وفي الطريق الآخر – وهو عند مسلم أيضاً – فخرج ويدٌ له على الفضل بن عباس، ويدُله على رجل آخر ، وجاء في غير مسلم : بين رجلين أحدهما أسامة بن زيد ، وطريق الجمع بين هذا كله أنهم كانوا يتناوبون الأخذ بيده الكريمة ، وكان العباس رضي الله عنه أكثرهم ملازمة للأخذ بيده المباركة ، أو أنه أدام الأخذ بيده وإنما تناوب الباقون في اليد الأخرى ، ولهذا ذكرته عائشة رضي الله عنها مُسمى ، وأبهمت الرجل الآخر ، إذ لم يكن أحد الثلاثة الباقين ملازماً في جميع الطريق ، ولا معظمه بخلاف العباس "[3].

وكيف كان من الممكن أن تُبهِم هذا الإبهام ، وهي تعلم أن كل ما يقال إنما يعرض على فقهاء الناس وعلمائهم ، ويتناولونه بالتحري والنظر والمراجعة ، كما حدث

---

(١) صحيح مسلم ٣١٢/١ .

(٢) انظر : النحو الوافي لعباس حسن ٣٣٣/٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨١م .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٨١/٤-١٨٢ بتصرف .

هنا من معارضة ابن عباس لعبيد الله بن عبد الله ؟ وحاشاها ﷺ أن يكون وازعها هو مراجعة المراجعين ، وحسب ، ومعاذ الله أن نقول كما قالت الرافضة في إبهام عائشة ﷺ ، فيما روت لأجل ما كان بينها وبين عليّ ﷺ فما كانت عائشة بالتي تستخفها الخصومة إلى أن تتنقص عليّاً ، فإنها شهدت له بالفضل التام ، مع ما بينهما من خلاف في الرأي .

وأعود فأقول : لا أعرف كيف انطلت هاتان العبارتان على ابن حجر ، حيث ظن أن هاتين العبارتين مما يجوز على عائشة ﷺ[1] ؟ ولو قد قبلنا بجواز ذلك عليها فمن أين لنا بالثقة فيما روته لنا من الأحكام والتشريعات التي قيل إنها ربما بلغت ربع الأحكام الشرعية، وقد ذكر هذا القول ابن حجر نفسه ، بل وأين القول العريض الذي قاله رحمه الله في عدالة الصحابة[2]، وقد كانت عائشة على القمة العالية منهم ﷺ جميعاً وأرضاهم- [3].

ونعود إلى اللفظة التي قالها عنها في عدم طيب نفسها أن تذكر عليّاً بخير ، فنجد ما يناقضها فيما رواه مسلم في صحيحه عن شريح بن هانئ[4]، قال : أتيت عائشة أسألها عن المسح على الخفين ، فقالت : عليك بابن أبي طالب فسله ؛ فإنه كان يسافر مع رسول الله ، وفي رواية : ائت عليّاً ؛ فإنه أعلم بذلك مني ... الحديث[5].

---

(١) أقول ذلك لأن ابن حجر بعد إيراده للزيادة في متن الحديث ، والتي عرضنا لها في المتن ، قال : " وفي هذا – أي الزيادة المذكورة – رد على من تنطع " ، فقال : " لا يجوز أن يظن ذلك بعائشة ، ورد على من زعم أنها أبهمت الثاني ، لكونه لم يتعين في جميع المسافة ". ابن حجر : فتح الباري ١٨٣/٢.

(٢) راجع ما قاله ابن حجر في عدالتهم ، وذلك في مقدمته لكتابه : الإصابة.

(٣) لو جاء هذا الكلام على غير لسان ابن حجر ، لما كان لإيراده كبير فائدة ، فلابن حجر في حياتنا العلمية مكان رفيع، ومكانة عالية .

(٤) شريح بن هانئ : أبو المقدام الحارثي ، الكوفي ، الفقيه ، الرجل الصالح ، صاحب عليّ ﷺ حدّث عن علي وعائشة وعمر وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة ، شهد التحكيم ، ووفد على معاوية شافعاً في كثير بن شهاب ، فأطلقه له .
سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠٧/٤ ، وخلاصة تهذيب الكمال لصفي الدين أحمد بن عبد الله المزي الخزرجي الأنصاري ٣٣٠/٤ ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ .

(٥) رواه مسلم – كتاب الطهارة – باب التوقيت في المسح على الخفين ٢٣٢/١ ، حديث (٢٧٦) .

كانت عائشة تعلم الحكم ، غير أنها كانت ترى علياً أثبت في هذا الأمر لكثرة سفره مع رسول الله ﷺ فمن أين جاء قول القائل : (لكن عائشة لا تطيب نفساً لعليّ بخير "؟

ثم يقال لهؤلاء الروافض كيف أخذتم ببعض الحديث وتركتم بعض وهو مخرج في الصحيح فكيف أنكرتم إمامة أبي بكر وصلاته بالناس ، ثم استدللتم على كراهية عائشة لعليّ فقط : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ [سورة البقرة ، آية :٨٥]

٢- الصورة الثانية (من صور العداء المزعومة) :

زعمهم منع عليّ رضي الله عنه من الدخول على رسول الله ﷺ وذلك ليأكل معه من الطائر المشوي .

فقد أسند الطبرسي في كتابه (الاحتجاج) – زوراً وبهتاناً – إلى جعفر الصادق يرفعه إلى آبائه أن رسول الله ﷺ جاع ، فطلب من الله فجاءه جبرائيل عليه السلام بطير، فقال النبي ﷺ : اللهم يسر عبداً يحبك ويحبني يأكل معي . فلم يأت أحدٌ ، فقال الثانية : اللهم يسّر عبداً يحبك ويحبني وأحبه ، فسمع صوت عليّ ، فقال لعائشة أدخليه ... ثم سأله رسول الله : أخبرني ما أبطأك عني ؟ فقال : طرقتُ الباب مرّة ، فقالت عائشة : نائم ، فانصرفت ، وطرقت ثانية ، فقالت : على الحاجة ، فرجعت، وجئت فطرقته ثالثة عنيفاً ، فسمعتك يا رسول الله وأنت تقول لها : أدخلي علياً ... فكلمها رسول الله، فقال : اشتهيت أن يكون أبي ، فقال لها : ما هذا بأول ضغن بينك وبينه ، لتقاتلينه وإنه لك خير منك له ، ولينذرنك بما يكون الفراق بيني وبينك في الآخرة[1].

---

(١) الاحتجاج ، للطبرسي ، ص ١٩٧-١٩٨ ، وينظر الصراط المستقيم للبياضي ١/١٩٥-١٩٦ . هذه الكتب نسبت الرواية وأحداث القصة إلى أم المؤمنين عائشة . والصاعقة في نسف أباطيل وافتراءات الشيعة على أم المؤمنين عائشة لعبد القادر صوفي ، ص ١٦٩-١٧٠ .

الرد على هذه الصورة :

أولاً: نقد القصة دراية :

في هذه القصة أول مرة يجوع النبي ﷺ ويطلب من الله تعالى ويأتيه جبريل بهذا الطائر المشوي .

ويتضح من حَبْك وسبك الرواية في الدعاء في المرة الثانية ثم كيف يأتي عليّ في المرة الأولى ويعرف أنه ﷺ نائم فيرجع مباشرة ويطرق الباب .

وإلاَّ : المعقول أنه لما عرف أنه نائم رجع فترة ثم جاء ، فهل في هذه الفترة لم يأكل النبي ﷺ (كل هذه الفترة يقعد النبي ﷺ ينتظر) .

ثم كيف يطرق باب النبي ﷺ طرقاً عنيفاً أترونه أعربياً جَلفاً لا يعرف لرسول الله حقوقاً .

ثم لم يكن هذا أسلوب كلام رسول الله ﷺ مع أم المؤمنين عائشة .

فالقصة اختلاقها وكذبها لا يخفى إلا على من أعمى الله بصيرته من أمثالهم .

ثانياً : نقد القصة رواية :

هذه القصة بالإضافة إلى أنها مكذوبة ومختلقة ، فإنها تخالف المشهور عندهم في حديث الطائر ، فهم أنفسهم لا يروونه عن عائشة بل جمهور الشيعة يسندونه إلى أئمتهم أن الذي منع علياً من الدخول هو أنس بن مالك رضي الله عنه وأرضاه وحاشاه ، وليس عائشة رضي الله عنها وذلك لرغبته أن يكون رجلاً من الأنصار(1).

(1) ينظر في ذلك في الفصول المختارة من العيون والمحاسن للمفيد ، ص ٦٥ دار الأضواء ، بيروت – لبنان ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ ، ورسالة في تحقيق خبر الطائر للمفيد ، ص ٣٦-٣٧ ، مكتبة دار الكتب التجارية ، العراق ، والخصال ، للصدوق ٥٨٠/١٢ ، مكتبة الصدوق ، طهران – إيران ١٣٨٩هـ ، والأمالي ، للصدوق ، ص ٦٥٥-٦٥٦ ، وتجريد الاعتقاد ، لنصر الدين الطوسي ، ص ٤١٩ ، وكشف الغمة للأربلي ١٥٦/١ ، وكشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد لابن المطهر الحلي ، ص ٤١٩-٤٢٠ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ، ومنهاج الكرامة له ، ص ١٧١ ، والكشكول لحيدر الآملي ، ص ١٧٠، وعقائد الإمامية الاثني عشرية لإبراهيم الموسوي الزنجاني ١٤٢/٣ ، مؤسسة الوفاء ، بيروت – لبنان ١٤٠٢هـ ، وعلي مع القرآن والقرآن مع علي لمحمد رضا الحكيمي، ص ١٥٥ ، مؤسسة الوفاء ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

وقصة منع أنس من الدخول ليأكل معه الطائر من القصص المكذوبة التي ملأ الشيعة بها كتبهم في محاولة منهم لتشويه صورة الصحابة وخصوصاً أنس بن مالك الصحابي الجليل رضي الله عنه.

وللحديث طرق كثيرة لا يصح منها شيء. وأجمع أهل السنة على أن طرقه كلها ضعيفة.

ضعفه العقيلي(١)، والبزار(٢)، وأبو بكر بن أبي داود(٣)، وأبو يعلى الحنبلي(٤)، ومحمد بن طاهر المقدسي(٥) ، ومحمد بن ناصر السلمي(٦)، وابن الجوزي(٧) ، وابن تيمية(٨)، والذهبي(٩)، وابن كثير(١٠)، وابن حجر(١١)، والدميري(١٢)، والشوكاني(١٣)، والألباني(١٤) وغيرهم .

ونقل الذهبي في ترجمة الحاكم من سير أعلام النبلاء رد العلماء على عبد الله الحاكم في تصحيحه لحديث الطائر(١٥).

---

(١) انظر: الضعفاء للعقيلي ٤٦/١ .

(٢)انظر: المصدر السابق .

(٣)انظر: سير أعلام النبلاء ٢٣٢/١٣ .

(٤)انظر:الإرشاد لأبي يعلى ق ٨٢ .

(٥)انظر: العلل المتناهية لابن الجوزي ٢٣٣/١ .

(٦)انظر: المنتظم ، لابن الجوزي ٢٧٥/٧ .

(٧)انظر: العلل المتناهية لابن الجوزي ٢٣٣/١ .

(٨)انظر: منهاج السنة النبوية ٣٧١/٧-٣٧٥ .

(٩)انظر: تلخيص المستدرك ١٣٠/٣-١٣١ ، وفي السير ٢٣٣/١٣ .

(١٠)انظر:البداية والنهاية ٣٥١/٧-٣٥٤ .

(١١)انظر:لسان الميزان ٣٣٦/٣ .

(١٢)انظر:حياة الحيوان للدميري ٢٤٠/٢ دار الفكر ، بيروت – لبنان .

(١٣)انظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة لمحمد بن علي الشوكاني ، ص ٣٨٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ .

(١٤)انظر: في تعليقه على مشكاة المصابيح ٢٤٥/٣.

والحديث رواه الترمذي في سننه كتاب المناقب – باب ٢١ ، ٥٩٥/٥ ، حديث (٣٧٢١) وقال : هذا الحديث غريب .

ورواه الحاكم في المستدرك ١٤١/٣ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

(١٥)انظر:سير أعلام النبلاء ١٧٥/١٧-١٧٦ .

وينظر أجوبة الحافظ ابن حجر على أحاديث وقعت في المصابيح ٣١٣/٣-٣١٤.

وقال الحافظ بن حجر :" هو خبر منكر "(١).

وقال ابن تيمية :" إن حديث الطائر من المكذوبات الموضوعات عند أهل العلم بحقائق النقل "(٢).

فهذا حال الخبر عن أنس فكيف بحاله عن عائشة ومن أدخل أم المؤمنين في القصة إلا هؤلاء الذين هم شر من اليهود والنصارى .

٣- الصورة الثالثة (من صور العداء المزعومة) :

زعمهم اتهام علي لعائشة بالتمهيد لخلافة أبي بكر - رضي الله عنهم- : ما ذكروه من دعوى أن علياً رضي الله عنه قد اتهم عائشة بأنها هي التي دبرت أمر إمامة أبي بكر للصلاة في مرض الرسول ﷺ وذلك لأمرها لبلال ، مولى أبيها (تأمل الحرص على القول بهذه الموالاة لإثبات التآمر) أن يأمر أباها فليصل بالناس(٣). فإن هذه الرواية التي اعتمدوا عليها لابن أبي الحديد(٤) لا يسقطها كونها من عند ابن أبي الحديد ، أو أنه لم تصح رواية واحدة تذكر هذه التهم من عليّ لعائشة وحسب ، وإنما — وهذا هو الأهم — أن هناك روايات أخرى تناقضها تماماً جاءت عند البخاري ومسلم وفيها محاولات عائشة رضي الله عنها الجادة لصرف الخلافة عن أبي بكر رضي الله عنه .

ففي إحدى الروايات : أن عائشة رضي الله عنها قال : (يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقم مقامك لا يُسمع الناس) ، وقالت مرة : (لقد راجعتُ النبي ﷺ في ذلك ، وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً)(٥).

---

(١) لسان الميزان ٣/٣٣٦ .

(٢) منهاج السنة النبوية ٧/٣٧١ .

(٣) انظر : عبقرية الإمام للعقاد ، ص ١٠٦ . وأم المؤمنين عائشة لزاهية قدورة ، ص ١٨٠-١٨١ .

(٤) نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/٤٥٩ .

(٥) لقد فهمت عائشة كما فهم أبو بكر رضي الله عنهما أن الإمامة الصغرى التي أمر بها الرسول ، هي الطريق إلى الإمامة العظمى، وعلم ما في تحملها من الخطر ، فأراد أن يصرفها عن نفسه ، ولو فهما من الأمر النبوي بإمامة الصلاة مجرد الإمامة الصغرى لما كان هناك مدعاة لكل المحاولات التي حاولاها رضي الله عنهما ليصرف الإمامة عن أبي بكر. ويدل على هذا القول بأنهم فهموا أن الإمامة الصغرى هي الطريق إلى الإمامة العظمى أن الصحابة رضي الله عنهم لما أرادوا مبايعة أبي بكر وكانت أقوى حيثياتهم هي أن الرسول ﷺ قد استخلفه على الصلاة، وهي أعظم مظاهر الدين ، فكيف لا يختارونه لدنياهم؟!.

وإلا أني كنت أرى أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به ، فأرادت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر (وفي مرة ثالثة طلبت من حفصة أن تكرر عليه الطلب ، فأصر رسول الله ﷺ قائلاً : (إنكن صواحب يوسف)[1].

فهذه الروايات الصحيحة جميعاً تكشف زيف رواية ابن أبي الحديد ، وتدفع – في الوقت نفسه – عن عائشة دعوى تمهيدها لخلافة أبيها .

والقول برفض عليّ وفاطمة لخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه قول لا صحة له إلا عند الشيعة ، والصحيح الذي لا يختلف فيه علماء المسلمين هو أن عليّاً رضي الله عنه قد بادر إلى بيعة أبي بكر الصديق[2]، وكان يرى أبا بكر خير المسلمين بعد رسول الله ﷺ [3] .

ويدل على ذلك أيضاً الآثار من شهوده معه الصلوات ، وخروجه معه إلى ذي القصة[4] بعد موت رسول الله ﷺ [5] ، وقوله لأبي بكر لما همَّ بالخروج مع الجيوش لقتال المرتدين آخذاً بزمام راحلة أبي بكر : (إلى أين يا خليفة رسول الله ؟ أقول لك ما قال رسول الله يوم أحد : لُمَّ سيفك ، ولا تفجعنا بنفسك ، فو الله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبداً)[6]، هذا مع بذله له النصيحة والمشورة بين يديه طيلة خلافته .

---

(١) انظر هذه الروايات في :

صحيح البخاري مع الفتح كتاب الأذان – باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة ١٩٢/٢-١٩٣ ، حديث (٦٧٩).

مسلم – كتاب الصلاة – باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر ٣١٣/١-٣١٤ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٣٠٦/٦ ، وفيها اتفاق الصحابة رضي الله عنهم على بيعة الصديق ، حتى من عليّ بن أبي طالب ، وانظر لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة للجويني ص ١١٥ ، وفيها قوله : " إن المسلمين أجمعوا على إمامة أبي بكر رضي الله عنه وانقادوا – بأجمعهم – له غير مخالفة ".

(٣) وذلك لما رواه البيهقي ، عن الشعبي عن أبي وائل ، قال : قيل لعلي بن أبي طالب : ألا تستخلف علينا ، فقال : (ما استخلف رسول الله ﷺفأستخلف ، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم ، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم).

انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢٢٠/٥ ، وقد قال في هذا الحديث : إسناده جيد و لم يخرجوه.

(٤) ذي قصة : مكان على مرحلة من المدينة .

انظر معجم البلدان ٣٦٦/٤ ، ولسان العرب ٧٨/٧

(٥) وفي قصة المسير إليها حين عقد أبو بكر ألوية الأمراء الأحد عشر لحرب الردة ، انظر : ابن كثير : البداية ٣١٩/٦.

(٦)البداية والنهاية لابن كثير ٣١٩/٦ .

وأما أن تكون فاطمة رضي الله عنها رافضة لهذه الخلافة ، فهو أيضاً من إدعاءات الشيعة على فاطمة رضي الله عنها ، حيث زعموا أنها كانت تناضل في سبيل عليّ ، وتجادل في خلافة أبي بكر[1]؛ فلم يصح عنها في ذلك رواية واحدة صحيحة حسبما أعلم .

٤- الصورة الرابعة : زعمهم إخفاء عائشة القول بالوصية لعلي رضي الله عنهما :

وقالوا : كان عليّ وأنصاره يذيعون أن النبي أوصى لعليّ ، فكانت عائشة ترد بنفي هذه الوصية ، وفي زعمهم أن عليّاً حقد على عائشة أنها كانت تنفي أن يكون الرسول قد أوصى لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة[2] — وهو نفي صحيح منها رضي الله عنها، جاءت بالرواية الصحيحة — فقد روى البخاري أنه ذُكر عند عائشة أن النبي ﷺ أوصى إلى عليّ فقالت : من قاله ؟ لقد رأيت النبي ﷺ وإني لمسندته إلى صدري فدعا بالطست فانخنث فمات فما شعرت ، فكيف أوصى إلى علي ؟[3] فهذا الحديث أبلغ رد على دعوى هذا الحقد المتبادل بينهما ، لأجل رفضها لهذا القول المزعوم بالوصية هو عليّاً رضي الله عنه قد رفض القول بالوصية رفضاً جازماً[4].

والقول بالوصية على كل حال هو قول رافضي خالص ، لا يعترف به علماء السنة، ولا يستند على دليل تاريخي صحيح ولقد ناقش ابن كثير هذه الفكرة ورد عليها رداً علمياً فقال :" ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة فإنهم كانوا أطوع لله ورسوله في حياته ، وبعد وفاته من أن يفتئتوا عليه فيقدموا غير من قدمه ويؤخروا من قدمه بنصه .. ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد

---

(١) عائشة أم المؤمنين لقدورة ، ص ١٨٠ ، وقد اعتمدت على شرح نهج البلاغة ٤٥٩/٢ . الصديق أبو بكر لمحمد حسنين هيكل ، ص ٧٤ . الإمامة والسياسة ، ص ١٢ .

وانظر في هذه الدعوى وردها ، للأستاذ الدكتور إبراهيم علي شعوط : أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ، ص ١٠٠ ، ١١٦.

(٢) عائشة أم المؤمنين لقدورة ، ص ١٨١ .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح — كتاب المغازي — باب مرض النبي ﷺ ووفاته ٧٥٥/٧ ، حديث (٤٤٥٩) .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ٢٢١/٥.

نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول ، ومضادتهم له في حكمه، ونصه ، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام ، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام ... ثم لو كان مع عليّ رضي الله عنه نص فلم يحتج به علي الصحابة على إثبات إمارته عليهم ، وإمامته لهم ، فإن كان لم يقدر على تنفيذ ما معه من النص فهو عاجز ، والعاجز لا يصلح للإمارة ، وإن كان يقدر و لم يفعله فهو خائن، والخائن الفاسق مسلوب معزول عن الإمارة وإن لم يعلم بوجود النص فهو جاهل. ثم وقد عرفه — كما تزعم رواياتهم — وعلمه من بعده هذا محال ، وافتراء وجهل وضلال وإنما يحسن هذا في أذهان الجهلة ... يزينه لهم الشيطان بلا دليل ولا برهان"[1] .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢٢١/٥.

الفصل الثاني

الشبه والطعون المشتركة بين عائشة وباقي أمهات المؤمنين

- رضي الله عنهن - .

وفيه خمسة مباحث ، هي :

- **المبحث الأول : إطلاق ألقاب السوء عليهن - رضي الله عنهن - .**
- **المبحث الثاني : زعمهم سوء أدبهن - رضي الله عنهن - مع النبي ﷺ.**
- **المبحث الثالث : دعواهم أن أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - لسن من أهل بيت النبي ﷺ.**
- **المبحث الرابع : دعواهم أن الشرط المذكور في القرآن في حق أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - يدل على النقص .**
- **المبحث الخامس : دعواهم أن عصمتهن بعد وفاة النبي ﷺ بيد علي رضي الله عنه.**

الفصل الثاني

الشبه والطعون المشتركة بين عائشة وباقي أمهات المؤمنين- رضي الله عنهن - .

المبحث الأول : إطلاق ألقاب السوء عليهن - رضي الله عنهن - :

والذين أطلقوا ألقاب السوء عليهن — رضي الله عنهن — هم الشيعة وكل إناء بما فيه ينضح . فأطلقوا عليهن :

السراري : جمع سرية وهي الأمة .

والحشايا : جمع حشية وهي الفرش المحشوة بغيره[1].

فأما اللقب الأول (سراري) وممن أطلق هذا اللقب المرتضى العسكري حين وصف عائشة رضي الله عنها بأنها سرية من سراري النبي ﷺ [2] .

ويقصد به زوجات النبي ﷺ.

وأما لقب (حشايا) فقد جاءت في أكثر كتب الشيعة ضمن قصة مناظرة بين عبدالله بن عباس وعائشة - رضي الله عنهم- وفيها أن ابن عباس قال : يخاطب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : (.. وما أنت إلا حشية من تسع حشايا خلفهن بعده ، لست بأبيضهن لوناً ولا بأحسنهن وجهاً ولا بأرشحهن عرقاً ولا بأنضرهن ورقاً ولا بأطرئهن أصلاً ....)[3].

نقد القصة والرد على الشبهة :

١- هذه القصة والرواية كغيرها من الروايات التي يستدل الشيعة بها وفيها ما فيها من مخالفة الواقع والمشهور ومغايرة الحقائق الساطعة من الأمور فهذه القصة موضوعة ومكذوبة على ترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وذلك لأن عمدة أسانيدها

---

(١) انظر : الصحاح للجوهري ١٣١٤/٦ . ولسان العرب ١٧٩/١٤-١٨٠ . .

(٢) انظر :حديث الإفك لجعفر مرتضى الحسيني العسكري ، ص ١٧، مؤسسة بيادر للطباعة ، ودار التعارف ، لبنان ١٤٠٠هـ .

(٣) انظر : بحار الأنوار ٤٥١/٨ وشرح نهج البلاغة ٢/ ٨٢ والدرجات الرفيعة ص ١٠٨ — ١٠٩ واختيار معرفة الرجال ص ٥٧- ٦٠.

رواة الشيعة أنفسهم وعلى رأسهم أبو مخنف لوط بن يحيى[1] الإخباري التالف والشيعي المحترق الذي أجمع أئمة النقاد على تضعيفه وتركه .

حيث قالوا فيه[2]:

قال أبو حاتم : أبو مخنف متروك الحديث

وقال ابن معين : ليس بثقة وقال (ليس بشيء)

وقال ابن عدي معلقاً على قول ابن معين (ليس بشيء) : وهذا الذي قاله ابن معين يوافقه عليه الأئمة .

وقال ابن حبان : رافضي يشتم الصحابة ويروي الموضوعات عن الثقات .

وقال الدارقطني : لوط بن يحيى الوفي أبو مخنف اخباري ضعيف .

وقال ابن تيمية وهو يتكلم عن الشيعة : وعلمائهم يعتمدون على نقل مثل أبي مخنف لوط بن يحيى وهشام بن محمد السائب وأمثالهما من المعروفين بالكذب عند أهل العلم.

وقال الذهبي: لوط بن يحيى أبو مخنف متروك . وقال كذلك: إخباري تالف لا يوثق به.

وقال ابن حجر : لوط بن يحيى أبو مخنف إخباري تالف لا يوثق به تركه أبو حاتم وغيره[3].

إذاً هو مجمع على تضعيفه ، ولا يوثق بكلامه . إضافة إلى أن أبا مخنف هذا رافضي باعتراف الشيعة أنفسهم ، فلم يعتّد به ويعتبر برواياته ويعتمد عليها سوى الشيعة .

---

(١) انظر : ترجمته في سير أعلام النبلاء ٣٠١/٧ ، وفوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي ٢٢٥/٣ ، تحقيق : محمد أحمد يعوض الله وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م .

والأعلام ٥/ ٢٤٥.

(٢) انظر كتاب مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري يحي بن ابراهيم اليحيى ص ٤٣-٤٥ دار العاصمة ـــ الرياض الطبعة الأولى ١٤١٠هـــ.

(٣) الجرح والتعديل ١٨٢/٧ . وتاريخ يحيى بن معين ٥٠٠/٢ . والكامل لابن عدي ٢١١٠/٦ . ولسان الميزان ٣٦٦/٤، والضعفاء والمتروكين ، ص ٣٣٣ . ومنهاج السنة ١٦/١ . وديوان الضعفاء والمتروكين ، ص ٢٥٩ . وميزان الاعتدال ٢٩٩٢/٣.

فقد قال النجاشي والحلّي :" أبو مخنف شيخ أصحاب الكوفة ووجههم وكان يُسكن إلى ما يروي "[1].

وعلق المامقاني على قول النجاشي والحلّي بأن هذا : " مدح معتد به يثبت حسنه"[2].

وقال عباس القمي :" كان أبو مخنف من أعظم مؤرخي الشيعة "[3].

فهؤلاء الشيعة وثقوا هذا الكذاب المتروك واعتمدوا على رواياته في كتبهم ومنها هذه القصة لأنها على مشربهم وتوافق أهوائهم[4].

٢- علاوة على أن ابن عباس رضي الله عنهما خلقه أسمى من ذلك ، بل يستحيل أن يقول ذلك ، أفيقول عن أمهاته وزوجات حبيبه ﷺ حشايا أيقول عن خالته ميمونة حشية وهو الذي دعا له النبي ﷺ (اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل)[5].

افيقول ذلك رضي الله عنه وهو المعروف بشدة احترامه ومدحه لأمهات المؤمنين عموماً وعائشة رضي الله عنها على وجه الخصوص ، فلقد دخل مرة على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي على فراش الموت وقال لها (كنت أحب أزواج النبي ﷺ إليه و لم يكن يحب إلا طيباً ، وأنزل الله برائتك من فوق سبع سموات فليس في الأرض مسجد إلا وهو يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار ... فوالله أنك لمباركة ...)[6].

---

(١) رجال النجاشي ، ص ٢٤٥ .

ورجال ابن المطهر الحلّي ص ١٣٦ ، تحقيق : محمد صادق بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية ، العراق ، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ .

(٢) تنقيح المقال في علم الرجال لعبدالله الماقاني ٣/ ٤٤ الطبعة الحجرية ..

(٣) الكنى والألقاب لعباس القمي ١/ ١٥٥ المطبعة الحيدرية ـ النجف ـ العراق الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ.

(٤) انظر الصاعقة في نسف أباطيل وافتراءات الشيعة على أم المؤمنين عائشة لعبدالقادر عطا صوني ص١٦-٢٠ .

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند ٣٢٨/١ .

وابن حبان أنظر الاحسان ٥٣١/١٥ وصححه المحقق وقال صحيح على شرط مسلم .

والحاكم في المستدرك ٦١٥/٣ ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه .

وابن أبي شيبة في المصنف ٣٨٣/٦هـ .

والطبراني في المعجم الأوسط ١١٣/٢ .

(٦) رواه أحمد والطبراني والحاكم وسبق تخريجه ص ١٣٢.

٣- إن كان الشيعة يطلقون على أزواج النبي ﷺ ألقاب السوء (وحاشاهن ذلك) فالله ﷻ قد أطلق عليهن أشرف الأسماء والألقاب ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب ، الآية : ٦] وذلك خطاباً للمؤمنين وهن أمهات المؤمنين وأزواج النبي الأمين اخترن الله ورسوله والدار الآخرة .

٤- هذه الألقاب التي يطلقها الشيعة تكشف لنا مدى كراهيتهم لأمهات المؤمنين - لاسيما الصديقة بنت الصديق - وكذلك هذه الألقاب تبين لنا مكانة أمهات المؤمنين عندهم فهي بمترلة الإماء والفراش المحشو فلا كرامة ولا احترام .

المبحث الثاني : زعمهم سوء أدبهن – رضي الله عنهن – مع النبي ﷺ.

القائلون بهذه الشبهة هم الشيعة حيث يدعون أن أزواج النبي ﷺ كن يسئن الأدب معه ﷺ واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٢٨]

حيث قالوا في سبب نزولها واللفظ لعلي بن إبراهيم ألقمي (أنه كان سبب نزولها أنه لما رجع رسول الله ﷺ من غزاة خيبر وأصاب كتر أبي الحقيق ، قلن أزواجه : أعطنا مما أصبت فقال لهن رسول الله ﷺ : (قسمته بين المسلمين على ما أمر الله ، فغضبن من ذلك وقلن : لعلك ترى أنك إن طلقتنا أن لا نجد الأكفاء من قومنا يتزوجونا فأنف الله ورسوله ، فأمره أن يعتزلهن، فاعتزلهن رسول الله ﷺ وآله)(١).

وهكذا وردت هذه الرواية مطلقة في أزواجه ﷺ كافة ، بيد أن هناك روايات أخرى أوردها الشيعة في كتبهم تحدد القائل من أزواجه عليه الصلاة والسلام وهي :

أ- أن القائل زينب بنت جحش وحفصة بنت عمر رضي الله عنهما حيث نسبوا إلى جعفر الصادق ـــ زوراً وكذباً ـــ أنه قال (أن زينب بنت جحش قالت لرسول الله ﷺ : لا تعدل وأنت رسول الله فقالت حفصة إن طلقنا وجدنا في قومنا أكفاءنا ..)(٢).

ب- نفس الرواية السابقة ولكن جعلوا أن القائل للمقالتين هي زينب بنت جحش فقط رضي الله عنها (٣).

وكل هذه الروايات محض افتراء من الشيعة على أمهات المؤمنين عموماً وعلى من خصّت بهذه التهمة من نسائه عليه الصلاة والسلام في بعض الروايات(٤).

---

(١) تفسير القمي ١٩٢/٢ وأنظر كذلك تفسير الصافي ٣٤٩/٢ والبرهان ٣/ ٣٠٧- ٣٠٨.

(٢) فروع الكافي للكليني ١٢٣/٣، مطبوع على هامش مرآة العقول للمجلسي ، الطبعة الحجرية ، إيران ١٣٥٤هـ . ومن لا يحضره الفقيه للصدوق ٣٣٥/٣ ، مطبعة جاب ، إيران ، ودار الكتب الإسلامية ، طهران ، الطبعة الخامسة . والبرهان ٣/ ٣٠٧.

(٣) المصادر السابقة .

(٤) انظر : الصاعقة في نسف أباطيل وافتراءات الشيعة عن أم المؤمنين عائشة ص ٢١-٢٣. وأمهات المؤمنين وبنات النبي ﷺ بين أهل السنة والشيعة لغربية الغربي ، ص ٩٦-٩٩ .

تفنيد الشبهة والرد عليها :

أولاً : أن الآية التي استدل بها الشيعة من سورة الأحزاب لها سبب نزول نعم ولها مناسبة مع الآية التي قبلها وهي الحديث عن خيبر ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُـمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ﴾ [سورة الأحزاب : ٢٧] حيث أورث المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ أرض بني قريظة وديارهم وأموالهم وأرضاً لم يطؤها يومئذ ، ولم يكن مكة ولا خيبر ولا أرض فارس والروم ولا اليمن مما كانوا وطئوه يومئذ ثم وطئوا ذلك بعد أورثهموه الله ، وهذا كله داخل في قوله تعالى : ﴿ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ﴾ لأنه تعالى لم يخصص من ذلك بعطاء دون بعض(١).

وأما عن سبب نزول الآية :

فكل ما قالوه محض افتراء على أمهات المؤمنين عموماً وعلى من خصت بهذه التهم من نسائه ﷺ على وجه الخصوص .

والصحيح : أنهن – رضي الله عنهن– سألن النبي ﷺ التوسعة في النفقة ولم يرد أبداً أنهن قلن هذه المقالة ، ولا تصح نسبتها إليهن البتة فهذا لا يقع من عموم المسلمات فكيف بأزواج النبي ﷺ والملاحظ أنهم نسبوا هذا الفعل إلى زينب بنت جحش رضي الله عنها في بعض روايات القصة المزعومة ، وهي من هي في عبادتها وكرمها ومترلتها عند الله تعالى وعند رسول الله ﷺ وهي التي نالت تزويج الله لها من فوق سبع سماوات ، حتى إن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت تثني عليها خيراً وأخبرت عنها بعد موتها أنها قالت : (يرحم الله زينب بنت جحش لقد نالت في هذه الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف ، إن الله زوجها نبيه في الدنيا ونطق بها القرآن ، وأن رسول الله ﷺ قال لنا ونحن حوله : (أسرعكن لحوقاً بي أطولكن باعاً) فبشرها رسول الله ﷺ بسرعة لحوقها به وهي زوجته في الجنة)(٢).

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ١٥٥ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/١٦١.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٣/٢١٣ .

وابن سعد في الطبقات ٨/١٠٨ .

وأصل الحديث عند مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل زينب أم المؤمنين – رضي الله عنها – ٤/١٩٠٧ ، حديث (٢٤٥٢) .

ولقد أخبر النبي ﷺ عن الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم تجاه أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - بما جاء عن أم سلمة أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول لأزواجه : (إن الذي يحنوا عليكم بعدي هو الصادق البار)[1].

أما ما يقوله هؤلاء وأمثالهم فهو الكذب والعقوق والعياذ بالله ، وليس البر بهن قاصراً على أيام حياتهن بل من البر بهن ألا يذكرن إلا بخير وأن يُترحم عليهن ويُترضى عنهن - رضي الله عنهن أجمعين - .

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٣٥١/٣ وصححه ووافقه الذهبي.

والطبراني في المعجم الكبير ٢٨٨/٢٣ .

والإمام أحمد في المسند ٢٩٩/٦ .

وضعفه الألباني في تخرجيه لمشكاة المصابيح ١٧٢٨/٣ طبعة المكتب الإسلامي - بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ .

المبحث الثالث : دعواهم أن أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – لسن من أهل بيت النبي ﷺ :

إن الشيعة هي الفرقة التي أخرجت أمهات المؤمنين من أهل بيت النبي ﷺ وقد سبق الكلام عن هذا المعتقد بالتفصيل مع ذكر أدلتهم والرد عليها في الباب الأول(1).

ومع كل هذا فأقول باختصار شديد أن الشيعة لا يدخلون أمهات المؤمنين ضمن آل بيت النبي ﷺ بل ولا يوجد كتاب واحد من كتبهم ضمّن أمهات المؤمنين ضمن أهل البيت أو آل البيت أو العترة أو غير ذلك من الإطلاقات التي يطلقونها على آل محمد ﷺ .

فهم يحصرون أهل بيت النبي ﷺ بأصحاب الكساء وهم محمد بن عبد الله ﷺ وعلي بن أبي طالب وفاطمة بنت محمد ﷺ والحسن والحسين أبناء علي بن أبي طالب فقط ، وأما بيان صحة هذا من عدمه مع الرد عليها فقد تقدم والله تعالى أعلم .

---

(1) انظر : الفصل الثاني من الباب الأول من هذا البحث .

المبحث الرابع : دعواهم أن الشرط المذكور في القرآن في حق أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – يدل على النقص :

لم يقل بهذه الدعوى سوى الشيعة الاثني عشرية (الرافضة) فهم يدعون أن الاشتراط في مدح زوجات النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ﴾ الواردة في آية ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٢] يدل على أن منهن من تتغيّر وتتبدّل من حال الصلاح إلى حال أخرى [١].

وهذا قول عجيب مردود ، فقد اتفق المفسرون على أن هذه الآية في فضل أمهات المؤمنين .

قال الطاهر بن عاشور :" والتقييد بقوله ﴿ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ﴾ ليس لقصد الاحتراز عن ضد ذلك وإنما هو إلْهاب وتحريض على الازدياد من التقوى ، وقريب من هذا المعنى قول النبي ﷺ لحفصة بنت عمر (إن عبد الله – يعني أخاها – رجل صالح لو كان يقوم من الليل)[٢]، فلما أبلغت حفصة ذلك عبد الله بن عمر لم يترك قيام الليل بعد ذلك لأنه علم أن المقصود التحريض على القيام ، وفعل الشرط مستعمل في الدلالة على الدوام ، أي إن دمتن على التقوى ، فإن نساء النبي ﷺ متقيات من قبل، وجواب الشرط دل على ما قبله ، واعلم أن ظاهر هذه الآية تفضيل أزواج النبي ﷺ على جميع نساء هذه الأمة"[٣].

وأمهات المؤمنين جميعاً ما فرّطن ولا بدّلن ولا غيّرن بل هن سيدات المتقين بشهادة الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين– .

---

(١) انظر الإرشاد للمفيد ، ص ١٦٣ ، انتشارات كتاب فروش إسلامية ، إيران ١٣٥١هـ .

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٤٦/٩ وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

وهو عند البخاري – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب التهجد – باب فضل قيام الليل ٩/٣ ، حديث (١١٢٢) ، بلفظ (الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل) .

وعند مسلم في كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل عبد الله بن عمر ١٩٢٧/٤ ، حديث (٢٤٧٨) بلفظ (أرى عبد لله رجلاً صالحاً) وبلفظ : (نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل) ، حديث (٢٤٧٩) .

(٣) التحرير والتنوير ٢٤٠/٢١ .

فهن ملازمات للتقوى والزهد والصدقة والورع وهذا مشهور عنهن ففضائلهن لا تخفى تروى ولا تطوى و لم يحاول طمس هذه الفضائل إلا الرافضة ولكن الله يدافع عن الذين آمنـــوا وأهل السنة ولله الحمد والمنة يقومون لرسول الله ﷺ بحقوقه وحقوق زوجاته ولا يؤذون أحداً من أمهات المؤمنين بخلاف غيرهم .

وأختم بقول ابن العربي حيث قال :" ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ يعني في الفضل والشرف وإنهن وإن كن من الآدميات فلسن كإحداهن كما أن النبي ﷺ وإن كان من البشر جبلة فليس منهم فضيلة ومنزلة ... "[1].

(١) أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي ١٥٣٥/٣ ، طبعة دار الجليل .

المبحث الخامس : دعواهم أن عصمتهن بعد وفاة النبي ﷺ بيد علي رضي الله عنه :

ولا يقول بهذا القول أحد من طوائف أهل البدع إلا الشيعة الاثني عشرية (الروافض) الزائغين عن العقل بل والفطرة إذ أنهم يعتقدون أن لعلي رضي الله عنه حق فَصْم عصمة نساء النبي بعد وفاته ﷺ .

فقد أسند الملقب عند الشيعة بالصدوق إلى الحسن العسكري أن رسول الله ﷺ جعل طلاق أزواجه بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال له – على حد كذبهم – : (يا أبا الحسن إن هذا الشرف باقٍ لهن ما دمن لله على الطاعة ، فأيتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك فطلقها في الأزواج ، وأسقطها من تشرف الأمهات ، ومن شرف أمومة المؤمنين)[1].

وفي رواية : (فمن عصتك منهن فطلقها يبرأ الله ورسوله منها في الدنيا والآخرة)[2].

وفي رواية : (لم ترني و لم أرها في عرصات القيامة)[3].

وقال الطبرسي : " وروي عن الباقر (ع) أنه قال : (لما كان يوم الجمل وقد رُشق هودج عائشة بالنبل ، قال أمير المؤمنين (ع) : (والله ما أراني إلا مطلقها فأُنشد الله رجلاً سمع من رسول الله ﷺ يقول : (يا علي أمر نسائي بيدك من بعدي) لما قام فشهد ؟ وقال : فقام ثلاثة عشر رجلاً فيهم بدريان ، فشهدوا أنهم سمعوا من رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب (ع) : (يا علي أمر نسائي بيدك من بعدي) ، قال : فبكت عائشة ، حتى سمعوا بكاءها ... "[4].

---

(١) إكمال الصدوق ، ص ٤٢٩-٤٣٠ ، والإيضاح للفضل بن شاذان الأزدي ، ص ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ، ودلائل الإمامة لأبي جعفر محمد بن جرير ابن رستم الطبري ، ص ٢٧٧ ، المطبعة الحيدرية ، العراق ١٣٨٣هـ ، وتفسير الصافي للكاشاني ٣٣٢/٢، والأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري الموسوي ٣٤٤/٤ ، طبعة جاب ، إيران ، والصاعقة لنسف أباطيل وافتراءات الشيعة على أم عائشة لعبد القادر صوفي ، ص ١٨٦.

(٢) مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي ، ص ٣٩ المطبعة الحيدرية ، العراق ، الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ . وعلم اليقين للكاشاني ٦٦٠/٢ . والدرجات الرفيعة للشيرازي ، ص ٣٠٣-٣٠٤.

(٣) مختصر بصائر الدرجات للحلى ، ص ٣٩ . والدرجات الرفيعة ، ص ٣٠٣-٣٠٤ . وعلم اليقين ٦٩٠/٢ ، الصاعقة، ص ١٨٧ .

(٤) الاحتجاج للطبرسي ، ص ١٦٤ . والصاعقة ، ص ١٨٧.

ويروي الشيعة الروافض أن رسول الله ﷺ أخبر عائشة رضي الله عنها بأن علي رضي الله عنه سينذرها بما يكون به الفراق بينهما وبين رسول الله ﷺ في الآخرة [1].

وهم يزعمون أن علياً قد أنذرها قبل وقعة الجمل ، وقال لها : (إنك قد أرهجت على الإسلام وأهله بفتنتك ، وأوردت بنيك حياض الهلاك بجهلك ، وإن كففت عني عذرتك وإلا طلقتك)[2].

ويزعمون أنها لم تكف بل حاربته ، فطلقها[3] على حد إفكهم وكذبهم وبهتانهم .

الرد على هذه الدعوى :

- أما عن الخبر الذي أسندوه إلى الحسن العسكري فإنه باطل واضح الكذب والاختراع ، لمخافته الأصول الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ ، بل وعن علي بن أبي طالب نفسه رضي الله عنه وهم بهذا يريدون أن يضعوا كل شيء تحت قدرة وتصرف ومشيئة علي رضي الله عنه ، لإثبات عقيدة أنه الوصي بعد النبي ﷺ .

فقد ثبت عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال على منبر الكوفة وهو بين يدي الحسن بن علي رضي الله عنهما : (إن عائشة قد صارت إلى البصرة ووالله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة)[4]. وقد أقره الحسن بن علي رضي الله عنهما على هذا ، و لم يعترض على قَسَمِه ، وتكرر نفس الشهادة في محضر علي رضي الله عنه في نهاية المعركة وليس قبل المعركة في نهاية المعركة ذلك : (أن رجلاً وقع في عائشة وعابها فقال له عمار : (ويحك ما تريد من حبيبة رسول الله ﷺ) وعند الترمذي (أسكت مقبوحاً منبوحاً ، أتؤذي حبيبة

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ، ص ١٩٧-١٩٨ . وينظر الصراط المستقيم للبياضي ١/١٩٥-١٩٦ . والصاعقة ، ص ١٨٧-١٨٨ .

(٢) دلائل الإمامة لابن رستم الطبرسي ، ص ٢٧٧ . وإكمال الدين للصدوق ، ص ٤٢٩-٤٣٠ .

ينظر : إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب لعلي اليزدي الحائري ١/٣٤٦ ، مؤسسة الأعلمي ، لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٧هـ ، والصاعقة لنسف أباطيل وافتراءات الشيعة على أم عائشة ، ص ١٨٨ .

(٣) الرجعة لأحمد الحائري ١/٥ . والصاعقة ، ص ١٨٨ .

(٤) رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب الفتن – باب منه ١٣/٥٨ ، حديث (٧١٠٠) .

رسول الله ﷺ ؟ فأنا أشهد أنها زوجته في الجنـــة ، بـــين يـــدي علـــي وعلـــي ساكت..)[1].

وقد خاطبها عمار بأم المؤمنين بعد المعركة ، هذا مقرر ومنقول في كتب الشيعة[2].

هذا ونحن قد آمنا بنبينا ﷺ وآمنا بقوله الذي لا يعتريه نسخ لأنه خبر وهو قولـــه ﷺ: (إن جبريل جاء بصورة عائشة في سرقة من حرير خضراء ، فقال : (هـــذه زوجتك في الدنيا والآخرة)[3]. وقد قالت لعليّ رضي الله عنه لما عزمت على الارتحـــال إلى المدينة بعد ما جهزها بجهازها إثر معركة الجمل : (والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها وإنه عندي على معتبتي من الأخيار) – فقال رضي الله عنه : (يا أيها الناس صدقت والله وبرّت ما كان بيني وبينها إلا ذلك وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة)[4].

ألا فلندع الموقف يتألق سموّاً وروعة وجلالاً ولتردد معي أيها المنصف الصادق المحب لله ولرسوله وللصحابة ولأمهات المؤمنين قوله تعالى : ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾ [البينة : ٨] وقوله : ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ...﴾ [سورة الفتح : ٢٩]. فهؤلاء هم صحابة رسول الله وتربيته وأزواج رسول الله هن أمهات المؤمنين.

---

(١) رواه الترمذي في سننه.

والحاكم في المستدرك .

وتقدم تخريجه ص ١٣٢.

(٢) ينظر : الشافي في الإمام للمرتضي ، ص ٢٩٢ ، وتلخيص الشافي للطوسي ، ص ٤٦٦ . والصراط المستقيم للبياضي ١٦٢/٣.

(٣) رواه الترمذي في سننه وتقدم تخريجه ص ١٥٨ .

(٤) أورده الطبري في تاريخه ٦٠/٣-٦١ .

وابن كثير في البداية والنهاية ٢٤٦/٧ .

وابن الأثير في الكامل ١٤٤/٣ .

وابن الجوزي في المنتظم ٩٤/٥ .

الباب السادس

الشبه والطعون في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خاصة .

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول

الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالكفر والفاحشة .

الفصل الثاني

الدعاوى في موقف عائشة رضي الله عنها من أزواج النبي ﷺ وأولاده.

الفصل الثالث

الدعاوى في موقف عائشة من أصحاب النبي ﷺ و رضي الله عنهم.

الفصل الرابع

الشبه والطعون غير المدونة في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

الفصل الأول

الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالكفر والفاحشة .

المبحث الأول : دعواهم كفر عائشة رضي الله عنها وأنها من أهل النار :

والقائلون بهذه الدعوى – كما سبق في المبحث الأول من الفصل الأول من الباب الخامس – هم الشيعة الاثنا عشرية فقط ، والخوارج قالوا إنها كافرة ؛ لأنها ارتكبت كبيرة وهم كما مرّ يكفرون أصحاب الجمل ، بل ويكفرون عائشة على وجه الخصوص كما في المناظرة التي كانت بين ابن عباس وعلي بن أبي طالب معهم .

لكنهم لم يتفننوا في الكذب والافتراء كما فعل الشيعة فإن العقل يحار من اختلاق هؤلاء الروافض لهذه الأكاذيب فيا عُقلاء المسلمين من سنة وشيعة هل تصدقون أن في مراجع الشيعة تكفير أم المؤمنين عائشة زوجة رسول الله الحبيبة بنت الحبيب للرسول الكريم ، فإن كنت أيها الشيعي المخدوع أو السني جاهل بأخبار القوم فإليك ما قالوه مع الرد عليه وإن كان ظاهر البطلان والله المستعان .

أسند العياشي – وهو من كبار مفسري الشيعة – إلى أبي عبد الله جعفر الصادق – وحاشاه – أنه قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ [سورة النحل:٩٢] " التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً عائشة ،هي نكثت إيمانها " (١)

وتبدو النزعة الباطنية في هذا التفسير جلية ، فالشيعة قد نحو منحى التأويل الباطني بتحريفهم معنى نقض الغزل إلى نقض الإيمان ، وزعمهم أن التي نقضت غزلها – أي إيمانها – على حد كذبهم وزعمهم – هي عائشة رضي الله عنها .

---

(١) تفسير العياشي ٢٦٩/٢ ، والبرهان للبحراني ٣٨٣/٢ ، وبحار الأنوار للمجلسي ٤٥٤/٧ .

الرد على هذا التأويل الباطني الغريب والتحريف العجيب :

هذا ما قال به العياشي والمجلسي والبحراني وهم من مفسري الشيعة ولكن أجمع المفسرون على التفسير الصحيح للآية .

فقالوا : إن التي كانت تفعل ذلك هي امرأة حمقا معروفة بمكة تسمى ريطة بنت سعد التميمية كانت تغزل مغزلاً قدر ذراع وصنارة مثل أصبع وفلكة عظيمة على قدر ذلك فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فتنقض ما غزلته ، وهكذا تفعل كل يوم .

وقال آخرون : إنما هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد ، فشبهه بامرأة تفعل هذا الفعل، وقالوا في معنى ﴿ نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ ﴾ نحواً مما مرّ ذكره .

إلى هذا ذهب قتادة ومجاهد وابن زيد وغيرهم من المفسرين (١) وهذا واضح حتى في مناسبة الآية ، ولذا يقول البقاعي (لما أمر الله بالوفاء ونهى عن النقض شرع في تأييد وجوب الوفاء وتحريم النقض وتقبيحه وتنفيراً منه فقال ﴿ وَلَا تَكُونُواْ ﴾ أي في نقضكم لهذا الأمر المعنوي ﴿ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا ﴾ ...)(٢)

لأن الآية قبلها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ... وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ ... وَلَا تَكُونُواْ ... ﴾ [سورة النحل : ٩٠، ٩١] فهذا التناسب بين الآيات والذي عليه جمهور المفسرين .

والعجيب أن الشيعة لم يكتفوا بتكفيرها بل زعموا أن لها باباً من أبواب النار تدخل منه، فقد اسند العياشي أيضاً إلى جعفر الصادق – رحمه الله وحاشاه مما ينسبه إله الشيعة كذباً وبهتاناً أنه قال في تفسير قوله تعالى حكاية عن النار ﴿ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ ﴾ [الحجر :٤٤] قال : (يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب ... والباب السابع لعسكر ....) (٣)وعسكر كناية عن عائشة

---

(١) ينظر تفسير الطبري ١٦٦/١٤ ، والدر المنثور للسيوطي ١٢٩/٤ . وينظر أيضاً ابن كثير ٥٨٣/٢-٥٨٤ ، وفتح القدير ١٩٠/٣ ، وروح المعاني ٢٢١/١٤-٢٢٢ ، والتحرير والتنوير ٢١٢/١٣ ، والبغوي ٣٩/٥ ، وسائر كتب التفسير.

(٢) تفسير الدر في التناسب بين الآيات والسور للبقاعي ٣٠٢/٤ ، طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) تفسير العياشي ٢٤٣/٢ ، والبرهان للمجلسي ٣٤٥/٢ ، وبحار الأنوار ٣٧٨/٤ ، ٢٢٠/٨ .

رضي الله عنها كما زعم المجلسي ، ووجه كذبته عن هذه الكناية فقال (كونها كانت تركب جملاً في موقعة الجمل يقال له عسكر) [(١)]

فأم المؤمنين على هذا كافرة عند الروافض ، ومن أهل النار في زعمهم فرضي الله عن أم المؤمنين فقهها وعلمها يدرس في كل مكان فتأخذ أجراً عظيماً وهؤلاء يقولون مـا يـستحي العاقل أن يقوله في أعدى أعدائه ، أبى الله أن لا يقطع عنها الأجر والحسنات .

وقد استدلوا أيضاً على ما ذهبوا إليه من كفرها :

- بما نسبوه كذباً إلى رسول الله ﷺ (لا يبغض علي[(٢)] أحد من أهلي ولا من أمـتي إلا خرج من الإيمان) [(٣)].
- وبما نسبوه من قوله ﷺ : (يا على حربك حربي) [(٤)].

وقالوا وحرب النبي كفر [(٥)].

- وقال الطوسي الملقب بشيخ الطائفة (عائشة كانت مصرّة على حربها لعلي ولم تتـب وهذا يدل على كفرها وبقائها عليه) [(٦)] هكذا بصريح العبارة ولا حول ولا قـوة إلا بالله .

وواضح من كلام شيخ طائفتهم أن سبب حكمهم عليها بالكفر هو حربها لعلي رضي الله عنه ، وخروجها عليه – على حد زعمهم [(٧)].

قال ابن طاووس – من علماء الروافض – عن عائشة رضي الله عنها (كيف يبقى لها إيمان مـع مخالفتها ؟ أما نهاها كتابها أن تتبرج ؟ أما تبرجت وخرجت لحرب البصرة وقتـل المـسلمين وسفك دماء الصحابة والتابعين ؟ أما قاتلت من أجمعوا على خلافته ؟ ...الخ [(٨)].

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٣٧٨/٤ ، ٢٢٠/٨ .

(٢) هكذا أثبتوها وصوابها (علياً) .

(٣) الاختصاص للمفيد ، ص ١١٨ .

(٤) الصراط المستقيم للبياضي ٣/ ١٦١ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد للطوسي ، ص ٣٦١– ٣٦٥ .

(٧) ينظر من كتبهم : الخصال للصدوق ٥٥٦/٢ ، والجمل للمفيد ، ص ٢٢٧–٢٣١ ، والصراط المستقيم للبياضي ١٦١/٣–١٦٦ ، وعلم اليقين للكاشاني ٦٥٩/٢ وسيأتي نقد هذا في مبحث مستقل .

(٨) الطرائف لابن طاووس ، ص ٢٩٢–٢٩٣ .

وقال الزنجاني – من الشيعة المعاصرين – : (عائشة لم يثبت لها إيمان)[1]. فهذه جملة الأسباب التي حكموا عليها بالكفر بسببها .

الرد على ما أسنده العياشي إلى جعفر الصادق من أن لها باباً في جهنم :

أولاً: دونهم ودون إثبات هذا عن جعفر الصادق ، خرط القداد فلن يستطيعوا أن يثبتوا أنه قاله أبداً ، لأن جعفر الصادق كان يحب أبابكر وعمر وعائشة وحفصة ويترحم عليهم ويترضى عنهم وهو خصمكم يوم القيامة فيما نقلتموه عنه .

ثانياً : هذا (يعني أن لها باباً في النار) لا يعلم إلا بالدليل فهل قول جعفر الصادق هو الحجة عندكم فهو خبر منقطع لا حجة فيه .

ولكن الثابت أن المنافقين في قعر جهنم فيا لخسارة من لم يتب من هذا القول ويتبرأ منه ويحب رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين – رضي الله عنهن– .

الرد على ماذهبوا إليه من أسباب كفرها رضي الله عنها ! :

استدلوا على ذلك بأنها حاربت علياً وخرجت عليه ، وسيأتي الرد على هذا [2] .

أما دعواهم أنها كانت مصرة على حرب علي فسيأتي الرد عليه ودعواهم أنها لم تتب وهذا يدل على كفرها وبقائها عليه فسيأتي تفنيد هذا والرد عليه [3] وبيان أنها أولاً : لم تحارب علياً رضي الله عنهما وبيان أنها خرجت للإصلاح ، وبيان أنها تابت من هذا وكانت تبكي حتى تبل خمارها .

وأما قول الزنجاني أنها لم يثبت لها إيمان ، فكيف أيها المسكين وهي التي لم يثبت في قلبها جاهلية ولا عرفتها بل ما عرفت سوى الإسلام وحب رسول الله ﷺ والإسلام.

---

(١) عقائد الإمامية الأثنى عشرية للزنجاني ٨٩/٣ .

(٢) سيأتي في المبحث الثالث من الفصل الثالث من هذا الباب .

(٣) سيأتي الرد عليه في المبحث السابع من الفصل الثالث من هذا الباب .

المبحث الثاني : نفي تسمية عائشة رضي الله عنها بأم المؤمنين :

القائلون بهذه الشبهة هم الشيعة الروافض الاثنا عشرية حيث يرون أن أهل السنة هم الذين أطلقوا عليها هذا اللقب دون غيرها ، وأنها ليست له أهل .

قال ابن المطهر الحلي – وهو من كبار علمائهم – عن عائشة رضي الله عنها: " وسموها أم المؤمنين ، ولم يسموا غيرها بذلك الاسم " [١] ولم يقف الحقد والكذب إلى هذا الحد فقط بل أبدلوا لقبها من (أم المؤمنين) رضي الله عنها إلى (أم الشرور) فهذا ألبياضي – من علمائهم يلقب أم المؤمنين رضي الله عنها في كتابه ب (أم الشرور) [٢] وبـ (الشيطانة)[٣].

وهذا ينم على ما بداخلهم من الغل والحقد ، بل ظهر منهم عدم الرضا بما رضيه الله ورسوله لها من الألقاب الدالة على مكانتها وعلو شأنها وجمالها رضي الله عنها مثل لقب (الحميراء) وحتى يبرروا دعواهم يعللون ذلك بأن هذا اللقب لا يحبه الله بل قالوا (يبغضه الله) فقد اسند الكليني إلى يعقوب السراج [٤] قال : " دخلت على أبي عبدا لله [٥] عليه السلام وهو واقف على رأس أبي الحسن موسى [٦] وهو في المهد ، فجعل يساره طويلاً ، فجلست حتى فرغ ، فقمت إليه ، فقال لي ، أدن من مولاك فسلّم ، فدنوت فسلمت عليه ، فرد عليّ السلام بلسان فصيح ، ثم قال لي ، اذهب فغير اسم ابنتك التي سميتها أمس ، فإنه اسم يبغضه الله ، وكان ولدت لي ابنة سميتها بالحميراء ، فقال لي أبو عبدالله : أنته إلى أمره ترشد ، فغيرت اسمها"[٧].

---

(١) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ١٩٨/٢ .

(٢) الصراط المستقيم للبياضي ١٦١/٢ .

(٣) المصدر السابق ٣/ ١٣٥ .

(٤) وهو أحد رواة الشيعة ، وقد وثقه علماؤهم .

ينظر : تنقيح المقال في علم الرجال لعبد الله المامقاني ٣٣٠/٣ ، الطبعة الحجرية .

(٥) أبو عبدالله هو جعفر الصادق .

(٦) موسى هو ابن جعفر الصادق ، الملقب بالكاظم .

(٧) الأصول من الكافي للكليني ٢٤٧/١ .

الرد على هذه الشبهة :

في دعواهم هذه معاندة لله ﷻ الذي أكرم نساء نبيه ﷺ تكريماً لرسول الله ﷺ وإكراماً لهم تبعاً له ﷺ فأكرمهن جميعاً بلقب أمهات المؤمنين ، فحازت كل واحدة منهن هذا الشرف الرفيع والمقام العالي .

فلقب أم المؤمنين شرف لأمهات المؤمنين عامة ولأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خاصة ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله رداً على هذيان ابن المطهر الحلى ، وزعمه أن أهل السنة سموا عائشة بأم المؤمنين ، ولم يسموا غيرها بذلك فقال :" من المعلوم أن كل واحدة من أزواج النبي ﷺ يقال لها أم المؤمنين ، عائشة وحفصة ، وزينب بنت جحش ، وأم سلمه ، وسوده بنت زمعة ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية وصفية بنت حيي بن أخطب الهارونية -رضي الله عنهن- ، قال الله تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾ [سورة الأحزاب: ٦] ، وهذا أمر معلوم للأمة علماً عاماً ، وقد أجمع المسلمون على تحريم نكاح هؤلاء بعد موته ﷺ على غيره وعلى وجوب احترامهن فهن أمهات المؤمنين في الحرمة والتحريم "(١).

وعلى هذا إجماع المسلمين ، لا أهل السنة فقط فإن هذا من محكم القرآن ، لأن الله ﷻ قال ﴿ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾ فالكلام واضح ليس فيه شبهة .

ولذا أخرج الطبري أن ابن زيد قال ﴿ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾ محرمات عليهم (٢).

ولذا يقول ابن كثير : " ﴿ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾ أي في الحرمة والاحترام والإكرام والتوقير والإعظام ، ولكن لا يجوز الخلوة بهن ولا ينتشر التحريم إلى بناقمن وأخواقمن بالإجماع "(٣).
فهذا حق من حقوق أزواج النبي ﷺ .

---

(١) منهاج السنة النبوية ، بحاشية منهاج الكرامة ١٩٨/٢-١٩٩ .

(٢) تفسير الطبري ١٢٢/٢١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣٨١/٦ ، طبعة دار طيبة تحقيق سامي محمد السلامة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

ولذا يقول الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير : " عطف على حقوق النبي ﷺ حقوق أزواجه على المسلمين لمناسبة جريان ذكر حق النبي ﷺ فجعل الله لهن ما للأمهات من تحريم التزوج بهن بقرينة ما تقدم من قوله : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ [سورة الأحزاب : ٤]"(١).

فهذا هو تعظيم أهل السنة وتوقيرهم لأمهات المؤمنين بخلاف الشيعة وكفى بهم قباحة أن يسميها الله ﷻ أم المؤمنين ويسميها هم (أم الشرور) ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أما دعواهم أن لقب حميراء يبغضه الله ﷻ :

فهي دعوى كاذبة للأسباب التالية :

أ. أنهم أنفسهم ذكروا وأقروا أن النبي ﷺ سماها أم المؤمنين(٢).

ب. أن النبي ﷺ لقبها بهذا اللقب كما صح ذلك في حديث واحدٍ صحيح وسائر الأحاديث التي فيها حميراء غيره فضعيفة كما قال ابن حجر وهو حديث الحبشة الذين كانوا يلعبون في المسجد ، فقال لها النبي ﷺ : (يا حميراء ! أتحبين أن تنظري إليهم ؟! يعني : إلى لعب الحبشة ورقصهم في المسجد)(٣).

والسؤال : هل يلقب أطوع الخلق لله ﷻ وأعلم الخلق بالله تعالى وأحب زوجات النبي ﷺ إليه بلقب يبغضه الله ﷻ سبحانك هذا بهتان عظيم .

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢١/ ١٩٤ ، طبعة مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

(٢) ينظر : الأشعثيات ، للأشعث الكوفي ، ص ٢١٢ ، والمحاسن لأبي جعفر أحمد بن علي البرقي ، ص ٤٤٥ ، دار الكتب الإسلامية ، إيران ، والاستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار لمحمد بن الحسن الطوسي ٣٠/١ ، تحقيق : حسن الموسوي ، دار الكتب الإسلامية ، إيران ١٣٩٠هـ ، ومطبعة النجف ، العراق ١٣٧٥هـ ، وتهذيب الأحكام لمحمد بن حسن الطوسي ١٠٤/١ ، دار الكتب الإسلامية ، إيران ، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ.

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ٣٠٧/٥ .

وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار ١١٧/٩ .

وصحح إسناده الحافظ في الفتح ٣٥٥/٢، وقال: (لم أر حديث صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا) .

وينظر تهذيب الكمال ٣٢٨/١-٣٢٩ .

المبحث الثالث : رمي عائشة رضي الله عنها بالفاحشة :

لم يقل أحد من أهل البدع هذه المقولة إلا المنافقون الأوائل أتباع عبد الله بن أبي بن سلول ، ومن بعدهم الشيعة الإثني عشرية الروافض الخلف لهؤلاء اليهود .

فهذه مقولة قديمة حديثة ، أبى الله أن يقطع الأجر عن أم المؤمنين كما هي قالت فيمن يتكلم في أصحاب النبي ﷺ فهذه التهمة أثارها أعداء الله ورسوله والمسلمين من المنافقين في عصر النبوة وفي حياة رسول الله ، وتولى الدفاع عنها الله تبارك وتعالى من فوق سبع سماوات ، فلما قالت أمها (أم عائشة) لها قومي إلى رسول الله فاحمديه واشكريه ، فقالت : لا أحمد إلا الله ، وسمى الله عز وجل هذه الفرية (إفك) ، قال الزمخشري :" والإفك : أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء . وقيل هو البهتان ،ألا تشعر به حتى يفاجئك ، وأصله الإفك وهو القلب ، لأنه قول مأفوك عن وجهه ، والمراد ، ماأفك به على عائشة رضي الله عنها ... جاء به عصبة واعصوصبوا : اجتمعوا والعصبة الجماعة من العشرة إلى الأربعين وهو عبدالله بن أبي رأس النفاق ، وزيد بن رفاعة ، وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم والذي تولى كبره هو عبدالله بن أبي رأس النفاق ، لإمعانه في عداوة رسول الله ﷺ"(١).

وأنزل الله عز وجل ثمانية عشر آية ، كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله ﷺ ، وتسلية له ، وتتريه لأم المؤمنين رضوان الله عليها ، وتطهير لأهل البيت ، وتهويل لمن يتكلم في ذلك أو سمع به فلم تمجه أذناه ، وليس في القرآن آيات فيها وعيد للعصاة أغلظ في العقوبة ممن رمى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالإفك ، فالآيات القوارع مشحونة بالوعيد الشديد والزجر العنيف ، واستعظام ما جاء به رأس المنافقين فجعل أن ما يحسبوه هيناً هو عند الله عظيم وجعل القذفة ملعونين في الدنيا والآخرة ، وتوعدهم بالعذاب الشديد في الآخرة وأخبر أن ألسنتهم وأيديهم ، وأرجلهم ، ستشهد عليهم بإفكهم وبهتانهم .

---

(١) الكشاف للزمخشري ، طبعة دار الكتب العلمية ، تحقيق : محمد عبد السلام شاهين ، الطبعة الأولى بيروت لبنان ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م ٣/٢١٢ .

وقد انتهى هذا الإفك ، بتبرئة أم المؤمنين ﵂ وجلد الخائضين فيه ، وتوبتهم، واعتذارهم إلى نبيهم وزوجته الطاهرة العفيفة فهي الحصان الرزان العفيفة الطاهرة حبيبة رسول الله ﷺ .

وبعد قرون أحدث خلف هؤلاء الشيعة إفكاً آخر واتهموا فيه أم المؤمنين العفيفة الطاهرة في عرضها ، والحساب ينتظرهم عند الله ﷻ فويل لهم .

فقد زعموا :

١- أن قول الله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [سورة التحريم : ١٠] مثل ضربه الله تعالى لعائشة وحفصة ﵄ وقد فسر بعضهم الخيانة في قوله ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ بارتكاب الفاحشة والعياذ بالله تعالى ، وحاشاها .

قال القمي : في تفسير هذه الآية :" والله ما عنى بقوله ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ "إلا الفاحشة"[(١)] وليقمن الحد على (عائشة) [(٢)] فيما أتت في طريق (البصرة)[(٣)] وكان (طلحة)[(٤)] يحبها .

فلما أرادت أن تخرج إلى البصرة [(٥)] قال لها فلان : لا يحل لك أن تخرجي من غير محرم ، فزوجت نفسها من (طلحة[(٦)]) [(٧)] .

---

(١) وليس هذا القول من القمي ، فقد سبقه إليه الكليني ، شيخ الإسلام عند الشيعة ، ونسبه إلى أبي جعفر الباقر . يراجع البرهان للبحراني ٤/ ٣٥٧-٣٥٨ .

(٢) عند القمي (فلانة) بدلاً من عائشة وهذا من باب التقية ، وقد صرح غيره باسمها ففضح ما انطوت عليه التقية بزعمهم .

(٣) في الطبعة الحديثة من تفسير القمي (.....) على خلاف الطبعة الحجرية القديمة .

(٤) في نسخة أخرى (فلان) بدلاً من (طلحة) وهو من التقية كما هو معروف عندهم .

(٥) في الطبعة الحديثة (.......) .

(٦) في نسخة أخرى (فلان) بدلاً من (طلحة) .

(٧) ينظر تفسير القمي ، الطبعة الحجرية ، ص ٣٤١ ، الطبعة الحديثة ٣٧٧/٢ ، وينظر البرهان للبحراني ٣٥٨/٤ ، وتفسير عبدالله شبر ، ص ٣٣٨ وقد ساقها موضحة كما هو مبين .

ووجه إقامة الحد عليها - على حد زعم المفترين من الشيعة - كونها زوجت نفسها من آخر بعد رسول الله ﷺ ، مع حرمة ذلك ، فإن الله قدر حرم نكاح أزواج النبي ﷺ من بعده أبداً .

ومعلوم أن الذي خرج إلى البصرة من أزواج النبي ﷺ هي الحصان الرزان أم المؤمنين عائشة ، ولا بد على حد زعمهم أن يقام عليها الحد عند رجعة الأئمة عنـدهم ، حسب معتقد الشيعة الزائف .

ومما يؤكد أن الشيعة الذين لم يذكروا اسم (عائشة صراحة عنوا به (فلانـة) " عائشة رضي الله عنها مع أن الآخرين ، ذكروا اسمها صريحاً كما تقدم .

ما رواه الشيعة في كتبهم من المزاعم المكذوبة ، والتي جاء فيها " أنه لما نزل قول الله تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [سورة الأحزاب :٦] ، وحرَّم الله نساء النبي ﷺ غضب طلحة ، فقال ، يحرم محمد علينا نساءه ، ويتزوج هو بنسائنا ، لئن أمات الله محمداً لنركضن بين خلاخيل نسائه كما ركض بين خلاخيل نسائنا وفي رواية ثانية (لأتزوجن عائشة)[1].

وفي رواية ثالثة : (وكان طلحة يريد عائشة) و(عثمان يريد أم سلمه)[2] ووالله إن كلمات اللغة للتتوارى مني خجلاً وحياءاً من هذا الكلام البذئ ، وإني لأستحي من ذكر هذه الافتراءات وكيف لا ومن يتكلمون عنها هذا الكلام وهي أمـي وأم كل مؤمن وهؤلاء هم أصحاب رسولنا ﷺ وآله.

---

(١) أورده القمي في تفسيره ، الطبعة الحجرية ، ص ٢٩٠ ، الطبعة الحديثة ١٩٥/٢-١٩٦ ، والشافي للمرتضى ، ص ٢٥٨ والطرائف لابن طاووس ، ص ٤٩٢-٤٩٣ ، والصراط المستقيم للبياضي ٢٣/٣-٣٥ ، وسيرة الأئمة الإثنى عشرية لهاشم الحسيني ٣٨١/١ ، وعقائد الأئمة الإثنى عشرية للزنجاني ٣/ ٥٦ ، وفصل الخطاب للنوري الطبرس ، ص ٥٨ ، وإحقاق الحق للتستري ، ص ٢٦٠-٢٦١ ، والبرهان لهاشم البحراني ٣٣٣/٣-٣٣٤ ، وتفسير الصافي للكاشاني ٣٦٣/٢ .

(٢) الطرائف لابن طاووس ، ص ٤٩٢-٤٩٣ . وفصل الخطاب للنوري الطبرسي ، ص ٥٨ . والبرهان للبحراني ٣٣٣/٣-٣٣٤ . وإحقاق الحق للتستري ، ص ٢٦٠-٢٦١ .

ولكن نذكر هذه الأكاذيب لنذب عن عرض أمهات المؤمنين وعن حبيبة رسوله ﷺ، ولنبين ما يبطنه القوم تجاه ديننا وتجاه نبينا ﷺ وزوجاته أمهات المؤمنين ، فهذه حالهم في الوقت الذي يزعمون فيه أنهم يحبون رسول الله وأهل بيته .

وهاك كذلك بعض أقوالهم حول هذا المعنى :

- ذكر رجب البرسي – وهو من علمائهم – (أن عائشة جمعت أربعين ديناراً من خيانة ، وفرقتها على مبغضي علي)(١).
- وذكر أحمد بن علي الطبرسي – وهو من علمائهم أيضاً – (أن عائشة زينت يوماً جارية كانت عندها ، وقالت لعلنا نصطاد بها شاباً من شباب قريش بأن يكون مشغوفاً بها) (٢) .

ولا يتفوه بها أو يرضى به أو لا تختنق نفسه أو يسمعه ولا ينكر، إلا رجل أعمى الله بصيرته وصدره عن نور الوحي وهي دليل واضح وقوي على نفي حب النبي وأزواجه في الباطن بل دليل على نفي أصل الإيمان ونكتفي بهذه المقولة عن القوم ونشرع في الردود باختصار ، مع أنه واضح البطلان .

تفنيد الشبهة والرد عليها :

كما أسلفنا لا يشك عاقل أن هذه المزاعم والشبه ، إفك مبين ومستحيل أن يتهم إنسان أمه بهذه الاتهامات بل كيف تكون هذه هي حبيبة رسول الله ﷺ ولكنها أم المؤمنين وليست أمهم .

أولاً : ما أدعوه أن الله ﷻ : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ﴾ [سورة التحريم : ١٠] بأم المؤمنين عائشة وحفصة وقد مر تفنيد هذه الشبهة والرد عليها (٣) وإنما الخيانة كانت في الدين (٤) ، وقد أولها بعض

---

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين لرجب البرسي ، ص ٨٦ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت – لبنان ، الطبعة العاشرة .

(٢) الاحتجاج للطبرسي ، ص٨٢ .

(٣) في المبحث الرابع من الفصل الأول من الباب الخامس .

(٤) يراجع جامع البيان للطبري ٢٨/١٦٩-١٧١، وتفسير ابن كثير ٤/٣٩٣ .

الشيعة بذلك [1] وأجمع أهل التفسير على قول ابن عباس رضي الله عنهما قال " ما زنتا أما خيانة امرأة لوط : فكانت تدل على قومها وأما خيانة امرأة نوح : فكانت تخبر أنه مجنون ، وعلى ذلك جميع المفسرين [2] ، فمعنى كلمة فخانتاهما (أي خيانة الدين لا خيانة العرض) وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾ [سورة الأحزاب : ٦٩].

فالأنبياء مبرأون من هذا فنحن هنا ندافع عن أزواج الأنبياء عامة وعن أم المؤمنين خاصة ، ولا أطيل وقد مر الكلام على هذا .

٢- دعواهم كما قال القمي فيما أتت في طريق البصرة وكان طلحة يحبها وتزوجها فزوجت نفسها من طلحة .

الرد عليها :

وهذه فرية ظاهرة لأن مجتمع هؤلاء مجتمع زواج المتعة ، والفجور المستتر تحت زي الإسلام ، أتظنون أن مجتمع الصحابة وأمهات المؤمنين مثل مجتمعكم ، وهذا سر قولهم لهذه الطوام التي ينخلع القلب لها ولكن (قلب المسلم يعلم حدود الله وحدود رسوله وحقوقهما وحقوق أمهات المؤمنين)

ولكن في مجتمع غالبه أولاد متعة ، فلا عجب عندهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ألا فليقف كل متشيع رافضي مع نفسه ومع القرآن وقفة متجرد منصف وليراجع نفسه عل الله أن يتوب عليه ويشرح صدره .

وهذه الدعوى ظاهرها البطلان ، لأن أم المؤمنين كان معها محرم لها وهو ابن أخيها عبدالله بن الزبير وهذا بإجماع أهل السنة بل بإجماع الشيعة أنفسهم ، وسفر المرأة مع ذي محرم جائز وخصوصاً إذا كان لمصلحة من مصالح المسلمين ويؤيد هذا ما أورده هم في كتبهم أنه كان معها ابن أختها عبد الله بن الزبير وهو الذي حرّضها على المسير إلى البصرة، وحرّض أباه على محاربة علي رضي الله عنه عندما عزم أبوه على

---

(١) الصراط المستقيم للبياضي ٢/١٦٥-١٦٦ ، و تفسير الصافي للكاشاني ٢/٧٢٠ .

(٢) يراجع : جامع البيان للطبري ٢٨/١٦٩-١٧١، وتفسير ابن كثير ٤/٢٩٢، وفتح القدير للشوكاني ٥/٢٥٥-٢٥٦ وغيرها من تفاسير أهل السنة ، فكان إجماعاً على ذلك .

الإقلاع عن حربه لما التقيا في البصرة ، أخذ يلح عليه حتى عاد إلى حربه - وهـذه كلها مزاعم ذكرها الشيعة في كتبهم[1].

هذا ليعلم أن منهج الشيعة منهج متناقض متضارب سقيم عقيم مفترى والوعيد ينتظرهم ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٥٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٥٨] منطبق عليهم ، لأنهم بهذا قذفوا أم المؤمنين وحبيبة رسول الله ﷺ وفي هذا إيذاء لله ولرسوله وللمؤمنين .

٣- أما دعواهم أن طلحة قال (لئن مات النبي لأنكحن أزواجه من بعـده) أو (لـئن مات محمد لنركضن بين خلاخيل نسائه ...) أو (لأتزوجن عائشة) وفي روايـة (وكان يريد عائشة)

الرد على هذه الفرية :

إن أي عاقل يدعي الإيمان بالله ورسوله وينتسب إلى الإسلام لا يشك في أن هـذا فيه إيذاء للنبي ﷺ والله ﷻ يقول : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣]

وهذه الرواية التي أوردوها في سبب نزول هذه الآية ، من وضع هؤلاء الروافض .

وأورد مفسرو أهل السنة في سبب ورود هذه الآية ، أن رجالاً كانوا يرون جـواز نكاح أزواج رسول الله ﷺ بعد موته ، فأنزل الله هذه الآيات ليبين حرمة ذلك .

(١) ينظر من كتبهم : الاختصاص للمفيد ، ص ١١٩ ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/١٦٧-١٧٠ ، ٤/٤٨٠-٤٨٣ ، وأحاديث أم المؤمنين عائشة لمرتضى العسكري ١/٢٢٧، ٢٦٨، ٢٦٩ .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : ربما بلغ النبي ﷺ أن الرجل يقول: لو أن النبي ﷺ توفي تزوجت فلانة من بعده ، فكان ذلك يؤذي النبي ﷺ ، فنزل القرآن ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ.. ﴾[1].

ولم يرد دليل صحيح عند أهل السنة في تحديد أسماء هؤلاء الرجال وأكتفوا بقولهم (نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي) (وقال رجل من قريش) (وقال رجل) واغلب هذه الروايات رويت بصيغة التمريض (((قيل)) ((يقال)) ((ذكر))[2].

أما الروايات التي ذكرت أن القائل هو طلحة بن عبيد الله فبعضها منقطع الإسناد وبعضها موضوع .

فالرواية الأولى : ذكرت أن قتادة قال : (إن طلحة ابن عبيد الله قال : لو قبض رسول الله ﷺ تزوجت عائشة) ، وهذه أخرجها عبدا لرزاق في المصنف وعبد بن حميد في مسنده وابن المنذر [3] عن قتادة وهو قتادة ابن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري ولد سنة ٦٠ أو ٦١ ومات سنة بضع عشر ومائة بواسط فالانقطاع ظاهر بينه وبين هذه الواقعة قرابة مائة سنة وهو مشهور بالتدليس وصفه به النسائي وغيره[4].

وأما الرواية الثانية : فقد أُسندت إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، وفي إسنادها كذابان : أحدهما الكلبي : وهو محمد بن السائب الشيعي الكذاب وللعلماء حول هذا (الكلبي) كلام شديد حتى أنهم قالوا لا تحل الرواية عنه وقال أحمد بن زهير ، قلت لأحمد بن حنبل : يحل النظر في تفسير الكلبي ؟ قال :لا. وقال ابن معين الكلبي ليس بثقة وقال الجوزجاني وغيره : كذاب ، وقال الدار قطني وجماعة : متروك ،

---

(١) تفسير الطبري ٤٠/٢٢ ، وأسباب النزول للواحدي ، ص ٤١٧-٤١٨. والدر المنثور للسيوطي ٢١٤/٥ ، وفتح القدير للشوكاني ٢٩٩/٤-٣٠٠ .

(٢) حتى الرازي في التفسير يقول (قيل) ١٩٤/٢٥ - طبعة دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

(٣) فتح القدير للشوكاني ٤٢٤/٤ .

(٤) ينظر طبقات المدلسين ، ص٤٣ ، وتهذيب الكمال ٤٩٨/٢٣ .

وقال يزيد بن زريع : حدثنا الكلبي – وكان سبائياً – قال أبو معاوية قال الأعمش: إتق هذه السبائية ، فإني أدركت الناس وإنما يسموهم الكذابين [١] .

وخلاصة القول فيه قول الذهبي رحمه الله :" لا يحل ذكره في الكتب ، فكيف الاحتجاج به"[٢].

والراوي الآخر الكذاب في رواية ابن عباس رضي الله عنهما هو محمد بن مروان السُّدِّيُّ الكوفي وهو السدي الصغير يروي عن هشام بن عروة والأعمش[٣].

قال الذهبي ، تركوه ، وأتهمه بعضهم بالكذب ، وهو صاحب الكلبي السابق الذكر.

وقال ابن معين : ليس بثقة ، وقال أحمد : أدركته وقد كبر فتركته ، وقال عنه أبو حاتم : (ذاهب الحديث ، متروك الحديث ، كذاب ، لا يكتب حديثه البتة)[٤].

وكذا قال البخاري وقال الذهبي (كوفي متروك متهم)[٥] ، فهذا هو حال رواة هذا الخبر العجيب الذي اتكأ عليه الروافض الإثنى عشرية ممن يريدون الطعن في أم المؤمنين رضي الله عنها .

وقد حذر بعض علماء أهل السنة ممن تعرضوا للكلام حول هذه الآية وسبب نزولها عند ذكرهم هذا الخبر والروايات القائلة أن طلحة ابن عبيد الله هذا هو الرجل .

فقال ابن عطية الأندلسي : وهو أحد المفسرين : بعد ذكره لتلك الرواية " وهذا عندي لا يصح على طلحة بن عبيد الله "[٦].

---

(١) ينظر : تهذيب الكمال ١٢٠٠/٣ ، وخلاصة التهذيب ٤٠٥/٢ ، وتاريخ البخاري الكبير ١/ ١٠١ ، والتاريخ الصغير ٥١/٢ ، وتهذيب التهذيب ١٧٨/٩ ، وتقريب التهذيب ١٦٣/٢، والجرح والتعديل ١٤٧٨/٧ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ١١٨/٦ ، والثقات لابن حبان ٤٣٣/٧، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٤٨، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢٩٦/٦ .

(٢) ميزان الاعتدال ١٥٩/٦ ، طبعة درا الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م .

(٣) ينظر : تاريخ البخاري الصغير ٢٤٦/٢ ، وأحوال الرجال للجوزجاني ، والمعرفة والتاريخ ليعقوب بن سفيان الفسوي ١٨٦/٢ ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، مطبعة الإرشاد ، العراق ، والمجروحين لابن حبان ٢٨٦/٢ ، وتاريخ الخطيب ٢٩١/١٣ ، والكشف الحثيث ، والتقريب ٢٠٦/٢ ، والتهذيب ٤٣٦/٩– ٤٣٧ .

(٤) الجرح والتعديل ٨/ ٧٦ .

(٥) ميزان الاعتدال ٤/ ٣٢–٣٣ ، وديوان الضعفاء ، ص ٣٧٤ .

(٦) فتح القدير للشوكاني ٤/ ٢٩٩ . وروح المعاني ٧٤/٢٢ .

وقال القرطبي : " قال شيخنا الإمام أبو العباس : وقد حكي هذا القول عن بعض فضلاء الصحابة، وحاشاهم عن مثله ، وإنما الكذب في نقله"[1].

ودافع الحافظ ابن حجر رحمه الله عن طلحة بن عبيد الله أحد العشرة فذكر أن طلحة بن عبيد الله المذكور في الروايات المنقطعة والموضوعة هو طلحة آخر ، فذكر أن الذي نزل فيه قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ هو طلحة بن عبيد الله بن مسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم التيمي، وليس طلحة بن عبيد الله أحد العشرة)[2] .

وخلاصة القول في هذه المسألة : أن هذه المقالة وإن كانت صدرت عن أحد الصحابة فإنه يعتذر له بجهله بحكم نكاح أزواج النبي ﷺ والمعتقد في الصحابة أنهم توابون رجاعون إلى الحق إذا عرفوه ، وهذا ما حصل لهذا الصحابي كما قال ابن عباس رضي الله عنهما (كانت هفوة منه وتاب وندم وكفّر بالحج ماشياً وبإعتاق رقاب كثيرة وحمل في سبيل الله على عشرة أفراس أو أبعره) [3] .

قال ابن الأثير عن طلحة هذا الذي قال ذلك أنه غير العشرة وقد مرّ ذكر اسمه ، يقول : "وسمي طلحة الخير أيضاً كما سمي طلحة بن عبيد الله الذي من العشرة وأشكل على الناس،...... فلغط لذلك جماعة من أهل التفسير فظنوا أنه طلحة بن عبيد الله الذي من العشرة لما رأوه طلحة بن عبيد الله القرشي وهو صحابي "[4] وهذه هي خلاصة القول والله المستعان[5].

---

(١) تفسير القرطبي ١٤/٢٢٨-٢٢٩ . وفتح القدير للشوكاني ٤/٢٩٩ .

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٣/٥٢٢، تحقيق : علي محمد البجاوي ، طبعة دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى.

(٣) تفسير التحرير والتنوير ١/٣٣٩٠ .

(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ١/٥٤٥ .

(٥) تنظر هذه المسألة في تفسير الطبري ١٠/٣٢١٤ . وتفسير ابن كثير ٣/٦٦٤ . وتفسير القرطبي ١٤/١٩٧ . وفتح القدير ٤/٤٢٤ . وتفسير البغوي ١/٣٦٩ . والدر المنثور ٦/٦٤٤ . وروح المعاني ١١/٣٤ . وزاد المسير لابن الجوزي ٦/٤١٦ . والتحرير والتنوير ١/٣٣٨٩ . وتفسير عبدالرزاق بن همام الصنعاني ٣/١٢٢ ، طبعة مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ . ومعاني القرآن للنحاس ٥/٣٧٣ ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ. ولباب النقول في أسباب الترول ١/١٧١ . والطبقات الكبرى لابن سعد ٨/ ٢٠١ . والسنن الكبرى للبيهقي ٧/ ٦٩ .

المبحث الرابع : دعواهم أن عائشة ﵂ مصدر الفتنة :

زعم الشيعة الروافض الإثنى عشرية ، أن عائشة ﵂ مصدر الفتنة وسببها ، وقد استدلوا على هذا بقول رسول الله ﷺ وهو على منبره (ألا إن الفتنة ها هنا – يشير إلى المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان – أو قال : قرن الشمس) [١] وفي لفظ (يؤم العراق) [٢] .

قال الشيعة (وكان يشير إلى مسكن عائشة) [٣] ، وبوبوا لهذا الحديث في أغلب كتبهم بقولهم (باب في إخبار النبي أن الفتنة ورأس الكفر من بيت عائشة) [٤] وزعموا أن الرسول ﷺ قال ذلك تحذيراً للناس منها ومن أبيها)[٥] .

تفنيد الشبهة والرد عليها :

روايات هذا الحديث في كتب السنة كلها متفقة أن جهة الفتنة هي جهة المشرق بالنسبة لمقام النبي ﷺ بالمدينة ، ولا عبرة لذكر المكان الذي قال رسول الله ﷺ فيه هذا الحديث ، سواء كان قاله على المنبر ، أو أمام بيت زوجه حفصة ، أو عند خروجه من بيت عائشة ، أو هو مشرف على أطم من آطام المدينة ، أو غير ذلك كما ذكرت الروايات الصحيحة .

ووجود بيت عائشة ﵂ بينه وبين المشرق في بعض الروايات لا تعني أنها ﵂ المقصودة بقوله عليه الصلاة والسلام (هاهنا الفتنة) .

وذكر الزمان والمكان لا يؤثر على فهم النص ، ولا يؤخذ منه تعارضاً أو تضارباً ، لأنه ليس هو المقصود بيانه في الحديث ، وإنما المقصود بيان أن جهة الفتنة إنما هي جهة المشرق ، وهذا باتفاق كافة أهل العلم بالحديث ، ويشهد لهذا الفهم أحاديث أخرى كثيرة صحيحة صريحة منها .

---

(١) متفق عليه :

البخاري في صحيحه مع الفتح ت كتاب الطلاق باب الإشارة في الطلاق والأمور ٣٤٥/٩ ، حديث (٥٢٩٦).

ومسلم في صحيحه – كتاب الفتن – باب الفتنة من المشرق ٢٢٢٨/٤-٢٢٢٩ ، حديث (٢٩٠٥) .

(٢) مسلم – كتاب الفتن – باب الفتنة من المشرق ٤/ ٢٢٢٩ ، حديث (٢٩٠٥) .

(٣) انظر كتب الشيعة ، كالطرائف لابن طاوس ، ص ٢٩٧ . والصراط المستقيم للبياضي ٣/ ١٤٢، ١٦٤ . والكشكول لحيدر الآملي ، ص ١٧٧-١٧٨ . وإحقاق الحق للتستري ، ص ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٠) . والمراجعات للموسوي ، ص ٢٦٨ ، والصاعقة ص ١٤٥.

(٤) انظر المراجع السابقة .

(٥) انظر الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس ، ص ٢٩٧ .

١- قوله ﷺ وقد أشار بيده نحو اليمن (الإيمان هاهنا - مرتين - ألا وإن القسوة وغلظ القلوب في الفدّادين ، [1] حيث يطلع قرن الشيطان ربيعة ومضر) [2] ، فالمقصود أن الإيمان في أهل اليمن كما فسرته الأحاديث الأخرى ويدل على ذلك .

٢- قوله ﷺ (اللهم بارك لنا في مدينتنا ، وفي صاعنا ومدنا ويمننا وشامنا ثم استقبل مطلع الشمس فقال : من هاهنا يطلع قرن الشيطان من ها هنا الزلازل والفتن)[3] قال رجل يا رسول الله ! وفي عراقنا ؟ فأعرض عنه ، فقال : فيها الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان) [4] قال الألباني رحمه الله (وطرق الحديث متضافرة على أن الجهة التي أشار إليها النبي ﷺ إنما هي المشرق وهي على التحديد العراق كما رأيت بعض الروايات الصريحة ، فالحديث علم من أعلام نبوته ﷺ فإن أول الفتن كانت من المشرق فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين ، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة كبدعة التشيع والخروج ونحوها) [5] .

---

(١)الفدّادين: هي البقر التي تحرث والفد والفدّادين ، جمع فداد وهذا قول أهل الحديث والأصمعي وجمهور اللغة وهو من الفديد وهو الصوت الشديد فهم الذين تعلوا أصواتهم في إبلهم وخيلهم وحروثهم ونحو ذلك.

ينظر الصحاح ، للجوهري ٥١٨/٢ .

(٢) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح - كتاب الطلاق - باب اللعان ٣٤٨/٩ ، حديث (٥٣٠٣) .

ومسلم -كتاب الإيمان - باب تفاضل أهل الإيمان فيه ١/ ٧١ حديث (٥١) .

(٣) أخرجه أحمد ١٢٦/٢ ورجاله ثقات غير بشر بن حرب فإنه لين الحديث .

وقريب منه عند الطبراني في المعجم الأوسط ٢٤٦/٤ .

وعند الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٠٥/٣ ، وقال : (رجاله ثقات).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٣٣/٦ .

وعلاء الدين الهندي في كتر العمال ٧١/١٤ .

وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٣١/١ .

والهيثمي في مجمع الزوائد ٣٠٥/٣ .

ويشهد لهذا الحديث المتفق عليه المذكور أول هذا المبحث .

وانظر : السلسلة الصحيحة ٥/ ٦٥٣ .

(٥) السلسلة الصحيحة ٥/ ٦٥٥-٦٥٦ .

فقد روى البخاري [1] عن أبي نعيم قال (سمعت عبدالله بن عمر وسأله رجل من أهل العراق عن محرم قتل ذباباً فقال يا أهل العراق : تسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسـول الله ﷺ وقال النبي ﷺ (هما ريحانتاي من الدنيا) وإن من تلك الفتن طعن الشيعة الـروافض في الصحابة - رضي الله عنهم- وأمهات لمؤمنين .

وهكذا يوهموا بخبث ودهاء بأن الإشارة إنما هي إلى مسكن عائشة رضي الله عنها ، وهـذا مـن صنيع اليهود وهو تحريف الكلم عن مواضعه ، وكما هو واضح أن الإشارة إلى المشرق وهـي العراق كما هو موضح في الروايات الأخرى .

أما رواية عكرمة التي استدلوا بها على قولهم فهي بعكس قولهم فهي ترد وتبين ما سبق بيانه من أن المراد جهة المشرق التي هي العراق فقد روى مسلم في صحيحه[2] عن عكرمة بن عمار عن سالم عن ابن عمر قال خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فقال (رأس الكفر من ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان يعني المشرق).

فإذا أمعن المنصف المتجرد عن الهوى ، في مجموع هذه الروايات قطع ببطلان ما قالـه أهل الإفك والبهتان ، أضف إلى ذلك : أن النبي ﷺ كيف يقول ذلك عن أحب زوجاته إليه ، الحصان الرزان حبيبة رسول الله ﷺ .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح كتاب - فضائل الصحابة - باب مناقب الحسن والحسين ٧/ ١١٩ -١٢٠، حديث (٣٧٥٣) .

(٢) صحيح مسلم - كتاب الفتن - باب الفتنة من المشرق ٤/ ٢٢٢٩ ، حديث (٢٩٠٥) .

المبحث الخامس : الطعن في رواية عائشة رضي الله عنها للحديث :

القائلون بهذه الشبهة هم الشيعة الروافض الإثنى عشرية ، ولم يقله أحد من أهل البدع غيرهم ، نعم هي أم المؤمنين وأحاديثها كثيرة في الأحكام وغيرها فكيف يطعن في روايتها إنه طعن في الدين لا طعن في رواية أم المؤمنين ، فهؤلاء يزعمون أن ماروته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من الأحاديث عن رسول الله ﷺ غير مقبول ، لأن روايتها فاسدة ، ولأنها كانت تكذب على رسول الله ﷺ.

فقد أسند ابن بابويه القمي الملقب عند الشيعة بالصدوق إلى جعفر الصادق قوله (ثلاثة كانوا يكذبون على رسول لله ﷺ : أبو هريرة، وأنس بن مالك ، وامرأة)[1].

ومن المعلوم أن أبا هريرة رضي الله عنه وأنس بن مالك وأم المؤمنين- رضي الله عنهم- أجمعين أكثر الصحابة حديثاً عن رسول الله ﷺ ، فقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً وروى أنس بن مالك - رضي الله عنه- خادم رسول الله ﷺ ألفين ومائتين وستة وثمانين حديثاً ، وروت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ألفين ومائتين وعشرة أحاديث . [2]

لذلك عمد الشيعة إلى هؤلاء الثلاثة أكثر الصحابة حديثاً لأن الطعن في روايتهم مسقطاً لكثير من الشريعة التي نقلوها .

قال أبو زرعة الرازي رحمه الله تعالى :" إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول ﷺ حق وما جاء به حق ، وإنما أدى ذلك كله إلينا الصحابة ، هؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى وهم زنادقة "[3].

---

(١) الخصال للصدوق ١/١٩٠ .

(٢) مقدمة مسند بقي بن مخلد الشيباني ، ص ٧٩ .

(٣) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ، ص ٤٩ ، طبعة القاهرة – مصر .

فهؤلاء يريدون إبطال الشرع بإبطال هذه الروايات ، وليس المقام مقام تفصيل في الرد عليهم في دعواهم حول الصحابيين الجليلين أنس بن مالك وأبو هريرة رضي الله عنهما[1].

أما المرأة التي ذكرها الشيعة في روايتهم وزعموا أنها كانت تكذب على رسول الله ﷺ فيعنون بها عائشة ، والدليل على ذلك، وورود ما يعضد ذلك في كتبهم أنفسهم .

فابن طاووس مثلاً ، وهو من كبار علمائهم - شكك أن تكون عائشة رضي الله عنها قد روت كل هذه الأحاديث ، بينما غيرها من أزواجه ﷺ لم يعرف عنهن أنهن روين أكثر من نيف وثلاثين حديثاً ، ثم أخذ يطعن في الأحاديث التي روتها والتي أخرجها البخاري ومسلم في صحيحيهما، وتطرق إلى أن هذه الأحاديث إنما روتها عائشة لتدعيم موقفها السياسي ، وزعم أنها محض افتراء على رسول الله ﷺ [2] .

وكذلك حذا حذوه عبد الحسين الموسوي في كتابه المراجعات [3] ، ومرتضى العسكري في كتابه (أحاديث أم المؤمنين عائشة) بل أفرد القسم الثاني من كتابه لنقض أحاديثها ، سيما المخرج في الصحيحين [4].

---

(١) وقد ألفت كتب كثيرة في الدفاع عن أبي هريرة منها:

١- الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء السنة من الزلل والتضليل والمجازفة للعلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني - المكتبة السلفية بالقاهرة ١٢٨٧هـ .

٢- أبو هريرة راوية الإسلام لمحمد عجاج الخطيب - المؤسسة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٣٨١هـ .

٣- دفاع عن أبي هريرة لعبد المنعم صالح العلي - دار الشرق - بيروت مكتبة النهضة - بغداد - الطبعة الأولى ، ١٣٩٢هـ.

٤- أبو هريرة وأقلام الحاقدين لعبدالرحمن بن عبدالله الزرعي - دار الأرقم الكويت الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ .

٥- البرهان من تبرئة أبي هريرة من البهتان لعبدالله بن عبدالعزيز الناصر -دار النصر للطباعة ـ القاهرة الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٦- أبو هريرة وعاء العلم ، لهاشم عقيل عزوز - دار القبلة ، جدة السعودية ، وغير ذلك .

(٢) ينظر الطرائف في معرفة الطوائف لابن طاوس ، ص ٢١٨-٢٢٥ .

(٣) المراجعات للموسوي ، ص ٢٥٩-٢٧٠ .

(٤) يراجع القسم الثاني من كتاب مرتضى العسكري .

وأورد ألتستري إحدى روايات عائشة المخرجة في الصحيحين ، وعلق عليهما بقوله : "وأقول : رواية عائشة كخلافة أبيها فاسدة "[1].

وهذه النقولات عن الشيعة توضح مرادهم ، وتؤيد قول من قال أن غرضهم هو الطعن في الدين ، فالطعن في روايتها ﵁ طعن في أحاديثها كلها التي مدارها على الأحكام.

فمن طعن في روايتها للحديث فإنما قصد إبطال الكتاب والسنة اللذين نقلـهما إلينـا الصحابة ومنهم أم المؤمنين عائشة – رضي الله عن الجميع– .

(١) إحقاق الحق للتستري ، ص ٣٦٠ .

المبحث السادس : دعواهم إقامة الحد على عائشة ﵂ بعد الرجعة :

القائلون بهذه الدعوى الشيعة ، لم يقل أحد من أهل البدع عن أم المؤمنين هذا إلا أعداء الله ورسوله وأمهات المؤمنين الروافض الإثنا عشرية ، فيزعم الشيعة الإثنى عشرية أن قائمهم – مهديهم المزعوم- يقيم الحد على أم المؤمنين عائشة ﵂ في الرجعة :

فقد أسند ابن رستم الطبري ، والبرقي ، والصدوق وغيرهم – واللفظ لابن رستم – إلى عبدالرحمن القصير قال : قال لي أبو جعفر الباقر (أما لو قام القائم ، لقد رُدَّت إليه الحميراء حتى يجلدها الحد ، وينتقم لأمه فاطمة منها ، قلت : جعلت فداك ، ولم يجلدها ؟ قال : لفريتها على أم إبراهيم : قلت فكيف أخره الله ﷿ للقائم : فقال لأن الله تبارك وتعالى بعث محمداً رحمة ، ويبعث القائم نقمة) [(١)] . والحميراء من ألقاب أم المؤمنين عائشة ﵂.

إذاً : القائم عند الشيعة – وهو المهدي المنتظر الغائب عندهم- يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة، ويقيم الحد على عائشة ﵂ لفريتها على مارية القبطية ، كما يوضح هذه الروايات المستفيضة في كتبهم :

فهذا المفيد : – وهو من كبار علمائهم – يؤكد أن هذه الروايات صحيحة ومسلمة عند الشيعة ، فيقول (خبر افتراء عائشة على مارية القبطية خبر صحيح مُسلَّم عند الشيعة)[(٢)]، فالخبر إذاً صحيح ومُسلَّم عند القوم .

بل زعموا أن الله أنزل في عائشة آيات بسبب فعلتها ليسبوا بها كعادتهم فقالوا : إن الله أنزل في حق عائشة بسبب فريتها على مارية القبطية آيات منها قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ

---

(١) دلائل الإمامة لابن رستم الطبري ، ص ٢٦٠ . وانظر المحاسن للبرقي ، ص ٣٣٩-٣٤٠ . ومختصر بصائر الدرجات للحلي ، ص ٢١٣ . وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٥٧/٢ . وكشف الغمة للإربلي ٥٣٩/٢، وبحار الأنوار للمجلسي ٩٠/٥٣ . وحق اليقين للمجلسي ، ص ٣٧٨ . وحياة القلوب للمجلسي ٢/ ٨٥٤ ، الطبعة الحجرية ، إيران. ومقدمة البرهان لأبي الحسن العاملي ، ص ٣٦٠ ، والرجعة للإحسائي ، ص ١٣٣- ١٣٥، وحق اليقين لعبدالله شبر ١٣/٢ .

(٢) رسالة فيما أشكل من خبر مارية للمفيد ، ص ٢٩ ، دار الكتب التجارية ، العراق .

ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ
شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ
بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ
﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة النور : ١١-٢٠]   وقوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا
فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾[سورة الحجرات :٦] .

وقد روى الشيعة في سبب نزول هذه الآيات عدداً من الروايات المسندة إلى عددٍ من أئمتهم ، منها ما أسنده القميّ وغيره إلى أبي عبدالله جعفر الصادق في تفسير هذه الآيات أنه قال (لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وآله حزن عليه حزناً شديداً فقالت عائشة : ما الذي يحزنك عليه ، فما هو إلا ابن جريح ؟ فبعث رسول الله ﷺ علياً وأمره بقتله ، فذهب علي عليه السلام إليه ومعه السيف ، وكان جريح القبطي في حائط ، وضرب علي عليه السلام باب البستان ، فأقبل إليه جريح ليفتح له الباب ، فوثب علي عليه السلام على الحائط ونزل إلى البستان واتبعه ، وولى جريح مدبراً ، فلما خشي أن يرهقه صعد نخلة وصعد على أثره فلما دنا منه رمى بنفسه من فوق النخلة فبدت عورته فإذا ليس له ما للرجال ولا ما للنساء ، فانصرف علي عليه السلام إلى النبي ﷺ وآله فقال : يا رسول الله إذا بعثتني في الأمر أكون فيه كالمسمار المحمى في الوتر ، أم

أثبت ؟ فقال : بل أثبت فقال : والذي بعثك بالحق ماله ما للرجال وما للنساء . فقال رسول الله ﷺ وآله : الحمد الذي يصرف عنا السوء أهل البيت) [1] .

فهذه الرواية المكذوبة على أبي عبدالله جعفر الصادق فيها أن التي اتهمت مارية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

وكعادتهم في تناقضهم فقد وردت رواية أخرى تخالف هذا عندهم أنفسهم في رواية أخرى منسوبة إلى أبي الحسن علي بن موسى الرضا أسندها إليه ابن رستم الطبري ، وفيها أن المفتري على مارية هما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وحاشاهما مما نسبه الشيعة إليهما.

وهذه الرواية طويلة ، ملخصها : أن عائشة وحفصة ساءهما أن تنزل مارية المكانة التي نزلتها في قلب رسول الله ﷺ ، فغدتا إلى أبويهما ، وشكتا إليهما ، فذهب أبو بكر وعمر إلى رسول الله ﷺ وقالا له (يا رسول الله ما يحل لنا ولا يسعنا أن نكتمك ما ظهرنا عليه من خيانة واقعة بك : قال : وماذا تقولان ؟ قالا : يارسول الله أن جريحاً يأتي من مارية الفاحشة العظمى، وأن حملها من جريح ، ليس هو منك يارسول الله . فاربد وجه النبي ﷺ ، وعرضت له سهوة لعظم ما تلقياه به ، ثم قال ، ويحكما ما تقولان ؟ فقالا: يارسول الله إننا خلّفنا جريحاً ومارية في مشربة وهو يفاكهها ويلاعبها ويروم منها ماتروم الرجال من النساء ... فأرسل رسول الله ﷺ علياً ، فوجد جريحاً ممسوحاً ليس له ما للرجال ولا ما للنساء (كما تقدم في الرواية السابقة)، فأخذه إلى رسول الله ﷺ فأوقفه بين يديه وقال له : يا رسول الله إن جريحاً خادماً ممسوحاً ، فولى النبي ﷺ ووجهه إلى الجدار وقال :حل لهما لعنهما الله ، يا جريح أكشف عن نفسك حتى يتبين كذبهما ، ويحهما ما أجرأهما على الله ورسوله ، فكشف جريح عن أثوابه فإذا هو خادم ممسوح كما وصف ، فسقطا بين يدي رسول الله ﷺ وقالا: يا رسول الله التوبة ، استغفر لنا فلن نعود : فقال رسول الله ﷺ : لا تاب الله عليكما ، فما ينفعكما

---

(١) تفسير القمي الطبعة الحجرية ، ص ٤٥٣، ٦٤٠ ، الطبعة الحديثة ٢/ ٩٩-١٠٠ ، ٢١٨، ٢١٩ . ينظر الجمل للمفيد ، ص ٢١٩ . والأمالي للمرتضى ١/ ٧٧-٧٩ . وتفسير الصافي للكاشاني ٢/١٦٠ ، والبرهان للبحراني ٣/ ١٢٦-١٢٧ ، ٤/ ٢٠٥ . وسيرة الأئمة الإثنى عشرية لهاشم معروف الحسين ١/ ٤٣٨ .

استغفاري ومعكما هذه الجرأة على الله وعلى رسوله . قالا : يا رسول الله فإن استغفرت لنا رجونا أن يغفر لنا ربنا فأنزل الله تعالى الآية :﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٨٠] [١] إلى آخر هذه القصة المختلقة الموضوعة التي سيتبوأ واضعوها مقعدهم من النار .

وهذه القصة رغم أنهم نسبوها إلى أحد أئمتهم ، إلا أنها تخالف المشهور عندهم ، والمنسوب إلى إمامين كبيرين من أئمتهم ، هما جعفر الصادق ، وأبوه محمد الباقر – وقد تقدم بيانهما ، وقد تقدم أن المفيد الملقب عندهم ب (شيخ الطائفة) أكد أن عائشة هي المفترية على مارية ، وأن هذا هو الصحيح والمسلم عند الشيعة .

وقد علل الشيعة أمر النبي ﷺ علياً بقتل جريح القبطي دون أن يتثبت من جرمه ، بما أسنده القمي إلى جعفر الصادق ، وفيه : أن أمر الرسول ﷺ علياً بقتل القبطي لم يكن عن عزيمة ، بدليل مراجعة علي له في أمر القتل ، (وإنما فعل رسول الله ﷺ ذلك لترجع عن ذنبها ، فما رجعت ، ولا اشتد عليها قتل رجلٍ مسلم بكذبها) [٢] على حد زعمهم الذي نسبوه إلى جعفر الصادق زوراً .

إذاً هذا من الأسباب التي يقام بها الحد على أم المؤمنين رضي الله عنها على حسب زعمهم .

إذا كان الأمر كذلك فلقائل أن يقول : لماذا لم يقم رسول لله ﷺ عليها الحد وقد عرف افتراءها كما زعموا ، وهو القائل لما سألوه إسقاط الحد عن المرأة المخزومية التي سرقت (لو كانت فاطمة لقطعت يدها)[٣] وكان لا يقبل الشفاعة في حد من حدود الله .

فكيف لا يقيم ﷺ حد ثبت أمامه ، فيه رمي لمحصنة غافلة ؟ ولماذا لم يقم علي بن أبي طالب رضي الله عنه عليها الحد في أيام خلافته ؟ وكذا ابنه الحسن ؟ .

---

(١) دلائل الإمامة لابن رستم الطبري ، ص ٢٠١-٢٠٤ .

(٢) تفسير القمي ٢/ ٣١٩ .

(٣) متفق عليه ..

صحيح البخاري مع الفتح – كتاب فضائل الصحابة – باب ذكر أسامة بن زيد ٧/١١٠ ، حديث (٣٧٣٣)

ومسلم في صحيحه – كتاب الحدود – باب قطع السارق الشريف غيره ٣/١٣١٦ ، حديث (١٦٨٩) .

أجاب الشيعة على هذا بما أسنده الكليني ، والصدوق إلى جعفر الصادق ، وبما أسنده ابن رستم الطبري ، والبرقي إلى أبي جعفر الباقر أنهما قالا : واللفظ للكليني : (إذا تمنى أحدكم القائم فليتمنه في عافية ، فإن الله بعث محمداً رحمة ، ويبعث القائم نقمة)[1] .

وقد فهموا من كونه ﷺ بعث رحمة : أنه يسقط الحدود ، ولا يقيمها، مع أن المتواتر عنه ﷺ أنه كان يقيم الحدود ، ولا يسقطها عن أحد ، ولو كانت ابنته ، وأنه لا يقبل الشفاعة فيها .

وليس إقامة الحدود نقمة حتى يبعث الله ﷻ القائم بها - كما زعموا - بل فيها الرحمة والحياة ، كما قال ﷻ : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٩] .

وهذا القائم المزعوم المنتظر عندهم ، هو الذي يميت الجور الذي لم يستطع الرسول ﷺ ولا علي - رضي الله عنه- ولا الحسين ولابقية الأئمة أن يميتوه ، بل تركوه لدولة القائم الذي يقوم بالحق والعدل كما زعم الروافض ، وهذه أوهام لا أوهام النصارى واليهود ولا حول ولا قوة إلا بالله .

مزاعم الشيعة في القائم :

وزعموا في هذا القائم الذي على حد زعمهم يقيم الحدود ومزاعم أخرى منها .

روى الكليني والصدوق بسنديهما عن جعفر الصادق أنه قال : (دمان في الإسلام حلالٌ من الله تبارك وتعالى لا يقضي فيهما أحد حتى يبعث الله ﷻ قائمنا أهل البيت ، فإذا بعث الله قائمنا أهل البيت حكم فيهما بحكم الله ﷻ لا يريد فيه بينة : الزاني المحصن يرجمه ، ومانع الزكاة يضرب عنقه)[2] .

بل زعموا أكثر من ذلك أيضاً ، زعموا أن الدين لا يظهر إلا في زمن القائم ، وأولوا قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ

---

(١) ينظر دلائل الإمامة لابن رستم الطبري ، ص ٢٦٠ . والمحاسن للبرقي ، ص ٣٣٩-٣٤٠ . وعلل الشرائع للصدوق ، ص ٢١٠ .

(٢) أصول الكافي للكليني ١٤٢/١ . ومن لا يحضره الفقيه للصدوق ٦/٢ . وإكمال الدين له ، ص ٦٢٩ .

﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [سورة التوبة : ٣٣] ليعضدوا هذا الزعم بما أسنده العياشي إلى أبي جعفر الباقر قال (ليظهره الله في الرجعة) [(١)].

فالدين عندهم لا يظهر إلا في زمن القائم ، والحدود كذلك لاتمضي إلا في زمنه والجور والظلم لا يموت إلا في زمنه ، والعدل والحق لا يظهر إلا في زمنه .

أما عن امتناع علي رضي الله عنه عن إمضاء هذا الحد في خلافته .

١- فيعلله بعض الشيعة بأن يده كانت مكفوفة ، وكان لا يملك حولاً ولا طولاً . وكذلك الحال بالنسبة للحسن رضي الله عنه ، والأئمة التسعة الباقين . أما القائم : فإنه يقوم بالحق والعدل ، ويميت الجور والظلم ، ولذلك تأخر إمضاء الحد على عائشة إلى زمان رجعته[(٢)] .

٢- ويعلله البعض الآخر بخوفه على شيعته من ظلم سيأتي بعده .

فقد أسند الملقب عندهم بالصدوق إلى أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال : (إن علياً (ع) سار فيهم بالمن والكف ، لأنه علم أن شيعته سيظهر عليهم عدوهم من بعده . والقائم (ع) إذا قام سار فيهم بالبسط والسبي ، وذلك أنه يعلم أن شيعته لن يظهر عليهم من بعده أبداً)[(٣)] .

ولا يخفى مافي هذا التعليل والذي قبله من الإساءة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، الذي زعم الشيعة أنه يمتنع عن إمضاء ما أوجبه الله لخوفه على نفسه ، أو لخوفه على شيعته ، وهو الذي لا يبالي إذا كان على الحق ولو اجتمع عليه أهل الأرض من إمضائه ، كما روى الشيعة أنفسهم ذلك عنه وذكروا أنه قال (إني والله لو لقيتهم واحداً وهم طلاع الأرض كلها ما باليت ولا استوحشت) [(٤)].

---

(١) تفسير العياشي ٨٧/٢ . انظر : تفسير القمي ٢٨٩/١ . ومجمع البيان للطبرسي ٣/ ٢٥ . وتفسير الصافي للكاشاني ٦٩٧/١ . والبرهان للبحراني ٢/ ٢١٢ . وبحار الأنوار للمجلسي ١٩٠/١٣ .

(٢) ينظر من كتب الشيعة ، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد للطوسي، ص ٣٦٩-٣٧٠ . وكشف الغمة للإربلي ٥٣٩/٢. وعلم اليقين للكاشاني ٨٢١/٢ . والرجعة لأحمد زين الأحسائي ، ص ١٣٥ ، مكتبة العلامة الحائري ، العراق .

(٣) علل الشرائع للصدوق ، ص ٢١٠ .

(٤) نهج البلاغة لأبي الحسن محمد بن الحسن المعروف بالشريف الرضي ، ص ٣١٩ ، تحقيق : صبحي الصالح ، دار الكتب اللبنانية ، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م .

تفنيد الشبهة والرد عليها :

إن هؤلاء القوم من الشيعة الروافض الاثنا عشرية يحرفون الكلم عن مواضعه ، بل ويقلبون الحقائق ويحملون الخطاب والنص والكلام ما لا يتحمله فمن قلب الحقائق:

أن الآيات التي زعموا أنها نزلت باتهام عائشة ﵂ ، هي بعينها الآيات التي نزلت ببراءتها ﵂ والتي من خالفها وعارضها فهو كافر لأنه يكذب صريح القرآن وما أجمعت عليه الأمة واشتهر به بين العالمين سلفاً وخلفاً .

وهي قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ﴾ [سورة النور : ١١] نزلت في براءة أم المؤمنين عائشة ﵂ بإجماع مفسري أهل السنة وقد أنكر بعض الروافض ذلك زاعمين أن هذا من العامة ، يعنون أهل السنة إذ رواية أهل السنة عندهم مردودة بالإجماع

بل هم يرون أن الخبر إذا جاء متناقضاً عن واحد من أئمتهم من طريقين وافق أحدهما مذهب أهل السنة ، يترك الخبر الموافق لمذهب أهل السنة لاحتمال خروجه عن التقية [1] .

مذهب الشيعة حول حادثة الإفك وآيات سورة النور :

أ. شكك فيها بعضهم .

ب. اعترف طائفة منهم أنها في براءة عائشة

ج. حكاية بعضهم الإجماع أنها نزلت في أم المؤمنين عائشة .

١- ذهب جعفر مرتضى الحسيني صاحب كتاب (حديث الإفك) والذي ألف كتابه هذا بغرض نقض حديث الإفك ، فقد حاول من أول صفحات الكتاب إلى آخر صفحة من صفحات الكتاب ليبلغ عددها سبع وستون ورقة ومئتا صفحة ، رد حديث الإفك بشتى الوسائل والحجج ، من طعن في رواة أهل السنة إلى زعم

(١) انظر: الصراط المستقيم ، للبياضي ٣/١٥٧، ١٨٢ .

بتناقض هذا الحديث واضطرابه أو دعوى ضعف السند دون بيان الضعف أو غـير ذلك من الافتراءات [١] .

وممن أنكرها أيضاً هاشم معروف الحسيني في كتابه (سيرة الأئمة الإثنى عـشر) [٢] وغيرهما .

٢- ولكن إنكارهم لا يتعارض مع إقرار جمع كبير من علمائهم ، واعترافهم بـأن الله تعالى قد برأ عائشة ﵂ مما نسب إليها من الإفك ، وبأن رسول الله ﷺ قد جلد من جاء به واستشهد بقصة الإفك على وجود العداوة بين علي وعائشة ﵄ بأن العداوة ظهرت من ذلك الحين[٣] .

٣- وذهب بعضهم إلى أن من ينكره يعتبر منكراً لشيء متواتر في الدين فهذا ابـن أبي الحديد يقول (وقوم من الشيعة زعموا أن الآيات التي في سورة النور لم تنزل فيهـا - يعني عائشة - وإنما نزلت في مارية القبطية وما قذفت به مع الأسود القبطي .... إلى أن قال .. وجحدهم لإنزال ذلك في عائشة جحد لما يُعلم ضرورة من الأخبار المتواترة)[٤].

---

(١) انظر: كتاب حديث الإفك لجعفر مرتضى الحسيني .

(٢) انظر: كتابه سير الأئمة الاثنا عشر ٤٣٨/١ .

(٣) يراجع الجمل للمفيد ، ص ٢١٨-٢٢٦ . وعلم اليقين للكاشاني ٢/ ٧١٩ . وتلخيص الشافي للطوسي ، ص ٤٦٨ . والصوارم المهرقة للتستري ، ص ١٠٥. واحقاق الحق للتستري ، ص ٢٨٤ . والدرجات الرفيعة للشيرازي ، ص ٢٥ . والفصول المهمة للموسوي ، ص ١٥٦ .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٤٢/٣ .

المبحث السابع : تحريف النصوص وتنزيلها على عائشة رضي الله عنها :

الذين قالوا بهذه الفرية وحرفوا النصوص كاليهود والنصارى هم الشيعة الاثنا عشرية ، وقد مرّ الكلام مراراً على هذا المنهج لهم في تحريف الأدلة وتنزيلها على ما ليست له .

ونضرب مثلاً ببعض النصوص التي حرفوها .

١- قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة التحريم : ٧] ، قالوا أنها نزلت في أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة لما هموا بوضع السم للنبي ﷺ ، بل لقد جزم بذلك البياضي في الصراط المستقيم (١) وقد مر الكلام على هذا والرد عليه في الباب الخامس .

٢- وقالوا في قوله تعالى : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [سورة التحريم: ٤] زعموا أن معنى صغت قلوبكما أي زاغت والزيغ هو الكفر بل قالوا بورود هذا التفسير عن أبي جعفر الباقر ، وولده جعفر الصادق(٢) وقد تقدم الكلام عن هـــذا والرد عليه.

٣- زعم الشيعة زوراً وبهتاناً أن الله ﷻ وتبارك وتعالى ضرب امرأة نوح وامرأة لوط مثلاً لعائشة وحفصة رضي الله عنهما بقول الله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [سورة التحريم: ١٠] بل ويعزون هذا التحريف إلى أمير البررة وقتيل الفجرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في قصة موضوعة مخترعة وقد سبق الكلام على هذه

---

(١) الصراط المستقيم للبياضي ٣/ ١٦٩ .

(٢) ينظر الصراط المستقيم للبياضي ٣/ ١٦٨ . وفصل الخطاب للنوري الطبرسي ، ص ٣١٣ وعزاه النوري الطبرسي إلى السياري الذي رواه من طريقين أحدهما إلى الباقر والآخر إلى الصادق ، وعزاه إلى سعد بن عبدالله القمي صاحب كتاب مقالات الفرق في كتابه نواسخ القرآن .

القصة وبيان كذبها سنداً ومتناً وواقعاً وبيّنا علاقة أم المؤمنين عائشة بالخليفة عثمان رضي الله عنهما [1].

٤- وحرفوا معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾ [سورة النحل : ٩٢] فيقولون التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، عائشة وهي نكثت إيمانها [2] .

وهذا تحريف فيه نزعة باطنية جلية واضحة وقد سبق الرد على هذا .

٥- وقالوا في قوله تعالى : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ ﴾ [سورة الحجر : ٤٤]أن من أبواب جهنم ما يقال له (عسكر) والمراد به عائشة رضي الله عنها فقد أسند العياشي إلى جعفر الصادق رحمه الله تعالى وحاشاه مما نسب الشيعة إليه من تحريف أنه قال في هذه الآية (يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب والباب السادس لعسكر ...) [3]

٦- وحرفوا سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٨٠] .

ويقصدون في هذه الرواية المكذوبة المنسوبة إلى الإمام أبي الحسن على بن موسى الرضا إمام الشيعة الثامن – أسندها إليه ابن رستم الطبري وفيها هذه القصة المفتراه أن سبب نزول القصة ، نزلت في أبي بكر وعمر وعائشة ورمى مارية القبطية أم إبراهيم رضي الله عنها بالخيانة وهو كذب [4] ، وسيأتي الكلام عن هذا والرد عليه في الفصل القادم.

---

(١) ينظر هذا التحريف بكشف الغمة للإربلي ٤٧٩/١ . وينظر الصراط المستقيم ٢/ ٢٨٣ . والكشكول لحيدر الآملي ، ص ١٣٣. والمراجعات للموسوي ، المراجعة رقم ٧٨ . وينظر تفسير القمي ٣٧٧/٢ . والبرهان للبحراني ٣٥٨/٤ .

(٢) تفسير العياشي ٢٤٣/٢ . والبرهان للبحراني ٢٤٥/٢ . وبحار الأنوار للمجلس ٤٥٤/٧ .

(٣) تفسير العياشي ٢/ ٢٤٣ . والبرهان للبحراني ٢٤٥/٢ . وبحار الأنوار للمجلس ٤/ ٣٧٨ ، ٨/ ٢٢٠ .

(٤) ينظر دلائل الإمامة لابن رستم الطبري ، ص ٢٠١-٢٠٤ .

٧- زعموا في قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ... فَخَانَتَاهُمَا ﴾ زعموا أن الخيانة هي ارتكاب الفاحشة ، كذا قال القمي ، قال (والله ما عني بقوله ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ إلا الفاحشة ، وليقيمن الحد على عائشة فيما أتت في طريق البصرة[١] ، وقد سبق الكلام عن هذا والرد عليه.

٨- وحرفوا معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٥٣]

فقالوا (كان طلحة يريد عائشة)[٢] . وقد سبق الرد على هذه الشبهة .

٩- بل بلغ الحد بهم في التحريف والكذب والافتراء أن يزعموا أن قوله تعالى : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ [سورة الأحزاب ٣٠] زعموا أن هذا قد انطبق عليها حينما خرجت على علي رضي الله عنه حيث فسروا الفاحشة بأنها قتال علي - رضي الله عنه-[٣] وهذا من العجب العجاب .

١٠- ويزعمون أنها خالفت ربها بخروجها ، حيث أمرها وأمر نساء النبي أن يجعلن بيوتهن لهن مقراً ولا يخرجن منها ويترلون هذا على قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [سورة الأحزاب ٣٣] قالوا فخرجت مخالفة لأمر الله وتبرجت بين الملأ والعساكر في الحروب تبرج الجاهلية الأولى)[٤] ،

---

(١) تفسير القمي ، ط حجرية ، ٣٤١ ، ط /حديثة ، ٢/ ٣٧٧ . وينظر البرهان للبحراني ٤/ ٣٥٨ .

(٢) الصراط المستقيم لابن طاووس ، ص ٤٩٢- ٤٩٣ .

(٣) ينظر تفسير القمي ٢/ ١٩٣ . والصراط المستقيم ، للبياضي ٣/ ١٦٥ -١٦٦ .

وتفسير الصافي للكاشاني ٢/ ٣٥٠-٣٥١ . والبرهان للبحراني ٣/٣٠٨-٣٠٩ .

(٤) الجمل للمفيد ، ص ٧٩-٨١ .

وبنحو هذا قال حيدر الآملي ،[1] وابن المطهر الحلي [2] ، وابن طاووس [3] ، والبياضي [4]، والجزائري [5] ومرتضى العسكري[6] وغيرهم .

عاملهم الله بما يستحقون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وسيأتي الرد على هذه الفرية في مواضع متفرقة في الفصل الثالث من هذا الباب ونكتفي بهذا القدر من تحريف النصوص وتتريلها على أم المؤمنين عائشة ﵂ .

---

(١) الكشكول لحيدر الآملي ، ص ١٣٥-١٣٦ .

(٢) منهاج الكرامة للحلي مع منهاج السنة ٢/ ١٨٣ .

(٣) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس ١/ ٢٩٣ .

(٤) ينظر الصراط المستقيم للبياضي ٣/١٦١ .

(٥) الأنوار النعمانية للجزائري ٢/ ٢١٥-٢١٦ .

(٦) مقدمة مرآة العقول لمرتضى العسكري ١/ ٥٠ ، دار الكتب الإسلامية ، إيران ١٣٩٨هـ .

الفصل الثاني

الدعاوى في موقف عائشة رضي الله عنها من أزواج النبي ﷺ وأولاده.

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: دعواهم حسد عائشة لخديجة رضي الله عنهما.
- المبحث الثاني: دعواهم قذف عائشة لمارية القبطية بالفاحشة رضي الله عنهما.
- المبحث الثالث: دعواهم عداوة عائشة لفاطمة رضي الله عنهما.
- المبحث الرابع: دعوى الرافضة رفض عائشة دفن الحسن عند جده ﷺ و رضي الله عنهما.

الفصل الثاني

الدعاوى في موقف عائشة رضي الله عنها من أزواج النبي ﷺ وأولاده.

المبحث الأول: دعواهم حسد عائشة لخديجة رضي الله عنهما.

زعم الرافضة زوراً وبهتاناً أن أم المؤمنين رضي الله عنها حسدت خديجة رضي الله عنها، و لم يفرقوا بين الغيرة والحسد.

قال ابن المطهر الحلي: وأعظموا أمر عائشة على باقي نسائه، مع أنه عليه السلام كان يكثر من ذكر خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وقالت له عائشة: إنك تكثر من ذكرها، وقد أبدلك الله خيراً منها فقال: والله ما بُدّلت بها هو خير منها، صدقتني إذ كذبني الناس، وآوتني إذ طردتني الناس، وأسعدتني بمالها، ورزقني الله الولد منها، و لم أرزق من غيرها [1].

والجـــواب:

أولاً: أن يقال أن أهل السنة ليسوا مجمعين على أن عائشة أفضل نسائه، بل قد ذهب إلى ذلك كثير من أهل السنة واحتجوا بما جاء في الصحيحين عن أبي موسى وأنس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) [2] والثريد هو أفضل الأطعمة لأنه خبز ولحم كما قال الشاعر:

إذا ما الخبز تأدمه بلحم ... فذاك أمانة الله الثريد [3]

وذلك أن البر أفضل الأقوات، واللحم أفضل الأدم كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال (سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم) [4]، فإذا كان اللحم سيد الأدام، والبر سيد الأقوات، ومجموعهما الثريد كان الثريد أفضل الطعام ففي الصحيحين عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قلت يا

(١) نقله عنهم ابن تيمية في منهاج السنة ٣٠١/٤ .

(٢) متفق عليه وتقدم تخريجه ص ١٤٤.

(٣) أنظر فتح الباري ١٣٥/٧ .

(٤) رواه ابن ماجة في سننه - كتاب الأطعمة - باب اللحم ٢/ ١٠٩٩ ، حديث (٣٣٠٥)

وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ١٢٦/٣ .

وضعفه العراقي في المغني عن حمل الأسفار ٦٥١/١ .

وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجة ، ص ٢٦٧ .

رسول الله (أي الناس أحب إليك قال : عائشة) قلت من الرجال قال : أبوها قلت : ثم من ؟ قال : (عمر) وسمى رجالاً [1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية " وهؤلاء - الرافضة - يقولون : قوله لخديجة : "ما أبدلني الله بخير منها " [2] إن صح ، فمعناه : ما أبدلني الله بخير لي منها لأن خديجة نفعته في أول الإسلام نفعاً لم يقم غيرها فيه مقامها ، فكانت خير له من هذا الوجه ، لكونها نفعته وقت الحاجة لكن عائشة صحبته في آخر النبوة وكمال الدين ، فحصل لها من العلم والإيمان ما لم يحصل لمن لم يدرك إلا أول زمن النبوة فكانت أفضل بهذه الزيادة ، فإن الأمة انتفعت بها أكثر مما انتفعت بغيرها وبلغت من العلم والسنة ما لم يبلغه غيرها ،فخديجة كان خيرها مقصور على نفس النبي ﷺ لم تبلّغ عنه شيئاً و لم تنتفع بها الأمة كما انتفعوا بعائشة ... المقصود هنا أن أهل السنة مجمعون على تعظيم عائشة ومحبتها وأن نساءه أمهات المؤمنين اللاتي مات عنهن عائشة أحبهن إليه وأعلمهن وأعظمهن حرمة عند المسلين "[3].

وقال القرطبي في معنى هذا: "هذا تفضيل لنساء قريش على نساء العرب خاصة لأنهم أصحاب الإبل غالباً"[4] وفي قول أبي هريرة -رضي الله عنه- في آخر الحديث (و لم تركب مريم بعيراً قط) إشارة إلى أن مريم لم تدخل في هذا التفضيل بل هو خاص بمن يركب الإبل ، والفضل الوارد في خديجة وفاطمة وعائشة هو بالنسبة إلى جميع النساء ... وليس المقام مقام تفصيل في مريم عليها السلام بل الكلام في أمهات المسلمين [5].

---

(١) متفق عليه وسبق تخريجه ٣.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده .والطبراني في معجمه الكبير. وتقدم تخريجه ص ١٤٥

(٣) منهاج السنة ٣٠٣/٤، ٣٠٥.

(٤) فتح الباري ٤٧٣/٦ .

(٥) فتح الباري ٤٧٢/٦ .

قال ابن حجر بعد إيراده لحديث :" ... يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة غيرها "(١) (وفي هذا الحديث منقبة عظيمة لعائشة وقد استُدل به على فضل عائشة على خديجة ، وليس ذلك بلازم ، لأمرين :

أحدهما : احتمال أن لا يكون أراد إدخال خديجة في هذا وأن المراد بقوله (منكن) المخاطبة وهي أم سلمه ومن أرسلها أو من كان موجوداً حينئذ من نسائه .

الثاني : على تقدير إرادة الدخول فلا يلزم من ثبوت خصوصية شيء من الفضائل ثبوت الفضل المطلق كحديث أقرؤكم أبي وأفرضكم زيد ونحو ذلك .

والحكمة من اختصاص عائشة بذالك ، فقيل لمكان أبيها وأنه لم يكن يفارق النبي ﷺ في أغلب أحواله فسرى سره لابنته مع ما كان لها من مزيد حبه ﷺ .وقيل لأنها كانت تبالغ في تنظيف ثيابها التي تنام فيها مع النبي ﷺ والعلم عند الله تعالى ، قال السبكي الكبير " الذي ندين الله به أن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة والخلاف شهير ولكن الحق أحق أن يتبع "، وقال ابن تيمية رحمه الله :"جهات الفضل بين خديجة وعائشة متقاربة وكأنه رأي التوقف"، وقال ابن القيم رحمه الله تعالى :" إن أريد بالتفضيل كثرة الثواب عند الله فذاك أمر لا يطلع عليه فإن عمل القلوب أفضل من عمل الجوارح وإن أريد كثرة العلم ، فعائشة لا محالة وإن أريد شرف الأصل ففاطمة لا محالة وهي فضيلة لا يشاركها فيها غير أخواتها وإن أريد شرف السيادة فقد ثبت النص لفاطمة وحدها "

قلت : "القائل ابن حجر رحمه الله " امتازت فاطمة عن أخواتها بأنهن متن في حياة النبي ﷺ كما تقدم ، وأما ما امتازت به عائشة من فضل العلم فإن لخديجة ما يقابله وهي أنها أول من أجاب إلى الإسلام ودعا إليه وأعان على ثبوته بالنفس والمال والتوجه التام فلها مثل أجر من جاء بعدها ولا يقدر قدر ذلك إلا الله ، وقيل انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة – رضي الله عنهن– "(٢) .

---

(١) أخرجه البخاري وتقدم تخريجه ص ١٦٣

(٢) فتح الباري ١٣٦/٧ ، وكلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى٣٩٣/٤ ، وابن القيم في بدائع الفوائد ١٦١/٣-١٦٢.

قال القاري في المرقاة قال السيوطي في النقاية : "نعتقد أن أفضل النساء مريم وفاطمة وأفضل أمهات المؤمنين خديجة وعائشة - رضي الله عنهن- وفي التفضيل بينهما أقوال ثالثها التوقف"[1].

وعليه فكلام ابن القيم أجمع للوجوه كلها وأقرب إذ فيه تفاوت حيثيات التفضيل وهو أجمع لكل الوجوه والله أعلم .

وهذا فيه رد كاف على الروافض وأن أهل السنة يعملون بما يوجبه الدليل لا بما يوجبه الهوى وأيضاً أم المؤمنين عائشة هي التي روت هذه الأحاديث التي فيها فضل أم المؤمنين خديجة فهي لم تحسدها رضي الله عنها وبهذا تجتمع الأدلة ولا يهمل منها شيء أو لا يعارض منها شيء وإعمال الدليل أولى من إهماله والجمع بين الأدلة إذا أمكن لا يلجأ إلى الترجيح والله أعلم .

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي طبعة دار الكتب العلمية ٢٦٦/١٠ . وينظر فيض القدير ٥٣/٢ و ٤٩١/٣ و١٢٤/٤ ، ٢٩٧، ٤٢١، و٧٦/٥ .

المبحث الثاني :دعواهم قذف عائشة لمارية القبطية بالفاحشة رضي الله عنها .

القائلون بهذه الدعوى :

لم يقل بهذا إلا الشيعة الاثنا عشرية حيث زعموا أن قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [سورة الحجرات :٦] نزل في عائشة نتيجة إفكها لمارية القبطية في ابنها إبراهيم .

وهذا مردود لما حكاه جمهورهم من كون هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبه (١) .

أما قصة مارية القبطية ، فقد رويت عن عائشة وأنس فقد روى الحاكم قال حدثنا على ابن حمشاد العدل ثنا أحمد بن علي الأبار ثنا الحسن بن حمادة سجادة ، حدثني يحيى بن سعيد الأموي قال ثنا أبو معاذ سليمان بن الأرقم عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : أهديت مارية إلى رسول الله ﷺ ومعها ابن عم لها قالت : فوقع عليها وقعة فاستمرت حاملاً ، قالت فعزلها عند ابن عمها قالت : فقال أهل الإفك والزور من حاجته إلى الولد ادعى ولد غيره وكانت أمه قليلة اللبن ، فابتاعت له ضائنة لبون ، فكان يُغذّى بلبنها فحسن عليه لحمه ، قالت عائشة رضي الله عنها ، فدخل به على النبي ﷺ ذات يوم فقال (كيف ترين) فقلت من غذى بلحم الضأن يحسن لحمه ، قال (ولا الشبه) قالت (فحملني ما يحمل النساء من الغيرة أن قلت : ما أرى شبهاً ، قالت ، وبلغ رسول الله ﷺ ما يقول الناس ، فقال لعلي (خذ هذا السيف فاضرب عنق ابن عم مارية حيث وجدته) قالت : فانطلق فإذا هو في حائط على نخلة يخذف رطباً . قال فلما نظر إلى علي ومعه السيف استقبلته رعدة ، قال فسقطت الخرقة ، فإذا هو لم يخلق الله عز وجل له ما للرجال شيء ممسوح) (٢) .

---

(١) ينظر كتب الشيعة : الطرائف لابن طاووس ، ص ٣٨٤-٣٨٥ . وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٢/٢٥ . وبحار الأنوار للمجلسي ١٣٠/٢٨ . وتنقيح المقال للمامقاني ١/ ٢١٤ .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ٣٩/٤ .

وابن عبد البر في الاستيعاب ٤١٢/٤ .

بيان وهن وضعف هذه الرواية :

هذا الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك وسكت عنه وكذا الذهبي ولعل ذلك لأن ضعفه ظاهر واضح فإنه جاء عن طريق متروك ، بل متفق على تضعيفه بين الأئمة وهو سليمان بن الأرقم أبو معاذ البصري .

قال النسائي (ضعيف يروي عن الوليد بن مسلم البصري) [1]

وقال العقيلي : (قال عبدالله بن أحمد قال سمعت أبي يقول (سليمان بن أرقم ليس بشيء وفي موضع آخر قال ليس يسوى فلساً) [2] .

قال ابن حبان في المجروحين :" أبو معاذ سليمان بن أرقم كان ممن يقلب الأخبار ويروي عن الثقات الموضوعات" ، وقال يحي بن معين :" ليس بشيء " ، وقال أحمد :" ليس بشيء "[3] .

وقال الذهبي في الكاشف " متروك "[4] .

وقال ابن حجر في لسان الميزان " منكر الحديث "[5].

وقال البخاري : " لا يصح حديثه " ، وتركه أبو داود والحاكم والدارقطني[6].

فهذا هو حال من عليه مدار هذه الرواية كما ترى ، والأصل الصحيح لهذه الرواية الذي زاد عليه سليمان بن أرقم ما وضع وزيادات أنكرها العلماء ، تدل على أنه سيء الحفظ جداً ، أو أنه يتعمد الكذب والزيادة لهوى في نفسه ، والرواية الصحيحة عن أنس بن مالك ﷺ.

فعن أنس بن مالك ﷺ قال إن رجلاً كان يتهم بأم ولد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لعلي (اذهب فاضرب عنقه) فأتاه علي ، فإذا هو في ركيّ يتبرد فيه ، فقال له علي :

---

(١) الضعفاء والمتروكين للنسائي ٤٨/١ ، برقم (٢٤٦) .

(٢) الضعفاء الكبير للعقيلي ١٢١/٢ .

(٣) المجروحين لابن حبان ٣٢٨/١ .

(٤) الكاشف ٤٥٦/١ .

(٥) لسان الميزان ٤٨٣/٧ .

(٦) التاريخ الكبير ٢/٤ . وينظر تقريب تهذيب ٣٤٩/١. وتهذيب التهذيب ٣٦٠/١٢. وتهذيب الكمال ٣٥١/١١ .

أخرج فناوله يده ، فأخرجه ، فإذا هو مجبوب ليس له ذكر فكف علي عنه ، ثم أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إنه لمجبوب : ما له ذكر)[1] .

فهذه هي الرواية الصحيحة أما رواية ابن أرقم فإنه تفرد بها وأتى فيها بالزيادات المنكرة كقول عائشة (ما أرى شبهاً) .

وعليه : فقد استغل الروافض هذه الرواية الضعيفة المنكرة ،فها هو عبد الحسين الشيعي في (مراجعاته) يستغلها أسوء استغلال ويتكأ عليها في اتهامه عائشة رضي الله عنها في خلقها ودينها فقال (وحسبك مثالاً لهذا ما أيدته - نزولاً على حكم العاطفة من إفك أهل الزور إذ قالوا بهتاناً وعدواناً - في السيدة مارية القبطية وولدها إبراهيم عليه السلام ما قالوا : حتى برأهما الله عز وجل من ظلمهم براءة - على يد أمير المؤمنين - محسوسة ملموسة - (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً) .

وعلق على هذا بقوله :"من أراد تفصيل هذه المصيبة فليراجع أحوال السيدة مارية رضي الله عنها حتى (ص ٣٩) من الجزء الرابع من المستدرك للحاكم أو من تلخيصه للذهبي" [2].

فهو يشير بهذا إلى هذا الحديث المنكر ، الذي مر الكلام عليه.

وإن من مكره وخبثه : أنه لم يكتف في الاعتماد عليه - مع ضعفه الشديد بل أنه زاد على ذلك أنه لم يسق لفظة ، تدليساً على الناس وتضليلاً ، فإنه لو فعل وساق اللفظ لتبين منه لكل من كان له لب ودين أن عائشة بريئة مما نسب إليها في هذا الحديث المنكر من القول آمن الشيعة بذلك أم كفروا ، عامل الله الكذابين بما يستحقون وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وتأمل ما في إيراده في آخر كلامه للآية الكريمة ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ ﴾ [سورة الأحزاب : ٢٥] من رمي أم المؤمنين عائشة بالكفر،مع أنه يترضى عنها أحياناً [3] ويعترف بأن لها فضلاً ومنزلة[4] .

وما أخال هذا منه إلا من باب التقية المعهودة منهم، وإلا كيف يكون ذلك مع حشره لها في زمرة الذين كفروا عاملهم الله بما يستحقون .

---

(١) رواه مسلم كتاب التوبة- باب براءة حرم النبي ﷺ من الريبة ٤/ ٢١٣٩ حديث (٢٧٧١).

(٢) المراجعات لعبد الحسين الموسوي ، ص ٢٤٧- ٢٤٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٣٨ .

المبحث الثالث : دعواهم عداوة عائشة لفاطمة رضي الله عنهما :

القائلون بهذه الشبهة :

لم يقل بهذه الشبهة سوى الشيعة الإثني عشرية الروافض .

فقد أسند ابن بابويه القمي الملقب عند الشيعة بالصدوق إلى أبي عبدالله جعفر الصادق أنه قال : " دخل رسول الله ﷺ مترله فإذا عائشة مقبلة على فاطمة تصايحها وهي تقول: والله يا ابنة خديجة ما ترين أن لأمك علينا فضلاً ، وأي فضل كان لها علينا ، ماهي إلا كبعضنا ، فسمع مقالتها لفاطمة ، فلما رأت فاطمة رسول الله ﷺ وآله بكت ، فقال لها : ما يبكيك يا ابنة محمد ؟ قالت : ذكرت أمي فتنقصتها ، فبكيت ، فغضب رسول الله ﷺ وآله ثم قال : مه ياحميراء ، فإن الله تبارك وتعالى بارك في الولود الودود ، وإن خديجة رحمها الله ولدت مني طاهراً وهو عبدالله وهو المطهر ، وولدت مني القاسم ، وفاطمة ، ورقية ، وأم كلثوم ، وزينب، وأنت ممن أعقم الله رحمه ، فلم تلدي شيئاً "(١) .

وذكر البياضي : من الشيعة – أن :" فاطمة لما زفت إلى علي عليه السلام قالت نسوة الأنصار : أبوها سيد الناس : فقال النبي ﷺ وآله : قلن : وبعلها ذو الشدة والبأس ، فلم يذكران علياً . فقال في ذلك ، فقلن: منعتنا عائشة.فقال ما تدع عائشة عداوتنا أهل البيت"(٢).

ويزعمون – كذباً – أن رسول الله ﷺ وصف عائشة بأنها عدوّة لأهل البيت جميعاً ، وأوّل من يدخل فيهم عند الشيعة أصحاب الكساء ، فاطمة ، وعلي ، والحسن ، والحسين ...

وقال نعمة الله الجزائري : " أوّل عداوة خرّبت الدنيا وبُني عليها جميع الكفر والنفاق إلى يوم القيامة : هي عداوة عائشة لمولاتها الزهراء "(٣).

وزعم ابن أبي الحديد أن بداية الضغناء بين عائشة وفاطمة كانت منذ تزوج رسول الله ﷺ عائشة عقب موت خديجة ، فأقامها مقامها ، ومما قاله : " وفاطمة هي ابنة خديجة ، ومن المعلوم أن ابنة الرجل إذا ماتت أمها وتزوج أبوها أخرى كان بين الابنة وبين المرأة كدر وشنآن. وهذا لا بد منه ، لأن الزوجة تنفس عليها ميل الأب ، والبنت تكره ميل أبيها إلى

---

(١) الخصال للصدوق ٢/ ٤٠٤-٤٠٥ .

(٢) الصراط المستقيم للبياضي ٣/ ١٦٦- ١٦٧ .

(٣) الأنوار النعمانية للجزائري ١/٨٠ .

امرأة غريبة ، كالضرة لأمها ، بل هي ضرة على الحقيقة ، وإن كانت الأم ميتة ، ولأنا لو قدرنا الأم حية لكانت العداوة مضطرمة متسعّرة ، فإذا كانت قد ورثت ابنتها تلك العداوة..." (١).

وقول ابن أبي الحديد هذا فيه مطعن بفاطمة وحدها ، وليس فيه قدحاً بعائشة رضي الله عنها . وهذا دأب الشيعة مع من يزعمون أنهم أئمة لهم .

وليست عائشة رضي الله عنها وحدها زوجة النبي ﷺ ، بل هناك زوجات أخريات له ﷺ ، فلماذا لم تنتقل العداوة إليهن ؟ ولماذا يركز الشيعة على وجود عداوة بين عائشة وفاطمة رضي الله عنهما ؟ ولماذا يلفقون الأقوال الكاذبة ، والقصص المفترية لإثبات هذه العداوة؟ كل هذا بسبب عداوتهم لأبيها الصديق رضي الله عنه انتقلت إليها فأخذوا ينالون منها وأيضاً لمكانتها عند رسول الله ﷺ .

الرد على هذه الفرية :

لا ريب أن هذه الأقوال التي ساقوها كلها كاذبة ، فالثابت عن عائشة وفاطمة رضي الله عنهما أنهما كانتا متحابتين ، وما ورد في الصحاح يؤكد هذا :

فقد روى مسلم في صحيحه بسنده قصة مجي فاطمة رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ ، واستئذانها عليه وهو في بيت عائشة ، وإخبارها له ﷺ أن أزواجه أرسلنها يسألنه العدل في عائشة – وذلك أن الناس كانوا إذا أرادوا تقديم هدية لرسول الله ﷺ تحروا يوم عائشة فقدموها له في بيتها ، لعلمهم بمنزلتها لديه ﷺ فقال : رسول الله ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها (أي بنية ألست تحبين ما أحب ؟ فقالت بلى ، قال : فأحبي هذه)(٢) ، يعني عائشة رضي الله عنها فهذه هي مكانة عائشة وفاطمة رضي الله عنهما عند رسول الله ﷺ ، ألا فليضع كل متحرصٍ لسانه في فيه بعد هذا الوضوح الذي لا يخفى على بصير وعاقل ، والقصة رائعة ولها ألفاظ و روايات رائعة كما في الحاشية .

تنبيه :

ورد رواية أخرى ضعيفة غير هذه الصحيحة السابقة وهي عند أبي يعلى في المسند أن عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت على رسول الله وأنا أبكي فقال : وما يبكيك قلت : سبتني فاطمة ، فدعا فاطمة فقال : يا فاطمة سببت عائشة قالت : نعم يا رسول الله، قال : يا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/٤٥٧–٤٦٠ . ونقله مرتضى العسكري في أحاديث أم المؤمنين ١/٤٩ .

(٢) رواه مسلم – كتاب فضائل الصحابة – باب فضل عائشة رضي الله عنها ٤/١٨٩١ ، حديث (٢٤٤٢) .

وانظر الروايات الأخرى عند : النسائي في سننه ٧/٦٤ ، وكذلك في السنن الكبرى ٥/ ٢٨١ . وأحمد في المسند ٦/٨٨ . والبيهقي في السنن ٧/٢٩٩ . وأبو يعلى في مسنده ١٢/ ١١٩ .

فاطمة ألست تحبين ما أحب ؟ قالت نعم ، وتبغضين ما أبغض قالت بلى ،قال : فإني أحب عائشة فأحبيها قالت فاطمة لا أقول لعائشة شيئاً يؤذيها أبداً [(١)] .

فهي رواية ضعيفة ، ويغني عنها الحديث السابق في صحيح مسلم كما تقدم . والذي نعتقده في فاطمة رضي الله عنها موافقتها لأبيها ، ومن مقتضيات هذه الموافقة أن تحب من أمرها بحبها ، فتحب عائشة لأن رسول الله ﷺ أمرها بحبها بقوله لها (فأحبي هذه) وهذا الذي نعتقد أنه قد وقع وحصل .

وقد ذكر بعض الشيعة أن رسول الله ﷺ كان يظهر محبته لعائشة أمام ابنته فاطمة رضي الله عنهما :

فقد روى الحميري بسنده أن رسول الله ﷺ (لما تغدّى عند فاطمة قال لها أوّل ما قال : أغرفي لعائشة) [(٢)] فأمرها قبل أن يتناول طعامها أن تغرف لها منه وترسله إليها . وهذا من إظهار محبته لها رضي الله عنها .

وذكر ابن رستم الطبري : الشيعي - أن فاطمة ماتت وهي راضية عن عائشة رضي الله عنهما ، وأوصت لها باثنتي عشرة أوقية ، ولكل زوجة من زوجات رسول الله ﷺ بمثل ذلك [(٣)] .

فأين هذه العداوة المزعومة التي أجهد الشيعة أنفسهم لإثباتها ، دون طائل ؟ ولماذا يسوقون هذه الأكاذيب ويملئون كتبهم بأمثال هذه الترهات لإثبات شيء لا أصل له .

نعم ! لقد كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من شدة محبتها لرسول الله ﷺ تغار أحياناً من كثرة ذكره لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ولكن لا يعني ذلك أنها كانت تبغض أهل البيت كما يزعم الشيعة الرافضة :

---

(١) المسند لأبي يعلى ١١٩/١٢ .

والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤١/٩ ، وقال : (وفيه مجالد وهو حسن الحديث وبقية رجاله رجال الصحيح).

(٢) قرب الإسناد للحميري ، ص ١٣٧ .

وابن سعد في الطبقات الكبرى ١٨٧/١ .

(٣) دلائل الإمامة لابن رستم الطبري ، ص ٤٥ .

فقد روى البخاري بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ما غِرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة ، وما رأيتها ، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ، ثم يبعثها في صدائق خديجة ، فربما قلت له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ؟ فيقول : (إنها كانت، وكانت ، وكان لي منها ولد) [(١)].

فقد ذكرت عائشة – رضي الله عنها- أنها كانت تغار من أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها والغيرة جبلة في النساء ، ولا مؤاخذة عليها ، ولم يكن رسول الله ﷺ يوبخ أو يعاتب على الغيرة ، فقد كسرت إحدى أمهات المؤمنين قصعة طعام أرسلته إحدى زوجات النبي ﷺ إليه وهو في بيت تلك الزوجة ، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن قام بجمع الطعام ، ولم يعاقب أو يوبخ ، بل قال : (غارت أمكم) وأمرها أن تبدلها إناءاً بدل إنائها [(٢)].

فلم يقل لها أنت عدوة لتلك المرأة ولكل أهل بيتها ، لمجرد غيرتها !! فهل نحكم على عائشة رضي الله عنها بسبب غيرتها من خديجة رضي الله عنها بأنها تبغضها وتبغض أولادها ؟ اللهم لا ، وإضافة إلى هذا أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها روت كثيراً من أخبار وفضائل فاطمة بنت سيد الخلق ﷺ ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : (ما رأيت أحداً كان أشبه سمتاً وهدياً ووداً برسول الله ﷺ من فاطمة كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها) [(٣)]. وعلى غرار هذا كثير ليس هذا موضعه .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح – كتاب مناقب الأنصار – باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ١٦٦/٧، حديث (٣٨١٨) .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح – كتاب النكاح – باب الغيرة ٢٣٠،٢٣١/٩ ، حديث (٥٢٢٥) .

(٣) سنن أبي داود – كتاب الأدب – باب ماجاء في القيام ٣٩١/٥ ، حديث (٥٢١٧) .

والترمذي – كتاب المناقب – باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ ٦٥٧/٥ ، حديث (٣٨٧٢) .

وابن حبان أنظر الإحسان ٤٠٣/١٥ ، حديث .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٤١/٣ .

وصححه محقق الإحسان ٤٠٣/١٥ .

المبحث الرابع : دعوى الرافضة رفض عائشة دفن الحسن عند جده ﷺ و رضي الله عنها :

القائلون بهذا القول :

لم يقل به أحد من أهل البدع إلا الشيعة الروافض الإثنى عشرية ، حيث زعموا أن عائشة رضي الله عنها ، منعت من دفن الحسن بن علي رضي الله عنهما عند جده رسول الله ﷺ ، وأنها ركبت على بغلة ، وخرجت إلى الناس ، لتمنع من ذلك :

فقد أسند الكليني إلى أبي جعفر الباقر قصة طويلة مكذوبة ، وذكر فيها أن الباقر قال : "لما حضر الحسن بن علي عليهما السلام الوفاة قال للحسين عليه السلام : يا أخي إني أوصيك بوصية فأحفظها : إذا أنا مت فهيئني ثم وجهني إلى رسول الله ﷺ، لأُحدِث به عهداً، ثم اصرفني إلى أمي عليها السلام ، ثم ردني فادفني بالبقيع ، واعلم أنه سيصيبني من عائشة ما يعلم الله والناس صنيعها وعداوتها لله ورسوله وعداوتها لنا أهل البيت ، فلما قبض الحسن عليه السلام ووضع على السرير ثم انطلقوا به إلى مصلى رسول الله الذي كان يصلي فيه على الجنائز، فصلى عليه الحسين عليه السلام ، وحمل وأدخل إلى المسجد ، فلما أوقف على قبر رسول الله صلى اله عليه وآله ، ذهب ذو العوينين إلى عائشة فقال لها : إنهم قد أقبلوا بالحسن ليدفنوه مع النبي صلى الله عليه وآله ، فخرجت مبادرة على بغل سرج ، فكانت أول امرأة ركبت في الإسلام سرجاً ، فقالت : نحّوا ابنكم عن بيتي ، فإنه لا يدفن في بيتي ويهتك على رسول الله ﷺ وآله حجابه ، فقال لها الحسين عليه السلام : قديما هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله ، وأدخلت عليه في بيته من لا يحب قربه، وإن الله سائلك عن ذلك يا عائشة "(1).

هذه الرواية المختلقة تنضح ببغض الشيعة للصديقة رضي الله عنها ، وكل حرف فيها شاهد على سموم تنفث من قلوب قد أضرم الحقد نارها .

وهناك رواية أخرى مختلقة أوردها الشيعة وفيها أن محمد بن الحنفية قال لعائشة : (يا عائشة يوماً على بغل ، ويوماً على جمل، فما تملكين نفسك ، ولا تملكين الأرض عداوة لبني هاشم) (2)

---

(1) الأصول من الكافي للكليني ٢٣٨/١-٢٣٩ .

(2) الأصول من الكافي للكليني (٢٤١/١) .

وأسند ابن رستم الطبري وابن الراوندي إلى أبي عبدالله جعفر الصادق - زوراً وكذباً- نحواً من رواية الكليني الأولى ، مع وجود بعض الاختلافات بينهما .

١- ومنها : قول الحسن للحسين في وصيته (أحملني إلى قبر جدي حتى تلحدني إلى جانبه ..)

٢- ومنها أن مروان بن الحكم هو الذي أخبر عائشة أن الحسن سيدفن وحرضها على عدم السماح بدفنه ، ومما قاله لها ،- كما زعموا - (يا أم المؤمنين إن الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن عند جده ، ووالله لئن دفنه ليذهبن فخر أبيك وصاحبه عمر إلى يوم القيامة) .

٣- وفيها : أنه أعطاها بغلته لتركبها .

٤- وفيها : أن عائشة على حد زعمهم الكاذب - رمت نفسها بين القبر والقوم وقالت : (والله لا يدفن الحسن ها هنا أو تُحلق هذه ، وأخرجت ناصيتها بيدها ... وقالت : والله لا أدخل داري من أكرهه) .

٥- ومن الاختلافات أيضاً : أن ابن عباس هو الذي قال لها - على حد إفكهم : (ياحميراء كم لنا منك ؟ يوم على جمل ، ويوم على بغل ... الخ)[1]

وهناك رواية ثالثة تدور مع الروايتين السابقتين حول المعنى نفسه ، مع اختلاف يسير عنهما كذلك .

ومن ذلك :

١- قول الحسن للحسين في وصيته (.. واحملني على سريري إلى قبر جدي رسول الله ﷺ وآله لأجدد به عهداً ، ثم ردني إلى جدتي فاطمة بنت أسد ﵄ فادفني هناك ..)

٢- وفيها : أن عائشة لحقتهم على بغل ، على حد زعمهم ، وقالت لهم ، (مالي ولكم ، تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أحب ؟) .

---

(١) أنظر دلائل الإمامة لابن رستم الطبري ، ص ٦١-٦٢ . والخرايج والجرايح للقطب الراوندي ، ص ٢٤ ، الطبعة الحجرية ، الهند ١٣٠١هـ .

٣- وفيها : أن ابن عباس قال لعائشة (واسوأتاه ! يوماً على بغل ويوماً على جمل ! تريدين أن طفئي نور الله وتقاتلي أولياء الله ؟ أرجعي فقد كفيت الذي تخافين ، وبلغت ما تحبين ، والله منتصرٌ لأهل هذا البيت ولو بعد حين)[١]

وفي رواية أنه قال لها شعراً :

تجملت تبغلت ولو عشت تفيلت
لك التسع من الثمن وبالكل تطمعت [٢]

وفي رواية عند اليعقوبي :" أن عائشة ركبت بغلة شهباء ، وقالت : بيتي ولا آذن فيه لأحد ، فأتاها القاسم بن محمد بن أبي بكر فقال : ياعمة ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر ، أتريدين أن يقال : يوم البغلة الشهباء ، فرجعت " [٣] .

وقد ذكر الشيعة أن بني هاشم كانت لهم قوة في ذلك الوقت ، وأرادوا أن يدفنوا الحسن عند رسول الله ﷺ وأدى ذلك إلى إراقة الدماء ، لولا نهي الحسين عليه السلام لهم . وقد عللوا سبب نهيه عن ذلك : بوصية أخيه له أن لايراق بسببه محجمة دم، وعلى هذا أكثر الروايات التي ذكرت هذه الوصية .

انفرد الصدوق براوية أسندها إلى جعفر الصادق تدل على أن وصية الحسن التي شافه بها أخاه عند موته لم يكن فيها ذكر للنهي عن إراقة الدماء ، وأن الحسين جمع قومه ليدفن الحسن بالقوة عند رسول الله ﷺ ، لولا أن قام رجل من شيعته ، وقال له : أنه سمع الحسن يقول (قولوا للحسين ألا يهرق فيّ دماً)[٤] .

---

(١) الجمل للمفيد ، ص ٢٣٤- ٢٣٥ . وانظر الإرشاد له ، ص ٣٥٨-٣٦٠ . وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٠٠ . وتلخيص الشافي للطوسي ، ص ٤٢٤، ٤٦٦ . وكشف الغمة للإربلي ١/٥٨٥- ٥٨٦ . والصراط المستقيم للبياضي ٢/١٧٧، ٣/١١٥ . وإحقاق الحق للتستري ، ص ٣٠٥ . والدرجات الرفيعة للشيرازي ، ص ١٢٥-١٢٦ . وعقائد الإمامية الاثني عشرية للزنجاني ٣/٨٣ . والفصول المهمة للموسوي ، ص ١٥٦-١٥٧ . وأحاديث أم المؤمنين لمرتضى العسكري ، ص ٣٦٠ .

(٢) المصادر السابقة .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٠٠ . وانظر أحاديث أم المؤمنين لمرتضى العسكري ، ص ٣٦٠ .

(٤) علل الشرائع للصدوق ، ص ٢٢٥ .

وقد أجمعت روايات الشيعة الأثنى عشرية كلها على أن عائشة ركبت بغـلاً لتمنـع الحسن من أن يدفن عند قبر جده ، ونقلوا عن أئمتهم قولهم : " أول امرأة ركبـت الـسروج عائشة " [(١)] .

وهكذا لا يتورع الشيعة عن توجيه هذه المطاعن إلى الصديقة الطاهرة الطيبـة حبيـة رسول الله ﷺ.

والله مطلع عليهم ، وسينتقم لعرض رسول الله ، ويذب عن زوجة خليله ﷺ ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [سورة الحج : ٣٨] ، وقد أوردت كتب الأخبار والسير عن أحوال سوء الخاتمة لهؤلاء الروافض وهي متواترة عندهم ، ولكن لا يعتبرون ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الرد على هذه الشبهة

من عادة الشيعة حين اختراعهم للأكاذيب ، واختلاقهم للإفـك ، أن يجعلـوا مـع الكلمات الكاذبة الكثيرة كلمة واحدة صادقة ، كي يوهموا السذج بأن ما اخترعوه ثابت ، وما اختلقوه صادق .

وتراهم أيضاً حينما يريدون توجيه أحد المطاعن إلى شخص يبغضونه ، يعمـدون إلى رواية ثابتة ذكر فيها هذا الشخص بخير ، فيقلبونها عليه ، ويذكرونه فيها بشر .

وهذه طريقة مردة الجن من مسترقي السمع ، وأوليائهم من شياطين الإنس ، يجعلـون مع الكلمة الصادقة الوحيدة مائة كذبة ، حتى يقول الساذج عنهم ، قد صدقوا في تلك الكلمة.

فقصة موت الحسن رضي الله عنه ، واستئذان أخيه الحسين من عائشة بأن يدفن عند جده ثابتة في كتب أهل السنة[(٢)] ، أما ممانعة الصديقة ، وركوبها على بغل ، وخروجها إلى الناس، وغـير ذلك من الترهات ، فكله إفك غير مقبول ، يأباه ويرفضه ذوو العقول .

فلم تكن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تمانع من دفن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما عند جده رسول الله ﷺ .

---

(١) أسنده الكليني إلى أبي جعفر الباقر ، وابن رستم والصدوق إلى أبي عبدالله الصادق . أنظر : الأصول من الكافي للكليني ٢٣٨/١-٢٣٩ ، ودلائل الإمامة لابن رستم ، ص ٦١ . وعلل الشرائع للصدوق ، ص ٢٢٥ .

(٢) انظر : الصواعق المحرقة ٤١٣/٢ . والبداية والنهاية ٤٣/٨-٤٥ . وتاريخ الإسلام ٤٠/٤ . وسير أعلام النبلاء ٢٧٧/٣ .

بل لقد وافقت على ذلك ، وقالت لأخيه الحسين رضي الله عنه لما أستأذنها في دفن الحسن (نعم وكرامة) كما روى ذلك ابن عبدالبر من طرق متعددة ولكن الذي منع من دفن الحسن - رضي الله عنه- عند جده رسول الله ﷺ هو : مروان بن الحكم الذي أقبل لّما بلغه ذلك ، وقال (كذب ، وكذبت ، والله لا يدفن هناك أبداً . منعوا عثمان من دفنه في المقبرة ، ويريدون دفن الحسن في بيت عائشة ؟!)[1] فها هي أم المؤمنين تقول (نعم وكرامة) لأنها تعلم مكانة الحسن والحسين عند رسول الله ﷺ .

فعلى هذا الأمر لم تكن الممانعة من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، بل لقد وافقت ، وسمحت ولم تمانع ، والذي مانع هو مروان الذي كان والياً لبني أمية على المدينة ، فقال كذب - يعني الحسن - كذبت - يعني عائشة - .

فلا يمكن إمضاء هذا الأمر إلا بموافقته ، ولو حاولوا دفن الحسن عند جده بالقوة لحدثت مواجهة قد تراق فيها دماء أوصى الحسن بألا تراق .

فليس الرفض من أم المؤمنين ، وليست الممانعة منها كما زعم الشيعة الرافضة ، أما الروايات التي أوردها الشيعة : فإنها كلها على اختلافها لم يروها إلا الشيعة .

ورغم تضافرهم على روايتها ، إلا أنه حصل فيها تناقض شديد يدل على كونها مكذوبة من أصلها :

- ففي وصية الحسن لأخيه الحسين : حصل تناقض في المكان الذي طلب الحسن من الحسين أن يدفنه فيه :
- فبعض الروايات ذكر فيها أن الحسن- رضي الله عنه- طلب من الحسين رضي الله عنه أن يدفنه عند رسول الله ﷺ .
- وذكر في بعضها الآخر أنه طلب منه أن يدفنه عند جدته فاطمة بنت أسد ، بعد أن يُحدث به عهداً برسول الله ﷺ.
- ورواية ذكرت أنه طلب منه أن يدفنه بالبقيع عند أمه فاطمة .
- وهكذا هلمّ جرا ..

---

(١) الاستيعاب ٣٧٦/١- ٣٧٨ . وتاريخ دمشق ٢٨٨/١٣ . وسير أعلام النبلاء ٣/ ٢٧٥- ٢٧٩ . والبداية والنهاية ٤٤/٨ و٢٤٠/١١ . وتاريخ الإسلام ٥٣٣/١ .

من التناقضات في الوصية أيضاً :

- ما سبق الكلام عنه ، من قول الحسن للحسين (لاترق فيّ دماً) في رواية ..
- أو قال ذلك رجل من شيعته ليبلّغ أخاه - كما ورد في رواية أخرى .

أضف إلى هذا : التناقضات الكثيرة في كيفية خروج عائشة ﵂ ، وما قالتـه، ومـن كلّمها ، وغير ذلك مما تقدم الكلام عنه .

أما ادّعاؤهم أن عائشة ﵂ هي أول من ركب البغل و السروج فدعوة كاذبة ورغـم كذبها من أصلها ، فإنه يوجد ما يناقضها في كتب القوم أنفسهم ، فقد رووا أن فاطمـة ﵂ ركبت بغلة في يوم عرسها [1] وأن عليّاً أركبها على حمار ودار بها علـى بيـوت المهـاجرين والأنصار يدعوهم إلى نصرته لّما بويع لأبي بكر بالخلافة [2] ، على حد زعم الشيعة .

فكيف يقول الشيعة بعد هذا : أن عائشة ﵂ هي أول من ركب بغلاً ، أو أوّل مـن ركب السروج ؟!

(١) ينظر كشف الغمة للإربلي ١/ ٣٦٨ .

(٢) يراجع السقيفة لسليم بن قيس ، ص ١٨ . والاحتجاج للطبرسي ، ٨١-٨٢ . وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢/٦. ومنار الهدى للبحراني ، ص ٢٠٠ . والبرهان للبحراني ٤٢/٣ . وسيرة الأئمة الاثنا عشر لهاشم معروف الحسيني ١/١٢٤-١٢٦.

الفصل الثالث

الدعاوى في موقف عائشة من أصحاب النبي ﷺ و ﷺ.

وفيه سبعة مباحث

- **المبحث الأول : دعوى الرافضة تحريض عائشة الناس على قتل عثمان ﷺ .**
- **المبحث الثاني : دعوى الرافضة منع عائشة الناس من التحدث بفضائل عليّ ﷺ .**
- **المبحث الثالث : دعوى الرافضة خروج عائشة على علي بعد استخلافه ﷺ " حديث الحوأب " .**
- **المبحث الرابع : دعوى الرافضة رفض عائشة الدخول في طاعة علي وتحت رايته ﷺ .**
- **المبحث الخامس : دعوى الرافضة أن النبي ﷺ أخبر عائشة بأنها ستقاتل علياً .**
- **المبحث السادس : دعوى الرافضة أن النبي ﷺ أمر علياً أن يطلق عائشة إن خرجت عليه ﷺ .**
- **المبحث السابع : دعوى الرافضة عدم توبة عائشة من معاداتها لعلي وحربها له ﷺ .**

الفصل الثالث

الدعاوى في موقف عائشة من أصحاب النبي ﷺ و ﷺ.

المبحث الأول : دعوى الرافضة تحريض عائشة الناس على قتل عثمان رضي الله عنه .

القائلون بهذه الدعوى : قال بهذه البدعة الشيعة الأثني عشرية حيث زعموا أن عائشة حرّضت الناس على قتل عثمان رضي الله عنه ، ولعنته وسمته (نعثلاً) وادعت أنه غيَّر سنة رسول الله ﷺ .

ويزعمون أيضاً أنها رضي الله عنها وحاشاها مما نسب الشيعة إليها-كانت تخرج للناس قميص رسول الله ﷺ أو نعليه وتقول لهم : (هذا قميص رسول الله ﷺ أو هذان نعلا رسول الله - لم يبل - أو لم يبليا وقد أبلى عثمان سنته ، اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً - أو لعن الله نعثلاً -)

ويزعمون أنها كانت تقول : (إن عثمان جيفة على الصراط غداً) ، وادعوا أنه لما قُتل فرحت بقتله ، فلما سمعت بمبايعة عليّ بعده أظهرت الجزع على عثمان وادعت أنه قتل مظلوماً وخرجت تطالب بدمه [1].

وقد حاول أعداء الله ورسوله والمؤمنين ، تأييد مزاعمهم هذه بكثير من القصص الكاذبة والإشعار الموضوعة ليؤيدوا باطلهم وزعمهم .

---

(١) ينظر هذه المزاعم في المصادر الشيعية التالية : قرب الإسناد ، للحميري ، ص ١٤ . والإيضاح للفضل بن شاذان ، ص ٣٧، ١٤٣ . وتاريخ اليعقوبي ١٧٥/٢ . والاختصاص للمفيد ، ص ١١٦ . والأمالي للمفيد ، ص ١٢٥-١٢٦ . والجمل للمفيد ، ص ٧٣، ٧٥، ٧٧، ١٩٥، ٢٢٨-٢٢٩ . والشافي للمرتضى ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ . وكشف المحجة لابن طاووس ، ص ٤٥، ٧٥ . ومنهاج الكرامة للحلي ص ١٢ . والصراط المستقيم للبياضي ١١٩/٣، ١٦٤، ٢٣٩ . وكشف الغمة للأربلي ٢٣٨/١-٢٣٩ . وشرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد ٤٥٨/٤، ١٧/٢٠ . وقرة العيون للكاشاني ، ص ٤٢٧. وعلم اليقين للكاشاني ٧٠٤/٢- ٧٠٥ . وإحقاق الحق للتستري ، ص ٣٠٥، ٣٠٦ . والدرجات الرفيعة للشيرازي ، ص ١٦، ١٧ . والأنوار النعمانية للجزائري ١١٦/٢ . والفصول المهمة للموسوي ، ص ١٢٦. والمراجعات ، للموسوي ، ص ١٢٦ . وكذا المراجعات له ٢٦٨ . وفي ظلال التشيع لهاشم معروف الحسيني ٧٢-٧٩ مؤسسة الوفاء — بيروت — لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ، وسيرة الأئمة الأثنى عشرية له ٤١٠/١، ٤٢١ . وتاريخ الشيعة للمظفر ، ص ٢٥ . وعقائد الإمامية الأثنى عشرية للزنجاني ٣/ ٨١ . وأحاديث أم المؤمنين لمرتضى العسكري ١٥١/١، ١٦٨، ١٧٠.

وهم يدعون أن هذه العداوة المزعومة بدأت بعد امتناع عثمان عن إعطاء أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ما كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يعطيانها ، لما جاءته تسأله ذلك ، فلما منعها العطية سألته ميراثها من رسول الله ﷺ فأبى عليها فغضبت عليه وصارت كلما خرج إلى الصلاة تأخذ قميص رسول الله ﷺ [1] وتقول إن عثمان خالف صاحب هذا القميص وترك سنته... الخ [2].

ويدعي الشيعة أن عائشة رضي الله عنها استمرت على عداوتها لعثمان رضي الله عنه ، وكانت تتمنى موته، وتحرض عليه إلى أن قتل :

فقد روى الحميري بسنده عن جعفر الباقر قال (لما حضر الناس عثمان ، جاء مروان بن عبدا لحكم إلى عائشة ، وقد تجهزت للحج فقال : يأم المؤمنين ! إن عثمان قد حصره الناس، فلو تركت الحج وأصلحت أمره كان الناس يسمعون منك ، فقالت : قد أوجبت الحج وشددت غرائري . فولى مروان وهو يقول :

حَرقَ قيسٌ عليَّ البلادَ حتىّ إذا أضرمت أجذما

فسمعته عائشة ، فقالت : لعلك تظن أني في شك من صاحبك ؟ فوالله لوددت أنّك وهو في غرارتين من غرائري مخيط عليكما تغطّان في البحر حتى تموتا) [3] .

هذه الرواية زعم المرتضى الشيعي أنها منقولة من كتاب (الدار) للواقدي[4]، وهو مفقود .

ولو سلمنا بصحة النقل ، فلابد من دراسة السند . وعمدة هذا الخبر - كما زعم الشيعة - هو الواقدي ، وهو متروك لا تقبل روايته [5].

ويزعم الشيعة أيضاً أن عائشة امتنعت من نصرة عثمان لما حصر ، وذهبت للحج ، فلما قتل عثمان (وجاء الناعي إلى مكة فنعاه ، بكى لقتله قوم من أهل ظنه ، فأمرت منادياً ينادي: ما بكاؤكم على نعثل ؟ أراد أن يطفئ نور الله فأطفأه الله تعالى ، وأن يضيع سنة رسوله فقتله !

---

(١) تقدمت هذه المزاعم والرد عليها بشيء من التفصيل في المبحث الرابع من الباب الخامس من الفصل الأول .

(٢) ينظر الأمالي للمفيد ، ص ١٢٥-١٢٦ . والجمل للمفيد ، ص ٧٥-٧٧ . والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (١٧٨/٤) . وكشف الغمة للإربلي ٤٧٩/١ . والصراط المستقيم للبياضي ٢٨٣/٢ . والكشكول ، لحيدر الآملي ، ص ١٣٣ وقد مر تفنيد القصة سنداً ومتناً والرد عليها .

(٣) قرب الإسناد للحميري ، ص١٤ . وانظر الشافي في الإمامة للمرتضى ، ص ٢٦٦-٢٦٧ . وأحاديث أم المؤمنين لمرتضى العسكري ١٥٧/١-١٥٨.

(٤) انظر : الشافي في الإمامة للمرتضى ، ص ٢٦٦ .

(٥) انظر : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣/٣ . وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٣٦٣/٩ .

ثم أرجف بمكة ، أن طلحة قد بويع له، فركبت مبادرة بغلتها ، وتوجهت نحو المدينة وهي مسرورة ، وهي لا تشك أن طلحة هو صاحب الأمر ، وكانت تقول : بعداً لنعثل وسحقاً ، إيه ذا الأصبع ، إيه أبا شبل ، إيه ابن عم ، لله أبوك ، أما إنهم وجدوا طلحة كفؤاً ، لكأني أنظر إلى أصبعه وهو يبايع ، حثّوا الإبل ودعوها)[1] .

ويزعم الشيعة أنها انقلبت إلى المدينة مسرورة بقتل عثمان ، بتوليه طلحة - كما توهمت باديء ذي بدء - ، (حتى انتهت إلى سرف [2] فاستقبلها عبد بن أبي سلمة ، فقالت له : ما عندك من خبر ؟ قال : قتل عثمان ، قالت : فمن ذا ولوه ؟ قال : بايعوا علياً ابن عم رسول الله ﷺ وآله ، فقالت : والله لوددت أن هذا طبق على هذه إن تمت لصاحبك . فقال لها عبد بن أبي سلمة ، ولِمَ ؟ فوالله ما على هذه الغبراء نسمة أكرم منه على الله ، - ماذا تكرهين قواه؟ فقالت : إنا عبنا على عثمان في أمور سميناها له ، ولمناه عليها ، فتاب منها ، واستغفر الله فقبل منه المسلمون ، و لم يجدوا من ذلك بداً ، فوثب عليه صاحبك فقتله ، لإصبع من أصابع عثمان خير منه ، وقد مضى كما يمضي الرخيص ، ثم رجعت إلى مكة تنعي عثمان وتقول هذه المقالة لأناس)[3].

وفي رواية - (قال لها عبد بن أبي سلمة : أول من طمّع الناس فيه أنت ، فقلتِ : اقتلوا نعثلاً فقد كفر . قالت : قلته ، وقاله الناس .

فقال لها :

منكِ البداء ومنكِ الغِيَر ... ومنك الرياح ومنك المطر

وأنتِ أمرتِ بقتل الإمام ... وقلتِ لنا إنه قد كفر

فهبنا أطعناكِ في قتله ... وقاتله عندنا من أمَر [4]

---

(١) هذه القصة المفتراة نقلها مرتضى العسكري في كتابه : أحاديث أم المؤمنين عائشة ١/١٦٧- ١٦٨ . وعزاها إلى أبي مخنف في كتابه (الجمل) وقد تقدم أن أبا مخنف لوط بن يحيى شيعي محترق ، وإخباري تالف هالك ، لا يوثق به ، ولا يعتد بروايته بإجماع علماء الجرح والتعديل .

(٢) موضع على ستة أميال من مكة ، من طريق مرّ الظهران انظر المناسك للحربي ، ص ٤٦٥-٤٦٧ . ومعجم البلدان للحموي ٣/ ٢١٢ . ومراصد الإطلاع للبغدادي ٢/٧٠٨ .

(٣) الجمل للمفيد ، ص ٢٢٨-٢٢٩ ، وانظر أحاديث أم المؤمنين لمرتضى العسكري ١/١٥٥-١٥٨ .

(٤) الصراط المستقيم للبياضي ٣/١٦٤ . وأحاديث أم المؤمنين عائشة لمرتضى العسكري ١/١٦٩-١٧٠ .

ورغم كون هذه القصة مكذوبة ، إلا أنها مذكورة في بعض كتب أهل السنة ، فقد نقلها بعض مؤرخي أهل السنة في كتبهم ، منهم ابن سعد [1] ، وابن جرير [2] ، وابن الأثير[3].

ولكن كما قيل : من أسند فقد أحال ، فقد وُجِد بعد تتبع السند أن آفته نصر بن مزاحم المنقري ، وهو رافضي جلد تركوه :

قال أبو حاتم : واهي الحديث ، متروك ، وقال العقيلي (شيعي في حديثه اضطراب وخطأ كثير) .

وقال أبو خيثمة : كان كذاباً .

وقال العجليّ : كان رافضياً غالياً ، ليس بثقة ولا مأمون [4].

ومن كانت هذه حاله ، فحريّ أن لا يُروى عنه ، ولا يجوز الاستدلال بروايته وخبره ، ولا كرامة ، فالرافضة هم أكذب الخلق على الإطلاق و لم يكتف الشيعة بهذه الأكاذيب المتقدمة، من زعمهم أنَّ عائشة كانت من المؤلّبين على عثمان المحرّضين على قتله ، بل نسبوا إلى عمّار بن ياسر رضي الله عنهما زوراً وكذباً - قوله عن عائشة رضي الله عنها (إنها كانت من قتلة عثمان)[5]، وهذا من أعجب العجب .

مناقشة هذه المزاعم والدعاوى :

إن هذا الذي أورده الشيعة الرافضة من اختلاقهم ، وأكاذيبهم وافتراءاتهم على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :

فكلمة (نعثل) التي زعم الرافضة أن أم المؤمنين كانت ترددها محرّضة الناس على قتل عثمان رضي الله عنه بقولها (اقتلوا نعثلاً) لم ترد إلا على ألسنة من قتل عثمان رضي الله عنه .

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٤/١٨٨ .

(٢) انظر تاريخ ابن جرير الطبري ٥/١٧٢ .

(٣) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/٢٠٦ .

(٤) انظر : أقوال علماء الجرح والتعديل فيه في : ميزان الاعتدال للذهبي ٤/٢٥٣ . والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨/٤٦٨ . ولسان الميزان لابن حجر ٦/١٥٧ . والتاريخ الكبير ٨/١٠٥ . والضعفاء للعقيلي ٤/٣٠٠ .

(٥) انظر الجمل للمفيد ، ص ١٩٥ .

فقد كان أعداء عثمان رضي الله عنه يسمونه (نعثلاً) تشبيهاً برجل من مصر كان طويل اللحية اسمه نعثل[1] .

وأول من تفوه بهذه الكلمة منهم : جبلة بن عمرو السّاعدي ، حيث قال مخاطباً عثمان رضي الله عنه : (يا نعثل والله لأقتلنّك ، ولأحملنّك على قلوص ، ولأخرجنّك إلى حرّة النار)[2] ، ولما تفوه جبلة بهذا كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في مكة تؤدي مناسك الحج .

ولم يثبت عنها رضي الله عنها أنها نطقت بهذه الكلمة ، ولم يروِ ذلك عنها إلا الشيعة الرافضة الذين اتخذوا الكذب شعاراً ، والتقية والنفاق دثاراً .

ولقد أدمنوا الكذب ، واتخذوه ديناً ، فصارت أحاديثهم كذباً كلها ، حتى قال فيهم الإمام أبو عبيد القاسم بن سلاّم رحمه الله تعالى (عاشرتُ الناس ، وكلّمت أهل الكلام ، فما رأيت قوماً أوسخ وسخاً ، ولا أقذر قذراً ، ولا اضعف حجة ، ولا أحمق من الرافضة)[3].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله (لم أرَ أحداً أشهد بالزور من الرافضة)[4]. وأقوال الأئمة في بيان كذبهم كثيرة ، ولا يسع المقام هنا لذكرها وسيكون في آخر هذا الفصل ملحق فيه أثر الشيعة في الوضع وانتحال الأخبار .

توضيح موقف أم المؤمنين عائشة من قتل وقَتَلة عثمان رضي الله عنهما ونقد الروايات الضعيفة :

لم يكن غريباً ، بل كان المتوقع أن يكون موقف عائشة من مقتل عثمان رضي الله عنهما، هو موقف الصحابة جميعاً ، من الغضب له رضوان الله عليه ، والحنق على قاتليه[5] ، وكانت أولى الروايات المعبرة عن ذلك لدى الطبري ، وهي روايته عن السري ، عن شعيب ، عن سيف ،

---

(١) ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/٧٩٠٠٨ .

(٢) ينظر تاريخ الطبري ٤/ ٣٦٥ .

(٣) ينظر : الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لعبيد الله محمد بن بطة العكبري ، ص ١٦٣ ، تحقيق : رضا نعسان معطي ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ١٤٠٤هـ .

(٤) ينظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للآلكائي ٧/ ١٤٥٧ .

(٥) راجع ما ذكره ابن شبه ، فيما روي عن علي وعائشة رضي الله عنهما من التنديد في قتل عثمان رضي الله عنه، انظر: تاريخ المدينة لابن شبه ٢/٢٥٩ وما بعدها .

عن محمد وطلحة ، وفيها (إنه لما تساقط الهُرَّاب إلى عائشة بمكة استخبرتهم فأخبروها أن قد قتل عثمان ﷺ ، ولم يجبهم إلى التأمير أحد ، فقالت: ولكن أكياس[١]، هذا غِبُّ[٢] ما كان يدور بينكم من عتاب الاستصلاح ....) ورجعت ﷺ إلى مكة وهي لا تقول شيئاً ، ولا يخرج منها شيء حتى نزلت على باب المسجد ، وقصدت للحجر فتسترت فيه ، واجتمع الناس إليها فقالت : (أيها الناس إن الغوغاء من أهل الأمصار ، وأهل المياه ، وعبيد أهل المدينة اجتمعوا أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس الإرب [٣] ، واستعمال من حدثت سنّهُ ، وقد استعمل أسنانهم قبله ، ومواضع من الحمى حماها لهم ، وهي أمر قد سبق بها لا يصلح غيرها ، فتابعهم ، ونزع لهم عنها استصلاحاً لهم ، فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً خلجوا [٤] ، وبادَوا بالعدوان ، ونبا فعلهم عن قولهم ، فسفكوا الدم الحرام ، واستحلوا البلد الحرام ، والله لأصبع عثمان خير من طِبق الأرض أمثالهم ، فنجاة[٥] من اجتماعكم عليهم حتى ينكل [٦] بهم غيرهم ، ويشرد [٧] من بعدهم ، ووالله ، لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه ، أو الثوب من درنه إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء)[٨] .

---

(١) أكياس : كاس الولد كيساً وكياسة ، عقل وظرف وفطن فهو كيس و كيِّس والجمع أكياس .
انظر: لسان العرب ٢٠١/٦، ومختار الصحاح ٢٤٤/١ .

(٢) غب : الغب من كل شيء عاقبته وآخره .
انظر: لسان العرب ٦٣٤/١ .

(٣) الأرب : الحاجة والدهاء والفطنة والعقل .
انظر: لسان العرب ٢٠٨/١ .

(٤) خلجوا : تحركوا واضطربوا .
انظر: لسان العرب ٢٥٦/٢ .

(٥) نجاة : أي اطلبوا النجاة باجتماعكم عليهم .
انظر: لسان العرب ٣٠٥/١ .

(٦) ينكل بهم غيرهم : أي حتى يردعه ويروع بهم غيرهم من إتيان مثل صنيعهم ، ونكل عن الأمر جبن وأنصرف .
انظر: لسان العرب ٦٧٧/١١ .

(٧) يشرِّد : يفرق ، ويبدد جمعهم .
انظر: لسان العرب ٢٣٦/٣-٢٣٧ .

(٨) تاريخ الطبري : ٤٤٨/٤-٤٤٩، قال ابن منظور: الموص: الغسل. ماصه يموصه موصاً : غسله. لسان العرب ٩٥/٧.

والذي يتأمل هذه الرواية التي عند الطبري يتبين له : كم كان حجم نظرها رضي الله عنها للأمور، وكيف كانت فطنتها ، عند أول تعليق لها على هذا الأمر الجلل إلى أن هذا الأمر ما كان ليحدث ، لو لم تكن من ورائه عقول مدبرّة ومخططة، وإلى أن معاتبة بعض الصحابة لعثمان رضي الله عنه على ملأ من الغوغاء الذين يخبرون بما يسمعون دون فهم سليم لما سمعوا ، فيتحدث بأخبارهم في المجالس ، كان سبباً من أسباب ما حصل لعثمان رضي الله عنه ، وهذا تَنَبُّه دقيق منها ، وتحليل عميق لما كان من صنيع السبئية التي حركت الغوغاء بالمجاهرة بالنكير على الخليفة على هذا النحو الأليم ، والذي ما زال يفعل فعله في تاريخ المسلمين إلى يومنا هذا .

إن حجم إحساسها بالكارثة التي حلت بالمسلمين ، كان ملجماً لها ومناعاً لها من التفوه بكلمة واحدة ، وهو ما دل أيضاً على شديد همها ، ومحاولتها تدبر الأمر ، إن عثمان في – رأي عائشة رضي الله عنها لم يألو جهداً في استصلاحهم ، حتى لم يجعل لهم حجة ، ولا عذراً .

أنها لكل ذلك لم تترد في القيام طلباً لثأر عثمان رضي الله عنه غيرة على حرمات الله التي أهدرها الثائرون بقتله .

أنها رضي الله عنها كانت عارفة بما ينكرونه على عثمان ، ولكنها لم تكن تنكر عليه رضي الله عنها شيئاً من أموره ، بل تراها أموراً قد سُبق بها فلا يصلح غيرها ، فهو عندها نقي الصفحة ، بل إن أصبعه خير من طِباق الأرض أمثالهم(1).

نقد الروايات التي ذكرت تأليب عائشة على عثمان رضي الله عنهما عند الطبري :

وعلى العكس من الصورة الطيبة التي نفهمها من الروايات السابقة الموثوقة للعلاقة بين أم المؤمنين عائشة وعثمان – رضي الله عن الجميع – ، فإنه تبقى عند الطبري وغيره روايات أخرى صورت العلاقة بين عائشة وعثمان رضي الله عنهما على صورة مناقضةً تماماً لما انتهينا إليه ، وشوهت الأثر السياسي الناصع ، والواعي ، الذي قامت به رضي الله عنها ، دفاعاً عن حرمات الله تبارك وتعالى ، ودفعاً عن عثمان رضي الله عنه، وفهماً لألاعيب السبئية .

فأما الروايات التي ذكرها الطبري فقد جاءت متأخرة في ثنايا سرده للأحداث ، وفي هذا التأخير دلالة يعرفها كل من عرف طريقة الطبري في سرده للروايات والأخبار (2) ، ثم هي

(1) وهذا يؤكد خطأ ما ذهب إليه كثير من الباحثين من أنه كان لأم المؤمنين وطلحة والزبير، وغيرهم من الصحابة في عثمان رضي الله عنه كلام ورأي، فلما قتل دون أن يدفعوا عنه أو يقفوا إلى جواره في محنته، شعروا بالتقصير، وعضهم الندم . انظر على سبيل المثال: جولة تاريخية لمحمد السيد الوكيل ، ص ٥١٧، ٥٢٦ . الفتنة لهشام جعيط ، ص ٧٤، ٧٧.

(2) المعروف عند الطبري أنه يقدم من الأخبار ما نقله رواة معروفون بالصدق على الأخبار التي نقلها آخرون لا يوثق برواياتهم .

عنده روايات مسندة ، نستعين بإسنادها على معرفة أصلها الذي غالباً ما يتبين لنا منه كـذب الرواية وزيفها .

وسوف نتوقف الآن أمام هذه الروايات التي قالت بتأليب عائشة على عثمان ، والتي تنضح بوجود خلاف بينهما ، ونسبت إليها الاشتراك في قتله رضي الله عنهما .

الرواية الأولى :

وهي ما ذكره الطبري ، قال : كتب إليَّ علي بن أحمد بن الحسن العجلي ، أن الحسين بن نصر العطار ، قال : حدثنا أبي نصر بن مزاحم العطار قال : حدثنا سيف بن عمر ، عن محمد بن نويرة ، وطلحة بن الأعلم الحنفي . قال وحدثنا عمر بن سعد ، عن أسد بن عبدالله ، عمن أدرك من أهل العلم ، أن عائشة رضي الله عنها لما انتهت إلى سرف[1] راجعة إلى مكة ، لقيها عبد أم كلاب ، وهو - عبد بن أبي سلمة ، ينسب لأمه - فقالت له (مهيم ، قال ، قتلوا عثمان رضي الله عنه فمكثوا ثمانياً ، قالت : ثم صنعوا ماذا قال : أخذها أهل المدينة بالاجتماع، فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز ، اجتمعوا على عليّ بن أبي طالب .

فقالت ردوّني ، ردوني ، والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك . فانصرفت إلى مكة وهي تقول (قتل والله عثمان مظلوماً والله لأطلبنَّ بدمه ، فقال لها ابن أم كلاب: و لم، فوالله إن أول ما أمال حرفه أنتِ !) ولقد كنت تقولين (اقتلوا نعثلاً فقد كفر) قالت (إنهم استتابوه ثم قتلوه) وقد قلت، وقالوا ، وقولي الأخير خير من قولي الأول فقال لها ابن أم كلاب:

منكِ البداء ومنكِ الغِيَر	ومنك الرياح ومنك المطر
وأنتِ أمرتِ بقتل الإمام	وقلتِ لنا إنه قد كفر
فهبنا أطعناكِ في قتله	وقاتله عندنا من أَمَر
و لم يسقط السقف من فوقنا	و لم تنكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرء	يزيل الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب اثوابها	وما من وفي مثل من قد غدر

(١) سرف : مكان بين مكة والمدينة على بعد ستة أميال من مكة .

ينظر المناسك للحربي ، ص ٤٦٥-٤٦٧ . ومعجم البلدان للحموي ٣/٣ . ومراصد الإطلاع ٢/٧٠٨ .

فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر ، فسترت واجتمع إليها الناس ، فقالت: إن عثمان قتل مظلوماً ووالله لأطلبنَّ بدمه[1].

تعليق على إسناد الرواية :

رويت هذه الرواية كما رأينا من طريقين عند الطبري : الأول لم يتبين لي من حال رجاله غير حال نصر بن مزاحم العطار ، المجروح في كتب الرجال بالصفات الآتية : رافضي ، شيعي ، منكر ، تركوه[2] .

وفي هذا الطريق أيضاً سيف بن عمر الذي خرَّج له الطبري رواية أخرى ، قدمها على هذه الرواية ، وهي تتناقض تناقضاً تاماً مع هذه الرواية المذكورة في مسألتين أساسيتين هما : اتهام عائشة بالتأليب على عثمان ، ورأيها في خلافة علي رضي الله عنهما ، فهل يصح عن سيف الرواية ونقيضتها ؟ والواقع أننا وإن قبلنا أن يصح عنه هذا باعتباره مجرد راوٍ لما يصل إليه، إلا أننا نعود لنجد الرواية لا تستقيم من جهة أخرى ، هي جهة نصر بن مزاحم .

وأما الطريق الثاني : فهو طريق لا يكاد يستوي واقفاً أمام التحري عن حال رجاله ، فعمر بن سعد فهو قائد السرية الذين قاتلوا الحسين رضي الله عنه، وهو عند رجال الحديث لا يصح حديثه ، متهم بالوضع متروك [3] ، وأما أسد بن عبدالله فليّن الحديث في رأي ابن حجر[4] ، ولا يتابع على حديثه في رأي البخاري[5] ، وفوق ذلك فهو – كما ذكر ابن حجر – قد مات سنة عشرين[6]. كيف قام إذن برواية هذا الحديث ، الذي وقع سنة خمس وثلاثين ! وأخيراً تبقى

---

(١) تاريخ الطبري : ٤/٤٥٩ . الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة ١/٥١ . ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة ٢/٧٧ .

(٢) انظر المغني في الضعفاء للذهبي : ٢/٦٩٦ . وميزان الاعتدال للذهبي ٧/٢٤ ، دار الكتب العلمية . والتاريخ الكبير للبخاري ٨/١٠٠.ولسان الميزان لابن حجر ، طبعة دار الكتب العلمية ٦/٢٠٤ وفيه : قال أبو خيثمة : كان كذاباً ، وقال الدار قطني : ضعيف، وقال العجلي : كان رافضياً غالياً ، ليس بثقة ، ولا مأمون ،وقال الخليلي : ضعفه الحافظ جداً . وانظر : الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي : ٨/٢٨٥ .والضعفاء والمتروكين للدار قطني ، ص ١٦٩ .

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/٣٤٩ . والطبقات الكبرى لابن سعد ، ٥١٦٨ . والتاريخ الكبير للبخاري ٦/١٥٨. وتهذيب التهذيب لابن حجر ٣/٨٤ .

(٤) تقريب التهذيب لابن حجر ١/٨٨ .

(٥) التاريخ الكبير ٢/٥٠ .

(٦) تقريب التهذيب لابن حجر ١/٨٨ .

الجهالة الواضحة في : (من أدرك أسد بن عبدالله من أهل العلم) فالرواية غير مقبولة الإسناد في أي من طريقي روايتها .

التعليق على متن الرواية :

وأما متن الرواية فأول ما يسترعي الانتباه فيه أن هذه الرواية تناقض الرواية الأخرى التي ذكرناها في معرض الحديث عن موقف عائشة من مقتل عثمان رضي الله عنه فموضوع الروايتين واحد والأشخاص المذكورين هم ، هم . وهذا تناقض شبه تام من حيث الموضوع والأشخاص ، مع التناقض شبه التام أيضاً بين المضمونين لابد أن تكون نتيجته الحتمية أن إحدى الروايتين المتناقضتين صحيحة والأخرى موضوعة [1] .

فالرواية الأولى المروية عن سيف بن عمر وشيوخه لم تعرض لأية تهمة ، في تأليب عائشة رضي الله عنها على عثمان رضي الله عنه، بينما رواية نصر بن مزاحم تكاد تنصب على هذه التهمة الشنيعة، وتركزها شعراً ، ونثراً ، ولقد لا يغيب على القارئ في تراث هذه المرحلة أن أسلوب هذا الشعر يبدو غريباً ، وغير جارٍ على أسلوب هذا العصر الذي نعرض لدراسة أحداثه ، وهو ما يعد دليلاً على الوضع في هذه الرواية .

ورواية سيف أيضاً لم تعرض لقضية رفض عائشة لخلافة علي رضي الله عنه ، بينما أكدت رواية نصر على كراهيتها الشديدة لهذه الخلافة ، حتى قالت قولتها : (ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك) وهذه مسألة سنعاود التوقف معها لاحقاً .

ورواية سيف كذلك قد أوضحت أن الغوغاء هم الغالبون على المدينة ، وهو أمر أكدت عليه روايات أخرى لرواة تصح روايتهم [2] ، بينما لم تعرض رواية نصر لهذه المسألة بل قالت : (وجازت بهم الأمور إلى خير مجاز) .

---

(١) يلفت نظري كثيراً أن الوضاعين يقفون بالمرصاد لكل رواية صحيحة فيضعون على مثالها رواية موضوعة ، تستخدم فيها تعبيرات وألفاظ مقاربة لتعبيرات الروايات الصحيحة ، وتندس فيها الأسماء نفسها التي في الروايات الصحيحة ، فتحدث حالة من التشويش يصعب التخلص منها على غير المتخصص ، وقد نبهت كثيراً من قبل على هذا الأسلوب من أساليب القوم (الروافض) في قلب الحقائق وترويج الكذب .

(٢) انظر : مثلاً رواية أبي أسيد مولى أسيد الساعدي الأنصاري ، وهي في تاريخ الطبري ، ورواية سهم الأزدي ، ورواية الأحنف بن قيس ، وهي كلها روايات جاءت على شهود الأحداث ، وقد عرض لها الدكتور يوسف العش رحمه الله تعالى ووثق فيها وثوقاً جعله يعتبرها أساساً يعتمد عليه في فهم الأحداث ، كما جعله يقابل عليها بقية الروايات الأخرى ، فإن تضاربت معها قطع بأنها غير مطلعة على حقيقة الحادث . تاريخ الطبري ٤/٤٥٠ في رواية أخرى عن سيف .

وثاني ما يسترعي الانتباه هو مستوى لغة الحوار مع أم المؤمنين ، حيث عدم التقدير والاحترام لمقامها الراسخ عند المسلمين ، الأمر الذي يوحي بشك غير قليل في هذه الرواية ، خاصة إذا ما أنضاف إلى مقامها عند المسلمين مقامها عند عبد بن أبي سلمة [1] المذكور في الرواية ، وهو من أخوالها بني ليث ، الذين كانت لهم واصلة كما تقول رواية سيف بن عمر .

وهذا يلفتنا إلى حيلة أخرى من الحيل التي يستخدمها الوضّاعون من أصحاب الأهواء ، حين يقصون القول على لسان واحد ممن له صلة بالشخصية التي يكذبون ، ويزورون عليها ، ليزيدوا الأمر تلبيساً على السامع .

وليت الأمر توقف عند حد مستوى الحوار وحسب ، بل قد ذهب إلى اتهامها بتهم عظيمة : من تأليب على الخليفة ، وتكفير له ، ودعوة إلى قتله ، مع ما يدل عليه كل هذا من خروج على الجماعة ، ثم تبرر عائشة غضبها – في زعم الرواية – لمقتل عثمان ، بعدما ألبت عليه وكفّرته ودعت إلى قتله – كما زعموا – بأنهم استتابوه ثم قتلوه .

والغريب ألا تنفي عن نفسها هذه التهم العظام وتقول – كأن الأمر من السهولة ، والبساطة – : (وقولي الأخير هو خير من الأول) وكأنها تقر بهذه التهم التي وجهت إليها ، مع كراهيتها في الوقت نفسه لخلافة عليّ رضي الله عنه ، وهي تهم لا يكاد يستقيم معها دين المرء[2] ، ولا تتسق مع عائشة رضي الله عنها في فقهها وتحريها وفهمها للأحكام ، وهذا هو ما نعنيه بضرورة أن نعرض كل خبر على سجايا من نخبر عنه ، ونقارنه بسيرته ، وهل هو مما ينتظر وقوعه ممن نسب إليه ، ويلائم المعروف من سابقته وأخلاقه أم لا ؟ [3] .

---

(١) اسمه في الرواية الأولى التي بدأ بها الطبري عبيد بن أبي سلمة ، بينما هو في هذه الرواية التي أخرها الطبري : عبد .

(٢) انظر صحيح مسلم ، كتاب الإيمان باب حال من قال لأخيه المسلم يا كافر ٧٩/١ ، حديث رقم (٦٠) ، وفيه عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺقال (أيما امرئ قال لأخيه ياكافر ، فقد باء بها أحدهما . إن كان كما قال إلا رجعت إليه) .

(٣) انظر : مثلاً في الأخذ بمثل هذه الروايات الواهية ، وبناء الأحكام التاريخية على أساسها ، فيما قاله العقاد مدللاً على سوء حال هذا الفريق ، فريق المطالبين علياً بالقود من قتلة عثمان ، مستدلاً بثلاثة من أوهى الروايات في وصف موقف عائشة من مقتل عثمان ، ومن خلافة عليّ رضي الله عنه، وهي روايات تكاد تسقط العدالة تماماً عنها رضي الله عنها ، وتغمز دينها غمزاً بعيداً ، ليدلل على سقوط عدالة الباقين ممن كانوا معها بقياس الأولى ، فقال مشيراً إلى هذه الرواية المقدوحة ، ومبرزاً التناقض المزعوم في موقفها رضي الله عنها ، (وليس بينهم أعف ولا أتقى من عائشة رضي الله عنها ، ناهيك بالسيدة عائشة في فضلها ومكانتها وتقواها . فقل ما شئت في المطالبين غيرها بهذا المطلب الذي لا يجاب ، والرضى أو الإرضاء مستحيل حين يكون الطالب من هذا القبيل) عبقرية الإمام ، العقاد ص ٩٦، ٩٧.

ثم إن الرواية لا تتسق مع ما ذكرنا من مكانة لعثمان عندها ، وهي مكانة قالت بها الروايات الصحيحة كما وضحنا.

بل إنه قد ثبت عكس هذه الرواية تماماً في صحيح الروايات ، فلقد ذكر ابن كثير رواية أخرى ، تضاف إلى رواية سيف الصحيحة ، والتي مرت بنا ، حيث ذكر في إسناد صحيح [1] إلى عائشة أنها لما وجهت بمثل هذه التهم لم تقبلها ﷺ ونفتها نفياً جازماً.

والرواية عن أبي معاوية [2] ، عن الأعمش [3] ، عن خيثمة [4] عن مسروق [5] ، قال : قالت عائشة حين قتل عثمان : تركتموه كالثوب النقي من الدنس ،

---

(١) ذكر صحة الإسناد هذه ابن كثير في البداية والنهاية ١٩٥/٧ ، وراجع مصنف ابن أبي شيبة ٥١/١٢.

(٢) أبو معاوية محمد بن حازم : مولى بني سعد ، قال الذهبي : الإمام الحافظ الحجة ، أحد الأعلام قال يحيى بن معين : هو أثبت من جرير في الأعمش ، وقال : هو أثبت أصحاب الأعمش بعد سفيان وشعبة . قال النسائي عنه : ثقة . وقال ابن خِرَاش صدوق ، هو في الأعمش ثقة ، وفي غيره فيه اضطراب .

انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي : ٧٣/٩، ٧٨ . المعارف لابن قتيبة ، ص٥١٠ . خلاصة تهذيب الكمال للخزرجي ، ص ٣٣٤ .

(٣) الأعمش : سليمان بن مهران ، قال الذهبي : شيخ الإسلام ، شيخ المقرئين والمحدثين أبو محمد الأسدي . قال يحيى القطان : هو علامة الإسلام . قال وكيع بن الجراح : كان الأعمش قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى .

انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ، ص ٢٢٦، ٢٤٨ . الكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٨٩/٥ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٠٠/٢ ، شذرات الذهب لابن العماد ٢٢٠/١ ، خلاصة تهذيب الكمال للخزرجي ، ص ١٥٥ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٣٤٢ .

(٤) خيثمة بن أبي سبرة : يزيد بن مالك بن عبدالله الكوفي الفقيه . لأبيه وجده صحبة ، كان من العلماء العباد ، نجا من فتنة ابن الأشعث ، وهو إبراهيم النخعي فيما قيل ، أدرك ثلاثة عشر صحابياً .

انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٢٠/٤. وتاريخ البخاري ٢١٥/٣ . وخلاصة تهذيب التهذيب للخزرجي ، ص١٠٧.

(٥) مسروق بن الأجدع : الإمام القدوة ، العلم ، أبو عائشة الوادعي ، الهمداني ، الكوفي ، عداده في كبار التابعين ، وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ ، قال الشعبي : ما علمت أن أحداً كان أطلب للعلم في أفق من الآفاق من مسروق ، وقال : كان مسروق أعلم بالفتوى من شريح ، وقالت امرأة مسروق : كان يصلي حتى تورم قدماه ، فربما جلست أبكي مما أراه يصنع بنفسه ، وكانت عائشة تقول : يا مسروق إنك من ولدي، وإنك لمن أحب ولدي إليّ ، وكان يحيى بن معين يقول : ، مسروق ثقة لا يسأل عن مثله ، وقال ابن سعد : ثقة ، له أحاديث صالحة .

انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ٦٣/٤ ، ٦٩ . أسد الغابة لابن الأثير ، ص ٣٥٤ ، خلاصة تهذيب الكمال للخزرجي ، ص ٣٧٤ . شذرات الذهب لابن العماد ٧١/١ . تهذيب التهذيب لابن حجر ١٠٩/١٠ . تقريب التهذيب ١٧٥/٢ .

ثم قتلتموه [1] فقال لها مسروق : هذا عملك ، أنت كتبت إلى الناس تأمريهم أن يخرجوا إليه، فقالت (لا والذي آمن به المؤمنون ، وكفر به الكافرون ، ما كتبت إليهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا).

قال ألا عمش : فكانوا يرون أنه كتب على لسانها [2] ، وقال ابن كثير : وفي هذا وأمثاله دلالة ظاهرة على أن هؤلاء الخوارج قبحهم الله ، زوروا كتباً على لسان الصحابة إلى الآفاق ، يحرضوهم على قتال عثمان [3] .

وتزوير الكتب على أمير المؤمنين عثمان كان من أحد أسلحة البغاة التي استعملوها من كل وجه ، وفي كل حال ، حتى قيل أهم كانوا يزورون الكتب على أزواج النبي ﷺ ، في الشكوى من حكم عثمان ، وتتلى هذه الكتب في جامع عمرو بالفسطاط على ملأ من الناس[4]، والتزوير على لسان عائشة ﵂، وأمهات المؤمنين أمر له دلالته الواضحة على عمق تأثيرهن في الأحداث ، وذلك التأثير الذي سعى له المنافقون من السبئيين إلى توظيفه لخدمة مؤامرتهم التي كشفها التاريخ الصحيح ، والرواية إذن ساقطة سندا ومتناً ، فلا يعول عليها .

وهنا مسألة :

أقوال أهل العلم في سيف بن عمر التميمي . وسوف أتكلم عنه من ناحيتين :

الناحية الأولى : كونه محدثاً :

وفيه : قال النسائي : " سيف بن عمر الضبي ضعيف "[5]، وقال ابن أبي حاتم :" متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي "[6]، وقال الذهبي :" ضعفه ابن معين وغيره "[7]، وقال

---

(١) وفي رواية : ثم قربتموه ، ثم ذبحتموه كما يذبح الكبش .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٩٥/٧ ، قال أبو وكيع (فسمعت الأعمش يزيد في هذا الحديث أن عائشة حلفت يمين ما حلف بها أحد قبلها ولا بعدها) وذكر اليمين المذكورة أعلاه . تاريخ المدينة لابن شبة ٢٥٤/٢ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٢٠٤/٧ . انظر ما رواه البلاذري عن أحمد بن إبراهيم : أنساب الأشراف ٤٩٦/٤ ، وابن شبة : في الرواية عن الأشتر التي زعم فيها مكاتبة عائشة ﵂ لهم ، تاريخ المدينة لابن شبة ٢٥٤/٢ .

(٤) انظر : تاريخ ولاة مصر للكندي ، ص ١٩ . الصادق عرجون : عثمان بن عفان ، ص ١٣٢ نقلاً عن الشيخ الخطيب في تحقيقه وشرحه للعواصم من القواصم ، ص ١٢٠ .

(٥) الضعفاء والمتروكين للنسائي ، ص ١٤ .

(٦) الجرح والتعديل ٢٧٨/٢ .

(٧) الكاشف ٤١٦/١ ، والمغني في الضعفاء ، ص ٩٢ .

ابن حجر :" ضعيف الحديث "[1]، وقال ابن حبان :" سيف بن عمر الضبي الأسدي من أهل البصرة اتهم بالزندقة ... يروي الموضوعات عن الأثبات"[2].

هذا سيف بن عمر محدثاً .

الناحية الثانية : كونه إخبارياً مؤرخاً :

وفيه : قال الذهبي :" كان إخبارياً عارفاً "[3]، وقال ابن حجر :" ضعيف في الحديث عمدة في التاريخ"[4].

وبهذا ينتهي الضعف والترك المنسوبان إلى سيف بحملها إلى الحديث لا إلى التاريخ ، وهو مجال كلامي هنا .

أما اتهام ابن حبان لسيف بالزندقة فيجيب عنه ابن حجر بقوله :" أفحش ابن حبان القول فيه "[5].

وحديثه عما جرى بين الصحابة أبعد ما تكون عن أسلوب الزنادقة ويدل على هذا أمور :

١- جعله الطبري مصدراً مهماً في نقل الأخبار ، فقد نقل عنه في أحداث الفتنة وغيرها أكثر مما نقله عن غيره ، حتى كاد يعتمد عليه فيها .

٢- كما جعله الذهبي أحد المصادر التي اعتمد عليها في كتابه (تاريخ الإسلام) بل قال :" وقد طالعت على هذا التعريف من الكتب مصنفات كثيرة ومادته من : دلائل النبوة للبيهقي ، وسيرة النبي ﷺ لابن إسحاق ، والفتوح لسيف بن عمر... "[6].

٣- أما ابن كثير فقد مال إلى تصحيح روايات سيف في كثير من أحداث التاريخ كما فعل في رواية صفة قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه على الرغم من إيراده لأكثر

---

(١) التقريب ٣٤٤/١ .

(٢) المجروحين ٣٤٥/١.

(٣) ميزان الاعتدال ٢٥٥/٢ .

(٤) التقريب ٣٤٤/١ .

(٥) المرجع السابق ٣٤٤/١.

(٦) تاريخ الإسلام ١٤/١-١٥ .

من رواية في هذا الباب كرواية خليفة بن خياط الذي هو أحد شيوخ البخاري، وهي أقوى من رواية سيف من ناحية السند والله أعلم(١).

٤- وأخيراً أذكر آراء بعض من اشتهر بالحديث أو دراسة التاريخ :

يقول محب الدين الخطيب عن سيف :" وهو أعرف المؤرخين في تاريخ العراق"(٢)، ويقول عن شيوخ سيف :"... وهم أعرف الإخباريين بحوادث العراق "(٣).

وفي سبيل الموازنة بينه وبين أبي مخنف يقول :" لوط بن يحيى الشيعي المحترق ، وسيف بن عمر العراقي المعتدل "(٤).

ويقول يوسف العش في أن رواية سيف بن عمر هي التي تتفق مع الروايات الصحيحة :" وجملة القول أن سيف بن عمر يأتينا بقصة الفتنة من مصدر حيادي مطلع ، فتأتي قصته منسجمة مع الروايات الموثوقة ، فتدخل في عدادها مفسرة موضحة ، مفصلة مقبولة "(٥).

ويقول احمد راتب عرموش :" ويبدو من مراجعة كتب التراجم أن سيفاً لم يكن من رواة الحديث المعتمدين ، لكن يُجمع واضعوها على أنه عمدة في تاريخ حوادث صدر الإسلام"(٦).

وهنا تنبيه مهم : وهو أن الشيعة يكثرون الأخذ والاعتماد على رواية لوط بن يحيى ويرفضون ويردون رواية سيف كما فعل مرتضى العسكري في كتابه (عبد الله بن سبأ) و (خمسون ومائة صحابي مختلق).

وبهذا يتضح أهمية روايات سيف في أحداث صدر الإسلام وأحداث الفتنة وأنها تتفق مع المعتقد الصحيح ، فلابد من المصير إليها والأخذ بها والله أعلم .

---

(١) البداية والنهاية ٢٠٣/٧ .

(٢) حاشية العواصم من القواصم لابن العربي ، تحقيق: محب الدين الخطيب ، ص ١٥٥ .

(٣) حاشية العواصم من القواصم لابن العربي ، تحقيق: محب الدين الخطيب ، ص ١٥٤ .

(٤) حاشية العواصم من القواصم لابن العربي ، تحقيق: محب الدين الخطيب ، ص ١٧٧ .

(٥) الدولة الأموية ، ص ٩٠ .

(٦) الفتنة ووقعة الجمل ، ص ٢٧ .

الرواية الثانية :

أما الرواية الثانية عند الطبري التي تتهم عائشة بالتأليب على عثمان رضي الله عنهما ، فلقد ذكرها الطبري عن محمد بن عمر الواقدي : حدثني ابن أبي سبرة [(١)]، عن عبدالمجيد بن سهيل[(٢)] عن عكرمة [(٣)] قال : قال ابن عباس ... وذكر طلب عثمان منه أن يخرج أميراً على الحج ، ومعه منه كتاب إلى أهل الموسم ، يسألهم أن يأخذوا له بالحق ممن حصروه .

ثم قال : فخرج ابن عباس ، فمر بعائشة في الصُّلصُل [(٤)] فقالت : يا ابن عباس أُنشدك الله – فإنك قد أعطيت لساناً إزعيلاً [(٥)] ، أن تُخذِّل عن هذا الرجل ، وأن تشكك فيه الناس ، فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت[(٦)] ، ورفُعت لهم المنار وتحلبوا [(٧)] من البلاد لأمر قد حُـمّ [(٨)]

---

(١) ابن أبي سبرة : هو أبو بكر بن عبدالله بن محمد بن أبي سبرة ابن أبي رُهم القرشي العامري المدني : قيل اسمه عبدالله وقيل محمد ، قال ابن حجر : رموه بالوضع ، مات سنة اثنين وستين ، تقريب التهذيب لابن حجر ٣٦٥/٢ وقال الذهبي: رموه بالوضع : ميزان الاعتدال للذهبي ٤/ ١٣٣ .

(٢) عبدالمجيد بن سهيل بن عبدالرحمن بن عوف الزهري : أبو وهب وأبو محمد : ثقة . أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي في سننه .

انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ١/ ٦١٢ ، خلاصة تهذيب الكمال للخزرجي ، ص ٢٤٣ ، تسمية من روى عنهم من أولاد العشرة للمديني ، ص ٨٧ ، سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٠٤/٦ .

(٣) عكرمة : عكرمة بن عبدالله ، مولى ابن عباس ، أصله بربري ، ثقة ثبت ، عالم بالتفسير ، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ، ولا يثبت عنه بدعة ، مات سنة سبع ومائة .

انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ٦٨٥/١ .

(٤) الصُّلصُل : هو موضع على سبعة أميال من المدينة ، قال ابن سعد : هو جبل معروف اليوم في أثناء البيداء ، على يمين المتوجه إلى مكة ، وفاء الوفا للسمهودي ١٢٥٤/٤ ، والصلصل لغة : بقية الماء في الأداوة وغيرها من الآنية ، أو في الغدير.

انظر: لسان العرب ٣٨١/١١ .

(٥) إزعيلاً : ذلقاً .

انظر: لسان العرب ٣٠٣/١١ .

(٦) أنهجت : وضحت .

انظر: المعجم الوسيط ٣٨٣/٢ .

(٧) تحلبوا : حلب القوم حلباً وحُلُوباً : اجتمعوا من كل وجه .

انظر: المعجم الوسيط ١٩١/١.

(٨) حُم : قضي .

انظر: المعجم الوسيط ١٩٩/١-٢٠٠ .

وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح ، فإن يلِ يسر بسيرة ابن عمه أبي بكر ، قال : قلت يا أمه لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا ، فقالت : إيها عنك ! إني لست أريد مكابرتك ، ولا مجادلتك (١) .

نقد الرواية سنداً ومتناً :

فأما أول قولنا في هذه الرواية فهو أنها مقدوح فيها من جهة ابن أبي سبرة المتهم بالوضع، مع كونها من طريق الواقدي ، ولم تأتِ عند غيره ، فهو منفرد بها ، ولا يحتج به حال انفراده ، وأتساءل في الوقت نفسه :

كيف عرفت عائشة أن عثمان قد بعث ابن عباس ﷺ أميراً على الحج بينما كان ابن عباس خارجاً لتوه من عند عثمان ﷺ بهذا التكليف ، وهل يمكن أن يصح، أو يعقل أن تطلب عائشة مثل هذا من ابن عباس ، وهي تعرف أنه أمير الحج من قبل الخليفة الذي بعثه ، بهذه الصورة الفجة التي لوجازت - في زعم الرواية - ولا تجوز - على عائشة ، فإنها لا تجوز على ابن عباس ﷺ .

وأما أن عائشة ﷺ كانت تطمع أن يلي طلحة بن عبيد الله فهو لا يوجد له شاهد آخر عند الطبري في غير هذه الرواية ، بل إن الروايات الصحيحة الإسناد قد تضافرت جميعاً على نفي أن تكون عائشة ﷺ بل ومعها طلحة نفسه - كانت ترى الخلافة تعدو عليّاً (٢) ، وهو أمر سوف يتأكد لنا ويزداد وضوحاً - إن شاء الله - في الصفحات التالية من الدراسة ، وقد سبق الكلام عن طرف منها .

ثم إن التناقض غير المعهود في أحاديث عائشة وحواراتها (٣) ، يبدو هنا واضحاً تماماً ، فبينما زعمت الرواية أن عائشة ﷺ قد طلبت من ابن عباس أن يُخذّل الناس عن عثمان ، وأن يشككهم فيه ، فإنها في نفس الوقت تزعم أن عائشة قالت : (إن الناس قد بانت لهم

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٠٧ والرواية ما تزال طويلة في ذكر الكتاب من عثمان إلى أهل الموقف بمكة .

(٢) وذلك كما في رواية الثقة : يعقوب بن إبراهيم عن الأحنف بن قيس ، ورواية ابن سيرين عن عرض علي ﷺ الخلافة على طلحة ، ورفض طلحة لاعتقاده بأحقية عليّ ، وتقدمه في هذا الأمر ، وسوف نعرض لها في الصفحات القادمة إن شاء الله.

(٣) إن القارئ للروايات الصحيحة عن عائشة ، والتي تمثلها في الكتابات التاريخية وروايات سيف ابن عمر ، وتمثلها كذلك الروايات التي جاءت من عند أصحاب الصحاح ، لن يجد لها ﷺ شيئاً من التضارب ، أو التناقض في الأقوال .

بصائرهم، وأنهجت ، ورفعت لهم المنار) ما الحاجة إذن فالاضطراب في مثل هــذه الأخبــار المكذوبة واضح وضوح الشمس في رابعة النهار .

والمقصود أن دعوى الشيعة أن عائشة ﵂ كانت تحرض الناس على قتل عثمان ﵁، وتقول لهم (أقتلوا نعثلاً) ... الخ . دعوى كاذبة تفتقر إلى دليل .

والأدلة التي استدلوا بها غير صحيحة ، ويوجد في النقل الصحيح الثابت ما يفندها .

فالمنقول عن عائشة ﵂ ، أنها أنكرت قتل عثمان ﵁ بل وذمت من قتله ، وبرئت إلى الله ﷻ من قتله ، وممن قتله [1] .

بل وطلبت من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن يقتــل قتلتــه بــاعتراف الــشيعة أنفسهم[2].

فكيف تحرض على قتله ، أو تشارك في قتله كما زعم الشيعة في إحدى روايــاتهم ، ثم تطلب من علي ﵁ أن يقتل من قتله ؟!!

ولو فرض جدلاً صحة ما نقل عن عائشة من القدح في عثمان ﵄ مع أنــه إفــك بلاشك - فإنه لا مطعن فيه على عائشة ﵂ ، ولا بعثمان ﵁ .

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى عند رده على مزاعم الحلي (إن هذا المنقول عن عائــشة من القدح في عثمان ، إن كان صحيحاً فإما أن يكون صواباً أو خطأً ، فإن كــان صــواباً لم يُذكر في مساوئ عائشة . وإن كان خطأً لم يُذكر في مساوئ عثمان . والجمع بــين نقــص عائشة وعثمان باطل قطعاً . وأيضاً فعائشة ظهر منها من التألم لقتل عثمان والــذم لقتلتــه ، وطلب الانتقام منهم، ما يقتضي الندم على ما ينافي ذلك ، كما ظهر منها الندم على مسيرها إلى الجمل ، فإن كان ندمها على ذلك يدل على فضيلة عليّ واعترافها له بالحق ، فكذلك هذا يدل على فضيلة عثمان واعترافها له بالحق ، وإلا فلا)[3].

هذا مع تأكيدنا على أن ما افتراه الشيعة عليها لم يصدر عنها ، ولكن قلنا ذلك علــى سبيل الجدل لا غير .

---

(١) ينظر تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٧٥- ١٧٦ .

(٢) ينظر من كتب الشيعة : الجمل للمفيد ، ص ٨٧ . والصراط المستقيم للبياضي ١١٩/٣ .

(٣) منهاج السنة النبوية ٣٣٠/٤ .

والثابت عنها رضي الله عنها خلاف ما رواه الشيعة الرافضة ، فقد كانت من أعرف الناس بفضائل عثمان رضي الله عنه ومناقبه ، وقد انفردت برواية عدة أحاديث في فضائله ، فكيف يقال أنها كانت من المؤلبين عليه ، والمحرّضين على قتله ؟!

بل لقد ثبت عنها رضي الله عنها أنها قالت لما سمعت بعض الناس ينالون من عثمان رضي الله عنه (لعن الله من لعنه ، لعن الله من لعنه ، لقد رأيت النبي ﷺ وهو مسندٌ فخذه إلى عثمان وإن الوحي يترل عليه ، ولقد زوجه ابنتيه إحداهما بعد الأخرى - وإنه ليقول " أكتب عثيم " قالت : ما كان الله ليترل عبداً من نبيه بتلك المترلة إلا عبد كريم عليه)[1].

فهذا الخبر من إشادتها بفضائله ، فكيف يزعم أنها كانت تحرض عليه ؟

أما دعواهم أنها كانت فرحت بقتل عثمان ، فلما بلغها خبر مبايعة عليّ أظهرت الجزع عليه ، وخرجت تطالب بدمه : فدعوى كاذبة أيضاً ليس لديهم ما يثبتها .

وقد نقل عن بعض الشيعة خلاف هذا ، فقد ذكر المفيد أن الأحنف بن قيس قدم على عائشة وهي في مكة ، - وكان عثمان محاصراً - فقال لها (إني لأحسب هذا الرجل مقتولاً ، فمن تأمريني أن أبايع ؟ فقالت : بايع عليّاً)[2].

وحين بلغها مقتل عثمان رضي الله عنه قالت (إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس الإرب ، واستعمال من حدثت سنه ، - وقد استعمل أسنانهم قبله - ، ومواضع من مواضع الحمى حماها لهم ، وهي أمور قد سُبق بها ، لا يصلح غيرها ، فتابعهم ونزع لهم عنها استصلاحاً لهم فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً ، فلجّوا وبادروا بالعدوان ، ونبا فعلهم عن قولهم ، فسفكوا الدم الحرام ، واستحلوا البلد الحرام ، وأخذوا المال الحرام ، واستحلوا الشهر الحرام ، واللهِ لإصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم ، وواللهِ لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه ، أو الثوب من درنه ، إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء)[3].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/٢٦١ .

ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/٨٦ .

وتاريخ دمشق لابن عساكر ٣٩/١٠٠ .

(٢) الجمل للمفيد ، ص ٧٣ .

(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٤٨-٤٤٩ .

فتأملوا هذا الكلام الذي قالته أم المؤمنين رضي الله عنها، فهو شاهد على كذب مزاعم الروافض :

١-لقد وصفت قتلة عثمان بأنهم غوغاء .

٢-برّأت عثمان من التهم التي حاول أولئك الغوغاء إلصاقها به .

٣-ذكرت أنه رضي الله عنه ترك الأمور التي عابوه بها رغبة في الإصلاح مع أنه سُبق إلى تلك الأمور .

٤-أخبرت رضي الله عنها أن الغوغاء سفكوا الدم الحرام ، واخذوا المال الحرام ، واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام ، بقتلهم لعثمان رضي الله عنه.

٥-ذكرت أنه لقي ربه طاهراً نقياً .

هذا الكلام من أم المؤمنين رضي الله عنها يدل على تقديرها لعثمان رضي الله عنه ، وعلى براءتها مما نسب إليها من تهمة تأليب الناس عليه أو تحريضهم على قتله فهي أم المؤمنين وزوجة سيد المرسلين ﷺ فرضي الله عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، ورضي الله عن أم المؤمنين عائشة وعن سائر أمهات المؤمنين .

المبحث الثاني : دعوى الرافضة منع عائشة الناس من التحدث بفضائل عليّ رضي الله عنهما :

لم يقل بهذه الدعوى العجيبة إلا الروافض الشيعة ، فقد ذكر البياضي أن (فاطمة لما زفت إلى عليّ ، قالت نساء الأنصار : أبوها سيد الناس . فقال النبي ﷺ : وبعلها ذو الشدة والبأس ، فلم يذكرن عليّاً فقال في ذلك ، فقلن : منعتنا عائشة : فقال : ما تدع عائشة عداوتنا أهل البيت) [1].

وقد تقدم نقل طرفاً من كلام الروافض في بغض أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كما زعموا وكذبوا .

وتقدم الرد على مزاعمهم كلها ولكن نورد هنا طرفاً بسيطاً لدحض هذه الدعوى الآثمة الكاذبة.

الرد على هذه الدعوى:

يقال لهؤلاء الروافض إضافة إلى ما مرّ ذكره ، كيف تمنع الناس التحدث في فضائل علي، وهي تحدث بنفسها بفضائل علي وفاطمة والحسن والحسين فليقم الجهلاء الدعوى بشرط أن تكون مقبولة سنداً ومتناً عند أهل السنة ، أن أم المؤمنين حذرت أحداً من التحدث بفضائل علي أو فاطمة أو الحسن أو الحسين وإن أوردوا بعض الأخبار المتقدمة الذكر فقد مرّ الرد عليها مفصلاً.

بل كانت تعترف بعلمه وحب رسول الله ﷺ له وهو رضي الله عنه في موقعة الجمل كما سيأتي أثنى عليها واعترف بأمومتها وهي أثنت عليه كما سيأتي .

وعن شريح بن هانئ ، قال : سألت عائشة رضي الله عنها عن المسح على الخفين فقالت : ائت علي بن أبي طالب ، فإنه كان يسافر مع رسول الله ﷺ (فأتيته) وعند مسلم فسألناه فقال : جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوماً وليلة للمقيم [2] ، فهذه فرية ظاهر عوارها بيِّن كذبها فلا نطيل فيها لما مرّ ذكره .

---

(١) الصراط المستقيم للبياضي ٣/١٦٦-١٦٧ .

(٢) رواه مسلم - كتاب الطهارة - باب التوقيت في المسح على الخفين ١/٢٣٢ ، حديث (٢٧٦) .

المبحث الثالث : دعوى الرافضة خروج عائشة على علي بعد استخلافه رضي الله عنهما "حديث الحوأب" :

القائلون بهذه الدعوى من أهل البدع :

هم الشيعة الروافض فلم يدّع أحد من أهل البدع أن عائشة خرجت على علي رضي الله عنهما أو أن طلحة والزبير رضي الله عنهما نكثا البيعة ، سوى هؤلاء الروافض أبعدهم الله، ومن نحى نحوهم من العقلانيين والطاعنين في السنة والصحابة التابعين لكل ناعق يقدح في الإسلام ونقلته الكرام.

هؤلاء الكذبة يكذبون الكذبة وينسجون عليها حكايات ويلصقون معها الصحيح تصديقاً لكلامهم بهذه الكذبة أو يزيدون فيها .

فقد تقدم ما ذكروه في كتبهم من أنها رضي الله عنها وحاشاها من إفكهم – لما كانت في طريق العودة إلى المدينة سمعت نبأ استخلاف علي رضي الله عنه ، فساءها ذلك ورجعت إلى مكة وأخبرت الناس أن عثمان رضي الله عنه قتل مظلوماً .

ويزعمون أيضاً أنها التقت – بعد ذلك – بطلحة والزبير رضي الله عنهما إثر مبايعتهما لعلي رضي الله عنه فحرضتهما على الخروج عليه ، ونكث بيعته .

وقال محمد على الحسيني – وهو من الشيعة المعاصرين – (عائشة هي التي مهدت لحرب الجمل) [(١)]

وقال المفيد :" جاء الزبير إلى عائشة فقالت له: (يا أبا عبدالله : اشتركت في دم عثمان [(٢)] ، ثم بايعت لعلي ، وأنت والله أحق بالأمر منه . فقال لها الزبير :أما ما صنعت مع عثمان ، فقد ندمت منه ، وهربت إلى ربي من ذنبي ذلك ، ولن أترك الطلب بدم عثمان ، والله ما بايعت علياً إلا مكرهاً ....) "[(٣)]

ويزعم الشيعة أن طلحة والزبير نتيجة تحريض عائشة نكثا بيعة علي [(٤)] واتفقوا جميعاً – على حد قول الشيعة – على تأليب الناس على علي .

---

(١) في ظلال التشيع لمحمد علي الحسيني ، ص ٧٦-٧٧ ، ٨٣ .

(٢) وهذا من إفك الشيعة ، وكذبهم وبهتانهم فطلحة رضي الله عنه لم يشترك في دم عثمان ، ولم يؤلب عليه ... وسيأتي تفنيد إفك الشيعة قريباً .

(٣) الجمل للمفيد ، ص ١٢٣ . وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/١٧٠- ١٧٣ .

(٤) انظر المفصح في الإمامة لمحمد بن الحسن الطوسي ، ص ١٢٩ ، ضمن مجموع الرسائل العشر للطوسي ، طبع مؤسسة النشر الإسلامي ، إيران .

وقال علي البحراني – أحد علماء الشيعة – (لولا عائشة وطلحة والزبير ، لكان الناس ماضين في طاعة علي)[1]

ويزعم الشيعة أيضاً أن عائشة وطلحة والزبير جمعوا جيشاً ، وساروا جهة البصرة والكوفة [2] وكانت قيادة الجيش العامة لعائشة [3] .

وفي ذلك يقول بعض الشيعة شعراً قبيحاً [4] .

آضت أمور الورى إلى امرأة ... وليتها لم تكن إذاً آضت

مبشرٌ جاء يبشرنا ... أميرة المؤمنين قد باضت

هبها تصلي بنا إذا طهرت ... فمن يصلي بنا إذا حاضت

ويدعي الشيعة أن عائشة رضي الله عنها لما خرجت على علي ، أرسلت إليها أم سلمة رضي الله عنها كتاباً تحذرها فيه من مغبة فعلها .

فقد أسند ابن بابويه القميّ – الملقب عند الشيعة بالصدوق – إلى أبي مخنف ، لوط بن يحيى – الشيعي المحترق ، والإخباري التالف [5] – ، يروي عن أبي أخنس الأرجي – وهو مجهول لا يعرف حاله [6] – قال :" لما أرادت عائشة الخروج إلى البصرة ، كتبت إليها أم سلمة زوج النبي ﷺ : أما بعد ، فإنك سدّة بين رسول الله ﷺ وآله وبين أمته ، وحجابه المضروب على حرمته ، وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه ، وسكن عقيراك فلا تصحريها ، إن الله من وراء هذه الأمة ، قد علم رسول الله ﷺ وآله مكانك ، ولو أراد أن يعهد إليك لفعل ، ولقد عهد فاحفظي ما عهد ، فلا تخالفي فنخالف بك ، واذكري قوله عليه السلام من نباح الكلاب

(١) منار الهدى في النص على إمامة الأئمة الاثنا عشر لعلي البحراني ، ص ٤٧٢ ، تحقيق : عبد الزهراء الخطيب ، دار المنتظر ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

(٢) انظر أحاديث أم المؤمنين لمرتضى العسكري ١/١٧٥ .

(٣) انظر في ظلال التشيع للحسيني ، ص ٨٣ .

(٤) انظر الصراط المستقيم للبياضي ٣/ ١٦٢-١٦٣ .

(٥) تقدم نقل إجماع علماء الجرح والتعديل على كذبه ص ٢٦٨ .

(٦) انظر ميزان الاعتدال للذهبي ٤/ ٤٨٧ .

بحوأب[1] ، وقوله (ما للنساء والغزو) وقوله (انظري ياحميراء ألا تكوني أنـت ... فقالـت عائشة .. ما أقبلني لوعظك ، وما أعرفني بنصحك، وليس الأمر على ما تظنين ، ولنعم المـسير مسيراً فزعت إليّ فيه فئتان متشاجرتان ، إن أقعد ففي غير حرج ، وإن أنهض فإلى ما لا بدّ من الازدياد منه ... الخ) [2].

ويروي بعض الشيعة أن طلحة والزبير جاءا من المدينة إلى مكة ، ودخلا على عائشة ، حرضّاها على الخروج على علي - وهذا خلاف المشهور عندهم كما تقدم - فاستـشارت أم سلمة - وكانت بمكة - ، وقالت لها : (إنّ ابن عمي وزوج أختي أعلماني أن عثمـان قتـل مظلوماً ، وأن أكثر الناس لم يرض بيعة علي ، وأن جماعة ممن بالبصرة قد خالفوا ، فلو خرجت بنا لعل الله أن يصلح أمر أمة محمد على أيدينا ؟ فقالت لها أم سلمة : إن عماد الدين لا يقـام بالنساء ، حماديات النساء غضّ الأبصار ، وخفض الأطراف وجرّ الذيول ، إن الله وضع عـني وعنك هذا)[3] .

ويزعم الشيعة أنها لم تستجب لنصائح أم سلمة لها ، بل خرجت مع طلحة والزبير ومن معهما ، وساروا نحو البصرة ....

---

(١) الحوأب من مياه العرب على طريق البصرة : قاله أبو الفتح نصر بن عبدالرحمن الإسكندري ، فيما نقله عنه ياقوت الحموي في معجم البلدان ٢/ ٣١٤ ، وقال البكري في معجم ما استعجم ١/ ٤٧٢ : ماء قرب البصرة على طريق مكة إليها ، وينظر لسان العرب ١/٢٧٥ ، والقاموس المحيط ١/٩٠ ، وتاج العروس للزبيدي ١/ ٤٧٣ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/١٠٧٥ ، وغريب الحديث للحربي طبعة أم القرى تحقيق : سليمان إبراهيم محمد العابد ٤٠٣/٢، وغريب الحديث لابن الجوزي ١/٢٥٠ ، والفائق في غريب الحديث والأثر ١/٤٠٨ ، وكتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٣/٣١٠ .

(٢) معاني الأخبار للصدوق ، ص ٣٧٥-٣٧٦ . وانظر : الكشكول لحيدر الآملي ، ص ١٤٣ ، وشرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد ٧٩/٢ . والصراط المستقيم للبياضي ٣/ ١٦٣-١٦٤ . وفي ظلال التشيع للحسيني ، ص ٧٨ . وأحاديث أم المؤمنين لمرتضى العسكري ١/١٧٦ . وقد نقلها بعض من ينسب إلى الأدب ، مثل الزمخشري المعتزلي في كتابه (الفائق) ١/٢٩٠ ، وقد تقدم أن عمدة إسنادها أبو مخنف ،لوط بن يحيى الإخباري التالف والشيعي المحترق ، إضافة إلى وجود مجاهيل في السند مما يسقط قيمة الرواية ويبطل الاعتداد بها .

(٣) ينظر تاريخ اليعقوبي ٢/١٨٠-١٨١ .

ومن الحوادث التي وقعت في الطريق أثناء ذهاب جيش عائشة إلى البصرة ، كما يروي الرافضة :

أن جيش عائشة مروا بماء يقال له ماء الحوأب ، فنبحتهم كلابه ، فقالت عائشة : ما هذا الماء ؟ فقال بعضهم : ماء الحوأب . فقالت عائشة ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ردّوني ردّوني ، هذا الماء الذي قال لي رسول الله : لا تكوني التي تنبحك كلاب الحوأب ، فأتاها القوم بمن شهد وأقسم أن هذا الماء ليس بماء الحوأب على حد مزاعم الشيعة :...

وهنا أختلف الشيعة الرافضة الأثنا عشرية في عدد الذين أقسموا لعائشة أن الماء ليس بماء الحوأب على خمسة أقوال :

١- ذكر اليعقوبي أنهم أربعون (١) .

٢- وذكر الصدوق – نقلاً عن الإمام جعفر الصادق كما زعموا – أنهم سبعون (٢) .

٣- بينما أكتفت بعض رواياتهم بوصفهم أنهم جماعة من الأعراب (٣) .

٤- وذكر بعضها الآخر أنَّ الحالف كان واحداً وهو عبدالله بن الزبير ، وقيل أبوه الزبير (٤).

٥- وذكر بعضهم أن ابن الزبير أقسم لعائشة أن الماء ليس بماء الحوأب ، ثم أقسم لها بعده طلحة بن عبيد الله ، ثم شهد معهما خمسون رجلاً كشهادتهما (٥) .

وهذه الأقوال الخمسة ترشد إلى التناقض الواضح عند الشيعة ، حيث تناقضوا فيما بينهم في جزئية بسيطة تتحدث عن حادثة واحدة ، وكان تناقضهم واضحاً جليّاً ، مما يدل على كذبهم فيما يروونه ويتناقلونه .

ولا نطيل في هذه الدعوى فكلامهم في خروج أم المؤمنين على علي رضي الله عنهما مَلَؤا به كتبهم ويستندون في ذلك على حديث الحوأب الذي سيأتي الكلام عليه في الرد على هذه الدعوى ، وهذا أوان الشروع في المقصود .

---

(١) ينظر تاريخ اليعقوبي ١٨١/٢ .

(٢) ينظر من لا يحضره الفقيه للصدوق ٤٤/٣ ، ح (١٥٠) ، وكذا انظر أعيان الشيعة لمحسن العاملي ٣/ ٢٦٣ .

(٣) ينظر سير الأئمة الإثنى عشرية لهاشم الحسيني ٤٤٨/١ .

(٤) ينظر كتاب أحاديث أم المؤمنين لمرتضي العسكري ١٨٠/١ .

(٥) انظر : السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون لعلي بن برهان الدين الحلبي ٣٥٥/٣ ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٠هـ ، وكذلك العواصم من القواصم لابن العربي ١٥٢/١ .

الرد على هذه الدعوى:

وفيها ست مسائل :

المسألة الأولى : الأحداث السابقة للخروج إلى البصرة ، وفيها :

١. البيعة لأمير المؤمنين علي –رضي الله عنه– .

٢. المفاوضات بين علي وطلحة والزبير في إقامة الحدود .

٣. طلحة والزبير يعرضان على أمير المؤمنين خطتهما بعد البيعة .

المسألة الثانية : خروج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها للطلب بدم عثمان ، وفيها :

١. هل أُكرهت أم المؤمنين عائشة على الخروج .

٢. هل كانت متسلطة على من معها .

٣. أزواج النبي ﷺ والخروج للطلب بدم عثمان .

٤. لماذا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

٥. أسباب خروج عائشة رضي الله عنها إلى البصرة .

٦. مشروعية هذا الخروج .

٧. الهدف المحدود من الخروج .

٨. وضوح الهدف من الخروج عند أنصار عائشة رضي الله عنها .

المسألة الثالثة : تتمة مسيرة أم المؤمنين عائشة إلى البصرة ، وفيها :

١. الممارسات السليمة لأم المؤمنين عائشة في البصرة .

٢. رسائل أم المؤمنين عائشة إلى الأمصار الأخرى .

٣. هل أمرت أم المؤمنين عائشة بالمثلة بعثمان بن حنيف .

المسألة الرابعة : تجلية بعض المسائل في حقيقة خروج عائشة رضي الله عنها ، وذلك لإتمام الرد على الروافض وبيان مذهب أهل الحق في ذلك ، وفيها :

١. هل خرجوا ليقيموا الحد على قتلة عثمان .

٢. هل خرجوا لحرب علي أو لخلعه .

٣. تحليل الرواية الصحيحة الموحية بخروجهم رفضاً لخلافة علي .

٤. الآراء التي رسخت القول بخروجهم على خلافة علي رضي الله عنه .

٥. الروايات المقدوحة أن عائشة وطلحة والزبير كانوا رافضين :

٦. لماذا خرج علي رضي الله عنه في إثرهم .

٧. هل كان علي يراهم خارجين عليه .

٨. محاولات علي الإصلاح في البصرة .

٩. بشائر الاتفاق بين الفريقين .

المسألة الخامسة : تحقيق القول في مسألة مرور أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على ماء الحوأب وفيها :

١. الروايات الضعيفة لمسألة الحوأب ونقدها .

٢. الروايات الصحيحة التي تثبت مرور أم المؤمنين عائشة على ماء الحوأب .

المسألة السادسة : ملابسات موقعة الجمل وفيها:

١. البسئية تعيد الفتنة من جديد .

٢. الروايات التي زعمت حرص أم المؤمنين عائشة على القتال .

٣. هل كانت وقعة الجمل حرباً بين جيش علي وجيش عائشة .

أولاً : سنحاول أن نتتبع الأحداث ونوضح الصحيح منها ليتبين براءة أم المؤمنين وطلحة والزبير بل وكل من معهم من الصحابة وأمير المؤمنين علي رضي الله عنهم أجمعين :

فلقد كان مقتل عثمان رضي الله عنه سبباً مباشراً في حدوث أزمة أخرى أو بالأحرى فتنة ثانية تضاربت فيها الآراء وتباينت فيها وجهات النظر ، واختلفت الاجتهادات في الوسيلة للانتقام من الخوارج الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه .

فقد رأت طائفة من الصحابة أن أول واجب على الأمة هو الثأر لخليفتها الشهيد والقصاص من القتلة الآثمين ، ورأى آخرون أن أول ما ينبغي هو اجتماع الكلمة واستتباب الأمن والصبر حتى تهدأ الأحوال وتنكشف ذيول المؤامرة ثم يكون استئصال وقطع دابر دواعيها.

ورأت طائفة ثالثة أن الخليفة المظلوم لم يحتمل ذلك الحصار الآثم ويمنع أتباعه المؤمنين من ذلك إلا حرصاً على أن لا تراق قطرة دم أو تثور أدنى فتنة بين أمة الإسلام فالأولى بمن بعده أن يؤثروا العافية وألا يكونوا طرفاً في أي نزاع .

يقول الإمام النووي في صدد الحروب والمواقف الأحداث التي جرت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وهي بجملتها تشابه ما نحن بصدد الكلام عنه حيث قال :"وأعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة ، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام : قسم ظهر لهم الاجتهاد أن الحق في هذا الطرف ، وأن مخالفه باغ ، فوجب عليه نصرته ، وقتال الباغي عليه فيما اعتقده ، ففعلوا ذلك ، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده ، وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم الاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر ، فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه ، وقسم ثالث اشتبهت عليه القضية وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين ، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم ؛ لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك "[1].

ولذا سأورد الكلام على الموضوع من أوله ومن المعلوم أنه قد مر معنا الكلام عن تبرئة أم المؤمنين رضي الله عنها بل الصحابة من قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه واتضح لنا كيف أساءت الروايات الشيعية والسبئية للصحابة ولأم المؤمنين على وجه الخصوص ، ولذا فإني قبل أن أتكلم على خروج أم المؤمنين للطلب بدم عثمان والصلح بين المسلمين سأورد الأحداث التي سبقت ذلك ليتضح الأمر .

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ١٥/١٤٩.

المسألة الأولى : الأحداث السابقة للخروج إلى البصرة :

وفيها :

١- البيعة لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه :

تمت البيعة لعلي رضي الله عنه في ظروف حالكة : قُتِل الخليفة في غير حق مظلوماً، وتمكن الثوار من المدينة حتى كانت لهم الكلمة العليا يهددون من خالفهم ويجبرون من يشاءون على فعل ما يريدون ، وظل المسلمون عدة أيام لا إمام لهم وأميرهم على الصلاة قائد من قواد الثوار والمتمردين[1]، فسادت الفوضى .

وفي وسط هذه الظروف - شديدة الحرج - وبينما الناس يتجرعون مرارة مقتل خليفتهم رضي الله عنه وما وضعهم فيه الثوار من أوضاع مهينة لم يستطيعوا معها أن يدفعوا عنه يجد المسلمون هؤلاء الثوار أنفسهم هم القائمين في البحث عن خليفة جديد ومبايعته.

وما كان سهلاً على أحد من المسلمين أن يقبل بهذا ، بل إنهم ينظرون إليهم كغرماء لهم فيما حل بالمسلمين ، وكانوا يرون أن تماديهم في التدخل والقيام في أمر من يخلف عثمان رضي الله عنه ، زيادة منهم في التطاول على المسلمين والجرأة على الله .

كان المسلمون يرون أن الحق في اختيار الخليفة إنما يرجع إلى أهل الحل والعقد من المسلمين ، وأهل الشورى الذي عينهم عمر رضي الله عنه ، فهم أعلم بمن يصلح للإمامة ،

ولقد تواترت الروايات على أن علياً وطلحة والزبير ، كانوا هم المرشحين للخلافة ، وقد رفضوا أن يتولوها ، وكانوا يتهربون منها ، ويغلظون القول لمن جاءهم فيها [2] .

فلما رأى السبئيون امتناع هؤلاء الثلاثة ، بل وامتناع غيرهم من أمثال سعد بن أبي وقاص ، وعدم طاعتهم لهم ، هددوا أهل المدينة فقالوا لهم (دونكم يا أهل المدينة فقد أجَّلناكم يومين ، فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غداً علياً وطلحة والزبير ،وأناساً كثيراً) [3]

وهناك ذهب الناس لعلي رضي الله عنه يهيبون به ليقبل الخلافة ، لما نزل بالإسلام ، وما ابتليت به المدينة من بين القرى ، وظل علي يمتنع ، وهم يقلون له : ننشدك الله ، ألا ترى ما نرى ! ألا

---

(١) هو عبد الرحمن الغافقي .

(٢) تاريخ الطبري : ٤/٤٣٢-٤٣٣ من رواية سيف . والبداية والنهاية لابن كثير ٧/٢٢٧ .

(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٣٤ ، من رواية سيف .

ترى الإسلام ؟ ألا ترى الفتنة ! ألا تخاف الله ! وظلوا به حتى قبل[1] ، لقد كان لا بد للناس من إمام مهما كانت الصعوبات والمتاعب ، وحتى وإن كانت الوسيلة ليست على الدرجة التي كان الصحابة يرجونها للخلافة من قوة وتمكين [2] .

بيعة طلحة والزبير لعلي ﷺ :

ما حدث مع علي ﷺ في قبول الخلافة ، حدث مع طلحة والزبير ﷺ ليبايعا ، فلقد جيء بهما والسيف على أعناقهما ليبايعا عليّاً ، وينبغي الإشارة إلى أن علياً لم يكن وراء هذا الإكراه لهما ﷺ فقد أكره ، كما أُكرها ، على أنهما وإن كانا بايعا مكرهين ، فما كان هذا يعني أنهما رافضان لبيعة علي ﷺ، وإنما نقموا أن يكون الأمر بأيدي هؤلاء ، الغوغاء وبهذه الطريقة التي اتبعها هؤلاء الأوباش[3].

وما كانا ﷺ ليتأخرا لو جاءوها ، على النحو الطبيعي الذي عرفه المسلمون في مبايعة خلفائهم ، وهو ما تؤكده الرواية الصحيحة الإسناد عند الطبري ، والتي توضح أنهم عند هدوء الأحوال لم يكونوا ﷺ يترددون في بيعة علي ﷺ قال : الطبري : أخبرنا على بن مسلم [4] ، قال حدثنا حبان بن هلال [5] ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان [6]، عن عوف [7] ، قال

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٣٤ من رواية سيف .

(٢) لا يعني هذا القول بأنه كان في خلافته ﷺ مغمز أو شك في عدم تحققها بالبيعة ، فقد قام ﷺ في أهل المدينة راداً الأمر إليهم ، وطالباً منهم النظر من جديد فيمن يصلح للخلافة ، ولكنهم اجتمعوا عليه .

راجع ذلك في تاريخ الطبري ٤/٤٣٤-٤٣٥ .

(٣) روى الطبري عن سيف في تاريخ الطبري ٤/٤٣٥ أن الأشتر جاء طلحة فقال له : دعني انظر ما يصنع الناس ، فلم يدعه ، وجاء به يتله تلاً عنيفاً ، وروى أن حكيم بن جبلة جاء بالزبير .. فكان الزبير يقول : جاءني لص من لصوص عبد القيس ، فبايعت ، واللج على عنقي .

(٤) علي بن مسلم بن سعيد الطوسي : نزيل بغداد ، ثقة ، خرّج له البخاري في صحيحه ، وأبو داوود والنسائي .

انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ١/٧٠١. وتهذيب الكمال ٢١/ ١٣٢. وتاريخ بغداد ١٢/١٠٨. والجرح والتعديل٦/ ٣٠٣.

(٥) حبَّان بن هلال : أبو حبيب البصري ، ثقة ثبت ، اجتمعت روايته في الأصول الستة .

انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ١/١٨١ ، والطبقات الكبرى ٧/ ٢٩٩ ، وتهذيب الكمال ٥/٨ .

(٦) جعفر بن سليمان : الضبيعي ، أبو سليمان البصري ، صدوق زاهد ، لكنه كان يتشيع ، خرّج له البخاري في الأدب المفرد ، مسلم في صحيحه ، وله رواية عند سوى الشيخين .

انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ١/١٦٢ ، وتهذيب الكمال ٥/٤٣ ، والتهذيب ٢/ ٨١ ، لسان الميزان .

(٧) عوف بن مالك بن نضلة : الجُشمي ، أبو الأحوص الكوفي ، مشهور بكنيته ، ثقة .

انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ١/٧٦٠ ، وتهذيب الكمال ٢٢/٤٤٥ ، والتهذيب ٨/ ١٥٠ .

: أما أنا فأشهد أني سمعت محمد بن سيرين يقول : (إن علياً جاء فقال لطلحة : أبسط يدك يا طلحة لأبايعك ، فقال طلحة ، : أنت أحق ، وأنت أمير المؤمنين فابسط يدك ، قال : فبسط عليٌّ يده فبايعته) [١] .

لقد كان يؤلم طلحة والزبير ﷺ ، أن يجدوا أنفسهم تحت سطوة هؤلاء الرعاع الذين لا يحفظون حرمة ، ولا يرعون ذمة .

هذه الأسباب نفسها هي التي جعلت البقية من الصحابة سوى طلحة والزبير ، الذين كانوا تخلفوا عن البيعة يبايعون ، وقد جيء بهم ، قائلين (نبايع على إقامة كتاب الله في القريب والبعيد ، والعزيز والذليل) [٢] ، وكأنهم كانوا يشيرون إلى قتلة عثمان ، وضرورة إقامة حدود الله فيهم .

لقد كان الصحابة حريصين على ممارسة سياسية صافية ، وكان واضحاً أن أكثر ما يخشونه هو أن تضيَّع حدود الله ، وأن تكون الممارسات السياسية الخاطئة التي فرضتها السبئية سُنةً لمن يأتي بعدهم ، يتحكم بها الغوغاء في أحوال المسلمين .

٢- المفاوضات بين علي طلحة والزبير في إقامة الحدود :

لقد كان يتبادر للذهن أن ثمة ثغرة في الأحداث لا تملؤها الروايات التاريخية، ظناً أنه ليس في الروايات ما يذكر أو يدل على أنه قد دارت مناقشات بين عائشة وبين علي ، أو بين طلحة والزبير وبين علي - رضوان الله عليهم جميعاً - قبل الخروج إلى البصرة ، وكان هذا أمراً نستبعده تماماً من أمثالهم ، حتى إذا كانت النية عندهم هي الحرب فليس شأن الخلاف مع الخليفة من الهوان بحيث ينبني القرار فيه على مجرد الظن ، بل وليس شأن الخروج للطلب بدم عثمان ﷺ أيضاً من الهوان بحيث لا يسبقه مناقشات أو مداولات ، يتم بعدها الخروج على النحو الذي نعلمه .

لكن مراجعة المصادر قد أثبتت أن هذه الثغرة التاريخية لا وجود لها في الواقع فلقد سبقتها حقاً مناقشات بين طلحة والزبير وعلي ﷺ ، وكانت عائشة ﷺ تتابع ذلك وتعلمه جيداً [٣] وتفصيل ذلك في الروايات الآتية وجميعها من مرويات ثقات الرواة في تاريخ الطبري :

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٣٤ .

(٢) المصدر السابق ٤/ ٤٣٥ .

(٣) راجع المصدر السابق ٤/ ٤٥٠ .

حيث عندما حان الوقت للبيعة لعلي ﷺ ، اجتمع علي وطلحة والزبير ﷺ في عدة من الصحابة ، فقالوا : يا علي ، إنا قد اشترطنا إقامة الحدود ، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل وأحلوا بأنفسهم [1] . وكان واضحاً إذن ومستقراً أن طلحة والزبير كانا قد (اشترطا) عليه إقامة الحدود ، والشرط تعليق شيء بشيء ، بحيث إذا وجد الأول ، وجد الثاني[2] ، فاستمرار طاعتهما له مرهون بإقامته للحدود ، على أنها لا تقدح في البيعة كما لا يخفى.

فقال لهم علي ﷺ : (يا إخوتاه إني لست أجهل ما تعلمون ، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم !! ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم ، وثاب إليهم أعرابكم ، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا ، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا : لا، قال : فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله ، إن هذا الأمر أمر جاهلية ، إن هؤلاء القوم مادة : ، وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبداً ، إن الناس من هذا الأمر إن حرّك على أمور : فرقة ترى ما ترون ، وفرقة ترى ما لا ترون ، وفرقة ترى لا هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب موقعها وتؤخذ الحقوق فاهدءوا عني وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا)[3] .

ولكن الذي حدث على ما يبدوا أن الصحابة – رضوان الله عليهم- قد اشتد عليهم الأمر ، خاصة وأن علياً قد اشتد على قريش ، فحال بينهم وبين الخروج على حالٍ ، فلم يطيقوا صبراً على هؤلاء الغوغاء ، ولم يتحملوا ما تحمل علي ﷺ ، حتى قال بعضهم : (نقضي الذي علينا ولا نؤخره وهم يعنون الطلب لإقامة الحدود على قتلة عثمان ، ووالله إن علياً لمستغنٍ برأيه وأمره عنا ، ولا نراه إلا سيكون على قريش أشد من غيره) ولما بلغ علياً هذا القول قام في الصحابة خطيباً ، يذكر فضلهم ، ويؤكد حدود سلطانه ، ونادى (برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه) فتذامرت السبئية والأعراب ، وقالوا (لنا غداً مثلها ، ولا نستطيع نحتج عليهم بشيء) [4] .

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٣٧ .

(٢) انظر التعريفات للجرجاني ، ص ١٢٥ .

(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٣٧.

(٤) المصدر السابق ٤/٤٣٧، ٤٣٨ من رواية سيف . .

واستمرت محاولاته ﷺ، فلقد خرج على الناس ، فقال : (أيها الناس أخرِجوا عنكم الأعراب) وقال : (يا معشر الأعراب : الحقوا بمياهكم) لكن السبئيين أحسوا أن عليّاً ﷺ يرمي إلى تفريق جمعهم ، فأبوا ، وحرضوا الأعراب ، وهنا ثارت ثائرة علي ﷺ ، ودخل بيته، فدخل عليه طلحة والزبير ، وعدد من أصحاب النبي ﷺ ، فقال لهم ، : دونكم ثأركم فاقتلوه فقالوا له ، عشوا [1] عن ذلك ، فقال لهم: هم والله بعد اليوم أعشى وآبى [2] .

حتى هذه اللحظة فإن علياً وطلحة والزبير والصحابة جميعاً كانوا يبدون متفقين تماماً على ضرورة إقامة الحد على من فرقوا أمر الجماعة ، وخالفوا وقتلوا الخليفة ، دفعاً لضررهم على الدين كله ، وكانوا متعاونين في ذلك ، وكان الأمر يبدوا منطقياً تماماً من علي ﷺ، واتفق معه الصحابة في ذلك : كيف يصنعون بهؤلاء الغوغاء الذين تحكموا في الأمور ، وحركوا معهم العبيد والأعراب ، وهم بين أهل المدينة يسومونهم ما شاءوا ، لم تكن هناك أذن قدرة على قتالهم [3] .

٣- طلحة والزبير يعرضان على أمير المؤمنين عليّ خطتهما بعد البيعة .

بينما يرى عليّاً التريث وعدم العجلة ، كان طلحة والزبير قد قدما له المشورة فيما يمكن أن يتم به تقوية جانب علي في مواجهة السبئية المتحكمة في الأمور ، وكان طلحة قد قال لعلي (دعني فلآت البصرة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل) فقال : حتى أنظر في ذلك [4]. وقال الزبير: دعني آت الكوفة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل ، فقال : حتى أنظر في ذلك [5]

وكان هذا القول منهما دليل على اقتناعهما في الوقت نفسه بما قال علي ﷺ ، من كون هؤلاء الغوغاء متغلغلين في داخل الصف يملكون المسلمين ولا يملكهم المسلمون ، فحاولا بهذا الطلب اختصار وقت تعطيل الحدود وتقوية جانب علي حتى يتمكن من إقامتها .

---

(١) عشى أمرهم : أي صار متلبساً لا يعرف لاختلاط الناس ، وعشوت على الشيء أيضاً : أعرضت عنه .
انظر: لسان العرب ١٥/٥٨.

(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٣٨.

(٣) فتح الباري ١٢/٣٠٤ حيث ذكر عن ابن بطال عن المهلب قال (التأليف إنما كان في أول الإسلام إذا كانت الحاجة ماسة لذلك لدفع مضر تمم ، فأما إذا أعلى الله الإسلام فلا يجب التأليف إلا أن تنزل بالناس حاجة لذلك فلإمام الوقت ذلك) .

(٤) يراجع تاريخ الطبري ٤/٤٣٨ من رواية سيف .

(٥) المصدر السابق ٤/ ٤٤٣ من رواية سيف .

على أن الصحابة قد انتظروا أن ينظر علي في ذلك ، لكن علياً رضي الله عنه كان يرى أن هذا الأمر الذي وقع لا يُدرك إلا بإمامته ، وإنها فتنة كالنار كلما سُعِّرت ازدادت واستنارت[١].

ولما رأى الصحابة أن أربعة أشهر قد مرت على مقتل عثمان رضي الله عنه بينما لم ينتصر علي له بعد ، ورأوا أن الخارجين على عثمان هم المحيطون بعلي رضي الله عنه ، والمتغلغلون في جيشه ، ورأوا أن علياً كان قد اشتد عليهم [٢] ، ضاقت صدورهم ، وظنوا أن علياً مستغنٍ برأيه عنهم [٣] ، خاصة أنهم لا شك لفت نظرهم ، أن علياً رضي الله عنه كان سريعاً في المبادرة بعزل عمال عثمان رضي الله عنه، في نفس الوقت كان شديد التباطؤ في أمر السبئية [٤] .

فالرجال الكبار لا يرتاحون أبداً إذا ما رأوا الأمور تسير بالناس على هذا النحو الشائن الذي أحدثه الغوغاء ، كما أنهم لم يطيقوا على تعطيل حدود الله صبراً ، ولعلهم ظنوا بعلي رضي الله عنه هوادة في السكوت عن نصرة عثمان رضي الله عنه من قاتليه[٥] .

وكان للسبئية دخل كبير في توتر الحالة بين علي والمطالبين بدم عثمان [٦] . عندئذ قال طلحة والزبير لعلي : أئذن لنا أن نخرج من المدينة ، فإما أن نكابر [٧] وإما أن تدعنا ، فقال: سأمسك الأمر ما استمسك ، فإذا لم أجد بداً فآخر الدواء الكي [٨] .

وكان علي إذن يعرف أن خروجهم من المدينة كان محاولة منهما للوصول إلى حل فلم يمنعهما من ذلك[٩]، ربما لأنه كان يتمنى الوصول إلى حل أيضاً ، بل كان يحاول في إيجاد حل بطريقته الخاصة .

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٤٣ من رواية سيف .

(٢) المصدر السابق ٤/ ٤٣٧ وقد قال رواية عن سيف : وإنما هيجه على ذلك هرب بني أمية . .

(٣) المصدر السابق ٤٤٣/٤ من رواية سيف .

(٤) أشار إلى ذلك أيضاً عبدالوهاب النجار : الخلفاء الراشدون ، ص ٣٧٤ .

(٥) انظر قول الزبير وطلحة وعائشة للأحنف بن قيس بأن علياً قد بدّل في تاريخ الطبري ٤٩٨/٤ .

(٦) موقف اليهود من الإسلام والمسلمين في العصر الأول لعبدالله المشد ، ص ٥١ .

(٧) نكابر نجاحد ونغالب على الأمر .

انظر: المعجم الوسيط ٧٧٢/٢ .

(٨) تاريخ الطبري ٤٤٤/٤ .

(٩) مروج الذهب للمسعودي ٣٩٤/٢ .

وهنا تجدر الإشارة إلى أنه لا صحة للرواية التي ذكرها المسعودي في مروج الذهب من أن طلحة والزبير استأذنا علياً في الخروج إلى مكة ، فقال لهما : لعلكما تريدان البصرة ، أو الشام ، فأقسما أن لا يفعلا ، ولقد ذكر ابن العربي هذه الرواية في القواصم التي قذف بها أعداء المسلمين تاريخهم ، وقال الشيخ الخطيب : إن قول علي لهما ، وقسمهما له من زيادات مرتكبي (القاصمة) ورواتها [1] . والدراسة تتفق معه تماماً فالجزء الأول من الرواية يتفق مع رواية سيف بن عمر في تاريخ الطبري [2] بينما لا يوجد أثر عنده – حسب ما أعرف – للرواية التي ذكرها المسعودي .

---

(١) انظر : العواصم من القواصم لأبي بكر العربي ، ص ١٥١ .

(٢) تاريخ الطبري ٤٤٤/٤ .

المسألة الثانية : خروج أم المؤمنين عائشة للطلب بدم عثمان رضي الله عنهما :

قدم طلحة والزبير رضي الله عنهما مكة ولقيا عائشة رضي الله عنها فقالت : ما وراءكما ؟ فقالا : وراءنا أن تحملنا بقلّيتنا[1] هرُوباً من المدينة من غوغاء وأعراب وفارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً ولا يمنعون أنفسهم ، قالت فأتمروا أمراً ثم أنهضوا إلى هذه الغوغاء [2] .

فأجمعوا واجتمعوا بعد نظر طويل في أمرهم على الخروج إلى البصرة [3] فقامت عائشة وقالت : أيها الناس إن هذا حدث عظيم وأمر منكر ، فانهضوا فيه إلى إخوانكم من أهل البصرة فانكروه ... لعل الله جل وعلا يدرك لعثمان وللمسلمين بثأرهم[4].

وفي هذه المسألة :

١- هل أُكرهت عائشة رضي الله عنها على الخروج:

لم يكن هذا الموقف هو أول مناداة من أم المؤمنين عائشة بثأر عثمان رضي الله عنهما ، فلقد قامت في هذا الأمر منذ اللحظة التي علمت فيها بمقتله رضي الله عنه ، وقبل أن يصل الزبير وطلحة

(١) أرتحل القوم بقُلّيتهم : أي لم يدعوا وراءهم شيئاً ، انظر: القاموس المحيط ١٣٥٦/١ .

(٢) تاريخ الطبري ٤٥٠/٤ من رواية سيف ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ١٠١/٢ .

(٣) كان السبب في اختيارهم البصرة – والله أعلم – أنها تكاد تكون وحدها البلد الذي دخله عامل من عمال علي ، الذين فرقهم على الأمصار ، فلم يردّه أحد من دخولها ، ولم يجد لابن عامر ، عامل عثمان في البصرة رأي ولا حزم ولا استقلال بحرب ، هذا بينما كان علي قد بعث سهل بن حنيف على الشام ، فلقيته خيل فقالوا : من أنت ؟ قال : أمير على الشام ، قالوا : إن كان عثمان بعثك فحيهلاً بك ، وإن كان بعثك غيره فارجع ، فرجع إلى علي ، وبعث قيس بن سعد فدخل مصر فافترق أهل مصر فرقاً ، فرقة دخلت معه في الجماعة وفرقة وقفت واعتزلت وقالوا إن قتل قتلة عثمان فنحن معكم وإلا فنحن على جديلتنا (على رأينا) وفرقة قالت : نحن مع علي ما لم يَقدِ إخواننا ، فهم في ذلك مع الجماعة ، كما بعث عليٌّ عمارة بن شهاب فمنعه أهل الكوفة وقالوا له : ارجع فإن القوم لا يريدون بأميرهم بدلاً وإن أبيت ضُرِبت عنقك ، تاريخ الطبري ٤٤٢/٤-٤٤٣ من رواية سيف . أي أن الغضب للحرمات المضيعة ولحدود المهدرة، والرأي القائل بالثأر من قتلة عثمان رضي الله عنه كانت – على ما يبدوا – تجد لها أرضاً في بقية الأمصار ، وكان أقلها اقتناعاً بهذه المسألة هم أهل البصرة ، أو إذا أردنا الدقة فلنقل : كانت السلطة السياسية في البصرة على غير هذا الرأي ، ومن هنا كانت أهمية التوجه إليهم لتوضيح الأمر ، ولكسب الرأي العام فيها .

على أنه يبدوا أنهم ما كانوا يريدون بأساً من الذهاب إلى الكوفة ، وكانوا يرونها تؤدي الهدف نفسه ، ذلك أنه لما علم أصحاب عائشة رضي الله عنها من ابن عامر أن له بالبصرة صنائع ، وبَّخوه ، وقالوا له : فهلا أقمت كما أقام معاوية ؟ ، فنكتفي بك ، ونأتي الكوفة فنسدّ على هؤلاء القوم المذاهب .

تاريخ الطبري من رواية سيف ٤٥٠/٤ .

(٤) انظر : تاريخ الطبري ٧/٣ ، والكامل في التاريخ ١٠١/٣ .

وغيرهما من كبار الصحابة إلى مكة ، ذلك أنه قد روى أنها لما انصرفت راجعة إلى مكة أتاها عبدالله بن عامر الحضرمي [١] فقال : ما ردك يا أم المؤمنين ، قالت ، ردَّني أن عثمان قتل مظلوماً ، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر ، فاطلبوا بدم عثمان تُعِزُّوا الإسلام. فكان عبدالله أول من أجابها [٢] .

ولم يكن طلحة والزبير قد خرجا من المدينة ، وإنما خرجا منها بعد ما مرت على مقتل عثمان رضي الله عنه أربعة أشهر [٣] .

وهذا الذي ذكرته يقدح في دعاوى اليعقوبي التي كررها كثيراً في كتابه [٤] زاعماً أن الزبير هو الذي أكره عائشة على الخروج ، وكررها صاحب الإمامة والسياسة [٥] ، وابن أبي الحديد [٦] ، وكذلك فعل الدينوري في كتابه [٧] .

وألمحت الرواية التي ذكرها الذهبي بأن المتسلط عليها هو ابن الزبير [٨] ، وسار على هذه الروايات أكثر الباحثين [٩].

---

(١) عبدالله بن عامر الحضرمي : هو عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، ابن خال عثمان بن عفان ، ولد على عهد رسول الله ﷺ ، وأتي به النبي ﷺ وهو صغير فقال (هذا يشبهنا) وجعل يتفل عليه ، ويعوِّذه ، فجعل عبدالله يبتلع ريق النبي ﷺ فال ﷺ (إنه لمسقى) فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر له الماء ، وكان كريماً ، ميمون النقيبة، استعمله عثمان على البصرة ، لم يزل والياً على البصرة إلى أن قتل عثمان ، فلما سمع بقتله سار إلى مكة .

انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٣/ ٢٨٩ .

وذكر الطبري : أنه كان وقت قتل عثمان رضي الله عنه أميراً على مكة . تاريخ الطبري ٤/ ٤٤٩.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٤٤٩ من رواية سيف .

(٣) راجع تاريخ الطبري ٤/ ٤٣٧ من رواية سيف .

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٨٠، ٢٠٩ .

(٥) الإمامة والسياسة ١/٥٨ ، ٦٩ .

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩/١٨ .

(٧) الأخبار الطوال للدينوري ، ص ١٤٥ .

(٨) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/١٩٣ ، فيما نقل الذهبي عن إسماعيل بن عُليّة ، عن أبي سفيان بن العلاء المازني ، عن ابن أبي عتيق : قال عبدالله بن عمر لعائشة رضي الله عنها (رأيت رجلاً قد غلب عليك – يعني عبدالله بن الزبير) .

(٩) انظر مثلاً : جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين لمحمد السيد الوكيل ، ص ٥١٧ ، ٥٢٦ ، وعائشة أم المؤمنين لزاهية قدورة ، ص ١٨٤ ، والعجيب أن تحاول تفسير هذا القول بالإكراه المزعوم بقولها : ولعلها قيلت بعد أن تابت وندمت ، وغفر لها عليّ ، وذلك احتراماً لكونها أم المؤمنين ، وسبحان الله كيف فهمت أنه يقدح في أمومة عائشة رضي الله عنها للمؤمنين وأن تكون قد جاهدت كي تمكن لحدود الله أن تطبق في الأرض .

٢- هل كانت عائشة ﵂ متسلطة على من معها ؟

من الضرورة بمكان التأكيد على الحقيقة التاريخية بأنه كما أنها ﵂ لم تكن مكرهة على هذا المسير ، فإنها لم تكن المرأة المتسلطة التي تحرك الناس حيث شاءت(١) ، فلقد تواترت الروايات بأنه كان فيمن خرج معها ﵂ جمهور غير قليل من أجلاء الصحابة وكبرائهم(٢).

ولقد أكدت روايات الطبري عن سيف عن تأييد أمهات المؤمنين لها ، ولمن معها في السعي إلى الإصلاح ، وبل وتأييد عدد غير قليل من أهل البصرة لها (٣)، وكان هذا العدد غير القليل ممن لا يستهان بهم ، فلقد وصفهم طلحة والزبير بأنهم خيار أهل البصرة ونجبائهم (٤) ، ووصفتهم عائشة بأنهم الصالحون (٥)، وما كان خروج هذا العدد من الصالحين إلا عن اعتقاد راسخ بجدوى هذا الخروج وصواب مقصده .

وكان علي ﵁ يعلم هذا ، ويرد الزعم الذي زعمه البعض من أن الخارجين مع عائشة كانوا جموعاً من السفهاء ، والغوغاء والأوباش (٦) ، فلقد وقف بعد معركة الجمل بين القتلى من فريق عائشة ﵂ ، يترحم عليهم ، ويذكر فضلهم ، ولما أوتي بكعب بن سور (٧) في

---

(١) انظر القول بهذا التسلط : تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان ، ١١١، ١١٤، ١١٧.

(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٧٠، ٤٥٠، ٥٣٨ ، ومقدمة ابن خلدون ٦١٨/٢ ، وقد اختلف في عدد الخارجين مع عائشة وطلحة والزبير من مكة عند الطبري : ففيما رواه عن سيف : كان عددهم ألف ٤٥١/٤ ، وعن الزهري : ثلاثة آلاف ٤٥٢/٤ .

(٣) كان من القبائل البصرية التي ناصرت عائشة – ﵂- ، بني عدي و، الأزود ، وكان عليها مسعود وزياد بن عمرو ، وصبرة بن شيمان ، والشواذب عليها رجلان : على مضر الخرِّيت بن راشد ، وعلى قضاعة والتوابع عبدالرحمن بن جابر الراسبي ، وعلى ثائر اليمن ذو الآجرة الحميري ، وهوازن ، وبنو سليم ، والأعجاز ، وعليها مجاشع بن مسعود السلمي ، وعامر ، وعليها زفر بن الحارث ، وغطفان وعليها ، أعصر بن النعمان الباهلي ، وبكر ، وعليها مالك بن مسمع ، وخزاعة وعليها ، عبدالله بن خلف الخزاعي ، وبنو حنظلة ، وعليها هلال بن وكيع بن مالك ، كما ناصرتها قبائل أخرى.
انظر تاريخ الطبري ٤/ ٤٠٣، ٤٠٥ ، عن سيف.

(٤) المصدر السابق ٤٧٢/٤ ، عن سيف .

(٥) المصدر السابق ٤/ ٤٧٣ ، عن سيف.

(٦) قارن هذا بقول صاحب الإمامة والسياسة من أن من خرج مع عائشة ﵂ كانوا طغام الناس وأوباشهم ، وأبناء الطلقاء : الإمامة والسياسة ٥٧/١ .

(٧) كعب بن سور بن بكر الأزدي ، كان أول قاض لعمر بن الخطاب على البصرة حتى قتل عمر ، ثم في خلافة عثمان ، ولم يزل قاضياً إلى أن قتل يوم الجمل مع عائشة ، خرج بين الصفين معه مصحف فنشره ، ، وجعل يناشد الناس في دمائهم ، وكان المصحف معه ، وبيده خطام الجمل ، فأتاه سهم فقتله ، وله في قتال الفرس أثر كبير ، .
انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٤٥٣/٤ ، والإصابة لابن حجر ٥/ ٤٨٠ ، والاستيعاب لابن عبدالبر ٣/ ٣٧٦ .

القتلى، قال (زعمتم إنما خرج معهم السفهاء ! وهذا الخبر قد ترون ؟ . ولما أتي بعبد الرحمن بن عتاب) (١) ، قال : (هذا يعسوب القوم)(٢) ! وجعل عليّ كلما مر برجل فيه خير ، قال : كلا ! زعم من زعم أنه لم يخرج إلينا إلا الغوغاء ! هذا العابد المجتهد (٣)!.

إنه من الخطأ البين أن نفهم هذا الخروج كخروج غوغائي ، تحكمت فيه عائشة رضي الله عنها في أناس غير راشدين ، بل كان خروجاً واعياً شارك فيه الكثير من فضلاء الصحابة.

٣- أزواج النبي ﷺ والخروج للطلب بدم عثمان رضي الله عنه :

كان أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين قد خرجن إلى الحج في هذا العام فراراً من الفتنة ، فلما بلغ الناس بمكة أن عثمان قد قتل أقمن بمكة ، وكن قد خرجن منها فرجعن إليها ، وجعلوا ينتظرون ما يصنع الناس ويتحسسون الأخبار ، فلما بويع علي رضي الله عنه .. خرج عدد من الصحابة من المدينة كارهين المقام بها بسبب الغوغاء من أهل الأمصار ، فاجتمع بمكة منهم خلق من الصحابة وأمهات المؤمنين (٤) .

---

(١) عبدالرحمن بن عتاب : القرشي الأموي ، وأمه جويرية بنت أبي جهل التي كان عليّ يخطبها ، فنهاه عنها رسول الله ﷺ فتزوجها عتاب ، فولدت له عبدالرحمن ، وكان مع عائشة يوم الجمل ، فكان يصلي بهم إماماً ، وقتل يوم الجمل بالبصرة ، قتله الأشتر ، وقيل جندب بن زهير ، ولما قتل حملت الطير يده حتى ألقتها بالمدينة ، فعرفوا أنها يده بخاتمه ، فصلوا عليه ودفنوه .

انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٣/ ٤٦٨ ، والإصابة لابن حجر ٥/ ٣٥ .

(٢) يعسوب القوم : أي رئيسهم وكبيرهم ، ومقدمهم ، وكانوا قد اجتمعوا عليه ، ورضوا به لصلاتهم . واليعسوب ملكة النحل ، وكان العرب يظنوها ذكراً .

انظر : النهاية في غريب الحديث ٣/٢٣٤.

ولسان العرب١/٥٩٩.

(٣)كتاب الجمل ومسير عليّ وعائشة لسيف بن عمر ، ص ٣٥٧ – ٣٥٨ . وهذا لمجرد التمثيل فقط ، فالفضلاء من الصحابة في هذا الفريق كانوا كثرة ، كما لا يخفى .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ٧/٢٤١ ، والعواصم من القواصم لابن العربي ، ص ١٥١ ، وكان هؤلاء الصحابة عبدالله بن عمر ، ويعلى بن أمية عامل عثمان على اليمن وطلحة والزبير وسعد بن العاص والوليد ابن عقبة وغيرهم من رؤوس بني أمية .

وكان بقية أمهات المؤمنين قد وافقن عائشة – رضي الله عنهن – على السير إلى المدينة، فلما اتفق رأي عائشة رضي الله عنها، ومن معها من الصحابة على السير إلى البصرة، رجعن عن ذلك وقلن: لا نسير إلى غير المدينة [1].

كان الخروج في أمر عثمان إذن غير مختلف عليه بين أمهات المؤمنين، ولكنهن اختلفن حين تغيرت الوجهة من المدينة إلى البصرة.

غير أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها وافقت عائشة على السير إلى البصرة، وإنما عزم عليها [2] أخوها عبدالله بن عمر كيلا تخرج، فلم يكن عدم خروجها ناتجاً عن اقتناع منها، ولم يكن عزم عبدالله بن عمر على حفصة رضي الله عنها قائماً على أنه كان لا يرى في هذا الخروج وجهاً شرعياً، فليس في أي رواية عنه ما يفيد هذا، ولكن كان رفضه للخروج؛ لأنه كان من قسم الصحابة الذين اشتبهت عليهم القضية، وتحيروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين، فاعتزلوا الفريقين، ولو وجد ابن عمر إجماعاً على هذا الخروج لخرج، فلقد كان يقول (إني رجل من أهل المدينة، فإن يجتمعوا على النهوض أنهض، وإن يجتمعوا على القعود أقعد [3]، وللسبب نفسه رفض الخروج مع علي لحرب أهل الشام [4]، فلما كان الحال عنده على هذا النحو، عزم على أخته حفصة بما انتهى إليه من الاعتزال، وكانت لهذا العزم منه كارهة، كما تبين ذلك من قولها لعائشة رضي الله عنها (إن عبدالله حال بيني وبين الخروج، وأرسلت إلى عائشة بعذرها)[5].

وتكاد الروايات الشائعة تبدي أن أم سلمة لم تكن ترى رأي عائشة رضي الله عنها ومن معها، في الخروج إلى البصرة، وأنها كانت ترى ما يراه عليّ [6]، غير أن أقرب الروايات إلى الصحة هي أنها أرسلت إلى علي ابنها عمر بن أبي سلمة قائلة: (والله لهو أعز علي من نفسي، يخرج

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٥٤ من رواية سيف، والكامل لابن الأثير ٣/ ١٠٢،١٠١، والبداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢٤١.

(٢) عزم عليها: أقسم عليها.

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٤٤٦ من رواية سيف.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢٤١، كان ابن عمر شديد الورع، وقافاً عما لا علم له به، ولم يكن قد تبين له الصواب في الأمر، وانظر قول القاسم بن محمد ابن أبي بكر فيه في سير أعلام النبلاء ٥/٥٥.

(٥) تاريخ الطبري ٤/ ٤٥١ من رواية سيف.

(٦) الإمامة والسياسة ١/ ٥٩، وأنساب الأشراف للبلاذري ٤/ ٢٢٤، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦/ ٢١٧.

معك فيشهد مشاهدك . فخرج فلم يزل معه)[1]، وهي رواية عند التحقيق لا يؤخذ منـــها أن هذا الإرسال لابنها يعني أنها كانت تخالف أمهات المؤمنين في القول بالإصلاح بين المسلمين ، فعائشة نفسها ، ومن معها لم يكونوا يرون أنهم بهذا الخروج يخالفون علياً رضي الله عنه ، أو يخرجـــون على خلافته ، وكما تؤكد لنا الأحداث ، وليس في هذه الراوية إشارة إلى الزيادات التي جاءت بها الروايات التي أشرت إليها ، والتي سوف أعرض لها بالتحليل لاحقاً في هذه الدراسة، كمـــا إني لم أقف على شيء في الروايات الصحيحة ما يدل على خروجها على إجماع أمهات المؤمنين في أهمية السعي للإصلاح .

٤- لماذا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ؟

إذا كان الأمر على هذا النحو ، فلماذا لم تخرج بقية أزواج النبي ﷺ مع عائشة- رضي الله عنهن- ؟

كان أمهات المؤمنين الباقيات على قيد الحياة وقت خروج عائشة رضي الله عنها هن : أم سلمة ، وحفصة ، وجويرية ، وأم حبيبة ، وصفية ، وميمونة ، فأما : أم سلمة فكان عمرهـــا وقـــت الخروج ستين عاماً تقريباً ، وكان عمر حفصة ثلاثة وخمسين عاماً ، وأم حبيبة ثمانية وســـتين عاماً ، وكان عمر ميمونة ما بين التسعة والأربعين إلى الأربعة والستين عاماً علـــى اخـــتلاف الأقوال في سنة وفاتها ، وكان عمر جويرية أربعة وأربعين عاماً ، وعمر صفية خمسة وأربعـــين عاماً [2] .

أما عائشة فكان عمرها ثلاثة وأربعين عاماً ، وهو ما يعني أنها أقلهن سناً ، وقد يؤدي تقدم العمر إلى الصعوبة في القيام بهذا الأمر على مشاقه وصعوبته .

فأما القريبات منها في السن فإنهن كن يعلمن - بلا ريـــب - أن هـــذا الخـــروج في الإصلاح بين المسلمين مما يدخل في الفرض الكفائي ، والضابط فيه أن الطلب فيه ليس متوجهاً إلى جميع المكلفين ، بل هو إلى من فيه أهلية القيام به لا على الجميع عموماً [3] ، ولقد كانـــت

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٥١ من رواية لأبي مخنف ولقد ذكرناها لأن لها شاهد عند الحاكم في مستدركه ، وهذا الشاهد لا يشتمل على زيادات أبي مخنف الواهية ، راجع تلك الرواية في تاريخ الطبري ٤/ ٤٥٣ ، انظر : أسد الغابة لابن الأثير : ٤/ ١٦٩ ، والإصابة ابن حجر ٤/ ٤٨٧ .

(٢) راجع في ذلك الدمياطي نساء رسول الله (٤٥، ٥٢، ٥٥، ٦٢، ٧٠، ٧٢، ٧٨، ٨٦،) .

(٣) الموافقات للشاطبي ١/ ١٥٢، ١٥٤.

أهلية القيام بهذا الإصلاح بين المسلمين متوفرة تماماً في عائشة رضي الله عنها : مكانةً ، وسناً ، وعلماً ، وقدرةً ، وكانت عائشة رضي الله عنها أكثرهن فقهاً بإجماع جمهور المسلمين[1] .

كما أنها كانت تهتم بالأمور العامة منذ نشأتها في بيت أبي بكر العالم بأيام العرب وأنسابهم ، ومن عيشها في بيت رسول الله ﷺ الذي خرجت منه أسس سياسة الدولة الإسلامية، ثم هي بنت الخليفة الأول للمسلمين ، وانضاف إلى ذلك فهمها الدقيق لمكان المرأة في هذا الدين ، ومسئوليتها التامة مع الرجل في القيام على أمور المسلمين بما يصلحها .

وقد أكد العلماء على هذه المكانة لعائشة ، وقرروها تقريراً بليغاً ، قال الزهري : (لو جمع علم الناس كلهم ، وأمهات المؤمنين ، لكانت عائشة أوسعهم علماً) ، وقال مسروق : (والله لقد رأيت أصحاب محمد الأكابر يسألونها عن الفرائض) وقال عروة (لقد صحبت عائشة ، فما رأيت أحداً قط كان اعلم بآية أنزلت ، ولا فريضة ، ولا بسنة ، ولا بشعر ، ولا أروى له ، ولا بيوم من أيام العرب ، ولا بنسب ، ولا بكذا ، ولا بكذا ، .. ، ولا بقضاء ، ولا بطب منها) .

وكان الشعبي يذكرها فيتعجب من فقهها ، وعلمها، ثم يقول: " ما ظنكم بأدب النبوة" وكان عطاء يقول : كانت عائشة أفقه الناس ، وأحسن الناس رأياً في العامة . وكان الأحنف بن قيس سيد بني تميم ، وأحد بلغاء العرب ، يقول (سمعت خطبة أبي بكر وعمر ، وعثمان ، وعلي والخلفاء بعدهم .. فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ، ولا أحسن منه من في عائشة) وكان معاوية رضي الله عنه يقول مثل هذا [2] .

وهذه الأهلية لم تكن على نفس المستوى عند بقية أمهات المؤمنين ، ولا يقدح هذا في شأنهن ، إذ الغاية من مثل هذه الفروض الكفائية أن يكون هناك من يقوم بها ، وأن يتعاون الناس على إعانة من فيه هذه الأهلية ، ولقد كان في عزمهن على الخروج إلى المدينة أولاً ، وفي خروجهن – رضي الله عنهن- ثانياً مودعات لعائشة رضي الله عنها حين خرجت للبصرة معنى من معاني المعاونة لها والتشجيع لها على أمرها [3].

---

(١) ذكر الذهبي أن مسند عائشة يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث ، أتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثاً ، وأنفرد البخاري بأربعة وخمسين ، وأنفرد مسلم بتسعة وستين . سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣٩/٢ .

(٢) راجع هذا ، وأكثر منه في سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣٥/٢ ، وتقدم هذا الكلام عند الترجمة لها في الفصل الأول من الباب الثاني من هذا البحث .

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٤٦٠ .

٥- أسباب خروج عائشة رضي الله عنها إلى البصرة :

والذي ينظر في أسباب الخروج التي ذكرتها عائشة رضي الله عنها ، وذكرها كل من الزبير وطلحة رضي الله عنهما في الروايات التي رواها سيف ، يجد الأسباب واحدة عندهم جميعاً ، وهي أيضاً أسباب واضحة ، تعود في مجملها إلى الغيرة على سلطان الله تعالى ، والغضب لحرماته ، وهي نفس الأسباب التي جعلت عثمان رضي الله عنه يلقي بيديه إلى المصيبة، مؤثراً ذلك على أن لا يخلع قميص الله الذي قمَّصه إياه ، كي لا تثبت في الدولة الإسلامية عادة التطاول على الخلافة بغير حجة حق .

والأسباب نفسها التي آلمت علياً رضي الله عنه حتى جعلته يهرب من الناس في بساتين المدينة ، كي لا يتولى الأمر حال تحكم هؤلاء الغوغاء من أهل الأمصار ، متجاوزين الأسس العادلة التي تعارف عليها المسلمون في اختيار خلفائهم ، والأسباب آلمت كذلك طلحة والزبير رضي الله عنهما، وغيرهما رضوان الله عليهم أجمعين الذين كانوا توقفوا في بداية الأمر عن مبايعة عليّ [1]

وهذا ما عبرت عنه عائشة رضي الله عنها لرسولي عثمان بن حنيف [2] أمير عليّ على البصرة حين سألاها (إن أميرنا بعثنا إليك نسألك عن مسيرك ، فهل أنت مُخبِرتنا ؟) قالت : (والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم ، ولا يغطي لبنيه الخبر ، إن الغوغاء من أهل الأمصار ، ونزاع القبائل، غزوا حرم رسول الله ﷺ ، وأحدثوا فيه الأحداث ، وآووا فيه المحدثين ، واستوجبوا فيه لعنة الله ، ولعنة رسوله ، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين ، بلا ترة ، ولا عذر ، فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه ، وانتهبوا المال الحرام ،وأحلوا البلد الحرام ، والشهر الحرام ، ومزقوا الأعراض والجلود ،و أقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم ، ضاريين مضرين ، غير نافعين ، ولا متقين ، لا يقدرون على الامتناع ، ولا يأمنون) [3].

---

(١) تاريخ الطبري ٤٢٧/٤ وما بعدها .

(٢) عثمان بن حنيف بن وهب الأنصاري الأوسي ، شهد أحداً وما بعدها ، أستعمله عمر على مساحة سواد العراق ، فمسحه وقسّط خِراجه ، واستعمله عليّ على البصرة فبقى فيها حتى قدمها طلحة والزبير مع عائشة ، سكن الكوفة ومات في خلافة معاوية .

انظر: الإصابة لابن حجر ٤٥٩/٢ ، سير إعلام النبلاء للذهبي ٢/ ٣٢٠ ، أسد الغابة لابن الأثير ٣/ ٥٧٠.

(٣) تاريخ الطبري ٤٦٢/٤ ، من رواية سيف ، والكامل لابن الأثير ٣/ ١٠٤.

وهذا نفسه هو ما عبرت عنه رضي الله عنها في موقف آخر ، قالت : فنجاةً مـــن اجتمـــاعكم عليهم[1] حتى ينكل بهم غيرهم ، ويشرّد من بعدهم[2] . وكان من قولها أيضاً رضي الله عنها بمكة (أيها الناس ، إن هذا حدث عظيم ، وأمرٌ منكر ، فانهضوا فيه إلى إخوانكم من أهل البصرة فأنكروه، فقد كفاكم أهل الشام ما عندهم لعل الله عز وجل يدرك لعثمان وللمسلمين بثأرهم)[3] .

لم يكن الخروج إلى البصرة والغضب الذي حرك الصحابة من البساطة الـــتي ظهـــرت للناس كثأر عثمان رضي الله عنه ، وكأنه رجل من عوام الناس قُتل ، فخرجت الجيوش في الطلب لـــه بثأره ! رغم كونه حدّاً من حدود الله يستوجب الغضب ويستدعي حدوث ذلك ، ولكن مقتل عثمان رضي الله عنه على الصورة التي تم بها، كان فوق ذلك ومعه ، اغتيالاً لصفةٍ شرعية هي (الخلافة) التي يفهمها المسلمون ، (نيابة عن صاحب الشرع ، في حفظ الدين ، وسياسة الدنيا به) [4] ، فالاعتداء عليها دون وجه حق اعتداء على صاحب الشرع ، وتوهين لسلطانه ، وضياع لنظام المسلمين [5].

٦- مشروعية هذا الخروج :

والخروج في هذا الشأن ، وعلى الناس خليفة وهو عليّ رضي الله عنه ، كان خروجاً مشروعاً ، وكان – والله أعلم – أقرب إلى التعاون مع عليّ رضي الله عنه كما سنرى ، ذلك أن عائشة وطلحـــة والزبير رضي الله عنهم ، ومن معهم من الصحابة كانوا قد رأوا في تأخير علي رضي الله عنه إقامة الحد على قتلـــة

(١) فنجاة من اجتماعكم : أي أطلبوا النجاة باجتماعكم عليهم .

انظر: لسان العرب ١٥/٣٠٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٤٩ ، من رواية سيف .

(٣) المصدر السابق ٤/ ٤٥٠ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ٢/٦٢٤ .

(٥) تأمل في خطبة طلحة والزبير في أهل البصرة قولهما (إن في ذلك إعزاز دين الله جل وعلا ، وسلطانه ، وأما الطلب بدم الخليفة المظلوم ، فإنه حد من حدود الله ، وإنكم إن فعلتم أصبتم ، وعاد أمركم إليكم ، وإن تركتم لم يقم لكم سلطان ، ولم يكن لكم نظام) تاريخ الطبري ٤/٤٦٤ من رواية سيف .

عثمان رضي الله عنه تبديلاً بدله عليّ رضي الله عنه في موقفه [1]، فلقد ظنوا فيه الهوادة في هذا الشأن ، وخاصة وقد مرّ على قتل عثمان رضي الله عنه أربعة أشهر ، كما أسلفنا .

والإسلام بالذات يتميز بالتكاتف والتساعد بين الحكام والمحكومين ، فالسعي في إقامة حدود الله والتمكين لسلطانه مهمة لا تتعلق بالحاكم وحده ، ولكن تتعلق بكل فرد مسلم مكلف ، فكل فرد مكلف بإقامة الإسلام في نفسه ، بمعنى الاحتكام إلى شريعته ، ومكلف كذلك بدعوة الآخرين إلى إقامته في أنفسهم ، ومكلف بتغيير المنكر بدرجة من درجاته الثلاثة، حسب موقعه من المجتمع وحسب قدرته [2] .

كانت عائشة رضي الله عنها تحمل في نفسها قناعة عظيمة بأهمية هذا الخروج ، وهو ما ذكرته عائشة رضي الله عنها واضحاً حين قالت لرسولي الأحنف بن قيس [3] : (ننهض في الإصلاح ممن أمر الله عز وجل ، وأمر رسول الله ﷺ الصغير والكبير ، والذكر والأنثى فهذا شأننا إلى معروف ، نأمركم به ، ونحضكم عليه ، ومنكر ننهاكم عنه ، ونحثكم على تغييره)[4].

---

(١) انظر : رواية الأحنف بن قيس ، تاريخ الطبري ٤/ ٤٩٧- ٤٩٨ وفيها أن الأحنف ابن قيس لما قابل عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير بعدما خرجوا إلى البصرة ذكّرهم بما قالوه له ، ونصحوه به من البيعة لعلي والرضاء به ، فقالوا له : نعم ولكنه بدّل .

(٢) لقوله ﷺ فيما روى مسلم في صحيحه (فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل) كتاب الإيمان من باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ١/ ٦٩-٧٠ حديث (٥٠) وهذه الحقيقة التي حفظت هذا الدين قروناً ـــ بقدر من الله .

(٣) كان الرسولان هما : عمران بن حصين ، وأبو الأسود الدؤلي .

(٤) تاريخ الطبري : انظر في كون الأمة في مجموعها مخاطبة وملزمة بتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية جماعة وأفراداً ، رجالاً ونساء ، قوله تعالى من سورة التوبة ٧١ ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ...﴾ ومن سورة آل عمران ١٠٤ ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ... ﴾ والآية١١٠ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ والأحاديث في ذلك أكثر من أن تحصى ، منها ما رواه أبو داوود في كتاب الملاحم باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٤/٥١٠- ٥١١ ، حديث رقم (٤٣٣٩) ، وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن أبي داوود ٨١٩/٣ ، (ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ويقدرون على أن يغيروا فلا يغيروا إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا) وهي في مجموعها خطاب لكل فرد بأنه مطالب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن هذه الأمة لا توجد وجوداً حقيقياً إلا عندما تتحقق بهذه الصفة، انظر في تفصيل ذلك : المحلى لابن حزم ١٠/ ٥٠٦ ، ٨/ ٦٤٦ ، والمقدمة لابن خلدون ٦١٧/٢-٦١٨ .

فكان لابد أن ينهض الناس ، فيُدرك بهذا الدم لئلا يبطل ، فإن في إبطاله توهين سلطان الله في الأرض بيننا أبداً ، إذا لم يفطم [1] الناس عن أمثالها ، لم يبق غمام إلا قتله هذا الضرب[2].

لقد كان واجباً على من كان في مثل موقع عائشة رضي الله عنها وفقهها وعلمها أن يخرج لما يؤدي إليه اجتهاده وعلمه . وهل كان يسعها أن لا تهتم بأمر المسلمين ، وهي منهم في المكان الأعظم ، وهي أمهم جميعاً ، هي التي تربت في مدرسة الإسلام وعرفت كيف تحافظ على حقوقها ، وكيف تعيش المسئولية الكاملة عن هذا الدين فلا تقبل من أحدٍ انتهاكاً له ، وكيف تتيقظ لكل مساس بالشريعة فتوقفه عند حده.

٧- الهدف المحدد من الخروج :

كان الهدف المحدد من الخروج كما تبين لنا من استعراض أسبابه التي ذكرتها عائشة رضي الله عنها هدفاً إصلاحياً صرفاً ، لم تنطق فيه بلفظة الحرب . و لم يكن كل من الفريقين، فريق عليّ ، أو فريق عائشة رضي الله عنها يدور في ذهنه أن تكون هناك حرب .

لذلك فإنني لا اشك أبداً في أن خروجهم رضي الله عنهم ، كان أقرب إلى التعاون مع علي رضي الله عنه ، وذلك من خلال تعريف المسلمين بما أتى هؤلاء السبئيين والغوغاء من أهل الأمصار ، ونزّاع القبائل ، ومن ظاهرهم من الأعراب والعبيد ، وتكوين ما يمكن أن يسمى باتفاق واجتماع عام في مواجهة هذه الفئة التي تحكمت في الأمور .

فلقد بات واضحاً عند الصحابة من الفريق الذي كان يرى رأي عائشة رضي الله عنها أن الغوغاء، السبئيين متغلغلون في جيش علي رضي الله عنه ، وأنه لأجل ذلك فإن علياً رضي الله عنه لن يحاول مواجهتهم ، خشية منه على أهل المدينة ، ومن ثم فإنه ينبغي عليهم أن يحاولوا السعي لإفهام المسلمين ، وتقوية الجانب المطالب بإقامة الحدود ، لتتم إقامتها بأقل قدر من الخسائر في دماء

---

(١) الفطم : القطع ، والفصل .

انظر: المصباح المنير ٢/٤٧٧ .

(٢) راجع تاريخ الطبري ٤/ ٤٦١ ، من كلام للزبير رضي الله عنه في تعليل خروجهم إلى البصرة : رواية عن السري ، عن شعيب، عن سيف .

الأبرياء . وهو هدف لا نشك أن علياً ﷺ كان يسعى إليه ، بل إن الروايات قد ذكرته واضحاً [(١)].

ثم أن هذا التصرف منهم ، وهذه النية في تعريف الناس ، وتوضيح الأمور لهم ، دليل على وعي تام منهم بأساليب السبئية في اللعب بأفكار العامة ، وتوجيهها على النحو الذي ينخر في الأمة حتى لا تستقر على حال ، فكان لابد من مواجهتها في ميدان الأفكار ، لإبطال عملها، ولقد تبين هذا الهدف واضحاً وصريحاً في الروايات الصحيحة التي تحدثت فيها عائشة ﷺ عن أهداف الخروج (فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم، وما فيه الناس وراءنا ، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا ، وقرأت ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [(٢)] [سورة النساء ، الآية ١١٤].

إن الغاية من هذا هو أن يعرف الناس ما ينبغي أن يأتوه في الإصلاح ، وما كانت عائشة ﷺ بالتي يخفى عليها ذلك [(٣)]

ولقد كانت هذه الأهداف تتأكد في كل المرات التي كانت تتحدث فيها عن هذا الأمر، وتتأكد كذلك من أقوال طلحة والزبير ﷺ [(٤)] .

٨- وضوح الهدف من الخروج عند أنصار عائشة ﷺ :

وكان أنصار عائشة يفهمون هذا جيداً ، وذلك أنه لما أرسل عثمان ابن حنيف ، عامل عليّ على البصرة ، وفي الناس من يقول لهم : (أيها الناس ... إن هؤلاء القوم الذين جاءوكم، إن كانوا جاءوكم خائفين فقد جاءوا من المكان الذي يأمن فيه الطير ، وإن كانوا جاءوا يطلبون بدم عثمان ﷺ ، أطيعوني في هؤلاء القوم فرُدُّوهم من حيث جاءوا) وعندئذ قام

---

(١) راجع المفاوضات بين علي وطلحة والزبير في إقامة الحدود في المسائل السابقة التي تم ذكرها .

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٤٦٢ . رواية السري ، عن شعيب ، عن سيف .

(٣) راجع ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب ماجاء في الإصلاح بين الناس وقول الله ﷻ (لا خير في كثير من نجواهم) ٥/٣٥٠-٣٥١ ، وخروج الإمام إلى المواضع بأصحابه ليصلح بين الناس .

(٤) انظر تاريخ الطبري ٤/ ٤٦١ .

الأسود ابن سريع السعدي [1] ، فقال منكراً أن يقال في عائشة وأصحابها مثل هذا : أوزعموا أنّا قتلة عثمان ﷺ ! إنما فزعوا إلينا يستعينون بنا على قتلة عثمان منا ومن غيرنا [2].

ولما قال كعب بن سور لصبرة بن شيمان ، رأس الأزد (أطعني ولا تشهدهم ، واعتزل بقومك ، فإني أخاف ألا يكون صلح ...) ، أنكر عليه صبرة قوله ، وقال لـــه (أتـــأمرني أن أغيب عن الإصلاح بين الناس ، وأن أخذل أم المؤمنين وطلحة والزبير إن ردُّوا عليهم الصلح ، وأدع الطلب بدم عثمان ! لا والله لا أفعل ذلك أبداً) فأطبق أهل اليمن على الحضور [3]

كان هذا الوضوح في الهدف لدى أنصار عائشة ﷺ يرجع إلى كون مـــسألة الحـــرب كانت من الأمور غير الواردة عند احدهم ، بل كانت منهياً عنها تماماً ، والـــذي حـــدث في البصرة من تقاتل ، لم يكن عن علم منهم كما سوف نرى عند استعراض أحداث البصرة .

---

(١) الأسود بن سريع التميمي السعدي ، الشاعر ، قال البخاري : فُقد أيام الجمل ، وبذلك جزم أبو حاتم وأبو داوود وابن السكن وغيرهم .

انظر: الإصابة لابن حجر ١/٢٢٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٦٣ من رواية السري عن شعيب عن سيف .

(٣) المصدر السابق ٤/ ٥٠٣ .

المسألة الثالثة : تتمة مسيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى البصرة :

وفيها :

١- الممارسات السليمة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في البصرة :

خرجت عائشة رضي الله عنها إلى البصرة فلما كانوا على مقربة منها ، كتبت إلى رجال من أهلها ، من وجوه الناس ، ثم انتظرت الجواب ، فبعث عثمان بن حنيف برسولين إليها ليعلما علمها وعلم من معها ، فأخبرتهم بما سبق ذكره عند الحديث عن أسباب الخروج ، فلما عادا رأى أحدهما وهو عمران بن حصين[١] رضي الله عنه أن يقعد عثمان بن حنيف ولا يحرك شيئاً في هذا الأمر ، قائلاً : إني قاعد فاقعد [٢] .

لكن عثمان بن حنيف قال : بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين علي ، ونادى في الناس وأمرهم بالتهيؤ ، ولبسوا السلاح ، ولم يكن كل من معه موافقاً له في مواجهة عائشة رضي الله عنها [٣] ، بل يظهر لي أن هذا الموقف من عمران بن حصين رضي الله عنه ، ورغبته في اعتزال الأمر ، بعد ما سمع عائشة رضي الله عنها دليل على أنه لو ثبت عنده أنه لا حجة لعائشة فيما خرجت له لما اعتزل ، بل لكان واجباً عليه ديناً أن يتقرب إلى الله بالوقوف في مواجهتها ، وردها إلى الحق ، لكنه لم يفعل شيء من ذلك ، وهو دليل على أنه رأى لموقفها وجهاً قوياً من الحق ، وكان في نفس الوقت يرى وجهاً من الحق من رأي عليّ رضي الله عنه ، فتوقف ، أي أنه -بمعنى آخر - قد اشتبه عليه الأمر بعد الاستماع إلى رأي عائشة رضي الله عنها فلم يظهر له ترجيح أحد الطرفين ، فاعتزل ، ولعله رأى أنه لا خلاف ، من ثم فلا مدعاة للمواجهة معهم.

جاءت عائشة رضي الله عنها فقامت تخطب في الناس ، بعدما تكلم طلحة والزبير ، وكانت جهورية يعلو صوتها ، فذكرت عثمان وفضله والبلد وما استحل منه ، ودعت إلى الطلب بدم

---

(١) عمران بن حصين : بن عبيد بن خلف الخزاعي الكعبي ، أسلم عام خيبر ، وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات ، بعثه عمر بن الخطاب إلى البصرة ليفقه أهلها ، وكان من فضلاء الصحابة ، وكان مجاب الدعوة ، ولم يشهد الفتنة ، توفي بالبصرة سنة ٥٢هـ .

انظر: سير إعلام النبلاء للذهبي ٢/ ٥٠٨ ، وخلاصة تهذيب الكمال للمزي ، ص ٢٩٥ ، والمعارف لابن قتيبة ، ص ٣٠٩، وأسد الغابة لابن الأثير ٤/ ٢٦٩ .

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٤٦٤ .

(٣) الكامل لابن الأثير ١٠٥/٣ .

الخليفة المظلوم ، فإنه حد من حدود الله ، فافترق أصحاب عثمان بن حنيف فرقتين، فرقة قالت، صدقت وبرت وجاءت والله بالمعروف ، وقال الآخرون : كذبتم والله ما نعرف ما تقولون ، فتحاثوا وتحاصبوا [1] ، فلما رأت عائشة ذلك تركتهم ، ومال بعضهم إليها وبقي الآخرون مع عثمان بن حنيف [2].

وهكذا رضي الله عنها كسبت أنصاراً جُدُداً لقضيتها التي خرجت لها .

لقد كانت مسألة الحرب منهياً عنها تماماً ، وظلت عائشة رضي الله عنها ، ومن معها يحاولون إيقافها بكل ما وسعهم من جهد ، وعلى الرغم من إنشاب عثمان بن حنيف ، وحكيم بن جبلة للحرب فإن منادي عائشة رضي الله عنها ظل ينادي بالكف عن القتال حتى مع قتلة عثمان رضي الله عنه من أهل البصرة ، غير أن الأمور سارت على نحو آخر :

أقبل حكيم بن جبلة [3] ، بعدما خطبت عائشة رضي الله عنها في أهل البصرة ، فأنشب القتال . وأشرع[4] أصحاب عائشة رضي الله عنها رماحهم وأمسكوا ليمسكوا ، فلم ينته حكيم ، ومن معه ، ولم يثن ، وظل يقاتلهم ، وأصحاب عائشة كافون إلا ما دافعوا عن أنفسهم ، وحكيم يذمر خيله، ويركبهم بها [5].

---

(١) تحاصبوا : تراموا بالحصباء وهي صغار الحجارة .
انظر: النهاية في غريب الحديث ١/٣٩٤ ، وتاريخ الطبري ٤/٤٦٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٦٤ .

(٣) حُكَيم بن جبلة العبدي : من قبائل عبد القيس ، من عمان . ذكر سيف بن عمر أن حكيم بن جبلة كان إذا قفلت الجيوش خنس عنهم ، فسعى في أرض فارس فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد في الأرض ويصيب ما شاء ثم رجع فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان ، فكتب عثمان إلى عبدالله بن عامر أن أحبسه ، ومن كان مثله فلا يخرجن من البصرة حتى تأنسوا منه رشداً ، فمنعه من مبارحة البصرة ، فلما قدم عبدالله بن سبأ نزل على حكيم ، واجتمع إليه نفر ، فنفث فيهم سمومه ، ولما رحل ابن سبأ إلى الفسطاط ظل يكاتبهم ويكاتبونه ، ويختلف الرجال بينهم ، فلما زحفوا إلى المدينة إلى عثمان كان عدد من خرج منهم من البصرة كعدد من خرج من مصر، وكان حكيم أمير على واحدة من الفرق ، وكان ممن حصب أمير المؤمنين عثمان على المنبر ، ولما رحل الثوار عن المدينة في المرة الأولى بعد مناقشتهم ، لعثمان وسماعهم ودفاعه تخلف حكيم والأشتر بالمدينة ، وفي ذلك ما يؤكد أنهما كانا وراء الكتاب المزور على أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه والذي عاد الثوار بسببه ، ولما جاءت عائشة والزبير وطلحة إلى البصرة وأوشكوا أن يتفاهموا مع أمير المؤمنين عليّ كان حكيم هو الذي أنشب القتال لئلا يتم ذلك . تاريخ الطبري ٤/٤٧٠ من رواية سيف .

(٤) أشرع نحوه الرمح و السيف : أقبلهما إياه : وسددهما له .
انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/٤٦١ .

(٥) تاريخ الطبري ٤/٤٦٦ ويذمر الخيل : يحضها ويشجعها .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن عائشة رضي الله عنها ظلت حريصة على عدم إنشاب القتال ، فأمرت أصحابها أن يتيامنوا بعيداً عن المقاتلين ، وظلوا على ذلك حتى حجز الليل بينهم [(١)] حتى إذا كان الصباح جاء عثمان بن حنيف ، فغاداهم [(٢)] ، وجاء حكيم بن جبلة ، وهو يبربر، وفي يده الرمح ، وفي طريقه إلى حيث عائشة رضي الله عنها ، ومن معها ، وكان حكيم لا يمر على رجل أو امرأة يُنكر عليه سبه عائشة رضي الله عنها إلا قتله[(٣)]، وعندئذ غضب عبد القيس إلا من كان اغتُمر[(٤)] منهم ، فقالوا لحكيم : فعلت بالأمس ، وعدت لمثل ذلك اليوم! والله لندعنك حتى يقيدك الله[(٥)]، فرجعوا ، وتركوه ، ومضى حكيم بن جبلة فيمن غزا معه عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وحصروه من نزاع القبائل كلها ، فلقد عرفوا أن لا مقام لهم بالبصرة ، فاجتمعوا إليه ، وأوقفوا أصحاب عائشة رضي الله عنها ، فاقتتلوا قتالاً شديداً[(٦)].

وظل منادي عائشة رضي الله عنها يناديهم ويدعوهم إلى الكف فيأبون [(٧)] وجعلت رضي الله عنها تقوا (لا تقتلوا إلا من قاتلكم) لكن حكيم لم يُراع [(٨)] للمنادي ، وظل يُسعّر القتال ، وعندئذٍ بعدما تبينت للزبير وطلحة رضي الله عنهما طبيعة هؤلاء الذين يقاتلون ، وأنهم لا يتورعون ، ولا ينتهون عن حرمة ، وأن لهم هدفاً في إنشاب القتال ، قالا: (الحمد لله الذي جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة، أللهم لا تبقي منهم أحداً ، وأقد منهم اليوم ، فاقتلهم ، فجادُّهم القتال) ونادوا (من لم يكن

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٦٦ من رواية سيف .

(٢) غاداهم : بكرهم ، أي جاءهم مبكراً .

انظر: لسان العرب ٢/٥٠٥ .

(٣) مر حكيم على رجل من قومه ، فقال له الرجل ، من هذا الذي تسب ، وتقول له ما أسمع ، فقال ، عائشة ، قال يا ابن الخبيثة ، ألأم المؤمنين تقول هذا ! فوضع حكيم السنان بين ثديية فقتله ، ثم مر بامرأة ، وهو يسب عائشة رضي الله عنها فقالت : من هذا الذي ألجأك إلى هذا ، قال : عائشة ، قالت ، يابن الخبيثة ، أنت أولى بذلك ، فطعنها ، فقتلها .. انظر تاريخ الطبري : رواية سيف ٤/ ٤٧٠،٤٦٦ .

(٤) اغتمر في الشيء : اغتمس ، وغمره كل شيء منهمكة ، وشدته ، والمغمور : المقهور .

انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/٣٠٣-٣٠٥ .

(٥) يقيدك الله القود : القصاص ، وقتل القاتل بالقتيل .

انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/١٧٢.

(٦) تاريخ الطبري ٤/٤٧٠ .

(٧) تاريخ الطبري ٤/٤٦٦ .

(٨) لم يرع : لم يبال .

انظر: لسان العرب ٨/٤١٣ .

من قتلة عثمان فليكف عنا فإننا لا نريد إلا قتلة عثمان ، ولا نبدأ أحداً) فاقتتلوا أشد القتال[1]، فلم يفلت من قتلة عثمان من أهل البصرة إلا واحداً، وكان منادي الزبير وطلحة قد نادى : ألا من كان فيكم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم [2].

وتقول رواية أخرى لسيف : إن أول إنشاب القتال كان في ليلة مظلمة باردة ، قصد فيها طلحة والزبير إلى المسجد فوافقا صلاة العشاء ، فأبطأ عثمان بن حنيف - وكانوا يؤخرونها - فقدما غيره فشَهَرَ الزُّطُ السَّيابجة[3] السلاح ، ثم وضعوه فيهم .

حتى إذا كان الصباح أراد حكيم بن جبلة أن ينشب القتال مرة ثانية ، على ما هو معروف في الرواية الأولى [4] .

ظل الفريقان يتقاتلان ، حتى إذا مسهم الشر نادوا أصحاب عائشة إلى الصلح ، وكتبوا بينهم كتاباً على أن يبعثوا رسولاً إلى المدينة ، فإن كان طلحة والزبير أُكرها على البيعة خرج عثمان بن حنيف عن البصرة ، وإن لم يكونا أُكرها خرج طلحة والزبير [5] ، فعاد الرسول بأنهما قد أكرها ، فأرسلوا إلى عثمان أن أخرج عنا ، فأبى لأن عليّاً قد أرسل إليه قائلاً (والله لقد أكرها على جماعة وفضل)[6]

وكان فريق من هؤلاء الجهال والغوغاء - كما قالت عائشة رضي الله عنها قد حاصروها في بيتها في الغلس ليقتلوها ، وكان قد ذهبوا حتى سُدَّةَ بيتها ، ومعهم دليل ، إلا أن الله دفع عنها بنفر من المسلمين كانوا قد أحاطوا بيتها رضي الله عنها ، فدارت عليهم الرحى ، وأطاف بهم المسلمون فقتلوهم [7].

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٧٠ .

(٢) المصدر السابق ٤/٤٧٢ .

(٣) الزُطُ السيابجة : قوم من السند بالبصرة ، يبدو أنهم كانوا يقومون بعمل الشرط في البصرة .
انظر: لسان العرب ٧/٣٠٨ .

(٤) تاريخ الطبري ٤/٤٦٨ .

(٥) انظر في حقيقة معنى الإكراه : تاريخ الطبري ٤/ ٤٣٤ ، ٤٣٥ وانظر نص كتاب الصلح في تاريخ الطبري ٤/ ٤٦٧.

(٦) المصدر السابق ٤/٤٦٨ والواقع أنهما وإن كانا لايعدلان بعلي بن أبي طالب غيره إلا أنهما حرصاً منهما على سلامة معنى (البيعة) وهيبته وقد سجلا هذا الأمر ، ولكي لا يكون حجة عليهما في دعوى نكثهما البيعة ونقضها ، ولكي لا تكون سنة عند الناس ينقضونها إذا ما بايعوا وأُخذت عليهم المواثيق .

(٧) تاريخ الطبري ٤/ ٤٧٤ .

وهكذا فإن الذي انتهينا إليه يدحض ما ذهب إليه البعض من أنها حرضت الناس ، وكانت تحثهم على القتال ، ويتأكد لنا تماماً أنهم ما خرجوا إلا مسالمين ، وخرجوا في جمع طوائف المسلمين ، ودعوتهم إلى الحق ، وضم تشردهم حتى لا يضطربوا فيقتتلوا ، وأن القتال لم يحدث لنية فيه من جانبهم كما ظهر لنا من صحيح الأخبار ، وإنما فرض عليهم القتال دفاعاً عن النفس ، ودفاعاً عن أم المؤمنين عائشة ، بعدما أصّر حكيم بن جبلة ، ورفاقه ممن ساروا معه إلى عثمان ، على قتالهم .

وحتى قتلهم لقتلة عثمان كان أمراً ساقه الله إليهم ، كما قال طلحة ﵁ ، وكما أوضحت رسائل عائشة ﵂ إلى أهل الأمصار ، كما سوف نرى .

٢- رسائل عائشة إلى الأمصار الأخرى :

يؤكد ما سبق تقريره أن عائشة ﵂ كانت حريصة على إيضاح وجه الحق فيما حدث من قتال مع أهل البصرة ، وإنه إنما حدث من غير تعمد أو ترتيب منها وممن معها من المسلمين . وكل ذلك حتى يتأكد الناس أنها خرجت داعية الناس إلى القيام في الطلب بدم عثمان ﵁ ، ولإقامة حدود الله ، لا إقامتها بأنفسهم دون ولي الأمر . وهو ما يؤكد تماماً الهدف المقصود من هذا الخروج .

كتبت عائشة ﵂ إلى أهل الشام والكوفة واليمامة وكتبت إلى أهل المدينة أيضاً تخبرهم بما صنعوا وساروا إليه ، وكان فيما كتبت به إلى أهل الشام : (إنا خرجنا لوضع الحرب ، وإقامة كتاب الله ﷻ ، بإقامة حدوده في الشريف والوضيع ، والكثير والقليل ، حتى يكون الله جلّ وعلاّ هو الذي يردنا عن ذلك ، فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم ، وخالفنا شِرارهم ونُزاعُهم ، فردُّونا بالسلاح ، وقالوا فيما قالوا ، نأخذ أم المؤمنين رهينة أنْ أمرتْهم بالحق وحثتهم عليه ، فأعطاهم الله ﷻ سنة المسلمين مرة بعد مره ، حتى إذا لم يبق حجة ولا عذر ، استبسل قتلة عثمان أمير المؤمنين ، فلم يفلت منهم إلا حُرقُوص بن زهير[1] والله مقيده ، وإنا

---

(١) حرقوص بن زهير السعدي ، قال ابن حجر : زعم أبو عمر أنه ذو الخويصرة التميمي ، رأس الخوارج ، المقتول بالنهروان ، وذكر الطبري أن عتبة بن غزوان كتب إلى عمر يستمده فأمده بحرقوص . تاريخ الطبري ٧٦/٤.

وذكر الهيثم بن عدي أن الخوارج تزعم أن حرقوص كان من أصحاب النبي ﷺ ، وأنه قتل معهم يوم النهروان، قال : فسألت عن ذلك فلم أجد أحداً يعرفه ، وذكر بعض من جمع المعجزات أن النبي ﷺ قال (لا يدخل النار أحد شهد الحديبية إلا واحد) أورده ابن حجر في فتح الباري ٧/ ٤٤٣ فكان هو حرقوص ، فالله أعلم .

وانظر: الإصابة لابن حجر ٢/ ٤٤ ، وأسد الغابة لابن الأثير ١/ ٧١٤ .

نناشدكم الله سبحانه في أنفسكم إلا ما نهضتم بمثل ما نهضنا به ، فنلقى الله ﷻ وتلقونه ، وقد أعذرنا وقضينا الذي علينا [1]

وكتبت إلى أهل الكوفة ، وكتبت إلى رجال بأسمائهم ، وكانت مما قالت لهم : (أما بعد : فإني أذكركم الله ﷻ والإسلام ، أقيموا كتاب الله بإقامة مافيه ، واتقوا الله ، واعتصموا بحبله ، وكونوا مع كتابه ، فإنا قدمنا البصرة فدعوناهم إلى إقامة كتاب الله بإقامة حدوده ، فأجابنا الصالحون إلى ذلك ، واستقبلنا من لا خير فيهم بالسلاح ، وقالوا : لُنتبعنكم عثمان ، ليزيدوا الحدود تعطيلاً ، فعاندوا ، وشهدوا علينا بالكفر ، وقالوا لنا المنكر ، فقرأنا عليهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة آل عمران : ٢٣] فأذعن لي بعضهم ، واختلفوا بينهم ، فتركناهم وذلك ، فلم يمنع ذلك من كان منهم على رأيه الأول من وضع السلاح في أصحابي ....) [2] ، وشرحت لهم ﵂ تفاصيل ما كان من الاحتجاج عليهم ببيعة طلحة والزبير ، وما اصطلحوا عليه ، ثم ما كان من عذر ، ومحاربة بدأ بها أصحاب عثمان بن حنيف ، وحكيم بن جبلة ، وما حاولوه من قتلها ﵂ ، وكيف أقاد الله من قتلة عثمان ﵁ من أهل البصرة ، على غير علم منهم ، وأوضحت لهم العذر كاملاً ، وقالت : (فإذا قاتلنا بثأرنا وسعنا العذر) ثم قالت: (ألزموا الرضاء إلا عن قتلة عثمان بن عفان ، حتى يأخذ الله حقه ، ولا تخاصموا الخائنين ، ولا تمنعوهم، ولا ترضوا بذُوِيِّ [3] حدود الله فتكونوا من الظالمين)[4].

ويبدو واضحاً أنها ﵂ لم تكن تطلب من أي ممن راسلتهم أن يناصروها ، مناصرةً مسلحة ، وأقصى ما كانت تطلبه منهم هو أن يلزموا الحياد ، فلا يمنعوا قتلة عثمان ، ولا

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٧٢، وكانت عائشة ﵂ في ذلك متبعة لما سار عليه الصحابة ﷺ، فلقد روي عن ابن عمر ﵄ أن غلاماً قتل غيلة فقال عمر : لو أشترك فيها أهل صنعاء لقتلتهم ، وقال مغيرة بن حكيم عن أبيه (إن أربعة قتلوا صبياً فقال عمر مثله) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٨/ ٤١، وابن أبي شيبة في المصنف ٥/ ٤٢٩ ، وانظر صحيح البخاري مع الفتح ١٢/٢٣٦-٢٣٩ .

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٤٧٣ .

(٣) ذوي : ذبول .

انظر: لسان العرب ١١/٢٦٠ .

(٤) انظر تاريخ الطبري ٤/ ٤٧٢، ٤٧٣ ، والكامل لابن الأثير ٣/ ١١٢ .

يرضوا عنهم ، وأن يثبطوا الناس عن منع هؤلاء القتلة ، أو حمايتهم ، وأن يلزموهم بيوتهم[1] ، وهذا دليل آخر ينضم إلى ما سبق ذكره من وضوح هدفها ورسوخه على النحو الذي لا يتزعزع ، وهو هدف إصلاحي ، لم يتلوث بلوثة الحرب أو المقاتلة .

٣- هل أمرت عائشة بالمثلى بعثمان بن حنيف ؟

إذا كان هذا هو موقف عائشة من مسألة الحرب ، وهو موقف حرصت على تأكيده ، وعلى إعلام الأمصار الأخرى به ، فما هي الحقيقة في دعوى أمرها بقتل عثمان بن حنيف وهي دعوى طالما استخدمت للطعن على عائشة رضي الله عنها ؟

سأذكر - إن شاء الله - في الصفحات التالية ما جاء من روايات في هذا الصدد ، ولنعلم الحقيقة في موقفها رضي الله عنها من عثمان بن حنيف رضي الله عنه ، فلقد روى الطبري عن أبي مخنف ، عن يوسف بن يزيد [2] عن سهل بن سعد [3] ، قال (لما أخذوا عثمان بن حنيف أرسلوا أبان ابن عثمان بن عفان [4] إلى عائشة رضي الله عنها يستشيرونها في أمره ، قالت ، أقتلوه ، فقالت لها امرأة: ننشدك بالله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله ﷺ ! قالت : ردوا أباناً ، فردوه ، فقالت : احبسوه ولا تقتلوه ، قال : لو علمت أنك تدعينني لهذا لم أرجع .

فقال لهم مجاشع بن مسعود [5]: "اضربوه ، وانتفوا شعر لحيته ، فضربوه أربعين سوطاً ، ونتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينية وحبسوه "[6] .

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٧٣، ٤٧٤ .

(٢) يوسف بن يزيد بن كامل القراطيسي ، أبو يزيد ، مولى بني أمية ، ثقة ، مات سنة ٨٧هـ ويقال ، عاش مائة سنة ، تقريب التهذيب لابن حجر ٢/ ٣٤٧، وهناك شخصية أخرى هي : يوسف بن يزيد البصري أبو معشر البراء العطار ، صدوق ربما أخطأ .

انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ٣٤٧/٢ فالله أعلم أيهما هو .

(٣) سبق التعريف به .

(٤) أبان بن عثمان بن عفان ، الأموي المدني ، ابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، له أحاديث قليلة ، قال عنه عمرو بن شعيب ، ما رأيت أحداً أعلم بحديث ولا فقه من أبان بن عثمان بن عفان . قال خليفة: أن أبان توفي سنة خمس ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٥١/٤ ، والتاريخ الكبير للبخاري ٤٥٠/١ .

(٥) مجاشع بن مسعود بن ثعلبة السلمي ، صحابي ، قال خليفة بن خياط ، قتل يوم الجمل قبيل الموقعة ، وعند المدائني وعمر بن شبه أنه قتل في محاربة الزبير رضي الله عنه مع حكيم بن جبلة بسبب عثمان بن حنيف .

انظر: الإصابة لابن حجر ٥٧٠/٥ ، والتاريخ الكبير للبخاري ٢٧/٨ .

(٦) تاريخ الطبري ٤/ ٤٦٨، ٤٦٩ .

وعند النظر في إسناد هذه الرواية نجدها من روايات أبي مخنف ، وهو من عرفنا تشيعاً وحرصاً على رواية ما يخدم مذهبه ، وأما متنها ، فإن ما ذكره أبو مخنف من أمر عثمان بن حنيف ، لم يثبت من طريق صحيح يمكن أن يعوّل عليه ، وإنما ذكر الطبري في ذلك رواية أخرى عن سيف بن عمر ، وهي رواية عارضت تفصيلات أبي مخنف من كل وجوهها ، فهي لم تذكر أمر عائشة بقتل عثمان بن حنيف أو حبسه ، أو الأمر بنتف شعر وجهه .

وليس في رواية سيف ذكر لتلك المرأة المجهولة التي عرفت لعثمان بن حنيف صحبته ، بينما لم تتنبه عائشة ﵂ إلى مكان هذه الصحبة وقدرها – كما زعمت رواية أبي مخنف – ولم تذكر رواية سيف كذلك أبان بن عثمان بن عفان كرسول بين عائشة وطلحة والزبير ، وإنما أكدت على أن الرسول فيما بينهم كان عبدالرحمن بن عتاب [١] .

بل إن البحث فيما تيسر لي من مصادر أظهرت أنه لا وجود لأي إشارة في كون أبان بن عثمان كان مشاركاً في هذه الأحداث ، كما أنه لم تذكر لأبان أية رواية عن عائشة [٢] ، وكانت سِنّه لا تسمح له بمثل هذه المشاركة في هذه الأحداث ، لأن سنه كان ، كما هو مرجح – كان قريباً من خمسة عشر عاماً من عمره [٣] .

الذي يفهم من رواية سيف : أن الغوغاء هم الذين فعلوا ذلك ، وأن طلحة والزبير استشنعاه واستعظماه وبعثا بالخبر إلى عائشة ، فقالت : خلوا سبيله ، وليذهب حيث شاء ولا تحبسوه[٤]، والصحابة الكرام يترهون عن مثل هذه المثلة القبيحة .

والدليل على زيف رواية أبي مخنف ، هو أن الذهبي قد ذكر أن مجاشع بن مسعود ، الذي زعمت الرواية أنه أمر بضرب عثمان ونتف شعر لحيته ورأسه وحاجبيه ، قُتل قبل دخول دار عثمان بن حنيف [٥].

---

(١) سبق التعريف به .

(٢) انظر على سبيل المثال : سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/ ٣٥١ ، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور : ٣/ ٣٤١ .

(٣) المرجح أن أباناً ولد حوالي سنة (٢هـ) .

(٤) تاريخ الطبري : (٤/ ٤٦٨) .

(٥) تاريخ الإسلام للذهبي (٣/ ٢٨٩) .

المسألة الرابعة : تجلية بعض المسائل في حقيقة خروج عائشة رضي الله عنها ، وذلك لإتمام الرد على الروافض وبيان مذهب أهل الحق في ذلك .

وفيها :

١- هل خرجوا ليقيموا الحد على قتلة عثمان ؟

لقد كان ما مر بنا هو الموقف الواضح والمسالم لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، والذي بذلت فيه غاية الاجتهاد لعدم إنشاب الحرب مع أهل البصرة [(١)]، وكان فيهم ومن بينهم من ألَّب على عثمان رضي الله عنه .

وكانت الأحداث في البصرة وتفاصيلها هي أكبر دليل على خلوص هدف الخروج من نية المحاربة ، حتى لمن قتلوا عثمان رضي الله عنه ، فإنه حتى المطالبة بتسليم قتلة عثمان لهم ليقيموا عليهم الحدود لم تكن من أهدافهم ، ولا سعوا إليها [(٢)]، فليس هناك رواية واحدة صحيحة وردت بهذا .

لا يمكن أن نظن التطاول – وحاشاها – في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، ومن معها ، وأنهم قد خرجوا قائمين بما يلزم الخليفة القيام به كولي لأمر المسلمين ، ومن الأخذ بثأر عثمان رضي الله عنه ، فما كان ليغيب عنها ومن معها أن هذا الأمر لا يكون إلا بعد اجتماع الكلمة، وبيد ولي أمر المسلمين ، وإلا فإنه لا معنى لنظر الإمام وتدبيره ، بل أنه لا معنى – لو جاز ذلك عند عائشة ومن معها – لوجوب الإمامة ، وانعقادها أصلاً [(٣)] ، وهو ما لا يصح أن يغيب عن عائشة رضي الله عنها، ومن معها ، فضلاً عن أن تتجاهله ، وتعمل على خلافه .

ولو صح خروجها رضي الله عنها ومن معها في هذا السبيل ، فلقد كان يمكن أن يكون هذا وحده كافياً لعثمان بن حنيف، ومن معه ممن رأوا مجابهتها ليحجوها ، ومن معها بحجة أن إقامة الحدود إنما هي للإمام ، غير أننا لم نجد رواية تذكر أنهم قد تعرضوا لذلك ، أو أخذوه عليها ،

---

(١) انظر : الفصل الذي عقده ابن العربي في العواصم من القواصم ، ص ١٥٥، ١٥٦ متسائلاً عن سبب خروجهم إلى البصرة .

(٢) هو رأي يأتي على العكس مما قال به الوكيل ، من أنهم خرجوا يطلبون بتسليم قتلة عثمان ليقيموا عليهم حد الله ، جولة تاريخية في عهد الخلفاء الراشدين للوكيل ، ٥٢٨، ولم يستند في ذلك إلى رواية أو دليل .

(٣) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي ، ص ١٣، ٤٤ .

أو حجُّوها به ﵂ ، ولو كانت ﵂ ، ومن معها قد خرجوا لذلك لما فات المعارضين لهم أن يحجوهم بهذا (١) .

ولو فعلت ذلك لكانت طالبة لهذا الدم بغير حق ، وما كان يخفى على عائشة ﵂ ومن كان معها قوله ﷺ (أبغض الناس إلى الله ثلاثة مُطَّلبُ دم امرئ بغير حق ليهريـــق دمــــه) (٢) وهذا يؤكد ما سبق قوله من أن خروج عائشة ﵂ ، ومن معها كان محاولة اجتهادية منـــهم لتهيئة الرأي العام ، وحشده للمطالبة بالقصاص من الذين خرجوا على أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﵁ وقتلوه ، ثم هيمنوا على المدينة ، وتمردوا على سلطان الخليفة علـــي ﵁ نفـــسه ، وذلك حين أمر الأعراب بالانصراف عن المدينة ، فأبى السبئية ، وأطاعتهم الأعراب (٣)، وهو الأمر الذي ضاق به صدر كثير من الصحابة ﵃ ، كما ضاق به صدر على ﵁ أيضاً ، لقـــد كان فريق عائشة ﵂ يحاول ما استطاع تقصير زمن تعطيل الحدود ، وإقامتها على النحو الذي أمر به الله تعالى .

٢- هل خرجوا لحرب عليّ أو خلعه ؟

فإذا لم يكونوا قد خرجوا لحرب أهل البصرة ، أو ليقيموا الحدود بأنفسهم على قتلـــة عثمان ﵁ ، فهل خرجوا لمحاربة علي ﵁ ، وهو هدف يصح إلى حد بعيد، إن صـــح أنهـــم خرجوا خلعاً له ﵁ ، فأما أن يكونوا خرجوا حرباً له ﵁ ، فإن استعراض الأحداث من أولها إلى أخرها يرمي بهذا الاحتمال بعيداً عن دائرة التفكير السليم ، فلقد بذلت عائشة ﵂ وعلـــيّ وصالح المسلمين جميعاً كل ما وسعهم لتجنب الحرب بين الطرفين .

غير أن الباحث يجد نفسه متوقفاً ، مزيداً منه في التثبت ، ورغم انتفاء هدف المحاربة ، أمام السؤال نفسه على صورة أخرى : هل كان في خروجها ﵂ ، ومن معها خروج علـــى عليّ ورفض لخلافته ، أو قل خروج على طاعته ومفارقة الجماعة ؟ فربما كان خروجاً سليماً ، يدعون فيه إلى خلعه ﵁ .

---

(١) حاول عبدالوهاب النجار أن يرجع عدم محاجتهم لعائشة ، ومن معها ، بهذه الحجة إلى كون عثمان بن حنيف كان على غير ما يجب في أمثاله من الأرب ، وقوة الحجة ، . الخلفاء الراشدون ، ص ٣٨٩ ، ويظهر لي أنه لوكان لهذه الحجة مكان من الحقيقة لما فات عثمان بن حنيف ﵁ أن يحجهم بها ، ولو فاته هذا ما فات غيره .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الديات ، باب من طلب دم امرئ بغير حق ١٢/ ٢١٩ ، حديث (٦٨٨٢) .

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٤٣٨ .

أما وقد تأكد عندنا أنه لم تكن عند عائشة رضي الله عنها ، ومن معها ، عزم على حربه رضي الله عنه ، فما كان يمكن أن نظن أن عائشة رضي الله عنها والزبير وطلحة قد خرجوا خلعاً لعلي مناهضين له ، بعد اجتماع المسلمين عليه ، ومبايعتهم له على الخلافة ، إذ لا يمكن أن يغيب عنهم رضي الله عنهم جميعاً قول رسول الله ﷺ (من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة ، ومات فميتته ميتة جاهلية) (١) ويعلمون أيضاً قوله ﷺ (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم ، فاقتلوه) (٢) وقوله ﷺ (من بايع إماماً ، فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه ، فليطعه إن استطاع) (٣) .

فإذا لم تكن هذه الأحاديث النبوية مانعة لعائشة ، ومن معها من الخروج على عليّ رضي الله عنه ، فإنها بلا ريب ملزمة لعليٍّ – ديناً وعقيدةً – بمحاربتهم محاربة جادة ، لو ظن بهم هذا التفريق لأمر المسلمين ، والخروج على طاعة الإمام الذي انتظم به شأن الأمة ، واجتمعت به كلمتهم .

لكنه رضي الله عنه لم يفعل شيئاً من ذلك ، وهو أمر له دلالته على أنه لم ينظر إلى خروجهم إلى البصرة كخلاف سياسي يعني أنهم يخلعونه ، أو يفرقون جماعة المسلمين ، وإلا فهل نظن أن الصحابة بمجموعهم: الذين مع عليّ ، والذين مع عائشة قد غفلوا عن هذا الحكم الشرعي (٤).

ولقد نقل ابن حجر في فتح الباري عن كتاب أخبار البصرة لعمر بن شبة أن أحداً لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا علياً على الخلافة ، ولا دعوا أحداً ليولوه الخلافة (٥) .

وتأكيد هذا القول بأن عائشة رضي الله عنها ، ومن معها لم يخرجوا إلى البصرة ، حرباً لعليّ رضي الله عنه أو خلعاً له كما قالت الروافض ، يتبين في الصفحات المقبلة التي عرضت فيها لما حدث قبيل معركة الجمل وفي أثنائها ، وما بعدها .

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ٣/ ١٤٧٦، حديث (١٨٤٨) .

(٢) رواه مسلم كتاب الإمارة باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ٣/ ١٤٨٠، حديث (١٨٥٢) .

(٣) رواه مسلم كتاب الإمارة ، باب وجوب الوفاء بالبيعة للخليفة الأول فالأول ٣/ ١٤٧٢، ١٤٧٣، حديث (١٨٤٤) .

(٤) انظر: تاريخ الطبري ٣٤٦/٤ .

(٥) انظر: هامش كتاب العواصم من القواصم ، ص ١٤٦ .

٣- تحليل الرواية الصحيحة الموحية بخروجهم رفضاً لخلافة عليّ رضي الله عنه :

لقد كان ما سبق لنا قوله في سبب الخروج ، وهدفه وما دل عليه الاستعراض التاريخي للأحداث من بعد ، والتي دلت على محاولات الابتعاد عن أي عمليات حربية ، وما ذكرناه في تحرير هدف الخروج بالتعرض لكل احتمالاته ، كافياً للرد على هذا السؤال الذي طرحناه آنفاً، ولو كانت ساحة الروايات التاريخية الصحيحة في هذا الأمر خالية من القول بما يوحي بأن هذا الخروج كان متلبساً بشيء من هذه المعاني ، من الخروج ، والخلع ، ومفارقة الجماعة .

فلابد أن نتوقف أمام الرواية الصحيحة التي جاء فيها ما يوحي بأنهم خرجوا رافضين خلافة عليّ رضي الله عنه .

فلقد جاءت رواية في تاريخ الطبري فيها إيحاء بأنه هو سبب خروجهم : فعن يعقوب بن إبراهيم[1] عن عبدالله بن إدريس[2] عن حصين [3] عن عمرو بن جأوان [4] عن

---

(١) هو يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري ، أبو يوسف المدني نزيل بغداد، من الطبقة التاسعة ، من صغار أتباع التابعين ، ثقة فاضل حجة ورع ، رحمه الله ، ورضي عنه ، توفي سنة ٢٠٨هـ.

ينظر ترجمته العطرة في ، تهذيب الكمال ٣٢/ ٣٠٨، وتهذيب التهذيب ٣٣٣/١١، والتقريب ٦٠٧/١ والكاشف ٢/ ٣٩٣، والتاريخ الكبير ٨/ ٣٩٥، والثقات لابن حبان ٢٨٤/٩، وثقات العجلي ٢/ ٣٧٢ .

(٢) عبدالله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن بن الأسد بن حجية بن الأصهب بن يزيد بن حلاوة الأودي الزعاقري ، أبو محمد الكوفي من الطبقة الثامنة (الوسطى من أتباع التابعين) ، روى له الستة ، وهو ثقة فقيه عابد أحد الأعلام .

ينظر حاله وترجمته في التقريب ١/ ٢٩٥، والتهذيب ٥/ ١٢٦، والكاشف ١/ ٥٣٨ ، والتاريخ الكبير ٤٧/٥ ، والثقات لابن حبان ٧/ ٥٩، والثقات للعجلي ٢١/٢ ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨/٥ ، والتعديل التجريح لأبي الوليد الباجي ٨١١/٢ .

(٣) حصين بن عبدالرحمن السلمي ، أبو الهذيل ، الكوفي ، المأمون الثقة ، تغير حفظه بآخره ، وروى له الستة ، ورتبته عند الذهبي ، ثقة حجة من الطبقة الخامسة مات سنة ٤٣هـ .

ينظر ترجمته في تهذيب الكمال ٦/ ٥١٩ ، والتهذيب لابن حجر ٣٢٨/٢ ، والتقريب ١٧٠/١ ولسان الميزان ٧/ ١٩٩ والكاشف ٣٣٨/١ ، والتاريخ الكبير ٧/٣ والثقات لابن حبان ٢١٠/٦، والجرح والتعديل ٣/ ١٩٣ والكامل في الضعفاء لابن عدي ٢/ ٣٩٧ وتذكرة الحفاظ ٣٢٤/١ .

(٤) عمرو بن جأوان التميمي البصري ، ويقال عمر ، بضم العين ، قال بن حجر ، مقبول من السادسة .

ينظر : تهذيب الكمال ٥٦٤/٢١ وتهذيب التهذيب ١٢/٨، والتقريب ٤١٩/١، ولسان الميزان ٧/ ٣٢٤ .

الأحنف بن قيس [1] قال : لقيت طلحة والزبير فقلت : من تأمراني به ، وترضيانه لي ، فإني لا أرى هذا الرجل إلا مقتولاً ؟ قالا: عليّ: قلت أتأمراني به وترضيانه لي ؟ قالا : نعم ، فانطلقت حتى قدمت مكة ، فبينا نحن بها إذ أتانا قتلُ عثمان رضي الله عنه ، وبها عائشة أم المؤمنين ، فلقيتها فقلت ، من تأمريني أن أبايع ؟ قالت: عليّ قلت تأمرينني به ترضينه لي ؟ قالت : نعم ، فمررت على علي بالمدينة ، فبايعته ثم رجعت إلى أهلي بالبصرة ولا أرى الأمر إلا قد استقام .

قال : فبينا أنا كذلك ، إذا أتاني آت ، فقال : هذه عائشة وطلحة والزبير قد نزلوا .. فقلت : ما جاء بهما؟ قالوا ، أرسلوا إليك يدعونك يستنصرون بك على دم عثمان رضي الله عنه ، فأتي أفظع أمر أتاني قط ، فقلت إن خذلني هؤلاء ، ومعهم أم المؤمنين ، وحواري رسول الله ﷺ لشديد ، وإن قتالي رجلاً ابن عم رسول الله ﷺ ، قد أمروني ببيعته لشديد ، فلما أتيتهم ، قالوا: جئنا لنستنصر على دم عثمان رضي الله عنه ، قتل مظلوماً ، فقلت ، يا أم المؤمنين ، أنشدك بالله أقلت لك من تأمريني به ، فقلت علي؟ فقلت ، أتأمرينني به ، وترضينه لي ، قلت ، : نعم ؟! قالت : نعم : ولكنه بدل .

فقلت : يا زبير ، يا حواري رسول الله ﷺ ، يا طلحة ، أنشدكما الله، أقلت لكما : ما تأمراني ؟ فقلتما : عليّ ، فقلت : أتأمراني به وترضيانه لي ؟ فقلتما نعم ؟ قالا: ولكنه بدل ،

---

(١) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي السعدي أبو بحر البصري الأحنف لقب ، واسمه الضحاك ، أدرك النبي ﷺ ولم يره ، ودعا له النبي ﷺ فقال (اللهم أغفر للأحنف) ، وكان الأحنف أحد الحكماء والدهاة العقلاء ، قال فيه عمر بن الخطاب : الأحنف سيد أهل البصرة ، فما زال يعلوا من يومئذ ، واعتزل الحرب بين عائشة وعلي يوم الجمل ، وشهد صفين مع عليّ ، وبقي إلى إمارة مصعب بن الزبير على العراق ومشى مصعب في جنازته .

انظر: أسد الغابة لابن الأثير ١٧٨/١ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ٩٣/٧ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ١/ ١٩١، والإصابة لابن حجر ٣٣١/١ ، والاستيعاب لابن عبد البر ١/ ٢٣٠ .

وهذا الحديث الذي ذكر في فضل الأحنف بن قيس ، أخرجه أحمد في المسند ٣٧٢/٥، برقم (٢٣٢٠٩)

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٧١٢ ، وسكت عنه الذهبي

وأخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٤٣٣/٢ برقم (١٢٢٥) .

والحديث ضعيف فيه علي بن زيد ، ضعفه علماء الجرح والتعديل ينظر ترجمته في تهذيب الكمال٤٣٤/٢٠ ، والتهذيب ٧/ ٢٨٣ ، وتعجيل المنفعة ١/ ٥٤٥ ، والكاشف ٢/ ٤٠ والجرح والتعديل ١٨٦/٦ ، والكامل ١٩٥/٥ .

فقلت : والله لا أقاتلكم ، ومعكم أم المؤمنين ، وحواري رسول الله ﷺ ، ولا أقاتل رجلاً ابن عم رسول الله ﷺ أمرتموني ببيعته [١] .

هذه هي الرواية الصحيحة الإسناد كما رأينا [٢] وإن كانت دليلاً قوياً على أن عائشة وطلحة والزبير ﷺ جميعاً لم يكونوا يرون ، قبيل مقتل عثمان ﷺ أحداً غير علي ﷺ أصلح للخلافة بعد عثمان ﷺ ، بل إن عائشة ﷺ كانت راضيةً عن خلافته ، داعيةً إلى هذه الخلافة، وآمرةً بها كل من يستأمرها من الناس في أمر الأصلح للخلافة إذا ما أصاب عثمان سوء .

إلا أنها كما رأينا نسبت إلى عائشة وطلحة والزبير القول بأنه قد بدّل بعد خلافته ، وكان هذا سبباً في خروجهم ، كما أن قول الأحنف بن قيس لهم (والله لا أقاتلكم ..) يوحي أيضاً بمعنى الخلع ، أو النقض للبيعة المفهوم من مقتضى المقاتلة .

ولا بد من النظر في معنى هذا التبديل طويلاً ، لما فيه من إيحاء بأنهم ﷺ قد تغير موقفهم من عليّ إلى القول بأنه قد بدّل[٣] بعد خلافته ، أي أنه لم يقم بالشروط التي بويع عليها ، وكان همي أن أتبين : هل في هذا القول ما يوحي بأنهم - لأجل هذا التبديل الذي ذكروا - قد أصبحت لديهم حجة يخلعون بها عليّاً ﷺ ؟ وإن موقفهم تبعاً لذلك يعني أنهم خرجوا خالعين له ، أو ناقضين لبيعته ؟

والرواية - كما لاحظنا - لم تذكر معنى وماهية (التبديل) الذي بدّله علي والذي كانت تعنيه عائشة وطلحة والزبير في الرواية ، على أن واقع الحال في الأحداث كلها يشير إلى موقفه من قتلة عثمان ﷺ ، ولو صحت هذه الإشارة ، وهي صحيحة ، فإنه حتى ولو صح أن علياً ﷺ قد قام بهذا التبديل - ولا يصح كما تبين لنا من فهم الأحداث- فإنه لا يقوم عند العلماء كعلة ومستند يجوز به الخروج على عليّ أو خلعه وعائشة، ومن معها أعلم - يقيناً - من العلماء بهذا .

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٩٧، ٤٩٨ ، وانظر أيضاً ٤/ ٤٣٤ و ٤/ ٤٦٢ .

(٢) وتأكيداً على صحة إسناد هذه الرواية ينضاف إليه ما ذكره يوسف العش في كتابه الدولة الأموية ، ص ٤١، ٥٧ حيث بحث هذه الرواية من خلال مناظرتها بالروايات الأخرى عند أبي سعيد ، مولى أبي أسيد الساعدي الأنصاري ، ورواية سهمك الأزدي ، فتبينت له صحة هذه الرواية . .

(٣) بدّل الشيء : حرفه ، والأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله ، وإن لم تأتي ببدل .
انظر: المصباح المنير ٣٩/١ .

كما أنني لم أجد في الروايات ما يعزز ما توحي به الرواية السابقة من التدليل على هذا الخلع لعلي ، أو التأليب عليه ﷺ ، بل إنني وجت في الروايات ما يدفع القول بهذا دفعاً ، فلقد روى سيف عنه شيوخه أنه لما جاء رسولا عثمان بن حنيف إلى طلحة والزبير ﭬ، وكانا على مشارف البصرة ، قادمين من مكة ، قالا لهما : ألم تبايعا علياً فقال كل منهما: بلى، واللُّج[1] على عنقي، وما أستقيل عليّاً ، إن هو لم يحل بيننا ، وبين قتلة عثمان [2].

فهذا القول منهما ﭬ، وهما في البصرة – أي بعدما انعقدت النية تماماً على الخروج، وساروا فيه حتى البصرة – دليل واضح على خلوص هدف الخروج من الخلع لعليّ[3] .

وأما ما ذكرته الرواية في قول الأحنف بن قيس : والله لا أقاتلكم ، ومعكم أم المؤمنين... إلى آخر هذا القول الدال على أنهم قد خرجوا مقاتلين لعلي ﷺ ، فإن مراجعة المعاني اللغوية للقتال تدعونا على فهم هذا القول على غير معنى القتال المعروف ، فليس معناه المقاتلة أو المحاربة ، وإنما هي على معنى المعاداة ، والمدافعة [4] .

وهذا القول بالتبديل يدخل فيما أشرت إليه قبل – عند تحليل الرواية الصحيحة الموحية بخروجهم على عليّ– من سوء الفهم أو ظن الهوادة في عليّ ﷺ.

٤– الآراء التي رسخت القول بخروجهم على خلافة عليّ :

لكن الذي جعل المسألة لم تزل متلبّسة ببعض الغيم في رؤيتها واضحةً : أنه حتى المدققين من العلماء المتقدمين ، قد ذكروا أن بعض الصحابة ومنهم عائشة ، ومعاوية ، وعمرو

---

(١) اللُّج : السيف تشبيهاً بلج البحر . قال ابن منظور : وفي حديث طلحة بن عبيد (الله) (إنهم أدخلوني الحشَّ : وقربوا ووضعوا اللج على قفيَّ) قال الأصمعي : اللج اسم يسمى السيف ، وكما قالوا الصمصامة ، وذو الفقار ، ونحوه شبهه بلجة البحر في هوله .
انظر: النهاية في غريب الحديث ٢٣٤/٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٤٦٢/٤ .

(٣) ولقد عرض الإمام ابن العربي لهذا القول بدعوى أنهم قد خلعوه : فقال : وأما خلعهم فباطل ، لأن الخلع لا يكون إلا بنظر من الجميع ، فيمكن أن يولى واحد ، أو اثنان ، ولا يكون الخلع إلا بعد الإثبات ، والبيان . العواصم من القواصم لابن العربي ، ص ١٥٥، ١٥٦ .

(٤) انظر : النهاية في غريب الحديث ١٢/٤-١٣ .

بن العاص ، والزبير ، وابنه عبدالله ، وطلحة ، وابنه محمد ، والنعمان بن بشير (١)، ومعاوية بن حُديج (٢) ، ومن كان على رأيهم من الصحابة الذين تخلفوا عن بيعة عليّ بالمدينة .

وقالوا : إن بيعة علي لم تنعقد لافتراق الصحابة أهل الحل والعقد في الأمصار ، ولم يحضر إلا القليل ، ولا تكون البيعة إلا باتفاق أهل الحل والعقد ، ولا تلزم بعقد من تولاها من غيرهم، أو من القليل منهم ، وأن المسلمين حينئذ فوضى ، فيطالبون أولاً بدم عثمان ثم يجتمعون على إمام ، ثم ذكروا إجماع العلماء بعد ذلك على تعين الخطأ من جهة أصحاب هذا الرأي ، وخاصة طلحة والزبير لانتقادهما على عليّ بعد البيعة له ، فيما نقل ، مع دفع التأثيم عن كل من الفريقين ، كالشأن في المجتهدين (٣) .

والحقيقة التاريخية - كما مر آنفاً - لم يكن فيها أدنى إشارة إلى أن عائشة أو واحداً من هؤلاء الصحابة قد أنتقض على بيعة عليّ أو لم يبايعه (٤) ، أو حاول خلعه لأجل ما ذكره ابن خلدون من قولهم بافتراق الصحابة ، أهل الحل والعقد بالأمصار ، ولم يختلف رأي الصحابة، وعلماء الأمصار من بعدهم عن انعقاد بيعة عليّ ، ولزومها للمسلمين جميعاً (٥) .

---

(١)هو النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري ، أول مولود في الإسلام من لأنصار بعد الهجرة ، قتل رضي الله عنه بحمص حيث كان عاملاً عليها لابن الزبير عام ٦٥هـ.

انظر ترجمته في: الإصابة لابن حجر ٣/٥٥٩.

(٢) معاوية بن حديج ، ابن جفنة ، ابن قنبرة بن حارث بن عبد شمس ، يكنى أبا عبدالرحمن ، يعد في أهل مصر ، وعندهم حديثه ، قال ابن عبدالبر : يقولون إنه الذي قتل محمد بن أبي بكر بأمر عمرو بن العاص . قال أبو عمر : كان قد غزا أفريقية ثلاث مرات مفترقات ، وذكر عن عبد الرحمن بن شمامة المهري ، قال : دخلنا على عائشة ، فسألتنا : كيف كان أميركم هذا ؟ تعني معاوية بن حديج ، فقالوا : ما نقمنا عليه شيئاً ، وأثنوا عليه خيراً ، قالوا : إن هلك بعير أخلف عيراً ، وإن هلك فرس أخلف فرساً ، وإن أبق خادماً أخلف خادماً . فقلت حينئذ (اللهم أغفر لي إن كنت لأبغضه من اجل أنه قتل أخي) ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول (اللهم من رفق بأمتي فأرفق به ، ومن شق عليهم فأشقق عليه) .

الاستيعاب لابن عبدالبر ٣/ ٤٦٨ .

(٣) المقدمة لابن خلدون ٢/ ٦١٨ .

(٤) روايات امتناع الصحابة عن بيعة علي رضي الله عنه ليست مما يوثق بها من الروايات ، فالروايتان اللتان نقلهما الطبري في تاريخه ٤/٤٢٩ ، ٤٣٠ ، وذُكرت فيها أسماء من امتنع عن بيعة علي مأخوذتان عن مجهولين ، ثم إنهما جاءتا عند الطبري من طريق عمر بن شبة ، وروايات عمر بن شبة عن الفتنة غير جديرة بالثقة .

(٥) النووي في شرحه لصحيح مسلم ٥/ ٢٤٢ ، كتاب فضائل الصحابة .

انظر : الأحكام السلطانية للماوردي ، ص ١٣، ١٤ .

ورفض ابن العربي أن يكونوا قد خلعوا عليّاً قائلاً ((وأما خلعهم لعلي فباطـــل ، لأن الخلع لا يكون إلا بنظر من الجميع ، ولا يكون الخلع إلا بعد الإثبات والبيان) ، ثم ذكر قول ابن حجر عن المهلب (أن أحداً لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا عليّاً في الخلافة ، ولا دعوا أحداً منهم ليولوه الخلافة) (1).

ولقد سبق ذكر المفاوضات بين طلحة والزبير وعلي ، وما كان من مبايعتـــهم لـــه ، والمناقشة التي دارت بينهم في ضرورة إقامة الحدود على قتلة عثمان ﷺ ، وهو ما يدلل أيـــضاً على أنهم كانوا يناقشون معه في الأمر كخليفة ، له في أعناقهم بيعة .

وكل ما في الأمر أن عائشة ﷺ أنكرت هي ومن معها على عليّ بيعة من قتل عثمـــان وترك القصاص منهم ، فلقد كانوا حسني الظن بعلي فلم يظنوا به الممالأة على قتل عثمان ﷺ، وإنما ظنوا به الهوادة في ذلك ومن هنا فإنهم لم يخلعوه ، وخرجوا لتحريك الرأي العـــام عنـــد المسلمين في اتجاه الإسراع بإقامة الحدود وإيماناً منهم وفهماً لحقيقة المسئولية القائمة على الأمة في إقامة شرع الله ، والذي ذكرته وسأذكره - إن شاء الله - في سرد الأحداث يؤكد هـــذا الرأي ولا يناقضه .

---

(1) فتح الباري لابن حجر 13/ 70 ، والعواصم من القواصم لابن العربي ، ص155.

وقد توالت التحليلات القائمة على غير رواية صحيحة . وإن محاولة استقصائها مما يطول بها المقام ، غير أنني أذكر مثالاً واحداً هنا مما ذكره العقاد ، فلقد ذهب - مخطئاً - إلى أن عائشة ومن معها قد طلبوا عليّاً بالقود من قتلة عثمان ، ولم يبايعوه ، مع أن القود لا يكون إلا من ولي الأمر المعترف له بإقامة الحدود ، وقال : ولو أن المطالبين بدم عثمان التمسوا أقرب الطرق إلى الثأر له والقصاص من العادين عليه ، لقد كان هذا أقرب الطرق على ما أرادوا : يؤيدون ولي الأمر حتى يقوى على إقامة الحدود ، ثم يحاسبونه بحكم الشريعة حساب إنصاف ، إلا أنهم طلبوا مالا يجاب ، وما لم يكن من حقهم أن يطلبوه.

ولو لاحظنا لوجدنا أن العقاد قد بنى قوله بأنه ليس من حقهم مطالبة عليّ بالقود على أساس اعتقاده الخاطئ ، بأنهم لم تكن عندهم بيعة لعليّ ﷺ، وهذا غير صحيح ، كما بينا ، وكما سوف نبين الآن .

ولقد يعد الشطر الأول من قوله دليلاً على أنهم طالبوه بالقود إلا وله في أعناقهم بيعة ، فما كانت هذه البديهة لتغيب عنهم رضوان الله عليهم جميعاً ، هذا من جانب . ومن جانب آخر ، فإن الاستعراض التاريخي للروايات الصحيحة لم يكن فيه أدنى إشارة إلى أنهم لم يبايعوا ، بل كان الاختلاف في الروايات ما بين : هل بايعوا مكرهين ، أم بايعوا دون إكراه ؟ انظر : عبقرية الإمام ، للعقاد ، ص 96، 97

ولم يكن عليّ ﷺ يشك في ذلك كما أنه لم تصح على الناحية المقابلة رواية لعليّ قال فيها بهذا القول : بل إنه لما تعامل معهم في كافة أدوار الأزمة : منذ علم بخروجهم ، ولما خرج في إثرهم ، ولما سعى إلى الصلح معهم ، وما كان من سيرته مع من قاتل من أهل الجمل ، لم يتعامل معهم كخارجين عليه ، أو ناقضين لبيعته ، أو غير مبايعين من الأساس ، وهو ما سوف يتضح لنا جليّاً في الصفحات التالية .

كل ذلك يدل على رد القول بأن عائشة ﷺ، ومن معها كانوا خارجين على عليّ ﷺ، لقد كان له ﷺ في عنق عائشة ﷺ وطلحة والزبير ومن معهم ﷺ بيعة ، بدليل آخر ، هو أنه لم تصح رواية واحدة قالت بخلعهم له أو خروجهم على طاعته .

٥- الروايات المقدوحة الزاعمة أن عائشة ﷺ وطلحة والزبير ﷺ كانوا رافضين لخلافة عليّ ﷺ:

لقد اتضح لنا ويتضح أكثر أن ما يخالف ما انتهينا إليه ، لا يكون إلا داخلاً في الروايات الموضوعة أو المقدوحة لكن من باب الحرص على تجلية الأمر ، وإيضاحه على وجه اليقين ، نعاود التوقف أمام هذه الروايات الموضوعة أو المقدوحة ، والشائعة في الدراسات الخاصة بهذا الموضوع .

فالتعرض لما يخص منها ، عائشة ﷺ بشكل مباشر ، فهو مفهوم ، وأما ما نعرض له مما يخص طلحة ، والزبير ﷺ ، فإنه عند التحقيق يعود فيخص عائشة ﷺ من ناحية أن القدح في أي من الصحابيين الجليلين ينال عائشة معهما ، فلقد كانت وجهتهم جميعاً واحدة ، وإنه حتى إذا قلنا – جدلاً – : أن القدح فيهما لا ينالها ﷺ ، فإنه يبقى كدليل على أنه قد تم التغرير بها ، والسير بها في وجهة غير واضحة المعالم ، وهو ما يؤثر في سلامة الحكم ، ويُهز الثقة في قدرتها ﷺ على الفعل السياسي الراشد.

والرواية الأولى هي عند الطبري والتي فيها رفض طلحة لخلافة علي ﷺ ، وهي ما جاء عن عمر بن أبي شبة ، عن أبي مخنف ، وفيها أنه لما بايع الناس عليّاً ﷺ قال طلحة ﷺ (ما لنا من هذا الأمر إلا كحِسة أنف الكلب) (١)

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٢٩ ، وهذا التعبير الذي يبدو منكراً ، يعني أن طلحة والزبير ليس لهما حظ من السلطة في خلافة عليّ .

وهي رواية عرض لها صاحب كتاب : مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري بالنقد [1] ، فقال : إن الإمام أحمد قد أخرج المبايعة لعليّ بسند صحيح في (فضائل الصحابة) وبالسند نفسه الذي ساقه أبو مخنف في الرواية التي ذكرناها ، مما لا يثبت أن الرواية واحدة ، وأن التغير - أو بالأصح التحريف - طرأ من أبي مخنف ، إذ ليس في سند الرواية من أتهم بمثل ما أتهم به. وقارن الباحث بين الروايتين ، وانتهى من المقارنة إلى أن هذه الزيادة المدعاة على طلحة رضي الله عنه : (مالنا في هذا الأمر إلا كحسة أنف الكلب) لا يوجد لها ذكر عند الإمام أحمد ، وهي من تحريف أبي مخنف ، وهي كلمة منكرة لم ترد عند غير أبي مخنف في إسناد صحيح أو ضعيف .

ولقد جاء ذكر الطبري في رواية كل رجالها ثقات أن محمد بن سيرين قال : إن علياً جاء فقال لطلحة : أبسط يدك يا طلحة لأبايعك ، فقال طلحة ، أنت أحق ، وأنت أمير المؤمنين ، فابسط يدك ، قال : فبسط عليّ يده فبايعه [2] .

والرواية الثانية وهي رواية أحمد بن زهير التي جاء فيها أنهم لما تواقفوا ، خرج عليّ على فرسه ، فدعا الزبير ، فتواقفا ، فقال عليّ للزبير : ما جاء بك ، قال : أنت ، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً ، ولا أولى به منا ، وزادت الرواية أن علياً ذكّر الزبير بأن رسول الله ﷺ مرَّ عليهما فقال لعليّ : (ما يقول ابن عمتك ؟ ليقاتلنك ! وهو لك ظالم) فانصرف عنه الزبير [3].

هذه الرواية عن أحمد بن زهير ، فأما متنها فلا يستقيم هو أيضاً ، لأنه هل يعقل أن يكون الزبير وطلحة رضي الله عنهما ، قد تنازلا عن الخلافة كما دلت رواية سيف ، ورواية محمد بن سيرين : ورفضاها وأصرا على عليّ بأن يقبلها هو ، وأقرا عنده أنه أحق بها منهما ، وبايعاه ، ثم يأتيان الآن ليقولا بخلاف ما قالاه ، وهما من هما عدالة ، إن هذا مما لا يعقل ، بلا ريب ، منهجاً وعقيدةً كما لا يلائم المعروف من سجاياهما رضي الله عنهما .

---

(١) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص ٢٩٣، ٢٩٥ ليحيى بن إبراهيم اليحيى .

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٤٣٤ ، والرواية عن علي بن مسلم عن حيان بن هلال ، عن جعفر بن سليمان بن عوف ، قال : (أما أنا فأشهد أن محمد بن سيرين يقول .... الخ) .

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٥٠٨، ٥٠٩ .

وما جاء في هذه الرواية من الخبر عن رسول الله ﷺ ، وتنبؤه بان الزبير يقاتل عليّاً ، وهو له ظالم ، خبر غير صحيح ، فلقد ذكر ابن كثير ما يماثله ، وقال : وهو ضعيف ، وأورده البيهقي ، وقال (وهذا غريب) [1] .

وبهذا يتأكد لنا أن عائشة رضي الله عنها ، ومن معها لم يكونوا رافضين لخلافة علي ، ولم يخرجوا إلى البصرة لمحاربته ، وعليه فليسوا خارجين على أمير المؤمنين .

٦- لماذا خرج عليّ رضي الله عنه في إثرهم :

لما علم علي رضي الله عنه بخروج عائشة رضي الله عنها ومن معها للبصرة خرج إليهم، وكان الهدف من هذا الخروج هو إدراك طلحة والزبير ليحول بينهم وبين هذا الخروج حيث تقول الرواية (خرج يبادر وهو يرجوا أن يدركهم ، ويردهم)[2] ، فعلي رضي الله عنه لم يكن ليجلس في بيته عن هذا وهو ولي أمر المسلمين .

يظهر مما سبق بل ويتأكد أنه رضي الله عنه كان حسن النية شديد التقدير لآلام الخارجين إلى البصرة ، وضيق ما واجهوه من مقتل عثمان رضي الله عنه وبعد مقتله من تعدٍ لحدود الله ، فلذلك كان موقناً من صدق وجهتهم ، فلذلك قال ما يتضح به صدق نيته وثقته بهم وبما قاموا به من حيث قال (إن الذي ننويه هو الإصلاح إن قبلوا منا وأجابونا إليه ... فإن لم يجيبوا ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر .. فإن لم يرضوا ندعهم ما تركونا فإن لم يتركونا امتنعنا منهم) [3] ، ولكن استبان له في الطريق أنهم قد فاتوه[4].

ولكن كان للجموع السبئية الملتصقة بعلي رضي الله عنه وبجيشه ، أشد الأثر في تحوّل الأحداث على النحو المؤلم الذي انتهى إليه كما سيأتي بيانه حيث كانت وشاياتهم وما اختلقوه من أقوال يفسدون بها بين علي وبين عائشة ومن كان معها - رضي الله عن الجميع- ، ليضمنوا بذلك استمرار الفتنة والعياذ بالله .

---

(١) ينظر العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي ، ١٥٣ .

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٤٥٥، ٤٧٧ .

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٤٧٩ عن سيف ، وهو ما يبين خطأ ما ذهب إليه اليعقوبي في تاريخه ٢/ ١٨٢ ، وأنساب الأشراف للبلاذري ٢/ ١٣٨ من أن عليّاً قد خرج محارباً لهم لنكثهم البيعة . .

(٤) المصدر السابق ٤/ ٤٥٥، ٤٧٧ .

٧- هل كان عليّ يراهم خارجين عليه :

وعلى الرغم من خروجه ﷺ في إثرهم ، فإنه لم يكن يراهم خارجين على الأمة ، أو ناكثين للبيعة التي بايعوها ، فلقد كان أول تعليق له ﷺ على خروجهم قوله : (إن الله جل وعلاّ جعل لظالم هذه الأمة العفو والمغفرة ، وجعل لمن لزم الأمر واستقام الفوز والنجاة ، فمن لم يسعه الحق أخذ بالباطل) ، ثم قال : (وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم، وأكف إن كفوا، وأقتصر على ما بلغني منهم)(١).

وكان ﷺ لما عرض عليه رجال من طيء وبكر بن وائل ، حين مرّ بديارهم أن يخرجوا معه يشكر لهم ذلك ، ويطلب منهم أن يلزموا قرارهم (٢) ، ويتضح هذا لنا أيضاً ، فيما ذكره أبنٌ لرفاعة بن رافع (٣)، عن علي ﷺ ، لما أراد الخروج من الربدة إلى البصرة ، سأله : يا أمير المؤمنين أي شيء تريد ، وإلى أين تذهب بنا ؟ فقال : أما الذي نريد وننوي فالإصلاح ، إن قبلوا منا وأجابونا إليه ، قال : فإن لم يجيبوا إليه ؟ قال : ندعهم بعذرهم، ونعطيهم الحق ونصبر، قال : فإن لم يرضوا ، قال ندعهم ما تركونا ، قال : فإن لم يتركونا ؟ قال : امتنعنا منهم ، قال : فنعم إذاً (٤) .

بل إنه ﷺ كان يعلن لأنصاره في خروجه ، وفي وضوح تام ، أن عائشة وأصحابها ، كانوا أصحاب حجة وعذر فيما خرجوا إليه ، فلقد سأله أحد أصحابه : (هل لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم إن كانوا يريدون الله في ذلك ؟قال : نعم ، قال : فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غداً : قال : إني لأرجو ألا يقتل منا ومنهم أحد نقى قلبه لله إلا أدخله الله الجنة)(٥) .

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٥٥ من رواية سيف .

(٢) المصدر السابق ٤/٤٨٠-٤٨١ من رواية سيف .

(٣) رفاعة بن رافع بن مالك الأنصاري الخزرجي الزرقي ، وأمه أم مالك بنت عبد الله بن أبي سلول ، شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وشهد الجمل و صفين مع علي .
انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٢/٢٧٩ .

(٤) تاريخ الطبري ٤/٤٧٩ من رواية سيف .

(٥) تاريخ الطبري ٤/ ٤٩٦ من رواية سيف ، وراجع الرواية الأخرى في نفس المعنى عن مالك بن حبيب وفيها (فإن ابتلينا فما بال قتلانا وقتلاهم ؟) قال (من أراد الله ﷻ نفعه ذلك ، وكان نجاءه) تاريخ الطبري ٤/٤٩٦ .
وانظر : البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢٥٠ .

وهو قول يدل على أن علياً كان يفهم المسألة كخلاف في الرأي ، وهو حق ما كان عليّ في فضله ينكره على أصحابه ، ولم يكن في هذا القول ما يعبر عن اعتبار خروج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ومن معها خروجاً على الخليفة ، ومفارقةً لطاعته .

وكان الصحابة الذين خرجوا معه لا يفهمون المسألة إلا على هذا الوجه ، ولا يقبلون من علي غير ذلك ، وهو مادل عليه ما روي من أنه لما قال عليّ ما قال ، قام الحجاج بن غزيّة الأنصاري [1] فقال (لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول)[2] ، وحتى عمار رضي الله عنه رغم حماسه في الوقوف إلى جنب عليّ رضي الله عنه ، لما انتهت المعركة ، قال لعليّ : كيف تقول في أبناء من قتلناه ؟ قال : لا سبيل عليهم ، قال : لو قلت غير ذلك خالفناك[3] .

وعندما بعث عليّ إلى أهل الكوفة كان هدفه كما قال : ليشهدوا معه على أهل البصرة، فإن يرجعوا فذاك ما يريد ، وإن يلجُّو دارهم بالرفق ، وباينهم يبدؤوه بظلم ، وقال : لن ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه فساد إن شاء الله [4] . وهذا بقية الأحداث التي أذكرها إن شاء الله في الصفحات المقبلات ستزيد هذا الأمر إيضاحاً ، وتأكيداً .

٨- محاولات علي رضي الله عنه الإصلاح في البصرة :

ولما نزل علي رضي الله عنه على مقربة من البصرة ، دعا القعقاع بن عمرو[5] رضي الله عنه ، فأرسله إلى عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم ، فبدأ بعائشة رضي الله عنها ، (وابتداؤه بها دليل على عظيم قدرها عندهم) ، فسلم عليها وقال : أي أمَّه ، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة ؟ قالت : أي بني ،

---

(١) الحجاج بن عمرو بن غزية الأنصاري الخزرجي النجاري ، قال البخاري :له صحبة ، شهد صفين مع علي ، وهو الذي كان يقول عند القتال : يا معشر الأنصار ، أتريدون أن نقول لربنا إذا لقيناه : إنا أطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلونا السبيلا ؟

انظر: أسد الغابة لابن الأثير ١/ ٦٩٢ ، الإصابة لابن حجر ١/ ٣٠ ، والاستيعاب لابن عبد البر ١/ ٣٨٧ ، وتقريب التهذيب لابن حجر ١/ ١٥٣ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٢٦٧ .

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٤٧٩ .

(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٨/ ٢٢٦ .

(٤) تاريخ الطبري ٤/ ٤٨٨ .

(٥) القعقاع بن عمرو التميمي : كان من الشجعان الفرسان ، قيل : كان أبو بكر الصديق يقول : لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل ، وقال لخالد بن الوليد عنه : لا يهزم جيش فيه مثله ، وله في قتال الفرس في القادسية وغيرها بلاء عظيم .

انظر: الإصابة لابن حجر ٥/ ٣٤٢، ٣٤٤ .

إصلاح بين الناس ، قال : فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما ، فبعثت إليهما فجاءا ، فقال : ما تقولان ، أمتابعان أم مخالفان ؟ قالا: متابعان : قال : فأخبروني ما وجه هذا الإصلاح ، فوالله لئن عرفنا لنصلحن ، ولئن أنكرناه لا نصلح ، قالا : قتلة عثمان ﷺ ، فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن ، وإن عمل به كان أحياءاً للقرآن .

فقال : قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم ، قتلتم ستمائة إلا رجلاً ، فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم ، وطلبتم ذلك الذي أفْلَتَ - يعني حرقوص بن زهير - فمنعه ستة آلاف وهم على رِجْل ، فإن تركتموه كنتم تاركين لما تقولون ، وإن قاتلتموهم فأُديلوا عليكم ، فالذي حذرتم أعظم مما أراكم تكرهون ، وأنتم أحييتم مضر وربيعة من هذه البلاد ، فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرةً لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير .

فقالت أم المؤمنين : فتقول أنت ماذا ؟ قال : أقول : هذا الأمر دواءه التسكين ، وإذا سكن أختُلجوا ، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ، ودَرَك بثأر هذا الرجل ، وعافية وسلامة لهذه الأمة .. إن هذا الأمر الذي حدث أمر ليس يقدر ، وليس كالأمور ، ولا كقتل الرجل الرجل ولا النفر الرجل ، ولا القبيلة الرجل . فقالوا : نعم ، فرجع إلى علي ﷺ ، وأشرف القوم على الصلح (١) .

٩- بشائر الاتفاق بين الفريقين :

وأقبلت وفود البصرة نحو عليّ ﷺ حين نزل بذي قار ، قبل رجوع القعقاع لينظروا ما رأي إخوانهم من أهل الكوفة ، وعلى أي حال نهضوا إليهم ، وليُعلموهم أن الذي عليه رأيهم الإصلاح ولا يخطر لهم قتال على بال (٢) ، وهنا أطمئنت نفس علي ﷺ بذلك ، وبما رأى من وفود البصرة .

فلما عاد القعقاع وأخبره بما فعل ، أرسل علي ﷺ رسولين (٣) إلى عائشة والزبير ومن معهم يستوثق فيه مما جاء به القعقاع بن عمرو ، فجاء عليّاً (بأنا على ما فارقنا عليه القعقاع ،

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٨٨، ٤٨٩ من رواية سيف .

(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٨٨، ٤٨٩ .

(٣) كان الرسولان هما : حكيم بن سلامة ومالك بن حبيب ، الطبري ٤/ ٥٠٥ من رواية سيف .

فأقدم) فارتحل علي حتى نزل بحيالهم ، فنزلت القبائل إلى قبائلهم: مضر إلى مضر ، وربيعة إلى ربيعة ، واليمن إلى اليمن ، وهم لا يشكّون في الصلح ، فكان بعضهم بحيال بعض ، وبعضهم يخرج إلى بعض ، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح [1] .

قام عليّ ﷺ فحمد الله ﷻ وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ، وذكر الجاهلية وشقاءها والإسلام والسعادة وإنعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله ﷺ ثم الذي يليه ، ثم حدث هذا الحدث الذي جره على الأمة أقوام طلبوا الدنيا ، حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة ، وأرادوا رد الأشياء على أدبارها، والله بالغ أمره ومصيب ما أراد .

وكان عليّ ﷺ لما نوى الرحيل قد أعلن قراره الخطير (ألا وإني راحل غداً فارتحلوا - يقصد إلى البصرة - ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان بشيء من شيء من أمور الناس)[2].

فلا شك أن عليّاً ﷺ كان يريد أن يثبت لعائشة وطلحة والزبير - رضي الله عنهم- عزمه على الإصلاح بعدما رأى من وفود أهل البصرة ، وما رجع به القعقاع والرسولان من بعده من عندهم ، بدليل أنه ﷺ لم يطلب هذا الطلب بمفارقة من أعان على قتل عثمان له منذ خرج من المدينة ، وإنما فعله هاهنا بين يدي الصلح مع عائشة ومن معها ، وكان ﷺ قد بعث إلى رؤساء أصحابه ليتشاور معهم في الصلح ، ولم يبعث إلى أحد ناهض عثمان ﷺ [3] .

وكانت هذه هي المرة الثانية منذ خلافته والتي طلب فيها هذا الطلب ، وكأنه - والله أعلم- قد وجد في اتفاق المسلمين واتفاق الكوفيين والبصريين قوة على أمره ، مع ذهاب خوفه على أهل المدينة من تحكم هؤلاء الغوغاء ، فاتخذ قراره .

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٠٥ من رواية سيف .

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٤٩٤ .

(٣) المرجع السابق ٤/ ٥٠٦ .

المسألة الخامسة : تحقيق القول في مسألة مرور أم المؤمنين عائشة ﵂ على ماء الحوأب :

كانت مسألة الحوأب (١) والأحاديث المذكورة فيها مجالاً خصباً للشيعة وغيرهم يطعنون بها على أم المؤمنين عائشة ﵂ ويدينون بها خروجها في شأن الطلب بدم عثمان ﵁ ، حتى انتهى بهم الأمر إلى نفي صفة الاجتهاد عنها (٢) ، بدعوى مخالفتها — في زعمهم — لنهي النبي ﷺ لها عن أن ترد ماء الحوأب (٣) .

ما هي حقيقة مسألة الحوأب ؟ وما هي الدلالة الحقيقية لهذه المسألة ؟ هذا ما سوف نحتاج فيه إلى وقفة غير قصيرة للبحث في أصل القصة ، خاصة وقد جاءت فيها روايات تاريخية عديدة ، وجرى فيها خلاف واسع بين العلماء ، ونبدأ بعرض روايات الحوأب في المصادر التاريخية على شكل مسائل :

١- الروايات الضعيفة لمسألة الحوأب ونقدها :

جاءت قصة الحوأب عند الطبري ، في رواية طويلة قال (حدثني إسماعيل بن موسى الفزاري ، قال : أخبرنا علي بن عابس الأزرق ، قال حدثنا أبو الخطاب الهجري ، عن صفوان بن قبيصة الأحمسي(٤) قال حدثني العُرَني ، صاحب الجمل ، قال بينما أنا أسير على جمل إذ عرض لي راكب ، فقال : يا صاحب الجمل ، تبيع جملك ، قلت : نعم ، قال : بكم قلت : بألف درهم، قال : مجنون أنت ؟ ، جمل يباع بألف درهم ؟ قال : قلت : نعم ، جملي هذا ، قال :

---

(١) تقدم التعريف به في أول المبحث .

(٢) انظر : صب العذاب على من سب الأصحاب لمحمد شكري الألوسي ، ص ٣١٦ ، تحقيق : عبد الله شعيب البخاري، مكتبة أضواء السلف ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦/ ٢١٧ وتأمل حرص الشيعة على نفي صفة الاجتهاد عنها في هذا الموقف بالذات ، ربما لأن علماء المسلمين لما توقفوا عن هذه المسألة اعتبروها اجتهاداً منها كما سوف نرى في متن الرسالة .

(٣) رأى بعض العلماء والمحدثين من أمثال ابن العربي ومحب الدين الخطيب ، في هذا الحديث تخطئة لعائشة ﵂ ، وتناقضاً على عدالتها المؤكدة ، فعمدوا إلى تضعيفه اعتماداً على الرواية التي ذكرها الطبري ، ولا نشك في نزاهتهم العلمية التي يشهد بها تاريخهم ، واعتقادي أنهم لم يطلعوا على الروايات الأخرى الصحيحة التي سوف أذكرها هنا ، انظر العواصم من القواصم لابن العربي ، ص ٢٨٦ ، وذهب آخرون إلى إنكار الحديث مثل الأفغاني الذي قال : في النفس من صحة هذا الحديث شيء ، وأكد على هذا الإنكار بأنه لو كان الخبر صحيحاً لرجعت عائشة من فورها ، عائشة والسياسة للأفغاني ، ص ٨٩ . وقد تكلم فيه الشيخ الألباني على هذا الحديث وتعقب أبابكر بن العربي ومحب الدين الخطيب رحمهما الله تعالى في سلسلته الصحيحة ﵀ وجزاه الله عن السنة وأهلها خيراً .

(٤) يأتي التعريف بهم جميعاً.

ومم ذلك ؟ قلت : ما طلبت عليه أحداً قط إلا أدركته ، ولا طلبني وأنا عليه أحد إلا فُتُّه ، قال: لو تعلم لمن نريده لأحسنت بيعنا ، قال قلت : ولمن تريده ، قال : لأمك ، قلت : تركت أمي في بيتها قاعدة ، ما تريد بَرَاحاً ، قال : إنما نريده لأم المؤمنين عائشة ، قلت : فهو لك ، فخذه بغير ثمن ، قال : لا ، ولكن ارجع معنا إلى الرحل ، فنعطك ناقة مهرية ، ونزيدك دراهم، قال ، فرجعت فأعطوني ناقة لها مهرّية ، وزادوني أربعمائة أو ستمائة درهم ، فقال لي : يا أخا عُرَينة ، هل لك دلالة بالطريق ، قال : قلت نعم ، أنا من أدرك الناس ، قال : فسر معنا : فسرت معهم فلا أمر على واد ، ولا ماء إلا سألوني ، حتى طرقنا ماء الحوأب ، فنبحتنا كلابها، قالوا : أي ماء هذا ؟ ، قلت : ماء الحوأب ، قال فصرخت عائشة بأعلى صوتها ، ثم ضربت عضُد بعيرها، فأناخته ، ثم قالت : أنا والله صاحبة كلاب الحوأب طُروقاً ، ردُوني ، تقولها ثلاثاً، فأناخت ، وأناخوا حولها ، وهم على ذلك ، وهي تأبى حتى كانت الساعة التي أناخوا فيها من الغد ، قال فجاءها ابن الزبير ، وهو يقول النجاء النجاء ، فقد أدرككم والله علي بن أبي طالب ! قال : فارتحلوا وشتموني ، فانصرفت .

فما سرت إلا قليلاً وإذا بعلي ، وركب معه نحو من ثلاثمائة ، فقال لي عليٌّ : يا أيها الراكب! فأتيته ، فقال : أين أتيت الظعينة ، قلت في مكان كذا وكذا ، وهذه ناقتها ، وبعتهم جملي ، قال : وقد ركبته ، قلت : نعم ، وسرت معهم حتى أتينا ماء الحوأب ، فنبحت عليها كلابها ، فقالت : كذا وكذا ، فلما رأيت اختلاط أمرهم انفلتتُ ، وارتحلوا ، فقال عليُ : هل لك دلالة بذي قار ، قلت لعلي : أدل النَّاس ، قال : فسر معنا ، فسرنا حتى نزلنا ذا قار ....

[حوار معاتبة بين عليٌّ و الحسن] . قال عليٌّ إن النبي ﷺ قُبض ، وما أرى أحداً أحق بهذا الأمر مني ، فبايع الناس أبابكر ، فبايعت كما بايعوا ، ثم أن أبابكر رضي الله عنه هلك ، ما أرى أحداً أحق بهذا الأمر مني ، فبايع الناس عمر بن الخطاب ، فبايعت كما بايعوا ، ثم إن عمر رضي الله عنه هلك وما أرى أحداً أحق بهذا الأمر مني ، فبايع الناس عثمان، فبايعت كما بايعوا ، ثم سار الناس إلى عثمان رضي الله عنه فقتلوه ، ثم أتوني فبايعوني طائعين غير مكرهين ، فأنا مقاتل من خالفني بمن اتبعني حتى يحكم الله بيني وبينهم ، وهو خير الحاكمين)[1]

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٥٦، ٤٥٨.

نقد رواية الطبري السابقة :

هذه هي الرواية الأولى للحوأب عند الطبري ، يرويها إسماعيل بن موسى الفزاري [1] ، قال عنه ابن عدي : أنكروا منه الغلو والتشيع ، وقال ابن عدي أيضاً : سمعت عبدان الأهوازي يقول سمعت أبابكر بن أبي شيبة ، أو هنّاد بن السري أنكر علينا ذهابنا إلى إسماعيل هذا ، وقال (أيش علمتم عند ذاك الفاسق الذي يشتم السلف ! ، ويروي الفزاري هذا الخبر عن علي بن عابس الأزرق : وهو ضعيف ، قالها ابن حجر والنسائي [2] ، وهو يروي هذا الخبر عن أبي الخطاب الهجري ، وهو مجهول [3]،وهذا الهجري المجهول ، يرويه عن مجهول آخر هو صفوان بن قبيصة الأحمسي[4]، ثم أخيراً عن شخصية أشد جهالة ، هي شخصية العُرَني ، صاحب الجمل ، وما هو بصاحب الجمل ، وإنما صاحبه هو يعلى بن أمية [5] الذي جاء بالجمل من اليمن ، وركبته عائشة من مكة إلى البصرة [6] .

---

(١) إسماعيل بن موسى الفزاري : هو أبو محمد ، أو أبو اسحاق الكوفي ، صدوق ، يخطئ ، ورمي بالرفض .
انظر : تقريب التهذيب لابن حجر ١/١٠٠ ، وسير إعلام النبلاء للذهبي ١١/١٧٧ . وتقريب التهذيب لابن حجر ١/١٠٠ ، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ١/٥٢٨ ، وميزان الاعتدال للذهبي ١/٤١٣ .
وينظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/٤١٢ ، وتهذيب الكمال للمزي ٣/٢١٠ وتهذيب التهذيب ١/٢٩٢ ، والكاشف للذهبي ١/٢٥٠ ، والتاريخ الكبير للبخاري ١/٣٧٣ ، والكشف الحثيث عن من رومي بوضع الحديث لإبراهيم بن محمد بن سبط العجمي ، ص ٧٢ ، تحقيق : صبحي السامرائي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .
(٢) علي بن عابس الأزرق الأسدي ، الكوفي الملائي الوراق ، من الطبقة التاسعة من صغار أتباع التابعين ، قال ابن حجر ضعيف ، وقال الذهبي ضعفوه ومن قبلهم ضعفه ابن معين والبخاري وأبو داوود وقال الجوزجاني والنسائي الأزدي وبن حبان (فحش خطؤه فاستحق الترك ، وقال الساجي ، عنده مناكير .
ينظر تهذيب الكمال٢٠/٥٠٢ ، التهذيب ٧/٣٠١، والتقريب ١/٤٠٢ ، ولسان الميزان ٧/٣١١ ، والكاشف ٢/٤٢، والتاريخ الكبير ٦/٢٨٩ ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦/١٩٧ ، والكامل في الضعفاء لابن عدي ٥/ ١٨٩ ، والمجروحين لابن حبان ٢/١٠٥ ، والضعفاء الكبير للغفيلي ٣/٢٤٤ .
(٣) تقريب التهذيب ٢/ ٣٩٢ .
(٤) صفوان بن قبيصة أبو قبيصة ، مجهول .
ينظر : الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/٤٢٣ ، والتاريخ الكبير ٤/٣٠٩ ولسان الميزان ٣/١٩٢ ، والميزان ٣/ ٤٣٢ .
(٥) يعلى بن أميه بن أبي عبيدة بن همام التميمي ، أبو صفوان ، وهو المعروف بيعلى بن منية بنت غزوان وهي أمه وهي أخت عتبة بن غزوان ، أسلم يوم الفتح ، وشهد حنيناً والطائف وتبوك ، استعمله عمر بن الخطاب على بعض اليمن ، واستعمله عثمان على صنعاء ، قال المدايني : كان يعلى على الجند باليمن ، فبلغه قتل عثمان ، فأقبل لينصره ، فأعان الزبير بأربعمائة ألف ، وحمل سبعين رجلاً من قريش ، وحمل عائشة على الجمل الذي شهدت القتال عليه ، وكان ﷺ جواداً معروف بالكرم ، وشهد الجمل مع عائشة ﵂ ، ثم صار من أصحاب علي في صفين ، وقتل معه بصفين.
انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير ٥/٥٤١-٥٤٢ ، تحقيق : عادل أحمد الرفاعي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
(٦) تاريخ الطبري ٤/ ٥٠٦ .

أما متن هذه الرواية ، فأول ما يجده القارئ في نفسه حيت يتأملها ، هو الإحساس بالصنعة الواضحة :

فالحوار بين صاحب الجمل المزعوم وأصحاب عائشة يبدوا حواراً متكلفاً وركيكاً " ما طلبت عليه أحداً قط إلا أدركته ، ولا طلبني أحد إلا فُتُه ن قلت لمن تريده ، قال لأمك ، قلت: لقد تركت أمي في بيتيها قاعدة ، ما تريد براحاً " ولقد حكم العلماء على أحاديث بالوضع ، وكان مستندهم هو ركاكة ألفاظها ومعانيها (١) .

تصوير هذا العُرَني ، وكأنه عارف الصحراء الذي لا يبارى ، يلجأ إلى أصحاب عائشة، ثم أصحاب علي ، وكأنما خرج كل منهما ، ولم يكن معهم من دليل حتى رأوه!.

فساد القول بأنه صاحب الجمل ، إذ المعروف أن صاحب الجمل هو يعلى بن أمية ، وقد أشتراه من رجل من عُرَينة بمائتي دينار ، وقيل بثمانين ديناراً ، ثم جاء به من اليمن إلى مكة.

ولقد كان من ذكاء ملفقي القصة أن يكون بطل هذه الرواية عُرَنيّاً ، وهذه محاولة منهم لإحداث المشابهة في صورة الكلام بين الروايات الملفقة والروايات الموضوعة .

ولما كان ما كان من قتل عثمان رضي الله عنه أعطى يعلى الجمل لأم المؤمنين ، فهو الجمل الذي ركبته من مكة إلى البصرة(٢) ، وهذا عكس ما ذهبت إليه الرواية من استبدال الجمل بناقة عائشة رضي الله عنها في أثناء الطريق .

اتهام ابن الزبير بالتآمر على الجيش ، والتغرير بعائشة رضي الله عنها إذ نادى في الجيش: النّجاء النّجاء مخوفاً لهم من مداهمة جيش علي لهم ، وما كان أي الفريقين حتى هذه اللحظة يخشى الآخر وإنما كانا يسعيان إلى الإصلاح كل باجتهاده ، وما كانت عائشة غِرّةً إلى الحد الذي يستطيع هذا التخويف الأرعن والذي لا نراه يصح عن ابن الزبير في فضله ومكانته – أن ينسيها مسألة أشار إليها النبي ﷺ .

---

(١) مقدمة علوم الحديث للشهرزوي ، ص ٩٩ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٢٤٢/٧ .

رائحة الرفض والتشيع الواضحة في آخر الرواية ، حيث تزعم على لسان علي رضي الله عنه أنه كان رضي الله عنه يرى أحقيته بالخلافة على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، والصحيح الثابت من الروايات المحققة يدل على خلاف ذلك تماماً [1] ، وعلى أساس كل ما سبق يتضح لنا أن هذه الرواية غير صحيحة .

وهناك رواية أخرى أوردها الطبري وهي عن أحمد بن زهير ، قال حدثنا أبي ، قال : حدثني وهب بنُ جرير بن حازم ، قال سمعت يونس بن يزيد الأيلي [2] ، عن الزهري ، قال : بلغني أنه لما بلغ طلحة والزبير مترل عليّ بذي قار انصرفوا إلى البصرة ، فسمعت عائشة رضي الله عنها نباح كلاب ، فقالت أي ماء هذا ؟ فقالوا الحوأب فقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! إني لهيه ، قد سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو عند نساءه (ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب !) فأرادت الرجوع ، فأتاها عبدالله بن الزبير فزُعم أنه قال [لاحظ دقة الطبري في تعليقه] : كذب من قال أن هذا الحوأب ، ولم يزل حتى مضت ، فقدموا البصرة[3] إلى آخر الرواية .

غير أن هناك رواية شهيرة غير مسندة للمسعودي ، ذكرها البلاذري أيضاً عن أبي مخنف [4] ، جاء فيها ، أنهم لما جاءوا ماء الحوأب ، ونبحت كلابه فسألت عائشة ، فقيل لها هذا ماء الحوأب . فردت خطامها عنه ، وذلك لما سمعت النبي ﷺ يقول : (أيتكن صاحبة الجمل الأدبب [5] ، والتي تنبحها كلاب الحوأب ؟) فشهد طلحة والزبير أنه ليس هذا ماء

---

(١) كان علي رضي الله عنه يترل الخلفاء الراشدين قبله المترلة العالية ، فقد تواتر عنه رضي الله عنه قوله (خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر) وقد روى هذا عنه من أكثر من ثمانين وجهاً ، ورواه البخاري وغيره ، ولقد علق محب الدين الخطيب على هذا القول بقوله (ولا يوجد في تاريخ الدنيا ، ولا تاريخ الاسكندر المقدوني ، ولا تاريخ نابليون ، صحت أخباره كصحة هذا القول – من الوجهة العلمية و التاريخية – عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان يقول (لا أتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفترى)أي أن هذه الفرية توجب على صاحبها الحد الشرعي ، وعلى الرغم من عزم عثمان رضي الله عنه على الصحابة جميعاً أن لا يقاتلوا حقناً لدماء المسلمين ، وتضييقاً لنطاق الفتنة ، فإن علياً رضي الله عنه جعل ولديه الحسن والحسين على باب عثمان ، وأمرهما أن يكونا طوع إشارته في كل ما يأمرهما به ، ولو أدى ذلك إلى سفك دمهما.

(٢) يونس بن يزيد الأيلي سبق الكلام عنه وهو ثقة من رجال البخاري والقصة ضعيفة والكذب واضح من رواية الطبري لها .

(٣) تاريخ الطبري ٤٦٩/٤ .

(٤) أنساب الأشراف للبلاذري ٢٢٤/٢ .

(٥) الأدبب : الأدب أظهر الإدغام لأجل السجعة ، والأدب الكثير وبر الوجه .

انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٩٦/٢ ، وضبطها الحافظ في الفتح ٥٥/١٣ (الأَدْبَبْ).

الحوأب ، وشهد معهما خمسون رجلاً ممن كان معهم ، فكـــان ذلـــك أول شـــهادة زور في الإسلام [1] .

ولا يغيب عن القارئ الذي يُعمِل فكره فيما يقال أن هذا الخبر لا يمكن أن يستقيم إذا ما قيس على سابقة كل من طلحة والزبير رضي الله عنهما ، وهما المشهود لهما بالجنة على لسان رسول الله ﷺ ، وشهادة الزور لا تصدر إلا من رعاع لا يخشون الله عز وجل [2] .

ولقد ذكر الحاكم في مستدركه أن رسول الله ﷺ ، ذكـــر خـــروج بعـــض نـــسائه، فضحكت عائشة رضي الله عنها ، فقال (أنظري يا حميراء [3] ألا تكوني أنت) [4]، ولقد ضعف الألباني إسناد هذه الرواية بسبب محمد بن عبدالله الحفيد ، شيخ الحاكم ، لأن فيه جهالـــة ، وكـــان يشرب المسكر جهاراً على مذهبه [5] ، وقد قال الألوسي : إن (إياك أن تكوني يـــاحميراء) ليس موجوداً في الكتب المعول عليها فيما بين أهل السنة [6]، وقد مر الكلام على هذه المسألة.

وبقيت رواية أوردها الطبري عن سيف ، كما ذكرها ياقوت الحموي ، بدون إسناد في مادة (الحوأب) من معجم البلدان ، ذكر فيها أن المنبوحة من كلاب الحوأب هـــي أم زمـــل سلمى بنت مالك الفزارية التي قادت المرتدين ما بين ظفر والحوأب [7].

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢/ ٣٩٤-٣٩٥ .

(٢) وعلى الرغم من وضوح ذلك إلا أنه قد تورط بعض المؤلفين في تقرير هذه الشهادة الزور وتأكيد نسبتها إلى الصحابة ، ينظر على سبيل المثال : الصديقة بنت الصديق للعقاد ، ص ١٢٧ .

(٣) حميراء تصغير حمراء ، يريد البيضاء .

انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤٣٨/١ .

(٤) المستدرك لحاكم ٣/ ١١٩ .

(٥) صب العذاب على من سب الأصحاب للألوسي ، هامش : ٣ ، ص ٣١٧ .

(٦) صب العذاب للألوسي ، ص ٣١٧ ، وراجع ما ذكره الذهبي ، قال : قيل : أن كل حديث فيه : يا حميراء ، لم يصح، وقول شعيب الأرناؤوط ، محقق هذا الجزء من السير (في هذه الكلية نظر) واستدراكه على هذا القول الذي حكاه الذهبي بروايتين فيهما لفظ الحميراء ، سير إعلام النبلاء ٢/ ١٦٧-١٦٨ ، والروايتان على كل حال ، لا تتصلان بمسألة الحوأب .

(٧) معجم البلدان لياقوت الحموي ، بدون إسناد ٢/ ٣١٤ ، وقد أوردها الطبري مسندة عن سيف ٢٦٣/٣ .

وهذه الرواية التي ذكرها الحموي هي من نسبة هذه الرواية إلى زمل لا تصح لما ذكره الألباني من ضعف فيها (١) ، بل ولما ذكره الشيخ محب الدين الخطيب من قبله من عدم القبول بها ، رغم قوله أيضاً بعدم صحته في شأن عائشة رضي الله عنها(٢) .

ولثبوت المرور على ماء الحوأب في شأن عائشة رضي الله عنها من طرق صحيحة ، كما سوف نرى الآن .

٢- الروايات الصحيحة التي تثبت مرور عائشة على ماء الحوأب :

لقد تبين لنا أن هذه الروايات السابقة ، التي عرضت لها بالتحليل لا تصح ، وكلها روايات تعود إلى مصادر لمصنفين اتهموا بالتشيع ، ورواياتهم غير مسندة ، أو إلى مصادر لمصنفين ثقات ، أسندوا رواياتهم ، فعادت عند البحث والتحري إلى رواة رُمُوا بالرفض والتشيع .

غير أن هذه الحادثة تصح من طرق أخرى ، وبألفاظ أخرى صحيحة ، فعن يحيى بن سعيد القطان (٣) ، عن إسماعيل بن أبي خالد (٤) عن قيس بن أبي حازم (٥) ، أن رسول الله ﷺ

---

(١) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ١/ ٢٧١ ، وانظر : ملاحق ابن العربي : العواصم من القواصم ، ص ٢٧٧ .

(٢) انظر: مختصر التحفة الأثنى عشرية لمحب الدين الخطيب ، هامش صفحة ٢٧١ .

(٣) يحي بن فَرُّوخ القطان : التميمي ، البصري ، شيخ الإمام أحمد ، وهو من الثقات الاثبات قال الإمام أحمد : ما رأيت مثله وقال البزار ، حدثنا إمام أهل زمانه يحيى القطان واختلفت إليه عشرين سنة فما أظن أنه عصى الله قط ، قال فيه ابن حجر : تقريب التهذيب ثقة ، متقن ، حافظ ، إمام قدوة ، مات سنة ٩٨هـ وله ثمان وسبعون ، تقريب التهذيب لابن حجر ٢/ ٣٠٣ ، وانظر قول الألباني في السلسة الصحيحة ٧٦٧/١ ، برقم (٤٧٤) وينظر : ترجمة الإمام العلم يحيى بن سعيد القطان، تهذيب الكمال ٣١/ ٣٢٩ ، والكاشف للذهبي ٢/ ٣٦٦ ، والثقات لابن حبان ٧/ ٦١١ ، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٣٥ ، والتعديل والتجريح لابن الوليد الباجي ، طبعة درا اللواء للنشر والتوزيع بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، تحقيق أبو لبابة حسين ٢/ ١٢١٩ ، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٩٨ ، ومشاهير علماء الأنصار لأبن حبان ١٦١/١، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٩٥٩م .

(٤) إسماعيل بن أبي خالد : هرمز ، ويقال سعد ، ويقال كثير الأحمسي مولاهم البجلي ، أبو عبدالله الكوفي ، الطبقة الرابعة ، طبقة تلي الوسطى من التابعين توفى سنة ١٤٦هـ ، ثقة ثبت أخرج له أصحاب الكتب الستة ، ورأى ستة من الصحابة .
ينظر حاله وكلام العلماء عنه وثناؤهم عليه في الطبقات الكبرى لأبن سعد ٦/ ٣٤٤ ، وتهذيب الكمال ٦٩/٣، والثقات لابن حبان ١٩/٤ ، وتذكرة الحفاظ ١٥٣/١ ، ومشاهير علماء الأمصار ١١١/١، وجامع التحصيل للعلائي ١/ ١٤٥ .

(٥) قيس بن أبي حازم ، حصين البجلي الأحمسي أبو عبد الله الكوفي من كبار التابعين توفى سنة ٩٠هـ أو قبلها ، وهو ثقة مخضرم ، ويقال له رؤية ، جاوز المائة وتغير أخرج له الستة .
ينظر حاله في الإصابة للحافظ ابن حجر ٥٢٠/٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ٦٧/٦ ، وتهذيب الكمال ١٠/٢٤ ، والتهذيب ٣٤٦/٨ ، والكاشف ٢/ ١٣٨ ، والتاريخ الكبير ٧/ ١٤٥ ، والثقات لابن حبان ٥/ ٣٠٧ ، تاريخ بغداد ٤٥٢/١٢ .

قال (كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب) وفي لفظ (أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب)[1] .

والحديث مخرج أيضاً عند الإمام أحمد [2] ، وقد قال : هذا حديث صحيح الإسناد ، و لم يخرجوه ، وقال ابن كثير : هذا إسناد على شرط الصحيحين و لم يخرجوه[3] وأخرجه ابن حبان في صحيحه [4] والحاكم في مستدركه [5] ، وقال ابن حجر في الفتح ، بعد أن عزاه إلى أحمد وأبي يعلى ، والبزار (صححه ابن حبّان ، والحاكم: وشرطه على شرط الصحيحين)[6] ، وقد أورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة [7].

وقد ذكر الإمام أحمد في رواية إسنادها على شرط الصحيحين [8] أن عائشة رضي الله عنها لما أتت على ماء الحوأب فسمعت نباح الكلاب ، قالت : (ما أظنني إلا راجعة ، إن رسول الله ﷺ قال لنا : أيتكن ينبح عليها كلاب الحوأب) قال لها الزبير: (ترجعين ، عسى الله أن يصلح بك بين الناس) [9]. فهذه الروايات الصحيحة ، ليس فيها شيء من شهادة الزور أو التدليس الذي يتتره عنه مقام الصحابة ، والذي زعمته الروايات الضعيفة السابقة .

---

(١) إسناده صحيح أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ٥٣٦ .
وابن حبان انظر الإحسان ١٥/١٢٦.
وأبو يعلى في مسنده ٨/٢٨٢ .
وأخرجه البزار ٤/٩٤ .
والحاكم ٣/١٢٠ .
والبيهقي في دلائل النبوة ٦/٤١٠-٤١١.
وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٦/ ٢١١-٢١٢ وقال هذا إسناد على شرط الشيخين و لم يخرجاه .
(٢) مسند الإمام أحمد ٦/ ٥٢، ٩٧ .
(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٦/ ٢١٧ .
(٤) انظر الإحسان في صحيح ابن حبان ١٥/١٢٦ .
(٥) المستدرك للحاكم ٣/ ١٢٠.
(٦) قال الألباني : تصحيح الحاكم ليس في المطبوع ، والظاهر أنه سقط من الناسخ أو الطابع .
(٧) سلسلة الأحاديث الصحيحة لناصر الدين الألباني ٥/ ٤٧٥ .
(٨) كما قال ابن كثير في البداية والنهاية ٦/ ٢١١-٢١٢ .
(٩) وهي مذكورة في العواصم من القواصم لابن العربي ، ص ١٥٢ .

فهل في صحة الخبر على هذا النحو الذي ذكره العلماء دليل على شيء من خروج على الشريعة الإسلامية ، ويمكن أن ينسب إلى عائشة ﵂ ؟.

إن المتأمل لهذه الروايات التي صححها العلماء ، لا يجد في أي منها ما يدل على نهي عن شيء ، أو أمر بشيء لتفعله عائشة ، بل إن ما يفهم منها هو تساؤله ، عن أيتهن التي يحدث أن تمر على ماء الحوأب ؟ والروايات الدالة على النهي ، والتي بها لفظة (إياك) لم يصححها العلماء ، وإنما ضعفت على النحو الذي عرضت له آنفاً ، ومن هنا فإن الصحيح هو أن مرور عائشة على ماء الحوأب لم يكن له الأثر السلبي الذي افتعلته الروايات الموضوعة ، ولم يكن له الأثر البعيد على نفس عائشة نفسها بحيث تفكر جدياً في الرجوع عما خرجت له من إصلاح بين المسلمين ، وسعي لتسديد خطاهم ، ولم يعد الأمر أن يكون (ظناً) منها في احتمال الرجوع ، وهذا هو ما عبرت عنه حين قالت (ما أظنني إلا راجعة) وهو ظن لم يتلبس إلا يسيراً ثم عاد بعد هدفها واضحاً ، بعد ما ذكرها الزبير بما عسى الله أن يجريه على يديها من إصلاح بين المسلمين .

ولقد قال الألوسي : (ثم إنه لا يرد محذوراً ، لأنها اجتهدت فسارت حين لم تعلم أن طريقها هذا المكان ، وحيث علمت لم يمكنها الرجوع لعدم موافقة الصحابة الباقين لها في الرجوع ، لما قد يفوتها من الإصلاح بين الناس ، فلا جرم مرت على ما قصدت إليه من إصلاح ذات البين المأمور به بلا شبهة) . وقد شبه حالها ﵂ الألوسي ، في ذلك بحال شخص رأى من بعيد طفلاً يريد أن يقع في بئر ، فسعى ليمنعه من ذلك ، فمر بلا شعور بين يدي مصل ، فإنه يذهب لما قصد إليه ، لأنه لو رجع لم يحصل له تلافي ما وقع ، وفاته تخليص الطفل، المأمور به [1] .

وقد تكرر هذا الإخبار النبوي عن هذا الأمر في صور أخرى منها ما رواه الإمام أحمد بإسناده (أن رسول الله ﷺ قال لعلي : أنه سيكون بينك وبين عائشة أمر ، قال : أنا يا رسول

---

(١) الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهورية (٣٤) للأوسي نقلاً عن صب العذاب على من سب الأصحاب (٣١٨) .

لله ﷺ قال : نعم قال : أنا أشقاهم يا رسول الله ﷺ ، قال لا ، ولكن إذا كان ذلك فأرددها إلى مأمنها [1] ، وفي الحديثين ليس ثمة نهي عن شيء أو أمر بشيء .

ولو افترضنا - جدلاً - إنه كان ثمة محذور في كونها رضي الله عنها هي صاحبة الحـــوأب - ولا يصلح هذا الفرض ، كما بينا - فإن استمرارها رضي الله عنها في المسير إلى البصرة بعدما تبين لها أن الماء هو ماء الحوأب كان ناتجاً عن اجتهادها رضي الله عنها وهي من أهل الاجتهاد بإجماع الأمة كلها - ولا ريب - في القدوم على المسلمين لعل الله أن يصلح بها ذات بينهم (ولم يكن في الخبر عن النبي ﷺ نهي صريح ينافي الاجتهاد)[2].

فمسألة الحوأب إذن - حسب الدلالة العلمية والتاريخية - غير ذات ضخامة ومكانة لمن أراد توجيهها للطعن على خروج عائشة رضي الله عنها وفعلها الواعي للإصلاح بين المسلمين ، ولا مجال فيها لتخطئتها رضي الله عنها .

والأمر الذي يؤكد علاوة على ما سبق من كون حديث المرور بماء الحوأب يقـــف - على العكس تماماً مما أُريد له - في صف مشروعية خروج عائـــشة رضي الله عنها في الإصـــلاح بـــين المسلمين ، لأنها أم المؤمنين ليس ذلك فقط بل وفقيهة الصحابة وكانت تستعين بمحضر الكبار في المدينة وكان إليها المنتهى في الفتوى فهي فقيهة مفتية رضي الله عنها إضافة إلى هذا ، ما لها من المكانة في قلوب عموم المؤمنين والمسلمين، ولمكانتها من رسول الله ﷺ، فهي الحصان الـــرزان حبيـــة رسول الله ﷺ وابنة الصديق رضي الله عنهما .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٦/ ٣٩٣ .

والطبراني في معجمه الكبير ١/ ٣٣٢ .

والبزار في مسنده ٣٢٦/٩ لأبي بكر أحمد بن عمرو البزار ، تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله ، مكتبة العلوم والحكم ، السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

وهذا حديث مختلف فيه وسبب الاختلاف فيه الاختلاف حول حال الفضيل بن سليمان ، وعليه كان الحكم على الحديث ، فمن ضعفه ضعف الحديث ومن وثقة صحح الحديث - والذي يتبين لي - والله أعلم - قول الحافظ ابن حجر (صدوق وله خطأ كثير ، ولذا اخرج له البخاري في الصحيح أحاديث لم يخطأ فيها ، وأيضاً نرى الحافظ بن حجر ، حسن هذا الحديث في فتح الباري ١٣/ ٥٥ ، فقال : (واخرج أحمد والبزار بسند حسن) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٧٤/٧ رواه أحمد والبزار والطبراني ورجاله ثقات ، والحديث كذلك أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار ، برقم (٤٨٩٩) ليجمع بينه وبين حديث الحوأب ، والله أعلم ، وله شاهد حسنه ابن عساكر في (مناقب أمهات المؤمنين) ، ص ٧١ ، ورقم (١١) .

(٢) صب العذاب على من سب الأصحاب للألوسي ، ص ٣١٧-٣١٨ .

المسألة السادسة : ملابسات موقعة الجمل :

وفيها :

١- السبئية تعيد الفتنة من جديد :

عندما اجتمع نفر ممن سار إلى عثمان رضي الله عنه ، وممن رضي بسير من سار إليه ، وكان فيهم ابن السوداء ، وتشاوروا فقالوا : ما الرأي ، وهذا والله عليّ ، وهو أبصر الناس بكتاب الله وأقرب ممن يطلب قتلة عثمان ، وأقربهم إلى العمل بذلك ، وهو يقول ما يقول (يشيرون إلى خطبته السابقة ، وطلبه مفارقة من أعان على عثمان بشيء) و لم ينفر إليه إلا هم والقليل من غيرهم ، فكيف به إذا شامَّ القوم وشامُّوه [١] ، وإذا رأوا قلتنا في كثرتهم . وقام الأشتر [٢] فقال (.. أما عليّ فلم نعرف أمره حتى كان اليوم ورأى الناس فينا والله واحد . وإن يصطلحوا فعلى دمائنا ، فهلموا فلنتواثب على عليّ فنلحقه بعثمان ، فتعود فتنة يُرضَى منا فيها بالسكون)[٣].

وجعلوا يترادُّون الرأي حتى قال لهم ابن سبأ : (إن عزم في خُلطه الناس ، فصانعوهم ، وإذا التقى الناس غداً فأنشبوا القتال ، ولا تُفرِّغُوهم للنظر ، فإذا من أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع ، ويشغل الله عليّاً وطلحة والزبير ، ومن رأى رأيهم عما تكرهون . وتفرقوا والناس لا يشعرون)[٤].

وكان عليّ قد بعث من العشي عبدالله بن عباس إلى طلحة والزبير ، وبعثا هما من العشي محمد بن طلحة إلى علي ، فباتوا على الصلح ليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية من الذي أشرفوا عليه ، وبات الذين اثاروا أمر عثمان بشر ليلة ، وغدوا مع الغلس ، وما يشعر بهم أحد ، فانسلوا انسلالاً ، فوضعوا السلاح في المسلمين من الفريقين [٥] .

---

(١) شامَّ : شام مخايل الشيء ، تتطلع نحوها ببصره ينظر إليها .

انظر: النهاية في غريب الحديث ٥٠٢/٢ .

(٢) سبق التعريف به .

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٤٩٥ .

(٤) المصدر السابق ٤/ ٤٩٤ .

(٥) هذا القول ينقض ما ذهبت إليه الرواية الموضوعة أو المقدوحة لأحمد بن زهير ، والتي جاء فيها أن الفريقين كانا قد تواقفا للقتال . تاريخ الطبري ٥٠٨/٤ .

ومن هول المفاجأة ظن كل من الفريقين بصاحبه السوء ، والسبئية لا تفتر إنشاباً ، فجاء كعب بن سور[1] إلى عائشة مستغيثاً ، أدركي فقد أبى القوم إلا القتال ، لعل الله أن يصلح بك . فركبت ، والبسوا هودجها الأدراع ، ثم بعثوا جملها وفي حومة المعركة حاولت عائشة ﵂ كما حاول عليّ والزبير وطلحة والصحابة جميعاً - أن توقف المعركة، فقالت : خل يا كعب عن البعير ، وتقدم بكتاب الله ﷻ فادعهم إليه ، ودفعت إليه مصحفاً ، ولكن أتراهم يستجيبون للمصحف ، ولوكان عندهم بقية خير ما أنشبوا الحرب أصلاً .

لقد أشتد خوف السبئية من أن يجري الصلح بين الناس ، فبينما كان كعب يستقبلهم بالمصحف ، وعليّ من خلفهم يَزَعُهم[2]، كانوا هم لا ينتهون ، ويأبون إلا إقداماً ، وحتى رشقوا كعباً ﵁ رشقاً واحداً فقتلوه ، ورموا عائشة في هودجها ، فجعلت تنادي ، يا بني البقية البقية [3] ، ويعلو صوتها كثرة : الله الله أذكروا الله ﷻ والحساب،فيأبون [4].

وكان يبدو واضحاً أنهم كانوا يتعمدون ضرب عائشة ﵂ ، والنيل منها .

مع ذلك فقد كانت تحرص الحرص كله على أن لا تبدأ بحرب أو مقاتلة ، فلقد كانت نيتها واضحة ، وهدفها أبلج ، حتى في الوقت الذي يتحكم فيه الغضب في الإنسان ، وربما يحس بقسوة الغدر ، والمباغتة بإنشاب القتال ، ولم تكن الأمور قد وضحت على النحو الذي يفهمون منه أن ما حدث كان من فعل السبئية ، لا من فعل عليّ وأصحابه ، ففي وسط المعركة ، وبينما الناس يشتدون عليها ، وعلى من معها ، ناداها محمد بن طلحة السجاد [5] ،

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٠٩ .

(٢) يزعهم : يكفهم ويصرفهم .

انظر: النهاية في غريب الحديث ١٧٩/٥ .

(٣) البقية : ما بقى من الشيء ، ومنه قوله تعالى (بقيت الله خير لكم) قال الزجاج : معناه الحال التي تبقى لكم من الخير خير لكم ، وقيل معناه : طاعة الله خير لكم ، وقال الفراء : ياقوم ، ما أُبقي لكم من الحلال خير لكم ، وفي قوله تعالى (والباقيات الصالحات) قيل معناه : كل عمل صالح يبقى ثوابه .

انظر: لسان العرب لابن منظور ٨٠/١٤ .

(٤) تاريخ الطبري ٤/ ٥٢٧ .

(٥) محمد بن طلحة : الملقب بالسجاد لعبادته وتألهه . ولد في حياة النبي ﷺ ، قتل شاباً يوم الجمل ، لم يزل به أبوه حتى صار معه ، وأمه هي حمنة بنت جحش ، أخت أم المؤمنين زينب ، .

انظر: العقد الثمين للفرسي ٣٦/٢ ، وشذرات الذهب لابن العماد ١/ ٤٣ ، ونسب قريش للزبيري ، ص ٢٨١ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣٦٨/٤ ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ، ص ١٣٨ .

قائلاً : (يا أمتاه ، مريني بأمرك ، فقالت له : آمرك أن تكون خير ابني أدم إن تركت) فجعل لا يحمل على أحد إلا إذا حمل عليه[1] ، إنها أم المؤمنين الورعة التقية في كل حال وموقف .

كانت السبئية في مقدمة جيش عليّ رضي الله عنه ، فلم يكن لمن مع عائشة بدٌّ من المقاتلة ، فجعلت تقول : أيها الناس ألعنوا قتلة عثمان وأشياعهم ، وأقبلت تدعوا ، وضج أهل البصرة بالدعاء ، فجعل يدعوا بما تدعوا به عائشة رضي الله عنها [2] .

لقد تنبهت رضي الله عنها إلى أن هؤلاء الذين لا يتوقفون عن الغي ليسوا إلا قتلة عثمان رضي الله عنه وأشياعهم ، وأنهم ليسوا منتهين ، فما كان معها إلا سلاح الدعاء عليهم ، وهو تنبه ينبئ عن حضور ذهني واضح في هذه اللحظة العصيبة ، ولقد أكد ذلك أنهم لما سمعوا دعاءها أشتد إصرارهم على قصدها رضي الله عنها ، وهو ما يؤكده أن المعركة كلها صارت في اتجاه جمل عائشة حتى صار الهودج كالقنفذ من كثرة ما رشق فيه من النبال [3] ، ولقد كانوا يريدون قتل عائشة رضي الله عنها ليطمئنوا إلى أنه لن يسعى في طلبهم بعدها أحد في قومها ، وخاصة وقد قتل طلحة والزبير رضي الله عنهما .

ولقد استماتوا في ذلك ، فما تركوا فرصة للفريقين يتبينون فيها ما يحدث ، وكان هذا هو عمل ابن السوداء ، حيث قال : (لا تُفَرِغُوهم للنظر) .

إنها حالة المطلوب الذي أحس أنه يوشك أن يؤخذ ، فلم يجد أمامه إلا أن يضرب يمنة ويسرة فيمن حوله غير مهموم إلا بنفسه خاصة ، وأنه على يقين أن المسلمين لن يضيعوا حدود الله ، أو يتهاونون فيها ، واستمرت المعركة حتى المساء ، فلما أمسوا تقدم عليّ رضي الله عنه ، وأُحيط بالجمل ، وعندئذ كف بعض الناس عن بعض [4] .

٢- الروايات التي زعمت حرص عائشة رضي الله عنها على القتال :

وعلى الرغم من هذه الروايات الصحيحة في موقف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ومحاولاتها إيقاف الحرب بكل ما أمكنها من وسيلة ، فإنه جاء عند الطبري ، عن عمر بن شبة عن أبي

---

(١) الجمل ، ومسيرة عائشة لسيف بن عمر ، ص ٣٣٥ ، والكامل لابن الأثير ٣/ ١٣٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٥١٣ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢٤٣ .

(٤) تاريخ الطبري ٤/ ٥٢٧ .

الحسن المدائني [1] ، عن الحجاج بن أرطأة [2] ، عن عمار بن معاوية الدُّهني [3] ، قال أخـذ عليّ مصحفاً يوم الجمل ، فطاف به في أصحابه ، وقال : من يأخذ هذا المصحف ، ويدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول ؟ ! ، فقام إليه فتى من أهل الكوفة عليه قباء [4] أبيض محشو ، فقـال : أنا، فأعرض عنه ، ثم كرر مقالته ، والفتى نفسه يجيبه حتى لما كانت الثالثة دفعه إليه ، فدعاهم، فقطعوا يده اليمنى ، فأخذه بيده اليسرى ، فدعاهم ، فقطعوا يده اليسرى ، فأخذه بـصدره ، والدماء تسيل على قبائه ، فقتل رحمه الله ، فقال عليّ : الآن حل قتالهم ، فقالت أم الفتى :

لا هُـمَّ إن مـسلماً دعـاهم ... يتلـو كتـاب الله لا يخـشاهم
وأُمـه قائمـة تراهـم ... يـأتمرون الغـي لا تنهـاهم
وقـد خـضبت مـن علـق لحـاهم [5]

(١) المدائني : هو العلامة الصادق علي بن محمد بن عبدالله ، أبو الحسن ، رواية ، مؤرخ ، كثير التصانيف ، من أهل البصرة ، ولد سنة ١٣٢هـ ، وتوفي سنة ٢٢٥ هـ ، وكان مصدقاً فيما ينقله ، عالي الإسناد ، موثقاً من أئمة علماء الجرح والتعديل ، قال عنه يحي بن معين (ثقة ثقة ثقة) وقال ابن عدي : (ليس بالقوي في الحديث) ، قال الطبري : كان عالماً بأيام الناس صدوقاً في ذلك .

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/ ٤٠٠ ، ميزان الاعتدال للذهبي ١٥٣/٣ ، لسان الميزان لابن حجر ٤/ ٢٥٤ .

(٢) الحجاج بن أرطأة النخعي : الكوفي ، سمع عطاء ، وروى عنه الثوري ، وشعبة ، لكن ابن المبارك قال كان الحجاج مدلساً ، وقال يحي بن يعلى : أمرنا زائدة أن نترك حديث الحجاج بن أرطأة.

انظر: كتاب الضعفاء الصغير للبخاري ، ص ٣٦ ، والتاريخ الكبير ٢/ ٣٦٧ ، وكتاب المدلسين لأبي زرعة ، ص٤٠. وميزان الاعتدال للذهبي ، ص ١٩٧. وخلاصة تهذيب الكمال للخزرجي ، ص٦١ .

(٣) عمّار الدُّهني : الإمام المحدث ، أبو معاوية ، عمار بن معاوية بن أسلم البجلي ، ثم الدُّهني ، وهم حي من أحمس بجيلة ، الكوفي ، حدث عن سعيد بن جبير ، وإبراهيم النخعي ، وإبراهيم التيمي ، الذي له رؤية ، وحدث عنه شعبة ، وسفيان ، وعيينة ، وشريك ، وغيرهم ، وثقه الإمام أحمد بن حنبل وجماعة . توفى سنة ١٣٣هـ .

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٦/ ١٣٨ ، والتاريخ الكبير للبخاري ٢٨/٧ ، وشذرات الذهب لابن العماد ١/ ١٩١.

(٤) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص ، ويتمنطق عليه .

انظر: المعجم الوسيط ٢/ ٧١٣ .

(٥)تاريخ الطبري ٤/ ٥١١، ٥١٢ .

هذه الرواية كما نرى جاءت عن الحجاج بن أرطأة ، وهو مرفوض الرواية عند المحدثين، وعلى ثقة العلماء في عمّار بن معاوية الدُّهني ، إلا أنه ليس ممن حضر المعركة ، ثم إن الرواية لم تذكر اسم من اخذ عنه الدُّهني ، كما أن هذه الرواية تذهب إلى عكس ما تم استعراضه في الروايات الصحيحة التي عرضنا لها .

فجعل عليّاً رضي الله عنه هو الذي دفع بالمصحف يدعوا الناس إلى الاحتكام إليه ، والصحيح كما مر بنا أن التي فعلت ذلك هي عائشة رضي الله عنها ، ويجوز التعدد على أي حال .

كما تذهب إلى عكس الحقيقة ، من حرصها رضي الله عنها على حقن الدماء ، فتجعلها رضي الله عنها ترى المسلمين يقتلون من يدعوهم إلى المصحف ، فلا تنهاهم .

كما أن الذي عليه الرواية الصحيحة أن الذي قام بحمل المصحف بأمر عائشة رضي الله عنها هو كعب بن سور ، قاضي البصرة رضي الله عنه وأرضاه ، وليس هذا الفتى الكوفي.

وفوق هذا التضاد والتناقض مع الروايات الصحيحة ، فإن الرواية تدعي معرفة عليّ رضي الله عنه بالغيب ، وما علمنا من الشرع أنه يعلم الغيب أحد إلا الله .

فالرواية لا يصح اعتمادها للتعبير عن القول بحرص عائشة رضي الله عنها على الحرب ، وعدم نهيها من معها من المسلمين عن البغي ، والغي[1] .

٣- هل كانت وقعة الجمل حرباً بين جيش عليّ وجيش عائشة ؟

إن استعراض ما حدث يؤكد عندنا أن هذه الموقعة لم تكن حرباً بين هذين الفريقين ، بالمعنى المعروف للتحارب ، وإنما كانت الموقعة فخاً وقع فيه الفريقان معاً ، من التشويه للحقيقة التاريخية أن تسمى هذه الحادثة حرباً بين عليّ ومن معه ، وعائشة ومن معها [2] ، فهم لا يريدوها ، ولم يبتدئوها ، ولو تذكرنا أحداث المعركة لوجدنا إن عائشة رضي الله عنها لم تكن في الميدان أول إنشاب المعركة ، فلقد كانت في البيت الذي نزلت فيه مطمئنة إلى إتمام الصلح بين الفريقين ، وما جاءت إلا بعدما استغاث بها كعب بن سور وأخبرها بما حدث .

---

(١) ولا يصح كذلك ما رواه أحمد بن زهير في روايته المنكرة ،كما قال المحدثون ، تاريخ الطبري ٥٠٩/٤ ، من أن عليّاً رضي الله عنه قال لعائشة بعد المعركة : استفززت الناس ، وقد فزوا ، فألبت بينهم ، حتى قتل بعضهم بعضاً.. في كلام كثير منكر.

(٢) هذا ما قالت به معظم الدراسات انظر مثلاً : دراسة وتحليل للعهد العربي الأصيل لمحمد جميل بيهم ، ص ١٨٨ ، والحزبية السياسية لرياض عيسى ، ص ٦٩ ، وقد قال : إنها أول حرب أهلية بين المسلمين ، بل وذهبت التخريجات الفقهية التي حاولت تبرير هذا التراع بين الصحابة إلى تكريس القول بأنها حرب حقيقية .

والحرب لا تكون إلا بين متعادين و لم تكن الأمور على حال العداوة كما تبين لنا من استعراض الأحداث التاريخية قبل المعركة ، والذي ينظر فيما حدث بعد الموقعة يتأكد له أيضاً صحة ما يلي :

فإنه بعد الموقعة سألت عائشة عن عدة من الناس ، منهم من كان معها ، ومنهم من كان مع عليّ ، فكلما نُعي لها منهم أحد قالت : يرحمه الله [1] ، والشيء نفسه فعله عليٌّ رضي الله عنه جعل لا يمر على أحد من أصحاب عائشة مقتولاً إلا ذكره بالخير ، وصلى على القتلى من الفريقين ، ونادى مناديه (لا تتبعوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تدخلوا دار أحد)[2] .

و لم يتعامل علي رضي الله عنه مع جيش عائشة تعامل من كانوا متحاربين ، وإنما جمع ما كان في العسكر من شيء ، ثم بعث به إلى مسجد البصرة ونادى مناديه (إن من عرف شيئاً فليأخذه)[3]، ورد كل شيء أجلبوا به ، أو لم يجلبوا به على ورثتهم ، وكان من سيرته فيمن أُجهز عليه ، وهو رثيث أن يَدِيه [4] .

ولما دخل البصرة انتهى إلى المسجد ثم راح إلى عائشة على بغلته ، بل إنه رضي الله عنه لما استقبلته صفية بنت الحارث [5] استقبالاً سيئاً اشتكاها لعائشة رضي الله عنها قائلاً : جبهتنا صفية [6] .

وكان كبار الصحابة من الجيشين يغشون عائشة رضي الله عنها ويسلمون عليها ، ودخل القعقاع بن عمرو عليها رضي الله عنها في أول من دخل ، فسلم عليها فسألته عن الرجل الذي قال : (يا أمنا أعق أمٍّ نعلم) فأخبرها ، وقال لها (كذب والله ، إنك لأبرّ أم نعلم، ولكن لم تطاعي)[1].

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٣٧ .

(٢) فتح الباري ٦٢/١٣ .

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٥٣٩ .

(٤) الجمل ، ومسيرة عائشة، وعلي لسيف بن عمر ، ص ٣٤٥ . والرواية ليست مما ذكر الطبري . ومعنى يديه : أي يقضي له بالدية .

(٥) صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة ، وهي أم طلحة بن عبد الله المعروف بطلحة الطلحات، شهد حجة الوداع ، وله رواية عن عائشة رضي الله عنها في السنن ، وكانت نزلت عليها في قصر بني خلف في وقعة الجمل ، وروى عنها محمد بن سيرين وغيره .

انظر: الإصابة ٢٠٩/٨ .

(٦) تاريخ الطبري ٤/ ٥٣٩، ٥٤٠ .

وهو قول له دلالته العظيمة ، فهو رأي رأس من كبار رؤوس وقادة جيش عليّ رضي الله عنه ، وهو يعني أن هدفها النبيل - لو أطيعت فيه - ما كان ليؤدي إلى هذه الخاتمة.

ولما قام رجل من جهّال الأزد يقول : (والله لا تُفلتُتنا هذه المرأة أبداً) ، غضب عليّ رضي الله عنه، ولما لحق به رجل أخبره فأخبره أن رجلين ينالان من عائشة ، بعث القعقاع إليهما ، فقال: (اضرب أعناقهما) ثم قال : (لأنهكنهما عقوبة) ، وضربهما ، مائة ، مائة ، وأخرجهما من ثيابهما [٢] .

ولما همت بالرجوع ، جهزها علي بكل شيء ينبغي لها من مركب ، أو زاد ، أو متاع ، وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها ، إلا من أحب المقام ، وأختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات ، وقال لمحمد بن أبي بكر ، تجهز يا محمد فبلّغها [٣]) .

ولما جاء يوم رحيلها جاءها علي حتى وقف لها ، وحضر الناس ، فخرجت عليهم ، وودعوها ، وقالت : يا بني ، تعتَّب بعضُنا على بعض استبطاءً ، واستزادةً ، فلا يَعْتدَّنَّ أحد منك على أحد بشيء بلغه من ذلك ، إنه والله ما كان بيني وبين عليّ في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه على معتبتي له لمن الأخيار . وقال عليّ : أيها الناس ، صدقت والله وبرّت ، وما كان بيني وبينها إلا ما قالت ، وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ، وخرج معها يشيعها أميالاً ، وسرح بنيه معها يوماً [٤].

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٣٧ .

(٢) المصدر السابق ٤/ ٥٤٠ .

(٣) تاريخ الطبري ٤/٥٤٤ .

(٤) المرجع السابق ٤/ ٥٤٤ .

المبحث الرابع : دعوى الرافضة رفض عائشة الدخول في طاعة علي وتحت رايته رضي الله عنهما .

القائلون بهذه الدعوى :

قال بهذه الدعوى الروافض الشيعة وفي ذلك أخباراً مكذوبة اختلقها ساستهم وأئمتهم لتأييد هذه الدعوى على رعاعهم وكرروها في كتبهم بلا نكير بل للاستشهاد والاحتجاج .

تفنيد هذه الدعوى :

ودعواهم رفض أم المؤمنين رضي الله عنها الدخول في طاعة علي وتحت رايته يقصدون به ابتداء بأنها تقر ببيعته وخرجت عليه وانتهاءاً بأنه رضي الله عنه دعاها رضي الله عنها للتحاكم إلى كتاب الله والصلح فرفضت.

فيزعمون أن عائشة رضي الله عنها رفضت الدخول في طاعة علي رضي الله عنه حين دعها إلى الصلح والرجوع إلى بيتها ، وأصرّت على حربه .

فقد أسند الملقب بالصدوق – وهو كذوب – إلى علي بن أبي طالب –زوراً وبهتاناً – أنه قال (دعوتُ المرأة إلى الرجوع إلى بيتها ، والقوم الذين حملوها على الوفاء ببيعتهم لي ، والترك لنقضهم عهد الله عز وجل فيَّ ، وأعطيتهم عن نفسي كل الذي قدرت عليه ... فلم يزدادوا إلا جهلاً وتمادياً وغياً ..) [(١)].

وهذه الرواية تفيد أن علياً رضي الله عنه هو الذي طلب الصلح ، ولكن عائشة ومن معها رفضوا. بينما نجد رواية أخرى عند الشيعة تفيد أن التي طلبت الصلح هي عائشة ، وأن الذي رفضه هو علي رضي الله عنه[(٢)] .

وهذه تناقضات الشيعة الكثيرة التي ملئوا بها كتبهم .

ويدعي الشيعة أن علياً رضي الله عنه أرسل غلاماً يحمل مصحفاً يدعو القوم إلى الصلح والدخول في طاعته ، ولكن عائشة أمرت بقتله [(٣)] .

ثم فتشت عن رجل شديد العداوة لعلي ، فأرسلت معه الجواب على رسالته : فقد أسند الصفار ، والراوندي ، واللفظ للصفار – إلى جعفر الصادق – زوراً وبهتاناً – أنه قال (إن

---

(١) الخصال للصدوق ٢/٣٧٧-٣٧٨ .

(٢) انظر علم اليقين للكاشاني ٢/٧٢٢ .

(٣) انظر الجمل للمفيد ، ص ١٨١ .

عائشة قالت : التمسوا لي رجلاً شديد العداوة لهذا الرجل حتى أبعث إليه . قال. : فأتيت به، فمثل بين يديها ، فرفعت إليه رأسها ، فقالت : ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل ؟ قال : فقال : كثير ما أتمنى على ربي أنه وأصحابه في وسطي فضربته ضربة بالسيف ، فسبق السيف الدم . قالت : فأنت له : فاذهب بكتابي هذا فادفعه إليه ظاعناً رأيته أو مقيماً ، أما إنك إن رأيته راكباً على بغلة رسول الله ﷺ متنكباً قوسه معلقاً كنانته بقربوس سرجه، وأصحابه خلفه كأنهم طير صوافٌ ، فتعطيه كتابي هذا ، وإن عرض عليك طعامه وشرابه فلا تتناولن منه شيئاً فإن فيه السحر ، ... فذهب إليه وأعطاه الكتاب ، فطلب منه علي أن يصيب من طعامه ، فأبى ، فأخبره علي بكل ما قالته عائشة ، ثم قال له : ارجع إليها بكتابي هذا ، وقل لها : ما أطعت الله ولا ورسوله حيث أمرك الله بلزوم بيتك ، فخرجت ترددين في العسكر فجاء بكتابه حتى طرحه إليها ، وأبلغها مقالته ..) - وزاد الراوندي - (فقالت : ما نبعث إليه أحداً إلا أفسده علينا) [1].

وأما ما يرويه الشيعة الرافضة من الحوادث التي وقعت عند بدء المعركة : فقد زعموا أن عائشة رضي الله عنها لما بدأت المعركة كانت تركب الجمل ، وتحمل السلاح وترتجز :

شكوت رأساً قد مللت حمله وقد مللت دهنه وغسله
ألا فتى يحمل عنّا كلّه [2].

وأخذت تحرض الناس وتغريهم ليقتلوا علي بن أبي طالب [3] ، وقتل حول جملها الكثير من الناس ، وهي مسرورة من ذلك [4]، ويعجب الشيعة ! كيف استبسل الناس في الدفاع عنها، والموت من حول جملها ، حتى لا تمس بسوء ، بينما لم ينصر أحد منهم فاطمة ابنة رسول الله ﷺ لما خرجت تطالب بحقها في الميراث :

يقول ابن طاووس (ومن طريف ذلك : أن عائشة بنت أبي بكر تخرج من مكة إلى البصرة لقتال علي عليه السلام ، وقتل بني هاشم ، وسفك دماء جماعة من الصحابة والتابعين

---

(١) بصائر الدرجات الكبرى للصفار ، ص ٢٦٢ . والخرايج والجرايح للراوندي ، ص ١١٥- ١١٦ . وانظر الصراط المستقيم للبياضي ١٠٨/١.

(٢) انظر: الصراط المستقيم للبياضي ٣/ ١٦٢ .

(٣) انظر: سيرة الأئمة الاثنا عشر لهاشم الحسيني ٤٥٦/١ .

(٤) انظر: الصراط المستقيم للبياضي ١٦٢/٣.

والصالحين ، فيخرج لنصرتها ، وصحبتها ، وصلة جناحها ، ومساعدتها على الظلم والعدوان الخلق الكثير والجّم الغفير ، مع ما تقدّم ذكره من سوء أحوالها ، ومع ما كانوا يعلمون أنّ عائشة هتكت حجاب الله تعالى وحجاب رسوله) [١] .

ويقول البياضي :" وقد بذل أهل عسكرها مهجهم في رضاها ، وقعدوا عن ابنة النبي ﷺ وآله لما طلبت إرثها ونحلة أبيها ، ولم يكن في معونة فاطمة كفرٌ ولا مجاهدة كما في عائشة، فقعودهم عنها أعظم نكراً كنهوضهم مع ابنة أبي بكر ثم أنشأ يقول :

ما صح أن المسلمين بأمة — لمحمد بل أمة لعتيق

جاءت تطالب فاطمة بتراثها — فتقاعدوا عنها بكل طريق

وتسارعوا نحو القتال جميعهم — لما دعتهم ابنة الصديق

فقعودهم عن هذه ونهوضهم — مع هذه يغني عن التحقيق"[٢].

ويقول الحلي : " كيف أطاعها على خروجها إلى البصرة عشرات الألوف من المسلمين ساعدوها على حرب علي ، ولم ينصر أحد منهم بنت رسول الله ﷺ وآله لما طلبت حقها من أبي بكر ، ولا شخص واحد كلّمه بكلمة واحدة" [٣].

إلى آخر ما أوردوه في كتبهم من ترهات .

ثم يروي الشيعة أن علياً تغلب على أصحاب الجمل ، وعقر جمل عائشة ، وطلب من أخيها محمد أن يترلها دار ابني خلف الخزاعي ، وأمر مناديه فنادى : لا يدقق على جريح ، ولا يتبع مدبر ، ومن أغلق بابه فهو آمن .

ثم أرسل علي عبدالله بن عباس إلى عائشة - رضي الله عنهم- ، يطلب منها تعجيل الرحيل إلى المدينة ، فدخل عليها بغير إذنها - كما يروي الشيعة - ، وجلس ، فقالت له عائشة من وراء الستر (يا ابن عباس ! أخطأت السنة ، دخلت بيتنا بغير إذننا ، وجلست على متاعنا بغير إذننا ، فقال لها ابن عباس : نحن أولى بالسنة منك ، ونحن علمناك السنة ، وإنما بيتك الذي خلفك فيه رسول الله ، فخرجت منه ظالمة لنفسك ، غاشّة لدينك ، عاتية على ربك ، عاصية

---

(١) انظر الطرائف لابن طاووس ، ص ٢٨٦ . والكشكول لحيدر الآملي ، ص ١٥٨ .

(٢) الصراط المستقيم للبياضي ، ٣/ ١٦١-١٦٢ .

(٣) منهاج الكرامة . المطبوع مع منهاج السنة ٢/ ١٨٣ .

لرسول الله ﷺ وآله ، فإذا رجعت إلى بيتك لم ندخله إلا بإذنك ، و لم نجلس على متاعــك إلا بأمرك ، إن أمير المؤمنين (ع) بعث إليك يأمرك بالرحيل إلى المدينة وقلّة العرجة ...الخ)[1] .

وهذه القصة عمدتها أبو مخنف ، لوط بن يحيى الإخباري التالف ، والشيعي المحتــرق ، وقد تقدمت أقوال علماء الجرح والتعديل فيه [2].

إلى آخر ما أوردوه في هذا الباب من الأكاذيب والترهات .

الرد على هذه المزاعم :

أولاً : مضى الكلام بالتفصيل في المبحث السابق عن ما حدث وبيان وجه الصواب فيه ولكن في هذا المبحث وبما أنه في دعواهم أنها (أم المؤمنين) رفضت الدخول في طاعة علي فسأبين فيه أنها رضي الله عنها لم ترفض الدخول في طاعته وسأتعرض للفرق بين مطالبتها هي وطلحة والزبير ، لدم الأمير المظلوم (عثمان بن عفان رضي الله عنه) وبين حال معاوية رضي الله عنه ومطالبته لدم أمــير المــؤمنين عثمان ، فأقول :

من المتفق عليه والمعروف بين الإخباريين والمؤرخين أن الخلاف بين علــي ومعاويــة كالخلاف بين علي من جهة وطلحة والزبير وأم المؤمنين من جهة أخرى رضي الله عنهم، حيث كان سببه: تعجيل القصاص من قتلة عثمان ، و لم يكن خروج طلحة والــزبير وأم المــؤمنين إلى البصرة إلا لهذا .

فقد روى الإمام الطبري أن عائشة رضي الله عنها بعد أن قضت عمرتها خرجت قاصدة المدينة ، فلقيها رجل من أخوالها من بني ليث ، فأخبرها بمقتل عثمان رضي الله عنه ، فرجعت إلى مكــة حــتى نزلت بباب المسجد ، وقصدت حجر إسماعيل عليه السلام فتسترت فيه ، واجتمع النــاس إليهــا ،

---

(١) انظر : تاريخ اليعقوبي ١٨٣/٢ . والأمالي للمفيد ، ص ٢٤-٢٥ .

(٢) في ص ٢٦٨ ، وانظر هذه القصة في : اختيار معرفة الرجال للطوسي ، ص٥٧-٦٠ . وانظر : تاريخ اليعقوبي ١٨٣/٢ . والشافي في الإمامة للمرتضى ، ص ٢٩٢ ، وتلخيص الصافي للطوسي ، ص ٤٦٥-٤٦٦ . وشرح نهج البلاغة لابن الحديد ٨٢/٢ . وبحار الأنوار للمجلسي ٤١٥/٨ . والدرجات الرفيعة للشيرازي ، ص ١٠٨-١٠٩ . وسيرة الأئمة الاثنا عشر لهاشم الحسيني ٤٦١/١- ٤٦٢ . وأحاديث أم المؤمنين لمرتضى العسكري ٢٥٥/١-٢٥٦ .

فأنبأهم بسفك دم عثمان من غير حجة ولا عذر وقالت (والله لأصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم ، فنجاة من اجتماعكم عليهم حتى ينكل بهم غيرهم ويشرد من بعدهم ...)(١).

وروى كذلك أن عائشة رضي الله عنها حين انصرفت راجعة إلى مكة أتاها عبدالله بن عامر الحضرمي - أمير مكة - فقال لها (ما ردّك يا أم المؤمنين ؟) قالت (ردني أن عثمان قتل مظلوماً ، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر ، فاطلبوا بدم عثمان تعزُّوا الإسلام) (٢)

وعندما قدم طلحة والزبير من المدينة ، وعبدالله بن عامر من البصرة ، ويعلى بن منيّة - من اليمن ، واجتمع ملأهم بعد نظر طويل على الشخوص إلى البصرة ، وقالت عائشة (أيها الناس ، إن هذا حدث عظيم وأمر منكر ، فانهضوا فيه إلى إخوانكم من أهل البصرة فأنكروه ، فقد كفاهم أهل الشام ما عندهم لعل الله عز وجل يدرك لعثمان وللمسلمين بثأرهم) (٣) .

ويروي الإمام الطبري كذلك أن عائشة رضي الله عنها عندما قدمت البصرة طالبت الناس بشيئين أولهما : أخذ قتلة عثمان رضي الله عنه . وثانيهما : إقامة كتاب الله عز وجل(٤).

ولم يكن ثمة شك في حرص طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم على المسارعة في ضرب الخوارج الذين قتلوا عثمان والمطالبة بدمه ، فما أن استقر رأيهم في الذهاب إلى البصرة ، بعد المشورة حتى نادى مناديهم (إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة ، فمن كان يريد إعزاز الإسلام ، وقتال المحلّين والطلب بثأر عثمان ، ومن لم يكن عنده مركب أو جهاز فهذا جهاز وهذه نفقة) (٥) .

وفي رواية أخرى أن طلحة والزبير وعائشة وآخرين كانوا معهم (أجمع ملؤهم على الطلب بدم عثمان وقتال السبئية) (٦) .

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٤٩-٤٥٠ .

(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٥٠ .

(٣) المرجع السابق ٤/٤٥٠ .

(٤) المرجع السابق ٤/٤٦٤ .

(٥) المرجع السابق ٤/٤٥١ .

(٦) المرجع السابق ٤/٤٥٤ .

ويروي الإمام الطبري أن الأحنف بن قيس أرسل إلى القادمين من الحجاز من يستطلع خبرهم ، فخرج كل من عمران بن حصين رضي الله عنه وأبو الأسود الدؤلي [١] فأتيا طلحة فقالا له : ما أقدمك ؟قال : الطلب بدم عثمان ، ثم أتيا بعد ذلك الزبير فسألاه : ما الذي أقدمك ؟ فقال الطلب بدم عثمان[٢].

خطب طلحة رضي الله عنه الناس في البصرة ، ومعه الزبير رضي الله عنه وأهل البصرة ، وعثمان بن حنيف رضي الله عنه على يساره ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر عثمان ودعا إلى الطلب بدمه وقال (إن في هذا إعزازاً لدين الله وسلطانه ، وإن الطلب بدم الخليفة المظلوم حد من حدود الله ، وإنكم إن فعلتم أجبتم ، وإن تركتم لم يقم لكم سلطان ، و لم يكن لكم نظام) [٣].

وحين عسكر طلحة رضي الله عنه بذي قار أرسل القعقاع بن عمرو - وكان قد وفد رضي الله عنه فيمن وفدوا من الكوفة - إلى البصرة حيث دخلها والتقى بعائشة أم المؤمنين ، كما لقي طلحة والزبير رضي الله عنهما ، وسألهما عما أشخصهما إلى هذه البلاد فقالا (قتلة عثمان رضي الله عنه فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن ، وإن عمل به كان إحياء للقرآن) [٤]

ولما خرج عليٌّ إلى الكوفة وتعسكر الفريقان والتقوا ، وقال عمّار رضي الله عنه وقد دنا من هودج عائشة ما تطلبون ؟ قالوا نطلب دم عثمان [٥] .

ومن الملاحظ أن الصحابة - رضوان الله عليهم- متفقون على إقامة حد القصاص على قتلة عثمان ، ولكن الخلاف بينهم وقع في مسألة التقديم أو التأخير ، فطلحة والزبير وعائشة ومعاوية كانوا يريدون تعجيل أخذ القصاص من الذين حصروا الخليفة حتى قتل ، وأن البداءة

---

(١) هو ظالم بن عمرو بن سفيان أبو الأسود الدؤلي القاضي البصري ، تابعي مخضرم عدّه ابن سعد في الطبقة الأولى من أهل البصرة ، قال ابن عبدالبر فيه ، كان ذا دين وعقل ولسان وبيان وفهم وذكاء وحزم ، وكان من كبار التابعين وهو أول من وضع علم النحو ، وكان شاعراً ، قال أبو حاتم ، ولي قضاء البصرة ، وقد وثقه ابن معين والعجلي وابن حبان ، توفى عام (٦٩هـ) (٦٨٨م) .

ترجم له ابن سعد في الطبقات ٧/٩٩ ، والعجلي في تاريخ الثقات ، ص ٢٣٨ . وابن معين في التاريخ ٢/٦٩٢ . وابن حجر في التهذيب ١٢/١٠.

(٢)تاريخ الطبري ٤/٤٦٢ .

(٣) المرجع السابق ٤/ ٤٦٤ .

(٤) المرجع السابق ٤/ ٤٨٩ .

(٥) العواصم من القواصم لابن العربي ، ص ١٤٩ .

بقتلهم أولى ، بينما رأى أمير المؤمنين عليٌّ ومن معه تأخيره ، حتى يتوطد مركز الخلافة ويتقدم أولياء عثمان بالدعوى عنده على معينين ، فيحكم لهم بعد إقامة البينة عليهم ، لأن هؤلاء المحاصرين لأمير المؤمنين عثمان ليسوا نفراً من قبيلة معينة ، بل من قبائل مختلفة .

على أن استعجال تنفيذ القصاص في هذا الجمهور بدون إقامة الدعوى من أولياء المقتول عند الإمام ، وحكمه على القاتل ، يؤدي لا محالة إلى انتشار الفتنة بحرب طاحنة يذهب فيها كثير من الأبرياء ، ولذلك كان رأي علي رضي الله عنه أسدّ وأصوب من رأي طلحة والزبير وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم ، كما نطقت بذلك النصوص الشرعية .

وقد اتفق أئمة الفتوى على أنه لا يجوز لأحد أن يقتص من احد ويأخذ حقه دون السلطان ، أو من نصبه السلطان لهذا الأمر ، لأن ذلك يفضي للفتنة وإشاعة الفوضى ، ولهذا جعل الله السلطان ليقبض أيدي الناس بعضهم عن بعض [(١)] ، وفي هذا قول القعقاع بن عمرو رضي الله عنه (أنه لا بد من إمارة تنظم الناس ، وتردع الظالم ، وتعزّ المظلوم ، وهذا عليٌّ يلي بما ولي ، وقد أنصف في الدعاء ، وإنما يدعو إلى الإصلاح) [(٢)] .

ويبدو في الظاهر أن طلحة والزبير وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم اعتقدوا وفهموا أن قتل عثمان رضي الله عنه منكر من أعظم المنكرات ، وإزالة المنكر من حيث هو لمن قدر عليه فرض كفاية لا يتوقف على إمام يرجع إليه فيه ، ومترلتهم في الإسلام وعند المسلمين تخوِّل لهم ذلك ، وهذا ما يبرر خروجهم إلى البصرة ، إلا أنهم متأولون في فهمهم هذا في استعجالهم في إزالة هذا المنكر ، حيث خفي عليهم كما خفي على معاوية رضي الله عنه أن إزالة هذا المنكر يتعلق بالقصاص مع المرتكبين له وأخذ القصاص منهم متوقف على الإمام وإقامة أولياء المقتول البيِّنة على الجاني عنده ، ثم حكمه بمقتضى ذلك . لكن اجتهادهم أدَّاهم إلى ذلك ، فما يمكن أن يقال فيهم إنهم مجتهدون مخطئون لهم أجر واحد على اجتهادهم.

على أن طلحة والزبير رضي الله عنهما أقرب إلى الصواب من معاوية رضي الله عنه من أربعة أوجه ، أولها: مبايعتهما لعليٍّ طائعين مع اعترافهما بفضله[(٣)]، ومعاوية لم يبايعه وإن كان معترفاً

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/٢٥٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٤/٤٨٤ .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٥/٢٧١-٢٧٤ .

بفضله[1]، والثاني : مترلتهما في الإسلام وعند المسلمين ومعاوية لا شك دونهما فيهما[2] ، الثالث: أنهما أرادا قتل الخوارج على عثمان فقط ولم يتعمدوا محاربة عليٍّ ومن معه في وقعة الجمل [3]بينما أصر معاوية على حرب عليٍّ ومن معه في صفين[4]، والرابع : لم يتهما عليّاً بالهوادة في أخذ القصاص من قتلة عثمان ، ومعاوية ومن معه اتهموه بذلك[5].

ويقول الإمام القرطبي في تفسير سورة الحجرات ما نصه :" لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به ، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله ﷻ... هذا مع ما قد ورد من الأخبار من طرق مختلفة عن النبي ﷺ أن طلحة شهيد يمشي على وجه الأرض ، فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصياناً لم يكن بالقتل فيه شهيداً ... وإذا كان كذلك فقد ثبت أن طلحة والزبير غير عاصيين ولا آثمين بالقتال أي أنهما معذورين باجتهادهما – لأن ذلك لو كان كذلك لم يقل النبي ﷺ في طلحة (شهيد) ولم يخبر أن قاتل الزبير في النار ، وإذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم ، والبراءة منهم ، وتفسيقهم وإبطال فضائلهم وجهادهم ، وعظيم غنائهم في الدين ، رضي الله تعالى عنهم)[6].

إن أمير المؤمنين علياً ﷺ يقر بحق طلحة والزبير وعائشة ﷺ في المطالبة بدم عثمان ، وبأن لهم حجة ودليلاً على ما قاموا به ما داموا يريدون وجه الله ﷻ، فحين ما قام أبو سلامة الدالاني فقال (هل لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم إن كانوا أرادوا الله في ذلك ؟ قال نعم) [7] .

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٣٨ .

(٢) كان طلحة والزبير ﷺ من السابقين الأولين والله يقول : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ ...﴾[سورة الحديد ، آية ١٠] ، ومن العشرة المبشرين بالجنة ، بينما كان معاوية ﷺ من مسلمة الفتح . .

(٣) تاريخ الطبري ٥/٢٤٢ .

(٤) المرجع السابق ٤/٤٥٤، ٤٦٢-٤٦٤ .

(٥) المصدر السابق ٤/٤٤٤ . والبداية والنهاية لابن كثير ٧/٢٥٩ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/ ٣٢١ .

(٧) تاريخ الطبري ٤/٤٩٦ .

إلا أن الخطأ في موقفهم يكمن في رغبتهم الملحّة في الإسراع بالثأر لعثمان رضي الله عنه ، وأخذ القصاص من قتلته ، رغم أن الوقت لم يكن ملائماً لفعل ذلك ، خاصة أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وقد ألحّ علي رضي الله عنه إلى اختيار أهون الشرين حين قال (هذا الذي ندعوكم إليه من إقرار هؤلاء القوم- قتلة عثمان - شر ، وهو خير من شر منه - القتال والفرقة) [١] وبيّن لهم القعقاع بن عمرو وجه الخطأ في موقفهم حين أقدموا على قتل قتلة عثمان من البصرة ، مما زاد من الفرقة والخلاف بين المسلمين ، وأكد لهم أن هذه المعضلة علاجها التسكين والأناة)[٢].

ومما لا شك فيه أن طلحة والزبير رضي الله عنهما كانا يشعران بأن الأمر ملتبس ، وتشككهما فيما يفعلان من أمرهما دليل واضح على أن القضايا مشتبهة ، حيث يصعب جداً التمييز فيها بين الصواب والخطأ ، فهذا الزبير رضي الله عنه يسمي هذه الحرب فتنة ويقول فيها (إن هذه الفتنة التي كنا نحدِّث عنها ، فقال له مولاه : أتسميها فتنة وتقاتل فيها ، قال الزبير : ويلك ! إنا نبصر ولا نبصر ، ما كان أمر قط إلا وأنا أعلم موضع قدمي فيه غير هذا الأمر ، فإني لا أدري أنا فيه مقبل أم مدبر) [٣] .

وحين جاء كعب بن سور إلى طلحة والزبير ، وقد أقبل عليّ بجيشه فقال لهما : (ما تنتظرون يا قوم بعد توردكم أوائلهم ؟ أقطعوا هذا العنق من هؤلاء ، قالا : يا كعب ! إن هذا أمر بيننا وبين إخواننا وهو أمر ملتبس ، لا والله ما أخذ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم منذ بعث الله نبيه طريقاً علموا أين مواقع أقدامهم ، حتى حدث هذا ، فإنهم لا يدرون مقبلون أم مدبرون)[٤] .

وعلى ذلك ، إذا كان الصحابة - رضوان الله عليهم- يجوز عليهم الخطأ كما يجوز على كل بشر ، فحينئذ نستطيع أن نقبل ما يحدث في تصرفاتهم من أخطاء غير مقصودة ، وإنما

---

(١)تاريخ الطبري ٤/ ٤١٥ .

(٢)المرجع السابق (٤/٤٨٨) .

(٣)المرجع السابق ٤/ ٤٧٦ .

(٤) المرجع السابق ٤/٤٩٥ .

وقعت نتيجة اجتهاد لم يوفقوا فيه إلى الصواب ، ولكنهم مثابون على الإخلاص في اجتهادهم إن شاء الله .

وجدير بالذكر أن الذي يظهر من النصوص أن الزبير وطلحة ﷺ كادا أن يتراجعا عن موقفهما في المسارعة إلى إقامة الحد الشرعي على قتلة عثمان ﷺ إلى الاقتناع بموقف علـيّ ﷺ حين نجحت سفارة القعقاع بن عمرو الميمونة بإقناعهم ومعهم أم المؤمنين ﷺ برأي علي"[1] .

ويدل على ذلك التراجع ما قاله طلحة والزبير ﷺ لصبرة بن شيمان – أحد زعماء البصرة – حين اقبل إليهما وهما ينتظران إقرار الصلح فقال لهما : (يا طلحة ! يا زبير ! انتهزا بنا هذا الرجل ، فإن الرأي في الحرب خير من الشدّ فقالا : ياصبرة : إنا وهم مسلمون ، وهذا الأمر لم يكن قبل اليوم فيترل فيه القرآن أو يكون فيه من رسول الله ﷺ سنّة ، وإنما هو حدث، وقد زعم قوم أنه لا ينبغي تحريكه اليوم – القصاص من قتلة عثمان – وهم عليّ ومن معـه ، فقلنا نحن : لا ينبغي لنا أن نتركه اليوم ولا نؤخره ، فقال عليّ : هذا الذي ندعوكم إليه مـن إقرار هؤلاء القوم شر ، وهو خير من شر منه ، وهو أمر لا يدرك ، وقد كاد أن يبيّن لنا ، وقد جاءت الأحكام بين المسلمين بإيثار أعمها منفعة وأحوطها)[2].

إلا أن خطط السبئية في اشتعال فتيل المعركة وتأجيج نيرانها من غير إرادة الـصحابة لم تترك فرصة لاكتمال الصيغة النهاية للصلح في أرض الواقع ، وهي تحمل في طياها بوادر الاتفاق على موقف موحد بين عليّ وطلحة والزبير ، بما فيه من حقن لدماء المسلمين ، وتحقيق المصلحة العليا باجتماع الشمل ، ووحدة الصف .

ولقد أخطأ من قال بأن الباعث لخروج طلحة والزبير هو ما كانا عليه من الطمـع في الخلافة والتآمر على الناس بذلك[3] ، وينفي ابن شبة في كتابة (أخبار البصرة) هذا الـزعم

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٨٨-٤٨٩ .

(٢) المرجع السابق ٤/٤٩٥ .

(٣) المفيد في كتاب الجمل ، ص ٦١ .

بقوله (إن أحداً لم يقل أن عائشة ومن معها نازعوا علياً في الخلافة ، ولا دعوا أحد منهم ليولوه الخلافة ، وإنما أنكروا على علي منعه [1] من قتل قتلة عثمان وترك الاقتصاص منهم) [2] فقد آلمهم الحادث الذي انتهى بقتل عثمان رضي الله عنه ، فأسقط في أيديهم ، ورأوا أنهم قد قصروا في حقه ، فخرجوا يطلبون بدمه ، فعندما مر الزبير في طريقه للبصرة على مليح بن عوف السلمي سلّم عليه هذا الأخير وقال (يا أبا عبد الله ! ما هذا ؟ قال : عدى على أمير المؤمنين ، فقتل بلا ترة ولا عذر ! قال : ومن؟ قال : الغوغاء ... قال فتريدون ماذا ؟ قال : ننهض الناس فيدركوا بهذا الدم ، لئلا يبطل فإن إبطاله تهوين سلطان الله بيننا أبداً إذا لم يفطن الناس على أمثاله لم يبقى إماماً إلا قتله هذا الضرب)[3] وكان طلحة يقول – والسهام تناوشه في معركة الجمل – (اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتى ترضى) [4] .

ولما جاء الخبر لعائشة بمقتل – عثمان رضي الله عنه وقد انتهت إلى سرف –[5] قالت (قتل والله عثمان مظلوماً ، والله لأطلبن بدمه) [6] .

ويقول ابن حزم (فقد صح صحة ضرورية لا إشكال فيها أنهم لم يمضوا إلى البصرة لحرب عليّ، ولا خلافاً عليه ، ولا نقضاً لبيعته ، ولو أرادوا ذلك لأحدثوا بيعة غير بيعته ، وهذا ما لا يشك فيه أحد ولا ينكره أحد ، فصح إنهم إنما نهضوا إلى البصرة لسدّ الفتق الحادث في الإسلام من قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ظلماً) [7] .

---

(١) يعني تأخيره .

(٢) فتح الباري لا بن حجر ٥٦/٣ .

(٣) تاريخ الطبري ٤٦١/٤ .

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٨٥ .

(٥) موضع بين مكة والمدينة .

انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٢١٢/٣ .

(٦) تاريخ الطبري ٤٩٥/٤ .

(٧) ابن حزم في الفصل والملل ٤/ ١٥٧-١٥٨ .

وكذلك شاع بين الناس قديماً وحديثاً أن الخلاف بين علي ومعاوية ﷺ كان سببه طمع معاوية في الخلافة ، وأن خروج هذا الأخير على علي وامتناعه عن بيعته كان بسبب عزله عن ولاية الشام ، كما جاء في كتاب (الإمامة والسياسة) المنسوب لابن قتيبة الدينوري[١]

---

(١) لقد ساق عبدالله عسيلان في كتابه (الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي) مجموعة من الأدلة تبرهن على أن الكتاب المذكور منسوب إلى الإمام ابن قتيبة كذباً وزوراً . ومن هذه الأدلة :

١- إن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتاباً في التاريخ يدعى (الإمامة والسياسة) ولا نعرف من مؤلفاته التاريخية إلا كتاب (المعارف) .

٢- إن المتصفح للكتاب يشعر أن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب في حين أنه لم يخرج من بغداد إلا إلى الدينور .

٣-إن المنهج والأسلوب الذي سار عليه مؤلف (الإمامة والسياسة) يختلف تماماً عن منهج وأسلوب ابن قتيبة في كتبه التي بين أيدينا ومن الخصائص البارزة في منهج ابن قتيبة أنه يقدم لمؤلفاته بمقدمات طويلة يبين فيها منهجه والغرض من مؤلفه ، وعلى خلاف ذلك يسير صاحب (الإمامة والسياسة) فمقدمته قصيرة جداً لا تزيد على ثلاثة أسطر ، هذا إلى جانب الاختلاف في الأسلوب ، ومثل هذا النهج لم نعهده في مؤلفات ابن قتيبة .

٤- يروي مؤلف الكتاب عن ابن أبي ليلى بشكل يشعر بالتلقي عنه ، وابن أبي ليلى هذا هو محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى الفقيه : قاضي الكوفة ، توفي سنة (١٤٨هـ) والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة (٢١٣هـ) أي بعد وفاة ابن أبي ليلى بخمسة وستين عاماً .

٥- إن الرواة والشيوخ الذين يروي عنهم ابن قتيبة عادة في كتبه لم يرد لهم ذكر في أي موضع من مواضع الكتاب .

٦- إن قسماً كبيراً من رواياته جاءت بصيغة التمريض ، فكثيراً ما يجيء فيه (ذكروا عن بعض المصريين) ، و (ذكروا عن محمد بن سليمان عن مشايخ أهل البصرة) (وحدثنا بعض مشايخ أهل الغرب) ، و (ذكروا عن بعض المشيخة) و(حدثنا بعض المشيخة) ومثل هذه التراكيب بعيدة كل البعد عن أسلوب وعبارات ابن قتيبة ، ولم ترد في كتاب من كتبه .

٧- إن مؤلف (الإمامة والسياسة) يروي عن اثنين من كبار علماء مصر ، وابن قتيبة لم يدخل مصر ولا أخذ عن هذين العالمين .

٨- ابن قتيبة يحتل منزلة عالية لدى العلماء ، فهو عندهم من أهل السنة ، وثقة في علمه ودينه ، يقول السلفي : كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة ، ويقول ابن حزم : كان ثقة في علمه ودينه ، وتبعه في ذلك الخطيب البغدادي ، ويقول عنه ابن تيمية :وإن ابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة (لسان الميزان) ٣٥٧/٣ورجل هذه منزلته لدى رجال العلم المحققين ، هل من المعقول أن يكون مؤلف كتاب (الإمامة والسياسة) الذي شوه التاريخ وألصق بالصحابة الكرام ما ليس فيهم ! ويظهر أن المستشرقين اهتموا بالتحقيق في نسبة الكتاب ، وأول من أهتم بذلك المستشرق دي جانيجوس في كتابه (تاريخ الحكم الإسلامي في أسبانيا) ومن ثم أيده الدكتور دوزي في كتابه (التاريخ السياسي والأدبي لأسبانيا) وذكر الكتاب كل من بروكلمان في (تاريخ الأدب العربي) ، والبارون دي سلان في فهرست المخطوطات العربية بمكتبة باريس باسم أحاديث الإمامة والسياسة ، وماغوليوس في كتابه (دراسات عن المؤرخين العرب) وقرروا جميعاً أن الكتاب المنسوب إلى ابن قتيبة لا يمكن أن يكون له ، وقد سبق هؤلاء إلى التحذير منه ابن العربي في كتابه (العواصم من القواصم) حين قال ، فلم يبق - أي ابن قتيبة - ولم يذر الصحابة رسماً في كتابه (الإمامة والسياسة) إن صح جميع ما فيه .

وجاء في تاريخ الإمام الطبري عن سيف أن المغيرة بن شعبة جاء إلى علي وأشار عليه أن يقر معاوية في عمله حتى إذا ضمن طاعته استبدله بغيره أو أبقاه [(١)] ، وأورد رواية أخرى من طريق الواقدي على نسق الرواية السابقة ، ولكن زاد فيها : أن علياً قال لابن عباس : سر إلى الشام فقد ولّيتكَهَا ، وإن ابن عباس لم يوافقه على ذلك ، وأشار عليه أن يكتب إلى معاوية يمنّيه ويعده - أي بالولاية - فرفض علي بقوله (والله لا كان هذا أبداً) [(٢)] .

ونقل الحافظ الذهبي أن معاوية قال لجرير بن عبدالله رضي الله عنه (أكتب إلى علي أن يجعل ليَّ الشام ، أنا أبايع له) [(٣)] .

ولكن الصحيح أن الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان حول مدى وجوب بيعة معاوية وأصحابه لعليٍّ قبل توقيع القصاص على قتلة عثمان أو بعده ، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء .

فقد كان رأي معاوية رضي الله عنه ومن حوله من أهل الشام أن يقتص عليٌّ رضي الله عنه من قتلة عثمان ثم يدخلون بعد ذلك في البيعة [(٤)] ، وقد تحدد موقفهم منذ اللحظة التي حمل فيها النعمان بن بشير رضي الله عنه قميص عثمان رضي الله عنه ، وهو ملطخ بدمائه ومعه أصابع نائله - زوجة عثمان - فوضع القميص على المنبر في الشام ليراه الناس والأصابع معلقة في كم القميص ، وندب معاوية الناس للأخذ بثأر عثمان والقصاص من قتلته ، وقد قام مع معاوية جماعة من الصحابة في هذا الشأن[(٥)].

ذكر ابن العربي أن سبب القتال بين أهل الشام وأهل العراق يرجع إلى تباين المواقف بينهما : " فهؤلاء — أي أهل العراق — يدعون إلى علي بالبيعة وتأليف الكلمة على الإمام ، وهؤلاء — أي أهل الشام — يدعون إلى التمكين من قتلة عثمان ويقولون : لا نبايع من يأوي القتلة "[(٦)].

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٣٩ .

(٢)تاريخ للطبري ٤/ ٤٤٠ .

(٣)تاريخ الإسلام للذهبي ١/١٦٨، وتاريخ للطبري ٤/ ٤٤٠ .

(٤) تاريخ الطبري ٤/ ٤٣٨ .

(٥) تاريخ للطبري ٤/٥٦٢ . والبداية والنهاية لابن كثير ٧/٢٤٨ .

(٦) العواصم لابن العربي ، ص ١٦٢ .

ويقول إمام الحرمين الجويني في (لمع الأدلة) أن معاوية وإن قاتل علياً فإنه لا ينكر إمامته ولا يدعيها لنفسه ، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظاناً منه أنه مصيب ، وكان مخطئاً[(١)].

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول بأن معاوية لم يدع الخلافة و لم يبايع له بها حتى قتل علي ، فلم يقاتل على أنه خليفة ، ولا أنه يستحقها ، وكان يقر بذلك لمن يسأله[(٢)].

ويورد ابن كثير روايتين في هذا الموضوع : الأولى : عن ابن ديزيل[(٣)] بإسناده إلى أبي الدرداء وأبي أمامة رضي الله عنهما أنهما دخلا على معاوية فقالا له : (يا معاوية ! علام تقاتل هذا الرجل ؟ فوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلاماً ، وأقرب منك إلى رسول الله ﷺ وأحق بهذا الأمر منك . فقال : أقاتله على دم عثمان ، وأنه آوى قتلة عثمان ، فاذهبا إليه ، فقولا : فليقدنا من قتلة عثمان ، ثم أنا أول من أبايعه من أهل الشام)[(٤)].

وفي رواية ابن أعثم : (ولكني أقاتله حتى يدفع إلى قتلة عثمان ، فإذا فعل ذلك كنت أنا رجلاً من المسلمين أدخل فيما دخل فيه الناس)[(٥)].

أما الرواية الثانية فتذكر أن علياً بعث على معاوية يدعوه إلى بيعته وأعطاه كتاباً بذلك ، فاستشار معاوية عمرو بن العاص ورؤوس أهل الشام ، فكان أن أبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان أو يسلمهم إليهم[(٦)].

---

(١) لمع الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة لعبد الملك بن عبد الله الجويني ١٢٩/١ ، تحقيق : فوقية حسين محمود ، دار عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٧٢/٣٥ .

(٣) هو إبراهيم بن الحسين بن علي الهمداني النسائي المعروف بابن ديزيل الإمام الحافظ الثقة العابد ، ولرغبته في العلم كان يلقب بِسِيْفَنَّة وهو طائر ببلاد مصر يكاد يحط علة شجرة إلا أكل ورقها حتى يعريها ، فكذلك كان ابن ديزيل إذا ورد على شيخ لم يفارقه حتى يستوعب ما عنده قال الحاكم : هو ثقة مأمون ، وقال ابن خراش : صدوق اللهجة ، وقال الحافظ الذهبي : إليه المنتهى في الإتقان ، روى عنه أنه قال : إذا كان كتابي بيدي وأحمد بن حنبل عن يميني ويحيى بن معين عن شمالي ما أبالي ، يعني لضبط كتبه . توفي عام ٢٨١هـ / ٨٩٤م .

ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٨٤/١٣ ، وابن الجزري في غاية النهاية في طبقات القراء ١١/١ ، وابن حجر في لسان الميزان ٤٨/١ .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ٣٦٠/٧ .

(٥) الفتوح لابن أعثم ٤٩/٣ .

(٦) البداية والنهاية لابن كثير ٢٥٤/٧ .

ويقول الهيتمي :" ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما من الحروب ، فلم يكن لمنازعة معاوية لعلي في الخلافة للإجماع على أحقيتها لعلي ... فلم تهج الفتنة بسببها ، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ومن معه طلبوا من علي تسليم قتلة عثمان إليهم لكون معاوية ابن عمه ، فامتنع علي ...)[1].

وهكذا تتضافر الروايات وتشير إلى أن معاوية رضي الله عنه خرج للمطالبة بدم عثمان ، وأنه صرح بدخوله في طاعة علي رضي الله عنه إذا أقيم الحد على قتلة عثمان . ولو افترض أنه اتخذ قضية القصاص والثأر لعثمان ذريعة لقتال علي طمعاً في السلطان ، فماذا لو تمكن علي من إقامة الحد على قتلة عثمان .

حتماً ستكون النتيجة خضوع معاوية لعلي ومبايعته له ؛ لأنه التزم بذلك في موقفه من تلك الفتنة ، كما أن كل من حارب معه كانوا يقاتلون على أساس إقامة الحد على قتلة عثمان، وإن معاوية رضي الله عنه كان من كتاب الوحي ، ومن أفاضل الصحابة ، وأصدقهم لهجة ، وأكثرهم حلماً ، فكيف يعتقد أن يقاتل الخليفة الشرعي ويهرق دماء المسلمين من أجل ملك زائل ، وهو القائل : (والله لا أخير بين أمرين ، بين الله وبين غيره إلا اخترت الله على ما سواه)[2]، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : (اللهم أجعله هادياً مهدياً واهد به)[3]، وقال : (اللهم علمه الكتاب وقه العذاب)[4].

أما وجه الخطأ في موقفه من مقتل عثمان فيظهر في رفضه أن يبايع لعلي رضي الله عنه قبل مبادرته إلى الاقتصاص من قتلة عثمان ، بل ويلتمس منه أن يمكنه منهم ، مع العلم أن الطالب للدم لا يصح أن يحكم ، بل يدخل في الطاعة ، ويرفع دعواه إلى الحاكم ، ويطلب الحق عنده .

---

(١) الصواعق المحرقة للهيتمي ، ص ٣٢٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥١/٣.

(٣) رواه الترمذي في سننه - كتاب المناقب — باب مناقب معاوية ٣٥٠/٥ ، وقال حديث حسن غريب.
و أحمد في مسنده ٢١٦/٤ .
وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي٢٣٦/٣ برقم (٣٠١٨) .

(٤) رواه أحمد في فضائل الصحابة ٩١٣/٢ ، قال المحقق : إسناده حسن لغيره .
والبخاري في التاريخ الكبير ٣٢٧/١/١٤ .
والهيثمي في مجمع الزوائد ٣٥٦/٩ .
والطبراني في المعجم الكبير ٤٣٩/١٩ .

ويمكن القول أن معاوية رضي الله عنه كان مجتهداً متأولاً يغلب على ظنه أن الحق معه ، وهذا الخطأ في التأويل يبرهن عليه ما قاله عمار بن ياسر رضي الله عنه في موقعة صفين ، فعن زياد بن الحارث – له صحبة – قال : كنت إلى جانب عمار بن ياسر في صفين وركبتي تمس ركبته ، فقال رجل : كفر أهل الشام ، فقال عمار : لا تقولوا ذلك ، نبينا ونبيهم واحد وقبلتنا وقبلتهم واحدة ، ولكنهم قوم مفتونون جاروا عن الحق ، علينا أن نقاتلهم حتى يرجعوا إليه[1].

وعليه فإن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لم ترفض الدخول في طاعة علي كما زعم الشيعة الروافض بل واتضح أن معاوية هو الآخر رضي الله عنه كان مستعجلاً في القصاص لدم عثمان وقد بينت الفروق بينه وبين أم المؤمنين وطلحة والزبير وليس أدل على ذلك من أنها أوصت الأحنف بن قيس أن يبايع علياً والله أعلم[2].

قال ابن حجر في الفتح وهو يلخص كتاب عمر بن شبة قال : " وأخرج ابن أبي شيبة بسند جيد عن عبد الرحمن بن أبزى قال انتهى عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي إلى عائشة رضي الله عنها يوم الجمل وهي في الهودج فقال يا أم المؤمنين أتعلمين أني أتيتك عندما قتل عثمان فقلت ما تأمريني فقلت إلزم علياً؟ فسكتت ... "[3].

فها هي رضي الله عنها كانت تدعوا الناس إلى لزوم علي رضي الله عنه ، وفيما سبق بيانه كفاية .

---

(١) أخرجه بن أبي شيبة في مصنفه ٥٤٧/٧ .

وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٤٧/١ .

(٢) فها هي تدعوا الناس إلى بيعة علي فكيف يدع هؤلاء الكذبة أنها رفضت بيعته والدخول في طاعته بل وهم يعترفون بذلك ، ينظر الجمل للمفيد ، ص ٧٣ .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦٢/١٣ .

المبحث الخامس : دعوى الرافضة أن النبي ﷺ أخبر عائشة بأنها ستقاتل علياً رضي الله عنهما :

يزعم الشيعة أن رسول الله ﷺ قد أخبر عائشة بأنها ستقاتل علياً وهي ظالمة له ، وحذرها من ذلك ، وبين لها أن خروجها عليه سيكون سبباً في طلاقها .

وهذه الدعوى لها تعلق أيضاً بما مضى ولكن فيها فرية جديدة وكذبة أخرى فيها أن النبي ﷺ أخبرها أنها ستقاتل علياً فها هي رواياتهم والرد عليها .

قال المفيد : " إن رسول الله ﷺ وآله نهى عائشة ، وقد بين ما يكون منها على علم منه في مصيرها وعاقبة أمرها ، ثم نهاها عن ذلك وزجرها ، ودعا عليها لأجله وتوعدها ، فأقدمت على خلافه مستبصرة بعداوته ، وارتكبت نهيه معاندة له في أمره ، وصارت على ما زجرها عنه... "(1)

إلى آخر ما ذكره من الهذيان والبهتان الذي لم يراقب الله تعالى في كتابته . وسيكون خصمه يوم القيامة رسول الله ﷺ حيث كذب المفيد عليه متعمداً ؛ فأهان زوجه وأحب الناس إلى قلبه .

ولا يكتفي الشيعة بذكر هذا الكلام الرخيص الذي لا يمت إلى الحقيقة بصلة ولا يقرب منها قيد أنملة ، بل يروون في كتبهم أنه ﷺ حذر عائشة تحذيراً عاماً – مع بقية نسائه – ثم خصها بتحذير آخر :

ففي التحذير العام : يروون أنه ﷺ جمعها مع نسائه ، ونهاهن جميعاً عن معصية علي ، فقالت له عائشة : (يا رسول الله ما كنا لتأمرنا بالشيء فنخالفه إلى ما سواه. فقال لها: بلى يا حميراء قد خالفت أمري أشد الخلاف ، وأيم الله لتُخالفين قولي هذا ، ولتعصينه بعدي ، ولتخرجن من البيت الذي أُخلفك فيه متبرجة قد حفّ بك فئام الناس ، فتخالفينه ظالمة عاصية لربك ، ولينبحنك في طريقك كلاب الحوأب ، ألا إن ذلك كائن)(2).

وفي رواية أسندها ابن بابوية القمي الملقب عند الشيعة بالصدوق ، والمفيد الملقب عند الشيعة بشيخ الطائفة إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ قال لأزواجه لمّا جمعهن : (ليت شعري ! أيتكن صاحبة الجمل الأدبب التي تنبحها كلاب الحوأب ، فيقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى

---

(1) الجمل للمفيد ، ص ٢٣١.

(2) علم اليقين للكاشاني ٢/٦٥٩-٦٦٠ . وانظر : الدرجات الرفيعة للشيرازي ، ص ٣٠٣-٣٠٤ .

كثيرة ، ثم تنجو بعد ما كادت) – وزاد في رواية – : (انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت)[1].

وأما التحذير الخاص الذي زعم الشيعة أن رسول الله ﷺ حذر به عائشة :

فهو قوله لها – كما زعموا كذباً وبهتاناً – : (أما تستحين أن تُحاربين لمن رضي الله عنه [2]، إنه عهد إليّ أنه من خرج على عليّ فهو في النار)[3].

وقوله – كما زعموا – لعليّ وعائشة حاضرة : (قاتل الله من يقاتلك وعادى الله من عاداك . فقالت عائشة : ومن يُقاتله ويعاديه ؟ فقال لها : أنت ومن معك)[4]. وفي رواية قال لها: (أنت أول من يُقاتله)[5]. وعلق المفيد على هذا بقوله : " هذا الحديث يدل على عداوتها له"[6].

وقال لها : (إن لأمتي منك يوماً مُراً) – وفي رواية – (يوماً أحمر)[7]... إلى آخر ما أحدث الشيعة الرافضة في هذا الباب من أكاذيب ، ونسبوها إلى رسول الله ﷺ ، فكذبوا عليه متعمدين ، ومن كذب عليه ﷺ متعمداً ، فسيتبوأ مقعده من النار ؛ كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ [8] .

الرد على هذه الدعوى :

لِيُعلم أن كل ما نسب عن الشيعة إلى رسول الله ﷺ في هذا الباب : كذب مختلق متعمد على رسول الله ﷺ ، فلم يرد في أي كتاب من كتب العلم المعتمدة أن رسول الله ﷺ أخبر

---

(١) معاني الأخبار للصدوق ، ص ٣٠٥ ، والاختصاص للمفيد ، ص ١١٩ . وانظر : الصراط المستقيم للبياضي ١٦١/٣، ١٦٤ . وسيرة الأئمة الاثنا عشر لهاشم الحسيني ٤٤٨/١ .

(٢) هكذا أثبتوها .

(٣) الصراط المستقيم للبياضي ١٦٢/٣ .

(٤) الجمل للمفيد ، ص ٢٢٧، ٢٣١ .

(٥) الخصال للصدوق ٥٥٦/٢ .

(٦) الجمل للمفيد ، ص ٢٢٧، ٢٣١.

(٧) الاختصاص للمفيد ، ص ١١٩ . وفي ظلال التشيع للحسيني ، ص ٨٠ .

(٨) انظر : صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ٢٤٢/١ ، حديث رقم (١٠٧) .

عائشة أنها ستقاتل علياً وهي له ظالمة ... فأرونا يا معشر الرافضة من أين نقلتم الخبر ثم أرونا إسنادكم!.

فيتضح أن هذه فرية ظاهر عوارها وهذا الذي يوردونه لم يصح مُوَجَّهاً لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من طريق صحيح ولا ضعيف ، وإن ورد عندهم فهو من طرق باطلة ضعيفة مكذوبة.

ولذا ينقل العيني في عمدة القارئ عن المهلب ، وقال إنه من كذب الرافضة فيما اختلقوه من الكذب .

ثم قال العيني :" وأما حديث : تقاتلي علياً وأنت له ظالمة ، فليس بمعروف ، والمعروف أن هذا قاله للزبير بن العوام – والله أعلم – وسند حديثه ضعيف ، ولكن حديث : قول النبي ﷺ للزبير : (تقاتله "يعني علياً" وأنت له ظالم)، فهو حديث مختلف فيه صححه بعضهم وحسنه بعضهم ولكن له طرق كثيرة كما قال ابن كثير في البداية والنهاية" (1).

وعلى ذلك فلا عبرة بما أورده الروافض مما مرّ ذكره بل وزادوا الأمر حَبْكاً بقصة مرّ الكلام عليها في المبحث الثالث من هذا الفصل .

أما ما زعموه من إخبار الرسول ﷺ لعليّ بخروج عائشة عليه ، وطلبه منه أن يرفق بها ، أو يضربها ، أو يطلقها – على اختلاف الروايات عند الشيعة – : فليس بصحيح على إطلاقه .

---

(1)عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين محمود بن أحمد العيني ٩/١٣٤-١٣٥، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .

والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٤١٢-٤١٤ .

وأخرجه أبو يعلى في مسنده ٢/٢٩ .

وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/٤٤٥ .

وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٦/٢١٣ ، ٧/٢٤١ ، ٧/٢٤٢ ، ٧/٣٦٢ ، مكتبة المعارف ، بيروت .

والذهبي في تاريخ الإسلام ١/٤٥٥ .

والموصلي في المغني عن الحفظ والكتابة لعمر بن بدر الموصولي ١/٥٢٧ وقال : لا يروى في هذا المتن حديث من وجه يثبت ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ،.

أما طلبه أن يرفق بها :

١- فقد روى البيهقي في دلائل النبوة ، والحاكم في المستدرك بسنديهما عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : " ذكر النبي ﷺ خروج بعض أمهات المؤمنين ، وضحكت عائشة ، فقال لها : (انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت) ثم التفت إلى علي ، وقال : (يا علي إن وليت من أمرها شيئاً فأرفق بها)[1].

وعلق عليه الحافظ ابن كثير رحمه الله بقوله :" هذا حديث غريب جداً"[2].

وهذا الحديث لو صح فلا مطعن فيه بعائشة ، بل هو من معجزاته ﷺ ؛ إذ غايته ما فيه الإخبار بخروج أم المؤمنين – رضي الله تعالى عنها– .

٢- وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي رافع أن رسول الله ﷺ قال لعليّ بن أبي طالب : (إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر) ، قال : أنا يا رسول الله ؟! ، قال : (نعم) ، قال : أنا ؟! ، قال : (نعم)، قال : فأنا أشقاهم يا رسول الله ، قال : (لا ، ولكن إذا كانَ ذلك فارددها إلى مأمنها)[3].

وقد ذكره ابن الجوزي رحمه الله في العلل ، وقال : "وقال يحيى بن معين : الفضيل ليس بثقة "[4]؛ يشير إلى ضعف الحديث ؛ لضعف أحد رواته كما ذكر .

وفي تضعيفه نظر ؛ فالفضيل هذا قال عنه الذهبي :" حديثه في الكتب الستة، وهو صدوق "[5]. وقال ابن حجر :" صدوق له خطأ كثير "[6].

وحسّن ابن حجر هذا الحديث في الفتح[7].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٤١١/٦ .

والحاكم في المستدرك ١٢٩/٣ .

وابن عساكر في الأربعين ، ص ٧٧ وحسنه .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٢١٢/٦ .

(٣) مسند الإمام أحمد ٣٩٣/٦ .

(٤) العلل المتناهية لابن الجوزي ٣٦٦/٢ .

(٥) ميزان الاعتدال للذهبي ٣٦١/٣ .

(٦) تقريب التهذيب لابن حجر ، ص ٤٤٧ .

(٧) انظر : فتح الباري لابن حجر ٥٩/١٣ .

أما بقية رجال إسناد هذا الحديث فكلهم ثقات كما قال الهيثمي رحمه الله[1].

وهذا الحديث حجة على الشيعة الرافضة الذين لا يتحرجون من سب أم المؤمنين - رضي الله تعالى عنها- ؛ فهذا من يزعمون أنه إمام لهم يتحرج من مجرد إخبار رسول الله ﷺ له بأنه سيكون بينه وبين أم المؤمنين رضي الله عنها أمر، ويصف نفسه بأنه أشقاهم ، وذلك لما يعلم من حب رسول الله ﷺ لها .

فما بالك بمن يوجهون إليه شتى أنواع المطاعن والتهم .. ألا يتحرجون من رسول الله ﷺ لسبهم زوجه وأحب الناس إلى قلبه .

ولذا فأمير المؤمنين علي رضي الله عنه برئ منهم ومما رموا به أُمّهُ رضي الله عنها .

(١) انظر : مجمع الزوائد للهيثمي ٢٣٤/٧ .

المبحث السادس : دعوى الرافضة أن النبي ﷺ أمر علياً أن يطلق عائشة إن خرجت عليه رضي الله عنه :

وهذه من الدعاوى التي ادعاها الشيعة الروافض ليثبتوا به ما اختلقوه من أن أم المؤمنين خرجت على أمير المؤمنين علياً رضي الله عنهما .

ويروي الشيعة في هذا الباب العجائب ، ويملؤون كتبهم بشتى أنواع الغرائب ، فمن ذلك ما يزعمونه من أن رسول الله ﷺ أخبر علياً بأن عائشة ستخرج عليه وطلب منه :

١- أن يرفق بها – في بعض رواياتهم [1].

٢- أن يضربها – في بعض رواياتهم أيضاً[2].

٣- وأن يطلقها في أكثر رواياتهم ، إذ الشيعة يعتقدون أن لعلي رضي الله عنه حق فك عصمة نساء النبي ﷺ منه ﷺ بعد موته . فقد أسند الملقب عند الشيعة بالصدوق إلى الحسن العسكري أن رسول الله ﷺ جعل طلاق أزواجه بيد علي بن أبي طالب، وقال له – على حدّ زعمهم – : (يا أبا الحسن إن هذا الشرف باقٍ لهن ما دمن على الطاعة ، فأيتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك فطلّقها في الأزواج ، وأسقطها من تشرف الأمهات ، ومن شرف أمومة المؤمنين)[3].

وفي رواية : (فمن عصتك منهن فطلقها طلاقاً يبرأ الله ورسوله منها في الدنيا والآخرة).

وفي رواية : (لم تربي و لم أرها في عرصات القيامة)[4].

وقال الطبرسي :" وروي عن الباقر (ع) أنه قال : لمّا كان يوم الجمل وقد رشق هودج عائشة بالنبل ، قال أمير المؤمنين (ع) : والله ما أراني إلا مطلقها ، فأُنشد الله رجلاً سمع من رسول الله ﷺ وآله يقول : (يا علي أمر نسائي بيدك من بعدي) لما قام فشهد ؟

---

(١) ينظر : الصراط المستقيم للبياضي ٣/١٦١ .

(٢) ينظر : الجمل للمفيد ، ص ٢٣٠ ، والصوارم المهرقة للتستري ، ص ١٠٦ .

(٣) إكمال الدين للصدوق ، ص ٤٢٩-٤٣٠ . وانظر : دلائل الأمامة لابن رستم الطبري ، ص ٢٧٧ . والإيضاح للفضل بن شاذان ، ص ٣٥، ٣٧-٣٩ . وتفسير الصافي للكاشاني ٢/٣٣٢ . والأنوار النعمانية للجزائري ٤/٣٤٤ .

(٤) مختصر بصائر الدرجات للحلي ، ص ٣٩ . وانظر : علم اليقين للكاشاني ٢/٦٦٠ . والدرجات الرفيعة للشيرازي ، ص ٣٠٣-٣٠٤ .

فقال: فقام ثلاثة عشر رجلاً فيهم بدريان ، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ وآله يقول لعلي بن أبي طالب (ع) : (يا علي أمر نسائي بيدك من بعدي) . قال : فبكت عائشة حتى سمعوا بكاءها ..."[1].

ويروي الشيعة أن رسول الله ﷺ أخبر عائشة رضي الله عنها بأن علياً رضي الله عنه سينذرها بما يكون به الفراق بينها وبين رسول الله ﷺ في الآخرة[2].

وهم يزعمون أن علياً أنذرها قبل وقعة الجمل ، وقال لها : (إنك قد أرهجت على الإسلام وأهله بفتنتك ، وأوردت بنيك حياض الهلاك بجهلك ، وإن كففت عني عزتك ، وإلا طلقتك)[3].

ويزعمون بأنها لم تكف ، بل حاربته فطلقها[4]... على حد إفكهم وبهتانهم ، واختلاقهم وكذبهم .

مناقشة هذه الدعوى والرد عليها :

أما دعواهم أن رسول الله ﷺ طلب من علي إن خرجت عليه عائشة رضي الله عنها أن يضربها في بعض الروايات ، أو يطلقها في أكثر الروايات ، وأنه قد طلقها.

فهذه دعوى باطلة لم ترد في أي كتاب من كتب أهل السنة ، بل ولا في كتب الأحاديث الموضوعة ، ولم ترد إلا في كتب الشيعة الذين هم في غاية التناقض والكذب .

ويرد هذه الدعوى ما ثبت عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما أنه قال على منبر الكوفة وهو بين يدي الحسن بن علي رضي الله عنهما : (إن عائشة قد صارت إلى البصرة ، ووالله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة)[5].

وقد أقره الحسن بن علي رضي الله عنه على هذا و لم يعترض على قسمه. وتكرر الأمر في محضر علي رضي الله عنه بعد نهاية المعركة :

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ، ص ١٦٤ .

(٢) الاحتجاج للطبرسي ، ص ١٩٧-١٩٨ . وينظر الصراط المستقيم للبياضي ١/١٩٥-١٩٦ .

(٣) دلائل الإمامة لابن رستم الطبري ، ص ٢٧٧ . وإكمال الدين للصدوق ، ص ٤٢٩-٤٣٠ .

(٤) الرجعة لأحمد الأحسائي ، ص ١٣٥ .

(٥) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الفتن ، باب منه ١٣/٥٨ ، حديث رقم (٧١٠٠) .

فقد روي الإمام أحمد والترمذي ، والحاكم بأسانيدهم – واللفظ لأحمد – أن رجلاً وقع في عائشة وعابها ، فقال له عمار : (ويحك ما تريد من حبيبة رسول الله ﷺ [1] ؟ ما تريد من أم المؤمنين ؟ فأنا أشهد أنها زوجته في الجنة . بين يدي عليّ ، وعليّ ساكت)[2].

فالقول بأن عائشة رضي الله عنها زوجة الرسول ﷺ في الدنيا والآخرة ، بل وفي الجنة وقع بين يدي إمامين – يعتقد الشيعة إمامتهم – و لم ينكروا ، بل وافقا وأقرا .

فكيف يتفق هذا مع ما زعمه الشيعة من أن علياً طلقها من رسول الله ﷺ ؟!

أفيسكت بعد ما لم تعد التقية له ولا لمثله وهو يسمع زوجة رسول الله ﷺ ، بل هو قالها بنفسه كما مر معنا في آخر موقعة الجمل لما أراد تشييعها إلى المدينة[3].

وقد خاطبها عمار رضي الله عنه بعد المعركة بـ (أم المؤمنين) ، ووصف نفسه ومن معه بأنهم بنوها ، كما ذكر ذلك بعض الشيعة[4].

وروى الإمام أحمد بسنده إلى عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ : (لقد رأيت عائشة في الجنة ، كأني انظر إلى بياض كفيها ، ليهون بذلك عليّ عند موتي)[5].

---

(١) عند الترمذي والحاكم : قال عمار للرجل : (أسكت مقبوحاً منبوحاً ، أتؤذي حبيبة رسول الله صلى الله علي وسلم؟) وتقدم تخريجه .

(٢) فضائل الصحابة للإمام أحمد ٨٦٨/٢، ٨٧٠ .

وانظر : جامع الترمذي ٧٠٧/٥ ، كتاب المناقب ، باب فضل عائشة، وقال الترمذي هذا حديث حسن .

والمستدرك للحاكم ٣٩٣/٣ ، وقال :"صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه"، ووافقه الذهبي في التلخيص .

وأخرجه الطيالسي في المسند ٩٠/١ .

وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير ٤٠/٢٣ .

وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٤٤/٢.

(٣) تاريخ الطبري ٢٢٥/٥ .

(٤) ينظر الشافي في الإمامة للمرتضي ، ص ٢٩٢ . وتلخيص الشافي للطوسي ، ص ٤٦٦ . والصراط المستقيم للبياضي ١٦٢/٣ .

(٥) هذا حديث حسن أخرجه الحسين المروزي في زوائد الزهد ٢٠٧/٢ ، كما قال الألباني في السلسلة ٨٦٧/٦ . وأخرجه أحمد في المسند ١٣٨/٦.

وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٣٩٠/٦ .

وأخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة ٨٧١/٢

وهو مُضعف والذي حكم بالحُسن الألباني فقال : " وأنا أرى أن الحديث حسن بمجموع إسنادي أبي حنيفة وأحمد " والله أعلم السلسلة الصحيحة ٨٦٧/٦ .

والأحاديث والآثار التي دلت على أنها رضي الله عنها زوج رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة كثيرة جداً ، وقد تقدم ذكر بعضها .

وقد اعترض بعض الشيعة على قول عمار بن ياسر رضي الله عنهما : (إنها زوجته في الدنيا والآخرة) وحاولوا رده بشتى الحجج ؛ كقولهم : غير صحيح ، أو لم يسمعه من رسول الله ﷺ، أو لم يعلم أنها ستقاتل علياً [1]، وهذه الاعتراضات كلها يرد ظاهر الخبر ومنها:

١- قول عمار رضي الله عنه بين يدي شخصين يعتقد الشيعة إمامتهما .

٢- قد قالها مرتين فرّق بينهما الزمان والمكان .

٣- دعوى أنه لم يسمعه من رسول الله ﷺ فمردود ، سيما أن قوله فيه الحكم لمعين بالجنة ، وهو من أصول الاعتقاد ، ولا يتجرأ عليه إلا من كان عنده نص من قرآن أو سنة .

٤- وقد قال هذا القول بعد معركة الجمل في محضر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، كما تقدم . فلا عبرة بقول الشيعة إنه لم يعلم أنها ستقاتل علياً رضي الله عنه .

٥- وقد روي عن عليّ رضي الله عنه نحواً من قول عمار رضي الله عنه ، فقد روى الطبري بسنده أن عائشة رضي الله عنها قالت لما عزمت على الارتحال إلى المدينة بعد ما جهزها علي رضي الله عنه إثر معركة الجمل : (والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها ، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار . وقال علي : يا أيها الناس صدقت والله وبرت ، ما كان بيني وبينها إلا ذلك ، وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة)[2].

فهذا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول عن عائشة رضي الله عنها بعد موقعة الجمل : (إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة).

فماذا يصنع الشيعة الروافض في قوله هذا ؟ هل يردونه ؟ أم يقولون : لم يسمعه من رسول الله ﷺ ؟ أم يزعمونه أنه لم يعلم أنها ستقاتله ؟ أم يقولون تقية ؟

لقد كشفت أباطيلهم فما عاد لهم مفر ، ألا فليستيقظ الأتباع الجهلة الذين لا يعرفون حقائق الأمور أوصموا آذانهم عنها وليتوبوا إلى الله عز وجل من هذا العقوق والكفر .

---

(١) ينظر الشافي في الإمامة للشريف المرتضى ، ص ٢٩٣ الطبعة الحجرية، وتلخيص الصافي ، ص ٤٦٧ .

(٢) تاريخ الطبري ٥/٢٢٥ .

المبحث السابع : دعوى الرافضة عدم توبة عائشة من معاداتها لعلي وحربها له رضي الله عنهما :

يزعم الشيعة الرافضة أن عائشة رضي الله عنها قد كفرت نتيجة حربها لعلي رضي الله عنه ، ومعاداتها له ، وأنها قد حملت من الأوزار الشيء الكثير لخروجها إلى حرب المجمع على إمامته ، ولإباحتها دماء المسلمين وسفكها ، ولإدخالها الشبهة على المستضعفين ؛ فكانت السبب في هلاكهم إلى يوم الدين[1]. وقد سبق الكلام على هذا في الباب الرابع ، لكنّهم زعموا أنها لم تتب من ذلك كله ، وأنها بقيت مصرّة على حربها لعلي ، وأنها بقيت على عداوتها له ولأولاده إلى أن ماتت[2].

أما بكاؤها رضي الله عنها عقب معركة الجمل ، وإظهارها الندم ، فيقول عنه الشيعة : إنه لم يكن دليلاً على التوبة ، بل كانت لأنها فشلت في المعركة ، ولم تحقق مآربها في النيل من علي رضي الله عنه والانتقام منه[3].

ويستدل الشيعة على مزاعمهم هذه بأدلة كلها مكذوبة لا أصل لها ، وليست في كتب أهل العلم ، بل لم يذكرها إلا الشيعة الرافضة الذين عرفوا بين الناس بكثرة الكذب ، بل وبأنهم أكذب الطوائف .

ومما استدلوا به على مزاعمهم المتقدمة :

١- ما زعموه من أنها امتنعت عن تسمية علي رضي الله عنه بأمير المؤمنين بعد معركة الجمل .

واستدلوا بالمحاورة المكذوبة التي ادعوا أنها جرت بين عائشة وابن عباس ، وفيها قول ابن عباس لها : (إن أمير المؤمنين (ع) بعث إليك يأمرك بالرحيل إلى المدينة وقلة العرجة . فقالت : رحم الله أمير المؤمنين ذاك عمر

---

(١) راجع : دلائل الإمامة لابن رستم ، ص ١٢١ . والإرشاد للمفيد ، ص ٢٣٦-٢٣٧ . والجمل للمفيد ، ص ٢٣١ . والشافي للمرتضي ، ص ٢٨٧ . وتلخيص الشافي للطوسي ، ص ٣٥٠ . والطرائف لابن طاوس ، ص ٢٩٢-٢٩٣ والكشكول لحيدر الآملي ،ص ١٥٨. والصراط المستقيم للبياضي ١٨٧/١ ، ١٦١/٣-١٦٢ .

(٢) راجع : الشافي للمرتضي ، ص ٢٩٢٩-٢٩٤ . وتلخيص الشافي للمرتضي ، ص ٤٦٥-٤٦٨ . والاقتصاد للطوسي، ص ٣٦١-٣٦٥ . والطرائف لابن طاوس ، ص ٢٩٨ . والصراط المستقيم للبياضي ١٦٤/٣ . وإحقاق الحق للتستري ، ص ٣٠٩ .

(٣) انظر : الشافي للمرتضي ، ص ٢٩٢ . وتلخيص الشافي للطوسي ، ص ٤٦٦ . وإحقاق الحق للتستري ، ص ٣٠٩ . وسيرة الأئمة الاثني عشرية لهاشم الحسيني ٤٦٣/١ .

ابن الخطاب . فقال ابن عباس : هذا والله أمير المؤمنين ، وإن تربدت فيه وجوه ورغمت فيه معاطس ، أما والله لهو أمير المؤمنين (ع) ، وأمس برسول الله رحماً ، وأقرب قرابة ، وأقدم سبقاً ، وأكثر علماً ، وأعلى مناراً، وأكثر آثاراً من أبيك ومن عمر . فقالت : أبيت ذلك ... الخ)[1].

قال الشيعة الرافضة : وهذا دليل واضح على الإصرار على العداوة وعدم التوبة ؛ فهي رغم عفو علي عنها بعد المعركة لم تستطع أن تخفي حقدها عليه وكرهها له[2].

وزعموا أن ابن عباس قال لعلي بعد تلك المحاورة التي جرت بينه وبين عائشة : (دعها في البصرة ولا ترحلها . فقال : (ع) : إنها لا تألوا شراً، ولكني أردها إلى بيتها)[3].

وهذه القصة مكذوبة فلا أصل لها في كتب أهل العلم المعوّل عليها ، مع مخالفتها لما صح من الأخبار السابقة الذكر في المباحث السابقة ، ولما سيأتي ذكره .

٢- ومن أدلتهم على عدم توبتها – كما زعموا – : زعمهم أنها لما بلغها خبر قتل علي بن أبي طالب فرحت ، واستبشرت . واستدلوا على ذلك بما رواه الطبري في تاريخه قال : (لما انتهى إلى عائشة قتل علي ، قالت :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

فمن قتله ؟ فقيل : رجل من مراد . فقالت :

فإن يك نائياً فلقد نعاه غلام ليس في فيه التراب

---

(١) اختيار معرفة الرجال للطوسي ، ص ٥٧-٦٠ . وانظر : تاريخ اليعقوبي ١٨٣/٢ . والشافي في الإمامة للمرتضي ، ص ٢٩٢ . وتلخيص الشافي للطوسي ، ص ٤٦٥-٤٦٦ . وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨٢/٢ . وبحار الأنوار للمجلسي ٤٥١/٨ . والدرجات الرفيعة للشيرازي ، ص ١٠٨-١٠٩ . وسيرة الأئمة الاثني عشرية لهاشم الحسيني ٤٦١/١-٤٦٢ . وأحاديث أم المؤمنين لمرتضى العسكري ٢٥٥/١-٢٥٦ .

(٢) انظر المراجع السابقة .

(٣) انظر : الجمل للمفيد ، ص ٨٥ . والشافي للمرتضي ، ص ٢٩٢ . وتلخيص الشافي للطوسي ، ص ٤٦٦ . والاقتصاد للطوسي ، ص ٣٦١ . وفي ظلال التشيع لمحمد علي الحسيني ، ص ١١٧-١١٨ .

فقالت زينب بنت أبي سلمة : ألعلي تقولين هذا ؟ فقالت : إني أنسى ، فإذا نسيت فذكروني)[١].

وقد روى ابن جرير الطبري رحمه الله هذا الخبر بصيغة التمريض :"رُوِيَ"، ومعلوم أن الأسانيد في كتابه " التاريخ " مليئة برواة الشيعة الذين دسوا في تاريخ المسلمين من السموم ما دسوا ، ومن أسند فقد أحال .

وقد استشهد الشيعة الرافضة بهذه القصة المكذوبة على فرح عائشة رضي الله عنها واستبشارها بقتل علي ، وزعموا أنها لما بلغها خبر مقتله سجدت لله شكراً، وأظهرت السرور ، وتمثلت بالأبيات الآنفة الذكر[٢].

٣- ومن أدلتهم على عدم توبتها – كما زعموا - : ما زعموه من أنها سمت عبداً لها عبد الرحمن ؛ لحبها عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي رضي الله عنه.

قالوا : (روي عن مسروق[٣]، أنه قال : دخلت على عائشة فجلست إليها تحدثني ، فاستدعت غلاماً لها أسود يقال له عبد الرحمن ، فجاء حتى وقف، فقالت : يا مسروق أتدري لم سميته عبد الرحمن ؟ فقلت: لا ، فقالت : حباً مني لعبد الرحمن بن ملجم قاتل علي)[٤].

وادعى الشيعة أن عداوة عائشة لعلي بقيت حتى بعد موته ، فانتقلت إلى أولاده ، واستدلوا على ذلك :

١- بأنها كانت تحتجب من الحسن والحسين لبغضها لهما ، مع حلّ دخولهما عليها[٥].

---

(١) ينظر : تاريخ الطبري ٨٧/٦ .

(٢) انظر : مقاتل الطالبين للأصفهاني ، ص ٤٣ . والجمل للمفيد ، ص ٨٣-٨٤ . والشافي للمرتضي ، ص ٢٩٢ . وتخليص الشافي للطوسي ، ص ٤٦٦ . والاقتصاد للطوسي ، ص ٣٦٢ . والصراط المستقيم للبياضي ١٦٤/٣ . والمراجعات للموسوي ، ص ٢٥٥ . وأحاديث أم المؤمنين عائشة لمرتضى العسكري ٢٧٨/١-٢٧٩ .

(٣) ابن الأجدع بن مالك الهمزاني الوادعي ، أبو عائشة الكوفي توفي سنة ٦٣هـ ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة ، ينظر : الإصابة ٢٩١/٦ ، وطبقات بن سعد ٧٦/٦ ، وطبقات ابن خياط ١٤٩/١ ، وتهذيب الكمال ٤٥١/٢٧ ، وتقريب التهذيب لابن حجر ، ص ٥٢٨ .

(٤) الجمل للمفيد ، ص ٨٤ . وانظر : الشافي للمرتضى ، ص ٢٩٣ . وتلخيص الشافي للطوسي ، ص ٤٦٦ .

(٥) انظر : أحاديث أم المؤمنين لمرتضى العسكري ٢٧٩/١-٢٨٠ .

٢- بأنها منعت من دفن الحسن بن علي مع جده رسول الله ﷺ ، وركبت على بغل لتمنع من ذلك ؛ لئلا يدخل بيتها من تكره على حد زعم الشيعة. وقد تقدم هذا مع الرد عليه في المبحث الثالث من الفصل الثاني من هذا الباب.

وأضاف الشيعة الروافض بقولهم :" ولو ذهبنا إلى تقصي ما روي عنها من الكلام الغليظ الشديد الدال على بقاء العداوة واستمرار الحقد والحسد والضغينة لأطلنا وأكثرنا"[١].

وقد أطالوا وأكثروا حقاً في ذكر الأخبار الكاذبة ، وسوق الأنباء المختلقة التي تتحدث عن شيء لا وجود له إلا في أذهان الشيعة المريضة ، وقلوبهم المنكوسة ، وعقولهم المعكوسة .

فأي عداوة كانت بين أم المؤمنين وآل البيت ؟ ولِمَ لَمْ تتعرض لها الكتب المعتمدة ؟ ولماذا يورد الشيعة قصصهم الكاذبة بدون أسانيد ؟ أو بأسانيد فيها الكذابون والوضاعون منهم ؟!

ولقد تأصل هذا الأمر في نفوس الشيعة متقدميهم ومتأخريهم ؛ فصاروا إذا ذكروا عائشة رضي الله عنها وصفوها بأوصاف العداء لعلي رضي الله عنه والانحراف عنه.

ومن أمثلة هذه الأوصاف :

- من أعداء علي[٢].
- منحرفة عن علي[٣].
- تحمل في نفسها على علي[٤] .... إلى آخر ما ورد في كتبهم ...

وهذا دأب الرافضة يكيلون المثالب في حق الصحابة ، دون وازع يردعهم ، أو ضمير يؤنبهم ، أو استشعار بمراقبة الله تبارك وتعالى لهم ، أو استحياء من رسول الله بسبب طعنهم في أزواجه وأصحابه رضي الله عنهم.

---

(١) الشافي للمرتضي ، ص ٢٩٣ . وانظر : تلخيص الشافي للطوسي ، ص ٤٦٦ .

(٢) انظر : الجمل للمفيد ، ص ٨١-٨٤ . والشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنية ، ص ٢٥٥ .

(٣) انظر : المراجعات للموسوي ، ص ٢٥٩ . وتاريخ الشيعة لمحمد الحسين المظفر ، ص ٢٧ ، دار الزهراء ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ .

(٤) انظر : علم اليقين للكشاني ٧١٩/٢ .

وهذا لا يخفى على من يعرف ما لهم في هذا الباب من الكتب والمصنفات ، ولا يغيب عن بال من نظر فيما سطروه في تصانيفهم من أكاذيب وترهات ، إذ يدرك لأول وهلة أن جميع مطاعنهم واعتراضاتهم على الصحابة من قبيل الهذيان ، نسأل الله تعالى النجاة من الوقوع في الضلال ، ونعوذ بالله ﷻ من الخذلان .

مناقشة هذه المزاعم :

لقد تقدم أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ومن خرج إلى البصرة لم يكن مرادهم قتال علي رضي الله عنه وإلا لكانت وجهتهم المدينة بدل البصرة – ، بل كان مرادهم الإصلاح، والطلب بدم عثمان رضي الله عنه ، وكانت عائشة رضي الله عنها ترى أن في خروجها مصلحة للمسلمين ، ثم تبين لها فيما بعد أنّ ترك الخروج كان أولى ، فكانت رضي الله عنها إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها وتقول يا ليتني كنت نسياً منسياً ، أو تقول : والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة [1] .

وكانت رضي الله عنها تتذكر أحداث يوم الجمل ، وتبكي ، فقد أخرج الطبري بسنده عن عبدالرحمن بن جندب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : (كان عمرو بن الأشرف آخذ بخطام الجمل ، لا يدنو منه أحد إلا خبطه بسيفه ، إذ أقبل الحارث بن زهير الأزدي وهو يقول[2] :

يا أمنا خير أم نعلم أما ترين كم شجاع يُكلم .

وتختلي هامته والمعصم

فاختلفا ضربتين ، فرأيتهما يفحصان الأرض بأرجلهما حتى ماتا . فدخلت على عائشة رضي الله عنها بالمدينة ، فقالت : من أنت ؟

قلت : رجلٌ من الأزد ، أسكن الكوفة . قالت : أشهدتنا يوم الجمل ؟ قلت : نعم . قالت : ألنا أم علينا ؟ قلت : بل عليكم .

---

(١) انظر : طبقات ابن سعد ١٨/٨ .
وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢/ ١٧٧ .
والدر المنثور للسيوطي ٦/ ٦٠٠ .
وتاريخ بغداد ١٨٥/٩ .
وتاريخ الطبري ٥/ ٢٢١ .
ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية ٣١٦/٤ .
ومختصر التحفة الإثنى عشرية للألوسي ، ص ٢٧٠.

(٢) الذي كان يقول هذه الأبيات عمرو بن الأشرف .

قالت : أفتعرف الذي يقول : يا أمنا خير أم نعلم ؟ قلت : نعم ! ذاك عمي . فبكت حتى ظننت أنها لا تسكت)[1] . فقد ندمت رضي الله عنها على ما بدر منها ، وتمنت لو أنها لم تخرج .

وينبغي أن يعلم أنّ عائشة رضي الله عنها كانت في خروجها إلى البصرة مجتهدة ، مأجورة على اجتهادها ، قصدها الإصلاح ، والله تبارك وتعالى قد غفر للمؤمنين النسيان والخطأ ، وحكي عن المؤمنين أنهم يقولون في دعائهم ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٦] وقال لهم : قد فعلت .[2] .

والمجتهد المخطئ مغفور له خطؤه ، وله أجر اجتهاده ، وكذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

ومثل عائشة في اجتهادها مثل عليّ رضي الله عنه حين ترك المدينة ، وجعل عاصمة خلافته الكوفة بدلاً منها ، ولم يقم فيها كما أقام رسول الله ﷺ والخلفاء من بعده رضي الله عنهم.

ولا يظن بأمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه أنه ترك المدينة رغبة عنها ، بل يقال : اجتهد واخطأ ، وخطأ المجتهد مغفور له ، ولا يتناوله الوعيد لاجتهاده ، وبهذا يجاب عن خروج عائشة رضي الله عنها[3].

وإذا علم هذا تبين أن عائشة رضي الله عنها كانت تبكي على تركها الأولى ، وعلى خطئها المغفور لها في اجتهادها ، لا على الهزيمة وفوات النصر على عليّ كما زعم الرافضة .

أما ما زعمه الشيعة الرافضة من استمرار عداوة عائشة رضي الله عنها لعليّ رضي الله عنه ، وعدم توبتها ، واستدلالهم على ذلك بحكايات مكذوبة لا أصل لها : فزعم باطل ، إذ كل الأدلة التي استدلوا بها على إثبات هذا الزعم - استمرار عداوة عائشة لعلي ، وعدم توبتها من ذلك : هم رواتها . ومعلوم أن رواية المبتدع لا تقبل إذا كان يروي ما يقوي بدعته .

وكذا ما نسبوه إلى ابن جرير الطبري ضعيف أيضاً ، إذ رواه بصيغة التمريض . ولا يخفى أن أسانيد الطبري مليئة برواة الشيعة الرافضة .

ثم إن عائشة رضي الله عنها كانت على علاقة طيبة مع عليّ رضي الله عنه ، ولا بد أن يزيد الموقف الذي وقفه عليّ منها بعد معركة الجمل من مودتها واحترامها له .

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٢١١ .

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق ١/١١٥- ١١٦).

(٣) ينظر : منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية ٤/ ٣١٩- ٣٢١ .

ولقد كانت تروي فضائله :

١- فقد روت حديث الكساء في فضل عليّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين[1] رضي الله عنهم.

٢- أخبرت عن محبة رسول الله ﷺ للحسن بن عليّ[2] .

٣- وكانت كثيراً ما تُحيل السائل على عليّ رضي الله عنه ليجيبه ، فقد أحالت شريح بن هاني[3] لما سألها عن المسح على الخفين على علي رضي الله عنه وقالت له: (عليك بابن أبي طالب فإنه كان يسافر مع رسول الله ﷺ)[4] .

٤- ورغم علمها بأجوبة بعض المسائل فإنها كانت تُحيلها على عليّ ، فقد سئلت : في كم تصلي المرأة من الثياب ؟ فقالت : للسائل : سل علياً ، ثم ارجع إليّ فأخبرني بالذي يقول لك . قال : فأتى عليّاً فسأله فقال : في الخمار والدرع السابغ . فرجع إلى عائشة فأخبرها ، فقالت : صدق[5] .

٥- ولقد طلبت من الناس بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، أن يلزموا عليّاً رضي الله عنه ويبايعوه[6] .

وبعض الشيعة يعترف بهذا[7]، فكيف يقال أنها كانت من أعدائه ، ولقد استمرت علاقتها الطيبة رضي الله عنها مع عليّ ، ومع أولاده من بعده ، وأنتقل حبها في أولادهم ، حتى أنهم سموا بعض بناتهم باسمها[8] رضي الله عنها وأرضاها .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ١٨٨٣/٤ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ .

(٢) انظر : صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل الحسن والحسين٤/ ١٨٨٢- ١٨٨٣، حديث (٢٤٢١) .

(٣) مخضرم ، ثقة .

انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ، ص ٢٦٦ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الطهارة – باب التوقيت في المسح على الخفين ٢٣٢/١ ، حديث (٢٧٦).

(٥) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ٢/ ١٢٨ ، وقد جاء عن عائشة وعن أم سلمة رضي الله عنهما .

(٦) انظر فتح الباري لابن حجر ١٣/ ٢٩، ٤٨ .

(٧) انظر الجمل للمفيد ، ص ٧٣ .

(٨) راجع : إعلام الورى للفضل بن الحسن الطبرسي ، ص ٣٠١ . وكشف الغمة للإربلي ٢/ ٢٣٦ .

أفلا تعجب أخي القارئ – رعاك الله – من هذه المخالفات العجيبة التي سطّرها الشيعة الرافضة في كتبهم ، وتناقلتها أفواههم ، يحسبونها هينة ، وهي عند الله عظيمة .

إن ما رواه الشيعة الرافضة يخالف هدي رسول الله ﷺ ، وسمته ، وما يحبه ويهواه :

لقد كان يُحب الصدّيقة بنت الصدّيق ، الطاهرة العفيفة ، المبرأة من فوق سبع سماوات، ويأمر بحبها ، وينهى عن إيذائها ، حتى عرفت رضي الله عنها بحبيبة رسول الله ﷺ ولم يكن يحب إلا طيباً [1].

وينبغي أن يعلم أنّ عائشة رضي الله عنها قد تأثرت من خروجها إلى البصرة ، فقد كان ظنها أنها تجمع شتات الأمة وتصلحه ، ولم يكن يخطر ببالها رضي الله عنها أن الأمر يصل إلى القتال وسفك الدماء، فلما وقع ما وقع تمنت لو أنها كانت نسياً منسياً ، وودت لو أنها ماتت قبل يوم الجمل بعشرين سنة، وكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها [2].

فهذا معروف متواتر بأنها رضي الله عنها تابت من خروجها ولازمت العبادة والتقوى فهي العالمة العابدة الفقيهة رضي الله عنها .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٢٢٠، ٢٧٦، ٣٤٩، ٦/ ٣٤٩ .

وفي فضائل الصحابة ٢/ ٨٧٢- ٨٧٦ .

وابن سعد في طبقاته ٨/ ٧٤-٧٥ .

والحاكم في المستدرك ٨/٤ ، وصحح إسناده ، ووافقه الذهبي .

(٢) انظر : طبقات ابن سعد ١٨/٨.

وسير إعلام النبلاء للذهبي ٢/ ١٧٧ .

والدر المنثور للسيوطي ٦٠٠/٦ .

وتاريخ الطبري ٢٢١/٥ .

الفصل الرابع

الشبه والطعون غير المدونة في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

الفصل الرابع

الشبه والطعون غير المدونة في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

إن وحدة مصادر التلقي هي العامل الأول في اتفاق الاعتقاد وهي التي تصل اللاحقين بالسابقين ، والفرق المعاصرة وعلى رأسهم الشيعة قد اعتمدوا في التلقي على أصولهم القديمة المجموعة في كتبهم المشهورة والمعروفة ومنها بل أهمها : الكافي للكليني ، والتهذيب للطوسي ، والاستبصار للطوسي، ومن لا يحضره الفقيه للقمي .

قال شيخهم وآيتهم في هذا العصر عبدالحسين الموسوي عن هذه الكتب الأربعة (وهي الكافي ، والتهذيب ، والاستبصار ، ومن لا يحضره الفقيه ، وهي متواترة ، ومضامينها مقطوع بصحتها ، والكافي أقدمها وأحسنها وأتقنها)[1].

ثم إن الشيعة المعاصرين إذا تحدثوا عن طائفتهم ورجالها ودولها نسبوا لها كل الفرق والدول والرجال المنتمين للتشيع كالإسماعيلية أو الباطنية أو الزنادقة الدهرية أو من المجسمة الغلاة .

بدليل أنهم عند حديثهم عن دولتهم تراهم يرون أنها استوعبت آراء وعقائد تلك الفرق.

يقول أحدهم حول هذا المعنى (ولكن يجب أن نشير قبل أن نضع القلم بأن ما مرّ بنا من أفكار الشيعة مما كان خاصا بفرقة بعينها لم يلبث أن دخل كله في التشيع الاثنى عشري ودُعم بالحجج العقلية وبالنصوص ، والتشيع الحالي إنما هو زبدة الحركات الشيعية كلها ... وقام بعملية المزج متكلموا الشيعة ومصنفوها)[2].

فبعد هذا هل يختلف المعاصرون عن طبقة الكليني وأمثالها من السابقين وهم يرجعون إلى معين واحد ومصدر واحد؟

لا شك أنهم لن يختلفوا لا سيّما في الأصول الأساسية كقولهم في الصحابة.

وقد قامت في هذا العصر حركة نشطة لبعث التراث الشيعي القديم وتعريف الناس به وترويجه بينهم، وهذا التراث مليء بالطعن في الكتاب والسنة وكذلك بالطعن والتكفير بل

---

(١) المراجعات لعبدالحسين الموسوي ص ٣١١.

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع لمصطفى الشيبي – دار الأندلس – بيروت – الطبعة الثالثة ١٩٨٢م.

والتخليد في النار لرجال الصدر الأول وفي مقدمتهم الخلفاء الثلاثة وبعض أمهات المؤمنين ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه بنص القرآن .

ويزداد الأمر وضوحاً بعد إيراد بعض أقوال متأخريهم حول أم المؤمنين عائشة ﵂ وذلك من بعض كتبهم التي وقفت عليها ومن بعض المواقع الإلكترونية على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) ، المنسوبة إليهم مباشرة أو الناقلة عنهم في النقاط التالية:

١- التبرؤ من عائشة وحفصة ولعنهما ﵄ .

جاء في الشبكة العنكبوتية (اللهم إني أتقرب إليك باللعن لأبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة.... اللهم العنهم ... اللهم العنهم ... اللهم العنهم جميعا ... اللهم العن عائشة الزانية الوقحة السفيهة الكافرة... اللهم العن حفصة المطلقة مرتين..)[١].

وجاء في مقال بعنوان:يقولون (عائشة أم المتسكعين...) إن يقولون إلا كذبا "وبالنسبة لعائشة بالذات فقد وصفها رسول الله ﷺ بأنها "رأس الكفر" وليس "الكفر" فقط! وهذا ما أورده إمام الوهابيين الحنابلة أحمد بن حنبل في مسنده حيث روى أن النبي ﷺ خرج من بيت عائشة فقال: "رأس الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان") وقال "وبالنسبة لي شخصيا فإنه لو كانت أمي التي ولدتني بهذه الصفات التي سأنقلها من سيرة عائشة وبهذا الحجم الهائل من الانحلال الأخلاقي فإنني لن أتردد في البراءة منها، ولولا أنه لا يجوز لي قتلها لكنت فعلت لأن الشرف عندنا نحن أبناء عشائر العرب أغلى من الروح والحياة "[٢].

وقالوا:" لعن الله عائشة أبد الآبدين و دهر الداهرين اللهم انتقم لدم الحسين الذي قتله جيش عائشة"[٣].

---

(١) أنظر:منتديات شيعة الزهراء عليها السلام www.oneham.com.

(٢) مقال لسعيد السماوي في مجلة المنبر الشيعية الكويتية ، في شعبان ١٤٢٦هـ ، وسعيد هذا هو أحد المؤسسين للأحزاب في الكويت والمسمى (حزب الله).

أنظر موقع البينة www.albainah.net .

(٣)منتديات يا حسين www.yahosein.cjb.com.

٢- دعواهم أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما أذاعتا سر النبي ﷺ .

قال نبيل فياض :" كانت حفصة بنت عمر بن الخطاب أقرب نساء النبي إلى عائشة، وإحدى أهم ركائز حزبها ... ارتبط على نحو شبه مستمر بقصص مؤامراتها مع عائشة ضد النبي أو ضد نسائه الأخريات ... فإن نصوص تفاسير سورة التحريم تتضمن أكثر الإشارات إلى حفصة في التراث الإسلامي، حيث الكلام عن تكليف الله «عائشة وحفصة بالتوبة» ، بعد الذي بدا منهما حين اكتشفتا أن النبي يضاجع مارية القبطية، جاريته، في فراش حفصة.(لا يوجد اتفاق شامل في المصادر الإسلامية حول ما اذا كان فعل المضاجعة حدث في فراش حفصة أم في فراش عائشة) ... وأن عائشة وحفصة أذاعتا سر النبي : «خرجت حفصة من بيتها، فبعث رسول الله إلى جاريته، فجاءته في بيت حفصة [في نص آخر: (أرسل رسول الله إلى مارية، فظلّ معها في بيت حفصة، وضاجعها)] ، فدخلت عليه حفصة وهي معه في بيتها، فقالت: يا رسول الله! في بيتي وفي يومي وعلى فراشي! فقال رسول الله: اسكتي! فلكِ الله لا أقربها ولا تذكريه! فذهبت حفصة فأخبرت عائشة ، فـأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾[سورة التحريم آية ١]. فكان ذلك التحريم حلالاً، ثم قال: ﴿ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡ ﴾[سورة التحريم آية ٢]. فكفّر رسول الله عن يمينه حين آلى، ثم قال: ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا ﴾[سورة التحريم آية ٣] ، يعني: حفصة! ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ ﴾ : حين أخبرت به عائشة! ﴿ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ ﴾ ، يعني: حفصة لما أخبره الله، قالت حفصة: ﴿ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾، يعني: حفصة وعائشة! ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ ﴾، لعائشة وحفصة "(١).

---

(١) ص ١٤ من كتاب بعنوان "أم المؤمنين تأكل أولادها" لنبيل فياض ، مفكر وباحث سوري عُرف بآرائه المثيرة للجدل، وطرح أبحاثه في الفكر الديني المسيحي واليهودي و الإسلامي ، من مؤلفاته: التلمود البابلي ، ورسالة عبـدة الأوثـان ، والقرآن ككتاب مقدّس، ومدخل إلى مشروع الدين المقارن وغيرها من الكتب والأبحاث.

وانظر: شبكة شيعة العراق www.iraqshia.net

وكذلك منتديات البحرين forum.montadayatbh.net.

٣- دعواهم أن أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – لسن من أهل بيت النبي ﷺ.

قالوا :"من هم المقصودين بأهل البيت في الآية : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣] من هم أهل البيت ؟

أهل البيت عليهم السلام الوارد ذكرهم في آية التطهير و كذلك في الكثير من الأحاديث المصيرية المروية عن النبي محمد المصطفى ﷺ وآله ، إستناداً إلى العديد من الأحاديث الصريحة والصحيحة هم التالية أسماؤهم:

أ. الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

ب. السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

ج. الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

د. الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام "(١).

٤- دعواهم أن الله – سبحانه – ضرب امرأة نوح وامرأة لوط مثلاً لعائشة وحفصة رضي الله عنهما.

قالوا "والله عز وجل يهددهم بل ويفضحهم بانهن ليستا من الإسلام والإيمان في شيء ويضرب المثل للناس بان لا يتعجبوا كيف تكونا زوجتا الرسول وكيف هما مجرمتان حيث اورد في اخر السورة المثل بزوجتا نوح ولوط الكافرتان ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [سورة التحريم : ١٠]

فهذه سنة الله حتى في رسله من قبل فكما تكون نساء الأنبياء مؤمنات قد تكون ايضا كافرات ومنافقات والى النار داخلات كامرأتا نوح ولوط وصاحبتينا عايشة وحفصة من بين نساء النبي"(٢) .

---

(١) انظر : منتديات يا حسين www.yahosein.cjb.com.

(٢) انظر: منتديات يا حسين www.yahosein.cjb.com.

٥- دعواهم سوء أدبها ﵂ مع النبي ﷺ.

يقول النيلي في ذلك :" إنها – أي عائشة – كانت تمد رجلها في قبلة النبي ﷺ حال صلاته ولا تسحب رجلها حتى يدفعها فتمدها مرة أخرى "(١).

ويقول العاملي – معرضاً بعائشة ﵂ : " فقد كان ذوات الجمال والإخلاص من أزواجه ﷺ يواجهن الغيرة القاتلة والتآمر المستمر من قبل البعض الآخر من نسائه ﷺ ممن لم يكن لهن نصيب من الجمال ولا من التزام تام بالأدب النبوي الكريم بل كنّ يؤذينه ﷺ بمواقفهن وتصرفاتهن "(٢).

وقالوا :"عائشه واحترامها لمقام زوجها الرسولﷺ ... عن عائشة قالت كنت أمد رجلي في قبلة النبي وهو يصلي فإذا سجد غمزني فرفعتها فإذا قام مددتها"(٣).

وقالوا :" عائشة لا تحترم مقام النبي ففي صحيح البخاري عن عائشة زوج النبي أنها قالت كنت أنام بين يدي رسول الله ورجلاي في قبلته فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي فإذا قام بسطتهما قالت والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح ".(٤)

٦- نفي تسمية عائشة وحفصة ﵄ بأم المؤمنين.

يقول النيلي في ذلك :" إن عائشة وحفصة ليستا من المسلمات المؤمنات القانتات التائبات العابدات السائحات ، فهذه الصفات عالية جداً وهي تدل من جهة أخرى (وهذا هو الأمر المهم الآن) أن هذه الصفات موجودة في غير أزواج النبي ﷺ وإلا فمن أين يبدله خيراً منهن ؟ إذن ليست عائشة وحفصة أفضل النساء في الأمة في أقل تقدير ... ألا تفهمون هذه اللغة حتى تزعموا أن عائشة هي أحب نساء النبي إلى قلبه وأفضل زوجاته "(٥).

---

(١) الشهاب الثاقب لعالم سبيط النيلي ص ٢٧٥ ، من منشورات الرابطة القصدية – بغداد – الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

(٢) الصحيح من سيرة النبي الأعظم – للسيد جعفر مرتضى العاملي ١٢١/٢ طبعة دار الهدى ودار السيرة – لبنان – الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ.

(٣)انظر: منتديات فيصل نور–الحقائق الغائبة fnoor.com/hewar.

(٤)انظر: منتديات يا حسين www.yahosein.cjb.com ففيه الكثير من هذا الباب والعياذ بالله.

وكذلك انظر كتاب (أخيراً أشرقت الروح) للمياء حمادة المولودة عام ١٩٦٥م ، وهي من خريجات جامعة دمشق – كلية الشريعة– عام ١٩٨٧م ، وقد دخلت في التشيع عام ١٩٨٥م .

انظر: موقع دار الزهراء www.darolzahra.com .

(٥) الشهاب الثاقب لعالم سبيط النيلي ص ٢٧٧.

وقالوا :"عائشة وحفصة ليستا للمؤمنين بأمهات ولا مسلمات ولا مؤمنات بل كـــافرات حسب الصحاح والآيات فإن الله ﷻ هددهم وذمهم بل دلل على إنهن عائشة وحفصة ليـــستا بمؤمنات ولا مسلمات ولا عابدات بل مجرمات وللرسول مؤذيات "(١).

وقال سعيد السماوي :" أنا شخصيًا لم تكن عندي مشكلة سابقا في الاعتراف بأن عائشة تكون أمي! ولكن عندما وجدت أن "ساعة قلبها" كانت من العيار الثقيل الذي لا يمكن لأي صاحب شرف وغيره أن يتحمله فإنني رفضت أن تكون لي أما لأنني بصراحة لا يـــشرفني أن تكون هذه أماً لي "(٢).

٧- القول بكفرها وأنها من أهل النار.

وقال سعيد السماوي :" وبالنسبة لعائشة بالذات فقد وصفها رسول الله ﷺ بأنهـــا "رأس الكفر" وليس "الكفر" فقط! وهذا ما أورده إمام الوهابيين الحنابلة أحمد بن حنبل في مـــسنده حيث روى أن النبي ﷺ خرج من بيت عائشة فقال: "رأس الكفر من هاهنا من حيث يطلـــع قرن الشيطان"(٣) .

وقالوا :" رسول الله ﷺ ماذا يقول في عائشة أم المؤمنين... قال خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فقال (رأس الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان يعني المشرق"(٤).

٨- رمي عائشة رضي الله عنها بالفاحشة.

يقول النيلي في قصة الإفك :" قامت – أي عائشة – بحادثة تسمى عند المفسرين : حادثة الإفك ، وهي حادثة ملفّقة . فإن تأخرها عن الركب لم يكن من الإفك وإنما هو حقيقة تاريخية ونفّذت فيها وصايا وأوامر خاصة آتية من القيادة العليا ، فحاولت الإساءة إلى الرسول ولـــو على حساب سمعتها"(٥).

---

(١) انظر : منتديات يا حسين www.yahosein.cjb.com.

(٢) انظر : عائشة أم المتسكعين لسعيد السماوي في مجلة المنبر الكويتية في شعبان ١٤٢٦هـ .

وأنظر موقع البينة www.albainah.net.

(٣)انظر : عائشة أم المتسكعين لسعيد السماوي في مجلة المنبر الكويتية في شعبان ١٤٢٦هـ .

وأنظر موقع البينة www.albainah.net .

(٤)انظر: منتديات فيصل نور-الحقائق الغائبة fnoor.com/hewar.

(٥)الشهاب الثاقب لعالم سبيط النيلي ص ٢٧٢ .

٩- دعواهم أن عائشة ﵂ مصدر الفتنة.

جاء في مقال بعنوان:يقولون(عائشة أم المتسكعين...) إن يقولون إلا كـذبا (وبالنسبة لعائشة بالذات فقد وصفها رسول الله ﷺ بأنها "رأس الكفر" وليس "الكفر" فقط! وهذا ما أورده إمام الوهابيين الحنابلة أحمد بن حنبل في مسنده حيث روى أن النبي ﷺ خرج من بيت عائشة فقال: "رأس الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان")(١).

وقالوا :"رسول الله ﷺ ماذا يقول في عائشه ... قال خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فقال رأس الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان يعني المشرق"(٢).

وقال نبيل فياض "أما بشأن ما يُنظر إليها كأحد أهم مراجع الدين، فقد ورد في صحيح البخاري: "قام النبي ﷺ، فأشار إلى مسكن عائشة، فقال: ههنا الفتنة! ههنا الفتنة! حيث يطلع قرن الشيطان"، وورد في صحيح مسلم: «خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة، فقال: رأس الكفر من ههنا حيث يطلع قرن الشيطان"(٣).

١٠- الطعن في رواية عائشة ﵂ للحديث.

يقول العاملي (ومن الذين يسمح لهم بالحديث على نطاق واسع عائشة أم المؤمنين ، التي نشرت في الناس ألوف الأحاديث التي تصب في اتجاه معين لا يتلاءم كثيرا مع خط علي ﵇ وأهل بيته إن لم نقل : إنه يؤيد الاتجاهات المخالفة له في كثير من الأحيان)(٤).

وقالوا (عائشة ظالمة بصريح الآية الكريمة :

من الاكاذيب الكبرى التي نسبتها عائشة ونقلها البخاري ومسلم إدعاءها بأن النبي الأكرم ﷺ وآله قد سُحر وأثر فيه السحر إلى حدود أخرجته والعياذ بالله من إنسانيته فضلاً عن نبوته... وقد كان اتهام النبي ﷺ وآله بالسحر من ابرز التهم والافتراءات التي ادعاها المشركون

---

(١)انظر : عائشة أم المتسكعين لسعيد السماوي في مجلة المنبرالكويتية في شعبان ١٤٢٦هـ .

وأنظر موقع البينة www.albainah.net .

(٢)انظر: منتديات فيصل نور-الحقائق الغائبة fnoor.com/hewar.

(٣) أم المؤمنين تأكل أولادها لنبيل فياض ص ١١.

(٤) الصحيح من سيرة النبي الأعظم – للسيد جعفر مرتضى العاملي ١/٢٤٦.

في حق النبي الأكرم ﷺ وآله .. وقد وصف الله تعالى من اتهم النبي بالسحر بأنه ظالم .. ومن الواضح أن جزاء الظالم جهنم وبئس المصير﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا ﴾ [سورة الفرقان: ٨].

فعائشة بذلك ظالمة بنسبتها السحر إلى النبي الأكرم ﷺ وآله.

وهذا جزاء الظالمين : ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٢٩]

﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٤١])[١].

١١- دعواهم حسد عائشة لخديجة رضي الله عنهما.

يقول النيلي :" قامت – أي عائشة – بإيذاء الرسول في داره بشتى السبل ، فـإذا ذكـر زوجة سابقة مثل خديجة عليها السلام اعترضت وقالت (عجوز شمطاء أبدلك الله بخير منها) فيقول النبي ﷺ (والله ما أبدلني الله بخير منها ، آمنت بي حين كفر الناس ، وصدقتني حـين كـذبني الناس ، وكان لي منها الولد ، وما رزقني الله من غيرها) وفي كلامه ﷺ دلالة على أنها مكذبة به غير مصدقة بما جاء به وإلا فلا مقارنة بينهما ... "[٢].

ويقول العاملي – معرضاً بعائشة رضي الله عنها – : " وتجدر الإشارة هنا إلى أن عامة المؤرخين على اختلاف أذواقهم ومشاربهم ونحلهم يقولون : إن خديجة كانت أجمل نساء قريش ، كما أنه لا ريب في أنها أفضل نسائه صلوات الله وسلامه عليها ، ولعل ذلك يفسر لنا الـسبب في غـيرة بعض نساء النبي ﷺ منه حتى بعد وفاتها بحيث كنّ يحاولن تنقصها والإزراء عليها باستمرار مع أنهن لم يدركنها في بيت الزوجية أصلا "[٣].

---

(١)انظر : منتديات يا حسين www.yahosein.cjb.com.

(٢) الشهاب الثاقب لعالم سبيط النيلي ص ٢٧٤ .

(٣) الصحيح من سيرة النبي الأعظم – للسيد جعفر مرتضى العاملي ١٢١/٢.

١٢- دعواهم قذف عائشة لمارية القبطية بالفاحشة رضي الله عنها.

قال النيلي (إنها – أي عائشة – اتهمت مارية أم المؤمنين بالزنا مع ابن خالتها بعدما أنجبت مارية إبراهيم ابن رسول الله ﷺ فقالت : إنه يشبه فلانا ، ونشرت وسائل الإعلام النفاقية الخبر ونزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة النور: ١١][١].

وقال نبيل فياض (المفاجأة هنا، هو أن تلك الجارية الجميلة الشابة وحدها أنجبت من النبي طفله الأخير: ابراهيم... رغم معاناة عائشة الهائلة من مأساة الإفك قبل عامين على ولادة ابراهيم، فهي لم تتوان للحظة، بدافع الحسد على الأرجح، عن رمي القبطية به - خاصة وأنها كانت تسكن بعيداً عن المقر النبوي، وأن رفيقها مأبور كان يتردّد عليها باستمرار..."[٢].

١٣- دعواهم تحريض عائشة الناس على قتل عثمان رضي الله عنه.

يقول النيلي :" كانت – أي عائشة – تؤلب على عثمان فإذا قُتل طالبت بدمه "[٣].

عنون بعضهم في الشبكة بقوله :"دور عائشة في التحريض على أمير المؤمنين (ع) ثم نقل كلاما لابن أبي الحديد هذا نصه " قال كل من صنف في السير والأخبار: ان عائشة كانت من أشد الناس على عثمان حتى انها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله ﷺ وآله فنصبته في منزلها، وكانت تقول للداخلين اليها: هذا ثوب رسول الله ﷺ وآله وسلّم لم يبل، وعثمان قد أبلى

(١) الشهاب الثاقب لعالم سبيط النيلي ص ٢٧٢ – ٢٧٣.

(٢) أم المؤمنين تأكل أولادها لنبيل فياض ص ٢٦.

(٣) الشهاب الثاقب لعالم سبيط النيلي ص ٢٧٥ .

سنته، قالوا: أول من سمى عثمان نعثلا عائشة، والنعثل: الكثير شعر اللحية والجسد، وكانت تقول: أقتلوا نعثلا، قتل الله نعثلا..."(١).

١٤- دعواهم معادات عائشة لعلي وحربها له رضي الله عنهما .

يقول نبيل فياض :"كانت – أي عائشة – كارهة لتولي علي للخلافة فلذلك عادته وخرجت لحربه ثم ندمت ولكن ندمها لم يمنعها من كرهه حتى بعد موته : حثت عائشة الخطى باتجاه المدينة. ولما وصلت إلى سرف، ولقيها عبد ابن أم كلاب، وهو عبد أم سلمة، ينسب إلى أمه، فقالت له: مهيم؟ قال: قتلوا عثمان، فمكثوا ثمانياً! قالت: ثم صنعوا ماذا؟ قال: أخذها أهل المدينة بالإجماع، فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز - اجتمعوا على عليّ بن أبي طالب! فقالت: والله، ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تمّ الأمر لصاحبك، ردوني ردوني! فارتدّت إلى مكّة، وهي تقول: قتل - والله - عثمان مظلوماً! والله لأطلبن بدمه! ... كان كثيرون من أبرز وجوه المجتمع الإسلامي آنذاك يرفضون خروج عائشة لحرب عليّ جملة وتفصيلاً، معتبرين إياه، كغيرهم، خروجاً على الكتاب والسنّة ... حاول عليّ منع الحرب عن طريق الإلتجاء إلى حكم المصحف. لكن يبدو أن حزب عائشة كان مصرّاً على الحرب... ولعبت عائشة الدور الأبرز في تحريض الناس على القتال.... رغم كلّ المبررات التي يلفقها الإسلاميون المعاصرون لعائشة، لغسلها من مصائب الجمل وذيولها، فقد كانت هي ذاتها مسكونة بشعور الإثم بسبب

---

(١) انظر : منتديات يا حسين www.yahosein.cjb.com.

فعائلها..... لكن كلّ هذا الندم لم يغسل قلبها، وهي أم المؤمنين، من كراهية أميرهم: عليّ بن أبي طالب. فقد ظلّت تكرهه حتى بعد مماته "(١).

وقـــالوا :"قـــال رســـول الله صـــلى الله عليـــه و آلـــه في معركـــة خيـــبر : لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله و رسوله كرارا غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديـــه فراية علي ابن أبي طالب صلوات الله عليه هي راية رسول الله ﷺ و آله و هـــي رايـــة الحـــق و من يحارب راية علي ابن أبي طالب صلوات الله عليه فقد حـــارب رســـول الله ﷺ و آلـــه و عائشة بحربها و عدائها لحامل راية الحق أسد الله الغالب علي ابن أبي طالب صلوات الله عليه فإنما حاربت رسول الله ﷺ و آله و قتلت من أمته عشرين ألفا من المسلمين ، صلى الله عليك يا أمير المؤمنين يا علي ابن أبي طالب ، ولعن الله من حاربك لا سيما عائشة صاحبة الجمـــل الأدبب لعنة الله عليها "(٢).

وقالوا :"للأسف عصت ربها وتركت بيتها و حاربت ابن عم بعلها و امام زمانها وقتـــل بينها آلاف المسلمين فكيف ستلقى ربها "(٣).

وقالوا : عائشة .. ملكة جِمال العالم :

في البدء أرجو أن تتأكد من قراءة جِمال بكسر الجيم لا بفتحها .. لان من نحن بصددها بعيدة كل البعد عن الجَمال .. وقريبة دائماً من الجِمال ..

---

(١) أم المؤمنين تأكل أولادها لنبيل فياض ص ٤١-٤٨.

(٢) انظر: منتديات يا حسين www.yahosein.cjb.com.

(٣) انظر: منتديات يا حسين www.yahosein.cjb.com.

نقول إنها ملكة جمال العالم .. لأسباب:

لأهمية المعركة التي خاضتها فوق الجمل .. تلك المعركة التي غيّرت وجه ا لتاريخ الإسلامي .. وحولته إلى مآسي لا نهاية لها .. ومنها جاءت معركة صفين .. فالنهروان .. فاغتيال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .. وهذه المآسي التي تعيشها الأمة حتى اليوم.

اعتقد انك عرفتها .. صاحبة الجمل .. عائشة ومن غيرها)[1].

يقول العاملي :" وقد كان العراق موطناً لعلي عليه السلام مدة خلافته ، وقد ناصر العراقيون علياً ورأوا ورووا بعض فضائله عليه السلام ، وقاتلوا الناكثين والمارقين والقاسطين معه ، فعاداهم الناس واتهموهم بالكذب والوضع لأجل ذلك وفرضوا عليهم حصاراً ثقافياً وإعلامياً ، ولعل أول من بادر إلى اتهامهم بذلك هو أم المؤمنين عائشة التي لقيت على أيديهم في حرب الجمل شر هزيمة "[2].

ويقول النيلي :" وكانت – أي عائشة – مسرورة جداً لإبادة جيشها الخاص في معركة الجمل ... وخرجت عائشة في النهاية على الشرع كله بسبب انغمارها بالكفر وعدم تخليها عن موالاة القيادة العامة للذين كفروا ، فخرجت تشارك في الأحداث العسكرية وتقود الجيوش وتبعث بالرسائل إلى الرجال ليجتمعوا عندها وتركت الأمر القرآني في قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣][3].

---

(١) انظر: منتديات يا حسين www.yahosein.cjb.com.

(٢) الصحيح من سيرة النبي الأعظم – للسيد جعفر مرتضى العاملي ١/١٦٠ – ١٦١.

(٣) الشهاب الثاقب لعالم سبيط النيلي ص ٢٧٧ .

هذا ما تيسر لي الوقوف عليه من كلام متأخري الرافضة – دون استيفاء لكل ما قـــالوه وذكروه لأن المقصود التمثيل لإيضاح حالهم فقط – والذي يدل دلالة لا شك فيها أن معتقد القوم وموقفهم من أمنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هو معتقد وموقف أسلافهم لم يتغير و لم يتبدل ، والتي سبق ولله الحمد كشفها والرد عليها في هذا الباب والباب الذي سبقه بما لا مزيد عليـــه لأعادته هنا مرة أخرى والله أعلى وأعلم .

الباب السابع

أثر عقائد المخالفين لأهل السنة في الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وفيه فصلان:

الفصل الأول

تأثير الفرق الإسلامية بعضها في بعض.

الفصل الثاني

أثر عقائد المخالفين لأهل السنة في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في كتابات المستشرقين.

الفصل الأول

تأثير الفرق الإسلامية بعضها في بعض.

عاش الصحابة مع رسول الله ﷺ وكان بينهم كالشمس للدنيا فكان يعلمهم ويربيهم وكان الوحي يتنزل على رسول الله ﷺ حتى بنى النبي ﷺ بإذن الله دولة إسلامية كاملة شاهقة في فترة لا تساوي في حساب الزمن شيئاً فما مات رسول الله ﷺ حتى أتم الله الدين وكملت النعمة ثُم قبض النبي ﷺ والصحابة يداً واحدة ثم جاء النزاع حول من يتولى الخلافة بعد رسول الله ﷺ فأجمع الناس على صاحب رسول الله وحبيبه أبو بكر الصديق بعد اجتماعهم في سقيفة بني ساعدة ، ثم سارت مسيرة الدولة الإسلامية على أتم وجه مع ما حدث من ردة وغيرها ولكن انتهت الأمور على أحسن حال ، ثم توفي الصديق رضي الله عنه فولي عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الفاروق وكان باب الفتنة الذي كسر كما ورد في حديث حذيفة ، فاتسعت رقعة الدولة الإسلامية وكان الأمن الفكري هادئاً ولم تقع فتنة ولا خلافات عقدية حتى بويع أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنهم جميعاً ، زوج ابنتي رسول الله ﷺ ، ثم وقعت أحداث سبق الإشارة إلى بعضها اتخذها البعض حجة ضد أمير المؤمنين وتوالت الأحداث ومرت السنون حتى قتل عثمان رضي الله عنه ، وبويع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ووقعت الفتن والمحن فكانت موقعة الجمل ومر الكلام عليها بنوع من التفصيل ، وانتهى الأمر على هذا ولكن كان السبب فيها هم السبئية أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي ، هذا هو رأس الأفعى الذي أنكره البعض وأقر به البعض ولذا فسنورد الكلام عليه مفصلاً ؛ لأنه كان سبب التأثير في غالب من جاء بعده من الرافضة وغيرهم ثم نردف ذلك بالكلام على تأثير الفرق الإسلامية بعضها في بعض .

عبد الله بن سبأ رأس الفتنة بين الإثبات والنفي :

إن تشكيك بعض الباحثين المعاصرين في عبد الله بن سبأ[1]، وأنه شخصية وهمية ، وإنكارهم وجوده لا يستند إلى الدليل العلمي ، ولا يعتمد على المصادر المتقدمة ، بل هو مجرد استنتاج يقوم على آراء وتخمينات شخصية تختلف بواعثها حسب ميول واتجاهات متبنيها .

ويمكن القول : أن الشكاك والمنكرين لشخصية ابن سبأ هم طائفة من المستشرقين ، وفئة من الباحثين العرب ، وغالبية الشيعة المعاصرين .

ومن العجب أن هؤلاء المستشرقين وذيولهم من الرافضة والمستغربين في عصرنا أنكروا شخصية عبد الله بن سبأ ، وأنه شخصية وهمية لم يكن لها وجود ! فأين بلغ هؤلاء من الجهل ، وقد ملأت ترجمته كتب التأريخ والفرق ، وتناقلت أفعاله الرواة وطبقت أخباره الآفاق .

لقد اتفق المؤرخون والمحدثون وأصحاب كتب الفرق والملل والنحل والطبقات والأدب والأنساب الذين تعرضوا للسبئية على وجود شخصية عبد الله بن سبأ الذي ظهر في كتب أهل السنة ، كما ظهر في كتب الشيعة شخصية تاريخية حقيقية .

ولهذا فإن أخبار الفتن أثر ابن سبأ فيها لم تكن قصراً على تاريخ الإمام الطبري وإنما هي أخبار منتشرة في روايات المتقدمين ، وفي ثنايا الكتب التي رصدت أحداث التاريخ الإسلامي ، وآراء الفرق والنحل في تلك الفترة إلا أن ميزة تاريخ الإمام الطبري على غيره أنه أغزرها مادة وأكثرها تفصيلاً .

ولهذا فإن التشكيك في هذه الأحداث بلا سند وبلا دليل إنما يعني الهدم لكل تلك الأخبار والتسفيه بأولئك المخبرين والعلماء، وتزييف الحقائق التاريخية .

فمتى كان المنهجية ضرباً من ضروب الاستنتاج العقلي المحض في مقابل النصوص والروايات المتضافرة ، وهل تكون المنهجية في الضرب صفحاً والإعراض عن المصادر الكثيرة المتقدمة والمتأخرة التي أثبتت لابن سبأ شخصية واقعية ؟!

---

(١) هو عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء ، يهودي من صنعاء ، أظهر إسلامه في زمن عثمان بن عفان وظهر له نشاط ملحوظ في العراق ومصر خاصة ، يرسم خططاً ويدلي بآراء هدامة ليبعد المسلمين عن دينهم وطاعة خليفتهم ، ويوقع بينهم الفرقة والخلاف .

ترجم له الطبري في تاريخه ٣٤٠/٤ . وابن كثير في البداية والنهاية ١٨٣/٧ .

أولاً : ابن سبأ عند أهل السنة :

جاء ذكر السبئية على لسان أعشى همدان[1] المتوفى عام (٨٣هـ) وقد هجى المختار وأنصاره من أهل الكوفة بعدما فر مع أشراف قبائل الكوفة إلى البصرة بقوله :

شهدت عليكم أنكم سبئية   وأني بكم يا شرذمة الكفر عارف[2]

وهناك رواية عن الشعبي المتوفى سنة (١٠٣هـ) تفيد أن :" أول من كذب عبد الله ابن سبأ"[3].

وهذا الفرزدق[4] المتوفى سنة (١١٦هـ) يهجو أشراف العراق ومن انضم إلى ثورة ابن الأشعث في معركة دير الجماجم سنة (٨٣هـ) ويصفهم بالسبئية ، حيث يقول :

كأن على دير الجماجم منهم   حصائد أو أعجاز نخل تقعَّرا
تعرَّف همدانية سبئية   وتكره عينها على ما تنكرا
رأته مع القتلى وغير بعلها   عليها تراب في دم قد تعفرا
أراحوه من رأس وعينين كانتا   بعيدين طرفاً بالخيانة أحزرا
من الناكثين العهد من سبئية   وإما زبيري من الذئب أغدرا
ولو أنهم إذ نافقوا كان منهم   يهوديهم كانوا بذلك أعذرا[5]

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله الحارث الهمداني : المعروف بأعشى همدان : الشاعر الفارس ، أحد الفقهاء القراء ، لكنه قال الشعر وعرف به ، قال فيه الذهبي : شاعر مفوه شهير ، كان متعبداً ، فاضلاً ، خرج مع القراء على الحجاج ، فجيء به أسيراً ، فأمر به الحجاج فضربت عنقه عام (٨٣هـ) .

ترجم له الأصفهاني : في كتاب الأغاني ٤١/٦ ، والذهبي في تاريخ الإسلام ٢٤٢/٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٨٥/٤ .

(٢) ديوان أعشى همدان لعبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث (المعروف بأعشى همدان) ، ص ١٤٨ تحقيق : حسن عيسى أبو ياسين — دار العلوم — الرياض ١٤٠٣هـ ، والطبري في تاريخه ٨٣/٦ .

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ٧/٢٩ .

(٤) هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي البصري أبو فراس عرف بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظه . كان من كبار شعراء العصر الأموي ، وعظيم الأثر في اللغة حتى قيل : لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ، جمع بعض شعره في ديوانه ، توفي ببادية البصرة عام (١١٠هـ) .

ترجم له محمد بن سلامة الجمحي في طبقات فحول الشعراء ، ص ٧٥ تحقيق : جوزيف هل ، ليدان ، مطبعة بريل ، وأبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني ٣٦٧/٩ ، ومحمد بن عمران بن موسى المرزباني ، في معجم الشعراء ، ص ٤٨٦، تحقيق : مزيتس كرنكو ، مكتبة القدس ، القاهرة ١٣٥٤هـ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٥٩٠/٤ .

(٥) ديوان الفرزدق لهمام بن غالب بن صعصعة التميمي ، ص ٢٤٢-٢٤٣ ، دار صادر ، بيروت — لبنان ١٣٨٦هـ .

وقد نقل الإمام الطبري في تفسيره رأياً لقتادة بن دعامة السدوسي[1] البصري المتوفى عام (١١٧هـ) في النص التالي ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾ [سورة آل عمران : ٧] ، وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ قال : " إن لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدري "[2].

وفي الطبقات لابن سعد المتوفى سنة (٢٣٠هـ) ورد ذكر السبئية وأفكار زعيمها وإن كان لم يشر إلى ابن سبأ بالاسم ، فعن عمرو بن الأصم قال : قيل للحسن بن علي أن ناساً من شيعة أبي الحسن علي يزعمون أنه دابة الأرض وأنه سيبعث يوم القيامة ، فقال : كذبوا ، ليس أولئك شيعته ، أولئك أعداؤه ، لو علمنا ذلك ما قسمنا ميراثه ولا أنكحنا نساءه ...[3] علماً بأن ما ذكر في هذا النص لا يخرج عما جاء به ابن سبأ من آراء ، وأكده علماء الفرق والنحل والمؤرخون في كتبهم[4].

وخبر إحراق علي بن أبي طالب رضي الله عنه لطائفة من الزنادقة تكشف عن الروايات الواردة في كتب الصحاح والسنن والمسانيد[5].

---

(١) هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري المفسر من ثقات التابعين وحفاظهم ، كان آية في الحفظ لا يسمع شيئاً إلا حفظه ، قال أبو حاتم : سمعت أحمد بن حنبل وذكر قتادة فأطنب في ذكره ، ووصفه بالحفظ والفقه . وقال ابن سعد : ثقة مأمون حجة في الحديث ، ووثقه ابن معين ، وقال سفيان الثوري : أو كان في الدنيا مثل قتادة! توفي سنة (١١٧هـ).
ترجم له ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢٢٩/٧ ، وأحمد بن عبد الله العجلي في تاريخ الثقات ، ص ٣٨٩ ، تحقيق : عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ١٤٠٥هـ ، ويحيى بن معين البغدادي في التاريخ ٤٨٤/٢، تحقيق : أحمد محمد نور سيف ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٣٩٩هـ ، ومحمد بن أحمد الذهبي في تذكرة الحفاظ ١٢٢/١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، وابن حجر في التهذيب ٣٥١/٨ .

(٢) جامع البيان للطبري ١١٩/٣ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٩/٣.

(٤) انظر : مقالات الإسلاميين للأشعري ٨٦/١ ، والمقالات والفرق للقمي ، ص ١١٩ ، والمجروحين لمحمد بن حبان التميمي ٢٥٣/٢ ، تحقيق : إبراهيم محمود زايد ، دار الوعي ، حلب ، والبدء والتاريخ لابن المطهر المقدسي ١٢٩/٥، مكتبة المثنى ، بغداد .

(٥) انظر : صحيح البخاري مع الفتح – كتاب الجهاد – باب لا يعذب بعذاب الله ١٧٣/٦ ، حديث (٣٠١٧) .
وسنن أبي داوود – كتاب الحدود – باب الحكم فيمن ارتد ٥٢٠/٤ ، حديث (٤٣٥١) .
وسنن الترمذي – كتاب الحدود – باب ما جاء في المرتد ٤٨/٤ ، حديث (١٤٥٨) .
والمستدرك للحاكم ٥٣٨/٣ .

فقد ذكر الإمام البخاري المتوفي عام (٢٥٦هـ) في كتاب استتابة المرتدين من صحيحه عن عكرمة قال : (أتى علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي النبي ﷺ : (لا تعذبوا بعذاب الله) ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ : (من بدل دينه فاقتلوه)[١].

ولفظ الزندقة ليس غريباً عن عبد الله بن سبأ وطائفته ، يقول ابن تيمية : " إن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ "[٢]. ويقول الذهبي :" عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ، ضال مضل"[٣]، ويقول ابن حجر :" عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ... وله أتباع يقال لهم السبئية معتقدين الإلهية في علي بن أبي طالب ، وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته"[٤].

ويقول في موطن آخر : بأن أحد معاني الزندقة الإدعاء بأن مع الله إلهاً آخر[٥] ، وهذا المعنى قال به ابن سبأ وأتباعه ، وجزم بذلك أصحاب المقالات والفرق والمحدثون والمؤرخون .

ذكر الجوزجاني[٦] المتوفى عام (٢٥٩هـ) أن السبئية غلت في الكفر فزعمت أن علياً إلهاً حتى حرقهم إنكاراً عليهم واستبصاراً في أمرهم حين يقول :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً ... أججت ناري ودعوت قنبرا[٧]

---

(١) أخرجه البخاري صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب استتابة المرتدين – باب لا يعذب بعذاب الله ١٧٣/٦ ، حديث (٣٠١٧) .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٨٣/٢٨ .

(٣) الميزان للذهبي ٤٢٦/٢ .

(٤) لسان الميزان لابن حجر ٢٩٠/٣-٣٨٩ .

(٥) الفتح لابن حجر ٢٧٠/١٢ .

(٦) هو إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجوزجاني – نسبة إلى جوزجان بخراسان ، المحدث الحافظ المصنف الثقة، رجل في طلب الحديث إلى مكة يم البصرة ثم الرملة بأرض فلسطين ، من كتبه : الجرح والتعديل ، والضعفاء ، توفى عام (٢٥٩هـ) .

انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ، والبداية والنهاية لابن كثير ٣١/١١ . وتذكرة الحفاظ للذهبي ٥٤٩/٢ .

(٧) أحوال الرجال للجوزجاني ، ص ٣٨ .

أما الإمام الطبري المتوفى عام (٣١٠هـ) فقد أفاض في تاريخه في ذكر أخبار ابن سبأ ومكائده[١].

وأكد ابن عبد ربه المتوفى عام (٣٢٨هـ) أن ابن سبأ وطائفته السبئية قد سلكوا مسلك الغلو في علي حينما قالوا : هو الله خالقنا ، كما غلت النصارى في المسيح ابن مريم عليه السلام ثم أنشد فيهم قول السيد الحميري[٢].

قوم غلوا في علي لا أبا لهم   وأجشموا أنفساً في حبه تعباً

قالوا هو الله جل الله خالقنا   من أن يكون ابن شيء أو يكون أبا[٣]

ويذكر أبو الحسن الأشعري المتوفى عام (٣٣٠هـ) عبد الله بن سبأ وطائفته من ضمن أصناف الغلاة ، إذ يزعمون أن علياً لم يمت ، وأنه سيرجع إلى الدنيا فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً[٤].

ويوجد لابن سبأ ذكر في كتب الجرح والتعديل ، يقول ابن حبان المتوفى عام (٣٥٤هـ) :" وكان الكلبي – محمد بن السائب الإخباري – سبئياً من أصحاب عبد الله بن سبأ ، من أولئك الذين يقولون : أن علياً لم يمت وأنه راجع إلى الدنيا قبل قيام الساعة ... وإن رأوا سحابة قالوا : أمير المؤمنين فيها ..."[٥].

ولكنهم لا يكثرون من ذكر ابن سبأ في كتب الجرح والتعديل ؛ لأنه لا رواية له في الحديث النبوي ، وهي تركز على من روى الحديث .

---

(١) تاريخ الطبري للطبري ٢٨٣/٤، ٣٢٦، ٣٣١، ٣٤٠، ٣٤٩، ٣٩٨، ٤٩٣، ٤٩٤، ٥٠٥ .

(٢) هو محمد بن وهيب الحميري البغدادي أبو جعفر الشاعر ، لازم الحسن بن سهل وزير المأمون ، وكان يتشيع ، له قصائد في المديح يتكسب بها ، وله مراثٍ في أهل البيت ، توفي عام (٢٢٥هـ) .

ترجم له الأصفهاني في كتاب الأغاني ٨٠/١٩ ، والمرزباني في معجم الشعراء ، ص ٤٢٠ ، وصلاح الدين الصفدي في الوافي بالوفيات ١١٨/٥ تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ١٤٢٠هـ .

(٣) العقد الفريد لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ٣٣٠/٢، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ .

(٤) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ٨٥/١ .

(٥) المجروحين لابن حبان ٢٥٣/٢ .

ويقول المقدسي[1] المتوفى عام (٣٥٥هـ) في كتابه البدء والتاريخ : أن عبد الله بن سبأ قال للذي جاء ينعي إليه موت علي بن أبي طالب : " لو جئتنا بدماغه في صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه"[2].

ويكشف الملطي المتوفى عام (٣٧٧هـ) عن عقيدة السبئية فيقول :" ففي عهد علي ﵁ جاءت السبئية ، وقالوا له : أنت أنت !! قال: ومن أنا؟ قالوا : الخالق البارئ ، فاستتابهم فلم يرجعوا فأوقد ناراً عظيمة وأحرقهم، وقال مرتجزاً :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً   أججت ناري ودعوت قنبرا[3]

وذكر البغدادي المتوفي عام (٤٢٩هـ) أن فرقة السبئية أظهروا بدعتهم في زمان علي ﵁ فأحرق قوماً منهم ونفي ابن سبأ إلى سباط المدائن إذ نهاه ابن عباس ﵄ عن قتله حينما بلغه غلوه فيه وأشار عليه بنفيه إلى المدائن حتى لا تختلف عليه أصحابه ، لا سيما وهو عازم على العودة إلى قتال أهل الشام[4].

ونقل ابن حزم المتوفى عام (٤٥٦هـ) أن الذين قالوا بجواز النبوة بعد النبي ﷺ هم السبئية ، وأنهم هم الذين انتقلوا بعد ذلك إلى القول بإلوهية علي ، يقول في هذا الصدد :

"والقسم الثاني من الفرق الغالية الذين يقولون بالإلهية لغير الله ﷻ فأولهم قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميري لعنه الله أتوا إلى علي بن أبي طالب فقالوا مشافهة : أنت هو، فقال لهم : ومن هو – قالوا : أنت الله ، فاستعظم الأمر وأمر بنار فأججت وأحرقهم بالنار"[5].

---

(١) هو محمد بن طاهر المقدسي البستي ، المؤرخ صاحب البدء والتاريخ نسبته إلى بيت المقدس لكنه عاش في بست من بلاد سجستان وبها توفي عام (٣٥٥هـ) .

ترجم له: زين الدين عمر ابن المظفر ابن الوردي في خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، ص ٢٤٩ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٥٨هـ ، ومصطفى بن عبد الله حاجي خليفة في كشف الظنون ٢٢٧/١ ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ١٤٢١هـ.

(٢) البدء والتاريخ للمقدسي ١٢٩/٥ .

(٣) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي ، ص ١٨ . وقنبر هو مولى علي بن أبي طالب . الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٣٧/٦ . والميزان للذهبي ٣٩٢/٣ .

(٤) الفرق بين الفرق ، ص ١٥-٢٢٥ .

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٨٦/٤ .

ثم يستطرد قائلاً : " وهذه الفرق باقية إلى اليوم فاشية ، عظيمة العدد ، منهم كان إسحاق بن محمد النخعي الأحمر الكوفي ... ويقولون : إن محمد رسول علي ..."[(١)].

ويقول الأسفرائيني المتوفى عام (٤٧١هـ) : أن ابن سبأ قال بنبوة علي في أول أمره ، ثم دعا إلى إلوهيته ، ودعا الخلق إلى ذلك فأجابته جماعة إلى ذلك في وقت علي[(٢)].

ويتحدث الشهرستاني المتوفى عام (٥٤٨هـ) عن ابن سبأ فيقول : " ومنه انشعبت أصناف الغلاة "[(٣)]، ويقول أيضاً : إن ابن سبأ هو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي[(٤)].

وعرف ابن عساكر المتوفى عام (٥٧١هـ) ابن سبأ بقوله : عبد الله بن سبأ الذي نسب إليه السبئية ، وهم الغلاة من الرافضة ، أصله من اليمن ، كان يهودياً وأظهر الإسلام[(٥)].

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى عام (٧٢٨هـ) أن أصل الرفض من المنافقين الزنادقة ، فإنه ابتدعه ابن سبأ الزنديق ، وأظهر الغلو في علي بدعوى الإمامة والنص عليه ، وادعى العصمة له[(٦)].

وعند الحافظ الذهبي المتوفى عام (٧٤٨هـ) :" عبد الله بن سبأ من غلاة الشيعة ، ضال مضل "[(٧)].

ويشير الشاطبي المتوفى عام (٧٩٠هـ) إلى أن بدعة السبئية من البدع الاعتقادية المتعلقة بوجود إله مع الله – تعالى الله – وهي بدعة تختلف عن غيرها من المقالات[(٨)].

وقد سرد الحافظ ابن حجر المتوفي عام (٨٥٢هـ) في كتابه (لسان الميزان) عن ابن سبأ أخباراً ، ثم قال :" وأخبار عبد الله بن سبأ شهيرة في التواريخ وليس له رواية والحمد لله "[(٩)].

---

(١) المصدر السابق ١٨٦/٤ .

(٢) التبصرة في الدين للأسفرائيني ، ص ١٠٨ .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١١٦/٢ .

(٤) المصدر السابق ١٥٥/١ .

(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر ٣/٢٩ .

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٣٥/٤ .

(٧) المغني في الضعفاء للذهبي ٣٣٩/١ .

(٨) الاعتصام للشاطبي ١٩٧/٢ .

(٩) لسان الميزان لابن حجر ٢٩٠/٣ .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لا ينبغي التقليل من قيمة المصادر المتأخرة التي ذكرت السبئية، ذلك أن أصحابها كابن كثير والذهبي وابن حجر وغيرهم من الأئمة الحفاظ كانوا يستقون معلوماتهم من مصادر قديمة وقيمة بعضها الآن في عداد المفقود ، كما عرفوا بسعة اطلاعهم ، وغزارة معارفهم ، وتقصيهم الدقيق للأخبار حتى أن الباحث يندهش مثلاً عندما يطلع على كثرة الطرق وتنوعها في رواية ابن حجر لأحداث تاريخية ، ومن مصادر متقدمة جداً كأخبار البصرة لابن شبة[1] ، وكتاب صفين[2] ليحيى بن سليمان الجعفي[3] أحد شيوخ البخاري ، والمعرفة والتاريخ[4] للفسوي . وتاريخ[5] أبي زرعة الدمشقي ، وغيرها من كتب التاريخ ناهيك عن الرجوع إلى مصادر حديثية تشمل فوائد تاريخية جمة كمسند أحمد بن حنبل[6] ومسند البزار[7] ومصنف ابن أبي شيبة[8] وغيرها من كتب الحديث .

---

(١) انظر : الفتح لابن حجر ١٣/٥٤ .

(٢) انظر : المصدر السابق ١٣/٨٦ .

(٣) هو يحيى بن سليمان بن يحيى الجعفي الكوفي أبو سعيد ، قال أبو حاتم : شيخ ، وقال مسلمة بن قاسم : لا بأس به ، ووثقه ابن حبان والداقطني والعقيلي .

انظر : الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٩/١٥٤ ، والتاريخ الكبير للبخاري ٤/٢/٢٨٠، والتهذيب لابن حجر ١١/٢٢٧، والميزان للذهبي ٤/٣٨٢ .

(٤) انظر : الفتح لابن حجر ١٣/٦٥ .

(٥) انظر : المصدر السابق ١٣/٧٢ .

(٦) انظر : المصدر السابق ١٣/٨٦ .

(٧) انظر : المصدر السابق ١٣/٨٥ .

(٨) انظر : المصدر السابق ١٣/٥٧ .

ثانياً : ابن سبأ عند الشيعة :

نقل القمي المتوفى عام (٣٠١هـ) أن عبد الله بن سبأ أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة ﷺ وتبرأ منهم وادعى أن علياً أمره بذلك[١].

ويتحدث النوبختي المتوفى عام (٣١٠هـ) عن أخبار ابن سبأ فيذكر – على سبيل المثال– أنه لما بلغ نعي علي بالمدائن قال للذي نعاه : كذبت ، ولو جئتنا بدماغه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت و لم يقتل ، ولا يموت حتى يملك الأرض[٢].

وروى الكشي المتوفى عام (٣٤٠هـ) بسنده إلى أبي جعفر محمد الباقر قوله : أن عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة ، ويزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً[٣].

وروى أيضاً عن أبان بن عثمان قال : سمعت أبا عبد الله – جعفر الصادق – يقول لعن الله ابن سبأ ، إنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين ، وكان أمير المؤمنين عبداً لله طائعاً ، الويل لمن كذب علينا ، وإن قوماً يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا ، نبرأ إلى الله منهم ، نبرأ على الله منهم[٤].

كما روى – أي الكشي – بسنده إلى علي بن الحسين :" لعن الله من كذب علينا ، إني ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كل شعرة من جسدي ، لقد ادعى أمراً عظيماً ما له ، لعنه الله ..."[٥].

---

(١) المقالات والفرق للقمي ، ص ٢٠ .

(٢) فرق الشيعة للنوبختي ، ص ٢٣ .

(٣) معرفة أخبار الرجال للكشي ، ص ٩٨-٩٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

وجاء في شرح عقائد الصدوق للمفيد المتوفى عام (٤١٣هـ) ذكر الغلاة من المتظاهرين بالإسلام – يقصد السبئية الذين نسبوا أمير المؤمنين – علي – والأئمة من ذريته إلى الإلوهية والنبوة ، فحكم فيهم أمير المؤمنين بالقتل والتحريق بالنار[1].

وقال أبو جعفر الطوسي المتوفى عام (٤٦٠هـ) أن ابن سبأ رجع إلى الكفر وأظهر الغلو[2].

وذكر ابن أبي الحديد المتوفى عام (٦٥٥هـ) في شرح نهج البلاغة ما نصه : فلما قتل أمير المؤمنين عليه السلام أظهر ابن سبأ مقالته ، وصارت له طائفة وفرقة يصدقونه ويتبعونه[3].

وأشار الحسن بن علي الحلي المتوفى عام (٧٤٠هـ) إلى أن ابن سبأ ضمن أصناف الضعفاء [4].

أما محمد بن إبراهيم بن المرتضى الملقب بابن الوزير المتوفى عام (٨٤٠هـ) وهو من أئمة الشيعة الزيدية فيرى أن أصل التشيُّع مرجعه إلى ابن سبأ ؛ لأنه أول من أحدث القول بالنص في الإمامة[5].

وليس هناك منازع في أن عبدالله بن سبأ (ابن السوداء) كان له أثر كبير في كل من أتى بعده ، بل هو الأصل في كل ما أحدث من بدع بل وكُفر مثل القول بوصاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقد مر الكلام على هذا وهو الذي كان وراء قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان هو وأتباعه ، ويوم الجمل كما مر الكلام عليه بنوع من التفصيل.

وبعد هذا المدخل لما أردت الكلام عنه وهو تأثير الفرق الإسلامية بعضها في بعض فأقول : إن أهل المقالات والفرق يتفاوتون قرباً وبعداً من أهل السنة بحسب موافقتهم لأهل السنة وعدمه ، ثم بعد ذلك المتقدمين من كل فرقة قد يخالفوا متأخريهم كما حصل للمعتزلة والشيعة .

---

(١) شرح عقائد الصدوق للمفيد ، ص ٢٥٧ .

(٢) تهذيب الأحكام لأبي جعفر الطوسي ٣٢٢/٢ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩٩/٢ .

(٤) الرجال للحلي ٧١/٢ .

(٥) تاج العروس لابن المرتضي ، ص ٥-٦ .

كل هذا وغيره كان له الأثر في عقائد المخالفين لأهل السنة في كلامهم في الصحابة على وجه العموم وفي أم المؤمنين عائشة ﵂ وأصحاب الجمل جميعاً على وجه الخصوص.

وهذا ما سيتضح في الصفحات التالية والتي فيها بيان تأثير الفرق بعضها ببعض في المسائل العقدية التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة وسوف يكون الكلام مدعّماً بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية فأقول :

قارن شيخ الإسلام بن تيمية بين المعتزلة والشيعة ثم بين تأثر بعضها ببعض حيث قال في ذلك : " فالمعتزلة أولاً وهم فرسان الكلام إنما يحمدون ويعظمون عند أتباعهم وعند من يغضي عن مساويهم لأجل محاسنهم عند المسلمين بما وافقوا فيه مذهب أهل الإثبات والسنة والحديث وردهم على الرافضة بعض ما خرجوا فيه عن السنة والحديث من إمامة الخلفاء وعدالة الصحابة وقبول الأخبار وتحريف الكلم عن مواضعه والغلو في علي ونحو ذلك.

وكذلك الشيعة المتقدمون كانوا يرجحون على المعتزلة بما خالفوهم فيه من إثبات الصفات والقدر والشفاعة ونحو ذلك وكذلك كانوا يستحمدون بما خالفوا فيه الخوارج من تكفير علي وعثمان وغيرهما وما كفروا به المسلمين من الذنوب ويستحمدون بما خالفوا فيه المرجئة[1] من إدخال الواجبات في الإيمان ولهذا قالوا بالمترلة وإن لم يهتدوا إلى السنة المحضة"[2].

وهذا بالنسبة لمتقدمي الشيعة كانوا يرجحون على المعتزلة لما ذكره ولكن متأخري الشيعة تأثروا بالمعتزلة ، ففاقوهم في البدعة بسب الصحابة وتحريف القرآن والإمامة ، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" والمعتزلة وعيدية في باب الأسماء والأحكام قدرية في باب القدر جهمية محضة ، واتبعهم على ذلك متأخروا الشيعة وزادوا عليهم الإمامة والتفضيل ، وخالفوهم في الوعيد وهم أيضاً يرون الخروج على الأئمة"[3].

---

(١) المرجئة: هم الذين قالوا بتأخير العمل عن مسمى الإيمان وعدم دخوله فيه ، وهم فرق متعددة يجمعهم هذا القول ، كما أنهم على مراتب مختلفة فأكثرهم غلواً من يزعم أن الإيمان هو مجرد المعرفة فقط كما هو قول الجهم بن صفوان ، ومنهم من يجعل الإيمان هو الإقرار باللسان ، ومنهم من يقول أنه المعرفة والقول فقط دون العمل.

انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ص ١٣٢ ، والفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٩ ، والملل والنحل للشهرستاني ١٣٩/١.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/٤-١٢ .

(٣) المرجع السابق ٥٥/٦ .

ومن هذه المسائل التي وافق فيها الشيعة المعتزلة :

- قال :" وهؤلاء المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة يوجبون على الله سبحانه أن يفعل بكل عبد ما هو الأصلح له في دينه وتنازعوا في وجوب الأصلح في دنياه ..."(١).
- وقال :" أن المعدوم في حال عدمه هل هو شيء أم لا فإنه قد ذهب طوائف من متكلمة المعتزلة والشيعة إلى أنه شيء في الخارج وذات عين وزعموا أن الماهيات غير مجبولة ولا مخلوقة وإن وجودها زائد على حقيقتها ... "(٢).
- وقال في معرض حديثه عن التوحيد والعدل عند المعتزلة :" ... وهذا يقع كثيراً ، إما اعتقاداً وإما حالاً في كثير من المتفقهة والمتكلمين كما وقع اعتقاد ذلك في المعتزلة والشيعة المتأخرين ، وابتلى ببعض ذلك طوائف من المتقدمين من البصريين والشاميين..."(٣).
- وقال :" ... وهذا أصل في الجهمية(٤) القدرية والمعتزلة الذين ينكرون محبة الله تعالى ولهذا قالت المعتزلة ومن أتبعها من الشيعة أن معرفة الله وجبت لكونها لطفاً من أداء الواجبات العقلية ..."(٥).
- وقال :" وقوم جعلوا الاستطاعة قبل الفعل وهو الغالب على النفاة من المعتزلة والشيعة ..."(٦).
- وقال في إنكار الإجماع بعد الصحابة :" الإجماع وهو متفق عليه بين عامة المسلمين من الفقهاء والصوفية وأهل الحديث والكلام وغيرهم في الجملة ، وأنكره بعض أهل البدع من المعتزلة والشيعة ..."(٧).

---

(١) مجموع الفتاوى ٩٢/٨ .

(٢) المرجع السابق ١٨٢/٨ .

(٣)المرجع السابق ٢٥٩/٨ .

(٤) الجهمية : طائفة من أهل البدع تنتسب إلى الجهم بن صفوان السمرقندي ، قالوا : بنفي الأسماء والصفات عن الله تعالى ونفوا قدرة العباد على أفعالهم وإرادتهم لها ، وزعموا أنهم مجبورين عليها ، والإيمان عندهم هو المعرفة المجردة لا يزيد ولا ينقص ، إلى غير ذلك .

انظر : التنبيه والرد للملطي ، ص٩٦ ، ومقالات الإسلاميين للأشعري ، ص ١٣٢ ، والملل والنحل للشهرستاني ٨٦/١ .

(٥) مجموع الفتاوى ٣٥٥/٨ .

(٦) المرجع السابق ٣٧١/٨ .

(٧) المرجع السابق ٣٤١/١١ .

- وقال :" ... المعتزلة ومن اتبعها من الشيعة تزعم أن الأعمال ليست من خلقه ولا كونها شيء وأن الآلام لا يجوز أن يفعلها ..."[1].

- وقال :" ولاسيما عند الشيعة المتأخرين فإنهم من أشد الناس منعاً لتكليف ما لا يطاق لموافقتهم المعتزلة في القدر والصفات أيضاً "[2].

تأثر بعض الشيعة بالمعتزلة في توحيدهم وعدلهم ، فقالوا : " إن الله لم يخلق شيئاً من أفعال الحيوان ، لا الملائكة ولا الأنبياء ولا غيرهم بل هذه الحوادث التي تحدث ، تحدث بغير قدرته ولا خلقه "[3].

- وقالوا :" (بعض الشيعة والمعتزلة) إن الله تعالى لا يقدر أن يهدي ضالاً ولا يقدر أن يضل مهتدياً ..."[4].

- وعلى كل حال فالشيعة لا يثبتون لله مشيئة عامة ولا قدرة تامة ، وهذا القول أخذوه عن المعتزلة هم أئمتهم فيه .

وهي مواضع أكثر من أن تحصى في هذا المقام فليس المقصود تقصي كل ما تأثر به كل فرقة من الفرق[5].

وكذلك ذكر رحمه الله تأثير الرافضة والجهمية في بعضهم البعض ، ومن أقواله في ذلك: " ليس الناس في التجهم على مرتبة واحدة بل انقسامهم في التجهم يشبه انقسامهم في التشيع ، فإن التجهم والرفض هما أعظم البدع أو من أعظم البدع التي أحدثت في الإسلام ، ولهذا كان الزنادقة المحضة مثل الملاحدة من القرامطة ونحوهم إنما يتسترون بهذين بالتجهم والتشيع .

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٥٢/١١ .

(٢) المرجع السابق ٤٥٣/١١ .

(٣) منهاج السنة النبوية ١٢٨/١ .

(٤) المرجع السابق ١٢٩/١ .

(٥) وللمزيد ينظر منهاج السنة النبوية ٤٢١/١، ٤٢٥، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٥٦، ٤٦٥ . و١٠٠/٢-١٠٣، ١٢٩، ١٦٤، ٢٢٠، ٢٣١، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٦١، ٣٠٢، ٥٠٢ . و٩/٣، ١٨١ . و٣٩٠/٤ . و٥٧١/٤ . و٣٠١/٦ . و٢٢٤/٨. بيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية ٥٥/١ ، ٤١٩/١ ، تعليق : محمد بن عبدالرحمن بن قاسم ، مؤسسة قرطبة.

قال الإمام أبو عبد الله البخاري في كتاب خلق الأفعال ، عن أبي عبيد قال : ما أبالي أصليت خلف الجهمي أو الرافضي أو صليت خلف اليهودي والنصراني ولا يُسلم عليهم ولا يعادون ولا يناكحون ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم .

قال : وقال عبد الرحمن بن مهدي : هما ملتان الجهمية والرافضة هذان وقد كان أمرهم إذ ذاك لم ينتشر ويتفرع ويظهر فساده كما ظهر فيما بعد ذلك .

فإن الرافضة القدماء لم يكونوا جهمية بل كانوا مثبتة للصفات وغالبهم يصرح بلفظ الجسم وغير ذلك كما قد ذكر الناس مقالاتهم كما ذكره أبو الحسن الأشعري وغيره في كتاب المقالات والجهمية لم يكونوا رافضة بل كان الاعتزال فاشياً فيهم والمعتزلة كانوا ضد الرافضة وهم إلى النصب أقرب . فإن الاعتزال حدث من البصرة والرفض حدث من الكوفيين والتشيع كثر في الكوفة وأهل البصرة كانوا بالضد ، فلما كان بعد زمن البخاري من عهد بني بوية الديلم فشا في الرافضة التجهم وأكثر أصول المعتزلة وظهرت القرامطة ظهوراً كثيراً وجرى حوادث عظيمة ... ذلك لأن الجهل والهوى في الرافضة أكثر منه في سائر أهل الأهواء "[1].

ثم بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تفصيلاً مطولاً مهماً في ثمان صفحات ، ليس هذا محل بسطه ذكر درجات الشيعة والجهمية والمعتزلة وتأثر بعضهم ببعض وأطوار نشأتهم[2].

وقال رحمه الله :" ولكن في أواخر المائة الثالثة دخل من دخل من الشيعة في أقوال المعتزلة كابن النوبختي صاحب كتاب الآراء والديانات وأمثاله ، وجاء بعد هؤلاء المفيد بن النعمان وأتباعه .

ولهذا تجد المصنفين في المقالات والأشعري لا يذكرون عن أحد من الشيعة أنه وافق المعتزلة في توحيدهم وعدلهم إلا عن بعض متأخريهم ، وإنما يذكرون عن بعض قدمائهم التجسيم وإثبات القدر وغيره ، وأول من عرف عنه في الإسلام أنه قال إن الله جسم هو هشام بن الحكم .

---

(١) الفتاوى الكبرى ٣٦٥/٦ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣٦٩/٦-٣٧٧ .

بل قال الجاحظ في كتابه الحجج في النبوة : ليس على ظهرها رافضي إلا وهو يزعم أن ربه مثله وأن البداوات تعرض له وأنه لا يعلم الشيء قبل كونه إلا بعلم يخلقه لنفسه ، وقد كان ابن الراوندي وأمثاله من المعروفين بالزندقة والإلحاد صنف لهم كتباً أيضاً على أصولهم "[1].

ولذلك كثير ما ينبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى أن المتقدمين من المبتدعة كانوا أقل من المتأخرين ، وكلما أمتد الزمان تأثر بعضهم ببعض وغالى بعضهم وفي هذا يقول رحمه الله :" والأولون صنفان تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه و لم يرد به وفي كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو إثباته من المعنى باطلاً فيكون خطؤهم في الدليل والمدلول ، وقد يكون حقاً فيكون خطؤهم في الدليل لا في المدلول ، وهذا كما وقع في تفسير القرآن فإنه وقع أيضاً في تفسير الحديث ، فالذين أخطأوا في الدليل والمدلول مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذهباً يخالف الحق الذي عليه الأمة الوسط الذين لا يجتمعون على ضلالة كسلف الأمة وأئمتها وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على آرائهم تارة يستدلون بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيها وتارة يتأولون ما يخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه ومن هؤلاء فرق الخوارج والروافض والجهمية والمعتزلة والقدرية والمرجئة وغيرهم ، وهذا كالمعتزلة مثلاً فإنهم من أعظم الناس كلاماً وجدلاً ... وأصول المعتزلة الخمسة يسموها هم (التوحيد والعدل والمترلة بين المترلتين وإنفاذ الوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ، وتوحيدهم هو توحيد الجهمية الذي مضمونه نفي الصفات وغير ذلك ... وقد وافقهم على ذلك متأخري الشيعة كالمفيد وأبي جعفر الطوسي وأمثالهما ، ولأبي جعفر هذا تفسير على هذه الطريقة[2] لكن يضم إلى ذلك قول الإمامية الاثنا عشرية ، فإن المعتزلة ليس فيهم من يقول بذلك ولا من ينكر خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي .

(١) منهاج السنة النبوية ٧٣/١ ، و١٢٨/١ ، و٦/٨ .

(٢) وهو: التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطوسي .

ومن أصول المعتزلة مع الخوارج ، إنفاذ الوعيد في الآخرة وأن الله لا يقبل من أهل الكبائر شفاعة ولا يخرج أحداً من النار ، ولا ريب أنه قد رد عليهم طوائف من المرجئة والكرامية[1] والكلابية[2] وأتباعهم فأحسنوا تارة وأساءوا تارة ..."[3].

وقال رحمه الله :" ولهذا كلما قرب الناس من الرسول كانت بدعهم أخف فكانت في الأقوال ولم يكن في التابعين وتابعيهم من تعبد بالرقص والسماع كما كان فيهم خوارج ومعتزلة وشيعة وكان فيهم من يُكَذِّب بالقدر ولم يكن فيهم من يحتج بالقدر .

فالبدع الكثيرة التي حصلت في المتأخرين من العباد والزهاد والفقراء والصوفية لم يكن عامتها في زمن التابعين وتابعيهم بخلاف أقوال أهل البدع القولية فإنها ظهرت في عصر الصحابة والتابعين فَعُلم أن الشبهة فيها أقوى وأهلها أعقل ، وأما بدع هؤلاء فأهلها أجهل وهم أبعد عن متابعة الرسول ..."[4].

وقال رحمه الله:" والأشعرية الأغلب عليهم أنهم مرجئة في باب الأسماء والأحكام جبرية في باب القدر وأما في الصفات فليسوا جهمية محضة بل فيهم نوع من التجهم ...

وأما الأشعرية فلا يرون السيف موافقة لأهل الحديث وهم في الجملة أقرب المتكلمين إلى مذهب أهل السنة والحديث والكلابية وكذلك الكرامية فيهم قرب إلى أهل السنة والحديث وإن كان في مقالة كل من الأقوال ما يخالف أهل السنة "[5].

---

(١) الكرامية: إحدى فرق المرجئة ، سموا بذلك نسبة إلى محمد بن كرام السجستاني ، قالوا: الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان ، وكانوا يثبتون الصفات إلا أنهم ينتهون بها إلى التجسيم والتشبيه ، وهم عدة طوائف.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/١٠٨ ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٦٧.

(٢) الكلابية: طائفة كلامية ينسبون إلى عبدالله بن سعيد بن كلاب ، قالوا: إن صفات الله لا هي هو ولا هي غيره ، وأن الصفات لا تتغاير فالعلم لا هو القدرة ولا هو غيرها وكذلك سائر الصفات ، كما أنهم لم يفرقوا بين أسمائه تعالى وصفاته، ولا بين صفات الذات والفعل.

انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ص ١٦٩ – ٢٩٨ – ٥٤٧ – ٥٤٨ ، وآراء الكلابية العقدية – لهدى الشلالي – طبعة مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

(٣) مجموع الفتاوى ١٣/٣٥٦-٣٥٨ . وانظر : ١٦/١٩٦ .

(٤) مجموع الفتاوى ١٩/٢٧٥ .

(٥)المرجع السابق ٦/٥٥ .

ويقول رحمه الله في معرض الكلام حول حديث الشفاعة :" وهذا المعنى مستفيض عن النبي ﷺ بل متواتر في أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما وفيها الرد على طائفتين على الخوارج والمعتزلة الذين يقولون إن أهل التوحيد يخلدون فيها وهذه الآية حجة عليهم وعلى من حكى عنه من غلاة المرجئة أنه لا يدخل النار من أهل التوحيد أحد .

فإن إخباره بأن أهل التوحيد يخرجون منها بعد دخولها تكذيب لهؤلاء وأولئك وفيه رد على من يقول يجوز أن لا يُدخل الله من أهل التوحيد أحداً النار كما يقوله طائفة من المرجئة والشيعة ومرجئة أهل الكلام المنتسبين إلى السنة وهم الواقفة من أصحاب أبي الحسن وغيرهم كالقاضي أبي بكر وغيره فإن النصوص المتواترة تقتضي دخول بعض أهل التوحيد وخروجهم"(1).

وبعد هذا العرض الموجز لصور الاختلاط بين عقائد الفرق يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن ظاهرة التأثر والتأثير بين الفرق البدعية حاصل ، وأن معالمها واضحة ، ولم يحل دونه ما بين الفرق من تناحر وخصومة ونزاع ، وأن لهذا التأثير والاختلاط والاتصال أسباباً لا بد من الوقوف عليها ، وتحقيق الكلام فيها ، وبيان كيف أدت هذه الأسباب إلى وجود هذا الاتصال والاختلاط بين عقائد الفرق البدعية المختلفة .

وبعد البحث عن الأسباب ، وجدت أنها ثلاثة في الجملة :

أسباب الاتصال والاختلاط (التأثير والتأثر) بين عقائد الفرق البدعية:

١- توافق المبتدعة غالباً في مصادر التلقي واستقاء عقائدهم من الأديان والأفكار والفلسفات السابقة على الإسلام .

٢- توافق المبتدعة في السمات والعلامات والمناهج غالباً .

٣- احتفاء المبتدعة ببعضهم وتعاونهم فيما بينهم .

وسأعرض لكل سبب منها بشيء من التفصيل ، وأذكر أمثلة واضحة على ذلك قدر الإمكان .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦/١٩٦ .

السبب الأول : توافق المبتدعة غالباً في مصادر التلقي :

إن الله تعالى قد جعل لهداية البشرية طريقين لا ثالث لهما ، وهما طريقا الفطرة والوحي.

أما الفطرة : فإن الله سبحانه قد خلق البشرية أجمع وهي مفطورة على توحيده والإيمان به والإقرار بربوبيته ، وهذه الأمور هي أعلى مراتب الهداية ، وقد أخذ الله من الناس الميثاق ، والعهد على الإقرار بربوبيته كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [سورة الأعراف :١٧٢-١٧٣].

جاء تفسير هذه الآية في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان – يعني عرفة – فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلاً قال : ألست بربكم ، قالوا : بلى شهدنا...) الخ[1].

فمعرفة الناس لربهم فطرية ، بل إن القلوب مفطورة على الإقرار بالله سبحانه أكثر من كونها مفطورة على الإقرار بغيره[2]، ولهذا قال تعالى : ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة إبراهيم : ١٠].

والنفوس كذلك مفطورة على عبادة الله وتوحيده ، قال ابن القيم : " لو خلي الطفل وما فطر عليه ، ولم يعترض لفطرته مانع لاستمر عارفاً بربه موحداً له محباً إياه مخلصاً له الدين"[3]. فالفطرة السليمة التي أقرت بمعرفة الله تعالى هي مقرة أيضاً باستحقاقه للعبادة دون سواه ، ولكن كما قال ابن تيمية : " لما كان علم نفوس بني آدم بحاجتهم إلى الإله المعبود ،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٧٢/١ .

والحاكم في المستدرك ٥٤٤/٢ ، وصححه ووافقه الذهبي .

وابن أبي عاصم في السنة ٨٩/١ .

وقال الألباني : إسناده حسن ، وهو دائر بين الرفع والوقف إلا أن الذين أوقفوه أكثر من الذين رفعوه ، وكلا الأمرين صحت به الأسانيد .

(٢) انظر : شرح الطحاوية لابن أبي العز ، ص ٢٦ .

(٣) أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية ٥٢٦/٢ ، تحقيق : صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م .

وقصدهم إياه لدفع حاجتهم العاجلة قبل الآجلة كان إقرارهم بالله إقراراً فطرياً من جهة ربوبيته أسبق من إقرارهم به من جهة ألوهيته"[1].

والنفوس التي أقرت بمعرفة الله تعالى وربوبيته وألوهيته مفطورة أيضاً على الإقرار لله تعالى بالكمال المطلق الذي لا نقص فيه من وجه من الوجوه وعلى تنزيهه عن النقائض والعيوب[2]. فهذه أنواع التوحيد الثلاثة قد غرسها الله تعالى في النفوس وهذه الأمور هي أعلى مراتب الهداية .

ثم إن هذه النفس المفطورة على أعظم مراتب الهداية هي من جانب آخر مفطورة على إنكار الضلال من الشرك بالله تعالى ونحوه ، ولا أدل على ذلك مما قصه الله تعالى في كتابه عن إبراهيم عليه السلام حين أنكر بفطرته السليمة على قومه ما كانوا عليه من ضلال وشرك ، ثم أخذ يبحث في الكون عن ربه حتى اهتدى إليه ولهذا جعله القرآن الكريم مثلاً وقدوة لأصحاب الفطرة السليمة التي لم تتدنس[3]. قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[سورة الأنعام:٧٥-٧٩].

---

(١) مجموع الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣٣٧/٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ١٤١٢هـ .

(٢) انظر : شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم ، ص ٥٠١ وبعدها ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

(٣) انظر : الإسلام فطرة الخلق وشريعة الوجود لمحمد متولي ، ص ٣٤ ، دار جرش ، خميس مشيط – السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

ولما كانت الفطرة تقرر هذه الأمور جاء تفسيرها عند عامة السلف وأكثر المفسرين بأنها الإسلام ، أو أصل الدين الذي اتفقت عليه كل الشرائع[1] دل على ذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الروم : ٣٠]. فالآية ربطت بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين وكلاهما من صنع الله ، وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه والله الذي خلق القلب البشري وهو الذي أنزل إليه هذا الدين ، فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة لم يردها إليها إلا هذا الدين المتناسق والمتوافق مع فطرة البشر ، وفطرة الوجود، وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه : قال (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ، ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعا ...)؟[2] فالفطرة مقتضية موجبة لدين الإسلام ولمعرفته ومحبته[3]. فإن في فطرة الإنسان قوة تقتضي اعتقاد الحق وإرادة النفع[4].

والفطرة هنا لا تكون تامة إلا إذا قامت على ركنين أساسيين وهما : القلب السليم ، والعقل الصحيح ، فإذا اجتمع في الإنسان القلب السليم الذي لم يتأثر بالشياطين وبقي أجرد يتوهج سليماً من كل سوء ، والعقل السليم الذي يميز به الإنسان بين ما ينفعه وما يضره وكان سالماً من الشبهات والشهوات ، إذا اجتمع هذا وذاك نتج عنهما صحة العقيدة وخلوص الضمير ، واحترام الحقائق ، وإدراك الواقع دون نقص أو زيادة ورفض الأوهام والخرافات ، وينشأ ذلك كله التصور الإيماني الشامل[5].

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣٦١/٨ ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ . ودعوة الفطرة ليوسف أبو هلالة ، ص ١٣ ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

(٢) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح – كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي ٢٦٠/٣ ، حديث (١٣٥٨).

ومسلم – كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ٢٠٤٧/٤ ، حديث (٢٦٥٨).

(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٣٨٣/٨ .

(٤) انظر : المرجع السابق ٤٥٨/٨ .

(٥) انظر : دعوة الفطرة ليوسف أبو هلاله ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

وأما الوحي : فمع ما ذكر آنفاً حول الفطرة السليمة ودورها في الهداية ، وما ينشأ عن ركني الفطرة – القلب السليم والعقل الصحيح – من آثار إلا أن هدي الوحي يبقى هو الفيصل في القضية وذلك لسببين :

١- أن كون الإنسان يولد على الفطرة والإسلام هذا لا يعني أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [سورة النحل : ٧٨]. ولكن فطرته مقتضية موجبة لدين الإسلام(١).

ومن هنا تأتي أهمية الوحي بل ضرورته ، ومن هنا أيضاً تتجلى شدة الحاجة إلى الرسل حملة الوحي فإن علوم الشريعة ومعرفة كيف يدين العبد ربه ويتعبد له هذا لا مجال لعلمه إلا عن طريق الوحي ، ولا يمكن للفطرة مجردة عن الوحي أن تدل الإنسان على كيفية التعبد لله تعالى ومن هنا كانت الحاجة قائمة بإرسال الرسل ، وقد بين العلماء أهمية الرسالات والوحي ودورهما في هداية الإنسان ، يقول ابن القيم رحمه الله :" فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل ، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم ... فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأخلاقهم توزن الأخلاق والأعمال ، وبمتابعتهم يتميز أهل الضلال ، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه ، والعين إلى نورها ، والروح إلى حياتها "(٢).

٢- إن وسائل الإدراك التي مكنها الله في نفس الإنسان مهما كانت صحيحة وخالية من المؤثرات ، فإن الإنسان ينتهي فكره إلى أمد ، ويقف عند غاية محددة ، وليس في استطاعة العقل البشري أن يدرك الأهداف البعيدة ويهتدي فيها إلى الحق والصواب، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن تلك القوى المدركة لا يمكن أن تدرك الصواب والحق دائماً فالناس يتفاوتون في مداركهم لتفاوت وسائل الإدراك

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٣٨٣/٨ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ١٥/١ .

عندهم ، وربما غلبت شهوات الإنسان وأهواؤه على قدراته الفكرية ، فيكون إدراكه متأثر بغلبة الهوى أو نزوة الشهوة فلا يرى الشيء إلا بمنظار هواه ، ولا يبصر فيه إلا ما يروى ظمأ شهوته ، وهذا يجعل تفكيره جائراً ينأى عن الحق، ويبعد عن الصواب[(١)].

والعقل – وهو أحد ركني الفطرة – إنما يدرك حسن الأشياء وقبحها على سبيل الإجمال فحسب ، والعقول قد تحار في الفعل الواحد ، فقد يكون الفعل مشتملاً على مصلحة ومفسدة ، ولا تعلم العقول أيهما أرجح فيتوقف العقل في ذلك[(٢)].

ومن أجل ذلك كله فإن الله تعالى لم يدع الناس لفطرهم ، ولم يدعهم لعقولهم مع ما في طبيعتهم من الاستعداد للخير والاستعداد للشر لما ذكر سابقاً ، وعليه فهو في حاجة إلى معين يهديه ، ويحول بينه وبين زلاته وشططه ، ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى الرسل وما معهم من الوحي ، فاقتضت حكمة الصانع الحكيم أن يصطفي من عباده من يشاء وأن يخصهم بصفات تميزهم ، وأن يوحى إليهم من أمره من يشاء أن يعتقده العباد ، وأن يبينوا للناس ما لا بد لهم من علمه سواءً من أمور الآخرة أو من الشرائع التي تحدد لهم ما فيه تقويم نفوسهم ، وكبح شهواتهم ، وتعلمهم من الأعمال ما هو مناط سعادتهم وشقائهم في هذه الحياة[(٣)].

وهداية الوحي قد بينها الرسل عليهم السلام أتم بيان ، وقد ختمهم الله تعالى بنبينا محمد ﷺ ، وجعل رسالته عامة على الثقلين جميعهم باقية إلى يوم القيامة ، وجعل القرآن الذي أنزله عليه مهيمناً على ما بين يديه من كتب السماء ، وانقطعت برسالته عليه السلام حجة الله على العباد ، وقد بين الله به كل شيء ، وأكمل له ولأمته الدين خبراً وأمراً فكل ما جاء به الرسول ﷺ فهو كافٍ كامل يدخل فيه كل حق[(٤)].

---

(١) نظر : الحاجة إلى الرسل – لمناع القطان ، ص ٣٠-٣٦ ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

(٢) انظر : الرسل والرسالات لعمر سليمان الأشقر ، ص ٣٦ ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

(٣) انظر : الحاجة إلى الرسل ، ص ٤٢-٤٣ .

(٤) انظر : شرح الطحاوية ، ص ١٥ .

هذان هما طريقا الهداية وهما الصراط المستقيم ، والثاني هو الحجة على الخلق وهو مناط المؤاخذة على العبد فطاعة الرسل عليهم السلام فيما بلغوه من الوحي هي طريق النجاة والفلاح كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [سورة النساء : ١٣].

والناظر في حال سلفنا الأول صدر هذه الأمة صحابة رسول الله ﷺ ، يتجلى له رحمة الله تعالى بهذه الأمة حيث جعل ذلك الجيل نموذجاً تمثلت فيه الهداية الكاملة في العقائد والأقوال والأفعال ، فإن الله تعالى حماهم من الفتن والهوى فبقوا مطيعين ومستسلمين لما جاء به الحق ، ولم يكن لهم قول مع قول النبي ﷺ ولا اعتراض على حكمه ، وقد صدق فيهم قول ابن مسعود رضي الله عنه : (إن الله نظر في قلوب العباد ، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه ، يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيء)[1].

لقد كان الوحي الطريق الوحيد لاعتقاد الصحابة ، والسبيل الفريد لأعمالهم، فلم تجرفهم الشبهات ، ولم تعصف بهم الأهواء ، فكانوا على هدى من الله وفي صراط مستقيم قدوتهم نبيهم ﷺ يبلغهم عن ربهم فيربط الأرض بالسماء ، وبه كانوا يقتدون حتى غدت أقوالهم وأحوالهم على سيرته ﷺ ، ومع وجود بعض الميل عن هذا الخط المستقيم الذي مضى عليه الصحابة إلا أن هذا الميل كان من بعضهم وهو بمثابة قزعة صغيرة من السحاب في ليلة ساطعة لاحت ثم راحت ،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٧٩/١ .

والطبراني في المعجم الكبير ١١٢/٩ .

والهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٧/١ ، وقال : رجاله موثوقون .

وأطلّت ثم اضمحلت وهو أمر عارض اقتضته الحكمة الإلهية ليكون منه التأديب والتعليم والتشريع إلى قيام الساعة(١).

هذا هو حال الصدر الأول من الإسلام سواء في عهد النبي ﷺ أو في عهد أبي بكر أو عهد عمر الفاروق رضي الله عنهما وهو الباب المغلق في وجوه الفتن الذي لم ينكسر إلا بعد وفاته كما جاء في الصحيحين(٢) ثم لم يغلق أبداً ، و لم يختلف الموقف من البدع وأهلها والمحافظة على كيان الدين في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، مع أن الفتنة قد أطلت برأسها في عهده لكنه لم يزل حصناً لهذا الدين حتى استشهد رضي الله عنه وكذا الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي اشتدت عظمت الفتنة والبدعة في عصره من الخوارج الجفاة ، والشيعة الغلاة لكنه وقف منهم وقفة الحازم الصارم ، فرد الخوارج باللسان وبالسنان ، وأحرق من أحرق من الشيعة ونفى من نفى منهم كل ذلك حفاظاً على الإسلام من كل حادث دخيل .

وبهذا رسم الصدر الأول في عهد الرسول ﷺ وفي عهد خلفائه الراشدين الطريق والمنهج للحفاظ على هذا الدين وهدايته .

ثم جاء من بعدهم أناس لم تقنع نفوسهم بوحي الله وشرعه ، و لم تطمئن قلوبهم على الحق فأعرضوا عنه ، فحق عليهم قول الله تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ١١٠]. فبسبب إعراضهم عن الحق استحقوا ألا يهديهم الله عز وجل إلى استيقان أنه حق(٣).

---

(١) انظر : حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد الغامدي ١/٩٠-٩١ .

(٢) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح - كتاب الفتن — باب الفتنة التي تموج البحر ١٣/٥٢ ، حديث (٧٠٩٦) .

مسلم - كتاب الإيمان — باب بيان الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنه بارز بين المسجدين ١/١٢٨ ، حديث (٢٣١) .

(٣) انظر : القائد إلى تصحيح العقائد لعبد الرحمن المعلمي ، تعليق : الألباني ، ص ٢٩ ، المكتب الإسلامي ، بيروت — لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ .

ولما حق هذا في حالهم أخذوا يلوون رؤوسهم يمنة ويسرة مرة إلى اليهود ، ومرة إلى النصارى ، وأخرى إلى المجوس ، وإلى الصابئة ، ثم إلى الفلاسفة ثم عمدوا إلى عقولهم وأهوائهم يطلبون منها الهدى ، هذا هو حال المبتدعة ، وهـذا قـدر مشترك بينهم ما سلمت منه فرقة منهم.

ومما سبق يتضح ما يلي :

١- أن الهداية والاستقامة لا تأتي أبداً إلا عن طريق الفطرة السليمة الباقية على سلامتها، والوحي المقدس الذي لا يخشى فيه جهل ولا خطأ ، ولا كذب ولا تلبيس ، ولا تقصير في البيان كما قال تعالى : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [سورة فصلت : ٤٢].

وعليه فيكون سبب ضلال الفرق المبتدعة في الأساس هو فساد فطرهم من ناحية وفساد مصدر التلقي عندهم من ناحية أخرى .

٢- أن منهج المخالفين ليس لها أصل يستندون عليه ، ولا مصدر صحيح ، فهم على خلاف ما كان عليه الصحابة ﷺ الذين كانوا يأخذون بهدي الوحي فيترجمونه عملياً.

السبب الثاني : توافق المبتدعة في العلامات والسمات والمناهج غالباً :

إن من ينظر أحوال أهل البدعة يرى الفارق الكبير بينهم وبين أهل السنة والجماعة فقد ظهر فيهم سمات وعلامات سلوكية ، وعقدية ، وتعبدية ، وأخلاقية ، بل وعلمية ميَّزهم عن أهل السنة وهي في الغالب منهم ، وكثمرة للاتصاف بهذه السمات والعلامات أصبح لهم مناهج خاصة بهم زادت من تميزهم عن أهل السنة سواءً في التعامل مع النصوص ، أو في تقرير عقائدهم ، وفي الدعوة إليها ، وكذلك في التعامل مع غيرهم .

وهذه السمات وتلك المناهج اجتمع عليها أكثر المبتدعة والأغلب منهم لا في جميعهم ، فقد تختلف فرقة منهم في مدى اتصافها بتلك السمات ، ومدى اعتمادها على تلك المناهج ، ثم إن هذه الأحكام لا تشمل جميع أشخاصهم لكنهم اتصفوا بها جملة[1].

(١) انظر : مناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع وأصولهم وسماتهم لناصر العقل ، ص ٩-١٠ دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

أما السمات والعلامات فأبرزها إجمالاً : إتباع الهوى والظنون ، والجهـل ، والغلـو ، والتعصب ، والخصومة والتفرق ، والمعاداة ، والخروج عن السنة والجماعة ، والتناقض والاضطراب والحيرة .

فأما الهوى :

فهو " كل ما خالف الحق ، وللنفس فيه حظ ورغبة من الأقوال والأفعال والمقاصد "(١) وإذاً فكل ما مالت إليه النفس من الشهوات أو الشبهات فهو هوى ، وإتباعه من أصل الضلال كما قال شيخ الإسلام(٢)، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [القصص : ٥٠]. وقال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة الجاثية : ٢٣].

وإتباع الهوى والظن أبرز سمة من سمات أهل الأهواء ، وهو علامة عليهم ، بـل هـو قاسم مشترك بين جميع أهل الضلال والباطل من المشركين والكفار وأهل الافتـراق ؛ لأنهـم اتصفوا ببعض خصال الكفار(٣)، فهم ما اخترعوا ما اخترعوه ، وتمسكوا بما وجدوه ممـا هـو مخالف للسنة إلا إتباعاً للهوى ، حفظاً لشهوة ، أو طمعاً في كسب مادي ، أو تعنتاً في مواجهة الخصوم ، أو خوفاً من تحمل مسئوليات التغيير ، أو مخالفة العرف(٤).

وقد اشتهر عند أهل السنة تسمية أهل البدع بأهل الأهواء في كثير من آثارهم ، بـل جاء في الحديث المشهور عن رسول الله ﷺ أنه قال : (ألا وإنه يخرج من أمتي قوم يهـوون هوى يتجارى بهم ذلك الهوى كما يتجارى الكلب بصاحبه ... الحديث)(٥).

---

(١) الهوى وأثره في الخلاف لعبد الله الغنيمان ، ص ١٢ ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ..

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٣٨٤/٣ .

(٣) انظر : مناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع وأصولهم وسماتهم لناصر العقل ، ص ١٢ .

(٤) انظر : البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها لعزت عطية ، ص ٢٣٩-٢٤١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه – كتاب السنة – باب شرح السنة ١٩٨/٤ ، حديث (٤٥٩٧) .
والحاكم في المستدرك – كتاب العلم ١٢٨/١ ، وصححه ووافقه الذهبي .
وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٨٦٩/٣ .

وقال ابن القيم : " وكان السلف يسمون أهل الآراء المخالفة للسنة وما جاء به الرسول في مسائل العلم الخبرية ، وأهل مسائل الأحكام العلمية يسموهم أهل الشبهات والأهواء ؛ لأن الرأي المخالف للسنة جهل لا علم ، وهوى لا دين ، فصاحبه ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، وغايته الضلال في الدنيا والشقاء في الآخرة "(1).

وتسمية المبتدعة بأهل الأهواء جاءت على وجهتين :

١- الجهة الأولى : أنهم لم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها ، والتعويل عليها حتى يصدروا عنها ، بل قدموا آرائهم واعتمدوا على أهوائهم ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها وراء ذلك(2).

٢- الجهة الثانية : أن الابتداع هو إتباع الهوى ؛ لأن العقل إذا لم يكن متبعاً للشرع لم يبق له إلا الهوى والشهوة بدليل قوله تعالى : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [سورة ص : ٢٦]. فحصر الحكم في أمرين لا ثالث لهما عنده وهما الحق والهوى(3).

وأهل الأهواء يجمعون بين إتباع الهوى وإتباع الظن وهما متلازمان كما قال ابن القيم رحمه الله:" إن الكلام في الدين نوعان : أمر وخبر فما عارض الأمر كان من باب الهوى الذي يأمر به الشيطان والنفس ، وما عارض الخبر كان من باب الظن والخرص الذي هو أكذب الحديث، وهؤلاء لا تجدهم إلا وقد جمعوا بين الأمرين ، فهم في الإرادات تابعون لأهوائهم ، وفي الاعتقادات تابعون لظنونهم ، قال تعالى : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾ (4)[سورة النجم : ٢٣].

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية ١٣٩/٢ ، دار المعرفة ، بيروت — لبنان .

(٢) انظر : البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها لعزت عطية ، ص ٢٣٩ .

(٣) انظر : الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم الشاطبي ٥١/١ ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .

(٤) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية ١٢١٠/٤ ، تحقيق : علي الدخيل الله ، دار العاصمة الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

وعلى ما تقدم فما دام أن قاعدة الانطلاق عند المبتدعة كلهم (الهوى) فلا غرابة أن تختار كل فرقة ، أو كل شخص منها ما يناسب هواه ، ويستميل مزاجه من عقائد الفرق الأخرى ، وخاصة إذا علمنا أن الهوى المضاد للهدى قد يكون هوى الإنسان نفسه ، وقد يكون هوى لغيره وهو يتبعه(1).

أما الجهل :

وهذه السمة في المبتدعة لا تقل عن سابقتها ، بل هي الأصل الثاني من أسباب الضلال كما قال تعالى : ﴿ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [سورة المائدة : ١٤] . والجهل الذي اتسم به المبتدعة كان بنقص العلم الشرعي عندهم من جهة ، وكان بعدم وجود العلم النافع من جهة أخرى(2)، ولعل هذا ظاهر في رؤوس أهل البدعة فلم يخلو حالهم من أن يكونوا جاهلين بعلوم الشريعة ومصادر الأحكام وخاصة السنة(3)، أو أنهم أهل علمٍ غير نافع كعلم الكلام والفلسفة ونحوه ، وهذا كله جهل .

وأما العوام منهم فقد جمعوا بين العجز عن البحث والنظر للوصول إلى الحق وبين اعتقاد ما يخالف ذلك واتباع كل ناعق والسير وراء كل شعار مرفوع ، فهم فقدوا العلم وفقدوا الفطرة السليمة والعقل البدهي حتى غدوا غير قادرين على رؤية الحق مع وضوحه وجلائه(4).

وقد عرض العلماء لفروع جهل المبتدعة عموماً ، وهي بإجمال :

- الجهل بنصوص الكتاب والسنة وما دلا عليه ، والجهل بآثار السلف - رحمهم الله- ، حتى صار أهل البدعة ينصرون مقالات يظنونها من دين الإسلام وليست منه ، وما وضعوه من معارضة بين العقل والوحي وما ترتب على ذلك من بدع إنما كان بجهل كما قال ابن القيم ﷺ:" إن هذه المعارضة بين الوحي والعقل نتيجة جهلين عظيمين ، جهل بالوحي وجهل بالعقل "(5).

---

(١) انظر : إغاثة اللهفان ١٣٩/٢ .

(٢) انظر : مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ، ص ١٠١ ، دار الأرقم ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ .

(٣) انظر : علم أصول البدع لعلي حسن الأثري ، ص ٤٣-٤٤ ، دار الراية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

(٤) انظر : مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ، ص ١٠٦-١٠٧ .

(٥) الصواعق المرسلة ١٢٠٨/٤ .

ولهذا صار شعار أهل البدعة ترك الآثار ، وأهل السنة يرون أهم على الطريق ما كانوا على الأثر[1].

- ومن ذلك جهلهم بعقيدة السلف ، ومن هنا فضل سائر المبتدعة عقيدة الخلف على عقيدة السلف ، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف والكذب عليهم ، وبين الجهل بتصويب طريقة الخلف كما قال ابن القيم[2]. وهذا الجهل واضح في كثير من مؤلفات المبتدعة التي عرضوا فيها لمقالات الناس في العقائد تجد أن منهم من لا يعرض لطريقة أهل السنة الصحيحة جهلاً بها ، وقد يعرض عقائد فاسدة وينسبها لأهل السنة وهي في الحقيقة لأشياخه من المبتدعة[3].
- ومن ذلك جهلهم بمقاصد الشريعة ، والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت[4].
- ومنه جهلهم بأساليب اللغة وكلام العرب ، ولهذا يلاحظ أن البدعة تمكنت من قلوب العجم أكثر منها في قلوب العرب ، ولهذا طمع فيهم أهل الأهواء أكثر من غيرهم[5].
- ومنه الجهل بقواعد العلوم وأصولها كالمطلق والمقيد ، والعام والخاص ، والناسخ والمنسوخ والمجمل والمبين[6].
- ومن جهلهم الإعراض وعدم التصديق بالحق ، وهذا من أعظم أسباب الغواية ، ولهذا فما من فرقة من الفرق إلا ونجدها كذبت بشيء مما جاء عن الله تعالى ، إما برد لفظه ومعناه كما هو عند غلاة الفرق ، أو رد معناه ، أو ترك العمل به ، وكل هذه أنواع للإعراض والتكذيب[7].

فهذه أبرز معالم الجهل عند المبتدعة ، وهو من أعظم سماتهم ، وهذا كان له دور في التأثر بالبدع من ثلاث جهات :

---

(١) انظر : حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد الغامدي ١/١٧٦ .

(٢) انظر : الصواعق المرسلة ١/١٦٤-١٦٥ ، والأهواء والفرق والبدع عبر التاريخ لناصر العقل ، ص ١٤٨ .

(٣) انظر : الفرق بين الفرق للبغدادي ، ص ٣٥٩ إلى آخر الكتاب .

(٤) انظر : الاعتصام للشاطبي ١/٢٤٥ .

(٥) انظر : مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع ، ص ١٢٠.

(٦) انظر : الاعتصام ١/٢٤٥ .

(٧) انظر : مجموع الفتاوى ٢٠/١٠٥ .

١- أن المبتدعة دأبوا على تتبع الجهال من الناس و لم يكثر سواد المبتدعة إلا الرعاع والجهلة من العوام ، وسمة الجهلة هؤلاء أنهم يتبعون كل ناعق ، ويميلون مع كل ريح[1].

٢- أن هؤلاء الجهال أخذوا يطلبون العلم من غير أهله فيطلبونه من أهل الأهواء والبدع فيخرجون بفساد الدين والدنيا[2].

٣- أضف على ذلك أن بعض من يترك ما كان عليه من بدع بعد أن يمجها ويمقتها ، أنه إذا كان جاهلاً بمذهب السلف ، فإنه يكتفي بالانتقال إلى أي مذهب آخر يعادي مذهبه الأول وينقض منهجه ، وهذا أدى إلى اتصال الفرق ببعضها .

الغلو :

وأما الغلو فهو أيضاً سمة واضحة في المبتدعة على اختلافهم في الأشياء التي تبرز غلوهم فيها .

فمنهم من ظهر غلوه في الدين والعبادة حتى خرج عن المنهج النبوي في العبادة لله تعالى. ومن ذلك غلو الخوارج الذين غلو في العبادة والإيمان حتى تولد من غلوهم توسيع دائرة التكفير وذلك حين كفروا المسلمين بكل ذنب ، وفي المقابل تضييق دائرة الإسلام فقد أصبحوا يرون أنه لا مسلم على وجه الأرض إلا من كان على نهجهم .

ويلحق بهذا أيضاً غلو الصوفية في الانقطاع للعبادة ، والمبالغة في الزهد والتقشف وإرهاق النفس بحرمانها من كل مباح تحتاجه ، وهكذا .

ومنهم من ظهر غلوه في تعظيم الأشخاص ، كتعظيم الأئمة عند الشيعة حتى وصل عند بعضهم إلى أن رفعوهم إلى منزلة الإله ، وكتعظيم الأولياء عند الصوفية مثلاً .

---

(١) انظر : شرح السنة للبربهاري ، ص ٤٤ .

(٢) الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام لناصر العقل ، ص ١٢٠ وما بعدها ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

ومنهم من ظهر غلوه في العقل البشري ، وفي تفكيره واجتهاده وما يؤدي إليه ذلك التفكير العقلي من نتائج في الدين ، حتى صار العقل عند هؤلاء حاكماً بإطلاق، وهذا الغلو ظاهر في المتكلمين ابتداءً من الجهمية ثم المعتزلة ثم الأشاعرة[1] والماتريدية[2] .

هذه أبرز معالم الغلو عند المبتدعة ومدى تأثيره في الاتصال بين عقائد الفرق .

إن من كان له ميل إلى التنطع والتشدد تجده يميل إلى الخوارج في النظر إلى المقصرين في الأعمال مثلاً ، وتجد له أيضاً ميل إلى غلو الصوفية وزهدهم وهكذا .

ومن اعتاد تأليه البشر أو طائفة منهم ، وجرى هذا في دمه تجد له ميل إلى التشيع حتى وإن كان من فرقة أخرى ، يوجد أفراد من المعتزلة مثلاً يميلون إلى تفضيل علي ﷺ والقول بإمامته وما هذا – والله أعلم – إلا لأن بيئتهم قد اعتادت قبل الإسلام تأليه البشر.

وإن كان ممن تستهويه الأهواء ويميل إلى العقليات تجده يميل إلى أهل هذه النزعة من المعتزلة وغيرهم ، ويفتتن بهم ؛ لأنه يشعر أنه يمارس هواية ويستلذ بها ويستغرق فيها[3]، وهذا واضح في كثير من الفرق التي تأثرت بالنزعة العقلية .

---

(١) الأشاعرة : طائفة كلامية تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري بعد رجوعه عن مذهب الاعتزال ، قالوا : بإثبات سبع صفات فقط لدلالة العقل عليها ، وهي السمع والبصر والعلم والكلام والقدرة والإرادة والحياة ، وقالوا إن كلام الله هو المعنى القائم بالذات والعبارات والحروف دلالات عليها فقط ، والإيمان عندهم هو التصديق بالقلب والعمل من فروعه لا من أصله .

انظر : الملل والنحل للشهرستاني ٩٤/١ ، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٤/٣ ، ١٠٦ .

(٢) الماتريدية: طائفة كلامية تنسب إلى أبي منصور الماتريدي ، يوافقون الأشاعرة في كثير من أصولهم ، ويثبتون سبع أو ثمان صفات فقط ، ويقولون بأن كلام الله نفسي ، وأن القرآن حكاية عن كلام الله تعالى ، ويقولون أن الإيمان تصديق القلب فقط .

انظر: أصول الدين – لأبي الحسن البزدوي ص٢ – تحقيق: هانز بيتر لنس – طبعة مصطفى حلبي – مصر – الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ.

والماتريدية دراسة وتقويماً – لأحمد بن عوض الله الحربي – دار الصميعي – الرياض – الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

(٣) انظر : الأهواء والفرق والبدع ، ص ١٨٢ .

وأما التعصب :

فإن المفارقين للسنة مغالون في التعصب للأشخاص بلا علم ولا عدل ،ومغالون في التعصب لبدعتهم وهذا من تزيين الشيطان لهم تلك الأهواء ، ومن خذلان الله لهم كما قال تعالى : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [سورة فاطر: ٨].

وظاهرة تعصب المبتدعة لشيوخهم جرَّهم إلى تقليدهم التقليد الأعمى في كل قول وفعل، ثم تعدى ذلك حتى وصل إلى المفاخرة والتباهي بمن ينتسب إليه ، والطعن والإزراء والتنفير عن الآخرين وهذا كثير موجود في كل فرقة من الفرق لا ينكره إلا من هو منهم في غفلة(١).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله :" ليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعوا إلى طريقته ويعادي عليها غير النبي ﷺ ، ولا ينصب لهم كلاماً يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله ، وما اجتمعت عليه الأمة بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرقون به بين الأمة ، يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون"(٢).

فالتعصب والتقليد الأعمى هو طريقة أهل الفرقة حتى صاروا عند الاختلاف يقولون نتمسك بقول من قلدناه ، ونقدمه على كل ما عداه ، وهذا من أعظم البدع وأقبح الحوادث كما قال ابن القيم رحمه الله(٣).

والتقليد الذي عليه أهل البدعة هو التقليد المذموم وهو القائم على أمرين :

١- القائم على غير حجة وبرهان .

٢- القائم على حجة وأصل لكنها حجج وأصول باطلة كأقوال الأئمة المزعومة ، أو الحجج العقلية المخالفة ونحوها(٤).

---

(١) انظر : الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد لمحمد بن علي الشوكاني ، ص ٢٨-٢٩ ، دار ابن خزيمة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/١٦٤ .

(٣) انظر : رسالة التقليد ، تحقيق: محمد عفيفي ، ص ٥٩-٦٠ .

(٤) انظر : التقليد في الشريعة الإسلامية لعبد الله عمر الشنقيطي ، ص ٨٢ وما بعدها ، دار البخاري ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

وقد نتج عن التعصب المذموم والتقليد الأعمى نتائج خطيرة منها:

أ. ادعاء العصمة للمتبوع والمقلد سواء نص على ذلك أو لا [1].

ب. عدم قبول الحق ورده إذا جاء من المخالف [2].

ج. حرص أهل الأهواء على التعلق ببدعتهم والدعوة إليها والتفاني في ذلك[3].

وهذا التعصب فتح باب الاتصال بين الفرق من حيث أن أهل كل بدعة تعصبوا لها واستفادوا من غيرهم ما يعضد تلك البدعة ، فأهل التعطيل تعصبوا لها واستفادوا من غيرهم ما يعضد تلك البدعة ، فأهل التعطيل تعصبوا وفتحوا باب الاستفادة من الموافق لهم في هذه البدعة من الفرق الأخرى فاستفاد الأشاعرة من بعض أدلة المعتزلة على ذلك مثلاً .

فتجد أن الفرق الأخرى التي تبنت التعطيل قد استدلت بأدلة المعتزلة وشبههم ، وتجد الذين تبنوا عقيدة نفي القدر استفادوا من بعضهم ، بل وأطلقوا على أنفسهم اسماً يشملهم حيث تسموا (بأهل العدل) وتسمى المعطلة[4] (بأهل التوحيد) مع أنهم من فرق شتى ، وقس على ذلك الذين اجتمعوا على الإرجاء في باب الإيمان تجد أن أدلتهم واحدة ، وكل يأخذ بقول الآخر وهكذا .

وأما الفرقة :

فالمبتدعة أهلها ، وهذه الفرقة هي التي نبه الله عليها في قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾[سورة آل عمران : ١٠٥] .

---

(١) انظر : وجوب لزوم الجماعة وترك الفرق لجمال الشيربادي ، ص ٢٢٧ ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

(٢) انظر : الأهواء والفرق والبدع ، ص ١٨٥ .

(٣) انظر : الاعتصام للشاطبي ، ٢/٢٣٠-٢٣٣ .

(٤) المعطلة: هم الذين أنكروا صفات الله أو بعضها، ونفوا معاني نصوص الكتاب والسنة الدالة عليها بحجة أن إثباتها يقتضي التشبيه والتجسيم بزعمهم ، وهم فرق شتى كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

انظر: والملل والنحل للشهرستاني ١/ ٥٧ – ٩٧ ، وشرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس ص ٢١.

وهذا التفريق هو الذي يصيِّر الفرقة الواحدة فرقاً والشيعة الواحدة شيعاً كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [سورة الأنعام : ١٥٩] . فهم أصحاب البدع والضلالات والكلام فيما لم يأذن به الله تعالى .

وافتراق المبتدعة يبدأ من خروجهم عن السنة والجماعة في أصل من أصول الدين القطعية أو أكثر سواء كانت الأصول اعتقادية ، أو عملية متعلقة بالقطعيات أو متعلقة بمصالح الأمة العظمى فكل هذا افتراق ، وهذا هو الذي تمثل في المبتدعة فصاروا أهله(١).

ثم إنهم بعد هذا الافتراق عن أهل السنة وأصولهم جعلوا الافتراق فيما بينهم فانقسموا على أنفسهم فصاروا فرقاً ، وانقسمت في داخلها فصارت إلى عشرات الفرق وبقي هذا التفرق ولا يزال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولابد من ملاحظة أمر مهم هنا وهو : أن الافتراق الذي عليه أهل البدعة لا يمت بصلة إلى الخلاف الذي وقع بين أهل السنة ، وذلك أنه وإن كان الافتراق ثمرة من ثمار الخلاف ، وهو أشد أنواعه إلا أنه اختلاف وزيادة وهو متميز على اختلاف أهل السنة بأمور منها :

١- أن الافتراق لا يكون إلا على أصول كبرى لا يسع فيها الخلاف ، بعكس الخلاف فيكون فيما دون الأصول والقطعيات ، مما يقبل التعدد في الرأي من المسائل العملية ، ويخضع للاجتهاد العقلي الجاد ، وتكون له مسوغات عند قائله أو يحتمل فيه الجهل والإكراه والتأول ونحوه ، حتى لو كان في بعض الأصول لتي يعذر فيها بالعوارض عند المعتبرين من أئمة الدين أو في فروع العقيدة(٢).

فأهل الأهواء والبدع خالفوا في الأصول الكبرى التي لا يسع فيها الخلاف كالتوحيد والإيمان والقدر والغيبيات ، وخالفوا في مهمات الدين الكبرى كالإمامة وهكذا ، ومن هنا كان ما عندهم افتراق تميزوا به عن أهل السنة وصاروا سمة لهم وعلامة عليهم .

---

(١) انظر : الافتراق مفهومه ، أسبابه لناصر العقل ، ص ٦ ، دار المسلم ، الرياض ، الطبعة الأولى .

(٢) انظر : الافتراق للعقل ، ص ٨-٩ ، وفقه الخلاف مدخل إلى وحدة العمل الإسلامي لجمال سلطان ، ص ٢٨ ، طبعة مركز الدراسات الإسلامية ، برمنجهام – بريطانيا ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

٢- دوافع الافتراق تبتعد عن دوافع الخلاف ، فالافتراق أملاه الهوى الذي هو منبت كثير من الأخطاء وحشدٍ من الانحرافات ، ولا يقع الإنسان في شباكه حتى يزين له كل ما من شأنه الانحراف عن الحق ، والاسترسال في سبيل الضلال ، وبهذا يمكن رد خلاف الملل والنحل ودعاة البدع في دين الله إلى آفة الهوى ، بدليل أن موضع الخلاف عندهم مناقضة لصريح الوحي من كتاب وسنة ، ومصادمته مع مقتضيات العقول السليمة وهذه لا يمكن أن يكون لها مصدر غير الهوى[1].

أما دوافع الاختلاف فكثيرة والواحد منها كاف للاعتذار عن الاختلاف ، وإعذار المخالف مثل : عدم بلوغ الدليل إلى المخالف ، أو أن الدليل لم يثبت عند المخالف ، أو فهم غير المراد من الدليل ، أو أن دليله قد نسخ ولم يعلم بنسخه ، أو اعتقاد معارضة الدليل بما هو أقوى أو الاعتماد على حديث ضعيف لم يعلم ضعفه[2]، وغيرها من الأسباب التي دفعته إلى المخالفة وهو في هذا كله لا يريد إلا الوصول لما غلب على ظنه أنه الحق ولم يكن دافعه الهوى .

٣- طرق الافتراق ووسائله تبتعد عن طرق ووسائل الخلاف ، فالافتراق قائم على الجدل الموصل إلى وضع وتقرير ما يراد ولو كان باطلاً ، وهدم أي وضع يراد ولو كان حقاً ، ويقوم على الشقاق الذي يعقبه النزاع والخصومة[3]، وكلها مذمومة شرعاً .

(١) انظر : أدب الاختلاف في الإسلام لطه جابر العلواني ، ص ٢٦-٢٨ ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ .

(٢) انظر : رفع الملام عن الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٤ وبعدها ، دار الدعوة السلفية ، طبعة عام ١٤١٣هـ ، والخلاف بين العلماء أسبابه وموقفنا منه لابن عثيمين ، ص ٨ وبعدها ، مؤسسة أسامة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

(٣) انظر : أدب الاختلاف في الإسلام ، ص ٢٢-٢٣ .

أما الاختلاف فله آدابه وقواعده من الإخلاص والرجوع إلى كتاب الله والسنة والتزام الحوار بالتي هي أحسن واعتبار المآلات والنظر في المقاصد ومراعاة عوارض الجهل والإكراه والتأويل أحياناً والإنصاف ونحوها(١).

ومن هنا كان ما عليه المبتدعة افتراق لأنه يقوم على الخصومة والنزاع والمفارقة والجدل فهو ميزة لهم وعلامة وسمة .

وهذا الافتراق من أهل الأهواء كان سبيلاً للاتصال من حيث أن كل فرقة حين انقسمت على نفسها وصارت إلى عشرات الفرق أصبح من فرقها من يخالف أصول تلك الفرقة ، وربما وافقت غيرها من الفرق وأخذت بقول تلك الفرقة وأقوالها حتى تنصر تلك المخالفة ، ومن هنا ظهر في المرجية قدرية ، وفي المعتزلة مرجئة وفيهم شيعة بل وفيهم أيضاً جبرية .

الحيرة والاضطراب والتناقض في عقائدهم :

إنه لا يكاد يستقر صاحب بدعة على أمر بل المبتدعة أصحاب اضطراب وشك وحيرة وتلون ، وهذه السمة غالبة في المبتدعة فالفرقة الواحدة منهم لا تستقر على رأي أو عقيدة ، وإن اجتمعت على بعض الأصول(٢)، والأمثلة على ذلك كثيرة ، ومنها: الشيعة فإنهم كانوا مجسمة في باب الصفات ثم انقلبوا إلى معطلة فهذا مثال ، وكل الفرق تبدأ بأصول واحدة ثم ما تلبث أن تصير فرقاً شتى عقائدها متناقضة مرة تجمع بين التمثيل والتعطيل ، وأخرى بين نفي القدر والقول بالجبر وبين الغلو في الوعيد والإرجاء وهكذا .

ولو أمعنا النظر في بعض رؤوس البدعة وكبرائها لرأينا كيف تقلبوا في عقائدهم ، فهذا أبو الحسن الأشعري كان معتزلياً ثم انقلب كلابياً ، ثم إلى مذهب أهل السنة في الجملة مع ما

---

(١) انظر : الإنصاف سبيل للائتلاف واجتماع الكلمة لعبيد الشعبي، ص ٢٩ وبعدها ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ . والعلم أصوله ومصادره ومناهجه لمحمد الخرعان ، ص ٩٥ ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

(٢) انظر : مناهج أهل الأهواء ، ص ٧٩ . وحكم مخالفة منهج أهل السنة في تقرير مسائل الاعتقاد لعثمان حسن ، ص ٤٠-٤١ ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

بقي معه من لوثات الكلام ، وهذا الرازي والجويني يعترفان بحيرتهم وينتج عن هذا تقلبهم حتى انتهى بهم المطاف إلى التسليم بمذهب أهل السنة جملة[1].

والسبب الرئيس في تناقضهم وحيرتهم هذه هو : أنه ليس عندهم قطعيات ولا يقين في حقيقة الأمر ، بل عقائدهم مبنية على الأهواء والظنون والأوهام وعلى مقدمات بنيت على أمور تقبل التغيير والاستحالة[2]، ومن هنا لم يكن للمبتدعة صبر ولا يقين حتى يثبتوا على قول واحد فيها[3].

وهذا التقلب الناتج عن الحيرة كان سبباً في اتصال الفرق ، فإن المخالف لفرقته حين يتركها جملة أو يترك بعض أصولها لأنها لم توافق هواه ، ولم يتفق مع تفكيره ، فإنه يقلب بصره يمنة ويسرة ينظر ما عند غير فرقته من أقوال فيأخذ ما يناسبه ويدخله على فرقته ويتبعه في ذلك بعض أهل تلك الفرقة وهكذا .

والعجيب أن الغالب في المبتدع أنه إذا تأصلت فيه البدعة لا يرجع عنها إلا إلى شر منها، ولا يهتدون للحق إلا ما رحم ربك وقليل ما هم ، وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [سورة الأنعام : ١١٠] .

وقوله ﷺ: (إن الله احتجر التوبة عن كل صاحب بدعة)[4].

لعل هذه أهم علامات وسمات أهل الأهواء بينت فيها كيف أدت إلى الاتصال فيما بينهم .

وأما المناهج التي توافق فيها المبتدعة :

فأولاً : منهجهم في التعامل مع النصوص ومنهج الاستدلال عندهم له ملامح عامة أهمها:

١- عدم حصر الاستدلال في الدليل الشرعي (الكتاب والسنة) حتى في العقائد فإنهم يستدلون بالظنيات والأوهام والفلسفات وهي ما يسمونه عقليات ، أو يستدلون

---

(١) انظر : مناهج أهل الأهواء ، ص ٨١ .

(٢) انظر : درء التعارض ٣/٣٠٤ .

(٣) انظر : مناهج أهل الأهواء ، ص ٨٨ .

(٤) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير برقم (١٦٦٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/٨٨ برقم (١٦٩٥) .

بما لا أصل له من الموضوعات ، ويستدلون بآراء الرجال في دين الله ، وما يسمونه بالكشف والذوق والمنامات[1].

٢- يردون ما لا يوافق أصولهم وأهواءهم من نصوص الشرع ، فالقدرية ردت أحاديث القدر ، والجهمية والمعتزلة ردت أحاديث الصفات ، وأحاديث الرؤية والشفاعة والرافضة ردت سائر السنة التي رواها الصحابة ، وكما فعلت الصوفية[2] بأحاديث النهي عن البدع[3]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وأهل الكلام الذين ذمهم السلف لا يخلو كلام أحد منهم عن مخالفة السنة ورد لبعض ما أخبر به الرسول ﷺ كالجهمية والمشبهة[4] والخوارج والروافض والقدرية والمرجئة"[5].

وإذا استدلوا بنصوص الشرع فإنما يستدلون بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ويعتمدون على الأسانيد التي لا تصلح في سبيل تأييد أهوائهم ، كما قال شيخ الإسلام : " وأما أهل الأهواء ونحوهم فيعتمدون على نقل لا يعرف له قائلٌ أصلاً ، لا ثقة ولا معتمد ، وأهون شيء عندهم الكذب المختلق"[6].

٣- ومن مناهجهم في الاستدلال تحريف الكلم عن مواضعه ، فيستدلون بالدليل في غير ما يدل عليه ، ويبترون الأدلة حسبما يوافق هواهم ، ويأخذون الدليل ويتجاهلون ما يعارضه أو ما يخصصه أو يبينه أو يقيده [7].

---

(١) انظر : مناهج أهل الأهواء ، ص ١٦ . والأهواء والفرق ، ص ١٠٦ .

(٢) الصوفية : طائفة من أهل البدع تنتحل الزهد والتعبد ، ينسبون إلى لبس الصوف – على الراجح – لكثرة لبسهم له ، وهم طوائف مختلفة يجمعهم الزهد البدعي والتعبد لله بما لم يشرع من الرقص والسماع والأذكار البدعية وغير ذلك . انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ، ص ٩٢ ، وكتاب إحسان إلهي ظهير التصوف المنشأ والمصدر .

(٣) انظر : مناهج أهل الأهواء ، ص ٢١-٢٢ . وحجية السنة لعبد الرحمن عبد الخالق ، ص ٢٥٥ .

(٤) المشبهة: هم الذين شبهوا الله بخلقه فقالوا: له يد كيد المخلوق تعالى الله عن ذلك ، وأل ظهور التشبيه كان على يد الرافضة ، والمشبهة صنفان: صنف شبهوا ذات الله بذات غيره ، وصنف شبهوا صفاته بصفات غيره .
انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١١٨/١ ، رسالة في الرد على الرافضة – لأبي محمد محمد المقدسي ص ١٦٥ – تحقيق: عبدالوهاب خلبل الرحمن – الدار السلفية – الهند – الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

(٥) درء التعارض ١٨٢/٧ .

(٦) مجموع الفتاوى ٤٧٩/٢٧ .

(٧) انظر : الأهواء والفرق ، ص ١٢٨ .

٤- التأويل وهو من أهم ما يعتمدون عليه في الاستدلال ، فإنهم يلجأون إليه في مصادمة النصوص وردها رداً صريحاً .

والتأويل باب ولجت منه جميع الفرق الباطلة لهدم أصول الإسلام ، فالمعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية ومن وافقهم من متأخري الفرق كالإمامية والزيدية من الشيعة والأباضية من الخوارج أنكروا الأسماء والصفات ، أو الصفات ، أو بعض الصفات تحت شعار التأويل لنصوصها .

والرافضة والباطنية وغلاة الصوفية والفلاسفة[1] هدموا قواعد الدين وأركانه بالتأويل وهكذا[2].

٥- إتباع المتشابه وعدم رده إلى المحكم[3]، وربما جعلوا المحكم متشابهاً ، وقد انطبق عليهم قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ ﴾ [سورة آل عمران : ٧].

مثال ذلك : رد الجهمية النصوص المحكمة الدالة على أن الله تعالى موصوف بصفات الكمال ، ونعوت الجلال من العلم والقدرة والوجه واليدين وغيرها ، وعمدوا إلى بعض ما اشتبه عليهم من النصوص مثل قوله تعالى : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ [سورة الشورى : ١١] فردوا الآيات المحكمات في الصفات وجعلوها من المتشابه ، وردت القدرية النصوص المحكمة في قدرة الله على خلقه ، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه خالق العباد وأفعالهم بما تشابه عندهم من قوله تعالى : ﴿ وَلَا

---

(١) الفلاسفة : طائفة ينسبون إلى الفلسفة ، وهي كلمة يونانية الأصل مركبة من لفظين هما : (فيلا) : أي محب ، و(سوفيا) : أي الحكمة ، فمعناها : محب الحكمة ، من معتقداتهم الفاسدة : القول بقدم العالم وإنكار علم الله تعالى وإنكار النبوات وإنكار البعث وحشر الأجساد ، وغير ذلك .

انظر : الملل والنحل للشهرستاني ٣/٢ ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ، ص ٩١ . وإغاثة اللهفان لابن القيم ٢٥٦/٢ .

(٢) انظر : الأهواء والفرق ، ص ١٣٠ ، تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال لبكر أبو زيد ، ص ٤١ ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

(٣) انظر : ذم التأويل لموفق الدين بن قدامة المقدسي ، تحقيق : بدر البدر ، ص ٣٥ وما بعدها ، دار الفتح ، الشارقة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف : ٤٩] ، ورد الجبرية[1] النصوص المحكمة الدالة على إثبات كون العبد قادراً مختاراً فاعلاً بمشيئة بما تشابه عندهم من قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [سورة الإنسان : ٣٠] ، ورد الخوارج والمعتزلة النصوص المحكمة والصريحة في إثبات الشفاعة لعصاة الموحدين بما تشابه عندهم من قوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [سورة المدثر : ٤٨].

وهكذا رد الرافضة النصوص المحكمة الواضحة في مدح الصحابة - رضي الله عنهم- وأن الله تعالى قد رضي عنهم ، وغفر لهم وتجاوز عنهم بما تشابه عندهم من قوله ﷺ : (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)[2]، ورد الخوارج النصوص المحكمة في مولاة المؤمنين ومحبتهم مع ما ارتكبوا من معاصي بما تشابه عندهم من نصوص الوعيد[3] وهكذا .

قال حماد بن يزيد : سمعت أيوب يقول :" ما أعلم أحداً من أهل الأهواء إلا يخاصم بالمتشابه"[4].

وتفرع عن اتباع المتشابه عند أهل الأهواء احتجاجهم باختلاف العلماء بحجة أن دين الله واحد ثم التذرع بذلك للإعراض عن الحق والسنة[5].

---

(١) الجبرية: هم الذين يزعمون أن العبد مجبور على فعله وليس له قدرة عليه وأنه لا فاعل في الحقيقة إلا الله ، وهم عكس القدرية النفاة ، وأصل قولهم هذا من الجهم بن صفوان ، وهم أصناف.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٩٧ ، والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٠٨ — ٢١٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٥٢٧.

(٢) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح - كتاب المغازي — باب حجة الوداع ٧١١/٧ ، حديث (٤٤٠٥) .

ومسلم - كتاب الإيمان — باب بيان معنى لا ترجعوا بعدي كفاراً .. ٨١/١-٨٢ ، حديث (١١٨) .

(٣) انظر : منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان حسن ٤٩٢/٢-٤٩٣ .

(٤) الإبانة لابن بطة ٦٠٩/٢ .

(٥) انظر : الأهواء والفرق ، ص ١٣٦ .

٦- ومن مناهجهم في الاستدلال إدعاء التعارض بين النقل وبين ما عندهم من عقليات وفلسفات كما هو عند المتكلمين عموماً ، أو معارضاً لما يسميه الصوفية الكشف والذوق ، ومن هناك ردوا الدليل السمعي وقالوا : لا يستدل بالسمع على الشيء من العلم الخبري ، وإنما يعرف الحق بنور إلهي يقذف في القلب ، ثم يعرض الوارد من السمع عليه ، فما وافق منه ما شاهدوه بنور اليقين على زعمهم قبلوه ، وما خالف أولوه ، وكما فعل المتكلمون من رد للدليل السمعي المخالف لقضية العقل ، وقس على هؤلاء الذين ردوا أدلة السمع لأنها تخالف ما وضعوه من قانون للسياسة[1].

وهذه الأمور جعلت من لوازم مذهبهم أن يكون نزول الوحي فتنة للناس ، واجهاداً لعقولهم وفهومهم ، فكان من الرحمة بالناس ألا يترل عليهم الكتاب ، ومن الحكمة ألا تتلى عليهم آياته ، بل كان من صريح مذاهب بعضهم تفضيل الفيلسوف والولي والإمام القائم أو الإمام المنتظر على النبي ؛ لأن كلاً من الفيلسوف والولي والإمام يعلم الحق في نفس الأمر وأما النبي فهو لا يعلم الحق في نفس الأمر ، أو يعلمه لكنه خاطب الناس بغير ما يعلمه مصلحة لهم[2]. وهذا منتهى الفساد في الأقوال .

٧- إدعاؤهم أن ظاهر النصوص غير مراد ، ومن هنا فهي لا تفيد اليقين من جهة دلالتها ، وهذا يؤدي إلا إبطال دين الإسلام بالكلية[3].

وبناء عليه أخرج المتكلمون كلام الله عن حقيقته المرادة والظاهرة من النص إلى المجازاة البعيدة والألغاز المعقدة ، ومن هنا ادعت الباطنية أن لكل نص ظاهراً وباطناً ومن هنا وجد المحرفون لكتاب مسوغاً لتحريفاتهم قديماً وحديثاً ، فإذا ضاق عليهم المجال ، وغلبتهم النصوص من اضطرادها وعدم فهم العقلاء سواها ، ومجيئها على طريقة واحدة ، وتنوع الألفاظ الدالة على الحقيقة (المعنى الواحد) واختفائها بقرائن من السياق ، وكل ما يقطع به السامع بأن المراد هو حقيقتها الظاهرة من

---

(١) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية ٢/٦٩-٧٠ ، دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ١/٣٦٧ وبعدها .

(٢) انظر : درء التعارض ١/٩-١٠ بتصرف .

(٣) انظر : مختصر الصواعق المرسلة ، اختصره محمد الموصلي ٢/٣٣٥ ، دار الندوة الجديدة ، طبعة عام ١٤٠٥هـ .

النص ، قالوا : الواجب ردها وعدم الاشتغال بها ، وإن أحسنوا العبارة قالوا : الواجب تفويضها ، وأن نكل علمها إلى الله تعالى[1].

وهذا الادعاء يلزم منه لوازم باطلة منها : كون الكتاب والسنة قد نُصبتا لإضلال الخلق ، ومنها أن يكون الله تعالى قد ترك بيان الحق والصواب و لم يفصح به بل رمز له بما لا يفهم ، وأن يكون الله تعالى دائماً متكلماً بما ظاهره خلاف الحق ، ومنها تجهيل السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل العلم والإيمان وغيرها من اللوازم الباطلة[2].

٨- دعواهم أن النصوص لا تفي بالدين وتفصيلات العقائد : قال شيخ الإسلام :" والمتكلمون من الجهمية والمعتزلة والأشعرية ونحوهم ممن سلك في إثبات الصانع طريق الأعراض يقولون : إن الصحابة لم يبينوا أصول الدين بل ولا الرسول ، إما لشغلهم بالجهاد أو لغير ذلك"[3]. ومن المبتدعة من يظن أن الرسل ما كانوا يعلمون حقائق العلوم الإلهية والكلية ، وإنما يعرف ذلك من يعرفه من المتفلسفة ويقولون : خاصة النبوة هي التخييل فقط ، وهذا قول القرامطة[4] والإسماعيلية وعموم الفلاسفة ، وآخرون منهم يعترفون بأن الرسول علم الحقائق لكن يقولون لم يبينها ، بل خاطب الجمهور بالتخييل في خطابه لا في علمه كما يقول ابن سيناء ، وآخرون يعترفون بأن الرسل علموا الحق وبينوه لكن يقولون : لا يمكن معرفته من كلامهم

---

(١) انظر : منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ١/٤٠٢، ٤١١ ، ٤٢٤ .

(٢) انظر : المرجع السابق ١/٤٢٢-٤٢٤ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٩/١٥٩ .

(٤) القرامطة: هم فرع من فروع الإسماعيلية ، ينسبون إلى حمدان القرمطي الذي كان رجلاً متوارياً ، صار إليه بعض دعاة الباطنية ودعوه إلى معتقدهم فقبل منهم ثم صار يدعو الناس إليها فضل بسببه خلق كثير ، دخل الباطنية مكة عام ٣١٧هـ واقتلعوا الحجر الأسود وقتلوا المسلمين في الحرم ، وهي فرقة تظهر التشيع لأهل البيت وتبطن الإلحاد والشيوعية والإباحية للقضاء على الدولة الإسلامية.

انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٨٢ والملل والنحل للشهرستاني ١/ ٢٢٨ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ١٢٢.

بل بطريق آخر : إما المعقول عند طائفة ، وإما المكاشفة عند طائفة ، وإما قياس فلسفي وإما خيال صوفي ، ثم بعد ذلك ينظر في كلام الرسول فما وافق ذلك قبل ، وما خالفه إما أن يفوض وإما أن يؤول .

هذه أهم ملامح منهجهم في الاستدلال والتعامل مع الأدلة والنصوص .

ثانياً : مناهجهم في تقرير العقائد :

فإضافة إلى فساد استدلالهم عليها وبعده عن اليقين والصواب فإنهم أضافوا إلى ذلك المنهج الفاسد أموراً أخرى غاية في الفساد منها :

١- قولهم بالمجاز في العقائد مما يؤدي إلى هدم نصوص الشرع وتحريف كلام الله، ومعلوم أن أكثر العقائد غيبية وتوقيفية ، ولهذا كره السلف المجاز(١).

٢- استخدموا في تقريرهم لعقائدهم القياس الفاسد الإبليسي ، فإن إبليس لما حكَّم العقل على من لا يُحكم عليه العقل أجرى حكم الخالق في الخلق ، وحكم الخلق في الخالق ، والأول غلو ، والثاني تقصير(٢).

وهذا القياس ثارت منه عقائد الفرق كما يقول العلماء ، فمن الأول وهو إجراء حكم الخالق في الخلق خرجت مذاهب الحلولية(٣) ، والتناسخية(٤) والمشبهة ، والغلاة من الرافضة حيث غلو في حق شخص من الأشخاص حيث وصفوه بأوصاف الإله ، وخرج من الثاني وهو إجراء حكم الخلق في الخالق مذاهب

---

(١) انظر : مناهج أهل الأهواء ، ص ٣٨ .

(٢) انظر : حجة إبليس لابن قيم الجوزية ، ص ٢٧ ، تحقيق : سليم الهلالي ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

(٣) الحلولية: مأخوذة من الحلول ومعناه: أن الله يصطفي أجساماً يحل فيها بمعاني الربوبية ، فيزيل عنها معاني البشرية ، وهم فرق شتى منهم النسطورية من النصارى وغالية الرافضة وبعض الصوفية.

انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٥٤ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٧٢/٢.

(٤) التناسخية: هم من الرافضة ، وهم الذين يقولون بتناسخ روح الإله في الأئمة ، ويرون أن علياً صار إلهاً حيث حلت فيه روح الإله ، تعالى الله عن ذلك،

انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ص ٤٦، و الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٢٥٣ ، والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٧٢ ، والتنبيه والرد للملطي ص ٢٢.

القدرية[1] ، والجبرية والمجسمة حيث قصروا في وصفه تعالى بصفات المخلوق ، وخرج منه كذلك المعتزلة مشبهة الأفعال ، وخرج منه مشبهة الصفات ، فإن من قال يحسن من الله ما يحسن من الخلق ويقبح منه ما يقبح من الخلق فقد شبه الخلق بالخالق ، ومن قال يوصف الباري بما يوصف به الخلق ، أو يوصف الخلق بما يوصف به الخالق فقد اعتزل الحق[2].

٣- انحرافهم في مفهوم التوحيد : فقد تعدد مناهجهم في ذلك وكلها ضلال :

- فعند الجهيمة ينتهي التوحيد إلى التعطيل الكامل للأسماء والصفات ، وعند المعتزلة نفي الصفات والأفعال ، وعند المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية تأويل الصفات الخبرية ، ونفي أفعاله الاختيارية ، وعند الرافضة ينتهي إلى الشرك بدعائهم الأحياء والأموات ، والتعبد بزيارة المشاهد والقبور ، وصرف أنواع العبادة عندها ، وهو عند الصوفية ، إلا أنهم أضافوا إليه الآراء البدعية والغناء والرقص والقول بالاتحاد والحلول ، ووحدة الوجود ، وعند الباطنية الإلحاد والتعطيل والنفاق ، فهذا انحرافهم في حقيقة التوحيد[3].
- وانحرافهم كذلك في طرق تقريره ، فمنهم من بناه بطريق الحدوث والقدم ، كما فعل المعتزلة والأشاعرة والكلابية والكرامية ومن سلك سبيلهم[4]، ومنهم من قرره بطريق البرهان وهم غلاة الصوفية حيث يزعمون أن التوحيد يتحقق

---

(١) القدرية: هم نفاة القدر نسبوا إليه لنفيهم إياه بقولهم إن العبد هو الذي يخلق فعله ، عكس الجبرية ، وتطلق هذه التسمية على المعتزلة لأنها هي التي ورثت القول بهذه المقالة ، وأول القدرية – على الراجح – هو معبد الجهني المقتول سنة ٨٠هـ .

انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٨ – ١١٧، والملل والنحل للشهرستاني ١/ ٥٦ ، والتبصرة في الدين للأسفراييني ص ٦٣.

(٢) انظر : حجة إبليس ، ص ٢٨ .

(٣) انظر : مناهج أهل الأهواء ، ص ٤٨-٤٩ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٢/٧ .

بالأحوال والخروج عن مقام العبودية حتى زعموا أن غاية التوحيد هو الخروج عن مقام العبودية والفناء في الله[1].

٤- يعتمدون في تقرير عقائدهم على أصولهم الفاسدة ، وقد يذكرون الدليل الشرعي للإعتضاد به لا للاعتماد عليه كما قال شيخ الإسلام :" وطريق أهل الضلال والبدع بالعكس يجعلون الألفاظ التي أحدثوها ومعانيها هي الأصل ويجعلون ما قاله الله ورسوله تبعاً لها فيردونها بالتأويل والتحريف إلى معانيهم "[2].

٥- اعتمادهم أيضاً على التلبيس في تقرير عقائدهم والدعوة إليها : ويبدءون هذا التلبيس بادعائهم أنهم أهل التوحيد ، والعدل وهذا واضح عند المعتزلة ومن تأثر بهم من الخوارج والشيعة ، حتى أنك تجد في كتبهم مثل هذه الألفاظ عنواناً للكتاب ، أو يسمون أنفسهم أهل الحق والدعوة وأهل الإسلام كما هو حال الخوارج ، أو يسمون أنفسهم بالأولياء كما فعلت الصوفية ، بل ربما تسموا بأهل السنة والجماعة كما فعل الأشاعرة والماتريدية ، أو أهل الاستقامة والنظر[3]، وتجدهم في المقابل يلقبون أهل السنة والجماعة بألقاب منفرة عن مذهب أهل السنة وهذه علامة أهل الباطل[4]، وسيأتي إيضاحها في السبب الثالث إن شاء الله.

ومن تلبيساتهم : استعمال الألفاظ المجملة والمحتملة من باب الاحتيال ، وإثارة الإشكالات ، ومنه قلب الحقائق والتلاعب بالألفاظ فيستعملون الألفاظ المجملة المحتملة في موضعها أو معناها الأصلي ، ويغفلون المعنى الشرعي لمفهوم هذه الألفاظ عند السلف مثل لفظ العدل جعلوه لإخراج أفعال العباد عن قدر الله تعالى ، والتوحيد للتعطيل .. وهكذا ، ومن هنا يلتبس الحق بالباطل على من لا يعرف مرادهم من هذه الألفاظ[5].

---

(١) انظر : مناهج أهل الأهواء ، ص ٥٣-٥٤ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣٥٥/١٧ ، وانظر : الأهواء والفرق ، ص ٤١-٤٢ .

(٣) انظر : مناهج أهل الأهواء ، ص ٧٠ .

(٤) انظر : عقيد السلف أصحاب الحديث للإمام الصابوني ، تحقيق : ناصر الجديع ، ص ١٠٦-١٠٧ ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

(٥) انظر : مناهج أهل الأهواء ، ص ٧٢-٨٧ .

٦- ومن مناهجهم في تقرير العقائد الجمع بين المتناقضات في عقائدهم كما قال شيخ الإسلام :" بل تجد أحدهم يجمع بين النقيضين أو بين رفع النقيضين"(١)، ولهذا تجد المتأخرين من أهل الفرق ينقضون بعض أصول المتقدمين كالأشاعرة ، وبعضهم ينقض أصول الفرقة الأخرى كما فعلت الأشاعرة مع المعتزلة ، والفلاسفة مع الأشاعرة ويتجلى هذا التناقض في مسائل منها الرؤية ، وكلام الله تعالى والقرآن والصفات والقدر والإيمان ونحوها ، وهذا ولّد التناقض في عقائدهم(٢).

ثالثاً : مناهجهم في التعامل مع غيرهم فتقوم على ما يلي :

١- الخصومات والمراء في دين الله : قال ﷺ : (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أتوا الجدل) ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۢ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ (٣) [سورة الزخرف : ٥٨] ، وقيل لأحد السلف : ما اضطر الناس على الأهواء ؟ قال : الخصومات(٤)، ولم يعرف الجدل والخصومة في الدين إلا بعد ظهور الفرق المبتدعة.

٢- شدة معاداتهم لأهل السنة والأثر واحتقارهم لهم ، كما قال أحد السلف :" ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث ، فإذا ابتدع الرجل نُزعت حلاوة الحديث من قلبه"(٥)، ومن هذا البغض لأهل السنة ظهرت مواقفهم العدائية لأهل السنة . فالخوارج يتدينون بقتالهم ويعاملونهم معاملة الكفار . والجهمية والمعتزلة

---

(١) الصفدية ٢٩٤/١ .

(٢) انظر : الأهواء والفرق ، ص ٨٩ .

(٣) رواه ابن ماجة في سننه ، المقدمة ، باب اجتناب البدع والجدل ١٧/١ ، حديث (٤٥) .

والترمذي – كتاب تفسير القرآن – باب ومن سورة الزخرف ٣٥٣/٥ ، حديث (٣٢٥٣) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

والحاكم في المستدرك ٤٤٧/٢-٤٤٨ ، وصححه ووافقه الذهبي عليه .

وصححه الألباني في صحيح الترمذي ١٠٣/٣ .

(٤) الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ، ص ٥٨ ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

(٥) عقيدة السلف أصحاب الحديث ، ص ٣٠٠ ، القائل هو ابن القطان .

امتحنوا أهل السنة وعرضوهم للتعذيب والسجن حين مال إليهم بعض السلاطين .
والرافضة يوالون الكفار وينصرونهم على المسلمين وظهر هذا في أكثر من موطن ، وبقية المبتدعة دارت مواقفهم بين التكفير ولعن المخالف لهم من أهل السنة[1].

هذا تقريباً أهم سمات مناهج المبتدعة ، وهم قد توافقوا في غالبها ومن هنا تقاربت ميولهم وأهواؤهم ، وترتب على هذا التوافق في الأقوال والعقائد .

السبب الثالث : احتفاء المبتدعة ببعضهم وتعاونهم فيما بينهم :

إن قوة تعاون المبتدعة فيما بينهم مشهورة جداً حتى أصبح أمراً ظاهراً [2].

والذي يسبر حال الفرق يظهر له حقيقة هذا الأمر ، وذلك أن الفرق البدعية حتى وإن انقسمت على نفسها واختلفت في بعض الأمور ، إلا أنهم لا يفرطون في هذا المخالف لهم ، بل لا يزالون يعدونه من رجالهم ، وهو في المقابل لا يتبرأ من تلك الفرقة رغم مخالفته لها ، بل لا يزال يفخر بانتسابه لها ، ولا يزال ينافح عنها ويدافع ، بل ويعلن الولاء لها والبراءة ممن سواها .

ولو نظرنا مثلاً إلى فرقة المعتزلة والتي تفرقت إلى ثنتين وعشرين فرقة أو تزيد ، نجد أن بعض رجالها له مخالفة في أصولها العقدية ، وربما أن هذه المخالفة تصل إلى درجة الكفر ومع ذلك فإن هذا المخالف يعد عندهم من كبار رجال المعتزلة ويمتدحون ما عنده من جوانب أخرى كان سبباً في تطوير هذه الفرقة ، وأكبر مثال على ذلك أبو الهذيل العلاّف ، عنده من المخالفات ما يصل إلى درجة الكفر كقوله بتناهي مقدورات الله تعالى مثلاً ، ومع هذا نجده في سيرهم وفي تراجمهم على رأس الطبقة السادسة من طبقات المعتزلة [3] . وتجده هو يتمثل فيهم قول الشاعر :

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التي يسري بها الساري [4]

فهذه صورة من احتفاء المبتدعة ببعضهم .

---

(١) انظر : مناهج أهل الأهواء ، ص ١١٠ .

(٢) انظر : حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد الغامدي ١٨٣/١

(٣) انظر : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومباينتهم لسائر المخالفين ، أملاه : القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي ، ص ٢٥٤ ، تحقيق : فؤاد سيد ، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٣٩٣هـ .

(٤) انظر : المرجع السابق ص ٢٥٥ .

وأما تعاون الفرق فيما بينهم فسببه : أن المبتدع إذا وقع في خصومة مع غيره لا يوفق إلى مذهب أهل السنة يطلب الحق منه ، بل يصير إلى ما هو شر مما كان عليه من بدعة ، وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ١١٠] . ولقوله ﷺ : (إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته)[١]. والمعنى الصحيح لهذا النص أن أهل البدع لا يوفقون للتوبة، ولا ييسرون لها فلا تقع منهم إلا أن يشاء الله تعالى ، والعلة في ذلك كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى هي : أن كل مبتدع يحتاج في توبته إلى أمرين : الأول : العلم بأن فعله سيء مخالف للشرع والثاني : التوبة .

ولما كان الأمر الأول لا يتحقق غالباً فإنها لا تحصل لهم توبة ؛ لأنه ما من مبتدع إلا ويرى أن فعله حسن فلا يتوب من بدعته لذلك ، لهذا قال العلماء : إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية[٢].

ولما كان الأمر كذلك فإن المبتدعة في خصوماتهم سواءً مع أهل السنة أو مع غير المسلمين أو حتى مع بعضهم البعض يستعينون بمبتدعة آخرين ، ويدل على هذا أن جهم بن صفوان قد استعان بواصل بن عطاء أكثر من مرة حتى أضحت العلاقة بين الاثنين ودية للغاية[٣]. وكيف أدى هذا إلى الاتصال بين الفرقتين في كثير من العقائد .

وظهرت وحدة الفرق في مواقفهم من أهل السنة ، وهو من مظاهر التعاون بينهم وإن لم ينصوا على حصوله ، إلا أن الواقع العملي لا يحتمل إلا ذلك وهو موقف العداء لهم .

بدأ العداء السافر من المبتدعة لأهل السنة بردِّهم سنة النبي ﷺ والطعن فيها وفي نقلتها وكانوا في ذلك على أقسام :

١- منهم من رد السنة رداً مطلقاً كما هو رأي الجهمية والرافضة والباطنية وأتباع النظام وأبي الهذيل العلاف من المعتزلة.

---

(١) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير برقم (١٦٦٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٨٨/٢ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوي ٦٨٤/١١ ، ومواقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع لإبراهيم الرحيلي ٣٢٠/١، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

(٣) انظر : طبقات المعتزلة ، ص ٢٣٧ ، ٢٤٠ .

٢- رد غير المتواتر من السنة كما هو رأي جمهور المعتزلة ووافقهم الأشاعرة في رده في العقائد وقبوله في الأحكام .

٣- الطعن في رواة السنة عموماً كما هو رأي الروافض إلا في نزر يسير من الصحابة، أو الطعن في بعضهم كمن اشترك في الفتنة كما هو معروف عند الخوارج والمعتزلة ومن نحا نحوهم(١). والطعن في الرواة وسيلة إلى رد السنة .

فالمبتدعة توافقوا على رد السنة ، وما ذاك إلا لأن السنة قد أعيتهم ودفعت كل حججهم فما وجدوا سبيلاً للتخلص من إلزاماتها إلا تلك السبل . ثم ظهر عداؤهم للصحابة رضي الله تعالى عنهم.

فالخوارج لهم طعن عام في الصحابة - رضي الله عنهم- ، وهو أنهم يعتقدون فيهم أنهم كفروا ، ويستثنون منهم أبا بكر وعمر فحسب ، ولهم مطاعن خاصة في بعض الصحابة كعثمان بن عفان رضي الله عنه فقد اتهموه بالاستئثار بفيء المسلمين وتعطيل الحدود والجور في الحكم حيث استذل المؤمن وعزز المجرم على حد زعمهم ، وقالوا في علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أنه حكَّم الرجال في أمر الله ، وقال فيه نافع بن الأزرق : إنه المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ [سورة البقرة : ٢٠٤] ، وفي قوله تعالى: ﴿ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ ﴾ [سورة الأنعام : ٧١] ، وقالوا في عائشة : أنها كفرت حين خرجت إلى البصرة وهكذا(٢).

والشيعة من الإمامية والغلاة دارت عقائدهم في الصحابة - رضي الله عنهم- بين الشتم

(١) انظر : موقف أهل الأهواء والفرق من السنة النبوية ورواتها لمحمد الزهراني ، ص ٢٠-٢٢ ، وموقف المعتزلة من السنة النبوية لأبي لبابة حسين ، ص ٧٣ ، دار اللواء ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ .

(٢) انظر عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام لناصر آل الشيخ ١١٦٦/٣، وبعدها .

والسباب ، وبين تكفير سائر الصحابة عدا نزر يسير منهم لا يعدون ثلاثة وهم سلمان والمقداد وأبو ذر الغفاري ، ومن غلوا فيهم من أهل البيت [1].

والمعتزلة يعرضون الصحابة على مشرحة انتقاداتهم ويلصقون بهم كل تهمة ، فمرة ينسبونهم إلى إيثار الهوى على الدين حين اجتهدوا في بعض مسائل الدين ، والنظَّام لم يتورع من الوقيعة فيهم بإلصاق الفاحشة بالصحابة أجمعين ، وأبو الهذيل العلاّف لا يبت في الصحابة أيهم أفضل ؟ إمعاناً في مخالفة إجماع الأمة ، ويميعون القول في مقتل عثمان ، فيقولون : لاندري قتل عثمان ظالماً أو مظلوماً ؟ وينسبون الصحابة بعد الجمل وصفين إلى الفسق ، ويجردونهم من العدالة ، حتى قال واصل قولته الشنيعة " لو شهدت عندي عائشة وعليّ وطلحة على باقة بقلٍ لم أحكم بشهادتهم " والنظَّام يتهم أبا بكر بالتضارب في أقواله حين أمتنع عن القول في شيء من متشابه القرآن ، ويزعم أن عمر بن الخطاب شك في دينه يوم الحديبية حين قال للرسول ﷺ " ألسنا على الحق ؟ أليسوا على الباطل ؟[2] ويقول : إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها ، ونسب عبدالله بن مسعود إلى الكذب ، وله في ثلب عثمان كلام يطول ذكره ، ونسب حذيفة بن اليمان إلى الكذب ، فالمعتزلة بين شاك في عدالة الصحابة منذ عهد الفتنة ، وبين مفسق لهم طاعن في أعلامهم [3] .

وأهل الكلام يقولون : طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم [4] ، وهي قولة تنطوي على التنقص من الصحابة سلف هذه الأمة حيث يرون أن الصحابة لم ينظروا في فهم النصوص لتعارض الاحتمالات وهذا فيه السلامة من هذه المخاطر ، أو أن السلف كانوا

---

(١) انظر : الشيعة والسنة لإحسان ظهير ، ص ٤٢-٤٣ ، دار ترجمان السنة ، لاهور — باكستان ، والرسالة الوازعة عن سب صحابة سيد المرسلين ليحيى بن حمزة ، تحقيق : مقبل الوادعي ص (٩٠) .

(٢) انظر : هذه الواقعة في : مختصر سيرة الرسول ﷺ ، لمحمد بن عبدالوهاب ، ص (١٨٢) .

(٣) انظر : موقف المعتزلة من السنة النبوية ، ص ٧٨ .

(٤) انظر : درء التعارض ٣٧٨/٥ .

منشغلين عن التحقيق والنظر في مسائل الدين والاجتهاد ، وهذا كلــه يحمــل في طياتــه ذم الصحابة ، بل مؤداه أيضاً أن الرسول ﷺ بلّغ قرآناً لا يفهم معناه ، وتكلم بأحاديث لا يفهــم معناها كأحاديث الصفات ، وأن جبريل والصحابة والتابعين كذلك [1] .

وكذلك الصوفية يرون أن ما عند الصحابة من علم الكتاب والسنة عــورة يجــب أن تستر ، وأنه مشغلة عن طريقهم ومسلكهم ، وفي هذا يقول أبو يزيد البسطامي من الصوفية : " أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت " [2] .

فانظر كيف توافق المبتدعة على النيل من الصحابة ورد ما معهم من علم وعمل .

والصورة الثالثة لتعاونهم ضد أهل السنة ، واجتماعهم على نبذ أهل الــسنة بالألفــاظ الشنيعة المنفرة عن مذهبهم ، وهذه علامة أهل الباطل .

فاجتمع الجهمية والمعتزلة والأشاعرة على نبز أهل السنة بــ (المشبهة) ، لأنهم يثبتون ما أثبته الله لنفسه من الصفات ، ونبزهم القدرية والمعتزلة بــ (المجبرة) ، لأنهم يقولون كل شيء بقدر الله فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ونبزهم المرجئة على اختلاف طوائفهم بــــ (النقصانية) ، لقولهم : إن الإيمان يزيد وينقص ، و(مخالفة) لأنهم خالفوا مذهبهم و

(شكّاك) لقولهم بالاستثناء في الإيمان ، ونبزهم الرافضة بــ (الناصبة) وهــو لفــظ يطلقونه على كل من قدّم أبا بكر وعمر وعثمان على عليّ ﷺ أجمعين في الخلافة والفــضل ، ونبزهم المعتزلة ، والخوارج ، والرافضة ، والمرجئة ، والأشاعرة ، والماتريدية بــ (الحــشوية) يعني حشو الناس أي : الرعاع وسفلة العامة ، ولأنهم يعدون ما عندهم من الأقوال والعقائــد

---

(١) انظر : قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي لمصطفى حلمي ، ص ٩٢-٩٤ ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ .

(٢) انظر : الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبدالرحمن عبدا لخالق ، ص ٦١-٦٤ ، مكتبة ابن تيمية ، الكويت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ .

حشواً ، أو لأنهم كما يزعمون يرون الأحاديث بلا تمييز ولا إنكار ، ونبزوهم كـذلك بـ (النابتة) يعني أنهم أحداث أغمار لا خبرة لهم بعلم الكلام ولا دراية لهم به ، ونبزهم أهل الكلام أيضاً بـ (غثاء وغثراء) وهم سفلة الناس وسقطهم الذين لا نفع فيهم[1].

فهذا التوافق في عداء أهل السنة ، ولدّ في الوقت نفسه ولاءً بين المبتدعة بعضهم لبعض أدى بدوره إلى فتح باب الأخذ والاستفادة من بعضهم .

---

(١) انظر : موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع ١/١٣٢-١٣٣ .

الفصل الثاني

أثر عقائد المخالفين لأهل السنة في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في كتابات المستشرقين .

الفصل الثاني

أثر عقائد المخالفين لأهل السنة في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في كتابات المستشرقين

المقدمة :

وفيها:

أولاً : التعريف بالاستشراق والمستشرقين :

الاستشراق في اللغة : استشرق من الفعل (شرق) يقال: شرقت الشمس أي طلعت ، والشرق: هو الجهة التي تشرق منها الشمس ، والتشريق الأخذ في ناحية المشرق [1] .

يقول أحمد رضا – عضو المجمع العلمي العربي بدمشق – :(استشرق فلان أي بمعنى طلب علوم الشرق ولغاتهم ، وهي كلمة موّلدة عصرية تقال لمن يعنى بذلك من الإفرنج) [2] .

وفي كتاب (المنجد في اللغة والأعلام) عُرِّف المستشرق بأنه: (العالم باللغات والآداب والعلوم الشرقية ، والاسم الاستشراق) [3] .

وأما بالنسبة لأول استعمال لكلمة أو مصطلح (مستشرق) فقد كان في اللغة الانجليزية حوالي عام ١٧٧٩م ، وأما مصطلح (استشراق) فقد ظهر في قاموس (الأكاديمية الفرنسية) عام ١٨٣٨م [4] .

يقول المستشرق (مكسيم رودنسون)[5] عن الاستشراق ملخصه : أن مصطلح الاستشراق ، والمستشرقين تحول على مر الزمان ، وأصبح عنواناً للعداء السافر ، على الدين الإسلامي وشعوبه .

---

(١) ينظر كتاب الصحاح ١١٤٠/٢ ، مادة شرق ، ولسان العرب لابن منظور ١٧٣/١٠، مادة شرق ، والمصباح المنير (ص١٣٢) ، مادة ش ر ق ، والقاموس المحيط للفيروز آبادب ٢٤١/٣ ، مادة شرق .

(٢) كتاب معجم متن اللغة العربية ٣١٠/٣.

(٣) المنجد في اللغة والأعلام ص ٣٨٤ .

(٤) ينظر : كتاب الاستشراق بين دعاته ومعارضيه ترجمة هاشم صالح (مجموعة مقالات لبعض المستشرقين (ص ٨٨) بتصرف . طبعة دار الساقي – بيروت ، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م .

(٥) مكسيم رودنسون ، مستشرق فرنسي معاصر ، ترجم معظم كتبه إلى اللغة العربية ، ومنها : الإسلام والرأسمالية ، والعرب ، وجاذبية الإسلام ، ينظر : كتاب : الاستشراق بين دعاته ومعارضيه (ص ٣٩) .

الاستشراق اصطلاحاً :

هو علم كسائر العلوم ، أو علم العالم الشرقي . وهو تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين : شعوبهم ، وتاريخهم ، وأديانهم ، ولغاتهم ، وأوضاعهم الاجتماعية ، وبلادهم ، وأرضهم ، وحضارتهم ، وكل ما يتعلق بهم [1] ، وهذا معنى عام للاستشراق .

وهناك معنى خاص لهذا المصطلح ، حيث يمكن القول بأن الاستشراق هو : دراسات أكاديمية يقوم بها غير المسلمين من غير العرب للإسلام عقيدة وشريعة ولغة وحضارة [2] .

وهذا المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق هو الذي يعنينا ، وهو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي والإسلامي عندما يطلق لفظ (استشراق) أو (مستشرق) ، وهو الشائع أيضاً في كتاب المستشرقين المعنيين .

والمستشرقون : (هم من يقوم بهذه الدراسات من غير الشرقيين خدمة للمبشِّرين والدوائر الاستعمارية لتحقيق أهدافهم في بلاد المسلمين) [3] هذا في الغالب ، وإن كان هناك من المستشرقين من عندهم شيء من الإنصاف .

ثانياً : أهم بواعث وأسباب وجود الاستشراق والمستشرقين :

يمكن أن تكون أهم بواعث وأسباب وجود الاستشراق والمستشرقين ما يلي :

١- العداء الذي أحدثه الصراع الصليبي بين الإفرنج والمسلمين .

٢- الفتوح الإسلامية التي ترتب عليها دخول كثير من الممالك المسيحية في الدين الإسلامي .

٣- إنكار الإسلام لعقيدة (التثليث – والصلب – والفداء).

---

(١) كتاب أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، لعبدالرحمن حبنكة الميداني ص (٥٠) . دار القلم – بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

(٢) من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام ، لعبد المنعم فؤاد (ص ١٨) ، مكتبة العبيكان – الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ بتصرف .

(٣) انظر : رؤية إسلامية للاستشراق ، تأليف أحمد غراب ، ص ٧ ، نشر المنتدى الإسلامي ، بريطانيا ١٤١١هـ ، والاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ، تأليف: مصطفى السباعي (١٥) ، طبعة المكتب الإسلامي - بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ .

٤- قيام الاستشراق من أجل التبشير بالدين المسيحي في بلاد الشرق خصوصاً الإسلامية منها .

٥- قيام الاستشراق بخدمة الاستعمار لاستمرار نفوذه في توجيه السياسات الداخلية والخارجية للدول التي كان يحتلها قبل ذلك .

ولهذه البواعث — وهي قليل من كثير — كانت دراسة المستشرقين للإسلام تاريخاً وتشريعاً غير مخلصة ولا نزيهة ولا علمية ولا موضوعية . وإنما كانت رغبة في التشفي والانتقام من الإسلام وكتابه ورسوله[1].

وبالإضافة إلى النية السيئة والدافع الخبيث لدى المستشرقين فإنهم يصدرون في كتاباتهم عن جهل باللغة العربية ومقاصد ألفاظها لأنهم ليسوا من أهلها وهم في دراستهم للسيرة النبوية لا يفرقون بين صحيح الأخبار وسقيمها ، ولا يميزون بين ما كتبته الفرق الضالة المنتسبة للإسلام كالشيعة وغيرها وما كتبه سلف هذه الأمة من أهل السنة والجماعة . ولا يكتفي المستشرقون بما ذكره أهل العلم في تفسير القرآن الكريم وشرح الأحاديث النبوية، بل يجتهدون بعد ذلك في تحريف الكلم عن مواضعه ويخترعون أخباراً من وحي ضمائرهم الفاسدة ، ثم يختارون لها المكان المناسب في السيرة لتوضع فيه !!

خلاصة القول أن المستشرقين قد اجتمع لهم ما يلي :

١- نية فاسدة ودافع خبيث وحقد أسود .

٢- جهل باللغة العربية والبيئة العربية .

٣- الاعتماد على الإسرائيليات وكل ما هو باطل من القول مادام يحقق غايتهم المنشودة .

٤- تحريف الكلم عن مواضعه واختلاق الأكاذيب من عند أنفسهم .

وبهذه الوسائل والإمكانيات مجتمعة كتب المستشرقون سيرة رسول الهدى ﷺ وصحابته الكرام والتاريخ الإسلامي بشكل عام .

---

(١) مفتريات على الإسلام – لأحمد جمال ، ص ١٠ ، ١١ بتصرف ، من مطبوعات جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، الطبعة الثالثة .

ثالثاً: أهم خصائص منهج المستشرقين في دراستهم للفرق :

من خصائص منهج المستشرقين في دراستهم للفرق الاهتمام بالفرق الغالية والبدعية وإبراز العقائد المنحرفة ورؤسائها بل والثناء عليهم والطعن في الإسلام والطعن في رسول الإسلام ﷺ وصحابة هذا الرسول وسأقوم بشرح هذه الخصائص المنهجية في الأسطر التالية :

١ – الاهتمام بالفرق الغالية :

من أهم خصائص منهج المستشرقين الاهتمام بالفرق الغالية كالسبئية والباطنية والصوفية والخوارج والشيعة والفرق الكلامية كالمعتزلة والأشاعرة ، فبعض المستشرقين أوقف حياته في دراسة فرقة من الفرق أو شخصية من الشخصيات الإلحادية(١).

ويشهد لهذا المستشرق جولدتسيهر(٢) في كتابه (العقيدة والشريعة) والذي أفرد فيه فصلاً مستقلاً للفرق ، باهتمام المستشرقين بالخوارج وآدابهم ومؤلفاتهم وأثر ذلك الاهتمام وانعكاساته الخطيرة في بث الحياة في عروق تلك الفرقة(٣).

ويشهد شاهد آخر من المستشرقين باهتمامهم البالغ بالشيعة فيقول أندرية ميكيل :"... وهناك مقارنة أخرى وغرابة أخرى ، فمن الصعب أن ننكر أن مذهب الشيعة الذي ليس إلا جانباً من جوانب الإسلام ، قد حظي بمكان الصدارة في أبحاث الغرب في حين أن الإسلام اليوم التابع للمذهب السني بشكل عام قد انتظر فترة طويلة حتى تفسح له المكانة الحقيقية التي يحتلها في خط التطور..."(٤).

---

(١) المستشرقون والتراث لعبد العظيم الديب ، ص ١٨ ، دار الوفاء ، المنصورة – مصر ، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ .

(٢) جولد تسيهر: مستشرق مجري ولد عام ١٨٥٠م ، أسرته أسرة يهودية اهتم بالدراسات الشرقية ، رحل إلى القاهرة وسوريا وفلسطين ، له عناية في الدراسات العربية والإسلامية ، من أهم كتبه : اليهودية ، العقيدة والشريعة في الإسلام ، أدب الجدل عند الشيعة ، إخوان الصفا ، مذاهب التفسير الإسلامي .

انظر : موسوعة المستشرقين لعبد الرحمن بدوي ، ص ١٩٧-٢٠٣ ، طبعة دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٩٣م . والمستشرقون لنجيب العقيقي ٣/٤٠-٤٢ ، نشر دار المعارف ، القاهرة – مصر ، الطبعة الرابعة ١٩٨٠م ، وطبقات المستشرقين لعبد الحميد حمدان ، ص ١١٥-١١٦ ، طبعة مكتبة مدبولي .

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام لجولدتسيهر ، ص ١٧٤ ، ترجمة : محمد يوسف موسى وعبد العزيز عبد الحق وعلى عبد القادر ، دار الرائد العربي ، بيروت – لبنان .

(٤) الإسلام وحضارته لأندرية ميكيل ، ص ١٤ ، ترجمة : زينب عبد العزيز ، المكتبة العصرية – بيروت .

ويشهد ثالث منهم على اهتمامه بالحشيشية الإسماعيلية المستشرق برنارد لويس فقال : " وشهد بداية القرن التاسع عشر اندفاعاً جديداً في الاهتمـــام بالحشيـــشية ..."[١]، ثم ســـرد المهتمين بالحشيشية من المستشرقين وبين جهودهم .

وبعد تلك الشهادات الاستشراقية على اهتمام المستشرقين أنفسهم بـــالفرق البدعيـــة والغالية في الإسلام ومحاولة إبرازها ، وإحياء أفكارها وعقائدها ، نضيف شهادات أخرى مهمة للغالية من مسلمين اهتموا واعتنوا بالاستشراق ، وأولها شهادة عبد الرحمن بدوي على اهتمام المستشرقين البالغ بالأفكار الغريبة والمذاهب الشاذة فقال :" والباحثون– بنـــوع مـــن حـــب الاستطلاع المرضي – أكثر احتفالاً بالأفكار الغريبة والمذاهب الشاذة ، ومن هنا كان الاهتمام بالمذاهب الباطنية في الإسلام أقوى بكثير من الاهتمام بمذاهب المعتزلة وأهل السنة ، وآية ذلك هذا الحشد الهائل من الدراسات والأبحاث المفردة الخاصة بالمذاهب الباطنية ، ممـــا قـــام بـــه المستشرقون الأوربيون والأمريكيون منذ بداية القرن التاسع عشر حتى اليوم ، فقد كرسوا لهـــا من الأبحاث أضعاف ما خصصوه لسائر الفرق الإسلامية ، وكلما فتر الاهتمام بها ما يلبث أن يتجدد وبقوة أكبر حتى جاءت فترات في تاريخ البحث في المذاهب الإسلامية كـــان البِـــدعُ السائد فيها هو دراسة الإسماعيلية أو القرامطة أو النصيرية[٢]، وواكب ذلك نمو متواصل فيمـــا نشر محققاً من كتبهم هم أنفسهم ، بعد أن ظل الاعتماد طـــويلاً علـــى مـــا كتبـــه عنـــهم خصومهم"[٣].

وبين باحث آخر أن جهود المستشرقين بعث الحركات الهدامـــة والطوائـــف الـــضالة وتضخيم أعمالها فقال :" فقد استطاعت الباطنية بواسطة المستشرقين أن تبعث عقائدها وتنشر كتبها ، ففي شبه القارة الهندية تبنت بريطانيا : الإسماعيلية الأغاخانية وأحيت تراثها وأشهرت رموزها ، وأخيراً سلمتهم رئاسة باكستان المسلمة بزعامة محمد علي جناح الأغاخـــاني ، وفي

---

(١) الحشيشية لبرنارد لويس ، ص ٢٢ .

(٢) النصيرية : نسبة إلى محمد بن نصير النميري المتوفي سنة ٢٦٠هـــ ، وهو من غلاة الشيعة وكان مولى للحسن العسكري الإمام الحادي عشر من أئمة الشيعة الاثني عشرية . وقالوا بالتناسخ ، وظهور الإله في الأئمة ، والإباحية وإسقاط التكاليف .

انظر: الملل والنحل ، ١٨٨ ، واعتقادات فرق المسلمين ، ص ٥١ . والمقالات والفرق للقمي ، ص ١٠٠.

(٣) مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ، ص ٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م .

إيران وقويت شوكة الرافضة حتى أقيمت لهم دولة لتتكفل بحماية الباطنية في المنطقة ، وفي اليمن نشطت الإسماعيلية والقرمطية ... وعلى أيدي الفرنسيين بعثت في سورية النصيرية الباطنية .. وسميت باسم العلوية واصطنعتهم فرنسا فمكنتهم من دخول الجيش واحتلال قياداته العليا ، ثم استطاعوا أخيراً أن يتحكموا في الأكثرية المسلمة في سورية .

وهذا غير الطوائف التي أحدثها الاستعمار لهدم العقيدة الإسلامية كالبابية ، والبهائية والقاديانية التي تتضح عمالتها بمرور الأيام ... "[1].

٢- إبراز العقائد المنحرفة والشخصيات الإلحادية والبدعية :

من خصائص منهجهم إبراز العقائد البدعية والكفرية مثل : عقيدة الحلول ، ووحدة الوجود والفناء الصوفي ، والغلو في الأشخاص ، وما يسمى بالمذهب الروحي في الإسلام ، كل ذلك يتجلى بوضوح في بحث المستشرقين التي جمعها عبدالرحمن بدوي في كتابه (شخصيات قلقة في الإسلام) وما جمعه أيضاً من بحوث استشراقية في كتابه (من تاريخ الإلحاد في الإسلام)، وقد قال عن جهود المستشرقين في العناية والاهتمام بالزنادقة :" للزندقة في الإسلام تاريخ شائق (!!) عني المستشرقون بدراسته عناية فائقة فكتبوا فيها الرسائل القصيرة أو المقالات الطويلة المستفيضة التي تظهر باستمرار وأغلب ما فيها جديد طريف " ثم سرد جهود المستشرقين بالزندقة والزنادقة [2]

ويصف أحد الباحثين اهتمام دائرة المعارف الإسلامية بالبدع بقوله :" سيطرت البدع الدخيلة في الدين الإسلامي على مواد الموسوعة باستفاضة مثيرة حتى ليظن الباحث أنها من أصول الإسلام ، وقد أمعن مؤلفوا الدائرة في تسجيلها وشرحها كأنها حقائق مقررة في حين تسطر هذه البدع على أنها من المعارف الإسلامية ، فإن الإسلام يبرأ منها فهو ما جاء إلا لمحاربتها "[3].

---

(١) موقف أصحاب الأهواء والفرق من السنة النبوية ورواتها لمحمد مطر الزهراني ، ص ٦٢-٦٣ ، مكتبة الصديق ، الطائف – السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

(٢) من تاريخ الإلحاد لعبدالرحمن بدوي ، ص ٢٧ ، سيناء للنشر ، الطبعة الثانية ١٩٩٣م .

(٣) سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية لأنور الجندي ، ص ٨١ ، نقلاً عن دائرة المعارف الإسلامية ، ص١٧.

وقال أحد المهتمين بالاستشراق :" والموضوعات التي يتناولها المستشرقون بالبحث والدرس متكررة وفيها من الدليل الواضح على تحيزهم إلى نوع معين من الدراسات دون أي نوع آخر ، فهم يبحثون في الخلافات والمنازعات بين الطوائف والفرق المختلفة مثل : الكلامية، والمرجئة ، والمعتزلة ، والمعطلة ، والشيعة ، يدرسون حياة التصوف ، وأساطير الحلاج وغيرها ، ويتناولون الأمور المتعلقة بالزندقة والشعر المبتذل في أعمال بشار وأبي نواس وما هو مشهور عن ابن الراوندي(١).

والمستشرقون لا يتناولون القضايا التي تتعلق بالتكامل والتكافل الاجتماعي في الإسلام والنظم الاقتصادية والمالية وما فيها من صدقات وزكاة وفيء ، وما فيها من فوائد لمحاربة الفقر وإسعاد الإنسان ... بل أنهم اتخذوا الوسائل لتزييف التاريخ وتصوير حملات الباطنية وحملات القرامطة على أنها حركات ثورية(٢).

٣- الثناء على الفرق المخالفة لمنهج السلف :

لقد صاحب اهتمام المستشرقين بالفرق البدعية ، والشخصيات الإلحادية ، الثناء عليهم ومدحهم وإطراؤهم ، مقابل تنقص أهل السنة والجماعة .

فيصفون أهل الكلام بأصحاب الفكر الحر ، أو الترعة التحررية أو الإصلاحيين أو غير ذلك من الأوصاف ويصفون الشيعة بأنهم أصحاب مرونة وحيوية أكثر من أهل السنة إلى غير ذلك .

فمن ثنائهم على الشيعة ما زعمه هنري كوربان(٣) أن الشيعة هي التي تملك الحقيقة (العلم الباطن) ولولا ذلك لم يمكن للتاريخ الإنساني الديني أن يستمر بعد خاتم النبيين !!(٤).

---

(١) شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي لأنور الجندي ، ص ٨٩ ، المكتب الإسلامي ، دمشق – سوريا ١٩٧٨م.

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٩-٤٠ .

(٣) هنري كوربان : مستشرق فرنسي ، ولد عام ١٩٠٣م ، درَّس الفلسفة في كلية الآداب في باريس وأتقن عدة لغات منها العربية والفارسية له اهتمام بكتب ابن سيناء وابن عربي الصوفي وكتب الإسماعيلية والاثني عشرية ، توفي عام ١٩٧٨م، من مؤلفاته : إخراج كتاب الينابيع لأبي يعقوب السجستاني ، وتحقيق كتاب المشاعر لصدر الدين محمد الشيرازي ، والإسلام الإيراني .

انظر : موسوعة المستشرقين لعبد الرحمن بدوي ، ص ٣٣٥-٣٣٩ .

(٤) تاريخ الفلسفة الإسلامية لهنري كوربان ، ص ٤٢ ، ترجمة : نصير مروة وحسن قبيسي ، منشورات عويدات ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م .

ويزعم لويس غاردية[١] أن الشيعة أكثر ورعاً وأكثر تاريخاً وأكثر إيماناً بالاخرة من أهل السنة فيقول :" صحيح أن العقيدة الشيعية (تلجأ) إلى روح المطالبة (أي الاعتراض على ولاة الأمر) هذا لأنها أكثر ورعاً وأكثر تاريخية وأكثر أخروية من العقيدة السنية "[٢].

وأشادوا بأهل الكلام خصوصاً المعتزلة فزعم جولد تسيهر أنهم وسعوا معين المعرفة الدينية بتعويلهم على العقل فقال :" إن بدايات هذا المذهب الاعتزالي تدلنا على الأقل على نزعة التحرر من القيود الثقيلة المتعبة وعلى القضاء على الفهم السني الصارم للحياة ... ومن فضائلهم فيها عنصراً آخر قيماً وهو العقل الذي كان حتى ذلك الحين مبعداً بشدة عن هذه الناحية "[٣].

ويثني لويس غارديه على تراث الصوفية ويزعم أن ما خلفته من أعمال أدبية عظيمة شعرية ونثرية هي الآن من مفاخر التراث الثقافي للبلاد الإسلامية وحدها بل الثقافة العالمية ذاتها[٤].

٤- الطعن في الإسلام من خلال الفرق :

الافتراق مذموم شرعاً ونهى المولى ﷻ عن الافتراق وقد أخبر الصادق ﷺ عن افتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة ، وقد وقع ما أخبر به .

واستغل النصارى وغيرهم هذا الاختلاف والافتراق بين المسلمين ، فأخذوا قديماً يجادلون المسلمين في القرآن الكريم بقول الرافضة أنه مبدل ، فأجابهم ابن حزم الظاهري كما جاء في الفصل في الملل والأهواء والنحل :" أن الروافض ليسوا من المسلمين إنما هي فرقة حدث

---

(١) لويس غارديه : مستشرق فرنسي ، راهب ، ولد عام ١٩٠٤م ، تخصص في الحضارة الإسلامية ، ودرسها ، من مؤلفاته : الحضارة الإسلامية ، والإسلام دين وجماعة ، وأهل الإسلام .

انظر : ترجمته في مقدمة كتابه " أهل الإسلام " ، ص ٥ ، ترجمة صلاح الدين برمدا ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق – سوريا ١٩٨١م .

(٢) أهل الإسلام للويس غارديه ، ص ٢٦٠ .

(٣) العقيدة والشريعة لجولد تسهير ، ص ٩٠-٩١.

(٤) أهل الإسلام للويس غارديه ، ص ٢٨٣ .

أولها بعد موت الرسول ﷺ بخمس وعشرين سنة ، وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنـــصارى في الكذب والافتراء "[1].

وسار المستشرقون على أثر أسلافهم في استغلال هذا الافتراق بين المسلمين في الطعن في الإسلام ذاته ومن ذلك نفي لويس غارديه أن يكون في الإسلام نهج قويم بقوله :" لكن لا مجال في الإسلام لتحديد نهج قويم غير منازع ، إذ كل مدرسة أو فرقة تقتصر على تقديم ذاتها أمـــام مناهضتها كالدين الصحيح أو الإسلام الصحيح .."[2].

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/٢١٣ .

(٢) أهل الإسلام ، ص ٢٢٣.

بيان طعن المستشرقين في الصحابة عامة وفي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خاصة:

وبعد هذه المقدمة الموجزة عن تعريف الاستشراق والمستشرقين وبواعثهم وأهم خصائص منهجهم سأبدأ ببيان طعنهم في صحابة الرسول ﷺ .

سبق أن أهل الاستشراق أصحاب عناية بالتاريخ الإسلامي مع اختلاف مناهجهم في تقييم ذلك التاريخ ودراسة تلك الفرق فبعضهم اعتبر أهل البدع هم الذين يمثلون الإسلام لكن أهم ما نشأ عن دراستهم لتلك الفرق أنهم تأثروا بهم مما جعلهم يقولون بقولهم ويعتقدون معتقدهم ويظهر ذلك جلياً في باب الصحابة الكرام بشكل عام وأمهات المؤمنين بل وأم المؤمنين عائشة بشكل خاص ، حيث أنهم ساروا – ولا أقول كلهم – على ما سار عليه أولئك المبتدعة وعند النظر أجد أن أكثر ما تأثر به أولئك المستشرقين أنهم تأثروا بالشيعة الرافضة حيث أنهم يكررون كلامهم ناشرين له ومؤيدين وإليك بعضاً من أقوالهم إثباتاً لهذا الأمر على شكل وقفات :

الوقفة الأولى : قولهم في حادثة الإفك :

حادثة الإفك والتي برأ الله عز وجل عائشة رضي الله عنها مما تكلم عليها فيه ، وأنزل الله في ذلك قرآناً يتلى إلى قيام الساعة ، ولم يعارض ذلك ويقول به بعد نزوله إلا منافق أو رافضي مقيت ، وقد نقل المستشرقون هذه الحادثة بأسلوبهم وفرّعوا عنه أن عائشة رضي الله عنها كانت تبغض علياً رضي الله عنه من أجل موقفه منها في هذه الحادثة .

يقول المستشرق بروكلمان[1] عن حادثة الإفك :" قام النبي خلال سنة ٦٢٧م أيضاً بحملات عدة على بعض القبائل البدوية ، ولقد أبعد في إحداها حتى قارب مكة ، وكانت هذه الغزوات آمنة إلى حد ساعده على أن يصطحب فيها اثنتين من أزواجه، فاتفق مرة أن أضاعت زوجه المفضلة عائشة بنت أبي بكر – وكانت آنذاك في الرابعة عشرة من عمرها – قلادتها فخرجت تبحث عنها مساء ، ففاتتها قوافل الغزاة ، ولم تعد إلى المعسكر إلا في اليوم التالي وبرفقتها شاب كانت قد

(١) بروكلمان " كارل " : مستشرق ألماني ولد عام ١٨٦٨م ، له اهتمام منذ صغره بالدراسات الشرقية ، ونبغ في دراسة فقه العربية وقراءاتها قراءة فصيحة وكتابتها كتابة سليمة ، اهتم بالتاريخ الإسلامي وتاريخ الأدب العربي ، توفي عام ١٩٥٦م ومن مؤلفاته : تاريخ الشعوب الإسلامية ، وتاريخ الأدب العربي ، وتحقيق كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة .
انظر : موسوعة المستشرقين ، ص ٩٨ ، وطبقات المستشرقين ، ص ٩٥-٩٦ .

عرفته من قبل وتطرق الشك في إخلاص عائشة إلى نفس النبي فردهـا إلى بيت أبويها، ولكن الله لم يلبث أن برأها بعد شهر واحد في إحدى الآيات الموحـاة إلى النبي "[1].

فالمستشرق ذكر قصة حادثة الإفك باختصار شديد إلا أنه جانب الصواب في قوله:" ولم تعد إلى المعسكر إلا في اليوم التالي ".

فعائشة رضي الله عنها لم تغب يوماً كاملاً ، إنها غابت جزء من اليوم .

وقول المستشرق : " وبرفقتها شاب كانت قد عرفته من قبل ".

هذا القول في إيحاء بأنه كان بين عائشة رضي الله عنها وبين صفوان بن معطل رضي الله عنه معرفة أو تعارف ، وحاشاها إنما كانت تلك المعرفة معرفة أشخاص الصحابة وأسماءهم ، دون أن يكون بينهما تعامل وتعارف وتقارب .

وقوله :" وتطرق الشك في إخلاص عائشة إلى نفس النبي فردها إلي بيت أبويها ".

وهذا القول غير صحيح فإن النبي ﷺ لم يشك في عائشة رضي الله عنها ولم يردها إلى بيت أبويها . وإنما الذي حصل من النبي ﷺ أنه حزن وغضب لما يثار عن عائشة رضي الله عنها على بعض الألسن من بعض الصحابة ومن بين المنافقين حيث تأذى لذلك .

(فإن قيل : فما بال رسول الله ﷺ توقف في أمرها ، وسأل عنها، وبحث واستشار ... وهلا قال : سبحانك هذا بهتان عظيم ، كما قاله فضلاء الصحابة ؟

فالجواب : أن هذا من تمام الحكم الباهر التي جعل الله هذه القصة سبباً لها وامتحاناً وابتلاءً لرسوله ﷺ ولجميع الأمة إلى يوم القيامة ، ليرفع بهذه القصة أقواماً ويضع بها آخرين .

وأيضاً فإن الله سبحانه أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده وكرامتهم عليه، وأن يُخرج رسوله عن هذه القضية ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه ، والرد على أعدائه وذمهم وعيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل ، ولا ينسب إليه بل يكون هو وحده المتولي لذلك الثائر لرسوله وأهل بيته وأيضاً فإن رسول الله ﷺ كان هو

(١) كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان ، ص ٥٤ ، ترجمة : نبيه أمين ومنير البعلبكي ، طبعة دار العلم للملايين، بيروت ، الطبعة الثامنة ١٩٧٩م .

المقصود بالأذى والتي رميت زوجته ، فلم يكن يليق به أنه يشهد ببراءتها مع علمه أو ظنه الظن المقارب للعلم ببراءتها و لم يظن بها سوءاً قط ، حاشاه وحاشاها ، ولذلك لما استعذر من أهل الإفك ، قال : (من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي)(1). فكان عنده من القرائن التي تشهد ببراءة الصديقة أكثر مما عند المؤمنين ولكن لكمال صبره وثباته ورفقه وحسن ظنه بالله حقَّه ، حتى جاءه الوحي بما أقر عينه وسر قلبه وعظم قدره وظهر لأمته احتفال ربه به واعتناؤه بشأنه"(2).

وأما قول المستشرق عن عائشة ﵂ : " فردها إلى بيت أبويها ". وهذا القول غير صحيح ، فإن الرسول ﷺ لم يرد عائشة ﵂ إلى بيت أبويها ، وإنما مرضت بعد رجوعها فاستأذنت الرسول ﷺ أن تُمرَّض في بيت أبويها فسمح لها ﷺ بذلك(3).

أما المستشرق مونتجمري(4) وات فيقول عن حادثة الإفك :" قامت أزمة حادة نجمت عن الحادث الذي وقع أثناء عودة النبي من غزوته لبني المصطلق في الشهر الخامس من سنة ٦٢٧م والتي صحبته فيها عائشة ذلك أن عائشة خرجت عندما حطت القافلة رحالها في وقفتها الأخيرة قبل المدينة لقضاء حاجة فأبعدت قليلاً عن المعسكر، وسقط منها عقد فتلبثت بعض الوقت تفتش عنه ، وكانت عائشة خفيفة الوزن حتى أن الرجال الذين كانوا يحملون هودجها إلى الجمل لم يحسوا بغيبتها ، ومضت القافلة جميعاً في طريقها قبل أن تعود إلى المعسكر .

---

(١) متفق عليه :

أخرجه البخاري في صحيح البخاري مع الفتح – كتاب المغازي ، باب : حديث الإفك ٤٩٦/٧ ، حديث رقم (٤١٤١).

ومسلم في صحيحه ، كتاب التوبة ، باب : حديث الإفك ، ٢١٢٩/٤ ، حديث رقم (٢٧٧٠) .

(٢) زاد المعاد لابن القيم ٢٦١/٣-٢٦٣ مختصراً .

(٣) تقدم تخريجه قبل قليل ص ٥١٢ . وانظر : السيرة النبوية لابن هشام ٣٢٧/٣ .

(٤) مونتجمري وات : مستشرق إنجليزي ، عمل أستاذاً ومؤسساً لقسم الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة أدنبرة ، ودرَّس فيها الإسلام : عقيدة وتاريخاً وحضارة ، من مؤلفاته : محمد في مكة ، ومحمد في المدينة ، تاريخ إسبانيا الإسلامية . انظر : المستشرقون ١٣٢/٢ ورؤية إسلامية للاستشراق ، ص ١١٥ .

وجلست عائشة تنتظر حتى عثر عليها آخر الأمر شاب جميل هو صفوان بن المعطل السلمي ، فعاد بها في حراسته إلى المدينة ، وكان ذلك منها زلة كبيرة في الظروف التي كانت سائدة آنذاك ، وخاصة أن الحجاب قد فرض على زوجات النبي .
وكثر القيل والقال وجسّم الأمر ولم يكن ذلك بفعل الأعداء الشخصيين لعائشة وأسرتها فحسب بل بفعل عبد الله بن أبي زعيم المنافقين أيضاً .
واتضح آخر الأمر أنه ما من شاهد قوي ينهض ضد عائشة ، ونزل على النبي سورة النور ، الآية ١١ وما بعدها متضمناً براءة عائشة ولوم أولئك الذين تقولوا عليها وباء عبد الله بن أبي بالخزي أمام الناس "[١].
فالمستشرق عرض لحادثة الإفك ، وذكر الأطراف التي شاركت فيه ، إلا أنه قال من ضمن كلامه :" وكان ذلك منها زلة كبيرة في الظروف التي كانت سائدة " الخ.
ويمكن القول أن اللفظ فيه إساءة تعبير ، فعائشة رضي الله عنها لم تقصد ذلك وإنما وقع قدراً وامتحاناً للمسلمين من لدن الصحابة رضي الله عنهم وحتى قيام الساعة، ليهلك فيه من هلك من أهل النفاق وغيرهم .
وأما المستشرق بودلي[٢] فيروي قصة حادثة الإفك برواية الغربيين بتصرف فيها فيقول:" كان محمد يأخذ دائماً معه زوجة أو زوجتين إذا قام برحلة ، أو خرج في غارة ، وكن يرحلن في هودج فوقه مظلة مشدودة على إطار من الأغصان ، وكان الهودج يشد إلى سنام البعير فكان النازل فيه يختفي عن الأنظار جملة ، فكان من المحال معرفة ما إذا كان في الهودج أحد أو كان فارغاً ما لم ترفع المظلة .
كان محمد قد أتم غزوته القصاصية الناجحة لقبيلة بني المصطلق ، حيث تزوج من جويرية زوجته الثامنة وكان في طريق عودته إلى المدينة بجنده وبعيره وغنائمه

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٤٣٢/١٥ ، مادة (عائشة بنت أبي بكر) يصدرها باللغة العربية : أحمد الشنتاوي وإبراهيم زكي خورشيد . وموجز دائرة المعارف الإسلامية ٧٠٣٨/٢٢ ، مادة (عائشة بنت أبي بكر) ، تحرير : هوتسما وأورنولد وغيرهم من المستشرقين ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .
(٢) بودلي : مستشرق إنجليزي من كتبه : الرسول حياة محمد .
انظر : المستشرقون لنجيب العقيقي ٩٥/٢ .

وكانت المرحلة الأخيرة لبلوغ المدينة طويلة ، فكان على المسلمين أن يحملوا خيامهم إلى الفجر فلما استيقظت عائشة خرجت إلى الخلاء لبعض حاجتها فلما عادت كانت خيمتها قد رفعت وكان جملها منتظراً ، فلما همت بدخول هودجها كشفت أن قلادتها قد انسلت من عنقها فعادت أدراجها دون أن تخطر أحداً للبحث عنها وكان من الصعب رؤية قلادة منسلة في عماية الصبح بين الحصى والأعشاب ولاح نور الصباح قبل أن تعثر عليها ثم ثبتتها حول عنقها وعادت لتلحق بالقافلة ولكن لم تجد هناك قافلة وكانت نيران المعسكر هي الدليل على أن أناساً كانوا هناك .

لقد حسب المكلفون بنقل عائشة أن السيدة في هودجها فشدوه إلى بعيره ، فقد كانت عائشة صغيرة خفيفة جداً ، حتى إنه ما كان أحد ليميز وجودها في الهودج من غيابها فلما تحرك الركب انطلق الرجال وهم يقودون بعيراً غير محمل.

وقفت عائشة لحظة تحدق في فضاء الصحراء العريض ، وقد انسحب الفجر ليفسح لحرارة الصباح ، وكانت الشمس ترسل أشعتها الحامية إلى الفضاء الصخري ، فلم تجد أثراً لقومها أو قافلتها ، فهزت منكبيها وجلست ، فما كان يجدي الذعر ، وما كان هناك من فائدة في محاولتها اللحاق بقافلتها ، وإنه لمن الأفضل أن تبقى في المكان الذي رؤيت فيه آخر مرة .

وإنها لتأمل أن يعود القوم إليها إذا ما افتقدوها فلم يجدوها في الهودج . فلما ارتفعت حرارة النهار استولى عليها خمول فالتفّت في جلبابها ، واستظلت تحت شجرة ثم نامت ، فلما استيقظت كانت الشمس مرتفعة في السماء و لم تكن وحيدة كان ينظر إليها من فوق هجين مرتفع شاب وسيم ، ففركت عائشة عينيها فابتسم الشاب ثم أناخ بعيره وقال إنه صفوان بن المعطل و لم تقدم عائشة نفسها له تبعاً لما قالته عائشة لما روت القصة ، وكان صفوان يعرفها بالنظر فقد خاطبها بعائشة بنت أبي بكر .

سألها صفوان : ما تفعله بجلوسها منفردة في وسط صحراء العرب ؟ فشرحت له عائشة الأمر ، فضحك صفوان !! ثم عرض عليها بعيره ليقودها إلى المدينة ، فقبلت عائشة فساعدها صفوان على الركوب ثم انطلقا .

وفي نفس الوقت استمرت قافلة المسلمين في طريقها دون أن يفطن أحد إلى أن عائشة ليست فيها و لم يكشف اختفاؤها قبل أن يناخ الجمل بالهودج الفارغ أمام مساكن النبي ثم ابتدأ الدهش؟!

إن قواد الجمل الذين كانوا مقتنعين بأنهم رحلوا من المعسكر بعائشة قد عزوا اختفاءها إلى الجن ، وكان هذا هو الشرح الوحيد المقبول مادام أنهم لم يقفوا في الطريق أبداً .

وما كان محمد ليوافق على خرافات كهذه فراح ينظم جماعة للخروج للبحث عنها، لما أقبل بعير من طرقات المدينة الضيقة يقوده شاب وسيم جميل ، وكانت عائشة جالسة على ظهر البعير حلوة كالقمر ، وأنيخ البعير على مدخل دارها ، فنزلت عائشة وابتسمت لصفوان ودلفت إلى الدار دون أن تحسن أنها عرضة للانتقاد ، كأنما اعتادت السفر في الصحراء مع شبان أغراب .

وكان محمداً مسروراً برؤية زوجه الأثيرة سالمة عنده ، فرحب بها ، ولما كان الأمر يعنيه خاصة انتهت الحادثة ، وكان من الواجب أن تنتهي ما لم يتدخل في الأمر عبد الله بن أبي "[1].

وفي رواية المستشرق بودلي هذه تحريفات متعمدة للقصة عن وجهها الصحيح ، ومنها قوله :" فابتسم الشاب ... وقال إنه صفوان بن المعطل " ، " وسألها صفوان: ما تفعل بجلوسها منفردة في وسط صحراء العرب فشرحت لع عائشة الأمر . فضحك صفوان "، " أقبل بعير من طرقات المدينة الضيقة بقوده شاب وسيم جميل، وكانت عائشة جالسة على ظهر البعير حلوة كالقمر ... فنزلت عائشة وابتسمت لصفوان ودلفت إلى الدار ... كأنما اعتادت السفر في الصحراء مع شبان أغراب ".

وكل هذه العبارات من مستشرق غير منصف لم يستند فيها على دليل واحد أراد بها تشويه سيرة عائشة ﵂ وإظهارها بمظهر المتهتكات عن الستر والحياء، وهذا ألصق بحياة نساء الغرب البعيدة عن أخلاق الحياء والستر والعفاف والسعي نحو الحياة الشهوانية والتهافت عليها .

---

(١) كتاب الرسول حياة محمد ، ص ٢١٤-٢١٦ ، ترجمة : محمد فرج وعبد الحميد جودة السحار ، نشر : مكتبة مصر.

لذلك فالمستشرق في روايته أراد إسقاط حياة الغربيين ومُثُلهم وقصصهم العاطفية على حياة شريفة وأم من أمهات المؤمنين الصديقة بنت الصديق ، والطيبة المطهرة زوجة رسول رب العالمين ﷺ ، وقد تقدم إيراد نص الحادثة من صحيح البخاري والكلام عليها بما لا مزيد عليه هنا ومنه يتبين أن ما جاء في رواية المستشرق بودلي فهو اختلاق وكذب وتحريف القصة عن وجهها وكأنها رواية عاطفية لا تمت للصحة والواقع بصلة مخالفاً الأدلة الصحيحة المتقدمة ، مسفراً عن عدائه وبغضه للإسلام والمسلمين ومن باب أولى أهل بيت النبي ﷺ وأم المؤمنين منهم وكل هذا يبرهن على عداء المستشرقين للإسلام وأهله.

وهناك مسألة أخرى نشأت عن موقف علي رضي الله عنه من عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك حيث استشاره الرسول ﷺ عن عائشة فقال: (يا رسول الله لم يُضيق الله عليك والنساء سواها كثير ، وسل الجارية تصدقك)[1].

فقال المستشرقون بعد ذلك أن عائشة رضي الله عنها ما زال في نفسها شيء على علي رضي الله عنه وهذه أقوالهم في ذلك :

يقول المستشرق فلهوزن[2] "إن عائشة تبغض عليًّا "[3].

ويقول المستشرق هنري ماسيه[4] :" الحقيقة أن الحقد هو الذي أثار عائشة ضد علي الذي كان أشار على النبي فى السابق بطلاقها"[5].

---

(١) متفق عليه وسبق تخريجه ص ١٦٦-١٦٩.

(٢) فلهوزن : مستشرق ألماني ، ولد عام ١٨٤٤م ، عمل أستاذاً في عدة جامعات وكانت له مؤلفات كثيرة في نقد التوراة ، ودراسة التاريخ الإسلامي ، توفي عام ١٩١٨م ، ومن مؤلفاته : أحزاب المعارضة السياسية في صدر الإسلام ، وبقايا الوثنية العربية ، والمدينة قبل الإسلام .

انظر : المستشرقون ٣٨٦/٢ وموسوعة المستشرقين ، ص ٤٠٩-٤١٠ ، والمستشرقون الألمان لصلاح المنجد ١٠٧/١-١١٣ . وهي عبارة عن دراسات شارك في جمعها صلاح المنجد ، دار الكتاب الجديد – بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

(٣) تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة العربية ، ص ٢ ليوس فلهوزن ، ترجمة : محمد عبد الهادي ، نشر لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ١٩٥٨م .

(٤) هنري ماسيه : مستشرق فرنسي متخصص في الفارسية ، عمل مديراً للمعهد الفرنسي في القاهرة وغيرها ، ومن مؤلفاته : الإسلام .

انظر : موسوعة المستشرقين ، ص ٥٣٦ ، وطبقات المستشرقين ، ص ١٩١ .

(٥) كتاب الإسلام ، ص ٦٤ لهنري ماسيه ، ترجمة : بهيج شعبان من منشورات عويدات – لبنان .

ويقول المستشرق بودلي :"لم تنس أبدا ، و لم تصفح عن موقف علي من حـــديث الإفك ، وكانت دائما غيوراً من نظرة محمد إليه كرجل"(١)

وتقول المستشرقة فالجيري(٢):" كانت تكن له منذ مدة طويلة العداوة"(٣).

وقول المستشرقين بان عائشة رضي الله عنها أنها كانت تعادي وتكره عليا رضي الله عنه قول باطل ،لم يستندوا فيه على دليل صحيح ، بل هذا مأخوذ من أقوال الرافضة (٤).

وقد تقدم تفنيد هذه الدعوى وهو باختصار :

أن عليا لم يتهم عائشة رضي الله عنها كما فعل بعض الصحابة مثل:حسان بن ثابـــت ، أو من المنافقين مثل :عبد الله بن أبي بن سلول ، وإنما الذي حـــدث أن الرســـول ﷺ استشاره في فراق أهله فأشار عليه بقوله: (يارسول الله ،لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير ، وسل الجارية تصدقك).

فعلي لما رأى إن ماقيل مشكوك فيه،أشار بترك الشك والريبة إلى اليقين ليـــتخلص رسول الله ﷺ من الهم والغم الذى لحقه من كلام الناس فأشار بحسم الداء)(٥).

يقول المستشرق غوستاف لوبون(٦) : "و لم يثبت تماما،وفاء زوجات محمد الكامـــل له، ويظهر أن محمدا لاقى من المكاره الزوجية ما يندر وجوده عند الشرقيين ويكثر

---

(١)كتاب الرسول حياة محمد ، ص ٣٤٦ لبودلي ترجمة محمد فرج وعبد الحميد جودة السحار ، مكتبة مصر .

(٢) فيكيا فالجيري : مستشرقة إيطالية ، ولدت عام ١٨٩٣م وقامت بدراسة اللغة العربية وآدابها في جامعة روما ثم قامت بتدريس اللغة العربية ولهجاتها في معهد بنابوري ، واصبحت مديرة للقسم الشرقي في ذلك المعهد . توفيت عام ١٩٨٩م ومن مؤلفاتها : الإسلام ، ومطالعات عربية ، ولها عدة منشورات في دائرة المعارف .

انظر : طبقات المستشرقين ، ص ١٦٧ .

(٣)موجز دائرة المعارف الإسلامية ٣٠٢٠٣/١٠ ، مادة (الجمل)

(٤) ينظر كتاب دفع الكذب المبين المفترى من الرافضة على أمهات المؤمنين ، لعبد القادر بن محمد عطا صوفي ، ص ١٧٢، نقلاً عن كتاب الجمل ، النصرة في حرب البصرة للمفيد ، ص ٢٢٩ ، وكتاب علم اليقين للكاشاني ٧١٩/٢ ، وكتاب السقيفة لسليم بن قيس ، ص ١٧٩ ، وكشف الغمة للإربلي ٣٤٢/١ .

(٥) كتاب زاد المعاد ٢٦٠/٣ .

(٦) غوستاف لوبون : مستشرق فرنسي ومؤرخ وطبيب ، عني بدراسة الحضارات الشرقية ، فمن كتبه : حضارة العرب، والحضارة المصرية .

انظر : قالوا عن الإسلام لعماد الدين خليل ، ص ٧٦ ، نشر : الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

وقوعه لدي الأوربيين، وكانت عائشة موضوع قلق له على الخصوص، وأصبحت ذات مرة موضع قالة سوء فشهد بعصمتها جبريل المحب للخير دائماً ، ودونت شهادته في هذه المسألة الحساسة في القرآن وحظر الشك"[1].

أما اميل درمنغم[2] فقد ساق حديث الإفك وهو يرقب ألفاظه عسى أن يجد فيها بغيته ليروي غليل حقده ، وبالطبع لم يتحقق له ما أراد فأخذ يصف حالة رسول الله ﷺ بعد أن سمع حديث الإفك وقبل نزول الوحي ..

يقول درمنغم :" ولم يدر النبي ماذا يصنع ، فكان متردداً بين الجزع والحب ، فلم يغب عن باله ظرف بنت أبي بكر الصغيرة وأنه لم يتزوج بكراً غيرها ، وأنه كان له، وهو كهل بصباها اللطيف فتنة وترويح لنفسه ، وأنه فكر فيها حتى في منامه قبل أن يخطبها فرأى جسمها الرشيق على قطعة في ديباج أتاه بها الملك ، وأنه سمح لها بأن تتسلى بلعبها ، وأنه كان يلعب معها ، وهو لم ينس ملاحتها وغيرتها وخفتها وأنه دخل عليها وعندها رجل قاعد فاشتد ذلك عليه فقالت : (يا رسول الله إنه أخي في الرضاعة) ، ذاكرة إذنه لحفصة باستقبال أقربائها من الرضاعة ، ما كانت الرضاعة تسفر عن مثل ما تسفر عنه القرابة الحقيقة من الحقوق والمحظورات"[3].

وأقوال هؤلاء المستشرقين ومن حذا حذوهم من المستغربين ظاهرة الفساد والبطلان، ونحن المسلمون لسنا بحاجة إلى إقامة الأدلة والبراهين على براءة عائشة رضي الله عنها فقد برأها الله تعالى من فوق سبع سموات وهذا ما نعتقده وندين به، ولكن لابد من فضح أمر المستشرقين وبيان كيدهم وأتباعهم من المنافقين فنقول وبالله التوفيق :

أولاً : من المعروف أن هؤلاء المستشرقين ليس لهم مصدر تاريخي يقفون منه على سيرة رسول الله ﷺ إلا ما عند المسلمين من المصادر ، ولكنهم حريصون على

---

(١) حضارة العرب ، ص ١١٢ لغوستاف لوبون ، ترجمة عادل زعيتر ، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ .

(٢) أميل درمنغم : مستشرق فرنسي ، عمل مديراً لمكتبة الجزائر ، ومن مؤلفاته : حياة محمد ، ومحمد والسنة الإسلامية . انظر : قالوا عن الإسلام لعماد الدين خليل ، ص ٦٠ .

(٣) حياة محمد لإيميل درمنغم ، ص ٣١١-٣١٢ ، ترجمة : محمد عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية .

الطعن ما وجدوا إلى ذلك سبيلا ، فإذا وجدوا حادثة أو واقعة تصح – في نظرهم – أن يجدوا فيها مطعناً انتزعوه منها انتزاعاً وحملوا النصوص ما لا تحتمل ، وإذا وجدوا نصاً ضعيفاً أو موضوعاً جعلوه في الصدارة بين الأدلة وبنوا عليه رأيهم فإن لم يجدوا نصاً ولو كاذباً في مسألة يرمون منها مطعناً اختلقوا كلاماً من عند أنفسهم وجعلوه أصلاً يعوّل عليه !!

وقد اجتمعت لهم هذه الوسائل في حادثة الإفك !! فتصويرهم لها يدور بين التحريف والكذب ، فهذا أحدهم – وهو لوبون – يقول عن عائشة – كما سبق:" فشهد بعصمتها جبريل المحب للخير دائماً ودونت شهادته في القرآن !! فالآيات التي نزلت في براءة عائشة لا تعدوا عنده أن تكون شهادة أدلى بها جبريل من عند نفسه لحسم الخلاف ، والذي دفع جبريل عليه السلام لهذه الشهادة – في تقدير لوبون – هو حبه للخير دائماً !! ولا يخفى ما في كلامه من كذب واضح وحقد فاضح .

وأما الآخر – درمنغم – فهو يقول عن سيد البشر ورسول رب العالمين صلوات الله وسلامه عليه أنه كان مفتوناً بعائشة وصباها اللطيف وما كان رسول الله لتشغله هذه الدنيا بما فيها ومن فيها عن تبليغ رسالة ربه والقيام بواجب الدعوة إليه ، ثم إن درمنغم يرى – ظلماً وزوراً – أن رسول الله ﷺ كان يفكر في عائشة حتى في منامه قبل أن يخطبها !! وهذا قول يدل على وقاحة قائله وسوء خلقه فإن رؤيا الأنبياء صورة من صور الوحي الإلهي بنص القرآن والسنة وإجماع المسلمين .

عن عمرو قال : أخبرني كريب عن ابن عباس قال : بت عند خالتي ميمونة ليلة فقام النبي ﷺ من الليل فلما كان في بعض الليل قام النبي ﷺ فتوضأ من شنٍّ معلق وضوءاً خفيفاً ... الحديث . وفي آخر الحديث قال عمرو : سمعت عبيد بن عمير يقول رؤيا الأنبياء وحي ، ثم قرأ ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ﴾ (1) [سورة الصفات : ١٠٢].

---

(١) الحديث رواه البخاري صحيح البخاري مع الفتح – كتاب الوضوء – باب التخفيف في الوضوء ٢٨٧/١، ٢٨٨ ، حديث رقم (١٣٨) .

ثانياً : لو نظر المستشرقون ومن قال بقولهم بعين الإنصاف إلى بيت عائشة قبل زواجها وإلى البيت الذي انتقلت إليه بالزواج لوجدوا دلائل براءتها تفوق الحصر ، ولكن الله أصمهم وأعمى أبصارهم فعائشة رضي الله عنها لو لم يبرئها القرآن لكان كل شيء حولها يدل على براءتها " إن الذي رمى السيدة الطاهرة بما رماها به يهودي منافق من أعداء رسول الله ﷺ حرض أعداءه ودس عليه، وكان الحقد الدفين هو الذي يحول بينه وبين الإسلام وهو لم يقم دليلاً على تهمته أم المؤمنين رضي الله عنها لها دين يعصمها وأخلاق تعصمها ، وهي زوج النبي إمام المؤمنين ثم هي بنت أبي بكر الذي لم يرتكب هذه الفاحشة حين كان الناس في بلده يفعلونها ، وبيته كله معروف بالطهارة والنقاء ... إنها مسلمة نشأت في بيت مسلم بين أبوين مسلمين ، وهي بنت رجل يتأثم من الصغائر الدنيا الطفيفة وينفر من كل حرام مهما صغر فكيف يقبل على نفسه أن يتدنس بهذه الفاحشة الكبرى .

وهي بعد هذا زوج رسول الله ﷺ تبيت وتصبح في بيت النبوة ، وبوصفها أم المؤمنين لها هيبتها وكرامتها ، ثم لزوجها لديها كرامة ، عنه أخذت تعاليم الدين وأخذت الورع والتقوى والعفة ، ومنه اكتسبت مكانتها واحترامها وهي رضي الله عنها لم تكن تفرط ولا في صغيرة من تعاليم الإسلام ، ولو لم يمنعها الإسلام لمنعتها كرامتها وعراقة أصلها ونبل محتدها .

ثم صفوان الذي لم يتهم في بغي ولا ساقطة من جاهليته فكيف يتهم مع أشرف النساء وأعرقهن نسباً في إسلامه !؟ إنه كما ثبت في تاريخه قوام الليل مجاهد في سبيل الله فهل مثل هذا يقدم على مثل هذه المعصية"[1]؟!

ثالثاً : ماذا يقول هؤلاء الحاقدون في أقرانهم من المستشرقين الذين أذعنوا للحق في هذه الحادثة على الرغم من وجود الكذب والتحريف في كتبهم ؟ أيتهم بعضهم بعضاً بالكذب ؟ إن فعلوا ذلك فقد شهدوا على أنفسهم ، وإن لم يفعلوا كان ذلك آية من الآيات فإن الله ﷻ يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .

---

(١) رد مفتريات على الإسلام لعبد الجليل شلبي ، ص ٥٤-٥٦ بتصرف ، دار القلم – الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ .

يقول السير وليم موير[1] تعليقاً عل حادث الإفك ما ترجمته : " إن حياة عائشة قبل هذا الحديث وبعده تدعونا إلى القطع ببراءتها وعدم التردد في إدحاض أية شبهة أثيرت حولها "[2].

وساق واشنجتون أرفنج حادثة الإفك فكان مما قاله :" وأراد ابن أبي الانتقام وأتيحت له فرصة حادثة الإفك الذي اتهمت به عائشة ... ويذكر القصة على لسان عائشة ويعقب عليها بقوله : هذه القصة التي روتها عائشة وأيدها صفوان بن المعطل قد اقتنع بها أبوها وأقاربها وأصدقاؤها المقربون ثم يذكر نزول الوحي بالبراءة ويعقب على ذلك بقوله : وهكذا أكد الوحي براءة عائشة وعاد الوئام بينها وبين الرسول ﷺ ، واتضح كذب ما ردده عبد الله بن أبي والمنافقون"[3].

وخلاصة القول أنه قد ثبت لنا بالنصوص والدلائل والقرائن ما يلي :

١- نزول القرآن ببراءة عائشة فقد برأها الله في آيات تتلى إلى يوم القيامة وتبرئة القرآن لا تقف أمامها تهمة باطلة أو افتراء كاذب فالله جل وعلا هو الحق وقوله الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟!

٢- أقوال المنصفين من المستشرقين الذين نقلوا الحادثة على وجهها الصحيح وأذعنوا للنقل الصحيح الذي يحمل البراءة الصريحة قبل التهمة وبعدها .

٣- طهارة البيت الذي نشأت فيه عائشة والبيت الذي انتقلت إليه بالزواج والرجل الذي رميت به ، ومن كان هذا شأنه فبراءته غنية عن الدليل غير مفتقرة إلى البرهان لا يقوى على النيل منها كاذب أو منافق .

٤- التحريف والكذب صفتان لازمتان للمستشرقين عند الحديث عن الرسالة والرسول وصحابته الكرام وأمهات المؤمنين ، ومن كان هذا شأنه فقوله مردود وشهادته باطلة ورأيه ساقط لا تثبت له تهمة ولا تقوم به حجة .

---

(١) السير ويليم موير "ميور" : مستشرق اسكتلندي ، كان رئيساً لجامعة أدنبرة ، من مؤلفاته : حياة محمد ، التاريخ الإسلامي .

انظر : المستشرقون لنجيب العقيقي ١٢٠/٢ .

(٢) حياة محمد لمحمد حسين هيكل ، ص ٣٦٢ ، دون ذكر لاسم الناشر والطبعة والعام.

(٣) حياة محمد لواشنجتون أرفنج ، ص ١٨٣ .

رضي الله عن أم المؤمنين وأرضاها جزاء ما خلفت للمسلمين من علم نافع غزير ... وقدوة طيبة صالحة ...

الوقفة الثانية : جعلوا عائشة هي التي أثارت فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه :

وفي ذلك يقول المستشرق بودلي :" فلم تدع عائشة شاردة من سياسته المذبذبة إلا أحصتها وعرضتها على كبار الصحابة ، ولم تدع سانحة تثير الاستياء المتزايـدة إلا اهتبلتها .

إن قصة تقلبات عثمان وبغيه ودسائس عائشة طويلة جداً ، فلـن نقـص نبأهـا وسارت الأمور حتى وجد المسلمون أنفسهم يحقدون على مسلك عثمان فطلبـوا خلعه فرفض عثمان ذلك فثارت ثائرة الناس ، وفي زمن قصير وجد الخليفة نفـسه محاصراً في داره فانقلب الجو من جو التماس إلى جو وعيد ! انزعج عثمان فبعـث رسالة إلى عائشة يطلب منها التدخل في الصلح ، فردت عائشة بأنها آسفة لما حدث ولكنها مشغولة ، فإنها تتأهب للحج وقبل أن يتمكن عثمان من أن يكتب لها ثانية خرجت فعلاً للحج وقبل أن تبتعد كثيراً بلغها أن الأمور أصبحت في أيدي أهـل المدينة وأنهم قد قتلوا خليفتهم"(١).

ويقول المستشرق بروكلمان :" وجد عثمان نفسه في المدينة وليس حوله إلا نفـراً من الأصدقاء وخاصة بعد أن وقفت عائشة أم المؤمنين أرملة الرسول الشابة المحبـة للفتنة في جانب خصومه"(٢).

وقراءة هذا النص تكفي عن نقده لما اشتمل عليه من أباطيل وتزوير للحقائق الثابتة في تاريخ الصحابة رضي الله عنهم وصلة بعضهم ببعض ، وقد تقدم الكلام عن هذه الـدعوة لأنه ترديد لقول الرافضة ولكن بأسلوب آخر .

وبهذا يتبين أن أكثر المستشرقين لم يلزم الحياد عند كلامه عن فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، وإنما ترك العنان لخياله وهواه ، وترك ما كان يدعيه كـثير مـن المستـشرقين في دراساتهم لتراث المسلمين وتاريخهم من الأمانة والتجرد والموضوعية.

---

(١) الرسول حياة محمد ، ص ٣٤٥-٣٤٦ .

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٣٦-٣٧ .

الوقفة الثالثة : رأيهم في موقف عائشة من البيعة بالخلافة لعلي رضي الله عنهما :

المستشرق بودلي – غير المنصف – له رأيه في بيعة الصحابة لعلي رضي الله عنه بالخلافة فيقول : " هناك أربعة طلاب للخلافة هم : علي بن محمد المتبني ، وابن عمه ، وزوج ابنته ، ثم الزبير وطلحة قريبا عائشة ، وكانت سندهما وأخيراً معاوية.

كان معاوية بن أبي سفيان من هند وكان شيخ الأمويين وحاكم سورية في هذه الآونة أنجز على عمله سريعاً فقبل أن يفكر أحد في الخلافة عرض نفسه فكانت هناك معارضة طفيفة ، فمعاوية في دمشق لا يدري ما يجري في المدينة ، وفر الزبير ولطلحة مؤقتاً إلى عائشة التي كانت ترقب الحوادث من مكة ، وكان البارزون الآخرون مشغولين بمقتل عثمان فما كان عندهم الوقت ليفكروا ، فتمكن علي من أن يفرض ترشيحه ، ففي ١٨ يوليه سنة ٦٥٦م وفي السنة الخامسة والثلاثين من الهجرة نصب الخليفة الرابع للإسلام"(١).

فالمستشرق بودلي في هذا النص يحاول خلط الأحداث التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، وأن منصب الخلافة أصبح محل تنافس بين الصحابة رضي الله عنهم حتى يصلوا إلى هذا المنصب.

وقول المستشرق بودلي من تزوير تاريخ وسير الصحابة رضي الله عنهم وقد يكون أخذها من الروايات الباطلة والمنكرة التي رواها أبو مخنف والواقدي وغيرهما . إلا إنه زاد في ذلك زيادات تفرد بها ، مثل قوله :" هناك أربعة طلاب للخلافة "، وقوله :" أنجز علي عمله سريعاً ، فقبل أن يفكر أحد في الخلافة عرض نفسه " ، وقوله :" وكان البارزون مشغولين بمقتل عثمان ، فما كان عندهم الوقت ليفكروا فتمكن علي من أن يفرض ترشيحه ".

فلم يكن أحد الأربعة الذين عينهم قد طالب بأن يولي الخلافة ، حتى علي رضي الله عنه قد أبى الخلافة حتى ألح عليه الصحابة رضي الله عنهم ، ولم يعلم عن واحد من البقية أنه قال بايعوني بالخلافة . قد يكون هناك خلاف بينهم في التعجيل أو تأجيل الاقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه إلا أنهم لم يختلفوا في وجوب الاقتصاص من قتلته رضي الله عنه.

---

(١) الرسول حياة محمد لبودلي ، ص ٣٤٦ .

وبيعة علي ﷺ بالخلافة كانت بمشهد من الصحابة ﷺ من المهاجرين والأنــصار ، ومنهم طلحة والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وابن عمر وابن عباس وغيرهم رضي الله عن الجميع .

وبما سبق من أقوال المستشرقين عن بيعة الصحابة ﷺ لعلي ﷺ بالخلافة فقد نقلوا ذلك عن كتب التاريخ وأبرزها تاريخ الطبري ، فهو عمدتهم ومصدرهم في الحكم على كثير من الصحابة ﷺ ، مع ما أضافوه من نسج أفكارهم ونزعات أهــوائهم التي لم يستطع أكثر المستشرقين (وخاصة غير المنصفين) سترها والتظاهر بالأمانة والتجرد والموضوعية .

ويقول المستشرق سيديو[١] عن موقف عائشة وبعض الصحابة ﷺ من خلافة علي ﷺ :" جمع زوج فاطمة في شخصه حقوق الوراثة وحقوق الانتخاب ووجب على كل واحد أن ينحني أمام صاحب هذا المجد العظيم الخالص وما كان هذا ليحدث ؟ فلما رفض علي أن يولي صاحبي معاوية وطلحة والزبير الكوفة والبــصرة انقلبــت صداقة هذين الصاحبين إلى حقد شديد ، وبدت أرملة محمد عائشة بنت أبي بكــر روح كل مكيدة ويهرع إلى السلاح"[٢].

قوله : " وبدت أرملة محمد عائشة بنت أبي بكر روح كل مكيــدة ويهــرع إلى السلاح".

وهذا قول باطل فعائشة ﷺ لم تخرج على علي ﷺ في خلافته و لم تدبر له المكائد و لم تعمل على حربه .

وقول هذا المستشرق إنما هو سلسلة من بغض وحقد المستشرقين على عائــشة ﷺ الصديقة بنت الصديق وزوج رسول الله ﷺ ومن أحب نسائه إليه ، لذلك ســعى هؤلاء الأعداء للنيل من الرسول ﷺ بتشويه سيرة زوجه عائشة ﷺ ، ومحاولة منهم

---

(١) سيديو : مستشرق فرنسي ، ولد عام ١٨٠٨م أخذ اللغات الشرقية والرياضيات والفلك عند العرب عن أبيه ، ومن مؤلفاته : قام بمتابعة طبع كتب أبيه في الفلك والرياضيات عند العرب ، وقام بدراسة رسالة للحسن بن الهيثم ، وله كتاب تاريخ العرب .

انظر : موسوعة المستشرقين ، ص ٣٤٥ ، وطبقات المستشرقين ، ص ٥٣-٥٤ .

(٢) تاريخ العرب العام لسيديو ، ص ١٢٧ ، نقل إلى العربية عادل زعيتر ، طبعة دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٧هـ .

لإدخالها في جميع عهود الخلفاء الراشدين الأربعة ، حيث يظهرونها بصورة الماكرة والحقود التي تدير المؤامرات والخطط للقضاء على خلافة عثمان وعلي ﷺ وهي برئية من ذلك كله .

وخروجها مع طلحة والزبير إلى البصرة إنما لإصلاح ذات البين وحتى يتمكن من قتلة عثمان ﷺ [1]، ولكن بعض المفسدين من الثوار وغيرهم فعلوا على إثارة العداوة بين الجيشين جيش علي وجيش طلحة والزبير فأدى إلى التقاتل بينهم وخروج الأمر من أيدي الصحابة ﷺ فكانت الفتنة الثانية بعد مقتل عثمان ﷺ ، وكانت موقعة الجمل ، والتي ذهب ضحيتها طلحة والزبير ﷺ وقد تقدم الكلام عن هذا مفصلاً .

الوقفة الرابعة : جعلوا عائشة هي السبب في وقعة الجمل وأنها خرجت للقتال لا للإصلاح :

الفتنة التي حصلت والمسماة بوقعة الجمل ، هي الفتنة الثانية وقد جرت بين الصحابة ﷺ بخلاف الفتنة الأولى وهي مقتل عثمان ﷺ ، فلم تكن بين الصحابة ﷺ وإنما كانت من جهة الثوار والناقمين على عثمان ﷺ ، ولم يرد ﷺ أن يعمل على إثارتها وإهراق الدماء وإنما منع من ذلك كله وقتل شهيداً ﷺ مغلباً مصلحة المسلمين على مصلحته وفُتح بتلك الفتنة فتن أُخر ، ولم يُنقل ذلك الحدث نقلا أمينا سالما من الهوى.

ومنها ما جرى بين الصحابة ﷺ في وقعة الجمل .

ولا يظن بالصحابة ﷺ أنهم أرادوا التنازع والتقاتل وإنما جرى ذلك بسبب الناقمين على عثمان ﷺ والإفساد في الأرض .

وقد فُسِّر خروج الصحابة ﷺ إلى البصرة بتفسيرات لو صحت لكانت طعناً وقدحاً في عدالة الصحابة ﷺ ، لهذا اجتمع المستشرقون على الأخذ بهذه الروايات التاريخية لهوى عند البعض وجهلاً وتقليداً للرافضة عند البعض الآخر.

وهذه أهم أقوال المستشرقين فيما جرى بين الصحابة ﷺ في وقعة الجمل:

---

(١) ينظر : تاريخ خليفة بن خياط لأبي عمر خليفة بن خياط العصفري ، تحقيق : مصطفى نجيب فواز وحكمة كشلي فواز ، طبعة دار الكتب العلمية – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ . ، ص ١٠٩ ، وتاريخ الطبري ١٤/٣ .

يقول المستشرق فلهوزن عن وقعة الجمل أسبابها ونتائجها : " ونادت[1] إلى الأخذ بالثأر له من الخليفة الجديد ، وقد التف حولها عدد من الهرّاب الذين تساقطوا إلى مكة وانضم إليهم طلحة والزبير واستترا وراءها وكانوا ثلاثتهم رؤساء وقواد الثورة على علي في جزيرة العرب .

ولكنهم لم يستطيعوا أن يبدءوا محاربته من مكة لأنه كان في المدينة وكانت المدينة أكثر عدداً من مكة بكثير فقرروا أن يخرجوا من جزيرة العرب ، وأن يقصدوا البصرة ، وكان لهم بها صنائع ولأهلها هوى في طلحة فاستطاعوا أن يستولوا على البصرة وأن يستقروا فيها .

وإزاء ذلك رأى علي أيضاً أنه لا يستطيع البقاء في المدينة ، فاتبعهم وقصد الكوفة أولاً وخرج علي في أهل الكوفة وهاجم أهل البصرة فانتصر عليهم على مقربة من مدينتهم في موقعة الجمل"[2].

فالمستشرق في هذا النص يلخص ما جرى بين الصحابة ﷺ في موقعة الجمل كما جاء ذلك في تاريخ الطبري[3] مع تصرفه ، فتاريخ وأحداث موقعة الجمل من أولها إلى آخرها دخلها الزيادة والنقصان ، وتصوير للأمر على غير حقيقته ، وتحويراً لهذا الحدث ليخدم مصالح جماعات من أهل الأهواء والبدع والذي كان لهم يد على مقتل عثمان ، ومحاولة لعرقلة القصاص من أهل الفتنة .

وما جاء في تاريخ الطبري وغيره عن موقعة الجمل عن رواة ترك العلماء الأخذ عنهم من أمثال أبي مخنف[4]وذلك لما نسب إليه من الكذب والتشيع ، أو الضعف فتركوا الأخذ عنه. وقد بلغت نسبة روايات أبي مخنف أكثر من عشر روايات.

---

(١) يقصد عائشة ﵄ .

(٢) تاريخ الدولة العربية ، ص ٥٢-٥٣ .

(٣) ينظر : تاريخ الطبري ٣/٤-٥٩ .

(٤) ينظر : كتاب استشهاد عثمان ووقعة الجمل لخالد بن محمد الغيث ، ص ١٤٥-٢٢١ ، دار الأندلس الخضراء – جدة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ .

وقد صور خروج الصحابة طلحة والزبير وعائشة ﷺ أنه للمطالبة بثأر عثمان ﷺ ، وأن بيعة طلحة والزبير كانوا مكرهين عليها وكل ذلك باطل ، وقد تقدم .

وعائشة ﷺ ومن معها ما خرجوا إلا للإصلاح بين الناس ، خاصة بعد فتنة مقتل عثمان ﷺ ، ويدل على ذلك ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن قيس بن أبي حازم قال : (لما أقبلت عائشة بلغت ماء بني عامر ليلاً نبحت الكلاب ، قال : أي ماء هذا ؟ قالوا : ماء الحوأب ، قالت : ما أراني إلا راجعة فقال بعض من كان معها : بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ﷻ ذات بينهم . قالت إن رسول الله ﷺ قال لها ذات يوم : كيف بأحدكم تنبح عليها كلاب الحوأب)[1].

هذا الحديث أصح ما جاء في سبب خروج عائشة وطلحة والزبير ﷺ ، وأنه كان للإصلاح بين الناس[2] والتأليف بينهم بعد أحداث فتنة مقتل عثمان ﷺ وهذا اجتهاد منهم ﷺ .

أما المستشرق بليائيف[3] فيقول عن وقعة الجمل وما جرى فيها : " وبويع علي بن أبي طالب ابن عم الرسول زوج ابنته فاطمة بالخلافة ، ولكن فئة من الصحابة التي كانت قد أثْرت واحتلت مكانة اجتماعية بارزة راحت تعارض مبايعة علي بالخلافة ومن البديهي أن تضم جماعة المعارضين أقرباء الخليفة القتيل وعلى رأسهم طلحة والزبير تؤيدهما عائشة أرملة الرسول .

لم يكن بالأمر العسير على علي أن يقضي على هذه المعارضة ، ذلك لأن زعماء الفتنة تلك لم يلقوا تجاوباً كبيراً لدى عامة الشعب ، أضف إلى هذا أن جيشهم لم

---

(١) رواه الإمام أحمد والحاكم وابن حبان وتقدم تخريجه ص ٤١٣-٤١٤ .

(٢) ينظر : كتاب استشهاد عثمان ووقعة الجمل ، ص ١٦٦ .

(٣) بليائيف : مستشرق روسي ولد عام ١٨٩٥م ، متخصص في تاريخ الإسلام ، وقد عمل رئيساً لفرع تاريخ الشرق الأدنى والأوسط في معهد موسكو للدراسات الشرقية ، توفي عام ١٩٦٤م ، ومن مؤلفاته : الفرق الإسلامية ، والعرب والإسلام والخلافة العربية في العصر الأوسط ، والحضارة العربية ، وفصول في تاريخ الخلافة.

انظر : موسوعة المستشرقين ، ص ١٣٢ ، والمستشرقون ٩٩/٣ .

يكن يستطيع الوقوف على وجه القوات التي حشدها علي بالخريبة قرب البـــصرة وفيها قتل طلحة والزبير وهزمت قوات طلحة والزبير في معركة الجمل"(١).

فالمستشرق في هذا النص يلخص أيضاً أحداث وقعة الجمل ، ويُرد عليها بما سبق في الرد على المستشرق فلهوزن ، ومع ذلك يلاحظ على نص المستشرق بليائيف أنـــه يحاول فرض تفسيرات مادية لكل ما حصل في وقعة الجمل ، وذلك لأخذه بالمنهج المادي في كتاباته عن الصحابة ﷺ مثل قوله : " بويع على بن أبي طالب بالخلافـــة ولكن فئة من الصحابة التي كانت قد أثْرت واحتلت مكانة اجتماعية بارزة راحت تعارض مبايعة علي بالخلافة ".

وقوله :" أضف إلى هذا أن جيشهم لم يكن ليستطيع الوقوف على وجه القوات التي حشدها علي ".

ومن تحريفاته :

- أنه جعل سبب خروج طلحة والزبير وعائشة ﷺ كان لمعارضتهم لبيعة علي ﷺ بالخلافة . وهذا القول تفرد به لم ينقله حتى الرواة الكذابون والضعفاء ، وإنما الذي ذكره وهو غير صحيح أن خـــروج الـــصحابة للبصرة للمطالبة بدم عثمان ﷺ والصحيح كما تقدم للإصلاح بـــين الناس .
- تسميته للصحابة ﷺ الذين خرجوا إلى البصرة بـــ " زعمـــاء الفتنـــة " وهذا ظاهر البطلان ، فالصحابة ﷺ ما خرجوا إلا احتساباً للأجـــر في الإصلاح بين الناس .

وهذا يدل على بعد المستشرق عن الدقة والإنصاف في نقل ما جرى بـــين الصحابة ﷺ في موقعة الجمل .

(١) العرب والإسلام والخلافة العربية لبليائيف ، ص ١٩٨ ، ترجمة : أنيس فريحة ، الدار المتحدة للنشر – بيروت .

وأما المستشرقة بوجينا ستشيجفسكا فتقول عن وقعة الجمل :" إن طلحة والزبير لما بايعا مكرهين تمكنا من الهرب إلى مكة وكانت بها عائشة قادمة للحج فأخبراها بقتل عثمان ، فاتفق الثلاثة على أن يسيروا إلى البصرة ويدعوا أهلها لنصرتهم على المطالبة بدم عثمان ، فلما اجتمعوا بأهل البصرة وعلم بهم علي وكان يريد المسير إلى الشام لقتال معاوية ، رأى أن يبدأ بهم أولاً ، وحصل بين الفريقين مراسلات وسفارات وكادت تؤدي إلى الصلح لولا أن قام بعض الصحابة وأتباع ابن سبأ بالغدر والخيانة فهجموا ليلاً على جنود طلحة والزبير وفوجئ الفريقان وحصلت موقعة الجمل التي قتل فيها ١٠٠ رجل وانتصر علي وأرسل عائشة إلى المدينة مكرمة وشيعها بنفسه مسافة وأرسل معها بنيه "(١).

والمستشرقة في هذا النص تنقل بعض الروايات التاريخية كما هي عند ابن جرير الطبري . وسبق أن بينا ضعف هذه الروايات وعدم صحتها ولما فيها من القدح في الصحابة ﷺ والطعن في عدالتهم .

والمستشرقة عندها إنصاف إلا أنها في بعض الأمور تنقل دون تحري لحقيقة الأحداث وصدق الروايات التاريخية أو تحريفها .

وهناك نصوص أخرى لكثير من المستشرقين عن موقعة الجمل إلا أنها تشترك في النقل عن تاريخ الطبري ، أو نقل بعضهم عن البعض الآخر لهذا اكتفي بما سبق منعاً عن الإطالة(٢).

وبهذا يتضح لنا تأثر المستشرقين بالفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة .

---

(١) تاريخ التشريع الإسلامي لبوجينا ، ص ٩٠ ، دار الآفاق الجديدة – بيروت .

(٢) انظر : موجز دائرة المعارف الإسلامية ٧٤١٨/٢٤ /، مادة (علي بن أبي طالب) . و ٣٢٠٢/١٠ مادة (الجمل). و٧٠٤٠/٢٢ مادة (عائشة) . و ٦٨٩٩/٢٢ مادة (طلحة) وكتاب الرسول حياة محمد لبودلي ، ص ٣٤٦ .

وأختم هذا الفصل ببيان أثر الدراسات الاستشراقية في علم الفرق:

الغرب عموماً بأجنحة مكره الثلاث الاستعمار والاستشراق والتبشير حاول تفتيت الأمة الإسلامية واستخدم فيما يتعلق بالفرق الإسلامية طريقتين :

الطريقة الأولى : تأسيس فرق بدعية جديدة تنتسب للإسلام في الظاهر إلا أنها تعمل لصالح الغرب والاستعمار وتخدم أهدافه ومصالحه ، ومن تلك الفرق البابية والبهائية وفرقة القاديانية التي أسسها الاستعمار وغرس بذرتها في الهند تحت ظل الاستعمار الإنجليزي يقول أبو الحسن الندوي رحمه الله : " ... وقد تحقق علمياً وتاريخياً أن القاديانية وليدة السياسة الإنجليزية"(1).

ومن أصول تلك الفرق الهدامة وبمبادئها العامة الدعوة إلى إلغاء الجهاد في سبيل الله تعالى وإلغاء عقيدة الولاء والبراء في الإسلام ، والدعوة إلى المؤاخاة بين الأديان ، وهذه الأصول في حقيقة الأمر لا تخدم إلا الاستعمار(2).

والطريقة الثانية : بعث الحركات الهدامة والطوائف الضالة وتضخيم أعمالها ومنها الأغاخانية والنصيرية وغيرها : " فقد استطاعت الباطنية بواسطة المستشرقين أن تبعث عقائدها وتنشر كتبها ، ففي شبه القارة الهندية تبنت بريطانيا : الإسماعيلية الأغاخانية وأحيت تراثها وأشهرت رموزها وأخيراً سلمتها رئاسة باكستان المسلمة بزعامة محمد علي جناح الأغاخاني ، وفي إيران قوية شوكة الرافضة حتى أقيمت لهم دولة لتتكفل بحماية الباطنية في المنطقة وفي اليمن نشطت الإسماعيلية والقرمطية ... وعلى أيدي الفرنسيين بعثت في سورية النصيرية الباطنية ... وسميت باسم العلوية واصطنعتهم فرنسا فمكنتهم من دخول الجيش واحتلال قيادته العليا ، ثم استطاعوا أخيراً أن يتحكموا في الأكثرية المسلمة في سورية .

وهذا غير الطوائف التي أحدثها الاستعمار لهدم العقيدة الإسلامية كالبابية والبهائية والقاديانية التي تتضح عمالتها بمرور الأيام ..."(3).

---

(1) الفكر الإسلامي الحديث لمحمد البهي ، ص ٤٠ ، مكتبة وهبة – القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ .

(2) المصدر السابق ، ص ٣٨-٤٢ .

(3) موقف أصحاب الهواء والفرق من السنة النبوية ورواتها لمحمد مطر الزهراني ، ص ٦٢-٦٣ .

الباب الثامن

حكم الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول

حكم الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بغير القذف.

الفصل الثاني

حكم الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالقذف.

الفصل الثالث

لوازم الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

الفصل الأول

حكم الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بغير القذف.

الفصل الأول

حكم الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بغير القذف.

لا خلاف بين الفقهاء في أن سب عائشة رضي الله عنها مما برأها الله تعالى منه كفر ، لأن الساب قد كذّب الله تعالى في أنها محصنة ، وسيأتي زيادة بيان في الفصل الثاني من هذا الباب .

أما إن كان السب والطعن بغير القذف وهو المقصود بيانه في هذا الفصل وعليه :

أولاً : بيان معنى السب والطعن ومفهومه :

قال الراغب الأصفهاني " السب " : الشتم الوجيع قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٨] . وسبهم لله ليس على أنهم يسبونه صريحاً ، ولكنهم يخوضون في ذكر بما تنزه تعالى عنه [١] .

ويقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : " السب هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف ، وهو ما يفهم منه السب في عقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم، كاللعن والتقبيح ونحوه ، وهو الذي دل عليه قول الله تعالى ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ... الآية ﴾ [٢] ، ويذكر ابن تيمية رحمه الله أن حد السب وضابطه هو العرف فيقول: "... فما عدّه أهل العرف سباً وانتقاصاً ، أو عيباً ، أو طعناً ونحو ذلك فهو من السب" [٣].

ويقول الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى :" الشتم هو الوصف بما يقتضي النقص" [٤]، فالسب هو الشتم وكل كلام قبيح يوجب الإهانة وهذا السب الذي مرّ معناه قد يكون قذفاً وقد لا يكون قذفاً وفي هذا الفصل بيان ما إذا لم يكن قذفاً .

---

(١) المفردات : للراغب الأصفهاني ، ص٢٢٠ .

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣/ ١٠٤١ ، تحقيق : محمد عبد الله الحلواني ومحمد كبير شودري ، دار رمادي للنشر ، الدمام – السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

(٣) المرجع السابق ٣/ ٩٩٣ .

(٤) فتح الباري ، لابن حجر ٦/٢٩١.

تعريف الطعن

(ط ع ن) : طعنه بالرمح ، وطَعَنَ في السن كلاهما من باب نصر وطعن فيه أي قدح وقال ابن فارس (طعن أصل صحيح مطرد ، وهو النخس في الشيء بما ينفذه ثم يحمل عليه ، ويستعار من ذلك الطعن في الرمح ورجل طعّان في أعراض الناس ، وقال بعضهم : طعن بالرمح يطعن بالضم وطعن بالقول يطعن فتحاً)[1] ، إذاً لكلمة (طعن) معنيان ، حسي ، ومعنوي فالحسي بمعنى الضرب بآلة حادة كالخنجر ، وهو المتعدي للمفعول (طعنه) ، والمضارع منه مضموم العين (يطعُن) وبعضهم يفتحه ، والمعنوي بمعنى القدح في شيء ، سواء كان نسباً أو كتاباً أو شخصاً أو غير ذلك ، وهذا اللازم (طعن فيه) والمضارع من مفتوح العين (يطعن).

ثانياً : حكم الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بغير القذف:

- حاشاها رضي الله عنها فهي الحصان الرزان .
- حكمه : حرام بنص الكتاب العزيز وقد يصل إلى الكفر وهو ما عليه أهل السنة والجماعة وعامة المسلمين ، وقد جاءت الآيات بتحريم سبهم في غير ما آية ، وهذه الآيات وإن كانت عامة في الصحابة فهي من الصحابيات بل هي من خيرهم وأعلمهم وأفضلهم :

١- قال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[سورة التوبة : ١٠٠] ، ووجه الدلالة : أن الله رضي عنهم فيحرم السخط عليهم وسبهم ويجب حبهم والترضي عنهم وخاصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها وسائر الصحابة .

٢- وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٥٧] ، ووجه الدلالة : أن

---

(١) ينظر مختار الصحاح ١/ ١٦٥ ومعجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ٣/ ٤١٢ بتصرف ولسان العرب ١٣/ ٢٦٥- ٢٦٦ .

هذه الآية تضمنت التهديد والوعيد بالطرد والإبعاد عن رحمة الله والعذاب المهين لمن آذاه ، وسب أم المؤمنين فيه إيذاء لرسول الله ﷺ.(١)

٣- وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٥٨]، وهذه الآية فيها التحذير والتهديد من إيذاء المؤمنين والمؤمنات بما ينسب إليهم وهم براء منه لم يعملوه .

٤- وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة الحجرات: ١٢].

وجه الدلالة : وهذه الآية فيها توجيه عام للمسلمين لبيان تحريم الغيبة وبيان بشاعتها وحرمتها .

٥- وقال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [سورة الهمزة : ١] .

وجه الدلالة : جاء عن ابن عباس في تفسير هذه الآية : (ويل لكل طعّان مغتاب)(٢)، فهؤلاء الرافضة هم الهمازون اللمازون ، والنصوص في ذلك كثيرة ومتواترة ، بل وهناك آيات بعينها نزلت في تبرئة أم المؤمنين وتحريم ومنع وترهيب أي احد يتكلم عنها بعد ذلك فقد روي مرسلاً عن سعيد بن جبير قال : (نزلت ثمانية عشر آية متوالية كذبت من قذف عائشة إن الذين جاءوا بالإفك عصبة إلى قوله رزق كريم) (٣) ، وهذا إن كان في القذف ولكن نزلت براءة ساحتها من كل شيء فهي حبيبة رسول الله ﷺ فلا يحل ولا يباح الإساءة إليها بحال أبداً .

ولا أطيل هنا (يعني) في فضل عائشة رضي الله عنها وتحريم سبها فقد تقدم في أول البحث بيان فضلها ومنزلتها رضي الله عنها .

---

(١) ينظر تفسير ابن كثير ٥/٥١٤وتفسير السعدي ٦/ ١٢١ .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ٣٠/٢٩٢ .

(٣) عزاه ابن حجر في الفتح ٨/٤٧٧ إلى ابن أبي حاتم والحاكم في الإكليل و لم أقف عليه بعد بحث .

ومن السنة :

- عموم النصوص الواردة في النهي والزجر وتحريم سب الصحابة أو بعضهم أو الإساءة إليهم .
- وهناك نصوص خاصة بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فمن هذه النصوص الخاصة التي بينت فضلها وتحريم أذيتها :

١- فعن هشام بن عروة عن أبيه قال : كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، فقالت عائشة فاجتمع صواحبي إلى أم سلمه فقلت : يا أم سلمه والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وإنا نريد الخير كما تريده عائشة ، فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان ، أو حيث ما أراد : قالت : فذكرت ذلك أم سلمه للنبي ﷺ قالت : فأعرض عني ، فلما كانت الثالثة ذكرت له فقال : يا أم سلمه لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكنّ غيرها) (١) .

فهذا رسول الله ﷺ يسمي ما طلبته أم سلمه رضي الله عنها في حق عائشة بقوله (لا تؤذيني) فكيف بالسب ونحوه ، دل على أن الطعن بأي شكل أو اللمز على أم المؤمنين عائشة محرّم وفاحش وفيه إيذاء لرسول الله ﷺ .

٢- وعن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ (إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت عليّ غضبى ، قالت : فقلت : ومن أين تعرف ذلك ؟ قال : أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين : لا ورب محمد ، وإذا كنت غضبى قلت : لا ورب إبراهيم قالت : قلت : أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك) (٢) .

فهذه مكانتها عند رسول الله ﷺ ومكانة رسول الله ﷺ منها فهي حبيبة رسول الله ﷺ فمن سبها أو آذاها أو طعن فيها فهو عدو لرسول الله ﷺ .

---

(١) رواه البخاري وتقدم تخريجه ص ١٦٣ .

(٢) رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة - باب فضل عائشة رضي الله عنها ١٨٩٠/٤ حديث ٢٤٣٩ .

٣- وعن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت وهو مسند إلى صدرها وأصغت إليه وهو يقول (اللهم أغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق .) (١) .

٤- وعن ابن شهاب رضي الله عنه قال أبو سلمه : أن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ يوماً : يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام ، فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، ترى ما لا أرى ، تريد رسول الله ﷺ (٢) .

٥- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران ، وآسيه امرأة فرعون، وأن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام) (٣).

٦- وعن عائشة رضي الله عنها : (أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبي ﷺ فقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة)(٤).

٧- وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه : (أن رسول الله ﷺ استعمله على جيش ذات السلاسل قال : فأتيته ، فقلت يارسول الله أي الناس أحب إليك قال عائشة، قلت من الرجال قال أبوها)(٥).

ولا أطيل في هذا لأنه قد مرّ ذكر فضائلها في الباب الثالث رضي الله عنها وعن سائر أمهات المؤمنين .

ثم هذه بعض النصوص العامة في الصحابة وتدخل فيها أزواج النبي وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها دخولاً (أوّلياً) .

---

(١) رواه مسلم وتقدم تخريجه ص ١٨٤ .

(٢) متفق عليه وتقدم تخريجه ص ١٦٥ .

(٣) متفق عليه وتقدم تخريجه ص ١٤٤ .

(٤) رواه الترمذي وغيره وتقدم تخريجه ص ١٥٨ .

(٥) متفق عليه وتقدم تخريجه ص ٣ .

- ماروواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك من مد أحدهم ولا نصيفه) [1] .
- ومن حديث عبد الرحمن بن عوف لما قال له خالد بن الوليد (تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال ﷺ (دعوا لي أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد ذهباً أو مثل الجبال ذهباً لما بلغتم أعمالهم[2]) .
- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال (لعن الله من سب أصحابي) [3]
- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) [4] .

ثالثاً : اختلاف العلماء في حكم الطاعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بغير القذف :

أختلف العلماء فيمن طعن في أم المؤمنين بغير القذف لأنه ليس على مرتبة واحدة ، بل له مراتب متفاوتة ، فإن سب الصحابة (عموماً) وأم المؤمنين (خصوصاً) أنواع ودركات منها سب يطعن في العدالة كطعنهم في رواية أم المؤمنين للحديث ، وقد يكون اتهاماً كقولهم أنها حاربت أمير المؤمنين على بن أبي طالب .

---

(١) متفق عليه :
أخرجه البخاري في كتاب المناقب – باب لو كنت متخذاً خليلاً ١٢/٣ ، حديث (٣٦٧٣) .
ومسلم كتاب فضائل الصحابة – باب تحريم سب الصحابة ١٩٦٧/٤ ، حديث (٢٥٤٠) .
(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٢٦٦ .
والسيوطي في الدر المنثور ٥١/٨ .
وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦٩/٣٥ .
وذكره ابن حجر في الإصابة ٣٤٧/٤ .
وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٥٥٦/٤ .
(٣) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ١٢/ ٤٣٤ والأوسط ٧/ ١١٤ .
والهيثمي في مجمع الزوائد ٢١/١٠ وضعفه .
وجاء هذا الحديث من طريق عطاء بن أبي رباح وهو في السنة لابن أبي عاصم ٤٨٣/٢ ، وقال الألباني إسناده مرسل صحيح.
(٤) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ١٤٢/١٢ بسند فيه ضعف ولكن طرقه كثيرة أوردها الشيخ الألباني في السلسلة يرتقي بها إلى الحسن السلسلة الصحيحة ٥/ ٤٤٦ .

وقد يكون السب لجميع الصحابة ، وقد يكون الطعن لمن تواترت النصوص بفضلهم ومنزلتهم من النبي ﷺ كأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بغير القذف والكلام حول سب (الطعن) في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كالكلام في حكم الطعن (السب) في الصحابة رضي الله عن الجميع.(١)

فاختلف أهل العلم في الحكم والعقوبة التي يستحقها من سب الصحابة عموماً ، أو أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بغير القذف سواء كان طعناً أو جرحاً ، هل يكفّر وتكون عقوبته القتل ، أو أنه يفسّق بذلك ويعاقب بالتعزيز فهذان قولان :

وقبل سرد القولين بالتفصيل ،هناك حالات يكون السب فيها كفر ، ومنها :

أ/ إن كان مستحلاً للطعن أو السب في الصحابة عموماً أو أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فهو كافر ، قال القاضي أبو يعلي الذي عليه الفقهاء في سب الصحابة :" إن كان مستحلاً لذلك كفر ، وإن لم يكن مستحلاً فسق و لم يكفر ... "(٢) ، فمن المعلوم أن جميع الصحابة عدول بشهادة الله تبارك تعالى .

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٠] (٣) .

وقال تعالى :﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [سورة الفتح : ١٨] ، وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [سورة الواقعة : ١٠-١٢]، وأم المؤمنين رضي الله عنها داخلة في هؤلاء بل هي أحب الناس إلى رسول الله ﷺ .

وهذه العدالة المرادة هنا ليس المقصود بها الوقوع في الذنوب والخطايا فإن هذا لا يكون إلا معصوماً ، قال ابن الأنباري :" وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم ، وإنما المراد قبول رواياتهم من غير تكلف البحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية إلا

---

(١) أنظر في هذا وما يليه :

الصارم المسلول لابن تيمية كاملاً ، والشفا بتعريف حقوق المصطفى لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي ٢/ ١١٠٨ – ١١١٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، وعقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام ٢/ ٨٣٧ .

(٢) الإنصاف ١٠/ ٣٢٤

(٣) انظر : الصارم المسلول لابن تيمية ٣/ ١٠٦٦ .

أن يثبت ارتكاب قادح و لم يثبت ذلك ولله الحمد فنحن على استصحاب ما كانوا عليه زمن رسول الله ﷺ حتى يثبت خلافه ، ولا التفات إلى ما يذكره أهل السير ، فإنه لا يصح وما صح فله تأويل صحيح"(١).

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾ [سورة آل عمران : ١١٩].

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : " ومحبة الشيء كراهته لضده ، فيكون الله يكره السب لهم الذي هو ضد الاستغفار ، والبغض لهم الذي هو ضد الطهارة ، وهذا معنى قول عائشة رضي الله عنها : (أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد فسبوهم)(٢).

فاستحلال سب الصحابة أو أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إنكار لما علم تحريمه من الدين بالضرورة ، ومن ثم فهو خروج عن الملة .

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : " فإذا عرفت أن آيات القرآن تكاثرت في فضلهم والأحاديث المتواترة بمجموعها ناصة على كمالهم ... فمن اعتقد أحقية سبهم وإباحته ، أو سبهم مع اعتقاد حقية سبهم ، أو حلته فقد كفر بالله تعالى ورسوله فيما أخبر من فضائلهم ..." إلى أن قال :" فإنه اعتقد أحقية سبه أو إباحته فقد كفر ، لتكذيبه ما ثبت قطعاً عن رسول الله ﷺ ومكذبه كافر " (٣) .

ب/ ومن الحالات التي يكون فيها الطعن كفراً :

- أن يطعن في أم المؤمنين في دينها وعدالتها ، كأن يرميها بالكفر أو الفسق أو الضلال ، وكذلك لو طعن في احد من الصحابة بهذا .
- قال القاضي عياض : "... وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة وتكفير جميع الصحابة كقول ، الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الأمة بعد النبي ﷺ..."(٤) .

---

(١) فتح المغيث شرح ألفية الحديث لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ١١٥/٣، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

(٢) الصارم المسلول ١٠٧١/٣ .

والحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب التفسير ، باب ٥٤ ، ٢٣١٧/٤ ، حديث رقم (٣٠٢٢).

(٣) الرد على الرافضة ، للشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ١٨-١٩ .

(٤) الشفاء للقاضي عياض ٢/ ١٠٧٢ باختصار .

- ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله :" ومن ظن بالصحابة - رضوان الله عليهم- ذلك - أي كتمان الوصية لعلي بالخلافة - فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة رسول الله ﷺ ومضادته في حكمه ونصه ، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام ، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام ، وكان إراقة دمه أحل من إراقة المرام..."(١) والله أعلم .

والآن أبدء بذكر أقوال أهل العلم في الحكم والعقوبة فيمن سب الصحابة عموماً وأم المؤمنين عائشة خصوصاً - رضي الله عن الجميع - بغير القذف . فقد اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين :

القول الأول :

ذهب جمع من أهل العلم بتكفير من سب الصحابة سواءً كانت أم المؤمنين أو غيرها رضي الله عنهم ، أو انتقصهم وطعن في عدالتهم وصرّح ببغضهم وأن من كانت هذه صفته فقد أباح دم نفسه وحل قتله إلا يتوب من ذلك ويترحم عليهم .

وممن ذهب إلى هذا لقول من السلف الصحابي الجليل عبدالرحمن بن أبزي(٢) وعبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي (٣) وعبدالرحمن بن عياش (٤) وسفيان بن عيينة (٥) ومحمد بن يوسف الغريابي (٦) وبشر بن الحارث المروزي (٧) ومحمد بن بشار العبري (٨) وغيرهم كثير ، فهؤلاء الأئمة صرحوا بكفر من سب الصحابة عموماً أو سب أم المؤمنين بغير القذف ،

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢٥٢/٥ .

(٢) انظر كتاب النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ص ٢٣ ، وفتاوى السبكي لأبي الحسن تقي الدين علي عبد الكافي السبكي ٢/ ٥٨٠ ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .

(٣) انظر : الشرح والإبانة لابن بطة ص ١٦٢ .

(٤) المصدر السابق ١٦٠ .

(٥) كتاب النهي عن سب الأصحاب ص ٢٤-٢٥ .

(٦) الشرح والإبانة ص ١٦٠ .

(٧) المصدر السابق ص ١٦٢ .

(٨) المصدر السابق ١٦٠ .

وبعضهم صرح مع ذلك أنه يعاقب بالقتل ، وإلى هذا القول ذهب بعض العلماء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية ، قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته:" وحبهم (أي الصحابة رضي الله عنهم) دين وإيمان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"[(١)].

ومن سبهم وطعن فيهم فقد زاد على بغضهم ، قال السرخسي الحنفي رحمه الله[(٢)] : " فأما من طعن في السلف .... والشريعة بلغتنا بنقلهم ، فمن طعن فيهم فهو ملحد منابذ للإسلام ، دواؤه السيف إن لم يتب "[(٣)] .

وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى :" والذي يشتم أصحاب محمد رسول الله ﷺ ليس له سهم ، أو قال نصيب في الإسلام" [(٤)] .

وقال أيضاً كما نقل القرطبي : قال مالك : " من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب محمد رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [سورة الفتح : ٢٩] قال القرطبي :" لقد أحسن مالك في مقالته، وأصاب في تأويله ، فمن نقص واحداً منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين "[(٥)] .

وقد ذكر القاضي عياض عن بعض المالكية أنه ذهب إلى أن عقوبة ساب الصحابة أنه يقتل حيث قال (وقال بعض المالكية يقتل) [(٦)] .

---

(١) شرح الطحاوية ص ٥٢٨ .

(٢) هو محمد بن أحمد بن سهل أبو بكر قاضي من كبار الأحناف مجتهد من أهل سرخس (في خرسان) توفي سنة ٤٨٣هـ .

انظر ترجمته في الفوائد البهية من تراجم الحنفية لمحمد بن عبد الحي بن محمد الكنوي ، ص ١٥٨-١٥٩ ، تحقيق : فراس النعساني ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ١٣٠٤هـ /١٨٨٧م ، والأعلام للزركلي ٦/ ٢٠٨ .

(٣) أصول السرخسي لمحمد بن أحمد السرخسي ٢/ ١٣٤ ، دار المعرفة بيروت – لبنان .

(٤) الشرح والإبانة ص ١٦٢ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٦ ٢٩٧ .

(٦) شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/ ٩٣ .

وذكر الألوسي :" أن القاضي حسين[1] لمن علماء الشافعية ذهب إلى أن سب الشيخين كفر وإن لم يكن بما في أكفارهما - ثم قال - وإلى ذلك ذهب معظم الحنفية " .

وقال الأوزاعي:" من شتم أبا بكر رضي الله عنه فقد ارتد عن دينه وأستباح دمه "[2] .

وسئل الإمام أحمد رحمه الله عن من يشتم أبا بكر وعمر وعائشة فقال : ما أراه على الإسلام ، وسئل رحمه الله عن من يشتم عثمان ، فقال رحمه الله هذه زندقة [3].

وجاء في الفتاوى البزازية:" .. ومن أنكر خلافة أبي بكر فهو كافر في الصحيح ومنكر خلافة عمر رضي الله عنه فهو كافر في الأصح ، ويجب إكفار الخوارج بإكفار عثمان وعلي وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم "[4] .

ويقول السبكي رحمه الله تعالى: "... أحتج المكفرون للشيعة والخوارج بتكفيرهم لأعلام الصحابة رضي الله عنهم، وتكذيب النبي ﷺ في قطعه لهم بالجنة وهذا عندي احتجاج صحيح فيمن ثبت عليه تكفير أولئك وأجاب الآمدي بأنه إنما يلزم أن لو كان المكفر يعلم بتزكية من كفره قطعاً على الإطلاق إلى مماته بقوله ﷺ أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة [5] ، إلى آخرهم وإن كان هذا الخبر ليس بمتواتر لكنه مشهور مستفيض ويعضده إجماع الأمة على

---

(١) هو أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد المروزي ويقال له المروردي بالذال المعجمة وتشديد الراء الثانية وتخفيفها ، كان كبير القدر مرتفع الشأن كما قال النووي توفي سنة ٤٦٢ .
انظر : الأسماء واللغات للنووي ١/١٦٤-١٦٥ .

(٢) انظر الأجوبة العرقية للألوسي ص ٥٠ ، والشرح والإبانة ، ص ١٦٢ .

(٣) السنة لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال ص ٤٩٣ ، تحقيق : عطية الزهراني ، دار الراية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

(٤) الفتاوى البزازية (بهامش الهندية) ٦/ ٣١٨ ، دار الفكر ١٤١١هـ ، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق لزين الدين بن نجيم الحنفي ٥/ ١٣١ ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه كتاب المناقب ، باب مناقب عبدالرحمن بن عوف وكذلك باب مناقب سعيد بن زيد ٤/٦٠٥-٦٠٩ الأحاديث رقم ٣٧٤٧- ٣٧٤٨ – ٣٧٥٧ .
والإمام أحمد في المسند ١/ ١٩٣ .
وابن أبي عاصم في السنة ٢/ ٦١٨ .
وابن حبان انظر الإحسان ١٥/٤٦٣ ، وقال المحقق : إسناده صحيح على شرط مسلم .
وانظر : صحيح سنن الترمذي للألباني ٣/٢١٨ .

إمامتهم وعلو قدرهم وتواتر مناقبهم أعظم التواتر الذي يفيد تزكيتهم فبذلك نقطع بتزكيتهم على الإطلاق إلى مماتهم ولا يختلجنا شك في ذلك"(١) .

وقطعاً وبلا شك يدخل في دلالة كلامه هذا أمهات المؤمنين وخصوصاً أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فإن فضائلها معروفة متواترة ، ويقول السبكي في موضع آخر : ".. وأما الرافضي فإنه يبغض أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لما أستقر في ذهنه بجهله وما نشأ عليه من الفساد عن اعتقاد ظلمهما لعلي، وليس كذلك ولا علي يعتقد ذلك ، فاعتقاد الرافضي ذلك يعود على الدين بنقص ؛ لأن أبابكر وعمر هما أصل بعد النبي ﷺ . فهذا مأخذ التكفير ببعض الرافضة لهما ، وسبهم لهما"(٢) ، وقال في موضع ثالث :" وتحريم سب الصديق رضي الله عنه معلوم من الدين بالضرورة بالنقل المتواتر عن حسن إسلامه وأفعاله الدالة على إيمانه ، وأنه دام على ذلك إلى أن قبضه الله تعالى هذا لا شك فيه "(٣) .

وقال محمد بن بشار :" قلت لعبد الرحمن بن مهدي : أحضر جنازة من سب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فقال لوكان من عصبتي ما ورثته "(٤) .

وقال بشر بن الحارث : "من شتم أصحاب رسول اله ﷺ فهو كافر وإن صام وصلى وزعم أنه من المسلمين" (٥).

وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى :" ومن شتم أحداً من أصحاب محمد ﷺ أبابكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص ، فإن قال كانوا على ضلالة وكفر قتل" (٦) ، وأم المؤمنين رضي الله عنهن داخلة في ذلك ضمناً بلا شك قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى مبيناً حكم الطاعن في الصحابة والساب لهم :" فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة الإسلام لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم وإضمار الحقد فيهم وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم وما لرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم " إلى أن

---

(١) فتاوى السبكي ٢/ ٥٦٩ .

(٢) فتاوى السبكي ٢/ ٥٧٦ .

(٣) فتاوى السبكي ٥٨٧/٢ ، ٢/ ٥٨٩ والإعلام للهيثمي ص ٣٥٢، ٣٦٣ ، ٣٨٠ .

(٤) الشرح والإبانة لابن بطة ص ١٦٠ .

(٥) المرجع السابق ص ١٦٢ .

(٦) الشفاء للقاضي عياض ٢/ ١١٠٧ .

قال :" والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته"(١).

وأم المؤمنين عائشة لها من الفضائل المتواترة التي لا يجهلها أحد ، وأنها رضي الله عنها من المعلوم أنها زوجة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة فتدخل ضمن كلام الأئمة في المصرح بإيمانهم وقد كفرها الشيعة عليهم من الله ما يستحقون .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :" وصرح جماعات من أصحابنا بكفر الخوارج المعتقدين البراءة من علي وعثمان وبكفر الرافضة المعتقدين سب جميع الصحابة ، الذين كفروا الصحابة ، وفسقوهم وسبوهم " (٢).

وقال المرداوي في الإنصاف :" ومن سب صحابياً مستحلاً كفر وإلا فسق ، وقيل : وعنه يكفر"(٣).

وأما أبو محمد بن حزم الظاهري رحمه الله تعالى ، فإنه ذهب إلى أن ساب الصحابة لابد من تعليمه وتعريفه أولاً بما يجب للصحابة ، فإن تمادى بعد ذلك يكون فاسقاً ، وأما إذا عاند ما جاء عن الله ورسوله فيهم ، فهنا يكون كافراً أو مشركاً حيث قال : " حكمه - أي ساب الصحابة - أن يعلم ويعرف ، فإن تمادى فهو فاسق وإن عاند في ذلك الله تعالى أو رسوله فهو كافر مشرك "(٤) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" وقد قطع طائفة من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم بقتل من سب الصحابة "(٥) .

ومن قال بكفر من سب أم المؤمنين بغير القذف أستدل بالأدلة العامة التي فيها أن هذا إيذاء للنبي ﷺ وانتقاص له لأن هذه زوجته رضي الله عنها وقد رضيها له الله وهي أحب أزواجه إليه ﷺ ، والصحابة أصحابه الذين اختارهم له الله ورباهم على عينه ﷺ وأذى الله ورسوله كفر موجب

---

(١) الكبائر لمحمد بن عثمان الذهبي ص ٢٣٥ ، دار الندوة الجديدة ، بيروت – لبنان .

(٢) الصارم المسلول ٣/ ١٠٦٥ .

(٣) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف لعلي بن سليمان المرداوي ١٠/ ٣٢٤ ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .

(٤) الإحكام في أصول الأحكام لعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي ١٣٨/١ ، دار الحديث ، القاهرة – مصر ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .

(٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول ٣/ ١٠٦١ .

للقتل ، ولذا قال الإمام مالك رحمه الله :" هؤلاء قوم أرادو القدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه ..." (١).

القول الثاني :

ذهب فريق آخر من أهل العلم إلى أن ساب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بغير القذف أو سب أحد الصحابة ، لا يكفر بسبب ذلك ، بل يفسّق ويضلل ولا يعاقب بالقتل ، بل يكتفى بتأديبه وتعزيره تعزيراً يردعه ويزجره حتى يرجع عن ارتكابه هذا الجرم الذي يعتبر من كبائر الذنوب وفواحش المحرمات ، وإن لم يرجع تكرر عليه العقوبة حتى يظهر التوبة .

وقد صرح الزرقاني من المالكية بأن الساب يؤدب وكذا البهوتي من الحنابلة فرّق بين القذف والسب بغير القذف ، وهو ما يؤخذ من كلام عامة الفقهاء أنهم يفرقون بين السب بالقذف أو بغير القذف ، وهم وإن لم يصرحوا بذلك لكن هؤلاء يقيدون السب المكفر بأنه السب بما برأها الله منه ومن صرح بالقتل بالسب فإن عبارته يفهم منها أن السب هو قذف(٢) وهذه الروايات الواردة في ذلك :

- فقد روى اللالكائي وابن أبي شيبة عن الحارث بن عتبة قال : " إن عمر بن عبدالعزيز أُتي برجل سب عثمان فقال : ما حملك على أن سببته ؟ قال : ابغضه ، قال : وإن أبغضت رجلاً سببته ؟ قال : فأمر به فجلد ثلاثين سوطاً " (٣).
- وكان علي رضي الله عنه يعاقب بالجلد الموجع على الكلام الذي فيه إيماء أو إشارة إلى النيل أو السب لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقد ذكر ابن الأثير :" أن رجلين وقفا على باب الدار الذي نزلت فيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالبصرة ، فقال : أحدهما : جزيت عنا أمنا

---

(١) الصارم المسلول ٣/ ١٠٨٨ .

(٢) انظر في ذلك : نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لشمس الدين محمد بن أبي العباس الرملي ، المشهور بالشافعي الصغير ٤١٦/٧ ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ١٤٠٤هـ ، وإعانة الطالبين لأبي بكر بن السيد الدمياطي ٢٩٢/٤ ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، وحاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار) ٢٣٧/٤ ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ١٤٢١هـ ، والإنصاف ٢٢٢/١٠ ، وشرح منتهى الإرادات ٣/ ٣٥٦، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٨٤ .

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٧/ ١٢٦٥ .

وابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ١٠٦ .

عقوقاً ، وقال الآخر : يا أمي توبي فقد أخطأت - فبلغ ذلك علياً ﷺ ، فبعث القعقاع بن عمرو إلى الباب فأقبل بمن كان عليه فأحالوا على رجلين من أزد الكوفة ، وهما عجلان وسعد أبناء عبدالله فضربهما مائة سوط وأخرجهما من ثيابهما " [١] .

قال السبكي : (وأجمع القائلون بعدم تكفير من سب الصحابة أنهم فسّاق) [٢] .

ويذكر ابن تيمية رحمه الله أن أقل ما يفعل بشاتم الصحابة التعزير ويعلل ذلك بقوله :" لأنه - أي التعزير - مشروع في كل معصية ليس فيها حد ولا كفارة ، وقال ﷺ (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) [٣] وهذا مما لا يعلم فيه خلافاً بين أهل الفقه والعلم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان ، وسائر أهل السنة والجماعة ، فإنهم مجمعون على أن الواجب الثناء عليهم والاستغفار لهم ، والترحم عليهم والترضي عنهم ، واعتقاد محبتهم وموالاتهم ، وعقوبة من أساء فيهم القول "[٤] .

وبهذا يتضح أن من قال بعدم كفر ساب الصحابة وأن حكمه التعزير أنهم أجمعوا أن فعله هذا فسق وكبيرة من كبائر الذنوب .

- وهذا طرف من أقوال العلماء القائلين بعدم تكفير من سب الصحابة أو سب أم المؤمنين عموماً بغير القذف .

- قال القاضي عياض : " وقد اختلف العلماء في هذا ، فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والأدب الموجع" ، قال الإمام مالك رحمه الله :" من شتم النبي ﷺ قتل ، ومن شتم أصحابه أدب".

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/ ٢٥٧ .

(٢) فتاوى السبكي ٢/ ٥٨٠ والإعلام للهيثمي ص ٣٥٢ ، ٣٦٣ ، ٣٨٠ .

(٣) أخرجه البخاري صحيح البخاري مع الفتح - كتاب المظاليم باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً ١١٧/٥ حديث ٢٤٤٣ .

(٤) الصارم المسلول ٣/ ١٠٨٥ .

- وقال ابن حبيب [1] :" من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أُدب أدباً شديداً ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد ، ويكرر ضربه ، ويطال سجنه حتى يموت ، ولا يبلغ به القتل إلا في سب النبي ﷺ "[2] .

- وقال سحنون [3] : " من كفر أحداً من أصحاب النبي ﷺ علياً أو عثمان أو غيرهما يوجع ضرباً "[4] .

ومم استدل به القائلون بعدم كفر ساب الصحابة عموماً وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بغير القذف : استدلوا بأن مطلق السب لغير الأنبياء لا يستلزم الكفر ؛ لأن بعض من كان على عهد النبي ﷺ كان ربما سب بعضهم بعضاً ، ولم يكفر أحد بذل[5] . وسيأتي الجواب على هذا .

وروى الإمام أحمد قال ثنا معاوية قال ثنا عاصم الأحول قال : (أتيت برجل قد سب عثمان، قال فضربته عشر أسواط ثم عاد ، قال فضربته عشرة أخرى ، قال فلم يزل يسبه حتى ضربته سبعين سوطاً) [6] .

---

(١) هو أبو مروان عبدا الملك بن حبيب التنوخي القيرواني المالكي من أوائل فقهاء المالكية ، كان موصوفاً بالحذق في الفقه له مؤلفات كثيرة ، تولى الفتية في قرطبة ، مات سنة ٢٣٨ هـ.

انظر : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لإبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المالكي ٢/ ٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٠٢ .

(٢) الشفاء للقاضي عياض ٢/ ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٣) أبو سعيد عبد السلام بن حبيب التنوخي القيرواني المالكي ، برع في الفقه ، وتفقه به عدد كثير ، كان صاحب ورع وكرم ، تولى القضاء ، وتوفي سنة ٢٤٠ هـ .

انظر الديباج المذهب ٢/ ٣٠ وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٦٣ .

(٤) انظر : الشفاء للقاضي عياض ٢/ ١١٠٨ ، والخرشي على مختصر خليل (حاشية الخرشي على مختصر خليل) ٧٤/٧، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، وبلغة السالك لأقرب المسالك لأحمد الصاوي ٤٢٠/٢ ، صححه : محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

(٥) انظر : الصارم المسلول ص ٥٧٩ .

(٦) المرجع السابق ص ٥٦٩ ورواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٢٦٥/٧ برقم ٢٣٨٤ .

وقال أبو بكر بن العربي :" ولو أن رجلاً سب عائشة بغير ما برأها الله منه لكان جـزاءه الأدب"[1] .

وقال القاضي أبو يعلى : الذي عليه الفقهاء في سب الصحابة :" إن كان مستحلاً لـذلك كفر ، وإن لم يكن مستحلاً فسق ، ولم يكفر سواء كفـرهم أو طعـن في دينـهم مـع إسلامهم"[2] .

وقال إبراهيم بن ميسرة : "ما رأيت عمر بن عبد العزيز ، ضرب إنساناً قط ، إلا إنـساناً شتم معاوية فضربه أسواطاً "[3] .

وقال أبو طالب :" سألت أحمد عمن شتم أصحاب النبي ﷺ قال : القتل أجبن عنه ، ولكن أضربه ضرباً نكالاً " [4] .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : "سألت أبي عمن شتم رجلاً من أصحاب النبي ﷺ قـال : أرى أن يضرب ، قلت له : حدٌّ فلم يقف على الحد ، إلا أنه قال : يضرب ، وقال ما أراه على الإسلام "[5] .

وهكذا كما أورد شيخ الإسلام ابن تيمية في الصارم المسلول روايات عن الإمام أحمد قال: " فقد نص رحمه الله على وجوب تعزيره واستتابته حتى يرجع بالجلد ، وإن لم ينته حبس حـتى يموت أو يراجع " وقال ما أراه على الإسلام وأتهمه على الإسلام وقـال :" أجـبن عـن قتله"[6] .

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٣٥٦ .

(٢) ينظر الإنصاف ٣٢٤/١٠ .

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٧/ ١٢٦٥ برقم ٢٣٨٥ .

(٤) انظر : الإنصاف ٣٢٤/١٠ أيضاً والصواعق المحرقة ص ٢٥٨ .

(٥) انظر : مسائل الإمام أحمد لابنه عبدالله ، ص ٤٣١.

ورواه الخلال في كتابه السنة ٤٩٣ ،

واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٧/ ١٢٦٦ .

(٦) كما في رواية أبي طالب عند الإمام أحمد في الإنصاف للمرداوي ٣٢٤/١٠.

الجمع بين هذه الأقوال :

وهذه الأقوال عن الإمام أحمد ، قال القاضي أبو يعلى : فقد أطلق القول فيه أنه يكفر بسببه لأحد من الصحابة وتوقف في رواية عبدالله وأبي طالب عن قتله ، وكمال الحد وإيجاب التعزير يقتضي أنه لم يحكم بكفره ، قال ، فيحتمل أن يحمل قوله :" ما أراه على الإسلام "، إذا استحل سبهم بأنه يكفر بلا خلاف ويحمل إسقاط القتل على من لم يستحل ذلك بل فعله مع اعتقاده لتحريمه كمن يأتي المعاصي قال ويحتمل قوله :" ما أراه على الإسلام " على سب يطعن في عدالتهم نحو قوله :" ظلموا ، وفسقوا بعد النبي ﷺ وأخذوا الأمر بغير حق". ويحمل قوله في إسقاط القتل على سب لا يطعن في دينهم نحو قوله : "كان فيهم قلة علم، وقلة معرفة السياسة والشجاعة ، وكان فيهم شح ومحبة للدنيا، ونحو ذلك"، وقال : "ويحتمل أن يحمل كلامه على ظاهره فتكون في سابهم روايتان : إحداهما يكفر ، والثانية يفسق، وعلى هـذا استقر قـول القاضي وغيره وحكوا في تكفيرهم روايتين"(١)، هذا الجمع بين روايات الإمام أحمد وسيأتي الجمع بين القولين عموماً وبيان الراجح .

وقال ملاّ على القارئ حاكياً الإجماع في حكم سب الصحابة " من سب أحداً من الصحابة فهو فاسق ومبتدع بالإجماع ، إلا إذا اعتقد أنه مباح أو يترتب عليه ثواب كما عليه بعض الشيعة أو اعتقد كفر الصحابة فإنه كافر بالإجماع " (٢).

واستدل القائلون بالفسق بعدة أدلة منها :

١- ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما أن النبي ﷺ قال لخالد بن الوليد لما سب عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم انفق مثل أُحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) (٣).

وجه استدلالهم بهذا الحديث أن سب الصحابة وقع على عهد الرسول ﷺ وسمع ذلك ، فلم يقل أن الساب كافر ولا أهدر دمه وإنما اكتفى ﷺ بالنهي عن ذلك .

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ٣/ ١٠٦٦ .

(٢) نقله ابن عابدين في حاشيته ١/١٦٢ .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم وتقدم تخريجه ص ٥٣٨ .

٢- روى الإمام أحمد رحمه الله وغيره عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال : أغلظ رجل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : فقال أبو برزة : (ألا أضرب عنقه ؟ فانتهره وقال : ما هي لأحد بعد رسول الله ﷺ)[١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :" إن الله ميّز بين مؤذي الله ورسوله ومؤذي المؤمنين فجعل الأول ملعوناً في الدنيا والآخرة ، وقال في الثاني ﴿ فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [سورة النساء : ١١٢]، ومطلق البهتان والإثم ليس بموجب للقتل وإنما هو موجب للعقوبة في الجملة ، فتكون عليه عقوبة مطلقة ، ولا يلزم من العقوبة جواز القتل ولأن النبي ﷺ قال : (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ﷺ إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة "[٢] .

ومطلق السب لغير الأنبياء لا يستلزم الكفر لأن بعض من كان على عهد النبي ﷺ كان ربما سب بعضهم بعضاً ، ولم يكفر أحد بذلك ولأن أشخاص الصحابة لا يجب الإيمان بهم ، بأعيانهم فسب الواحد لا يقدح في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر[٣].

الجمع بين القولين :

إن سب الصحابة عموماً ويدخل فيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بغير القذف نوعان:

النوع الأول : سب يقدح في دين الصحابة وعدالتهم كأن يرمي صحابياً بالكفر مثلاً ممن تواترت النصوص بفضله ، فهذا من الكفر ، لما يتضمنه من تكذيب للآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة الدالة على تزكيتهم وفضلهم ، ولأن هذا السب إنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة ومن ظن أن مثل هذا السب لا يعد كفراً فقد خالف الكتاب والسنة والإجماع .

---

(١) رواه النسائي في سننه – كتاب تحريم الدم – باب توبة المرتد ٧/١٢٤-١٢٥ ، حديث (٤٠٨٢) .
والإمام أحمد في المسند ١/٩ .
وصححه الألباني في صحيح النسائي ٣/٨٥٤ .

(٢) متفق عليه :
رواه البخاري – صحيح البخاري مع الفتح – كتاب الديات – باب قول الله تعالى (إن النفس بالنفس...) ١٢/٢٠٩ حديث رقم ٦٨٧٨ .
ومسلم – كتاب القسامة – باب ما يباح به دم المسلم ٣/ ١٣٠٢ حديث ١٦٧٦ واللفظ للبخاري .

(٣) الصارم المسلول ٣/ ١٠٨٦ .

وعليه فالذي يطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بغير القذف ، كأن يكفر أم المؤمنين أو يلعنها أو يطعن فيها طعناً يقدح في دينها فإنه يكفر .

النوع الثاني : أن يسب صحابياً وإن كان ممن تواترت النصوص بفضله ، ولكنه يطعن فيه أو يسبه سبّاً لا يقدح في إسلامه ودينه ، مثل وصفه بالبخل أو الجبن ن ونحو ذلك ، فهذا فسق وكبيرة ولا يستحق فاعله الكفر والقتل ولكن يستحق التعزير والتأديب (١) .

وكذا لو سب صحابياً لم يتواتر النقل بفضله سباً يطعن في دينه ، فلا يكفر بهذا السب، لعدم إنكاره معلوماً من الدين بالضرورة (٢) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية بهذا الصدد :" وأما من سبهم سباً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم ، أو عدم الزهد و نحو ذلك ، فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك ، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم"(٣).

وإذا تقرر نوعا السب والطعن في حق الصحابة رضي الله عنهم، فإن من أنواع السب ما لا يمكن القطع بإلحاقه في أحد النوعين السابقين بل يكون محل تردد وهذا النوع هو ما قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية :" وأما من لعن وقبّح مطلقاً فهذا محل الخلاف فيهم لتردد الأمرين بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد "(٤) والله أعلم.

---

(١) الصارم المسلول ٣/١٠٦٦ .

(٢) رسالة الرد على الرافضة للشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ١٨-١٩ .

(٣) الصارم المسلول ٣/ ١٠٦٦ .

(٤) المرجع السابق ٣/ ١١١٠ .

الفصل الثاني

حكم الطعن في أم المؤمنين عائشة ﵂ بالقذف

الفصل الثاني

حكم الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالقذف

أجمع أهل العلم قاطبة على أن من طعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه أن كافر وأن حكمه القتل مرتداً عن ملة الإسلام ، فمن أقوالهم في ذلك :

قال القاضي أبو يعلى :" من قذف عائشة بِمَا بَرَّأَهَا الله منه كفر بلا خلاف "[١].

وقد حكي الإجماع على هذا غير واحد ، وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم .

فروي عن الإمام مالك : " من سب أبا بكر جُلد ، ومن سب عائشة قُتل ، قيل له: لم ؟ قال: من رماها فقد خالف القرآن ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة النور :١٧][٢].

قال أبو محمد بن حزم: " قول مالك هنا صحيح وهي ردة تامة وتكذيب لله تعالى في قطعه براءاتها "[٣].

وحكى أبو الحسن الصقلي أن القاضي أبو بكر بن الطيب ، قال :" إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبه إليه المشركون سبَّح نفسه لنفسه كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٦] في آي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون إلى عائشة فقال : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة النور : ١٦] ، فسبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته من السوء ، وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة رضي الله عنها ، ومعنى هذا والله أعلم ، إن الله لما عظّم سبها كما عظم سبه وكان سبها سباً لنبيه وقرن سب نبيه وأذاه بأذاه تعالى ، وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه كذلك " [٤].

---

(١) انظر : الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ١٠٥٠/٣ .

(٢) وقول الإمام مالك ، في الشفاء للقاضي عياض ٣٠٩/٢ .

(٣) انظر المحلى لابن حزم رحمه الله ٥٠٤/١٣ وينظر أحكام القرآن لابن العربي ١٣٥٦/٣ ، والشفا للقاضي عياض ٢٦٧/٢.

(٤) الشفا للقاضي عياض ٢٦٧/٢-٢٦٨ .

وقال الإمام أحمد رحمه الله :" من سب عائشة أم المؤمنين ، أو رماها بما برّأها الله تعالى منه فهو كافر ، وكان يقرأ ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة النور : ١٧](١).

وقال أبو بكر زياد النيسابوري(٢):" سمعت القاسم بن محمد يقول لإسماعيل بن إسحاق: أتي المأمون بالرقة برجلين شتم أحدهما فاطمة رضي الله عنها ، والآخر عائشة ، فأمر بقتل الذي شتم فاطمة ، وترك الآخر ، فقال إسماعيل : ما حكمهما إلا أن يقتلا ؛ لأن الذي شتم عائشة رد القرآن"(٣)، وعلى هذا مضت سيرة أهل الفقه والعلم من أهل البيت وغيرهم .

قال أبو السائب القاضي(٤): " كنت يوماً بحضرة الحسن بن زيد(٥) الداعي بطبرستان(٦)، وكان يلبس الصوف ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويوجه كل سنة بعشرين ألف دينار إلى مدينة السلام يفرق على سائر ولد الصحابة ، وكان بحضرته رجل ذكر عائشة بذكر قبيح من الفاحشة ، فقال : يا غلام :" أضرب عنقه ، فقال له العلويون : هذا رجل من شيعتنا ، فقال معاذ الله ، هذا رجل طعن على النبي ﷺ فقال الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ

---

(١) انظر : عقيدة الإمام أحمد (المبجل) لأبي محمد بن تميم ٢٧٢/٢ المطبوع في آخر الجزء الثاني من طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، دون ذكر الطبعة وسنة الطبع . وذكره ابن قدامة المقدسي في لمعة الاعتقاد ، ص ٣٣ .

(٢) هو أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري ، فقيه مشهور ، محدث رحالة ، إمام الشافعية بالعراق ، رحل في طلب العلم إلى العراق والشام ومصر ، واستقر في بغداد ، وتوفي ببغداد عام ٣٢٤هـ .

انظر تاريخ بغداد ١٢٠/١٠-١٢٢ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٣١٠/٣-٣١٤ . وشذرات الذهب لابن العماد ٣٠٢/٢ .

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٢٦٨/٧ رقم (٢٣٩٦) .

(٤) هو القاضي أبو السائب عتبة بن عبيد الله بن موسى بن عبيد الله الهمذاني عنى بفهم القرآن وكتب الحديث والفقه ، كان من فقهاء الشافعية تولى القضاء في أذربيجان وفي همذان في العراق ، توفي ببغداد عام ٣٥١هـ .

انظر : ترجمته في تاريخ بغداد ٣٢٠/١٢-٣٢٢ والمنتظم لعبد الرحمن بن الجوزي ٥/٧-٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان . وطبقات السبكي ٣٤٣/٣-٣٤٤ ، والبداية والنهاية ٢٣٩/١١ .

(٥) انظر ترجمته في تاريخ الطبري ٢٧١/٩-٢٧٦ ، والكامل لابن الأثير ٣١٦/٥-٣١٧ ، والبداية والنهاية ٦/١١ .

(٦) طبرستان : بفتح أوله وثانيه وكسر الراء ، وهي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم والنسبة إلى هذا الموضع (الطبري) ومن أشهر مدنها دهستان ، وجرجان ، واستراباد ، وآمل وغير ذلك .

انظر : معجم البلدان ١٧/٦ .

﴿وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة النور : ٢٦] فإن كانت عائشة خبيثة فالنبي خبيث، فهو كافر، فاضرب عنقه ، فضربوا عنقه وأنا حاضر"[١].

وروي عن محمد بن زيد أخ الحسن بن زيد أنه قدم عليه رجل من العراق ، فذكر عائشة بسوء ، فقام إليه بعمود فضرب به دماغه فقتله ، فقيل له : هذا من شيعتنا ومن يتولانا فقال هذا سمي جدي قرنان[٢]، ومن سمي جدي قرنان استحق القتل ، فقتله "[٣].

وهذا قول الجمهور ، قال ابن موسى[٤]:" ومن سب السلف من الروافض فليس بكفؤ ولا يزوج، ومن رمى عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه فقد مرق من الدين ، ولم ينعقد له نكاح على مسلمة إلا أن يتوب ويظهر توبته[٥].

قال الإمام أحمد رحمه الله :" من شتم أصحاب النبي ﷺ لا نأمن أن يكون مرق عن الدين"[٦].

وقال طلحة بن معرف :" الرافضة لا تنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم لأنهم أهل ردة"[٧].

وقد قطع طائفة من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم بقتل من سب الصحابة وكفر الرافضة "[٨].

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٢٦٨/٧.

(٢) قرنان : بفتح القاف على وزن فعلان – وهو نعت سوء في الرجل – وهو الذي يتغافل عن فجور امرأته وابنته وأخته وقرابته، وهو المسمى بالديوث .

انظر : شرح الشفا للملا قاري ٤٣٦/٢ ، والمعجم الوسيط ٧٣١/٢ .

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٢٧٠/٧.

(٤) هو القاضي أبو علي محمد بن أحمد بن أبي موسى الهاشمي (ت:٤٢٨هـ) من كبار الفقهاء ، ولي قضاء الكوفة ، شرح مختصر الخرقي وله الإرشاد في المذهب .

انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٣٥٤/١ ، وطبقات الحنابلة ١٨٢/٢-١٨٦ ، والمنتظم ٩٣/٨ .

(٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول ١٠٥٨/٣ .

(٦) رواه الخلال في السنة ، ص ٤٩٣ .

(٧) رواه بن بطة في الشرح والإبانة ، ص ١٦١ .

(٨) حاشية ابن عابدين ، ص ٣٥٩ .

قال محمد بن يوسف الفريابي رحمه الله[1] ، وسئل عن من شتم أبا بكر ، قال :" كافر ، قيل: فيصلى عليه ؟ قال : لا وسأله : كيف يصنع به وهو يقول لا إله إلا الله ؟ قال : لا تمسوه بأيديكم أدفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته ".

ووجه بن قدامة قول الفريابي فقال : " ووجه ترك الصلاة عليهم ، فلا يصل عليهم أنهم يكفّرون أهل الإسلام ، ولا يرون الصلاة عليهم ، فلا يصلى عليهم كالكفار من أهل الذمة وغيرهم ولأنهم مرقوا من الدين فأشبهوا المرتدين "[2].

وقال أحمد بن يونس [3]:" لو أن يهودياً ذبح شاة وذبح رافضي لأكلت ذبيحة اليهودي، و لم آكل ذبيحة الرافضي ؛ لأنه مرتد عن الإسلام "[4].

قال الخرشي :" إن رمي عائشة بما برأها الله منه بأن قال زنت أو أنكر صحبة أبي بكر أو إسلام العشرة أو إسلام جميع الصحابة ، أو كفر الأربعة ، أو واحد منهم كفر "[5].

وعلل العدوي ذلك في حاشيته على الخرشي ، لأن إسلام الصحابة صار معلوماً من دين الله بالضرورة "[6].

وقال أبو بكر بن العربي : " إن أهل الإفك رموا عائشة المطهرة بالفاحشة فبرأها الله ، فكل من سبها بما برأها الله منه فهو مكذب لله ، ومن كذب الله فهو كافر ، فهذا طريق قول

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن واقد الفريابي ، (١٢٠-٢١٢) ، إمام حافظ علم من أعلام الإسلام ثقة فاضل. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٥٣٥/٩ ، والتاريخ الكبير ٢٦٤/١-٢٦٥ ، والجرح والتعديل ١١٩/٨ ، والتقريب ٢٢١/٢ .

(٢) انظر : المغني مع الشرح الكبير ٦٥/١٠ .

وقول الفريابي رواه الخلال في كتاب السنة ، ص ٤٩٩ .

ورواه ابن بطة في الشرح والإبانة ، ص ١٦٠.

(٣) هو أبو عبد الله أحمد بن عبد الله بن يونس التميمي اليربوعي الكوفي (١٣٢هـ- ٢٢٧هـ) إمام حافظ روى عنه البخاري ومسم ، توفي في الكوفة .

انظر : التاريخ الكبير ٥/٢ ، والجرح والتعديل ٥٧/٢ ، والتهذيب ٥٠/١-٥١ ، والتقريب ١٩/١ .

(٤) رواه اللاكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٤٥٩/٨ .

(٥) حاشية الخرشي على مختصر خليل ٧٤/٧ .

(٦) المرجع السابق ٧٤/٧.

مالك وهي سبيل الأئمة لأهل البصائر ولو أن رجلاً سب عائشة بغير ما برأها الله منه لكان جزاؤه الأدب "(١).

وقد مر الكلام على حكم الطعن فيها ﵂ بغير القذف وبيان الراجح .

وقال ابن قدامة المقدسي : " ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء أفضلهن خديجة بنت خويلد وعائشة الصديقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة ومن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم "(٢).

وقال النووي في صدد تعداده الفوائد التي اشتمل عليها حديث الإفك :" الحادية والأربعون ، براءة عائشة ﵂ من الإفك وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز ، فلو تشكك فيها إنسان والعياذ بالله صار كافراً مرتداً بإجماع المسلمين ، قال ابن عباس وغيره : (لم تزن امرأة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وهذا إكرام من الله تعالى لهم)(٣).

وقد حكى العلامة ابن القيم اتفاق الأمة على كفر قاذف عائشة ﵂ حيث قال : " واتفقت الأمة على كفر قاذفها "(٤).

وقال الحافظ ابن كثير ﵀ عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾[سورة النور : ٢٣] قال:" أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فإنه كافر لأنه معاند للقرآن "(٥).

وقال بدر الدين الزركشي ﵀ :" من قذفها ﵂ فقد كفر لتصريح القرآن الكريم ببراءتها"(٦).

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٣٥٦/٣ .

(٢) لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي ، ص ٢٩ .

(٣) شرح مسلم للإمام النووي ١١٧/١٧-١١٨ .

(٤) زاد المعاد لابن القيم ١٠٦/١ .

(٥) تفسير القرآن العظيم ٧٦/٥ .

(٦) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ، ص ٤٥ .

وقال السيوطي رحمه الله عند آيات سورة النور التي نزلت في براءة عائشة رضي الله عنها من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ...﴾ الآيات ، قال :" نزلت في براءة عائشة رضي الله عنها فيما قذفت به ، فاستدل الفقهاء على أن قاذفها يقتل لتكذيبه لنص القرآن ، قال العلماء :" قذف عائشة كفر لأن الله سبح نفسه عند ذكره[1] فقال سبحانك هذا بهتان عظيم ، كما سبح نفسه عند ذكر ما وصفه به المشركون من الزوجة والولد "[2].

وعلى هذا فهذه الأقوال المتقدمة عن كبار الأئمة كلها فيها بيان واضح أن الأمة مجتمعة على أن من سب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقذفها بما رماها به أهل الإفك فإنه كافر حيث كذب الله فيما أخبر به من براءتها وطهارتها رضي الله عنها ، وأن عقوبة هذا الطاعن أن يقتل مرتداً عن ملة الإسلام .

وأما من قذف سائر أمهات المؤمنين ، فهل يكفر أم لا : على قولين أصحهما أنه يكفر.

والقول الآخر : أنه لا يكفر ، وقالوا : إن القرآن قد شهد ببراءة عائشة رضي الله عنها ، فمن خالف ذلك فأنكره ، فهو مكذب للقرآن ، ومن ثم فهو كافر بالله تعالى ، ولم يرد مثل هذا في بقية أمهات المؤمنين والجواب على ذلك أن يقال : المقذوفة زوج رسول الله ﷺ والله تعالى إنما غضب لها ، لأنها زوج رسول الله ﷺ فهي وغيرها منهن سواء [3].

كما أن جميع أمهات المؤمنين فراش للنبي ﷺ ، والوقيعة في أعراضهن تنقيص ومسبة للنبي ﷺ ، ومن المعلوم أن سب المصطفى ﷺ كفر وخروج عن الملة بالإجماع [4].

وقد اختار القول الأول جمع من المحققين ، كالقاضي عياض[5]، وابن تيمية[6]، والسبكي[7]، وغيرهم .

---

(١) يعني قصة الإفك (يعود عليها الضمير) .

(٢) الإكليل في استنباط التنزيل ، ص ١٩٠ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٩٢/٨ .

(٤) فتاوى السبكي ٥٩٢/٢ ، وطرح التثريب للعراقي ٦٩/٨ .

(٥) الشفا ١١١٣/٢ ..

(٦) الصارم المسلول ١٠٥٤/٣ .

(٧) فتاوى السبكي ٥٩٢/٢ .

ويقول ابن تيمية :" والأصح أن من قذف واحدة من أمهات المؤمنين فهو كقذف عائشة رضي الله عنها ؛ لأن هذا منه عار وغضاضة على رسول الله ﷺ وأذى له من أذاه بنكاحهن "[1].

ويدل على هذا قوله تعالى : (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) [سورة النور : ٢٣]، فهذه الآية الكريمة في أزواج النبي ﷺ خاصة في قول كثير من أهل العلم كما جاء عن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية إنما نزلت فيمن يقذف عائشة وأمهات المؤمنين ، وكذا روي عن أبي الجوزاء ، والضحاك، والكلبي ، وغيرهم[2].

يقول ابن تيمية عن هذه الآية : " لما كان رمي أمهات المؤمنين أذى للنبي ﷺ فلعن صاحبه في الدنيا والآخرة ، ولهذا قال ابن عباس : ليس له توبة ؛ لأن مؤذي النبي ﷺ لا تقبل توبته إذا تاب من القذف حتى يسلم إسلاماً جديداً ، وعلى هذا فرميهن نفاق مبيح للدم إذا قصد به أذى النبي ﷺ ، أو أذاهن بعد العلم بأنهن أزواجه في الآخرة "[3]. والله أعلم .

---

(١) الصارم المسلول ١٠٥٤/٣ .

(٢) تفسير الطبري ٢٧٤/١٨ . ابن كثير ٢٦٨/٣ ، والدر المنثور للسيوطي ١٦٤/٦ .

(٣) الصارم المسلول ٩٩/٢ .

الفصل الثالث

لوازم الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

الفصل الثالث

لوازم الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

لقد تقرر بما سبق ذكره في الأبواب والفصول الماضية مكانة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبيان فضلها ثم حكم الطعن فيها ، ولاشك أن هذا الطعن يترتب عليه لوازم كثيرة ، ذكرها أهل العلم ومن أهمها ما يلي :

١. من لازم ذلك تكذيب القرآن الكريم وإنكار ما تضمنته الآيات القرآنية من تبرئتها وتزكيتها والثناء عليها الثناء الحسن الجميل هي وسائر أمهات المؤمنين بل وكل الصحابة فهم جميعاً عدول بشهادة الله لهم .

ولذا يقول ابن تيمية رحمه الله :" إن الله سبحانه رضي عنهم مطلقاً بقوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٠] فرضي عن السابقين من غير اشتراط إحسان ، ولم يرض عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان"(١) .

ويقول ابن حجر الهيتمي في قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [سورة الفتح : ١٨] : " فصرح الله تعالى برضاه عن أولئك وهم ألفاً ونحو أربعمائة، ومن رضي عنه تعالى لا يمكن موته على الكفر ، لأن العبرة بالوفاة على الإسلام ، فلم يقع الرضا منه تعالى على من علم موته على الإسلام ، وأما من علم موته على الكفر ، فلا يمكن أن يخبر الله تعالى بأنه رضي عنه ، فعلم أن كلا من هذه الآية ومن قبلها صريح في رد ما زعمه وافتراه أولئك الملحدون الجاحدون حتى للقرآن العزيز ، إذ يلزم من الإيمان به والإيمان بما فيه، وقد علمت أن الذي فيه أنهم خير الأمم ، وأنهم عدول خيار، وأن الله لا يخزيهم وأنه رضي عنهم ، فمن لم يصدق بذلك منهم فهو مكذب لما في القرآن ن ومن كذب بما فيه ممالا يحتمل التأويل كان كافراً جاحداً ملحداً مارقاً "(٢).

---

(١) الصارم المسلول ٣/ ١٠٦٧ سير أعلام النبلاء للذهبي ٥/ ١١٧ .

(٢) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ص ٣١٦ .

وقد استنبط بعض الأئمة من نصوص قرآنية كفر من سب الصحابة ﷺ أجمعين.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام : " لا حظ للرافضي في الفيء والغنيمة لقول الله حين ذكر آية الفيء في سورة الحشر فقال﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ الآية" (١).

وقال الإمام مالك بن أنس : "من تنقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ، أو كان في قلبه غل، فليس له حق في فيء المسلمين، ثم تلا قوله تعالى﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ حتى أتى قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة الحشر: ٧- ١٠] ، فمن تنقصهم أو كان في قلبه عليهم غل ، فليس له من الفيء حق"(٢) .

وقيل للإمام مالك إن رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ حتى بلغ ﴿ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ ﴾ [سورة الفتح : ٢٩] فقال مالك : "من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته الآية "(٣) .

قال القرطبي معلقاً على قول الإمام مالك : " لقد أحسن مالك في مقالته ، وأصاب في تأويله ، فمن تنقص واحداً منهم أو طعن عليه في روايته ، فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين" (٤).

---

(١) السنة للخلال ص ٤٩٨ .

(٢) الحلية لأبي نعيم ٦/ ٣٢٧ .

والسنة للخلال ص ٤٩٣.

وأصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٧/ ١٢٦٨ .

(٣) الحلية لأبي نعيم ٦/ ٣٢٧ .

وطبقات الحنابلة ١/ ٢٥٩ .

(٤) تفسير القرطبي ١٦/ ٢٩٦ – ٢٩٧ .

وأنبه هنا إلى أن قول الإمام مالك رحمه الله :" من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته الآية " إنما يحمل على غيظ سببه ما كان عليه الصحابة من الإيمان والقوة والكثرة ، قال تعالى ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [سورة الفتح: ٢٩]

فكثرهم الله تعالى وقواهم ليكونوا غيظاً للكافرين ، فمن غاظه حال الصحابة رضي الله عنهم لإيمانهم فهو كافر ! ، وكمن سبهم طعناً في دينهم وعدالتهم ، وأما إن وقع الغيظ من غير هذه الجهة ، فليس بكفر ، فقد جرى حروب بين الصحابة ، ووقع من بعضهم غيظاً وبغضاً لبعض، ومع ذلك لم يحكم بعضهم على بعض بكفر أو نفاق .

وتوضيحاً لذلك نورد ما قاله العيني ، ونقله عنه القرطبي صاحب المفهم عند شرحه لحديث : (آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار) حيث يقول العيني :" المقصود من الحديث الحث على حب الأنصار ، وبيان فضلهم لما كان منهم من إعزاز للدين وبذل الأموال والأنفس والإيثار على أنفسهم والإيواء والنصر وغير ذلك ... فحبهم لذلك المعنى محض الإيمان وبغضهم محض النفاق".

وقال القرطبي : "وأما من أبغض والعياذ بالله أحداً منهم من غير تلك الجهة لأمر طارئ من حدث وقع لمخالفة غرض ، أو لضرر ونحوه ، لم يصر بذلك منافقاً ولا كافراً ، فقد وقع بينهم حروب ومخالفات ، ومع ذلك لم يحكم بعضهم على بعض بالنفاق ، وإنما كان حالهم في ذلك حال المجتهدين في الأحكام "(١) .

(١) عمدة القارئ ١/ ١٧٣ بتصرف ، وفتح الباري ١/٦٣ .

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب : " فمن سبهم فقد خالف أمر الله من إكرامهم ، ومن أعتقد السوء فيهم كلهم أو جمهورهم فقد كذّب الله تعالى فيما اخبر من كمالهم وفضلهم ومكذبه كافر "(١).

وإذا تقرر أن سب الصحابة ﷺ تكذيب للقرآن الكريم ، فإن القول بكفر جمهور الصحابة ﷺ ، أو فسقهم يؤول إلى الشك في القرآن الكريم والطعن في ثبوته وحفظه ، لأن الطعن في النقلة طعن في المنقول ، ولذا فإن الرافضة لما كفروا جمهور الصحابة ، أتبعوا ذلك بدعوى تحريف القرآن الكريم وتبديله ، هذا مع دخول أم المؤمنين عائشة ﵂ جملة في هذه النصوص لأنها من الصحابيات فكيف وهي زوجة رسول الله ﷺ وبنت أحب الخلق إليه ﵄، وكيف وقد وردت نصوص صريحة واضحة قطعية الدلالة في تبرئتها في سورة النور وبأنها اختارت الله ورسوله في التحريم والأحزاب وغير ذلك من القرآن .

فمن لوازم الطعن فيها ﵂ التكذيب بهذه الآيات الواضحة ومن أولها أو لوى عنقها في التأويل فمردود عليه أو قال أنها فعلت وفعلت بعد موت النبي ﷺ فقد مر الكلام على هذا بما فيه الكفاية لمن أراد الحق ، ومرّ أيضاً أن الله برأها وأثنى عليها وهو يعلم أنها ستفعل ذلك كما تقدم وهذه أخبار لا أحكام والأخبار لا يدخلها النسخ ، فهي زوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة ومن طعن فيها فقد كذّب القرآن .

٢. إن الطعن في أم المؤمنين عائشة ﵂ أو أحد الصحابة يستلزم نسبة الجهل إلى الله تعالى ، أو العبث في تلك النصوص الكثيرة التي تقرر الثناء الحسن على الصحابة وتزكيتهم .

ويبين ذلك الشيخ محمد العربي المغربي حيث يقول : " كيف يؤمن بنصوص القرآن من يكذّب بوعده تعالى لهم بالحسنى ، وبإعداده لهم المنازل الرفيعة في الجنة وبرضاه عنهم ، ورضاهم عنه بزعمه أنهم قد كفروا وارتدوا عن الإسلام فعقيدة هذه الطائفة [أي الرافضة] في جل سادات هذه الأمة لا تخرج عن أمرين ، إما نسبة الجهل إليه تعالى ، أو العبث في هذه النصوص التي أثنى بها على الصحابة - رضوان الله عليهم- وتقدس ربنا وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وكلاهما مصيبة كبرى ، وذلك لأنه تعالى إن كان

(١) رسالة في الرد على الرافضة لمحمد بن عبدالوهاب ص ١٧.

عالماً بأنهم سيكفرون فيكون وعده لهم بالحسنى ورضاه عنهم عبثاً ، والعبث في حقه تعالى محال ، ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴾ [سورة الدخان : ٣٨] ، وإن كان الله تعالى غير عالمٍ بأنهم سيكفرون ومع ذلك أثنى عليهم ووعدهم بالحسنى فهو جهل ، والجهل عليه تعالى محال ، ولا خلاف بين كل من يؤمن بالقرآن وله عقل سليم أن نسبة الجهل أو العبث إليه تعالى كفر بواح"(١) .

٣. ومن طعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أو أحداً من الصحابة رضي الله عنهم أو رماهم بالكفر أو الفسق فلازم ذلك أن فيه تنقص لرسول الله ﷺ وأذية له صلوات الله وسلامه عليه لأنهم أصحابه الذين رباهم وزكاهم ، ومن المعلوم أن تنقص رسول الله ﷺ كفر وخروج عن الملة (٢) .

وكذلك يعظم الأمر ويزداد هذا اللازم إذا كان الطعن في أم المؤمنين فهي حبيبة رسول الله ﷺ وزوجه وفراشه .

أخرج الخطيب البغدادي بسنده : عن أبي زرعه(٣) قال : " إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فأعلم أنه زنديق وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح والتعديل بهم أولى وهم زنادقة "(٤) .

وهكذا فمن أشنع أنواع الطعن والسب : أن يقذف إحدى أمهات المؤمنين ، لما في الوقيعة في أعراضهن من التنقص والمسبة لرسول الله ﷺ كما مر .

ساق اللالكائي بسنده أن الحسن بن زيد ... : "ولما ذكر رجل بحضرته عائشة بذكر قبيح من الفاحشة ، فأمر بضرب عنقه فقال له العلويون : هذا رجل من شيعتنا : فقال

---

(١) إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة ص ٧٥ باختصار .

(٢) انظر أصول اعتقاد أهل السنة ٧/ ١٢٣٨، وحاشية المحقق وفتاوى السبكي ٢/ ٥٧٥ ، والرد على الرافضة للشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ٨ .

(٣) هو أبو زرعه بن عبدالكريم الرازي الإمام الحافظ نشأ في الري ، له رحلات ومؤلفات جمة ، من أحفظ الناس للحديث، وأعلمهم به وكان صاحب زهد وعبادة توفي سنة ٢٦٤هـ.

انظر طبقات الحنابلة ١/ ١٩٩ وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٦٥ .

(٤) الكفاية في علم الرواية ، للخطيب البغدادي ص ٦٣، ٦٤ .

معاذ الله هذا رجل يطعن على النبي ﷺ فإن الله ﷻ قال ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [سورة النور : ٢٦]، فإذا كانت عائشة خبيثة فالنبي ﷺ خبيث - حاشاه ﷺ فهو أطهر الخلق وأهل بيته - وعليه فمن قال ذلك فهو كافر أضربوا عنقه ، فضربوا عنقه "(١) .

وجاء عن محمد بن زيد لما قدم عليه رجل من العراق ينوح بين يديه فذكر عائشة بسوء فقام إليه بعمود وضرب به دماغه فقتله ، فقيل له : " هذا من شيعتنا وممن يتولانا ، فقال : هذا سمى جدي قرنان استحق عليه القتل فقتله "(٢) .

ولذا فإن هذا أذى للنبي ﷺ وحط لمكانته ﷺ وانتقاص له ﷺ ، لأنها زوجته وأحب أزواج رسول الله ﷺ وهذا الإيذاء كفر .

وقال الإمام مالك : " إنما هؤلاء أرادوا القدح في النبي عليه الصلاة والسلام ، فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين ... "(٣).

٤. بل ومن لوازم ذلك تكذيب النبي ﷺ وحاشاه فهو الصادق الأمين وهو الذي أثنى عليه ربه تبارك وتعالى .

والنبي ﷺ قد أصطفى الله تعالى له زوجاته لأنه نبي والطعن في خلق أزواجه وعلى وجه الخصوص أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها طعن في خلقه ﷺ وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم : ٤] .

٥. ومن لوازم الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الطعن في الدين ، وهدم الشريعة ، ورد للكثير من السنة وذلك لعدم توافر النقل المأمون لها ، لأن الطعن في الراوي طعن في

---

(١) أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي وتقدم تخريجه ص ٥٥٦ .

(٢) المرجع السابق وتقدم تخريجه ص ٥٥٦.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/ ٤٢٩ ، ومنهاج السنة ٧/٤٥٩ .

المروي إذا لم يورده غيره ، وعليه يترل قول أبي زرعه الرازي المشهور الذي مرّ ذكره قبل قليل.

ولكن هذا الطعن في أم المؤمنين عائشة ﵂ طعن في جل أحكام المرأة والشريعة على وجه العموم لأنها نقلت لنا الكثير في هذا الباب لقربها وعلو مكانتها وشأنها من النبي ﷺ، فأي طعن وقدح في احد من الصحابة فهو قدح فيما اخبر به ورواه عن سيد البشرﷺ .

وإليك هذه القصة التي تبين ذلك :

قال عمر بن حبيب(1) : حضرت مجلس هارون الرشيد ، فجرت مسألة تنازعها الحضور، وعلت أصواتهم فاحتج أحدهم بحديث رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ، فدفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصومة ، حين قال قائلون منهم : لا يقبل هذا الحديث على رسول الله ﷺ ، لأن أبا هريرة متهم فيما يرويه ، وصرحوا بتكذيبه، ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ونصر قولهم ، فقلت أنا ، هذا الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ ، وأبو هريرة صحيح النقل ، صدوق فيما يرويه عن النبي ﷺ وغيره ، فنظر إلىّ الرشيد نظر المغضب ، وقمت من المجلس ، فانصرفت إلى مترلي ، فلم ألبث حتى قيل صاحب البريد بالباب فدخل فقال لي : أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول وتحنّط وتكفن، فقلت : اللهم إنك تعلم أني دفعت عن صاحب نبيك وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه فسلمني منه ، فأدخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي من ذهب ، حاسر عن ذراعية وبيده السيف ، وبين يديه النطع ، فلما بصر بي قال لي : يا عمر بن حبيب ، ما تلقاني أحد من الرد والدفع لقولي بمثل ما تلقيتني به ، فقلت ، يا أمير المؤمنين إن الذي قلته وجادلت عنه فيه ازدراء على رسول الله ﷺ وعلى ما جاء به ، إذا كان أصحابه كذابين ، فالشريعة باطلة والفرائض والأحكام في الصيام والصلاة

---

(1) عمر بن حبيب العدوي البصري ، ولي قضاء البصرة ومات بها سنة ٢٠٧هـ.

انظر سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٩٠ ، شذرات الذهب ٢/ ١٧ .

والطلاق والنكاح والحدود كلها مردود غير مقبول ، فرجع إلى نفسه ، ثم قال : أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم)(١) .

وقال ابن عقيل الحنبلي في هذا المقال :" الظاهر أن من وضع مذهب الرافضة قصد الطعن في أصل الدين والنبوة ، وذلك أن الذي جاء به رسول الله ﷺ أمر غائب عنا ، وإنما نثق في ذلك بنقل السلف ، وجودة نظر الناظرين إلى ذلك منهم ...".

فإذا قال قائل :" إنهم أول ما بدأوا بعد موته بظلم أهل بيته في الخلافة وابنته في إرثها ، وما هذا إلا لسوء اعتقاد في المتوفى ، فإن الاعتقادات الصحيحة سيما في الأنبياء توجب حفظ قوانينهم بعدهم لاسيما في أهليهم وذريتهم ، فإذا قالت الرافضة : إن القوم استحلوا هذا بعده خابت آمالنا في الشرع لأنه ليس بيننا وبينهم إلا النقل عنهم والثقة بهم ، فإذا كان هذا محصول ما حصل لهم بعد موته خبنا في المنقول وزالت ثقتنا فيما عولنا عليه من إتباع ذوي العقول ولم نأمن أن يكون القوم لم يروا ما يوجب إتباعه ، فراعوه مدّة الحياة وانقلبوا عن شريعته بعد الوفاة ، ولم يبق على دينه إلا الأقل من أهله فطاحت الاعتقادات وضعفت النفوس عن قبول الروايات في الأصل ، فهذا من أعظم المحن على الشريعة "(٢) .

وقال الذهبي رحمه الله :" فمن طعن فيهم أو سبهم ، فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين ، لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم ، وإضمار الحقد فيهم ،وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم ، وما لرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم وبيان فضائلهم ومناقبهم وحبهم ... (وأم المؤمنين على وجه الخصوص) .. إلى أن قال والطعن في الوسائط طعن في الأصل ، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول ، وهذا ظاهر لمن تدبره، وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته ....." (٣)

---

(١) سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٩٠ وتهذيب الكمال ٢١/ ٢٩٠ تحقيق د/ رشاد عواد وأورده القرطبي في تفسيره ١٦/ ٢٩٩ وقال (فمن نقص واحداً منهم أو طعن عليه روايته فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين) (الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٩٧ .

(٢) تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ص ١٠٧، ١٠٨ .

(٣) الكبائر للذهبي ص ٢٨٥ .

ويوضح العلامة محمد صديق حسن خان [1] أن الطعن في أم المـؤمنين أو أحـد مـن الصحابة وأن منكر الروافض منكر عظيم فيقول :" والعجب كل العجب من علمـاء الإسلام وسلاطين هذا الدين كيف تركوهم (أي الرافضة) على هذا المنكر البـالغ في القبح إلى غايته ونهايته ، فإن هؤلاء المخذولين لما أرادوا رد هـذه الـشريعة المطهـرة ومخالفتها ، طعنوا في أعراض الحاملين لها ، الذين لا طريق لنا إليها إلا من طـريقهم ، واستدل أهل العقول الضعيفة والإدراكات الركيكة بهذه الذريعة الملعونـة والوسـيلة الشيطانية ، فهم يظهرون السب واللعن لخير الخليقة ، ويضمرون العناد للشريعة ورفـع أحكامها عن العباد"[2] .

٦. ومن لوازم الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على وجه الخصوص ، تضليل الأمة المحمدية ويتضمن أن الأمة شر الأمم وأن سابقي هذه الأمة شرارها ، وأن زوجة نبيها مطعـون فيها وكون هذا كفر مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام [3] .

كما أن الطعن فيها رضي الله عنها إنكار لما قام الإجماع عليه قبل ظهور المخالف مـن فـضلهم وشرفهم ومصادمة للنصوص المتواترة من الكتاب والسنة في بيان علو مقامهم وعظـيم شأنهم .

فهذه اللوازم الواحدة منها كافية لكونها ناقض من نواقض الإيمان ومحادة لله ورسـوله وطعن على خاتم النبيين محمد ﷺ .

(١) محمد صديق بن حسن الحسيني البخاري القنوجي ، عالم ، أمير نشأ في الهند ، شارك في أنواع من العلوم ، وله مؤلفات كثيرة ، توفي سنة ١٣٠٧هـ.

انظر التاج المكلل ص ٥٤١ ، ومعجم المؤلفين ١٠/ ٩٠ .

(٢) الدين الخالص لمحمد صديق حسن خان ٣/٤٠٤ .

(٣) الصارم المسلول ٣/ ١١١١، والإعلام بقواطع الإسلام لأحمد بن حجر الهيتمي ، ص ٣٨٠ ، مطبعة منصور محمد أفندي .

الباب التاسع

منهج شيخ الإسلام ابن تيمية وأئمة الدعوة في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وفيه فصلان

الفصل الأول

منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

الفصل الثاني

منهج أئمة الدعوة في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

الفصل الأول

منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

الفصل الأول

منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

مما لا شك فيه أن شيخ الإسلام ابن تيمية علم من أعلام الهدى - أهل السنة والجماعة- في العلم والعمل وقد عرف عنه تجرده وصدقه وتحريه للحق وخير شاهد على ذلك: كتبه ورسائله وفتاواه التي بين أيدينا وشهادة العلماء المنصفين له ، قديماً وحديثاً .

ولما كان علم (الفرق والأهواء المنتسبة للإسلام) قائماً على ذكر مقالات بل هو حكاية لتلك المقالات كما هي عند القائلين بها كان لابد لمن يصنف فيه من توافر هذه الصفات المتمثلة في الصدق والأمانة والتجرد وتحري الحق وبيانه .

وإضافةً إلى اتصاف شيخ الإسلام بالصفات السالفة الذكر ، فإنه كان ذا علم غزير واطلاع واسع على مقالات وآراء تلك الفرق والأشخاص التي عرض لها في ثنايا مؤلفاته أو في معرض مناظراته لأصحاب تلك الفرق .

وقد اعترف له بذلك العدو قبل الصديق بل كان في كثير من الأحيان أعلم بمذاهب أهل الباطل من أهل الباطل أنفسهم [١] وبهذا تمكن من إبطال أقوالهم بالعقل والنقل .

والمطالع لمؤلفات شيخ الإسلام يجد أكثرها ردوداً على أهل الأهواء والبدع والملل والإلحاد كالدهرية والقدرية والجهمية والمعتزلة والشيعة وغيرهم من الملل والنحل ولما سئل عن سبب ذلك ذكر أن أهل البدع والضلالات والأهواء قد ركزوا حربهم الشعواء على أصول هذا الدين القويم بقصد التشكيك فيها وإبطال الشريعة المحمدية ، ولما كان الأمر كذلك رأى أنه من الواجب على كل من يلمس في نفسه القدرة على رد شبههم وإبطالها ، أن يبذل قصارى جهده ذباً عن الملة الحنيفية والسنة الصحيحة الجلية [٢] .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ٣/ ١٦٣ ، ١٨٤ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ١/ج- د

ولا شك أن شيخ الإسلام قام بهذا الواجب حق القيام وكتبه خير شاهد على ذلـــك .

ومن الأمور العظام التي إنبرا لها هذا الإمام بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في أمهات المـــؤمنين عامة وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خاصة والرد على المخالفين فيها وذلك بحكاية أقـــوالهم ثم الـــرد عليها بالتفصيل وعلى رأس هؤلاء الشيعة الرافضة فقد أفرد هذا الإمام مؤلفاً كاملاً للرد عليهم وبيان باطلهم بالتفصيل مستنداً في ذلك على نصوص الوحيين الكتاب والسنة على فهم سلف هذه الأمة المشهود لها بالخيرية (وهو كتاب منهاج السنة النبوية).

وفي هذا الفصل سأوضح منهج هذا الإمام في رده على المخالف ، وذلك من خـــلال عرض أهم الملامح التي تميز بها منهجه في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في النقاط التالية:

١- بيانه أن قول أهل السنة لا يتناقض لأنه ينبني على الكتاب والسنة بخلاف أقوال الرافضة لأنه يجمع بين الجهل والكذب والتناقض.

وهذا المنهج نص عليه عند رده على قول الرافضي: أن النبي ﷺ قال لهـــا " أنـــك تقاتلين علياً وأنت ظالمة له " وأنها خالفت أمر الله في قولـــه تعـــالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٣] وخرجت في ملأ من الناس ، وقاتلت عليـــاً رضي الله عنهما حيث بدأ ببيان أن أهل السنة في هذا الباب وغيره قائمون بالقسط شـــهداء لله ، وقولهم حق وعدل لا يتناقض ، أما الرافضة وغيرهم من أهل البـــدع ففـــي أقوالهم من الباطل والتناقض ما ننبه – إن شاء الله– على بعضه [(١)] حيث قال "وإذا كان هذا أصلهم فيقولون : ما يذكر عن الصحابة من السيئات كثير منه كـــذب، وكثير منه كانوا مجتهدين فيه ، ولكن لم يعرف كثير من الناس وجه اجتـــهادهم ، وما قدِّر أنه كان فيه ذنب من الذنوب لهم فهو مغفور لهم ، إمـــا بتوبـــة ، وإمـــا بحسنات ماحية ، وإما بمصائب مكفرّة ، وإما بغير ذلك ، فإنه قد قام الدليل الذي يجب القول بموجبه : إنهم من أهل الجنة ، فأمتنع أن يفعلوا ما يوجب النار لا محالة ،

(١) منهاج السنة ٣١٠/٤ .

وإذا لم يمت أحد منهم على موجب النار لم يقدح ما سوى ذلك في استحقاقهم للجنة .

ونحن قد علمنا أنهم من أهل الجنة ، ولو لم يُعلم أن أولئك المعنيين في الجنة لم يجز لنا أن نقدح في استحقاقهم للجنة بأمور لا نعلم أنها توجب النار ، فإن هذا لا يجوز في آحاد المؤمنين الذين لم يعلم أنهم يدخلون الجنة ، ليس لنا أن نشهد لأحد منهم بالنار لأمور محتملة لا تدل على ذلك ، فكيف يجوز مثل ذلك في خيار المؤمنين ، والعلم بتفاصيل أحوال كل واحد منهم باطناً وظاهراً ، وحسناته وسيئاته واجتهاداته ، أمر يتعذر علينا معرفته ؟ فكان كلامنا في ذلك كلاماً بما لا نعلمه ، والكلام بلا علم حرام ، فلهذا كان الإمساك عما شجر بين الصحابة خيراً من الخوض في ذلك بغير علم بحقيقة الأحوال ، إذا كان كثير من الخوض في ذلك – أو أكثره – كلاماً بلا علم ، وهذا حرام لو لم يكن فيه هوى ومعارضة الحق المعلوم ، فكيف إذا كان كلاماً بهوى يطلب فيه دفع الحق المعلوم ؟ وقد قال النبي ﷺ : (القضاة ثلاثة : قاضيان في النار وقاض في الجنة : رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ، ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار)[1] فإذا كان هذا في قضاء بين أثنين في قليل المال أوكثيرة ، فكيف بالقضاء بين الصحابة في أمور كثيرة ؟

فمن تكلم في هذا الباب بجهل أو بخلاف ما يعلم من الحق كان مستوجباً للوعيد ، ولو تكلم بحق لقصد إتباع الهوى لا لوجه الله تعالى ، أو يعارض به حقاً آخر لكان أيضاً مستوجباً للذم والعقاب .

---

(١) رواه أبو داود – كتاب الأقضية – باب القاضي يخطئ ٤/٥ رقم (٣٥٧٣) وقال: وهذا أصح شيء فيه.
والترمذي – كتاب الحكام – باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق ٢/٧٧٦ رقم (٢٣١٥).
وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤/١٥١.

ومن علم ما دل عليه القرآن والسنة من الثناء على القــوم ، ورضـــا الله عنـــهم واستحقاقهم للجنة، وأهم خير هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجـــت للنـــاس ، لم يعارض هذا المتيقَّن المعلوم بأمور مشتبهة ، منها ما لا يعلم صحته ، ومنها ما تــبين كذبه ، ومنها ما لا يعلم كيف وقع ، ومنها ما يعلم عذر القوم فيه ،ومنها ما يعلم بتوبتهم منه ، ومنها ما يعلم أن لهم من الحسنات ما يغمره ، فمن سلك سبيل أهل السنة استقام قوله ، وكان من أهل الحق والاستقامة والاعتدال ، وإلا حـــصل في جهل وكذب وتناقض كحال هؤلاء الضُلّال" (١) .

وكذلك تكرر هذا المنهج عند رد الشبهة التي أثارها الرافضي وهي: دعواه أنها أذاعت سر النبي ﷺ.

حيث قال:" هؤلاء يعمدون إلى نصوص القرآن التي فيها ذكر ذنوب ومعاصي بينة لمن نصّت عنه من المتقدمين يتأولون النصوص بأنواع التأويلات ، وأهل السنة يقولون: بل أصحاب الذنوب تابوا منها ورفع الله درجاهم بالتوبة .

وهذه الآية ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [سورة التحريم: ٣] ليست بأولى في دلالتها على الذنوب من تلك الآيات ، فإن كان تأويل تلك سائغاً كان تأويل هذه كذلك ، وإن كان تأويل هذه باطلاً فتأويل تلك أبطل" (٢) .

وكذلك لو قدّر أن هناك ذنباً لعائشة وحفصة فيكونان قد تابتا منه ، وهذا ظاهر لقوله تعالى ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [سورة التحريم : ٤] ، فدعاهما الله تعالى للتوبة ، فلا يظن بهما أنهما لم يتوبا ، مع ما ثبت من علو درجتهما ، وأنهما زوجتا رسول الله ﷺ في الجنة وأن الله خيرهن بين الحياة الدنيا وزينتها وبين الله ورسوله والآخرة فاخترن الله

(١) منهاج السنة ٤/ ٣١٣ .

(٢) المرجع السابق ٣١٤/٤ .

ورسوله والدار الآخرة ولذلك حرّم الله عليه أن يتبدّل بهن غيرهن وحرّم عليه أن يتزوج عليهن وأختلف في إباحة ذلك له بعد ذلك ومات عنهن وهن أمهات للمؤمنين بنص القرآن [١] .

وقال " والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل ، لا بجهل وظلم كحال أهل البدع ، فإن الرافضة تعمد إلى أقوام متقاربين في الفضيلة ، تريد أن تجعل أحدهم معصوماً من الذنوب والخطايا ، والآخر مأثوماً فاسقاً أو كافراً ، فيظهر جهلهم وتناقضهم ، كاليهودي والنصراني إذا أراد أن يثبت نبوة موسى أو عيسى ، مع قدحه في نبوة محمد ﷺ ، فإنه يظهر عجزه وجهله وتناقضه ، فإنه ما من طريق يثبت بها نبوة موسى وعيسى وإلا وتثبت نبوة محمد ﷺ ، بمثلها أو بما هو أقوى منها ، وما من شبهة تعرض في نبوة محمد ﷺ إلا وتعرض في نبوة موسى وعيسى عليهما السلام بما هو مثلها أو أقوى منها ، وكل من عمد إلى التفريق بين المتماثلين ، أو مدح الشيء ذم ما هو من جنسه ، أو أولى بالمدح منه أو بالعكس ، أصابه مثل هذا التناقض والعجز والجهل ، وهكذا أتباع العلماء والمشايخ إذا أراد أحدهم أن يمدح متبوعه ويذم نظيره ، أو يفضل أحدهم على الآخر بمثل هذا الطريق .

فإذا قال العراقي : أهل المدينة خالفوا السنة في كذا وكذا ، وتركوا الحديث الصحيح في كذا وكذا ، واتبعوا الرأي في كذا وكذا ، مثل أن يقول عمن يقوله من أهل المدينة :أنهم لا يرون التلبية إلى رمي جمرة العقبة ، ولا الطيب للمحرم قبل الإحرام ولا قبل التحلل الثاني... ، ونحو ذلك ، ومع ما في هذه المسائل من النزاع بينهم ، فيقول المدنيون : نحن أتبع للسنة وأبعد عن مخالفتها وعن الرأي الخطأ من أهل العراق ، الذين لا يرون أن كل مسكر حرام ، ولا أن مياه الآبار لا تنجس بمجرد وقوع النجاسات..." .

ثم ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ردوداً فقهية أخرى ثم بين قول أهل العلم من أهل السنة أن الحديث الضعيف خير من الرأي ، ليس المراد به الضعف المتروك ، لكن المراد به الحسن كحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده [٢] .

---

(١)منهاج السنة ٣١٤/٤.

(٢)المرجع السابق ٢٢٨/٤-٢٤٠ .

وقال عند إيراده لدعوى الرافضة أن أم المؤمنين سألت من تولى الخلافة ؟ فقالوا : علي فخرجت لقتاله على دم عثمان فأي ذنب كان لعلي في ذلك ؟

"فيقال له أولاً : قول القائل : إن عائشة وطلحة والزبير اتهموا علياً بأنه قتل عثمان وقاتلوه على ذلك كذب بيّن ، بل إنما طلبوا القتلة الذين كانوا تحيزوا إلى علي وهم يعلمون براءة علي من دم عثمان كبراءتهم وأعظم ، ولكن القتلة قد كانوا آووا إليه ، فطلبوا قتل القتلة، ولكن كانوا عاجزين عن ذلك هم وعلي ، لأن القوم كانت لهم قبائل يذبّون عنهم .

والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء ، فصار الأكابر ﷺ عاجزين عن إطفاء الفتنة وكف أهلها . وهذا شأن الفتن كما قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [سورة الأنفال :٢٥] وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله .

وأيضاً فقوله : (أي ذنب كان لعلي في قتله ؟)

تناقض منه ، فإنه يزعم أن علياً كان ممن يستحل قتله وقاتله وممن ألب عليه وقام في ذلك ، فإن علياً ﷺ نبه إلى قتل عثمان كثير من شيعته ومن شيعته عثمان ، هؤلاء لبغضهم لعثمان وهؤلاء لبغضهم لعلي ، وأما جماهير المسلمين فيعلمون كذب الطائفتين على علي .

الرافضة تقول : إن علياً كان ممن يستحل قتل عثمان ، بل وقتل أبي بكر وعمر ، وترى أن الإعانة على قتله من الطاعات والقربات فكيف يقول من هذا اعتقاده : أي ذنب كان لعلي على ذلك ؟ وإنما يليق هذا التتريه لعلي بأقوال أهل السنة ، لكن الرافضة من أعظم الناس تناقضاً.

وأما قوله : " وكيف استجاز طلحة والزبير وغيرهما مطاوعتها على ذلك ؟ وبأي وجه يلقون رسول الله ﷺ ؟ مع أن الواحد منا لو تحدث مع امرأة غيره أخرجها من مترلها وسافر بها كان أشد الناس عداوة له) ، ثم استطرد شيخ الإسلام رحمه الله تعالى فقال :

فيقال (هذا من تناقض الرافضة وجهلهم ، فإنهم يرمون عائشة بالفاحشة ....) [١]

---

(١)منهاج السنة ٤/٣٥٢-٣٥٤.

٢- بيانه أن الرافضة كذبة يضعون الأحاديث.

حيث قال " وأما الحديث الذي رواه – المردود عليه في منهاج السنة – وهو قوله لها (تقاتلين علياً وأنت ظالمة له) فهذا لا يعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة ، ولا له إسناد معروف ، وهو بالموضوعات المكذوبات أشبه منه بالأحاديث الصحيحة ، بل هو كذب قطعاً ، فإن عائشة لم تقاتل و لم تخرج للقتال ، وإنما خرجت لقصد الإصلاح بين المسلمين ، وظنت أن في خروجها مصلحة للمسلمين ، ثم تبيّن لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى ، فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها ، وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال ، فندم طلحة والزبير وعلي ﷺ أجمعين ، و لم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في الاقتتال [١] ، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم ، فإنه لما تراسل علي وطلحة والزبير ،وقصدوا الاتفاق على المصلحة ، وأنهم إذا تمكنوا طلبوا قتلة عثمان أهل الفتنة ، وكان علي غير راضي بقتل عثمان ولا معيناً عليه ، كما كان يحلف فيقول : والله ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله ، وهو الصادق البار في يمينه ، فخشي القتلة أن يتفق عليٌّ معهم على إمساك القتلة ، فحملوا على عسكر طلحة والزبير ، فظن طلحة والزبير أن عليّاً حمل عليهم ، فحملوا دفعاً عن أنفسهم ، فظن عليّ أنهم حملوا عليه فحمل دفعاً عن نفسه ، فوقعت الفتنة بغير اختيارهم ، وعائشة ﷺ راكبة : لا قالت، ولا أمرت بالقتال هكذا ذكره غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار [٢] .

٣- بيانه مخالفة الرافضة للكتاب والسنة وما يترب عليه من اللوازم الباطلة.

حيث قال "وأما قوله : (وخالفت أمر الله في قوله ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣] فهي ﷺلم تتبرج تبرج الجاهلية الأولى، والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها ، كما لو خرجت للحج والعمرة ، أو خرجت مع زوجها في سفرة فإن هذه الآية قد نزلت في حياة النبي ﷺ وقد سافر بهن رسول الله ﷺ بعد ذلك ، كما سافر في حجة الوداع بعائشة ﷺ وغيرها وأرسلها مع عبدالرحمن أخيها فأردفها خلفه ، وأعمرها من التنعيم وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبي ﷺ

---

(١) وقد سبق تفصيل هذا والرد على الشبهة في الباب السادس .

(٢) منهاج السنة ٣١٦/٤-٣١٧ و العواصم من القواصم ص ١٣٦- ١٦١ .

بأقل من ثلاثة أشهر بعد نزول هذه الآية ، ولهذا كان أزواج النبي ﷺ يحججن كما كن يحججن معه في خلافة عمر رضي الله عنه وغيره وكان عمر يوكل بقطارهن عثمان أو عبدالرحمن بن عوف، وإذا كان سفرهن لمصلحة جائزاً فعائشة اعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمسلمين ، فتأولت في ذلك .

وهذا كما أن قول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾ [سورة النساء: ٢٩] وقوله ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ [سورة النساء : آية ٢٩] يتضمن نهي المؤمنين عن قتل بعضهم بعضا، كما في قوله ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ [سورة الحجرات : ١١]

وقوله : ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ [سورة النور: ١٢]

وكذلك قول النبي ﷺ (إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا) (١)

وقوله ﷺ (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار) قيل : يا رسول : هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال (كان حريصاً على قتل صاحبه) (٢) .

فلو قال قائل إن علياً ومن قاتله قد التقيا بسيفيهما ، وقد استحلوا دماء المسلمين ، فيجب أن يلحقهم الوعيد .

لكان جوابه : أن الوعيد لا يتناول المجتهد والمتأول وإن كان مخطئاً ، فإن الله تعالى يقول في دعاء المؤمنين ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٦] قال " قد

---

(١) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح – كتاب الحج – باب الخطبة أيام منى ٦٧٠/٣ رقم (١٧٣٩).

ومسلم كتاب القسامة – باب تغليظ تحريم الدماء ١٣٠٥/٣ رقم (١٦٧٩) .

(٢) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح - كتاب الإيمان – باب (وإن طائفتان من المؤمنين) ١٠٦/١ رقم (٣١) .

ومسلم – كتاب الفتن – باب (إذا تواجه المسلمان بسيفيهما) ٢٢١٣/٤-٢٢١٤ رقم (٢٨٨٨) .

فعلت"[1] فقد عفي للمؤمنين عن النسيان والخطأ ، والمجتهد المخطئ مغفور له خطأه ، وإذا غفر خطأ هؤلاء في قتال المؤمنين ، فالمغفرة لعائشة لكونها لم تقرّ في بيتها إذ كانت مجتهدة أولى.

وأيضاً فلو قال قائل : إن النبي ﷺ قال : (إن المدينة تنفي خبثها وينصع طيبها) [2] .

وقال : (لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيراً منه) أخرجه في الموطأ[3] ، كما في الصحيحين عن زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال: " إنها طيبة : يعني المدينة : إنها تنفي الرجال كما تفي النار خبث الحديد) وفي لفظ : (تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة) وقال : إن عليّاً خرج عنها و لم يقم بها كما أقام الخلفاء قبله ، ولهذا لم تجتمع عليه الكلمة .

لكان الجواب : إن المجتهد إذا كان دون عليّ لم يتناوله الوعيد فعليّ أولى أن لا يتناوله الوعيد لاجتهاده ، وبهذا يجاب عن خروج عائشة ﵂. وإذا كان المجتهد مخطئاً فالخطأ مغفور بالكتاب والسنة ".[4]

وقال عند دعواهم أن عائشة ﵂ كانت في كل وقت تأمر بقتل عثمان وتقول في كل وقت اقتلوا نعثلاً ، قتل الله نعثلاً ، ولما بلغها قتله فرحت " فيقال له : أولاً : أين النقل الثابت عن عائشة بذلك ؟

ويقال : ثانياً : المنقول الثابت عنها يكذب ذلك ، ويبين أنها أنكرت قتله ، وذمت من قتله ، ودعت على أخيها محمد وغيره لمشاركتهم في ذلك .

---

(١) رواه مسلم – كتاب الإيمان – باب بيان أن الله سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق ١١٦/١ ، حديث (٢٠٠).

(٢) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح – كتاب فضائل المدينة – باب المدينة تنفي الخبث ١١٥/٤ ، حديث (١٨٨٣) .

ومسلم – كتاب الحج – باب المدينة تنفي شرارها ١٠٠٦/٢ ، حديث (٤٨٩) .

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ ٢/ ٨٨٧ .

والحاكم في المستدرك ٥٠١/٤ وقال : صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه .

وأبو يعلى في مسنده ٥٨/٢ .

والإمام أحمد في المسند ١٨٤/١ .

(٤) منهاج السنة ٣١٧/٤-٣٢١ .

ويقال ثالثاً : هب أن واحداً من الصحابة : عائشة أو غيرها قال في ذلك على وجه الغضب ، لإنكاره بعض ما ينكر ، فليس قوله حجة ، ولا يقدح ذلك لا في إيمان القائل ولا المقول له ، بل قد يكون كلاهما وليّاً لله تعالى من أهل الجنة ، ويظن أحدهما جواز قتل الآخر بل يظن كفره وهو مخطئ في هذا الظن .

كما ثبت في الصحيحين عن علي وغيره في قصة حاطب بن أبي بلتعة ، وكان من أهل بدر والحديبية ، وقد ثبت في الصحيح أن غلامه قال : يا رسول الله ﷺ : والله ليدخلن حاطب النار ، فقال له النبي ﷺ ، (كذبت إنه قد شهد بدراً والحديبية)

وفي حديث عليّ أن حاطباً كتب للمشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ لما أراد غزوة الفتح فأطلع الله نبيه على ذلك ، فقال لعلي والزبير

(أذهبا حتى تأتيا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة معها كتاب) فلما أتيا بالكتاب قال : (ما هذا يا حاطب ؟) فقال : والله يارسول الله ما فعلت هذا ارتداداً ولا رضاً بالكفر ، ولكن كنت إمرءاً ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسهم ، وكان من معك من المهاجرين لهم بمكة قرابات يحمون بها أهليهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي ، فقال عمر -رضي الله عنه- : دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال : (إنه شهد بدراً ، وما يدريك أن الله اطّلع على أهل بدر فقال : أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) [1] وأنزل الله تعالى أوّل سورة الممتحنة :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ [سورة الممتحنة : ١] ، وهذه القصة مما أتفق أهل العلم على صحتها وهي متواترة عندهم ، معروفة عند علماء التفسير ، وعلماء الحديث ، وعلماء المغازي والسير والتواريخ ، وعلماء الفقه ، وغير هؤلاء ، وكان علي ﷺ يحدّث بهذا الحديث في خلافته بعد الفتنة ، وروى ذلك عنه كاتبه عبدالله بن أبي رافع ليبيّن لهم أن السابقين مغفور لهم ، ولو جرى منهم ما جرى .

---

(١) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح – كتاب الجهاد والسير – باب الجاسوس ٦/١٦٦ رقم (٣٠٠٧) .

ومسلم – كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل أهل بدر وقصة حاطب ٤/١٩٤١-١٩٤٢ رقم (٢٤٩٤) .

فإن عثمان وعلياً وطلحة والزبير أفضل باتفاق المسلمين من حاطب بن أبي بلتعة ، وكان حاطب مسيئاً إلى مماليكه ، وكان ذنبه في مكاتبة المشركين ، وإعانتهم على النبي ﷺ وأصحابه أعظم من الذنوب التي تضاف إلى هؤلاء ، ومع هذا فالنبي ﷺ نهى عن قتله ، وكذّب من قال : أنه يدخل النار ، لأنه شهد بدراً والحديبية ، وأخبره بمغفرة الله لأهل بدر ، ومع هذا فقد قال عمر رضي الله عنه : دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فسمّاه منافقاً ، واستحل قتله ، ولم يقدح ذلك في إيمان واحدٍ منهم ، ولا في كونه من أهل الجنة .

وكذلك في الصحيحين وغيرهما في حديث الإفك لما قام النبي ﷺ خطيباً على المنبر يعتذر عن رأس المنافقين عبدالله بن أبي فقال (من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي . والله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً) فقام سعد بن معاذ سيد الأوس ، وهو الذي اهتز له عرش الرحمن ، وهو الذي كان لا تأخذه في الله لومة لائم ، بل حكم في حلفائه من بني قريظة بأن يقتل مقاتلهم وتسبى ذراريهم وتغنم أموالهم، حتى قال النبي ﷺ (لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع أرقعة)[(١)] ، فقال : يارسول الله نحن نعذرك منه إن كان من إخواننا من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من أخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك . فقام سعد بن عبادة فقال : كذبت لعمر الله ، لا تقتله ولا تقدر على قتله ، فقام أسيد بن حضير فقال : كذبت لعمر الله لنقتلنه ، فإنك منافق تجادل عن النافقين ، وكادت تثور فتنة بين الأوس والخزرج ، حتى نزل النبي ﷺ وخفّضهم .

وهؤلاء الثلاثة من خيار السابقين الأولّين ، وقد قال أسيد بن حضير لسعد بن عبادة : (إنك منافق تجادل عن المنافقين) وهذا مؤمن وليّ لله من أهل الجنة ، وذاك مؤمن وليّ لله من أهل الجنة ، فدل على أن الرجل قد يكفِّر آخر بالتأويل ، ولا يكون واحد منهما كافراً .

وكذلك في الصحيحين حديث عتبان بن مالك لما أتى النبي ﷺ مترله في نفر من أصحابه فقام يصلي وأصحابه يتحدثون بينهم ، ثم أسندوا عظم ذلك إلى مالك بن الدُّخشُم[(٢)] وودوا أن

---

(١) جاء الحديث بهذا اللفظ في سيرة ابن هشام ٣/ ٢٥١ . وأصله في الصحيحين :

صحيح البخاري مع الفتح — كتاب الجهاد والسير — باب إذا نزل العدو على حكم رجل ٦/١٦١ رقم (٣٠٤٣).

ومسلم — كتاب الجهاد والسير — باب جواز قتال من نقض العهد ٣/١٣٨٣ رقم (١٧٦٨) .

(٢) وفي الإصابة ٣/٣٢٣ :" مالك بن الدخشم ، بضم المهملة والمعجمة بينهما خاء معجمة ، يقال بالنون بدل الميم ، ويقال كذلك بالتصغير ، مختلف في نسبته وشهد بدرا عند الجميع ، وهو الذي أسر سهل بن عمرو يومئذ " .

النبي ﷺ دعا عليه فيهلك ، فقضى رسول الله ﷺ صلاته وقال : (أليس يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله ؟) قالوا : بلى وإنه يقول ذلك ، وما هو في قلبه ، فقال : (لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله فيدخل النار أو تطعمه)[1] .

وإذا كان ذلك ، فإذا ثبت أن شخصاً من الصحابة :إمّا عائشة ، وإما عمار بن ياسر و إما غيرهما : كفّر آخر من الصحابة : عثمان أو غيره أو أباح قتله على وجه التأويل كان هذا من باب التأويل المذكور ،ولم يقدح ذلك في إيمان واحد منهم ، ولا في كونه من أهل الجنة، فإن عثمان وغيره أفضل من حاطب بن أبي بلتعة ، وعمر أفضل من عمّار وعائشة وغيرهما ، وذنب حاطب أعظم ، فإذا غفر لحاطب ذنبه ، فالمغفرة لعثمان أولى وإذا جاز أن يجتهد مثل عمر وأسيد بن حضير في التفكير أو في استحلال القتل ، ولا يكون ذلك مطابقاً ، فصدور مثل ذلك من عائشة وعمّار أولى .

ويقال رابعاً : إن هذا المنقول عن عائشة من القدح في عثمان إن كان صحيحاً فإما أن يكون صواباً أو خطأ فإن كان صواباً لم يذكر في مساوئ عائشة ، وإن كان خطأ لم يذكر في مساوئ عثمان ، والجمع بين نقص عائشة وعثمان باطل قطعاً ، وأيضاً فعائشة ظهر منها من التألم لقتل عثمان ، والذم لقتلته وطلب الانتقام منهم ما يقتضي الندم على ما ينافي ذلك ، كما ظهر منها الندم على مسيرها إلى الجمل ، فإن كان ندمها على ذلك يدل على فضيلة عليّ واعترافها له بالحق ، وإلا فلا .

وأيضاً فما ظهر من عائشة وجمهور الصحابة وجمهور المسلمين من الملام لعلي أعظم مما ظهر منهم من الملام لعثمان ، فإن كان هذا حجة في لوم عثمان فهو حجة في لوم عليّ ، وإن لم يكن حجة في لوم عليّ ، فليس حجة في لوم عثمان . وإن كان المقصود بذلك القدح في عائشة لما لامت عثمان وعليّاً ، فعائشة في ذلك مع جمهور الصحابة ، لكن تختلف درجات الملام .

وإن كان المقصود القدح في الجميع : في عثمان ، وعلي ، وطلحة والزبير ، وعائشة ، واللائم والملوم .

---

(١) مسلم – كتاب الإيمان – باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ١/ ٦١-٦٢رقم (٣٣) .

قيل : نحن لسنا ندّعي لواحد من هؤلاء العصمة من كل ذنب ، بل ندّعي أنهم من أولياء الله المتقين ، وحزبه المفلحين ، وعباده الصالحين ، وأنهم من سادات أهل الجنة ، ونقول إن الذنوب جائزة على من هو أفضل منهم من الصدِّيقين ، ومن هو أكبر من الصديقين ، ولكن الذنوب يرفع عقابها التوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ، وغير ذلك، وهؤلاء لهم من التوبة والاستغفار والحسنات ما ليس لمن هو دونهم ، ابتلوا بمصائب يكفّر الله بها خطاياهم ، لم يبتل بها من دونهم ، فلهم من السعي المشكور والعمل المبرور ما ليس لمن بعدهم، هم بمغفرة الذنوب أحق من غيرهم ممن بعدهم "(١)

٤- منهج قلب الدليل على المخالف.

استعمل هذا المنهج عند قول الرافضي (كيف أطاعوها على ذلك عشرات ألوف من المسلمين وساعدوها على حرب أمير المؤمنين ، ولم ينصر أحد منهم بنت رسول الله ﷺ لما طلبت حقها من أبي بكر - رضي الله عنه- ، ولا شخص واحد كلّمه بكلمة واحدة).

حيث قال " فيقال : أولاً : هذا من أعظم الحجج عليك ، فإنه لا يشك عاقل أن القوم كانوا يحبون رسول الله ﷺ ويعظمونه ويعظمون قبيلته وبنته أعظم مما يعظمون أبا بكر وعمر ، ولو لم يكن هو رسول الله ﷺ ، فكيف إذا كان هو رسول الله ﷺ الذي هو أحب إليهم من أنفسهم وأهليهم ؟ ولا يستريب عاقل أن العرب ـــ قريشاً وغير قريش ـــ كانت تدين لبني عبد مناف وتعظمهم أعظم مما يعظمون بني تيم وعدي، ولهذا لما مات رسول الله ﷺ وتولى أبو بكر، قيل لأبي قحافة ، مات رسول الله ﷺ فقال : حدث عظيم فمن ولى بعده ؟ قالوا أبو بكر، قال أو رضيت بنو عبد مناف وبنو مخزوم قالوا : نعم ، قال : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، أو كما قال .

ولهذا جاء أبو سفيان إلى عليّ فقال : أرضيتم أن يكون هذا الأمر في بني تيم ؟ فقال : يا أبا سفيان إن أمر الإسلام ليس كأمر الجاهلية ، أو كما قال .

فإذا كان المسلمون كلهم ليس فيهم من قال : إن فاطمة رضي الله عنها مظلومة ، ولا أن لها حقاً عند أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولا أنهما ظلماها ، ولا تكلم أحد في هذا بكلمة واحدة ، - دل ذلك على أن القوم كانوا يعلمون أنها ليست مظلومة ، إذ لو علموا أنها مظلومة لكان تركهم

(١)منهاج السنة ٤/٢٢٨-٢٣٩.

لنصرها : إما عجزاً عن نصرها ، وإما إهمالاً وإضاعة لحقها ، وإما بغضاً فيها، إذ الفعل الذي يقدر عليه الإنسان إذا أراده إرادة جازمة فعله لا محالة ، فإذا لم يرده مع قيام المقتضى لإرادته ، فإما أن يكون جاهلاً به ، أو له معارض يمنعه من إرادته ، فلو كانت مظلومة مع شرفها وشرف قبيلتها وأقاربها ، وأن أباها أفضل الخلق وأحبهم إلى أمته ، وهم يعلمون أنها مظلومة - لكانوا إما عاجزين عن نصرها ، وإما أن يكون لهم معارض عارض إرادة النصر من بغضها ، وكلا الأمرين باطل ، فإن القوم ما كانوا كلهم عاجزين أن يتكلم واحد منهم بكلمة حق ، وهم كانوا أقدر على تغيير ما هو أعظم من هذا .

وأبو بكر لم يكن ممتنعاً من سماع كلام أحد منهم ، ولا هو معروف بالظلم والجبروت. واتفاق هؤلاء كلهم ، مع توفر دواعيهم على بغض فاطمة ، مع قيام الأسباب الموجبة لمحبتها ، مما يعلم بالضرورة امتناعه .

وكذلك علي رضي الله عنه ، لا سيما وجمهور قريش والأنصار والمسلمين لم يكن لعلي إلى أي أحد منهم إساءة ، لا في الجاهلية ولا في الإسلام ، ولا قتل أحداً من أقاربهم ، فالذين قتلهم علي لم يكونوا من أكبر القبائل ، وما من أحدٍ من الصحابة إلا وقد قتل أيضاً .

وكان عمر رضي الله عنه أشد على الكفار وأكثر عداوة لهم من علي ، فكلامهم فيه وعداوتهم له معروفة ، ومع هذا تولى عليهم ، فما مات وإلا كلهم يثني عليه خيراً ، ويدعو ا له، ويتوجع لمصاب المسلمين به .

وهذا وغيره مما يبين أن الأمر على نقيض ما تقوله الرافضة من أكاذيبهم ، وأن القوم كانوا يعلمون أن فاطمة لم تكن مظلومة أصلاً فكيف ينتصر القوم لعثمان حتى سفكوا دماءهم، ولا ينتصرون لمن هو أحب إليهم من عثمان ، وهو رسول الله ﷺ وأهل بيته ، !! وكيف يقاتلون مع معاوية حتى سفكت دماءهم معه ، وقد اختلف عليه بنو عبد مناف ن ولا يقاتلون مع علي وبنو عبد مناف معه ؟ فالعباس بن عبدالمطلب أكبر بني هاشم ، وأبو سفيان بن حرب أكبر بني أمية ، وكلاهما كانا يميلان إلى علي ، فلم لا قاتل الناس معه إذ ذاك والأمر في أوله ؟ والقتال إذ ذاك لو كان حقاً لكان مع علي أولى ، وولاية علي أسهل ، فإنه لو عرض نفر قليل فقالوا : الأمر لعلي . وهو الخليفة والوصي ، ونحن لا نبايع إلا له ، ولا نعصي رسول الله ﷺ ولا نظلم وصية أهل بيته ، ولا نقدم الظالمين أو المنافقين من آل تيم على بني هاشم ، الذين هم

خيرنا في الجاهلية والإسلام – لكان القائل لهذا يستجيب له جمهور الناس ، بل يستجيبون له إلا القليل ، لا سيما وأبو بكر ليس عنده رغبة ولا رهبة.

ثم افترض أن عمر وطائفة معه كانوا يشذون معه فليس هؤلاء أكثر ولا أعز من الذين كانوا مع معاوية رضي الله عنه ومع طلحة والزبير رضي الله عنهما ومع هذا فقد قاتلهم أعوان عليّ ، مع كونهم دون السابقين الأولين في العلم والدين ومنهم قليل من السابقين الأولين"(١)

٥- بيانه أن الرافضة ينكرون الحق الواضح الذي دل عليه الكتاب والسنة ويجحدون الأمور المعلومة بالضرورة.

استعمل هذا المنهج عند قول الرافضي " وسموها أم المؤمنين و لم يسموا غيرها بذلك و لم يسموا أخاها محمد بن أبي بكر – مع عظم شأنه وقرب منزلته من أبيه وأخته عائشة أم المؤمنين فلم يسموه خال المؤمنين ، وسموا معاوية بن أبي سفيان خال المؤمنين لأن أخته أم حبيبة بنت أبي سفيان إحدى زوجات النبي ﷺ وأخت محمد بن أبي بكر وأبوه أعظم من أخت معاوية ومن أبيها) .

والجواب أن يقال : أما قوله : (أنهم سموا عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين و لم يسموا غيرها بذلك)

فهذا من البهتان الواضح الظاهر لكل أحد ، وما أدري هل هذا الرجل وأمثاله يتعمدون الكذب ؟ أم أعمى الله بصائرهم لفرط هواهم ، حتى خفي عليهم أن هذا كذب ؟ وهم ينكرون على بعض النواصب أن الحسين لما قال لهم : (أما تعلمون أني ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ؟ قالوا: والله ما نعلم ذلك). وهذا لا يقوله ولا يجحد نسب الحسين إلا متعمد للكذب والافتراء ، ومن أعمى الله بصيرته بإتباع هواه حتى يخفى عليه مثل هذا ؟ فإن عين الهوى عمياء.

والرافضة أعظم جحداً للحق تعمداً ، وأعمى من هؤلاء ، فإن منهم ومن المنتسبين إليهم- كالنصيرية وغيرهم من يقول : إن الحسن والحسين ما كانا أولاد علي بل أولاد سلمان الفارسي . ومنهم من يقول : إن علياً لم يمت ، وكذلك يقولون عن غيره ... ومنهم من يقول : أن أبا بكر وعمر ليسا مدفونين عند النبي ﷺ ، ومنهم من يقول ، إن رقية وأم كلثوم زوجتي

---

(١) منهاج السنة ٤/ ٣٦٢ .

عثمان ليستا بنتي النبي ﷺ ، ولكن هما بنتا خديجة من غيره ، ولهم في المكابرات وجحد المعلومات بالضرورة أعظم مما لأولئك النواصب الذين قتلوا الحسين ، وهذا مما يبين أنهم أكذب وأظلم وأجهل من قتلة الحسين .

وذلك أنه من المعلوم أن كل واحدة من أزواج النبي ﷺ يقال لها (أم المؤمنين) عائشة ، وحفصة ، وزينب بنت جحش ، وأم سلمه ، وسوده بنت زمعة ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية ، وصفية بنت حيّ بن أخطب الهارونية، - رضي الله عنهن- ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [سورة الأحزاب : ٦] وهذا أمر معلوم للأمة علماً عاماً ، وقد أجمع المسلمون على تحريم نكاح هؤلاء بعد موته على غيره ، وعلى وجوب احترامهن ، فهن أمهات المؤمنين في الحرمة والتحريم، ولسن أمهات المؤمنين في المحرمية ، فلا يجوز لغير أقاربهن الخلوة بهن ، ولا السفر بهن، كما يخلو الرجل ويسافر بذوات محارمه .

ولهذا أمرن بالحجاب فقال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ [سورة الأحزاب : ٥٩] وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٥٣] .

٦- استعماله لمنهج المقارنة حيث قارن بين مذهب الرافضة (قول الرافضة) في عائشة وبين مذهبهم (قولهم) في علي رضي الله عنهما .

حيث قال " المذكور عن أزواجه كالمذكور عمن شهد له بالجنة من أهل بيته وغيرهم من الصحابة ، فإن علياً لما خطب ابنة أبي جهل على فاطمة ، وقام النبي ﷺ خطيباً فقال (إن بني المغيرة استأذنوني ان ينكحوا علياً ابنتهم ، وإني لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي ويتزوج ابنتهم ، وإنما فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما

آذاها)[1] فلا يظن بعلي رضي الله عنه انه ترك الخطبة في الظاهر فقط، بل تركها بقلبه وتاب بقلبه عما كان طلبه وسعى فيه .

وكذلك لما صالح النبي ﷺ المشركين يوم الحديبية ، قال لأصحابه (أنحروا واحلقوا رؤوسكم) فلم يقم أحد فدخل مغضباً على أم سلمه، فقالت (من أغضبك أغضبه الله ؟ فقال: " مالي لا اغضب وأنا آمر بالأمر فلا يُطاع " فقالت (يا رسول الله أدعوا بهديك فانحره، وأمر الحلاق فليحلق رأسك وأمر علياً أن يمحوا اسمه فقال والله لا أمحوك فأخذ الكتاب من يده ومحاه [2] ، فمعلوم أن تأخر علي وغيره من الصحابة عما أمروا به حتى غضب النبي ﷺ : إذ قال القائل : هذا ذنب ، كان جوابه كجواب القائل : إن عائشة أذنبت في ذلك ، فمن الناس من يتأول ويقول : إنما تأخروا متأوّلين، لكونهم كانوا يرجون تغير الحال بأن يدخلوا مكة، وآخر يقول : لو كان لهم تأويل مقبول لم يغضب النبي ﷺ ، بل باتوا من ذلك التأخير ورجعوا عنه ، مع أن حسناتهم تمحو مثل هذا الذنب ، وعليٌّ داخل في هؤلاء رضي الله عنهم أجمعين"[3] .

٧- وأخيراً استعماله منهج المقارنة حيث قارن بين الرافضة وبين اليهود والنصارى.

حيث قال عند قول الرافضي "كيف أطاعها – أي عائشة رضي الله عنها على ذلك عشرات ألوف من المسلمين وساعدوها على حرب أمير المؤمنين ولم ينصر أحد منهم بنت رسول الله ﷺ لما كلبت حقها من أبي بكر رضي الله عنه ولا شخص واحد كلمه بكلمة واحدة"

" ما تقوله الرافضة من أكاذيبهم وأن القوم كانوا يعلمون أن فاطمة لم تكن مظلومة أصلا فكيف ينتصر القوم لعثمان حتى سفكوا دماءهم ولا ينتصرون لمن هو أحب إليهم من عثمان وهو رسول الله ﷺ وأهل بيته وكيف يقاتلون مع معاوية حتى سُفكت دماؤهم معه وقد اختلف عليه بنو عبد مناف ولا يقاتلون مع علي وبنو عبد مناف معه فالعباس بن عبد المطلب أكبر بني هاشم وأبو سفيان بن حرب أكبر بني أمية وكلاهما كانا يميلان إلى علي فلم لا

---

(١) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح – كتاب النكاح – باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف ٢٣٩/٩ رقم (٥٢٣٠) .

ومسلم – كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل فاطمة ١٩٠٢/٤-١٩٠٣ رقم (٢٤٤٩) .

(٢) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح – كتاب الشروط – باب الشروط في الجهاد ٣٨٨/٥-٣٩٢ رقم (٢٧٣١) .

ومسلم كتاب الجهاد والسير – باب صلح الحديبية ١٤٠٩/٣ رقم (١٧٨٣).

(٣) منهاج السنة ٣١٥/٤-٣١٦ .

قاتل الناس معه إذ ذاك والأمر في أوله والقتال إذ ذاك لو كان حقا كان مع علي أولى وولاية على أسهل فإنه لو عرض نفر قليل فقالوا الأمر لعلي وهو الخليفة والوصي ونحن لا نبايع إلا له ولا نعصى رسول الله ﷺ ولا نظلم وصيه وأهل بيته ولا نقدم الظالمين أو المنافقين من آل تيم على بني هاشم الذين هم خيرنا في الجاهلية والإسلام لكان القائل لهذا يستجيب له جمهور الناس بل يستجيبون له إلا القليل لا سيما وأبو بكر ليس عنده رغبة ولا رهبة وهب أن عمر وطائفة معه كانوا يشذون معه فليس هؤلاء أكثر ولا أعز من الذين كانوا مع معاوية – رضي الله عنه– ومع طلحة والزبير رضي الله عنهما ومع هذا فقد قاتلهم أعوان علي مع كونهم دون السابقين الأولين في العلم والدين وفيهم قليل من السابقين الأولين فهلا قاتلهم من هو أفضل من هؤلاء إذ كان إذ ذاك علي على الحق وعدوه على الباطل مع أن وليه إذ ذاك أكثر وأعز وأعظم علما وإيمانا وعدوه إذ ذاك إن كان عدوا أذل وأعجز وأضعف علما وإيمانا وأقل عدوانا فإنه لو كان الحق كما تقوله الرافضة لكان أبو بكر وعمر والسابقون الأولون من شرار أهل الأرض وأعظمهم جهلا وظلما حيث عمدوا عقب موت نبيهم ﷺ فبدلوا وغيروا وظلموا الوصي وفعلوا بنبوة محمد ﷺ ما لم تفعله اليهود والنصارى عقب موت موسى والمسيح عليهما الصلاة والسلام فإن اليهود والنصارى لم يفعلوا عقب موت أنبيائهم ما تقوله الرافضة إن هؤلاء فعلوه عقب موت النبي ﷺ وعلى قولهم تكون هذه الأمة شر أمة أخرجت للناس ويكون سابقوها شرارها"(١)

وقال في موضع آخر "كل طائفة سوى أهل السنة والحديث المتبعين آثار رسول ﷺ فلا ينفردون عن سائر طوائف الأمة إلا بقول فاسد لا ينفردون قط بقول صحيح وكل من كان عن السنة أبعد كان انفراده بالأقوال والأفعال الباطلة أكثر وليس في الطوائف المنتسبين إلى السنة أبعد عن آثار رسول الله ﷺ من الرافضة فلهذا تجد فيما انفردوا به عن الجماعة أقوالا في غاية الفساد مثل تأخيرهم صلاة المغرب حتى يطلع الكوكب مضاهاة لليهود ... ومثل صومهم قبل الناس بيومين وفطرهم قبل الناس بيومين مضاهاة لمبتدعة أهل الكتاب الذين عدلوا عن الصوم بالهلال إلى الإجتماع وجعلوا الصوم بالحساب ... ومثل تحريمهم بعض أنواع السمك مضاهاة لليهود في تحريم الطيبات ومثل معاونة الكفار على قتال المسلمين وترغيب الكفار في

(١)منهاج السنة النبوية ٤/٣٥٩-٣٦٣.

قتال المسلمين وهذا لا يعرف لأحد من فرق الأمة ومثل تنجيس المائعات التي يباشـــرها أهـــل السنة وهذا من جنس دين السامرة وهم رافضة اليهود هم في اليهود كالرافضة في المسلمين"(١)

وقال في موضع ثالث " فالرافضة فيهم شبه من اليهود من وجه وشبه من النصارى من وجـــه ففيهم شرك وغلو وتصديق بالباطل كالنصارى وفيهم من جبن وكبر وحسد وتكذيب بـــالحق كاليهود"(٢)

فرحم الله شيخ الإسلام فقد كان مجاهداً باليد واللسان والسنان ، وكان منهجه في ذلك كله بالتأصيل العلمي ولا يغالي في شيء لأنه يدافع عنه بل يحق الحق مهما كان ، ولقد نفع الله ﷻ بكتابه منهاج السنة فهو كتاب لم ينسخ على منواله . والله أعلم

---

(١)منهاج السنة النبوية ١٧٢/٥- ١٧٤.

(٢)المرجع السابق ٢١٠/٧.

الفصل الثاني

منهج أئمة الدعوة في الدفاع

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

الفصل الثاني

منهج أئمة الدعوة في الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وقبل البداءة بهذا الموضوع أود التعريف بمصطلح " أئمة الدعوة " فأقول:

أئمة الدعوة مصطلح مركب من لفظين الأول : "أئمة" والثاني: "دعوة". والأئمة في اللغة: جمع إمام والإمام هو المقدم على غيره ، والمؤتم بقوله أو فعله أو غير ذلك ويكون في الخير والشر.

يقول ابن منظور :" وأم القوم وأم بهم: تقدمهم ، وهي الإمامة .والأمام: كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين....والإمام ما ائتم به من رئيس وغيره ، والجمع أئمة ..."(١).

وأما "الدعوة" في اللغة: فهي مصدر للفعل الثلاثي دعا ، وتدور معانيها على: الطلب ، والنداء ، والحث ، والسؤال (٢).

والدعوة كما تكون في الخير فكذلك تكون في الشر.

وأما دعوة الإمام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب(٣) الإصلاحية فيراد بها: الجهود والأعمال العظيمة التي قام بها الشيخ الإمام محمد ابن عبد الوهاب وأتباع الدعوة من بعده في

---

(١) لسان العرب ١٢/٢٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/٢٧٩ ، ولسان العرب لابن منظور ١٤/٢٥٨-٢٦١.

(٣) هو الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف التميمي، ولد في العيينة بنجد عام ١١١٥هـ حيث نشأ بها وقرأ القرآن وحفظه ثم اشتغل بالعلم والدعوة إلى الله تعالى وحيث خاطب أهل بلدان نجد وراسلهم لعبادة الله وحده وترك الشرك والبدع ، ثم خرج إلى الدرعية والتقى هناك بأميرها محمد بن سعود ث تم الاتفاق التاريخي بينهما على المساندة والمؤازرة للدعوة السلفية ونشرها والدفاع عنها ومحاربة من خالفها ، فانتشرت بذلك الدعوة إلى التوحيد لتشمل نجد وأكثر ربوع جزيرة العرب ، توفي هذا الإمام عام ١٢٠٦هـ وكان له كثير من المؤلفات منها : كتاب التوحيد ، وكشف الشبهات ، والأصول الثلاثة ، ومسائل الجاهلية وغيرها .

انظر ترجمته في : تاريخ نجد لحسين غنام ن ص ٨١ ، تحقيق ناصر الدين الأسد . ومشاهير . ومشاهير علماء نجد لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ص ١٦ . وعلماء نجد خلال ثمانية قرون لعبد الله بن عبد الرحمن السباق ١/١٢٥ ، دار العاصمة — الرياض ، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ . وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية لصالح العبود ، ص ٦٨، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

سبيل تصحيح الأوضاع الدينية الفاسدة ، والأحوال الاجتماعية المنحرفة التي كانت سائدة في الجزيرة العربية بعامة ، وفي وسطها بخاصة إبان القرن الثاني عشر الهجري(١).

وهذا التعريف يقود إلى المراد بمصطلح (أئمة الدعوة): فهم العلماء الأعلام الذين كانت لهم جهود كبيرة في سبيل نشر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ، والمنافحة عنها بالحق ضد خصوم الدعوة بالعلم والسنان.

وبعد هذا أقول: إن الطريق الذي سار عليه أئمة الدعوة بداية من الإمام محمد ابن عبد الوهاب وتلامذته إلى يومنا هذا هو طريق السلف الصالح لم يخرجوا عنه وإن كان هذا الباب الذي أتكلم فيه (وهو الدفاع عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها) لم يولوه كبير اهتمام في كتاباتهم ومقالاتهم ورسائلهم لأنهم - رحمهم الله - لم يواجهوا فيه كبير مخالفة كما وجدوا في الأبواب الأخرى من مسائل الاعتقاد ، فهم وإن تكلموا عن الرافضة ومعتقدهم بشكل عام ومجمل إلا أنهم لم يخصوا أم المؤمنين رضي الله عنها بكثير كلام إلا بعض الأقوال المتفرقة والمبثوثة في ثنايا مؤلفاتهم ورسائلهم ، ومع هذا فإن معتقدهم في هذا الباب هو كغيره في الأبواب الأخرى وهو السير على ما كان عليه السلف الصالح من لدن الصحابة الكرام ومن اتبعهم بإحسان إلى الإمام أحمد بن حنبل إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم عليهم وعلى أئمة الدعوة رحمة الله ومغفرته.

وفي ذلك يقول عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ(٢) وهو يصف معتقد الإمام محمد بن عبد الوهاب :" وقد عُرف وأشتهر واستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنفاته المسموعة والمقروءة عليه ، وما ثبت بخطه وعرف وأشتهر من أمره ودعوته وما عليه الفضلاء والنبلاء من

(١) الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده لعبد الله بن محمد المطوع ص٢٠-٢١ .

(٢) هو عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، ولد في الدرعية عام ١٢٢٥هـ وقرأ فيها القرآن ، ثم رحل منها عند سقوطها عام ١٢٣٣هـ مع والده وأسرته إلى الديار المصرية وأقام فيها أكثر من ثلاثين عاماً ودرس خلالها على علماء مصر ونجد حتى تميز في العلم والفضل ، وفي عام ١٢٦٤هـ عاد إلى نجد ثم جلس لتعليم الناس والدعوة إلى الله تعالى حتى توفي عام ١٢٩٣هـ . ومن مؤلفاته : تأسيس التقديس في الرد على داود بن جرجيس ، ومصابح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ، وعيون الرسائل والأجوبة على المسائل وغيرها .

انظر ترجمته في : مشاهير علماء نجد ، ص ٧٠ ، وعلماء نجد ٢٠٢/١ .

أصحابه وتلامذته: أنه كان على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى..."[1].

بل لم يقفوا على أنهم ساروا على هذا المنهج بل زادوا على ذلك حيث رغَّبوا غيرهم في الأخذ بهذا المذهب والسير عليه يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ في ذلك : "فالواجب على من له همة في الخير وطلب العلم أن يبحث عن منهج السلف وأقوالهم في هذا الأصل العظيم ... فإذا وفق العبد لهذا وبحث عن تفاسير السلف وأئمة الهدى ورُزق مع ذلك معلِّماً من أهل السنة فقد احتضنته السعادة ونزلت به أسباب التوفيق والسيادة[2].

ولو قال قائل ما المقصود بالسلف عند أئمة الدعوة ؟

أجاب عن هذا الشيخ فالح ابن مهدي[3] بقوله (والمراد بالسلف: الصحابة والتابعون وتابعوهم، وكل من سلك طريقهم فهو سلفي نسبة إليهم"[4].

وبعد هذه المقدمة أبدأ بذكر منهج أئمة الدعوة في بيان مكانة وفضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها والدفاع عنها وذلك في نقاط التالية:

١- الالتزام بما دل علي الكتاب والسنة وفق منهج السلف الصالح.

وقد جاء هذا المنهج عند بيان دخول أزواج النبي ﷺ ضمن أهل بيته ومنهن أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنهن أجمعين – .

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية جمع عبد الرحمن بن قاسم ٥١٦/١ الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ.

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ١٢١/٣-١٢٢ لبعض علماء نجد الأعلام ، دار العاصمة – الرياض ، الطبعة الولى ١٣٤٩هـ ، النشرة الثالثة ١٤١٢هـ .

(٣) هو فالح بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي الدوسري ، ولد في ليلى من إقليم الأفلاج عام ١٣٥٢هـ ونشأ بها، وفي عام ١٣٦٢هـ كف بصره فانصرف بحفظ القرآن وحتى أتمه وأتقنه ، ثم سافر إلى الرياض وطلب العلم هناك ، ثم أصبح مدرساً في المعهد العلمي ثم في كلية الشريعة حتى توفي عام ١٣٩٢هـ ، ومن مؤلفاته : التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ، ومنظومة في الحث على طلب العلم .

انظر ترجمته في : مشاهير علماء نجد ، ص ٤٢٨ .وعلماء نجد ٣٧٠/٥ .

(٤) التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية لفالح بن مهدي ٢٦/١ – طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية – الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب :" ومن تدبر القرآن لم يشك أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٣] ... وعائشة بنت الصديق رضي الله عنهما وعن أبيها أولاهن بهذه النعمة وأحظاهن بهذه الغنيمة "(١).

وقال :" ... وهكذا أزواجه ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، كلهم من أهل البيت... والصحيح: أن آل محمد هم أهل بيته ...لكن هل أزواجه من آله ... والصحيح: أن أزواجه من آله "(٢).

وكذلك عند ذكرهم لمسألة التفضيل بين خديجة و عائشة وفاطمة –رضي الله عنهن –:

قال سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب(٣) :"اختلفوا في عائشة وخديجة رضي الله عنهما أيتهما أفضل. وفي عائشة وفاطمة – رضي عنهن أجمعين– . وحقيقة القول فيه أن عائشة أفضل من جهة العلم، وفاطمة أفضل من جهة الذات فإنها بضعة من أفضل الخلق"(٤).

وقال "... – عائشة – ... أفضل أزواج النبي ﷺ إلا خديجة ففيهما خلاف كثير"(٥).

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ١/٨٩-٩٠.

(٢) الدرر السنية ١/٢١١.

(٣) هو سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ، الفقيه ، المحدث ، الأصولي ، ولد بالدرعية عام ١٢٠٠هـ وأخذ العلم عن والده الشيخ عبدالله وعمه الشيخ حسين بن محمد بن عبدالوهاب والشيخ حمد بن معمر والشيخ حسين بن غنام وغيرهم .

أرسله الإمام محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود قاضياً في مكة ، ثم عاد منها وصار قاضياً في الدرعية ، واختاره الإمام سعود مدرساً في قصره في مجلس علم كبير .

وشى به بعض المناوئين إلى إبراهيم باشا عندما استولى على الدرعية عام ١٢٣٣هـ فقتله .

ومن مؤلفاته : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، وتحفة الناسك بأحكام المناسك ، وغيرها .

انظر ترجمته في: مشاهير علماء نجد ص٤٤ ، وعلماء نجد ٢/٣٤١ .

(٤) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٨٦ – دار طيبة، الرياض – الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

(٥) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله آل الشيخ ص١٦٩– دراسة وتحقيق زهير الشاويش– المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق – الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

وقال عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب[1] :"عائشة " هي أم المؤمنين زوج النبي ﷺ وابنة الصديق رضي الله عنه ... أفضل أزواج النبي ﷺ إلا خديجة ففيها خلاف، بل لا يقال خديجة أفضل ولا عائشة أفضل، والتحقيق أن لخديجة من الفضائل في بدء الوحي ما ليس لعائشة من سبقها إلى الإيمان بالنبي ﷺ ، وتأييده في تلك الحال التي بدئ بالوحي... ولعائشة من العلم بالأحاديث والأحكام ما ليس لخديجة لعلمها بأحوال النبي ﷺ ونزول القرآن وبيان الحلال والحرام "(٢).

وقال عبد الرحمن بن قاسم(٣) :" أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق أبي بكر رضي الله عنهما ، زوج النبي ﷺ وأعلم الناس بحديثه، تزوجها وهي ابنة سبع، ودخل بها وهي ابنة تسع، وأفضل أزواج النبي ﷺ إلا خديجة ففيها خلاف، فلا تفضل إحداهما على الأخرى، فإن لخديجة من الفضائل في بدء الوحي ما ليس لعائشة، من سبقها بالإيمان بالنبي ﷺ وتأييده في تلك الحال. ولعائشة من العلم بالأحاديث والأحكام ما ليس لخديجة، لعلمها بأحوال النبي ﷺ ونزول القرآن، وبيان الحلال من الحرام، وكان الصحابة يرجعون إليها بعد وفاته ﷺ فيما أشكل عليهم من أحواله وحديثه "[4].

(١) هو عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، ولد عام ١٢٩٣هـ في الدرعية ، حفظ القرآن ولازم دروس العلم في التاسعة من عمره على علماء الدرعية ثم تولى القضاء في الدرعية ، ثم نقله إبراهيم باشا إلى مصر ثم عاد في عهد تركي بن عبد الله ثم بدأ بنشر العلم والدعوة إلى الله تعالى حتى توفي عام ١٣٨٥هـ .من مؤلفاته : القول الفضل النفيس في الرد على داود بن جرجيس ، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد . وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة المرسلين وغيرها. انظر ترجمته في : مشاهير علماء نجد ، ص ٧٨ . والأعلام ٣٠٤/٣ .

(٢) قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ص ٧٩ - دراسة وتحقيق:بشير محمد عيون – مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم القحطاني النجدي ، الفقيه المحقق ، ولد في البير من قرى المحمل عام ١٣١٩ونشأ بها وقرأ مبادئ العلوم ثم رحل إلى الرياض ودرس على العلماء هناك ثم رحل رحلات عديدة لجمع الكتب ثم إخراجها فلذلك كانت له الكثير من الكتب والرسائل والتحقيقات ، وقد عمل في مطبعة الحكومة بمكة ثم تولى إدارة المكتبة السعودية بالرياض ثم اعتزل العمل حتى وفاته عام ١٣٩٢هـ . من مؤلفاته : شرح أصول الأحكام ، والسيف المسلول على عابد الرسول ، وحاشية الروض المربع ، وحاشية كتاب التوحيد ، وغيرها كثير .

انظر ترجمته في : مشاهير علماء نجد ، ص ٤٣٢ . الأعلام ٣٣٦/٣ . وعلماء نجد ٢٠٢/٣ .

(٤) حاشية كتاب التوحيد – لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم ص١٠٨- الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

وأخيراً جاء هذا المنهج عند ذكر أحب أزواج النبي ﷺ إليه ، وأعلمهن بسنته .

قال عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب :" عائشة هي أم المؤمنين زوج النبي ﷺ وابنة الصديق رضي الله عنه ، وأعلم النساء بحديث رسول الله ﷺ "(١).

وقال عبداللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب :" وكان رسول الله ﷺ يحب نساءه، وكانت عائشة أحبهن إليه "(٢).

وقال عبد الرحمن بن محمد بن قاسم :"وعائشة الصديقة ، بنت الصديق ، أم المؤمنين ، وحبيبة رسول رب العالمين ... أفضل نسائه ﷺ في العلم ، والفقه ، وحمل الدين ، وتبليغه إلى الأمة"(٣).

وقال :"أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق أبي بكر رضي الله عنهما، زوج النبي ﷺ وأعلم الناس بحديثه ... وكان الصحابة يرجعون إليها بعد وفاته ﷺ فيما أشكل عليهم من أحواله وحديثه "(٤).

وقال زيد بن عبد العزيز بن فياض (٥) :" وعائشة هي أم عبد الله الصديقة بنت الصديق... وهي أفقه نسائه وأعلمهن ، بل أفقه نساء الأمة وأعلمهن على الإطلاق ، وكان الأكابر من أصحاب النبي ﷺ يرجعون إلى قولها ويستفتونها "(٦).

---

(١) قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين ص ٧٩.

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام ٣/٣٢٤ - دار العاصمة، الرياض – الطبعة الأولى، ١٣٤٩هـ النشرة الثالثة، ١٤١٢هـ.

(٣) حاشية الدرة المضية في عَقْد الفرقة المرضية لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي ص١١٣-١١٤.

(٤) حاشية كتاب التوحيد ص١٠٨.

(٥) هو زيد بن عبد العزيز بن زيد بن عبد العزيز بن عبد الوهاب بن محمد بن ناصر بن فياض التميمي ، ولد في روضة سدير عام ١٣٥٠هـ تعلم العلوم في الكتاتيب ثم سافر إلى الرياض وأخذ العلم من أهلها ثم التحق بالمعهد العلمي بالرياض ثم بكلية الشريعة ، ثم عين عضواً في الإفتاء ثم انتقل للتدريس بالمعهد العلمي بالرياض ثم بكلية الشريعة ثم عمل في القضاء ثم عمل بالتدريس في كلية أصول الدين بجامعة الإمام بالرياض ، واستمر في التدريس والتعليم حتى وفاته عام ١٤١٦هـ ، ومن مؤلفاته : الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية . ونظرات في الشريعة . والوحدة الإسلامية .
انظر ترجمته : علماء نجد ٢/٢٠٣ .

(٦) الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية لزيد بن عبد العزيز بن فياض ص٤٤٥-٤٤٦ – دار الوطن – الرياض - الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

٢- بيانهم كذب الرافضة ومخالفتهم للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح في الفهم والتطبيق ، وما يترتب عليه من اللوازم الباطلة.

جاء هذا المنهج عند ردهم على من رمى أم المؤمنين عائشة ﷺ بالفاحشة ، وبيانهم حكمه ولوازمه.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب أثناء ذكره عقائد الرافضة :" ومنها – أي من عقيدتهم– نسبتهم الصديقة الطيبة المبرأة عما يقولون فيها إلى الفاحشة ... فإذا عرفت هذا فاعلم أنه من قذفها بالفاحشة مع اعتقاده أنها زوجة رسول الله ﷺ وأنها بقيت في عصمته بعد هذه الفاحشة فقد جاء بكذب ظاهر واكتسب الإثم واستحق العذاب وظن بالمؤمنين سوءاً ، وهو كاذب وأتى بأمر ظنه هيناً وهو عند الله عظيم ، واتهم أهل بيت النبوة بالسوء ومن هذا الاتهام يلزم نقص النبي ﷺ ، ومن نقّصه فكأنما نقّص الله ، ومن نقّص الله ورسوله فقد كفر ، وهو بفعله هذا خارج عن أهل الإيمان ، ومتبع لخطوات الشيطان ، وملعون في الدنيا والآخرة ، ومكذب الله في قوله ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ ﴾ الآية ومن كذب الله فقد كفر ، ومن قذفها مع زعمه أنها لم تكن زوجته أو لم يبق في عصمته بعد هذه الفاحشة فإن قلنا: إنه ثبت قطعاً أنها هي المرادة بهذه الآيات ، وهو الظاهر ، يلزم من قذفها ما تقدم من القبائح ، والحاصل أن قذفها كيفما كان يوجب تكذيب الله تعالى في إخباره عن تبرئتها عما يقول القاذف فيها ... ومن يقذف الطاهرة الطيبة أم المؤمنين زوجة رسول رب العالمين ﷺ في الدنيا والآخرة كما صح ذلك عنه فهو من ضَرْبِ عبد الله بن أُبي ابن سلول رأس المنافقين ، ولسان حال رسول الله ﷺ يقول: (يا معشر المسلمين من يعذرني فيمن آذاني في أهلي) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٧-٥٨] فأين أنصار دينه ليقولوا نحن نعذرك يا رسول الله فيقومون بسيوفهم إلى

هؤلاء الأشقياء الذين يكذبون الله ورسوله ويؤذونهما والمؤمنين فيبيدونه ويتقربون بذلك إلى رسول الله ﷺ ويستوجبون بذلك شفاعته ، اللهم إنا نبرأ إليك من قول هؤلاء المطرودين "(١).

وقال عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ :" الرافضة الذين يتبرءون من أبي بكر وعمر ويدعون موالاة أهل البيت، وهم من أكذب الخلق وأضلهم وأبعدهم عن موالاة أهل البيت وعباد الله الصالحين، وزادوا في رفضهم حتى سبوا أم المؤمنين عائشة ﵂ وأكرمها واستباحوا شتم أصحاب رسول الله ﷺ ، إلا نفرا يسيرا"(٢).

وجاء هذا المنهج واضحاً عند الرد على دعوى الرافضة "كفر عائشة وحفصة ﵄ بسبب إفشاء السر بقوله تعالى: ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [سورة التحريم: ٤]. حيث قالوا: صغت بمعنى زاغت والزيغ هو الكفر" (٣).

يقول عبدالرحمن السعدي(٤) :" الخطاب للزوجتين الكريمتين حفصة و عائشة ﵄، كانتا سبباً لتحريم النبي ﷺ على نفسه ما يحبه: فعرض الله عليها التوبة ، وعاتبهما على ذلك ، وأخبرهما أن قلوبكما قد صغت أي: مالت وانحرفت عما ينبغي لهن من الورع والأدب مع الرسول ﷺ ، واحترامه ، وأن لا يشققن عليه"(٥).

---

(١) رسالة في الرد على الرافضة للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص٢٢-٢٦ – تحقيق ناصر بن سعد الرشيد – ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب – ملحق الرسائل – طبعة جامعة الإمام.

(٢) عيون الرسائل والأجوبة على المسائل لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ٧٩٢/٢-٧٩٣ - دراسة وتحقيق حسين محمد بوا - مكتبة الرشد – الرياض - الطبعة الأولى.

(٣) انظر : الصراط المستقيم للبياضي ١٦٨/٣.

وفصل الخطاب للطبرسي ، ص ٣١٣ .

(٤) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن حمد آل سعدي ، الفقيه الأصولي المفسّر ، المحقق . ولد في عنيزة عام ١٣٠٧هـ ، توفي والديه وهو صغير فعاش يتيم الأبوين ، وتربى في كنف أخيه الأكبر حمد ، فنشأ نشأة صالحة كريمة حيث أقبل على العلم وهو صغير وحفظ القرآن والعلم على علماء بلده حتى أدرك في صغره ما لا يدركه غيره في عمر طويل. ثم جلس لتعليم الناس وتدريسهم والدعوة إلى الله تعالى إلى أن توفي في عنيزة عام ١٣٧٦هـ . من مؤلفاته : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، والقول السديد في مقاصد التوحيد ، وتوضيح الكافية الشافية لابن القيم وغيرها كثير.

انظر ترجمته في : مشاهير علماء نجد ، ص ٣٩٢. والأعلام ٣٤٠/٣ . وعلماء نجد ٢١٨/٣ .

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبدالرحمن بن ناصر السعدي ٢٧٠/٥ تحقيق محمد زهري النجار – دار المدني – جدة – ١٤٠٨هـ .

وقال:" ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ إلى آخر الآيات وهو قوله: ﴿ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ [سورة النور: ١١-٢٦].

هذه الآيات نزلت في قصة الإفك المشهورة، الثابتة في الصحاح والسنن والمسانيد... ﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِ ﴾ أي: كل خبيث من الرجال والنساء، والكلمات والأفعال، مناسب للخبيث، وموافق له، ومقترن به، ومشاكل له، وكل طيب من الرجال والنساء، والكلمات والأفعال، مناسب للطيب، وموافق له، ومقترن به، ومشاكل له، فهذه كلمة عامة وحصر، لا يخرج منه شيء، من أعظم مفرداته، أن الأنبياء - خصوصا أولي العزم منهم، خصوصا سيدهم محمد ﷺ ، الذي هو أفضل الطيبين من الخلق على الإطلاق لا يناسبهم إلا كل طيب من النساء، فالقدح في عائشة ﵂ بهذا الأمر قدح في النبي ﷺ ، وهو المقصود بهذا الإفك، من قصد المنافقين، فمجرد كونها زوجة للرسول ﷺ ، يعلم أنها لا تكون إلا طيبة طاهرة من هذا الأمر القبيح.

فكيف وهي هي؟ صديقة النساء وأفضلهن وأعلمهن وأطيبهن، حبيبة رسول رب العالمين، التي لم يترل الوحي عليه وهو في لحاف زوجة من زوجاته غيرها، ثم صرح بذلك، بحيث لا يبقى لمبطل مقالا ولا لشك وشبهة مجالا فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ والإشارة إلى عائشة ﵂ أصلا وللمؤمنات المحصنات الغافلات تبعا لها "(١).

٣- بيانهم أن اتهام أم المؤمنين عائشة ﵂ بما برأها الله منه أنه من الاعتقاد والنفاق المكفر المخرج من الملة .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب أثناء ذكره عقائد الرافضة :" ومنها – أي من عقيدتهم– نسبتهم الصديقة الطيبة المبرأة عما يقولون فيها إلى الفاحشة ... ومن يقذف الطاهرة الطيبة أم المؤمنين زوجة رسول رب العالمين ﷺ في الدنيا والآخرة كما صح ذلك عنه فهو من ضَرْبِ عبد الله بن أُبي ابن سلول رأس المنافقين... "(٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٣/ ٣٨٥-٣٩٣.

(٢) رسالة في الرد على الرافضة لمحمد بن عبدالوهاب ص ٢٢-٢٣ .

وقال سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب :" فنقول الاعتقاد المكفر أقسام ... و (منها) خيانة الأمين جبريل عليه الصلاة والسلام وأن المبعوث أولاً علي بن أبي طالب أو أن عائشة لم يبرئها الله "(١).

وقال زيد بن عبد العزيز بن فياض:" وعائشة هي أم عبد الله الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سماوات ... اتفقت الأمة على كفر قاذفها ..."(٢).

٤- بيانهم أن منهج الرافضة إما إلى إفراط وإما إلى تفريط.

جاء هذا عند رد دعوى الرافضة "كفر عائشة بسبب حربها لا لعلي رضي الله عنهما".

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في أثناء تعداده لعقائد الرافضة :" ومنها تكفير من حارب علياً رضي الله عنه ، مرادهم بذلك عائشة وطلحة والزبير وأصحابهم ، ومعاوية وأصحابه ، وقد تواتر منه ﷺ ما يدل على إيمان هؤلاء وكون بعضهم مبشراً بالجنة ، وفي تكفيرهم تكذيب لذلك ، فإن لم يصيروا كفرة بهذا التكذيب فلا شك أنهم يصيرون فسقة ، وذلك يكفي في خسارتهم في تجارتهم"(٣).

وقال عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ :" الرافضة الذين يتبرءون من أبي بكر وعمر ويدعون موالاة أهل البيت، وهم من أكذب الخلق وأضلهم وأبعدهم عن موالاة أهل البيت وعباد الله الصالحين، وزادوا في رفضهم حتى سبوا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأكرمها واستباحوا شتم أصحاب رسول الله ﷺ ، إلا نفرا يسيرا"(٤).

هذا ما وقفت عليه من أقوالهم في هذا الباب ، والله أعلم.

---

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوها لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٩٨-٩٩.

(٢) الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية لزيد بن عبد العزيز بن فياض ص٤٤٥-٤٤٦.

(٣) رسالة في الرد على الرافضة للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص٢٦.

(٤) عيون الرسائل والأجوبة على المسائل لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ٧٩٢/٢-٧٩٣ - دراسة وتحقيق حسين محمد بوا - مكتبة الرشد - الرياض - الطبعة الأولى.

الخاتمة

الخاتمة

أحمد الله الذي يسر إتمام هذا العمل ، ثم أسأله أن يكون خالصاً ابتغاء وجهه الكريم وأن يغفر لي ما كان فيه من خطأ وزلل.

وفي هذه الخاتمة سوف أقوم بذكر أهم نتائج البحث وبعض التوصيات.

أولاً : أهم نتائج البحث ، مرتبة على خطته :

١- مصطلح " أهل السنة " له معنى عام يدخل فيه جميع المنتسبين للإسلام عدا الرافضة ، ومعنى خاص ويراد به أهل السنة المحضة دون سائر أهل البدع قاطبة.

٢- اختلف أهل العلم في المراد بأهل البيت في الشرع على أقوال أصحها أهم هم قرابة النبي ﷺ الذين حرمت عليهم الصدقة وزوجاته وذريته.

٣- لآل بيت النبي ﷺ مترلة وحقوقاً عند أهل السنة دلت عليها النصوص الشرعية كذهاب الرجس عنهم ، والصلاة عليهم ، وعلو نسبهم ، ووجوب محبتهم وتوقيرهم ، وتحريم الصدقة والزكاة عليهم ، واستحقاقهم من الخمس .

٤- المراد بآل البيت عند جمهور الشيعة: أصحاب الكساء وهم محمد ﷺ وفاطمة وعلي والحسن والحسين .

٥- للخوارج موقف سوء من أئمة بيت النبي ﷺ كأم المؤمنين عائشة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

٦- وكذلك كبار رجال المعتزلة لهم موقف سوء من أئمة بيت النبي ﷺ كأم المؤمنين عائشة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

٧- ولدت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في مكة بين أبوين مسلمين في السنة الرابعة وقيل الخامسة بعد البعثة.

٨- تكنى عائشة رضي الله عنها بأم عبدالله وهو ابن أختها عبدالله بن الزبير.

٩- لعائشة رضي الله عنها عدة ألقاب كعائش ، والحميراء ، وبنت الصديق ، وبنت أبي بكر ، والموفقة.

١٠- الصحيح أن النبي ﷺ عقد على عائشة رضي الله عنها وهي بنت ست سنين في مكة ، وبنى بها وهي بنت تسع سنين في المدينة.

١١- توفيت عائشة رضي الله عنها ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان سنة ثمان وخمسين من الهجرة.

١٢- تبوأت عائشة رضي الله عنها مكانة عالية في العلم من جميع جوانبه مما جعلها المرجع للصحابة إذا أشكل عليهم شيء من النصوص أو معاني الكتاب والسنة.

١٣- لأزواج النبي ﷺ مكانة عالية عند أهل السنة وهي مضمون ما دلت علي نصوص الوحيين في فضلهن وفضائلهن ، وتختص عائشة رضي الله عنها بفضائل خاصة لكثرة ما ورد في فضلها ولعلو مكانتها عند رسول الله ﷺ كمحبته لها ونزول براءتها من فوق سبع سماوات وسعة علمها وكونها سبباً في تشريع بعض الأحكام كالتيمم.

١٤- اتفق أهل العلم على أن أفضل نساء هذه الأمة خديجة وعائشة وفاطمة -رضي الله عنهن -.

١٥- اختلف أهل العلم في التفضيل بين عائشة وخديجة وكذلك بين عائشة وفاطمة - رضي الله عنهن- على أقوال أصحها أن كلاً منهن أفضل من وجه من الوجوه لأن هذا الذي تجتمع عليه الأدلة.

١٦- فضائل عائشة رضي الله عنها تنقسم إلى:

أ. فضائل شاركها فيها بقية أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - كتسميتها بأم المؤمنين ، وعدم جواز الزواج بها بعد النبي ﷺ ، وأنها زوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة ، واختيارها الله ورسوله والدار الآخرة عند نزول آية التخيير.

ب. وفضائل خاصة قد انفردت بها دون سائر أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - كشدة حب النبي ﷺ لها ، وتفضيل النبي ﷺ لها على سائر النساء ، ورؤيتها جبريل عليه السلام ، ونزول الوحي والنبي ﷺ في لحافها ، وشهادة الباري سبحانه لها بالبراءة مما رُميت به من الإفك ، وكونها سبباً في نزول حكم التيمم ، وأن النبي ﷺ قُبض وهو في بيتها وهو بين سحرها ونحرها ، سعة علمها حيث كان الصحابة يستفتونها فيم أشكل عليهم رضي الله عنها.

١٧- ينقسم الشيعة إلى غلاة وزيدية وإمامية ، إلا أنهم كان لهم موقف سوء من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بين مكفِّر لها أو مفسِّق أو متوقِّف فيها.

١٨- وكذلك الخوارج على اختلاف فرقهم فقد قالوا بكفر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعلى رأسهم الأزارقة والشبيبية .

١٩-أما المعتزلة فقالوا بفسق أهل الجمل دون تحديد لإحدى الطائفتن سوى عمرو بن عبيد فقد فسّق كلا الطائفتين بأعيانهم.

٢٠-الشبه والطعون التي أوردها أهل البدع في حق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تنقسم إلى:

أ. شبه وطعون مشتركة بين أم المؤمنين عائشة وأمهات المؤمنين– رضي الله عنهن – كالتبرؤ منها ، ودعواهم أنها أذاعت سر النبي ﷺ ، و دعواهم أنها تآمرت على قتل النبي ﷺ ، و أن الله– سبحانه– ضرب امرأة نوح وامرأة لوط مثلاً لعائشة ، و دعواهم أنها من أعداء علي رضي الله عنه ، و إطلاق ألقاب السوء عليها ، وزعمهم سوء أدبها مع النبي ﷺ ، و دعواهم أنها ليست من أهل بيت النبي ﷺ ، ودعواهم أن الشرط المذكور في القرآن يدل على النقص ، و دعواهم أن عصمتها بعد وفاة النبي ﷺ بيد علي رضي الله عنه .

ب. شبه وطعون في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خاصة كدعواهم كفرها وأنها من أهل النار ، ورميها رضي الله عنها بالفاحشة ، و دعواهم أنها رضي الله عنها مصدر الفتنة ، والطعن في روايتها رضي الله عنها للحديث ، ودعواهم إقامة الحد عليها رضي الله عنها بعد الرجعة ، ودعواهم حسدها لخديجة رضي الله عنها ، ودعواهم قذفها لمارية القبطية بالفاحشة رضي الله عنها ، دعواهم عداوتها لفاطمة رضي الله عنها ، ودعوهم رفضها دفن الحسن عند جده ﷺ و رضي الله عنه ، ودعواهم تحريضها الناس على قتل عثمان رضي الله عنه ، ودعواهم عدم توبتها من معاداتها لعلي وحربها له رضي الله عنه .

وقد قمت بالرد والتفنيد لهذه المزاعم والطعون وقد توصلت إلى أن ما قالوه فيها رضي الله عنها إما من الكذب الصريح وإما لحديث موضوع أو ضعيف لا تقوم به حجة وإما لنص صحيح ولكنهم حرّفوه وأخرجوه عن وجهه وحمّلوه مالا يحتمل وإما لأمر قد اجتهدت فيه وهي به بين الأجر والأجرين رضي الله عنها .

٢١-لقد تأثر الفرق الإسلامية بعضها في بعض ولا أدلّ من ذلك من تحوّل الشيعة من التشبيه إلى التعطيل في باب الأسماء والصفات تأثراً بالمعتزلة وكذلك انتقال القول السوء في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من الشيعة للمعتزلة.

٢٢-المستشرقون أهل حقد على هذا الدين وأهله فلذلك أظهروا وأشهروا أقوال المخالفين لأهل السنة من الفرق الإسلامية وعلى رأسهم الشيعة والخوارج والمعتزلة بل قاموا بذكر هذا

الخلاف وكأنه هو المعتقد الصحيح وليس ذلك إلا لتوسيع دائرة الخلاف بين المسلمين لإضعافهم وإيقاع الفتنة والاقتتال بينهم.

٢٣- الطعن في أم المؤمنين رضي الله عنها ينقسم إلى قسمين:

أ. طعن بغير القذف: وقد اختلف أهل العلم فيه على قولين أصحهما أن الطعن فيها فيما يقدح في دينها وعدالتها فهذا كفر مخرج من الملة وأما إن كان الطعن والقدح لم يكن في دينها وعدالتها وإسلامها ففسق وكبيرة ولا يصل إلى حد الكفر.

ب. طعن بالقذف: فقد أجمع أهل العلم على أن من طعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه أنه كافر خارج من الملة وأن حكمه القتل مرتداً.

٢٤- ذكر أهل العلم أن الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يلزم من أشياء من أهمها: تكذيب القرآن الكريم والسنة النبوية حيث نصّا على براءتها وتزكيتها والثناء عليها ، وكذلك يلزم منه التنقّص لرسول الله ﷺ وأذيته والقدح في دعوته ، وكذلك يلزم منه الطعن في الدين وهدم الشريعة لأن الصحابة هم من نقل إلينا الأحكام فالطعن فيهم يلزم منه الطعن فيما نقلوه ، وكذلك يلزم منه تضليل هذه الأمة وأنها على نهج غير النهج الذي رسمه لها النبي ﷺ.

٢٥- لقد قام أئمة أهل السنة ببيان المعتقد الصحيح في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على ضوء الوحيين ثم قاموا بالرد على كل من خالف نصوصهما بالحجج الدامغة وعلى رأس هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية وأئمة الدعوة النجدية حيث ألفوا الكتب لتقرير معتقدهم فيها والرد على المخالف مما جعلني أختم بحثي بذكر أهم ما وقفت عليه من أقوالهم في هذا الصدد كمثال لجهود أئمة الإسلام في هذا المجال ، والله أعلم.

ثانياً: التوصيات:

١- إن كتب التاريخ مليئة بالأخبار التي ظاهرها التعارض خاصة فيما يختص بعصر صدر الإسلام فمن الضرورة بمكان دراسة هذه الأخبار دراسة حديثية عقدية أكاديمية لبيان التوفيق بينها أو وضع أو ضعف بعضها أو غير ذلك.

٢- تاريخ اليعقوبي على وجه الخصوص من الكتب التي تكلمت عن الصحابة وعصر الفتنة فيا حبذ الدراسة والتعليق على ما جاء فيه منها.

٣- الرافضة أرادوا هدم هذا الدين بهدم نقلته فينبغي وضع رسالة خاصة لكل من قدحوا فيه للرد عليهم وبيان خبثهم ، كمعاوية وطلحة والزبير رضي الله عنهم .

٤- أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لم تسلم من أقلام الحاقدين وكذلك بقية أمهات المؤمنين فيا حبذا وضع رسالة مستقلة لكل من قدح الشيعة في سيرتها ، كحفصة ومارية القبطية رضي الله عنهما .

٥- الرافضة أصحاب كذب وتقية خصوصاً في هذا الوقت ، لكن مع هذا فلابد من وجود فلتات تدل على ما في قلوبهم وكذلك لا بد من وجود أفراد يدّعون الجهر بالحق وإظهاره ، فجمع هذا يكون سبباً في فضح هؤلاء عند العامة ليكونوا على بصيرة بسوء معتقدهم ، مع أنه ولله الحمد من الوضوح بمكان عند أهل البصيرة والنظر.

قائمة الفهارس

وفيها :

- أولاً : فهرس الآيات.
- ثانياً : فهرس الأحاديث والآثار.
- ثالثاً : فهرس الأعلام.
- رابعاً : فهرس الفرق.
- خامساً : فهرس الأماكن والبلدان.
- سادساً : فهرس الكلمات الغريبة.
- سابعاً : فهرس المصطلحات.
- ثامناً : فهرس المصادر والمراجع.
- تاسعاً : فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات

أولاً: فهرس الآيات.

مرتبة على أسماء السور وأرقام الآيات

طرف الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ﴾	النور	١٣	١٧٨
﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ ﴾	النور	١٦	٥٧٩،١٧٨
﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ ﴾	النور	١٧	٥٨٠، ١٧٩
﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾	النور	٢٠	١٧٩
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ﴾	النور	٢٣	٥٨٥، ٥٨٣، ١٨١
﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾	النور	٢٥	١٨٠،١٨١
﴿ ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ ﴾	النور	٢٦	٥٩٢، ٥٨٠، ١٨١
﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾	الفرقان	٢٧	١٩٣
﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا ﴾	الفرقان	٢٩	١٩٣
﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ ﴾	القصص	٥٠	٤٩٨
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ...﴾	الروم	٣٠	٤٩٢
﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَـٰهِرُونَ ﴾	الأحزاب	٤	٢٨٨
﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾	الأحزاب	٦	٢، ٣٩، ٤١، ١٢٩، ١٥٣، ١٥٤، ٥٨٨، ٢٧٠،٢٨٧،٢٩١
﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا...﴾	الأحزاب	٢٧	٢٧٢
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ...﴾	الأحزاب	٢٨-٣٤	١٦٠، ١٥٩
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾	الأحزاب	٢٨	٢٧١، ١٢٥
﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾	الأحزاب	٢٩	١٦١
﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ ﴾	الأحزاب	٣٠-٣٤	٣١٤، ١٢٨، ٢٩
﴿ نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾	الأحزاب	٣١	١٦١، ١٢٩، ١٢٧
﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ ﴾	الأحزاب	٣٢	١٤٩،٢٧٥
﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ ﴾	الأحزاب	٣٣	٣٧، ٤٢، ٦٦، ٦٧، ٧٣، ١٩٤، ٣١٤، ٢١٠، ٦٠٤، ٦٢١
﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾	الأحزاب	٣٤	١٦٦

ثانياً : فهرس الأحاديث والآثار

ثانياً: فهرس الأحاديث والآثار.

مرتبة على حروف المعجم

ثالثاً : فهرس الأعلام

ثالثاً: فهرس الأعلام.

مرتبة على حروف المعجم

رابعاً : فهرس الفرق

رابعاً : فهرس الفرق.

مرتبة على حروف المعجم

خامساً : فهرس الأماكن والبلدان

خامساً : فهرس الأماكن والبلدان .

مرتبة على حروف المعجم

سادساً : فهرس الكلمات الغريبة

سادساً: فهرس الكلمات الغريبة.

مرتبة على حروف المعجم

الكلمة الغريبة	رقم الصفحة
الأدبب	٤١١
الإرب	٣٤٠
إزعيلا	٣٥٠
استلبث الوحي	٢٥٢
أشرع	٣٨٤
اغتُمر	٣٨٥
الإفك	٢٨٩
أكياس	٣٤٠
أهجت	٤٥٠
بدّل	٣٩٦
بعس لبن	١٠٠
بقلِّيتنا	٣٧٠
البقية	٤١٨
تحاصبوا	٣٨٤
تحلبوا	٣٥٠
تربك	١٠٠
الجزع	٣٨
الجف	١١٢
جلوتها	١٠٠
الحشايا	٢٦٧
حُم	٣٥٠
حميراء	٤١٢

الكلمة الغريبة	رقم الصفحة
خلجوا	٣٤٠
الدل	٥٠
ذوي	٣٥٨
الزُّطُ السَّيابجة	٣٨٦
سائس	٨٢
السب	٥٥٨
السراري	٢٦٧
شامُّوه	٤١٧
صفن	٤٧
الطعن	٥٥٩
عزم عليها	٣٧٤
عشوا	٣٦٧
غاداهم	٣٨٥
غِبٌّ	٣٤٠
الغنيمة	٥٦
الفدّادين	٢٩٩
فلم تهتش	٢٤١
فنجاةً من اجتماعكم	٣٧٨
الفيء	٥٦
قباء	٤٢٠
قرنان	٥٨١
قنيت	١٠٠
الكبوة	٤٥
اللُّج	٣٩٧

الكلمة الغريبة	رقم الصفحة
لم تباله	٢٤١
لم يُراع	٣٨٥
المشاطة	١١٢
المغافير	٢٢٥
مقبوح	١٦٤
نجاة	٣٤٠
نعتل	٣٣٩
نكابر	٣٦٨
يَزَعُهم	٤١٨
يشرد	٣٤٠
يعسوب القوم	٣٧٣
يفطم	٣٨٠
يقيدك الله	٣٨٥
ينكل	٣٤٠

سابعاً: فهرس المصطلحات

سابعاً: فهرس المصطلحات.

مرتبة على حروف المعجم

ثامناً : فهرس المصادر والمراجع

ثامناً: فهرس المصادر والمراجع.

مرتبة على حروف المعجم

أ/ مصادر ومراجع أهل السنة :

١- **القرآن الكريم** .

٢- **أبو هريرة راوية الإسلام** – لمحمد عجاج الخطيب – المؤسسة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٣٨١ هـ.

٣- **أبو هريرة وأقلام الحاقدين** – لعبد الرحمن بن عبد الله الزرعي – دار الأرقم – الكويت – الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ.

٤- **أبو هريرة وعاء العلم** – لهاشم عقيل عزوز – دار القبلة – السعودية – جدة.

٥- **الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة** – لبدر الدين الزركشي – تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب – مكتبة الخانجي – القاهرة.

٦- **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها** – لعبد الرحمن حبنكة الميداني-دار القلم – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

٧- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان** – لعلاء الدين علي بن حبان – تحقيق: شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

٨- **أحكام القرآن** – لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي – تحقيق محمد عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – وكذلك طبعة دار الجيل .

٩- **أحكام أهل الذمة** – لابن قيم الجوزية – تحقيق: صبحي الصالح – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.

١٠- **الإحكام في أصول الأحكام** – لعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي – دار الحديث – القاهرة – مصر – الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.

١١- **الاختيارات الفقهية من فتاوى ابن تيمية** – لعلاء الدين علي بن محمد البعلي – تحقيق: محمد حامد الفقي – دار المعرفة – بيروت.

١٢- **أدب الاختلاف في الإسلام** – لطه جابر العلواني - الدار العالمية للكتاب الإسلامي – الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ.

١٣- **آراء الكلابية العقدية** – لهدى الشلالي – طبعة مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١٤- **الإستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم** - لمصطفى السباعي - المكتب الإسلامي – بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

١٥- **استشهاد عثمان ووقعة الجمل** - لخالد بن محمد الغيث- دار الأندلس الخضراء - جدة - الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

١٦- **أسد الغابة في معرفة الصحابة** _ لعز الدين ابن الأثير – تحقيق: عادل أحمد الرفاعي – دار إحياء التراث – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.

١٧- **الإسلام فطرة الخلق وشريعة الوجود** - لمحمد محمود متولي - دار جرش - خميس مشيط – السعودية - الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٨- **الإصابة في تمييز الصحابة** – لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني – تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى١٩٩٥م – وطبعة دار الجيل – الطبعة الأولى – تحقيق : علي محمد البجاوي.

١٩- **أصول الدين** – لأبي الحسن البزدوي – تحقيق: هانز بيتر لنس – طبعة مصطفى حلبي – مصر – الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ.

٢٠- **أصول السرخسي** – لمحمد بن أحمد السرخسي – دار المعرفة – بيروت.

٢١- **أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية** – لناصر بن عبد الله القفاري – طبعة دار الحرمين – الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ.

٢٢- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** – لمحمد الأمين الشنقيطي – مكتبة ابن تيمية - ١٤٠٨ هـ.

٢٣- **إعانة الطالبين** – لأبي بكر بن السيد الدمياطي – دار الفكر – بيروت.
٢٤- **الاعتصام** – لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي – دار المعرفة – بيروت – ١٤٠٢ هـ ، وكذلك طبعة مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.
٢٥- **اعتقاد أهل السنة والجماعة** – لهبة الله بن الحسن اللالكائي – تحقيق: أحمد سعد حمدان – دار طيبة – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ.
٢٦- **اعتقاد فرق المسلمين والمشركين** – لمحمد بن عمر الرازي – مراجعة علي سامي النشار – دار الكتب العلمية – بيروت - ١٤٠٢ هـ.
٢٧- **الأعلام** – لخير الدين الزركلي – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الخامسة ١٩٨٠ م.
٢٨- **الإعلام بقواطع الإسلام** – لأحمد بن حجر الهيتمي – مطبعة منصور محمد أفندي.
٢٩- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان** - لابن قيم الجوزية - دار المعرفة - بيروت - لبنان .
٣٠- **الأغاني** – لابن أبي الفرج الأصبهاني – تحقيق: علي مهنا وسمير جابر – دار الفكر – لبنان.
٣١- **الافتراق مفهومه – أسبابه** - لناصر عبد الكريم العقل - دار المسلم – الرياض - الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
٣٢- **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم** – لشيخ الإسلام أحمد بن تيميه – تحقيق: ناصر العقل – مكتبة الرشد – الطبعة الثانية ١٤١١ هـ.
٣٣- **الأم** – للإمام محمد بن إدريس الشافعي – دار الغد العربي – الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.
٣٤- **الأمثال في القرآن الكريم** – لابن قيم الجوزية – مكتبة الصحابة – مصر – الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.
٣٥- **أمهات المؤمنين وبنات النبي ﷺ بين أهل السنة والشيعة** – لغربية بنت عبد العزيز الغربي – رسالة ماجستير في كلية التربية للبنات بالرياض.

٣٦- **الأموال** – لأبي عبيد القاسم بن سلام – تحقيق: محمد خليل هـراس – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

٣٧- **الانتصار للصحب والآل** – لإبراهيم بن عامر الرحيلي – مكتبة الغرباء الثرية – المدينة النبوية – الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

٣٨- **أنساب الأشراف** – لأبي العباس أحمد بن يحيى البلاذري البغدادي – تحقيق: إحسان عباس – المطبعة الكاثولسكية – بيروت – ١٣٩٩هـ.

٣٩- **الإنصاف سبيل للائتلاف واجتماع الكلمة** - لعبيد الشعبي - دار الوطن – الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٤٠- **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف** – لعلي بن سليمان المرداوي – تحقيق محمد حامد الفقي – مكتبة السنة النبوية – الطبعة الأولى ١٣٧٥ هـ – وطبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤١- **الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء السنة من الزلل والتضليل والمجازفة** – لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي – المكتبة السلفية – القاهرة - ١٢٨٧ هـ.

٤٢- **الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام** - لناصر عبد الكريم العقل - دار الوطن – الرياض - الطبعة الاولى١٤١٥هـ.

٤٣- **الإيمان** – لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ.

٤٤- **الإيمان** – لمحمد بن إسحاق بن مندة – تحقيق: علي محمد ناصر فقيهي – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٤٥- **البحر الرائق شرح كنز الدقائق** – لزين الدين بن نجيم الحنفي – دار المعرفة – بيروت – الطبعة الثانية.

٤٦- **البدء والتاريخ** – لابن المطهر بن طاهر المقدسي – مؤسسة الخانجي – مصر – وطبعة مكتبة المثنى – بغداد.

٤٧- **البداية والنهاية** – للعماد ابن كثير – تحقيق: عبد الله التركي – طبعة دار هجر – الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

٤٨- **البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها** – لعزت عطية – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ.
٤٩- **البرهان في تبرئة أبي هريرة من البهتان** – لعبد الله بن عبد العزيز الناصر – دار النصر – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.
٥٠- **البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان** – لأبي الفضل عباس بن منصور السكسكي – تحقيق: بسام بن علي العموش – مكتبة المنار – الأردن – الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
٥١- **بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك** – لأحمد بن محمد الصاوي – دار المعرفة – بيروت – ١٣٩٨ هـ ، وكذلك طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.
٥٢- **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية** – لشيخ الإسلام ابن تيمية – تعليق: محمد عبد الرحمن بن قاسم – مؤسسة قرطبة.
٥٣- **تاج العروس** – للسيد مرتضى الزبيدي – المطبعة الخيرية – مصر – الطبعة الأولى ١٣٠٦ هـ.
٥٤- **التاريخ** – لأبي زكريا يحيى بن معين البغدادي – تحقيق: أحمد محمد نور سيف – مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٣٩٩ هـ.
٥٥- **تاريخ ابن خلدون** – لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون – مؤسسة الرسالة – بيروت ١٣٩١ هـ.
٥٦- **تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)** – لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤١١ هـ.
٥٧- **تاريخ التشريع الإسلامي** – لبوجينا – دار الآفاق الجديدة – بيروت .
٥٨- **تاريخ الثقات** – لأحمد بن عبد الله بن صالح العجلي – تحقيق: عبد المعطي قلعجي –دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٥ هـ.
٥٩- **التاريخ الكبير** – لمحمد بن إسماعيل البخاري – دار الفكر – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ.

٦٠- **تاريخ بغداد** – أو مدينة السلام – لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
٦١- **تاريخ خليفة بن خياط** – لأبي عمر خليفة بن خياط العصفري – تحقيق: مصطفي نجيب فواز وحكمة كشلي فواز – دار الكتب العلمية – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.
٦٢- **تاريخ دمشق** – لعلي بن الحسن بن عساكر – تحقيق: علي عاشور الجنوبي – دار إحياء التراث العربي – الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.
٦٣- **تاريخ نجد** – لحسين بن غنام – تحقيق:ناصر الدين الأسد.
٦٤- **تأملات في قوله تعالى " وأزواجه أمهاتهم "** – لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر – دار ابن عفان – الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.
٦٥- **تأويل مختلف الحديث** - لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة – تحقيق: محمد محيي الدين _ المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.
٦٦- **التبصرة في الدين** – لأبي المظفر الإسفراييني – تحقيق: كمال يوسف الحوت – عالم الكتب – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
٦٧- **التبيين في أنساب القرشيين** – لموفق الدين عبد الله بن قدامة – تحقيق: محمد نايف الديلمي – عالم الكتب - الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ.
٦٨- **التحرير والتنوير** – لمحمد الطاهر بن عاشور – طبعة الدار التونسية ١٩٨٤ م – وكذلك طبعة مؤسسة التاريخ العربي – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.
٦٩- **تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال** – لبكر بن عبد الله أبو زيد – دار العاصمة – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.
٧٠- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي** - لعبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري – طبعة دار الاتحاد العربي – الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ.
٧١- **التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية** – لفالح بن مهدي – طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية –الطبعة الثانية١٤٠٦ هـ.

٧٢- **تذكرة الحفاظ** – لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٧٣- **تركة النبي ﷺ** – لحماد بن إسحاق البغدادي – تحقيق: أكرم ضياء العمري – الطبعة الأولى.

٧٤- **التعديل والتجريح** – لابن الوليد الباجي- دار اللواء للنشر – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

٧٥- **تفسير القرآن** – لعبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم – تحقيق: أسعد محمد الطيب – المكتبة العصرية – صيدا.

٧٦- **تفسير القرآن** – لعبد الرزاق بن همام الصنعاني – تحقيق: مصطفى مسلم – طبعة مكتبة الرشد– الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

٧٧- **تفسير القرآن العظيم** – للعماد ابن كثير – دار إحياء الكتاب العربي – عيسى الحلبي وشركاه – مصر .

٧٨- **تفسير الواحدي (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)** – لعلي بن أحمد الواحدي – تحقيق: صفوان داوودي – دار القلم – دمشق – الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.

٧٩- **تقريب التهذيب** – لأحمد بن حجر العسقلاني – تحقيق: محمد عوامة – دار الرشيد – الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ.

٨٠- **التقليد في الشريعة الإسلامية** – لعبد الله بن عمر الشنقيطي – دار البخاري – المدينة النبوية – الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

٨١- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** – ليوسف بن عبد البر – تحقيق: محمد أبو خبزة.

٨٢- **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع** – لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي – تعليق: محمد زاهد الكوثري – وإعداد فتحي جابر العقيلي.

٨٣- **تهذيب التهذيب** – لأحمد بن حجر العسقلاني – الطبعة المصورة عن مجلس دائرة المعارف بالهند - ١٣٢٥ هـ.

٨٤- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** – لجمال الدين الحجاج يوسف المزي – تحقيق: بشار عواد – خرج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ.

٨٥- **التوضيح عن توحيد الخلائق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب** – لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب – دار طيبة – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.

٨٦- **تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد** – لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب – دراسة وتحقيق: زهير الشاويش – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.

٨٧- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** – لعبد الرحمن بن سعدي – مؤسسة الرسالة – الطبعة التاسعة ١٤١٨ هـ - وكذلك التي بتحقيق محمد زهري النجار – دار المدني – جدة ١٤٠٨ هـ.

٨٨- **ثم أبصرت الحقيقة** – لمحمد سالم الخضر – دار الإيمان – الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.

٨٩- **جامع العلوم والحكم** – لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب – تحقيق: شعيب الأرناؤوط و إبراهيم باجس – مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ.

٩٠- **الجامع لأحكام القرآن** – لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

٩١- **الجرح والتعديل** – لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٥٢ م.

٩٢- **جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام** – لابن قيم الجوزية – تحقيق: شعيب الأرناؤوط – دار العروبة – الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

٩٣- **جمهرة أنساب العرب** – لأبي محمد بن حزم – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٣ هـ.

٩٤- **الحاجة إلى الرسل** – لمناع القطان – الدار السعودية للنشر –جدة – الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.
٩٥- **حاشية ابن عابدين الحنفي (رد المحتار على الدر المختار)** – لمحمد بن أمين بن عابدين – المكتبة التجارية – الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ وطبعة دار الفكر – بيروت.
٩٦- **حاشية الخرشي على مختصر خليل** – دار الفكر – بيروت.
٩٧- **حاشية الدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضية** – لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم.
٩٨- **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير** – لمحمد بن أحمد الدسوقي – دار الفكر.
٩٩- **حاشية الروض المربع على زاد المستقنع** – لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم – الطبعة الرابعة ١٤١٠ هـ.
١٠٠- **حاشية كتاب التوحيد** – لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم – الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ.
١٠١- **حاشية مقدمة التفسير** – لعبد الرحمن بن قاسم – الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.
١٠٢- **حجة إبليس** – لابن قيم الجوزية – تحقيق: سليم الهلالي – دار ابن الجوزي – الدمام – الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.
١٠٣- **حسن الأسوة فيما ثبت من الله ورسوله في النسوة** – لصديق حسن خان – تحقيق: مصطفى الخن ومحيي الدين مستور – مؤسسة الرسالة – الطبعة الثامنة ١٤١٦ هـ.
١٠٤- **حقيقة البدعة وأحكامها** – لسعيد ناصر الغامدي – مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.
١٠٥- **حكم مخالفة منهج أهل السنة في تقرير مسائل الاعتقاد** – لعثمان حسن – دار الوطن – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.

١٠٦- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** – لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني – دار الكتب العلمية – بيروت.

١٠٧- **حياة الحيوان** – للدميري – دار الفكر – بيروت.

١٠٨- **حياة محمد** – لمحمد حسين هيكل – دون ذكر الناشر والطبعة.

١٠٩- **الخراج** – لأبي يوسف يحيى بن آدم القرشي – المكتبة العلمية – باكستان – الطبعة الأولى ١٩٧٤ م.

١١٠- **خريدة العجائب وفريدة الغرائب** – لأبي حفص زين الدين عمر بن مظفر ابن الوردي – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة - ١٣٥٨ هـ.

١١١- **خلاصة تذهيب تهذيب الكمال** – لصفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري – تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة – مكتب المطبوعات الإسلامية – بيروت – الطبعة الخامسة ١٤١٦ هـ.

١١٢- **الخلاف بين العلماء أسبابه وموقفنا منه** – لمحمد صالح العثيمين – مؤسسة أسامة – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.

١١٣- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** – لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي – دار المعرفة – بيروت – لبنان.

١١٤- **الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد** – لمحمد بن علي الشوكاني – دار ابن خزيمة – الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

١١٥- **الدر في التناسب بين الآيات والسور** – للبقاعي – طبعة دار الكتب العلمية.

١١٦- **درء تعارض العقل والنقل** – لشيخ الإسلام ابن تيمية – تحقيق: محمد رشاد سالم – طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ.

١١٧- **دراسات إسلامية في الأصول الإباضية** - لبكر بن سعيد أعوشت - دار التضامن – القاهرة – الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ.

١١٨- **الدرر السنية في الأجوبة النجدية** – جمع عبد الرحمن بن قاسم – الطبعة الخامسة ١٤١٣ هـ.
١١٩- **دعوة الفطرة** – ليوسف محيي الدين أبو هلالة – دار العاصمة – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
١٢٠- **دفاع عن أبي هريرة** – لعبد المنعم صالح العلي – دار الشرق – بيروت – ومكتبة النهضة – بغداد – الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ.
١٢١- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** – لإبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المالكي – دار الكتب العلمية – بيروت.
١٢٢- **ديوان الأعشى** - لعبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث (أعشى همدان) – تحقيق: حسن عيسى أبو ياسين – دار العلوم – الرياض - ١٤٠٣ هـ.
١٢٣- **ديوان الفرزدق** – لهمام بن غالب بن صعصعة التميمي – دار صادر – بيروت - ١٣٨٦ هـ.
١٢٤- **ذم التأويل** – لموفق الدين بن قدامة المقدسي – تحقيق: بدر البدر – دار الفتح – الشارقة - الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.
١٢٥- **رؤية إسلامية للاستشراق** – لأحمد غراب – نشر المنتدى الإسلامي – بريطانيا – عام ١٤١١ هـ.
١٢٦- **رد مفتريات على الإسلام** - لعبد الجليل شلبي – دار القلم – الكويت – الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ.
١٢٧- **الرسالة الوازعة عن سب صحابة سيد المرسلين** – ليحيى بن حمزة – تحقيق: مقبل الوادعي.
١٢٨- **رسالة في الرد على الرافضة** – لأبي محمد محمد المقدسي – تحقيق: عبدالوهاب خلبل الرحمن – الدار السلفية – الهند – الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

١٢٩- **رسالة في الرد على الرافضة** – لمحمد بن عبد الوهاب – تحقيق: ناصر الرشيد – ضمن مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب – ملحق المصنفات – طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٣٠- **الرسل والرسالات** – لعمر سليمان الأشقر – مكتبة الفلاح – الكويت – الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ.

١٣١- **رفع الملام عن الأئمة الأعلام** – لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية – دار الدعوة السلفية – عام ١٤١٣ هـ.

١٣٢- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** – لمحمود الألوسي – دار الفكر - ١٤٠٨ هـ.

١٣٣- **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية** – لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي – تحقيق: عبد العزيز بن رباح وأحمد يوسف – مراجعة : شعيب الأرناؤوط – دار المأمون للتراث – دمشق – الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ.

١٣٤- **الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية** – لزيد بن عبد العزيز بن فياض – دار الوطن – الرياض – الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ.

١٣٥- **زاد المسير في علم التفسير** – لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي – المكتب الإسلامي – الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ.

١٣٦- **زاد المعاد في هدي خير العباد** – لابن قيم الجوزية – تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثالثة والعشرين ١٤٠٩ هـ.

١٣٧- **الزينة في الكلمات الإسلامية** – لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي – تحقيق: عبد الله السامرائي – دار الحرية للطباعة – العراق - ١٣٩٢ هـ.

١٣٨- **سلسلة الأحاديث الصحيحة** – لمحمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ.

١٣٩- **سلسلة الأحاديث الضعيفة** – لمحمد ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف – الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

١٤٠- **السنة** – لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال – تحقيق: عطية الزهـــراني – دار الراية – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٠ هـــ.
١٤١- **السنة** – لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني – تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـــ.
١٤٢- **السنة** – لعبد الله بن الإمام أحمد – تحقيق: هاجر محمـــد الـــسعيد – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
١٤٣- **السنة** – للإمام أحمد بن حنبل الشيباني – ضمن مجموع مع كتاب الـــرد على الجهمية – طبعة عيسى حلبي – مصر.
١٤٤- **سنن ابن ماجة** – لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – دار الريان للتراث.
١٤٥- **سنن أبي داود** - لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني – إعداد عزت الدعاس و عادل السيد – دار الحديث – بيروت – الطبعة الأولى ١٣٨٨هـــ.
١٤٦- **سنن الترمذي (الجامع الصحيح)** – لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي – تحقيق: كمال يوسف الحوت – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعـــة الأولى ١٤٠٨ هـــ.
١٤٧- **سنن الدارقطني** – لعلي بن عمر أبو الحسن الدار قطني – تحقيق: عبد الله هاشم يماني – دار المعرفة – بيروت ١٣٨٦ هـــ.
١٤٨- **السنن الكبرى** – للحافظ أحمد بن الحسين البيهقي – دار المعرفة – بيروت – لبنان – توزيع مكتبة المعارف - الرياض.
١٤٩- **سنن النسائي (المجتبى)** – لأحمد بن شعيب النسائي – بشرح الـــسيوطي وحاشية السندي – تحقيق: مكتب التراث الإسلامي – توزيع دار المؤيـــد – الرياض.
١٥٠- **سير أعلام النبلاء** – لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي – تحقيق: شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـــ.

١٥١- **السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون** – لعلي بن برهان الدين الحلبي – دار المعرفة – بيروت ١٤٠٠ هـ.

١٥٢- **السيرة النبوية** – لابن هشام – تحقيق: مصطفى السقا وآخرون - مطبعة مصطفى البابي الحلبي – الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ.

١٥٣- **شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي** – لأنور الجندي – المكتب الإسلامي – دمشق – سوريا - ١٩٧٨ م.

١٥٤- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** – لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

١٥٥- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** – لأبي القاسم هبة الله بن الحسين اللالكائي – تحقيق : أحمد سعد حمدان الغامدي – دار طيبة للنشر والتوزيع.

١٥٦- **شرح السنة** – لأبي محمد الحسن بن علي البربهاري – تحقيق: محمد سعيد القحطاني – دار ابن القيم – الدمام.

١٥٧- **شرح العقيدة الطحاوية** – لابن أبي العز الحنفي – تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني – مكتبة الدعوة الإسلامية .

١٥٨- **الشرح الممتع على زاد المستقنع** – لمحمد بن صالح العثيمين – تحقيق: خالد المشيقح – مؤسسة آسان – الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

١٥٩- **شرح صحيح مسلم** – لمحيي الدين النووي – تحقيق: خليل الميسي – دار القلم – الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.

١٦٠- **شرح فتح القدير** – لكمال الدين ابن الهمام – دار الفكر – الطبعة الثانية.

١٦١- **الشرح والإبانة على أصول أهل السنة والديانة** – لعبد الله بن محمد بن بطة العكبري – تحقيق: رضا نعسان معطي – المكتبة الفيصلية – مكة المكرمة – ١٤٠٤ هـ.

١٦٢- **الشريعة** – لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري – تحقيق: محمد حامد الفقي – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.

١٦٣- **شعب الإيمان** – لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي – تحقيق: محمد سعيد زغلول – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

١٦٤- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** – لأبي الفضل عياض اليحصبي – تحقيق: علي محمد البجاوي – دار الكتاب العربي – بيروت - وكذلك طبعة دار الفكر – بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٦٥- **شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل** – لابن قيم الجوزية – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.

١٦٦- **الشيعة في الميزان** –لمحمد جواد مغنية – دار التعاون للمطبوعات– بيروت.

١٦٧- **الشيعة والتصحيح** – لموسى الموسوي – طبعة ١٤٠٨ هـ.

١٦٨- **الشيعة والسنة** – لإحسان إلهي ظهير – دار ترجمان السنة – لاهور – باكستان – بدون تاريخ الطباعة ، وكذلك طبعة دار ترجمان السنة – الطبعة الثالثة والعشرين ١٤٠٤ هـ.

١٦٩- **الصارم المسلول على شاتم الرسول** – لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية – تحقيق: محمد عبد الله الحلواني ومحمد كبير شودري – دار رمادي للنشر – الدمام – الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ .

١٧٠- **الصاعقة في نسف أباطيل وافتراءات الشيعة على أم المؤمنين عائشة** – لعبد القادر عطا صوفي – أضواء السلف – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

١٧١- **صب العذاب على من سب الأصحاب** – لمحمود شكري الألوسي – تحقيق: عبد الله شعيب البخاري – أضواء السلف _ الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

١٧٢- **الصحاح** – لإسماعيل بن حماد الجوهري – تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا – دار العلم للملايين – الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ.

١٧٣- **صحيح البخاري مع الفتح** – لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري – ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي – مراجعة: محب الدين الخطيب – دار الريان للتراث – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.

١٧٤- **الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين** – لمقبل بن هادي الوادعي – مكتبة دار القدس – صنعاء – الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.

١٧٥- **صحيح سنن ابن ماجة** - لمحمد ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.

١٧٦- **صحيح سنن أبي داود** - لمحمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.

١٧٧- **صحيح سنن الترمذي** - لمحمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

١٧٨- **صحيح سنن النسائي** – لمحمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.

١٧٩- **صحيح مسلم** – لأبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري – ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

١٨٠- **الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة** _ لأحمد بن حجر الهيتمي – تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف – مكتبة القاهرة – الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ.

١٨١- **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** – لابن قيم الجوزية – تحقيق: علي محمد الدخيل الله – دار العاصمة –الرياض – الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

١٨٢- **ضعيف سنن ابن ماجة** - لمحمد ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.

١٨٣- **ضعيف سنن أبي داود** - لمحمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.

١٨٤- **ضعيف سنن الترمذي** - لمحمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
١٨٥- **ضعيف سنن النسائي** – لمحمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.
١٨٦- **طبقات الحنابلة** – للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى – دار المعرفة – بيروت – دون ذكر للطبعة وسنة الطبع.
١٨٧- **الطبقات الكبرى** – لمحمد بن سعد الزهري – دار صادر – بيروت - ١٣٧٧ هـ.
١٨٨- **طبقات المستشرقين** – لعبد الحميد حمدان – مكتبة مدبولي .
١٨٩- **طبقات فحول الشعراء** – لأبي عبد الله محمد بن سلام بن عبد الله الجمحي – تحقيق: جوزيف هل – ليدان – مطبعة بريل .
١٩٠- **العبر في خبر من غبر** - لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي – تحقيق: صلاح الدين المنجد - مطبعة حكومة الكويت - الطبعة الثانية ١٩٨٤م.
١٩١- **العقد الفريد** – لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ.
١٩٢- **عقيدة السلف أصحاب الحديث** – لأبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني – تحقيق: ناصر الجديع – دار العاصمة – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.
١٩٣- **عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية** – لصالح بن عبد الله العبود – طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية – الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ.
١٩٤- **علم أصول البدع** – لعلي حسن عبد الحميد الأثري – دار الراية – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.
١٩٥- **العلم أصوله ومصادره ومناهجه** – لمحمد الخرعان – دار الوطن – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

١٩٦- **العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ مع كتاب الأرواح النوافح** - لصالح بن مهدي المقبلي اليمني - دار البيان - دمشق.
١٩٧- **علماء نجد خلال ثمانية قرون** - لعبد الله بن عبد الرحمن البسام - دار العاصمة - الرياض - الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ.
١٩٨- **العلو للعلي الغفار** - لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان - دار الفكر - بيروت - الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ.
١٩٩- **عمدة القاري** - لبدر الدين محمد بن محمود العيني - نشر مصطفى الحلبي - الطبعة الأولى - وطبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢٠٠- **العواصم من القواصم** - لأبي بكر بن العربي المالكي - تحقيق: محيي الدين الخطيب - دار الكتب السلفية - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.
٢٠١- **عيون الرسائل والأجوبة على المسائل** - لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب - دراسة وتحقيق: حسين محمد بوا - مكتبة الرشد - الرياض - الطبعة الأولى.
٢٠٢- **الفتاوى البزازية بهامش الفتاوى الهندية** - دار الفكر ١٤١١ هـ.
٢٠٣- **فتاوى السبكي** - لأبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي - دار المعرفة - بيروت.
٢٠٤- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** - لأحمد بن حجر العسقلاني - تحقيق: محب الدين الخطيب - المكتبة السلفية - الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ.
٢٠٥- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية** - لمحمد بن علي الشوكاني - دار المعرفة.
٢٠٦- **فتح المغيث شرح ألفية الحديث** - لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي - دار الكتب العلمية بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
٢٠٧- **الفرق بين الفرق** - لعبد القاهر البغدادي - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد - دار المعرفة - بيروت.
٢٠٨- **الفروع** - لمحمد بن مفلح المقدسي - مكتبة ابن تيمية - الطبعة الثانية .

٢٠٩- **الفصل في الملل والأهواء والنحل** – لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم – تحقيق: محمد إبراهيم نصر و عبد الرحمن عميرة – دار الجيل – بيروت ١٤٠٥هـ.

٢١٠- **فضائل الصحابة** – للإمام أحمد بن حنبل – تحقيق: وصي الله بن محمد عباس – دار ابن الجوزي – الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.

٢١١- **فقه الخلاف مدخل إلى وحدة العمل الإسلامي** – لجمال سلطان – طبعة مركز الدراسات الإسلامية – برمنجهام – بريطانيا – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٢١٢- **الفكر الإسلامي الحديث** – لمحمد البهي – مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ.

٢١٣- **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة** – لعبد الرحمن عبد الخالق – مكتبة ابن تيمية – الكويت – الطبعة الثالثة ١٤٠٦ هـ.

٢١٤- **الفهرست** – لأبي الفرج محمد بن إسحاق ابن النديم الوراق – دار المعرفة – بيروت – ١٣٩٨ هـ.

٢١٥- **الفوائد البهية من تراجم الحنفية** – لمحمد بن عبد الحي بن محمد الكنوي الهندي – تحقيق: فراس النعساني – دار المعرفة – بيروت.

٢١٦- **الفوائد المجموعة من الأحاديث الموضوعة** – لمحمد علي الشوكاني – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ.

٢١٧- **فوات الوفيات** – لمحمد شاكر الكتبي – تحقيق: محمد أحمد يعوض الله و عادل أحمد عبد الموجود – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م.

٢١٨- **فيض القدير شرح الجامع الصغير** – لعبد الرؤوف المناوي – المكتبة التجارية الكبرى – مصر – الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ.

٢١٩- **القائد إلى تصحيح العقائد** – لعبد الرحمن المعلمي – تعليق: محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
٢٢٠- **قالوا عن الإسلام** – لعماد الدين خليل – نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي – الرياض – الطبعة الأولى١٤١٢ هـ.
٢٢١- **القاموس المحيط** – لمحمد يعقوب الفيروز أبادي – مؤسسة الرحالة – الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ.
٢٢٢- **قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين** – لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب – تحقيق: بشير محمد عيون – مكتبة المؤيد – الطائف – السعودية – الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.
٢٢٣- **القصيدة الوضاحية في مدح عائشة أم المؤمنين** – لأبي عمران موسى بن محمد الأندلسي – تحقيق: نظام محمد يعقوب – دار البشائر الإسلامية.
٢٢٤- **قواعد التفسير** – لخالد عثمان السبت – دار ابن عفان – الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.
٢٢٥- **قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي** – لمصطفى حلمي – دار الدعوة – الإسكندرية – مصر – الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ.
٢٢٦- **القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع** – لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي – تحقيق: بشير عيون – مكتبة المؤيد.
٢٢٧- **الكامل** – لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – دار النهضة – القاهرة
٢٢٨- **الكامل في التاريخ** – لأبي الحسن علي ابن الأثير – دار صادر – بيروت.
٢٢٩- **الكبائر** – لمحمد بن عثمان الذهبي – دار الندوة الجديدة – بيروت – لبنان.
٢٣٠- **كتاب التمام** – لمحمد بن الحسين بن أبي يعلى – تحقيق: عبد الله الطيار و عبد العزيز المد الله – دار العاصمة – الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

٢٣١- **كتاب العين** – للخليل بن أحمد – تحقيق: مهدي المخزوي و إبراهيم السامرائي – مكتبة الهلال.

٢٣٢- **كشاف القناع عن متن الإقناع** – لمنصور بن يونس البهوتي – عالم الكتب – ١٤٠٣ هـ.

٢٣٣- **الكليات** – لأيوب بن موسى الكفوي – تحقيق: عدنان درويش و محمد المصري – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

٢٣٤- **لسان العرب** – لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور – دار صادر – بيروت – لبنان.

٢٣٥- **لسان الميزان** – لأحمد ابن حجر العسقلاني – دار الفكر – بيروت – لبنان.

٢٣٦- **لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد** – لأبي محمد موفق الدين عبدالله بن قدامة المقدسي – شرح الشيخ صالح الفوزان – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

٢٣٧- **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية** – لمحمد بن أحمد السفاريني – طبعة المكتب الإسلامي – بيروت لبنان – الطبعة الثانية.

٢٣٨- **الماتريدية دراسة وتقويماً** – لأحمد بن عوض الله الحربي – دار الصميعي – الرياض – الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

٢٣٩- **المجروحين من المحدثين** – لمحمد بن حبان البستي – تحقيق: محمد إبراهيم زايد – دار الوعي – حلب – سوريا.

٢٤٠- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** – لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

٢٤١- **مجموع الرسائل والمسائل** – لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٢هـ.

٢٤٢- **المجموع شرح المهذب** – للنووي والسبكي والمطيعي – مكتبة الإرشاد.

٢٤٣- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية** – جمع عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد – طبعة مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

٢٤٤- **مجموعة الرسائل والمسائل النجدية** - لبعض علماء نجـد الأعـلام - دار العاصمة - الرياض - الطبعـة الأولى - ١٣٤٩هـ - النـشرة الثالثـة ١٤١٢هـ.

٢٤٥- **محاسن التأويل** - لجمال الدين القاسمي - تحقيق: محمد فؤاد عبـدالباقي - طبعة المكتبة الفيصلية.

٢٤٦- **المحدث الفاصل بين الراوي والـواعي** - للحـسين بـن عبـدالرحمن الرامهرمزي - تحقيق: محمد عجاج الخطيب - دار الفكر - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

٢٤٧- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** - لعبدالحق بن عطية الأندلسي - تحقيق: جماعة من العلماء - الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

٢٤٨- **المحلى** - لعلي بن حزم - تحقيق: عبـدالغفار البنـداري - دار الكتـب العلمية١٤٠٨هـ.

٢٤٩- **مختصر التحفة الاثنى عشرية** - لمحمود شكري الألوسي - تحقيق: حسين حلمي.

٢٥٠- **مختصر الشمائل المحمدية** - لمحمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٥١- **مختصر الصواعق المرسلة** - اختصره محمد الموصلي - دار الندوة الجديدة - طبعة عام ١٤٠٥هـ.

٢٥٢- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** - لابن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

٢٥٣- **مذاهب الإسلاميين** - لعبدالرحمن بدوي - دار العلم للملايين - بـيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

٢٥٤- **مراصد الاطلاع** - لصفي الدين البغدادي - طبعة عيسى البابي الحلـبي - ١٣٧٣هـ.

٢٥٥- **مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري** – ليحيى بن إبراهيم السيحي – دار العاصمة – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٥٦- **المستدرك على الصحيحين** – لمحمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري – تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى١٤١١هـ.

٢٥٧- **المستشرقون** – لنجيب العقيقي – دار المعارف – القاهرة – مصر – الطبعة الرابعة ١٩٨٠م.

٢٥٨- **المستشرقون الألمان** – لصلاح المنجد – وهي عبارة عن دراسات شارك في جمعها صلاح المنجد – دار الكتاب الجديد – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

٢٥٩- **المستشرقون والتراث** – لعبدالمنعم الديب – دار الوفاء – المنصورة – مصر – الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ.

٢٦٠- **المسند** – لأحمد بن حنبل الشيباني – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الرابعة١٤٠٣هـ.

٢٦١- **مسند البزار** – لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق البزار – تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله – مكتبة العلوم والحكم – السعودية – الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٢٦٢- **مشاهير علماء الأنصار** - لمحمد بن حبان البستي – دار الكتب العلمية – ١٩٥٩م.

٢٦٣- **مشكاة المصابيح** – للتبريزي – تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني – طبعة المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

٢٦٤- **المصباح المنير** – لأحمد بن محمد الفيومي – مكتبة لبنان.

٢٦٥- **المصنف** – لعبدالله بن محمد بن أبي شيبة – تحقيق: عبدالخالق الأفغاني – الدار السلفية – توزيع رئاسة البحوث العلمية بالسعودية.

٢٦٦- **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول** – لحافظ حكمي – طبعة الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية بالسعودية.

٢٦٧- **المعارف** – لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ.

٢٦٨- **معالم التنزيل** – لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي – دار المعرفة – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

٢٦٩- **معالم السنن** – لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي – المكتبة العلمية – بيروت – لبنان – ١٤٠١هـ.

٢٧٠- **معجم الأدباء** – لياقوت الحموي – دار إحياء التراث العربي – بيروت لبنان.

٢٧١- **معجم البلدان** – لياقوت الحموي – دار صادر.

٢٧٢- **معجم الشعراء** - لأبي عبدالله محمد بن عمران بن موسى المرزباني – تحقيق: مزيتس كرنكو – مكتبة القدس – القاهرة – ١٣٥٤هـ.

٢٧٣- **المعجم الصغير** – لأبي القاسم الطبراني – ضبط: كمال الحوت – مؤسسة الكتب الثقافية – الطبعة الأولى١٤٠٦هـ.

٢٧٤- **معجم القراءات** – لعبداللطيف الخطيب – دار سعد الدين – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٧٥- **معجم القراءات القرآنية** – لأحمد مختار و عبدالعال سالم – دار عالم الكتب – الطبعة الثالثة ١٩٩٧م.

٢٧٦- **المعجم الكبير** – لسليمان بن أحمد الطبراني – تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي – مكتبة الزهراء – الموصل – الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

٢٧٧- **المعجم الوسيط** – لإبراهيم مصطفى وآخرون – تحقيق: مجمع اللغة – دار الدعوة.

٢٧٨- **معجم مقاييس اللغة– لأبي الحسن أحمد ابن فارس** – تحقيق: عبدالسلام هارون – دار الكتب العلمية.

٢٧٩- **المعرفة والتاريخ** – ليعقوب بن سفيان الفسوي – تحقيق: أكرم ضياء العمري – مطبعة الإرشاد – العراق.

٢٨٠- **المغانم المستطابة في معالم طابة** – للفيروز أبادي – تحقيق: حمد الجاسر – الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ.

٢٨١- **المغني** – لأحمد بن قدامة المقدسي – تحقيق: عبدالله التركي – دار الكتب العلمية – الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.

٢٨٢- **المغني عن الحفظ والكتابة** – لعمر بن بدر الموصلي – دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٢٨٣- **مفتريات على الإسلام** - لأحمد جمال – من مطبوعات جامعة الملك عبدالعزيز – جدة – الطبعة الثالثة.

٢٨٤- **مفردات ألفاظ القرآن** – للحسين بن محمد الراغب الأصفهاني – تحقيق: صفوان عدنان داوودي – دار القلم – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ

٢٨٥- **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم** – لأحمد بن عمر القرطبي – تحقيق: محيي الدين مستو وغيره – دار ابن كثير – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٨٦- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين** – لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري – تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد – مكتبة النهضة المصرية – ١٣٨٩هـ.

٢٨٧- **مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم** – لمحمد العبدة وطارق عبدالحليم – دار الأرقم – الكويت – الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٢٨٨- **الملل والنحل** – لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني – تحقيق: عبدالعزيز الوكيل – دار الفكر – بيروت – لبنان.

٢٨٩- **من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام** – لعبدالمنعم فؤاد – مكتبة العبيكان – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

٢٩٠- **من تاريخ الإلحاد في الإسلام** – لعبدالرحمن بدوي – سيناء للنشر – الطبعة الثانية ١٩٩٣م.

٢٩١- **مناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع** – لناصر بن عبدالكريم العقل – دار الوطن – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٢٩٢- **المنتظم** – لعبدالرحمن ابن الجوزي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

٢٩٣- **المنتقى شرح الموطأ** – لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي – دار الكتب العلمية – الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ.

٢٩٤- **منهاج السنة النبوية** - لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية – تحقيق: محمد رشاد سالم – طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٢٩٥- **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية** – لأبي بكر القسطلاني – دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٩٦- **موسوعة المستشرقين** – لعبدالرحمن بدوي – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الثالثة ١٩٩٣م.

٢٩٧- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة** – طبعة دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي – الطبعة الثانية.

٢٩٨- **موقف أصحاب الأهواء والفرق من السنة النبوية ورواها** – لمحمد مطر الزهراني – مكتبة الصديق الطائف – السعودية – الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٢٩٩- **موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن إعراضهم عنها** – لأبي لبابة حسين – دار اللواء – الرياض – الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

٣٠٠- **موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع** – لإبراهيم بن عامر الرحيلي – مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٣٠١- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** – لمحمد بن أحمد الذهبي – تحقيق: علي محمد البجاوي – دار المعرفة – بيروت – وكذلك طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٣٠٢- **النحو الوافي** – لعباس حسن – دار المعارف – القاهرة – الطبعة الثانية ١٩٨١م.

٣٠٣- **نزهة الأعين النواظر** – لأبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي – تحقيق: محمد عبدالكريم الراضي – مؤسسة الرسالة – الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

٣٠٤- **نساء الأنبياء في ضوء الكتاب والسنة** – لأحمد خليل جمعة – دار ابن كثير – الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٣٠٥- **نشأة الفكر الفلسفي الإسلامي** – لعلي بن سامي النشار – دار المعرفة – الطبعة الثامنة.

٣٠٦- **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج** – لشمس الدين محمد بن أبي العباس الرملي المشهور بالشافعي الكبير – دار الفكر – بيروت – ١٤٠٤هـ.

٣٠٧- **النهاية في غريب الحديث** – لأبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير – تحقيق: طاهر أحمد الراوي ومحمود محمد الطناجي – المكتبة العلمية – بيروت – لبنان.

٣٠٨- **نونية القحطاني** – لعبدالله بن محمد الأندلسي – تحقيق: محمد أحمد – مكتبة السوادي – السعودية – الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ.

٣٠٩- **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار** – لمحمد بن علي الشوكاني – مكتبة التراث.

٣١٠- **الهوى وأثره في الخلاف** – لعبدالله الغنيمان – دار الوطن – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٣١١- **الوافي بالوفيات** – لصلاح الدين خليل الصفدي – تحقيق: أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤٢٠هـ.

٣١٢- **وجوب لزوم الجماعة وترك الفرق** – لجمال الشيربادي – دار الوطن – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٣١٣- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء آخر الزمان** – لأبي العباس شمس الدين أحمد ابن محمد بن خلكان – تحقيق: إحسان عباس – دار الثقافة – لبنان.

ب/ مصادر ومراجع الفرق المخالفة لأهل السنة :

٣١٤- **الاحتجاج** – لأحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي – تعليق : محمد باقر الموسوي – مطبعة سعيد – إيران - ١٤٠٣ هـ.

٣١٥- **إحقاق الحق** – لنور الدين التستري – المطبعة المرتضوية – العراق – الطبعة الحجرية ١٢٧٣ هـ.

٣١٦- **أخيراً أشرقت الروح** - للمياء حمادة.

٣١٧- **الإرشاد** – لمحمد بن محمد النعمان المشهور بالمفيد – انتشارات كتاب فروش إسلامية – إيران - ١٣٥١ هـ

٣١٨- **الاستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار** – لمحمد بن الحسن الطوسي - تحقيق: حسن الموسوي – دار الكتب الإسلامية – إيران - ١٣٩٠ هـ ، ومطبعة النجف – العراق - ١٣٧٥ هـ.

٣١٩- **الاستشراق بين دعاته ومعارضيه** – مجموعة مقالات لبعض المستشرقين – ترجمة: هاشم صالح – دار الساقي – بيروت – الطبعة الثانية ٢٠٠٠ م.

٣٢٠- **الإسلام** - لهنري ماسيه- ترجمة: البهيج شعبان - من منشورات عويدات - لبنان.

٣٢١- **الإسلام وحضارته** - لأندريه ميكيل - ترجمة: زينب عبد العزيز - المكتبة العصرية - بيروت.

٣٢٢- **أعيان الشيعة** – لمحسن الأمين العاملي – مطبعة زيدون – سوريا - ١٣٥٣ هـ.

٣٢٣- **الاقتصاد فيما يتعلق في الاعتقاد** – لمحمد بن الحسن الطوسي – مطبعة الآداب – النجف – العراق - ١٣٦٩ هـ.

٣٢٤- **إكمال الدين وإتمام النعمة في إثبات الرجعة** – لمحمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالصدوق – المطبعة الحيدرية – العراق – الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ.

٣٢٥- **إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب** – لعلي اليزدي الحائري – مؤسسة الأعلمي – لبنان – الطبعة الرابعة ١٣٩٧ هـ.

٣٢٦- **أم المؤمنين تأكل أولادها** – لنبيل فياض.

٣٢٧- **الأمالي** – لابن بابويه القمي المعروف بالصدوق – انتشار كتاب خانة إسلامية – إيران - ١٣٦٢ هـ.

٣٢٨- **الأنوار النعمانية** – لنعمة الله الجزائري الموسوي – طبعة جاب – إيران.

٣٢٩- **أهل الإسلام** - لويس غارديه – ترجمة: صلاح الدين برمذا - منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق – سوريا - ١٩٨١م.

٣٣٠- **الإيضاح** – للفضل بن شاذان الأزدي – مؤسسة الأعلمي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ.

٣٣١- **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار** – لمحمد باقر المجلسي – دار إحياء التراث العربي ومؤسسة الوفاء – الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ.

٣٣٢- **البرهان في تفسير القرآن** – لهاشم بن سليمان البحراني – المطبعة العلمية – الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ.

٣٣٣- **تاريخ الدعوة الإسماعيلية منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر** – لمصطفى غالب – دار اليقظة العربية – دمشق - ١٣٧٣ هـ.

٣٣٤- **تاريخ الدول العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة العربية** – ليوس فلهوزن – ترجمة: محمد عبد الهادي – نشر: لجنة التأليف والنشر – القاهرة - ١٩٥٨ م.

٣٣٥- **تاريخ الشعوب الإسلامية** – لبروكلمان – ترجمة: نبيه أمين ومنير البعلبكي – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – الطبعة الثامنة ١٩٧٩ م.

٣٣٦- **تاريخ الشيعة** – لمحمد بن الحسين المظفر – دار الزهراء – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ.

٣٣٧- **تاريخ العرب العام** – لسيديو – ترجمة: عادل زعتر – دار إحياء الكتب العربية - ١٣٦٧ هـ.

٣٣٨- **تاريخ الفلسفة الإسلامية** – هنري كوربان – ترجمة: نصير مروة وحسن قبيسي – منشورات عويدات – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة ١٩٨٣ م.

٣٣٩- **تجريد الاعتقاد** – لنصير الدين الطوسي – مؤسسة الأعلمي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ.

٣٤٠- **تفسير الصافي** – لمحسن الفيض الكاشاني – مؤسسة الأعلمي – بيروت – لبنان –الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ.

٣٤١- **تفسير العياشي** – لمحمد بن مسعود بن عياش – المكتبة العلمية الإسلامية – طهران – إيران.

٣٤٢- **تفسير القمي** – لأبي الحسن علي القمي – مطبعة النجف – الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ.

٣٤٣- **التفسير الكبير** – لأبي عبد الله محمد بن عمر القرشي (الفخر الرازي) – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٤٤- **تلخيص الشافي** – لمحمد بن الحسن الطوسي – الطبعة الحجرية – طهران – إيران.

٣٤٥- **تنقيح المقال في علم الرجال** – لعبد الله المامقاني – الطبعة الحجرية.

٣٤٦- **تهذيب الأحكام** – لمحمد بن الحسن الطوسي – دار الكتب الإسلامية – إيران – الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ.

٣٤٧- **الثقلان الكتاب والعترة** – لمحمد بن محمد النعمان المشهور بالمفيد – مكتبة دار الكتب التجارية – العراق.

٣٤٨- **ثم اهتديت** – لمحمد التيجاني السخاوي – مؤسسة الفجر – لندن.

٣٤٩- **الجمل** – لمحمد بن محمد النعمان المشهور بالمفيد – مكتبة الداوري – إيران.

٣٥٠- **حديث الإفك** – لجعفر مرتضى الحسيني العاملي – مؤسسة بيادر للطباعة – لبنان – ودار التعارف – لبنان - ١٤٠٠ هـ.

٣٥١- **حياة القلوب** – لمحمد باقر المجلسي – المطبعة الحجرية – إيران ، وكذلك في الهند - ١٣٠١ هـ.

٣٥٢- **حياة محمد** – لإيميل در منغم – ترجمة: محمد عادل زعتر – دار إحياء الكتب العربية.

٣٥٣- **الخرايج والجوايح** – للقطب الراوندي – الطبعة الحجرية الهند - ١٣٠١هـ.

٣٥٤- **الخصال** – لابن بابويه القمي المعروف بالصدوق – مكتبة الصدوق – إيران - ١٣٨٩ هـ.

٣٥٥- **دائرة المعارف الإسلامية** – أصدرها باللغة العربية أحمد الشنتاوي وإبراهيم زكي خورشيد .

٣٥٦- **الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة** – لصدر الدين علي خان الشيرازي – مكتبة بصيرتي – قم – إيران - ١٣٩٧ هـ.

٣٥٧- **دلائل الإمامة** – لأبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري – المطبعة الحيدرية – العراق - ١٣٨٣ هـ.

٣٥٨- **الذريعة إلى تصانيف الشيعة** – لأغا برزك الطهراني – دار الأضواء – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ.

٣٥٩- **رجال الحلي** – لابن المطهر الحلي – تحقيق: محمد صادق بحر العلوم – المطبعة الحيدرية – العراق – الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ.

٣٦٠- **رجال النجاشي** – لأحمد بن علي النجاشي – تحقيق: موسى الزنجاني – طبعة النشر الإسلامي – الطبعة الخامسة .

٣٦١- **الرجعة** – لأحمد زين الأحسائي – مكتبة العلامة الحائري – العراق.

٣٦٢- **رسالة في تحقيق خبر الطائر** – لمحمد بن محمد النعمان المشهور بالمفيد – مكتبة دار الكتب التجارية – العراق.

٣٦٣- **رسالة فيما أشكل من خبر مارية القبطية** – لمحمد بن محمد النعمان المشهور بالمفيد – دار الكتب التجارية – العراق.

٣٦٤- **الرسول حياة محمد** - لبودلي – ترجمة: محمد فرج وعبد الحميد جـودة السحار – نشر مكتبة مصر.
٣٦٥- **السقيفة** – لسليم بن قيس الكوفي الهلالي العامري – دار الفنون – لبنـان ١٤٠٠ هـ.
٣٦٦- **سيرة الأئمة الاثني عشر** – لهاشم معروف الحسيني – دار القلم – لبنان – الطبعة الثالثة ١٩٨١ م.
٣٦٧- **شرح الأصول الخمسة** – للقاضي عبد الجبار – تحقيق: عبد الكريم عثمان – مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ.
٣٦٨- **شرح نهج البلاغة** – لابن أبي الحديد – تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم – دار إحياء التراث العربي – الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ.
٣٦٩- **الشهاب الثاقب** – لعالم سبيط النيلي – منشورات الرابطة القصدية – بغداد – الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ.
٣٧٠- **الصحيح من سيرة النبي الأعظم** – لجعفر مرتضى العاملي – طبعة دار الهدى ودار السيرة – لبنان – الطبعة الرابعة ١٤١٥ هـ.
٣٧١- **الصراط المستقيم في مستحقي التقديم** - لأبي محمد علي بن يونس العاملي البياضي – صححه وعلق عليه : محمد الباقر البهبوتي – مطبعة الحيدري – الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ.
٣٧٢- **الصوارم المهرقة في نقد الصواعق المحرقة** – لنور الدين التستري – طبعة كتاب جان خانة – إيران – الطبعة الأولى ١٣٦٧ هـ.
٣٧٣- **عائشة أم المتسكعين** – مقال لسعيد السماوي في مجلة المنبر الكويتية لشهر شعبان عام ١٤٢٦ هـ.
٣٧٤- **العرب والإسلام والخلافة العربية** – لبليائيف – ترجمة: أنيس فريحة – الدار المتحدة للنشر – بيروت.
٣٧٥- **عقائد الإمامية الاثنى عشرية** – لإبراهيم الموسوي الزنجاني – مؤسسة الوفاء – بيروت - ١٤٠٢ هـ.

٣٧٦- **العقود الدرية في أصول الإباضية** - لسالم بن حمد الإباضي - دار اليقظة العربية - سوريا.
٣٧٧- **العقيدة والشريعة في الإسلام** – لجولد تسيهر – ترجمة: محمد يوسف موسى وعبد العزيز عبد الحق وعلي عبد القادر – دار الرائد العربي – بيروت – لبنان.
٣٧٨- **علم اليقين في أصول الدين** – للفيض الكاشاني – دون ذكر معلومات الطباعة .
٣٧٩- **علي مع القرآن والقرآن مع علي** – لمحمد رضا الحكيمي – مؤسسة الوفاء – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
٣٨٠- **عين الحياة** – لمحمد باقر المجلسي – انتشار قائم – إيران.
٣٨١- **فصل الخطاب في إثبات تحريف كلام رب الأرباب** – لحسين محمد تقي النوري الطبرسي – الطبعة الحجرية – إيران - ١٢٩٨ هـ.
٣٨٢- **الفصول المختارة من العيون والمحاسن** – لمحمد بن محمد النعمان المشهور بالمفيد – دار الأضواء – بيروت – الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ.
٣٨٣- **فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومباينتهم لسائر المخالفين** – أملاه: القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي - تحقيق: فؤاد سيد – الدار التونسية للنشر – تونس - ١٣٩٣ هـ.
٣٨٤- **الفهرست** – لمحمد بن الحسين الطوسي – منشورات المكتبة المرتضوية – العراق – الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ.
٣٨٥- **فهرست أسماء مصنفي الشيعة** – لأبي العباس أحمد بن علي النجاشي – تحقيق: محمد جواد النائيني – مكتبة الدواري – إيران.
٣٨٦- **في ظلال التشيع** – لهاشم معروف الحسيني – مؤسسة الوفاء – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
٣٨٧- **الكشاف عن حقائق التنزيل** – لأبي القاسم جار الله الزمخشري – تحقيق: عبد الرزاق المهدي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – وطبعة

دار الكتب العلمية – تحقيق: محمد عبد السلام شاهين – الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.
٣٨٨- **كشف الأسرار** – للخميني – ترجمة: محمد البنداري – طبع دار عمار – الأردن – الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
٣٨٩- **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد** – لابن المطهر الحلي – مؤسسة الأعلمي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ.
٣٩٠- **مجمع البيان في تفسير القرآن** – لأبي علي الفضل بن الحسين الطبرسي – طبع العرفان – لبنان والعراق – ١٤٠٣هـ.
٣٩١- **المحاسن** – لأبي جعفر أحمد بن علي البرقي – دار الكتب الإسلامية – إيران.
٣٩٢- **مختصر بصائر الدرجات** – لحسين بن سليمان الحلي – المطبعة الحيدرية – العراق – الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ.
٣٩٣- **المراجعات** – للموسوي – تحقيق: حسين علي راضي – مطبعة حسام.
٣٩٤- **مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين** – لرجب البرسي – مؤسسة الأعلمي – بيروت – الطبعة العاشرة.
٣٩٥- **معاني الأخبار** – للقمي – منشورا جماعة المدرسين في الحوزة العلمية – إيران – ١٣٧٩هـ.
٣٩٦- **معرفة أخبار الرجال** – لمحمد عمر الكشي – مطبعة الصفوية – ببلدة بمباي دهوني.
٣٩٧- **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)** – لفخر الدين الرازي – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٣٩٨- **المفصح في الإمامة** – لمحمد بن الحسن الطوسي – ضمن مجموع الرسائل العشر للطوسي – طبع مؤسسة النشر الإعلامي – إيران.
٣٩٩- **المقالات والفرق** – لسعد بن عبدالله القمي – نشر مؤسسة مطبوعات عطاني – طهران – ١٩٦٣م.

٤٠٠- **مقدمة مرآة العقول** – لمرتضى العسكري – دار الكتب الإسلامية – إيران – ١٣٩٨هـ.

٤٠١- **من لا يحضره الفقيه** – لابن بابويه القمي المعروف بالصدوق – مطبعة جاب – إيران – ودار الكتب الإسلامية – طهران – الطبعة الخامسة.

٤٠٢- **منار الهدى في النص عل إمامة الأئمة الاثنى عشر** – لعلي بن عبدالله البحراني – تحقيق: عبدالزهراء الخطيب – دار المنتظر – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٤٠٣- **منهاج الكرامة في إثبات الإمامة** – لابن المطهر الحلي – مطبوع مع منهاج السنة النبوية لابن تيمية التي بتحقيق: محمد رشاد سالم – طبعة أوفست – باكستان – ١٣٩٦هـ.

٤٠٤- **منهج الصادقين في إلزام المخالفين** – لمحمد بن المرتضى الملقب بالفيض الكاشاني.

٤٠٥- **موجز دائرة المعارف الإسلامية** – تحرير: هوتسما و أور نولد وغيرهم من المستشرقين – طبع مركز الشارقة للإبداع الفكري – الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٤٠٦- **نهج البلاغة** – لأبي الحسن محمد بن الحسن المعروف بالشريف الرضي – تحقيق: صبحي الصالح – دار الكتب اللبنانية – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.

ج/ المواقع التي تم الرجوع إليها على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)

٤٠٧- شبكة شيعة العراق www.iraqshia.net.

٤٠٨- شيعة الزهراء عليها السلام www.oneham.com.

٤٠٩- منتديات البحرين forum.montadayatbh.net.

٤١٠- منتديات فيصل نور- الحقائق الغائبة fnoor.com/hewar.

٤١١- منتديات يا حسين www.yahosein.cjb.com .

٤١٢- موقع البينة www.albainah.net .

٤١٣- موقع دار الزهراء www.darolzahra.com .

تاسعاً : فهرس الموضوعات

تاسعاً : فهرس الموضوعات

تمت بحمد الله